حاشية

العارف بالله تعالى المغفور له

أحمد بن محمّد الصّاوي المالكي الخلوتي

١١٧٥ - ١٢٤١هـ

على

تفسير الجلالين

للإمامين العظيمين الجلالين المحلّى والجلال السيوطي

رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الجزء الرابع

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها

فضيلة الشيخ علي محمّد الضباع

شيخ القراء والمقارئ بالديار المصريّة

دار الجيل

بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(سورة غافر مكية)

إلا « الذين يجادلون » الآيتين ، خمس وثمانون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . حٰمٓ) الله أعلم بمراده به (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنَ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْعَلِيمِ) بخلقه (غَافِرِ الذَّنْبِ) للمؤمنين (وَقَابِلِ التَّوْبِ) لهم مصدر (شَدِيدِ الْعِقَابِ) للكافرين أى مشدده (ذِى الطَّوْلِ) أى الإنعام الواسع وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات فإضافة المشتق منها للتعريف كالأخيرة (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) المرجع ،

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة غافر]

وتسمى سورة المؤمن لقوله فى أثنائها - وقال رجل مؤمن - وسورة الطول لافتتاحها به فى أوصاف البارى تعالى . واعلم أنه ورد فى فضل الحواميم أحاديث كثيرة : منها قوله صلى الله عليه وسلم «الحواميم ديباج القرآن» ومنها «لكل شىء ثمرة وإن ثمرة القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فيقرأ الحواميم » ومنها « مثل الحواميم فى القرآن كمثل الحبرات فى الثياب » ، ومنها « لكل شىء لباب ولباب القرآن الحواميم » ومنها «الحواميم سبع وأبواب النار سبع جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم ، فكل حم يوم القيامة تقف على باب من هذه الأبواب فتقول : لا يدخل النار من كان يؤمن بى ويقرؤنى فتحصل أنه يقال حواميم وآل حم وذوات حم خلافا لمن أنكر الأول (قوله مكية) أى وكذا بقية الحواميم (قوله إلا الذين يجادلون الخ) الصواب أن يقول إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم إلا كبر الآيتين وأول الآية الثانية لخلق السموات والأرض الآية لأن هاتين الآيتين هما المدنيتان خلافا لما يوهمه المفسر (قوله خمس وثمانون) وقيل ثنتان وثمانون (قوله حم) بسكون الميم فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بضم الميم وفتحها وكسرها . فالأول على أنه خبر لمحذوف . والثانى على أنه مفعول لمحذوف ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث أو شبه العجمة . والثالث على أنه مبنى على الكسر مبتدأ خبره محذوف أى هذا محله مثلا (قوله الله أعلم بمراده) تقدم أن هذا القول فى مثل هذا الموضع أسلم وقيل اسم من أسماء الله تعالى وقيل مفاتيح خزائنه ، وقيل اسم الله الأعظم وقيل مفاتح السور ، وقيل كل حرف منه يشير إلى كل اسم من أسمائه تعالى مبدوء بذلك الحرف فالحاء افتتاح اسمه حميد وحليم وحكيم وهكذا والميم افتتاح اسمه مالك ومجيد ومنان ، وهكذا لما روى « أن أعرابيا سأل النبى صلى الله عليه وسلم ما حم فانا لا نعرفها فى لساننا ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم بدء أسماء وفواتح سور » (قوله العزيز) فى ملكه أشار إلى أنه من عز بمعنى قهر وغلب (قوله غافر الذنب) أى ماحيه من الصحف . واعلم أن غافر وغفار وغفور صيغ نسب على الصحيح لأن أوصافه تعالى لا تفاوت فيها بخلاف أوصاف الحوادث (قوله وقابل التوب) أتى بالواو إشارة إلى أنه تعالى يجمع للمؤمنين بين محو الذنوب وقبول التوبة فلا تلازم بين الوصفين بل بينهما تغاير إذ يمكن محو الذنوب من غير توبة ويمكن قبول التوبة فى بعض الذنوب دون بعض (قوله مصدر) وقيل جمع توبة كدوم ودومة (قوله للكافرين) أى وأما العصاة وإن عوقبوا فلا يعاملهم الله بالشدة (قوله أى الانعام الواسع) وقيل الطول بالفتح المن ، وقيل هو الغنى والسعة وكلها ترجع لما قال المفسر (قوله وهو موصوف على الدوام الخ) هذه العبارة جواب عما يقال إن الصفات الثلاثة التى هى غافر وقابل وشديد مشتقات وإضافة المشتق لا تفيده تعريفا فكيف وقعت صفات للمعرفة التى هى لفظ الجلالة . فأجاب المفسر بأن محل ذلك ما لم يقصد بالمشتق الدوام وإلا تعرف بالاضافة ونظيره ما قيل فى مالك يوم الدين . وأجيب أيضا بأن الكل إبدال وهو لا يشترط فيه التبعية فى التعريف (قوله لا إله إلا هو) يصح أن يكون حالا لأن الجمل بعد المعارف أحوال ويصح أن يكون مستأنفا (قوله إليه المصير) أى فيجازى كل أحد بعمله .

(ما يجادل

(مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ) القرآن (إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) للمعاش سالمين فإن عاقبتهم النار (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ) كعاد وثمود وغيرهما (مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) يقتلوه (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا) يزيلوا (بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ) بالعقاب (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) لهم أى هو واقع موقعه (وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) أى لأملأن جهنم الآية (عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) بدل من كلمت (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ) مبتدأ (وَمَنْ حَوْلَهُ) عطف عليه (يُسَبِّحُونَ) خبره (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) ملابسين للحمد: أى يقولون سبحان الله وبحمده (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) تعالى ببصائرهم : أى يصدقون بوحدانيته (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) ،

(قوله مايجادل فى آيات الله) أى فى إبطالها والطعن فيها وهذا هو الجدال المذموم وأما الجدال فى نصر آيات الله بالحجج القاطعة فذى هو وظيفة الأنبياء ومن على قدمهم فهو ممدوح ومنه قوله تعالى ــ وجادلهم بالتى هى أحسن ــ (قوله فلا يغررك تقلبهم الخ) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدّر تقديره إذا علمت أنهم كفار فلا تحزن ولا يغررك إمهالهم فانهم مأخوذون عن قريب وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله كذبت قبلهم) أى قبل أهل مكة وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم أيضا (قوله من بعدهم) أى من بعد قوم نوح (قوله ليأخذوه) أى يتمكنوا من إصابته بما أرادوه به (قوله أى هو واقع موقعه) أى فهو عدل منه سبحانه وتعالى (قوله وكذلك) أى كما وقع للأمم السابقة (قوله حقت كلمت ربك) أى وجبت وثبتت . والمعنى مثل ماوقع وحصل للمكذبين قبل هؤلاء يحصل لهؤلاء فى الآخرة وإكرامهم فى الدنيا بالنعم إنما هو ببركتك يامحمد (قوله بدل من كلمة) أى بدل كل من كل إن أريد بلفظ الكلمة خصوص قوله أنهم أصحاب النار أو بدل اشتمال إن فسرت الكلمة بقوله لأملأن جهنم الخ ولاشك أن الكلمة بهذا المعنى مشتملة على قوله أنهم أصحاب النار (قوله الذين يحملون العرش مبتدأ) أى الاسم الموصول مبتدأ ويحملون صلته وقوله ومن حوله اسم الموصول معطوف على الموصول قبله وحوله صلته والتقدير والذين حوله وليس معطوفا على الضمير فى يحملون لإيهامه أن من حوله حامل أيضا . واعلم أن حملة العرش أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا وهم فى الدنيا أربعة وفى يوم القيامة ثمانية . ورد أن لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه من الأربعة يسأل الله الرزق لذلك الجنس ، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان على وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيتصدع وجناحان يصفق بهما فى الهواء . يروى أن أقدامهم فى تخوم الأرض السفلى والأرضون والسموات إلى حجزهم ورءوسهم خرقت العرش وهم خشوع لايرفعون أطرافهم وهم أشد خوفا من أهل السابعة وأهلها أشد خوفا من أهل السادسة وهكذا ، والعرش جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا ويكسى كل يوم ألف لون من النور (قوله ومن حوله) أى وهم الكروبيون سادات الملائكة . قال وهب : إن حول العرش سبعون ألف صنف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء يكبر فريق ويهلل فريق ، ومن وراء هؤلاء سبعون ألف صف قيام أيديهم إلى أعناقهم واضعين لها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا : سبحانك اللهم وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لاإله غيرك والخلق كلهم إليك راجعون ومن وراء هؤلاء مائة صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا يسبح بتسبيح لايسبحه الآخر مابين جناحى أحدهم ثلثمائة عام ومابين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه أربعمائة (قوله أى يقولون سبحان الله وبحمده) أى لما ورد أن حملة العرش يكونون يوم القيامة ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك وحلمك ، وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك (قوله ببصائرهم) جواب عما يقال إن وصفهم بالتسبيح يغنى عن وصفهم بالإيمان فما فائدة ذكره عقبه . فأجاب بأن التسبيح من وظائف اللسان والإيمان من وظائف القلب فأفاد فائدة لم تكن فى الأول فذكره للاعتناء بشأنه (قوله ويستغفرون للذين آمنوا) أى يطلبون المغفرة لهم ، وحكمة طلبهم المغفرة لهم أنهم تكلموا فى بنى آدم حيث قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، فلما وقع منهم ذلك أمرهم الله بالاستغفار لهم جبرا لما وقع منهم ، ففيه تنبيه على

أنّ من تكلم فى غيره ينبغى له أن يستغفر له (قوله يقولون) أى فى كيفية الاستغفار لهم وهذه الجملة المقدرة حال من ضمير يستغفرون (قوله ربنا وسعت كل شىء الخ) قدم هـذا بين يدى الدعاء توطئة له للاشارة إلى أنه ينبغى للانسان أن يدعو الله تعالى وهو موقن بالإجابة ولا يتردد فى الدعاء فانه مانع من الإجابة (قوله رحمة وعلما) قدّم الرحمة على العلم لأن المقام للدعاء والرحمة مقصودة فيه بالذات وإلا فالعلم سابق عليها (قوله من الشرك) أى وإن كان عليهم ذنوب (قوله واتبعوا سبيلك) أى بأن آمنوا (قوله وقهم عذاب الجحيم) أى اجعل بينهم وبينه وقاية تمنعهم منه بأن توفقهم لصالح الأعمال (قوله ومن صلح من آبائهم الخ) أى بأن مات على غير الكفر فيدخل فيه أهل الفترة والجنون (قوله وأزواجهم) أى زوجاتهم لما ورد «إذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبى أين أمى أين ولدى أين زوجتى؟ فيقال إنهم لم يعملوا عملك، فيقول: إنى كنت أعمل لى ولهم، فيقال أدخلوهم، فاذا اجتمع بأهله فى الجنـة كان أكمل لسروره ولذاته» (قوله فى وأدخلهم) أى وهو أولى لأنه (٤) يصير الدعاء لهم بالدخول صريحا بخلافه على وعدتهم فانه ضمنى (قوله وقهم

السيئات) الضمير راجع للآباء والأزواج والذرية (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جملة مأخوذة من السياق والتقدير يوم إذ تدخل من تشاء الجنة ومن تشـاء النار وهو يوم القيامة (قوله وذلك) أى ماذكر من الرحمة ووقاية السيئات (قوله إن الذين كفروا) شروع فى ذكر أحوال الكفار بعد وقولهم النار إثر بيان أنهم من أصحاب النار (قوله وهم يمقتون أنفسهم) أى يبغضونها ويظهرون ذلك على رءوس الأشهاد فيقول الواحـد منهم لنفسـه: مقتك يا نفسى، فتقول

الملائكة لهم وهم فى النار: لمقت الله إياكم إذ انتم فى الدنيا وقد بعث إليكم الرسل فلم تؤمنوا (مخمسين)
أشدّ من مقتكم أنفسكم اليوم (قوله لمقت الله) أى بغضه والمراد لازمه وهو الانتقام والتعذيب لأن حقيقته محالة فى حق الله تعالى (قوله لأنهم نطفا أموات) كذا فى بعض النسخ بنصب نطفا على الحال والمناسب أن يقول لأنهم كانوا أو خلقوا نطفا فان الاماتة إعدام الحياة ابتداء أو بعد سبق الحياة (قوله ذلكم) مبتدأ وبأنه خبره والضمير للشأن (قوله فالحكم لله) هذا من جملة مايقال لهم فى الآخرة بدليل قوله فى تعذيبكم وأما قوله هوالذى يريكم آياته فكلام مستأنف منقطع عما قبله ويصح أن يكون الكلام تم بقوله وإن يشرك به تؤمنوا وقوله فالحكم لله تفريع على ماتقدم كأنه قال إذا علمتم أن الخلق فريقان مؤمنون وكفار فلا تعترضوا فان الحكم لله أى القضاء بأن هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار لله وحده الموصوف بكونه يريكم آياته فيعتبر بها من يشاء فيهتدى ويكذب بها من يشاء فيضل (قوله وينزل لكم) أى من أجلكم (قوله بالمطر) أى بسببه فان الماء سبب فى جميع الأرزاق كما هومشاهد (قوله فادعوا الله) يطلق الدعاء على الطلب حقيقة وليس مرادا هنا باجماع بقرينة ماقبله ومابعده،

يقولون (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا) أى وسع رحمتك كل شىء وعلمك كل شىء (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا) من الشرك (وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) دين الإسلام (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) النار (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ) إقامة (الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ) عطف على هم فى وأدخلهم أو فى وعدتهم (مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فى صنعه (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) أى عذابها (وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ) من قبل الملائكة وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار (لَمَقْتُ اللَّهِ) إياكم (أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ) فى الدنيا (إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ. قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ) إماتتين (وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) إحياءتين لأنهم نطفا أموات فأحيوا ثم أميتوا ثم أحيوا للبعث (فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا) بكفرنا بالبعث (فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ) من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا (مِنْ سَبِيلٍ) طريق؟ وجوابهم لا (ذَلِكُمْ) أى العذاب الذى أنتم فيه (بِأَنَّهُ) أى بسبب أنه فى الدنيا (إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ) بتوحيده (وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ) يجعل له شريك (تُؤْمِنُوا) تصدّقوا بالاشراك (فَالْحُكْمُ) فى تعذيبكم (لِلَّهِ الْعَلِيِّ) على خلقه (الْكَبِيرِ) العظيم (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ) دلائل توحيده (وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) بالمطر (وَمَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) يرجع عن الشرك (فَادْعُوا اللَّهَ) اعبدوه

(مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) إخلاصكم منه (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) أى الله عظيم الصفات ، أو رافع درجات المؤمنين فى الجنة (ذُو الْعَرْشِ) خالقه (يُلْقِي الرُّوحَ) الوحى (مِنْ أَمْرِهِ) أى قوله (عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ) يخوف الملقى عليه الناس (يَوْمَ التَّلَاقِ) بحذف الياء وإثباتها يوم القيامة لتلاقى أهل السماء والأرض والعابد والمعبود والظالم والمظلوم فيه (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ) خارجون من قبورهم (لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) ؟ يقوله تعالى ويجيب نفسه (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) أى لخلقه (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب جميع الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) يوم القيامة من أزف الرحيل قرب (إِذِ الْقُلُوبُ) ترتفع خوفاً (لَدَى) عند (الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ) ممتلئين غماً حال من القلوب عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها (مَا لِلظَّالِمِينَ ،

وعلى العبادة مجازا كما هنا من باب تسمية الكل باسم جزئه لأن الدعاء جزء من أجزاء العبادة ، وسميت العبادة دعاء لأنه أعظم أجزائها لما فى الحديث «الدعاء مخ العبادة» (قوله مخلصين) حال من فاعل ادعوا وأشار بذلك إلى أن الانسان مأمور بالعبادة ظاهرا وبإخلاص قلبه من أنواع الشك والشرك الأكبر والأصغر فقوله من الشرك عام فى الشرك الأكبر وهو الكفر والأصغر وهو الرياء (قوله ولو كره الكافرون) مبالغة فيما قبله أى اعبدوه وأخلصوا له فلو بكم هذا إذا رضى الكافرون بذلك بل ولو كرهوا أو قاتلوكم ومانعوكم من عبادته (قوله أى الله عظيم الصفات) أشار بذلك إلى أن رفيع صفة مشبهة خبر لمحذوف أى هو منزه فى صفاته عن كل نقص ، وقوله أو رافع أشار به إلى أن فعيل صيغة مبالغة محولة عن اسم الفاعل (قوله يلقى الروح) أى الوحى ، سمى بذلك لأنه يسرى فى القلوب كسريان الروح فى الجسد ولذا كان لا يطرأ على النبى النسيان (قوله من أمره) بيان للروح أو حال منه أى قوله وقيل المراد بالأمر القضاء (قوله الملقى عليه) هو فاعل الانذار وهو كناية عن الموصول فى قوله على من يشاء والمفعول الأول محذوف قدره المفسر بقوله الناس والمفعول الثانى هو قوله يوم التلاق (قوله بحذف الياء) أى وصلا ووقفا وقوله وإثباتها أى وصلا ووقفا أو وصلا فقط فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله لتلاقى أهل السماء) علة لتسميته يوم التلاق (قوله يوم هم بارزون) بدل من يوم التلاق بدل كل من كل ويكتب يوم هنا وفى الداريات فى قوله : يوم هم على النار يفتنون منفصلا لأن هم مرفوع بالابتداء فيهما فالمناسب القطع وأما فى غير هذين المحلين نحو يومهم الذى يوعدون ، يومهم الذى فيه يصعقون فيكتب موصولا لأن هم مجرور فالمناسب وصله (قوله خارجون من قبورهم) أى ظاهرون لا يستترون بشىء لكون الأرض إذ ذاك قاعا صفصفا لما فى الحديث «يحشرون حفاة عراة غرلا» (قوله لا يخفى على الله منهم شىء) الحكمة فى تخصيص ذلك اليوم مع أن الله لا يخفى عليه شىء فى سائر الأيام أنهم كانوا يتوهمون فى الدنيا أنهم إذا استتروا بالحيطان مثلا لا يراهم الله وفى هذا اليوم لا يتوهمون هذا التوهم (قوله لمن الملك اليوم) هذه حكاية لما يقع من السؤال والجواب حينئذ وهو كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون حينئذ فقيل يقال لمن الملك الخ (قوله يقوله تعالى) قيل فى القيامة كما ورد «يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها فيؤمر مناد ينادى لمن الملك اليوم فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار» فيقول المؤمنون هذا الجواب سرورا وتلذذا ويقوله الكافرون غما وانقيادا وخضوعا ، وقيل بين النفختين حين تفنى جميع الخلائق ويبقى الله وحده فلا يرى غير نفسه فيقول لمن الملك اليوم فيجيب نفسه بعد أربعين سنة لله الواحد القهار لأنه بقى وحده وقهر خلقه (قوله اليوم تجزى كل نفس الخ) إما من تتمة الجواب أو الحكاية مايقوله الله تعالى عقب جواب الخلق (قوله لا ظلم اليوم) لا نافية للجنس وظلم اسمها واليوم خبرها (قوله فى قدر نصف نهار) أى ولا يشغله حساب أحد عن أحد بل كل إنسان يرى أنه هو المحاسب (قوله من أزف الرحيل) من باب تعب أى دنا وقرب (قوله إذ القلوب) بدل من يوم الآزفة والقلوب مبتدأ خبره لدى الحناجر وهو متعلق بمحذوف قدره بقوله ترتفع (قوله الحناجر) جمع حنجور كحلقوم وزنا ومعنى ، أو جمع حنجرة .

(قوله من حميم) من زائدة فى المبتدإ (قوله ولا شفيع يطاع) أى يؤذن له فى الشفاعة فيقبل (قوله إذ لاشفيع لهم أصلا) أى لامطاع ولا غيره (قوله أى لو شفعوا الخ) تفسير للمفهوم على الوجه الثانى (قوله يعلم خائنة الأعين) خبر رابع عن المبتدإ الذى أخبر عنه برفيع وما بعده والاضافة على معنى من أى الخائنة من الأعين (قوله بمسارقتها النظر إلى محرم) ومن جملة ذلك الرجل ينظر إلى المرأة فاذا نظر إليه أصحابه غض بصره فاذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر فاذا نظر إليه أصحابه غض بصره (قوله وما تخفى الصدور) أى عن العباد من خير وشر (قوله أى كفار مكة) تفسير للواو فى يدعون (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا يقضون بشىء) من باب التهكم بهم إذ الجماد لا يوصف بقضاء ولا بغيره (قوله إن الله هو السميع البصير) وعيد لهم على أفعالهم وأقوالهم أى فيجازيكم بها (قوله أولم يسيروا فى الأرض) لما بالغ فى تخويف الكفار بأحوال الآخرة أردفه بتخويفهم بأحوال الدنيا فقال أولم يسيروا الخ وقوله كيف كان عاقبة الخ كيف خبر كان مقدم وعاقبة اسمها والجملة فى محل نصب على المفعولية وقوله كانوا الخ جواب كيف والواو اسم كان والضمير للفصل وأشد خبرها (قوله فينظروا) ويجوز أن يكون منصوبا فى جواب الاستفهام

وأن يكون مجزوما نسقا على ماقبله (قوله عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أى حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم (قوله وفى قراءة منكم) أى بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب (قوله وآثارا فى الأرض) عطف على قوة (قوله من مصانع) أى أماكن فى الأرض تخزن فيها الأشياء كالصهاريج (قوله وما كان لهم الخ) لهم خبر كان مقدم وواق اسمها مؤخر على زيادة من ومن الله متعلق بواق ومن فيه ابتدائية ومفعول واق محذوف قدره بقوله عذابه وكان للاستمرار أى ليس لهم واق أبدا (قوله ذلك) أى أخذهم بسبب أنهم كانت الخ (قوله ولقد أرسلنا موسى الخ) شروع فى ذكر قصة موسى مع فرعون وحكمة تكرارها وغيرها تسليته صلى الله عليه وسلم وزيادة فى الاحتجاج على من كفر من أمته (قوله وسلطان مبين) قيل المراد به نفس الآيات فالعطف مرادف وإنما التغاير باعتبار العنوانين وقيل المراد به بعض الآيات وهو العصا واليد وحينئذ فيكون من عطف الخاص على العام والنكتة الاعتناء بهما (قوله إلى فرعون وهامان وقارون) خصهم بالذكر لأنهم الرؤساء فان فرعون كان ملكا وهامان وزيره وقارون صاحب الأموال والكنوز وإنما جمعه الله معهما لأنه شاركهما فى الكفر والتكذيب فى آخر الأمر وإن آمن أولا فان فعله آخرا دل على أنه مطبوع على الكفر كابليس (قوله فقالوا) نسبة القول لقارون باعتبار آخر الأمر (قوله هو ساحر) أشار بذلك إلى أن ساحر خبر لمحذوف وكذاب عطف على ساحر والمعنى ساحر فيما أظهر من المعجزات كذاب فيما ادعاه أنه من عند الله (قوله قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا الخ) أى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه بهم فهذا القتل غير القتل الأول لأن فرعون بعد ولادة موسى أمسك عن قتل الأولاد فلما بعث الله موسى وعجز عن معارضته أعاد القتل فى الأولاد ليمتنع الناس من الايمان ولئلا يكثر جمعهم فيكيدوه فأرسل الله عليهم أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم ويطوفان إلى ان خرجوا من مصر فأغرقهم الله تعالى وجعل كيدهم فى نحورهم .

مِنْ حَمِيمٍ) محب (وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) لامفهوم للوصف إذ لاشفيع لهم أصلا فما لنا من شافعين ، أوله مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعاء : أى لو شفعوا فرضا لم يقبلوا (يَعْلَمُ) أى الله (خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) بمسارقتها النظر إلى محرم (وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) القلوب (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ) يعبدون : أى كفار مكة بالياء والتاء (مِنْ دُونِهِ) وهم الأصنام (لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ) فكيف يكونون شركاء لله (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْبَصِيرُ) بأفعالهم (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ) وفى قراءة منكم (قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ) من مصانع وقصور (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) أهلكهم (بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) عذابه (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) برهان بين ظاهر (إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا) هو (سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ) بالصدق (مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا) ،

استبقوا

استبقوا (نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) هلاك (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى) لأنهم كانوا يكفونه عن قتله (وَلْيَدْعُ رَبَّهُ) ليمنعه منى (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) من عبادتكم إياى فتتبعونه (وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) من قتل وغيره ، وفى قراءة أو ، وفى أخرى بفتح الياء والهاء وضم الدال (وَقَالَ مُوسَى) لقومه وقد سمع ذلك (إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ. وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) قيل هو ابن عمه (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ) أى لأن (يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات الظاهرات (مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ) أى ضرر كذبه (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) به من العذاب عاجلا (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) مشرك (كَذَّابٌ) مفتر (يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ) غالبين حال (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ) عذابه إن قتلتم أولياءه (إِنْ جَاءَنَا) أى لاناصر لنا (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى) أى ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسى وهو قتل موسى (وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) طريق الصواب (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ) أى يوم حزب بعد حزب (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) مثل بدل من مثل قبله : أى مثل جزاء ،

(قوله استبقوا نساءهم) أى بناتهم للخدمة (قوله هلاك) أى ضياع و بطلان لايغنى عنهم شيئا (قوله لأنهم كانوا يكفونه عن قتله) فى حكمة منعهم له عن قتله وجوه : أولها أن المانع له من قتله الرجل المؤمن الآتى ذكره فكان صاحب سر فرعون وكان يتحيل فى منع فرعون من قتله . ثانيها أنهم منعوه من قتله احتقارا له فكانوا يقولون إنه ساحر ضعيف فان قتلته قالت الناس إنهم قتلوه لعجزهم عن معارضته. ثالثها خوفهم على فرعون لأنهم كانوا يعلمون أنه إن تعرض لموسى بسوء أخذ حالا. رابعها ليشتغل عنهم بمخاصمة موسى لأن شأن الملوك إذا لم يجدوا مايشتغلون به تعرضوا لرعاياهم (قوله وليدع ربه) اللام للأمر وهو أمر تعجيز فى زعم فرعون (قوله فتتبعونه) المناسب أن يحذف النون (قوله وفى قراءة أو الخ) تحصل أن القراآت أربع سبعيات رفع الفساد ونصبه مع الواو أو أو (قوله وقال موسى إنى عذت) بادغام الذال فى التاء و إظهارها قراءتان سبعيتان (قوله من كل متكبر) لم يسم فرعون بل ذكره فى ضمن المتكبرين لتعميم الاستعاذة والتقبيح على فرعون أنه متكبر متجبر (قوله وقال رجل مؤمن) لما التجأ موسى إلى مولاه تعالى قيض له من يخاصم عنه هذا اللعين قال ابن عباس : لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذى قال لموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك الخ، وفى الحديث «الصديقون حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذى قال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله والثالث أبو بكر الصديق وهو أفضلهم» وكان اسم الرجل حزقيل وقيل شمعان بفتح المعجمة بوزن سلمان (قوله قيل هو ابن عمه) وقيل كان من بنى إسرائيل يكتم إيمانه من آل فرعون (قوله أى لأن يقول الخ) أى لأجل هذا القول من غير تأمل وتفكر (قوله وقد جاءكم بالبينات) الجملة حالية من فاعل يقول (قوله بعض الذى يعدكم) أى إن لم يصبكم كله فلا أقل من أن يصيبكم بعضه إن تعرضتم له بسوء (قوله إن الله لايهدى من هو مسرف كذاب) هذا من الكلام الموجه إلى موسى وفرعون فالأول معناه أن الله هدى موسى إلى الاتيان بالمعجزات ومن كان كذلك فلا يكون مسرفا كذابا فموسى ليس بمسرف ولا كذاب والثانى معناه أن فرعون مسرف فى عزمه على قتل موسى كذاب فى ادعائه الألوهية وحينئذ فالله لايهدى من هذا وصفه (قوله ياقوم لكم الملك الخ) أى فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتل هذا الرجل (قوله حال) أى من الضمير فى لكم (قوله قال فرعون) أى بعد أن سمع تلك النصيحة ولم يقبلها (قوله أى ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسى) أى فلا أظهر لكم أمرا وأكتم عنكم غيره (قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) أى ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى (قوله أى يوم حزب بعد حزب) أشار بذلك إلى أن قوله يوم الأحزاب مفرد فى معنى الجمع أى أيامها (قوله أى مثل جزاء الخ) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

(قوله عادة) تفسير للدأب . والمعنى جزاء الأمر الذى اعتادوه واستمروا عليه وهو كفرهم (قوله وما الله يريد ظلما للعباد) أى فلا يعاقبهم بغير ذنب (قوله وياقوم إنى خائف عليكم الخ) لما خوفهم بالعذاب الدنيوى شرع يخوفهم بالعذاب الأخروى (قوله بحذف الياء) أى فى الوصل والوقف وقوله وإثباتها أى فى الوصل والوقف فالقراآت أربع سبعيات وهذا فى اللفظ وأما فى الخط فمحذوفة لاغير (قوله وغير ذلك) من جملته أن ينادى ألا إن فلانا سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا ، وفلانا شقى شقاوة لايسعد بعدها أبدا ، وأن ينادى حين يذبح الموت : يا أهل الجنة خلود بلا موت ، ويا أهل النار خلود بلا موت ، وأن ينادى المؤمن : هاؤم اقرءوا كتابيه ، وينادى الكافر : ياليتنى لم أوت كتابيه ، وأن ينادى بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور ، فهذه الأمور كلها تقع فى هذا اليوم (قوله مدبرين عن موقف الحساب إلى النار) أى لأنهم إذا سمعوا زفير النار أدبروا هاربين فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعوا إلى مكانهم (قوله مالكم من الله) الجملة حالية وقوله من عاصم مبتدأ ومن زائدة ومن الله متعلق بعاصم (قوله فما له من هادى) باثبات الياء وحذفها فى الوقف وبحذفها فى الوصل مع حذفها في الخط على كل حال (٨) (قوله ولقد جاءكم يوسف الخ) المتبادر أنه من كلام

عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم فى الدنيا (وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ . وَيَا قَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ) بحذف الياء وإثباتها : أى يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس والنداء بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها وغير ذلك (يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) عن موقف الحساب إلى النار (مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ) أى من عذابه (مِنْ عَاصِمٍ) مانع (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ) أى من قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب فى قول عمر إلى زمن موسى ، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف ابن يعقوب فى قول (بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ) من غير برهان (لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا) أى فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره (كَذَلِكَ) أى مثل إضلالكم (يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) مشرك (مُرْتَابٌ) شاك فيما شهدت به البينات (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى آيَاتِ اللهِ) معجزاته مبتدأ (بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) برهان (أَتَاهُمْ كَبُرَ) جدالهم خبر المبتدإ (مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ) أى مثل إضلالهم (يَطْبَعُ) يختم (اللهُ) بالضلال (عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) بتنوين قلب ودونه ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب لا لعموم القلوب

الرجل المؤمن وقيل من كلام موسى (قوله عمر إلى زمن موسى) هذا القول لم يوافقه عليه أحد من المفسرين لأن بين يوسف وموسى أربعمائة سنة فالصواب أن يقول عمر إلى زمن فرعون فان فرعون أدركه وعمر إلى أن أدرك موسى وعمر بوزن فرح ونصر وضرب وهو لازم ويتعدى بالتضعيف (قوله أو يوسف ابن إبراهيم) أى فيوسف هذا سبط يوسف بن يعقوب أرسله الله إلى القبط فأقام فيهم عشرين سنة نبيا (قوله فما زلتم فى شك) أى فما زالت أصولكم (وقال

(قوله أى فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره) أتى بهذا دفعا لما يتبادر من ظاهر الآية أنهم كانوا مؤمنين بيوسف وندموا على فراقه بل كانوا كفارا به وانقيادهم له خوفا من سطوته بهم وطمعا فى جاهه الدنيوى (قوله الذين يجادلون الخ) من كلام الرجل المؤمن وقيل ابتداء كلام من الله تعالى (قوله أتاهم) صفة لسلطان (قوله خبر المبتدإ) هذا أحسن الأعاريب فى هذا المقام وقوله مقتا تمييز محوّل عن الفاعل أى كبر مقت جدالهم وعند ظرف لكبر ومقت الله إياهم سخطه وإنزال العذاب بهم (قوله مثل إضلالهم) المناسب أن يقول مثل ذلك الطبع (قوله بتنوين قلب ودونه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومتى تكبر القلب الخ) أشار بذلك إلى التوفيق بين القراءتين لأنه يلزم من اتصاف القلب بالكبر اتصاف الشخص به لأن القلب سلطان الأعضاء فمتى فسد فسدت (قوله لعموم الضلال جميع القلب) أى جميع أجزائه فلم يبق فيه محل يقبل الهدى وهذا على خلاف القاعدة فى كل فان قاعدتها أنها إذا دخلت على نكرة مفردة أو مجموعة أو معرفة مجموعة تكون لعموم الأفراد ، وإذا دخلت على معرفة مفردة تكون لعموم الأجزاء ، وهنا قد دخلت على النكرة المفردة فكان حقها أن تكون لعموم الأفراد ،

و إنما أريد هذا المعنى و إن كان مخالفا للقاعدة للمبالغة فى وصول الضلال لقلوبهم وتمكنه منها (قوله وقال فرعون) أى معرضا عن كلام المؤمن (قوله بناء عاليا) أى مفردا طويلا ضخما وتقدمت قصته فى سورة القصص (قوله طرقها) أى أبوابها الموصلة إليها وحكمة التكرار فى أسباب التفخيم والتعظيم أن الشىء إذا أبهم ثم وضح كان أدخل فى تعظيم شأنه (قوله عطفا على أبلغ) أى فيكون داخلا فى حيز الترجى (قوله و بالنصب جوابا لابن) أى فهو منصوب بأن مضمرة بعد الفاء كقوله :

يا ناق سيرى عنقا فسيحا ... إلى سليمان فنستريحا

وقيل إنه منصوب فى جواب الترجى والقراءتان سبعيتان (قوله إلى إله موسى) أى أنظر إليه وأطلع على حاله (قوله تمويها) أى تلبيسا وتخليطا على قومه و إلا فهو يعرف و يعتقد أن موسى صادق فى جميع ماقاله (قوله وكذلك) أى مثل ذلك التزيين (قوله بفتح الصاد وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقال الذى آمن) هو الرجل المؤمن وقيل المراد به موسى عليه السلام (قوله اتبعون) أى امتثلوا ما آمركم به (قوله بإثبات الياء وحذفها) أى وهما سبعيتان وهذا فى اللفظ وأما فى الخط فهى محذوفة لا غير لأنها من ياآت الزوائد (قوله تمتع يزول) أى تمتع قليل يسير لا بقاء له (قوله دار القرار) أى الثبات

ولا تحول عنها (قوله من عمل سيئة) أى ولم يتب منها (قوله وهو مؤمن) الجملة حالية (قوله بضم الياء الخ) أى وهما سبعيتان (قوله يرزقون فيها بغير حساب) أى وما ورد من أن الحسنة بعشر أمثالها فهذا فى ابتداء الأمر عند المحاسبة على الأعمال فإذا تم الحساب تفضل الله على عباده بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله بلا تبعة) أى فرزق أهل الجنة لا يتوقف على دفع عوض بل يتنعمون نعما خاليا من العلل صافيا من الكدر جعلنا الله من أهل الجنة بمنه وكرمه (قوله وياقوم مالى أدعوكم الخ) أتى بالواو فى النداء الأول والثالث لأنه كلام مستقل مستأنف وتركها من الثانى لأنه من تعلقات الكلام الأول والعطف يقتضى المغايرة وقوله مالى أى أى شىء ثبت لى فما مبتدأ والجار والمجرور خبر عنه وقوله أدعوكم حال والاستفهام للتعجب ومحط العجب هو قوله وتدعوننى إلى النار كأنه قال أعجب من هذه الحال أدعوكم إلى النجاة والخير وتدعوننى إلى النار والشر (قوله تدعوننى لأكفر الخ) هذا بدل من قوله تدعوننى الأول بدل مفصل من مجمل (قوله ما ليس لى به) أى بوجوده والمراد نفى المعلوم من أصله (قوله وأنا أدعوكم) راجع لقوله أدعوكم إلى النجاة (قوله إلى العزيز الغفار) أى إلى عبادته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه (قوله لاجرم) لا نافية وجرم فعل ماض بمعنى حق وقوله أنما تدعوننى فاعله والمعنى حق ووجب عدم استجابة دعوة آلهتكم (قوله حقا) مفعول لمحذوف دل عليه لاجرم والمعنى حق ماتدعوننى إليه حقا وهى كلمة فى الأصل بمنزلة لابد ثم تحولت إلى معنى القسم (قوله أنما تدعوننى) ما اسم موصول حقها أن تفصل من النون و إنما وصلت بها تبعا للصحف (قوله أى استجابة دعوة) أى لا شفاعة لها دنيا ولا أخرى، وقيل المعنى

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا) بناء عاليا (لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ) طرقها الموصلة إليها (فَأَطَّلِعُ) بالرفع عطفا على أبلغ و بالنصب جوابا لابن (إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ) أى موسى (كَاذِبًا) فى أن له إلها غيرى قال فرعون ذلك تمويها (وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) طريق الهدى بفتح الصاد وضمها (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) خسار (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ) بإثبات الياء وحذفها (أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) تقدم (يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ) تمتع يزول (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ. مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) بضم الياء وفتح الخاء و بالعكس (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) رزقا واسعا بلا تبعة (وَيَاقَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ. تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ) الغالب على أمره (الْغَفَّارِ) لمن تاب (لَا جَرَمَ) حقا (أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) لأعبده (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ) أى استجابة دعوة (فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا) مرجعنا (إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ) الكافرين (هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ. فَسَتَذْكُرُونَ) إذا عاينتم العذاب،

ليست له دعوة إلى عبادته لأن الأصنام لاتدعى الربوبية ولا تدعو إلى عبادة نفسها وفى الآخرة تتبرأ من عبادها (قوله ما أقول لكم) أى من النصيحة (قوله لما توعدوه) أى ففر هاربا إلى جبل فأرسل فرعون خلفه ألفا ليقتلوه فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فأكلت السباع بعضهم ورجع بعضهم هاربا فقتله فرعون (قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى شدائد مكرهم وقد نجى الله تعالى ذلك الرجل مع موسى من الغرق أيضا (قوله وقومه معه) أى ولم يصرح به لأنه أولى منهم بذلك (قوله ثم النار) أتى بثم إشارة إلى أنه كلام مستأنف والنار مبتدأ وجملة يعرضون عليها خبره . والمعنى تعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة على النار لما روى « إن أرواح الكفار فى جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها » (قوله ويوم تقوم الساعة) إما معمول لادخلوا أو لمحذوف تقديره يقال لهم يوم تقوم الساعة ادخلوا وعليه درج المفسر (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا فعلى القراءة الأولى يكون المنادى على حذف ياء النداء وعلى الثانية يكون مفعولا لأدخلوا (قوله

عذاب جهنم) تفسير للأشد فإنه أشد مما كانوا فيه لأن ذلك عرض وهذا دخول واستيطان (قوله فيقول الضعفاء) تفصيل للتخاصم (قوله جمع تابع) كخدم وخادم (قوله دافعون) أشار بذلك إلى أن مغنون مضمن معنى دافعون فنصب نصيبا ، ويصح أن يضمن معنى حاملون ومن النار صفة لنصيبا (قوله إنا كل فيها) أى فلو استطعنا لدفعنا عن أنفسنا فكيف ندفع عنكم (قوله إن الله قد حكم بين العباد) أى فلا يغنى أحد عن أحد شيئا (قوله وقال الذين فى النار) أى من الضعفاء والمستكبرين جميعا حين حصل لهم اليأس من تحمل بعضهم عن بعض (قوله لخزنة جهنم) أتى بالظاهر فى محل الضمير تقبيحا عليهم أو لبيان محلهم فيها (قوله يوما من العذاب) أى يخفف عنا شيئا من العذاب فى يوم وقوله أى قدر يوم أشار بذلك إلى أنه ليس فى الآخرة ليل ولا نهار (قوله قالوا أولم تك تأتيكم الخ) المقصود من ذلك إلزامهم الحجة والتوبيخ على تفريطهم (قوله قالوا بلى) أتونا فكذبناهم وتقدم أنهم قبل الدخول ينكرون وبعده يقرون (قوله فانا لانشفع لكافر) أى لتحتم خلوده فى النار فالشفاعة لاتفيد شيئا (قوله انعدام) أى من الإجابة (قوله إنا لننصر رسلنا) أى بالحجة والظفر على الأعداء وإن وقع لهم بعض امتحان فالعبرة بالعواقب وغالب الأمر (قوله ويوم يقوم الأشهاد) معطوف على قوله فى الحياة الدنيا والمعنى ننصرهم فى الدنيا والآخرة (قوله جمع شاهد) أى ويصح أن يكون جمع شهيد قال تعالى ـ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ـ (قوله وهم الملائكة) أى والأنبياء والمؤمنون أما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما شاهدوا وأما الأنبياء فإنهم يحضرون يوم القيامة يشهدون على أممهم وأما المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتشهد على باقى الأمم يوم القيامة (قوله يوم لاينفع) بدل من يوم الأول .

(ما أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) قال ذلك لما توعدوه بمخالفته دينهم (فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا) به من القتل (وَحَاقَ) نزل (بِآلِ فِرْعَوْنَ) قومه معه (سُوءُ الْعَذَابِ) الغرق ، ثم (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) يحرقون بها (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) صباحا ومساء (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يقال (ادْخُلُوا) يا (آلَ فِرْعَوْنَ) وفى قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء أمر للملائكة (أَشَدَّ الْعَذَابِ) عذاب جهنم (وَ) اذكر (إِذْ يَتَحَاجُّونَ) يتخاصم الكفار (فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) جمع تابع (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ) دافعون (عَنَّا نَصِيبًا) جزءا (مِنَ النَّارِ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا) أى قدر يوم (مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا) أى الخزنة تهكما (أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (قَالُوا بَلَى) أى فكفروا بهم (قَالُوا فَادْعُوا) أنتم فإنا لانشفع لكافر قال تعالى (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) انعدام (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ) ، بالياء

بالياء والتاء (الظالمين معذرتهم) عذرهم لو اعتذروا (ولهم اللعنة) أى البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) الآخرة: أى شدة عذابها (ولقد آتينا موسى الهدى) التوراة والمعجزات (وأورثنا بنى إسرائيل) من بعد موسى (الكتاب) التوراة (هدى) هاديا (وذكرى لأولى الألباب) تذكرة لأصحاب العقول (فاصبر) يا محمد (إن وعد الله) بنصر أوليائه (حق) وأنت ومن اتبعك منهم (واستغفر لذنبك) ليستن بك (وسبح) صل متلبسا (بحمد ربك بالعشى) وهو من بعد الزوال (والإبكار) الصلوات الخمس (إن الذين يجادلون فى آيات الله) القرآن (بغير سلطان) برهان (أتاهم إن) ما (فى صدورهم إلا كبر) تكبر وطمع أن يعلوا عليك (ما هم ببالغيه فاستعذ) من شرهم (بالله إنه هو السميع) لأقوالهم (البصير) بأحوالهم، ونزل فى منكرى البعث (لخلق السموات والأرض) ابتداء (أكبر من خلق الناس) مرة ثانية وهى الإعادة (ولكن أكثر الناس) أى كفار مكة (لا يعلمون) ذلك فهم كالأعمى ومن يعلمه كالبصير (وما يستوى الأعمى والبصير و) لا (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهو المحسن (ولا المسىء)،

(قوله بالياء والتاء) أى فهما سبعيتان (قوله لو اعتذروا) جواب عما يقال مقتضى الآية أنهم يذكرون أعذارهم إلا أنها لا تنفعهم وحينئذ يكون بينها و بين الآية الأخرى وهى ولا يؤذن لهم فيعتذرون تناف فأجاب بأن معنى لو اعتذروا فرضا لا تنفعهم معذرتهم فهذه الآية على سبيل الفرض والتقدير (قوله ولقد آتينا موسى الهدى) هذا مرتب على قوله إنا لننصر رسلنا و الذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد فهذا من النصر الدنيوى الموصل للنصر الأخروى (قوله من بعد موسى) أى إلى نزول عيسى فآتاه الله الانجيل ناسخة لبعض أحكام التوراة (قوله الكتاب) لم يعبر عنه فى جانب بنى إسرائيل بالهدى كما عبر فى جانب موسى إشارة إلى أنه لم يكن هدى لجميعهم بل هدى لمن آمن وصدّق ووبال لمن طغى وكفر (قوله هاديا) أشار بذلك إلى أن هدى حال من الكتاب وكذا قوله وذكرى (قوله فاصبر إن وعد الله حق) هذا نتيجة ما قبله أى إذا علمت أن الله ناصر رسله فى الدنيا والآخرة فاصبر حتى يأتيك النصر من ربك (قوله واستغفر لذنبك) أى اطلب المغفرة من ربك لذنبك والمقصود من هذا الأمر تعليم الأمة ذلك و إلا فرسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من الذنوب جميعا صغائر أو كبائر قبل النبوة و بعدها على التحقيق لجميع الأنبياء و إلى هذا أشار المفسر بقوله ليستن بك أى يقتدى بك وأجيب أيضا أن الكلام على حذف مضاف والتقدير واستغفر لذنب أمتك و إنما أضيف الذنب له لأنه شفيع لهم وأمرهم متعلق به فاذا لم يسع فى غفرانه فى الدنيا أتعبه فى الآخرة قال تعالى - عزيز عليه ماعنتم - وكل هذا تشريف لهذه الأمة المحمدية فقد تشرفت بأمور: منها أن نبيها مأمور بالاستغفار لها، ومنها صلاة الله وملائكته عليها وغير ذلك. وأجيب أيضا بأن المراد بالذنب خلاف الأولى وسمى ذنبا بالنسبة لمقامه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله صل) إنما فسر التسبيح بالصلاة لقرينة قوله بعد بالعشى والابكار (قوله وهو من بعد الزوال) أى وفيه أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقوله والابكار أى وهو من الفجر إلى الزوال وفيه صلاة واحدة وهى الصبح فلذلك قال الصلوات الخمس (قوله إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير الخ) بيان لتفصيل أن جدالهم ناشئ من الحقد الذى فى صدورهم وفيما تقدم بين عاقبة جدالهم وما أعد لهم فى نظيره (قوله بغير سلطان أتاهم) وصف كاشف إذ تستحيل المجادلة فى آيات الله بسلطان (قوله إن فى صدورهم) خبر إن (قوله ما هم ببالغيه) هذا وعد حسن من الله تعالى بأن المتكبر لا يبلغ ما أمله بكبره وإنما يجعل كيده فى نحره (قوله فاستعذ بالله) أى تحصن بالله من كيدهم والتجئ إليه فى دفع مكرهم (قوله إنه هو السميع البصير) تعليل لما قبله (قوله لخلق السموات الخ) أى سبعا طباقا على هذا الوجه المشاهد (قوله ابتداء) أى من غير سبق مثال (قوله أكبر) أى أعظم بحسب العادة وإلا فالكل بالنسبة إليه تعالى لا تفاوت فيه بين الصغير والكبير بدءا وإعادة (قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى والأقل يعلمه وهو من آمن (قوله فهم كالأعمى الخ) هذا نتيجة ما قبله وهو دخول على قوله وما يستوى الأعمى الخ (قوله ولا الذين آمنوا الخ) راجع للبصير وقوله ولا المسىء راجع لقوله الأعمى على سبيل اللف والنشر المشوش وهو من أنواع البلاغة .

فيه زيادة لا (قَلِيلاً مَا يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون بالياء والتاء أى تذكرهم قليلا جداً (إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ) شك (فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) بها (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) أى اعبدونى أثبكم بقرينة ما بعده (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ) بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس (جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) صاغرين (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) إسناد الإبصار إليه مجازى لأنه يبصر فيه (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) الله فلا يؤمنون .

(قوله فيه زيادة لا) أى للتوكيد لطول الكلام بالصلة (قوله قليلا ما يتذكرون) قليلا صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق أى يتذكرون تذكرا قليلا وما زائدة لتوكيد القلة (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى تذكرهم قليلا) هكذا بالنصب على الحال والخبر محذوف والتقدير يحصل حال كونه قليلا (قوله لا ريب فيها) أى لوضوح الأدلة على حصولها (قوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بها) أى جحدا وعنادا والأقل يؤمنون لقيام الدليل العقلى والشرعى على أنه تعالى قادر على كل شىء وأخبر على ألسنة رسله أنه كما بدأنا يعيدنا فلو جوز تخلفه للزم إما كذب خبره تعالى أو عجزه وكلاهما محال تنزه الله عنه (قوله وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) الدعاء فى الأصل السؤال والتضرع إلى الله تعالى فى الحوائج الدنيوية والأخروية الجليلة والحقيرة ، ومنه ما ورد «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى فى شسع نعله إذا انقطع» (قوله أستجب لكم أى أجبكم فيما طلبتم لما ورد «إذا قال العبد يا رب قال الله لبيك يا عبدى» . إن قلت إن قوله أستجب لكم وعد بالإجابة ووعده لا يتخلف مع أنه مشاهد أن الإنسان قد يدعو ولا يستجاب له . أجيب بأن الدعاء له شروط فإذا تخلف بعضها تخلفت الإجابة : منها إقبال العبد بكليته على الله وقت الدعاء بحيث لا يحصل فى قلبه غير ربه وأن لا يكون لمفاسد وأن لا يكون فيه قطيعة رحم وأن لا يستعجل الإجابة وأن يكون موقنا بها فإذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالإجابة فإما أن يعجلها له وإما أن يؤخرها له فالإجابة على مراده تعالى وحينئذ فالذى ينبغى للإنسان أن يدعو الله تعالى ويفوض له الأمر فى الإجابة ولذا ورد «ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له فى الدنيا وإما أن يؤخر له فى الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل ؟ قال يقول دعوت فما استجاب لى» والدعاء من خصائص هذه الأمة لما حكى عن كعب الأحبار قال : أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم تعطهن (ذالكم أمة قبلهم إلا نبى كان إذا أرسل نبى قيل له أنت شاهد على أمتك ، وقال تعالى لهذه الأمة ـ لتكونوا شهداء على الناس ـ وكان يقال للنبى ليس عليك فى الدين من حرج ، وقال تعالى لهذه الأمة ـ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ـ وكان يقال للنبى ادعنى أستجب لك ، وقال لهذه الأمة ـ ادعونى أستجب لكم ـ وقد يطلق الدعاء على مطلق العبادة مجازا من إطلاق الخاص وإرادة العام وهما تفسيران للدعاء هنا مشى المفسر على الثانى وعبر عنها بالدعاء إشارة إلى أن المقصود من العبادة الذل والخضوع والفقر والمسكنة والدعاء مشعر بذلك (قوله بقرينة ما بعده) أى وهو قوله إن الذين يستكبرون عن عبادتى الخ فتحصل أن فى الآية تفسيرين أحدهما حقيقة والثانى مجاز اختار المفسر الثانى لوجود القرينة ويصح إرادة الحقيقة لأنها الأصل (قوله بفتح الياء وضم الخاء) أى والقراءتان سبعيتان (قوله صاغرين) أى أذلاء فمن أنف واستكبر فى الدنيا ألبس ثوب الذل فى الآخرة ، ومن تواضع وتذلل فى الدنيا ألبس ثوب العز والفخر فى الآخرة ، فباب الذل والانكسار من أعظم الأبواب الموصلة إلى الله تعالى لما حكى عن سيدى أحمد الرفاعى أنه قال : طرقت الأبواب الموصلة إلى الله تعالى فوجدتها مزدحمة إلا باب الذل والانكسار . وورد أن داود سأل ربه فقال : يا ربنا كيف الوصول إليك ؟ قال يا داود خل نفسك وتعال (قوله الله الذى جعل لكم الليل الخ) هذا من جملة الأدلة على باهر قدرته كأنه قال لا يليق منكم أن تتركوا عبادة من هذه أفعاله (قوله مجازى) أى عقلى من إسناد الشىء إلى زمانه (قوله لذو فضل) أى جود وإحسان (قوله ولكن أكثر الناس) أى وهم الكفار وكان حقا على الناس جميعهم أن يشكروا الله تعالى ويوحدوه .

(ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَٰهَ إِلاّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان (كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ) أى مثل أفك هؤلاء أفك (الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ) معجزاته (يَجْحَدُونَ . اللهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) سقفاً (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . هُوَ الْحَىُّ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ) أعبدوه (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِىَ الْبَيِّنَاتُ) دلائل التوحيد (مِنْ رَبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) بخلق أبيكم آدم منه (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) منى (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) دم غليظ (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) بمعنى أطفالا (ثُمَّ) يبقيكم (لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) تكامل قوتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين (ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً) بضم الشين وكسرها (وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ) أى قبل الأشد والشيخوخة ،

(قوله ذلكم) الاشارة مبتدأ والله وربكم وخالق كل شيء ولا إله إلا هو أخبار أربعة له (قوله فأنى تؤفكون) من الأفك بفتح الهمزة وهو الصرف وأما الإفك بالكسر فهو الكذب (قوله كذلك يؤفك الخ) هذه تسلية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لاتحزن يامحمد فلا خصوصية لأمتك بل من قبلهم كذلك (قوله أفك الذين) بضم الهمزة فعل ماض مبنى للمجهول ، وأشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي وأتى به مضارعا استحضارا للصورة الغريبة (قوله الله الذى جعل لكم الأرض قرارا) هذا من جملة أدلة توحيده (قوله قرارا) أى محل قرار أى سكون مع كونها فى غاية الثقل لايمسك لها إلا قدرة الله تعالى (قوله فأحسن صوركم) أى صوركم أحسن تصوير حيث جعلكم منتصبي القامة بادى البشرة متناسبى الأعضاء تمشون على رجلين وجعل محل الواجهة من أعلى ومحل الأقذار من أسفل فسبحان الحكيم العليم (قوله ورزقكم من الطيبات) أى المستلذات ملبسا ومطعما ومركبا (قوله ذلكم) أى الفاعل لذلك كله واسم الاشارة مبتدأ والله وربكم خبران له (قوله هو الحى) أى الحياة الذاتية التى لا فناء لها ولا انقضاء (قوله اعبدوه) تقدم أنه أحد تفسيرين ويصح إرادة الآخر وهو السؤال والتضرع ، والمعنى إذا علمتم أن الله مالك الملك المتصرف فيه دون غيره فاسألوه فى جميع ماتحتاجون لأن خير الدنيا والآخرة عنده دون غيره (قوله مخلصين) حال وقوله الدين مفعول للمخلصين والمعنى غير مشركين غيره لا ظاهرا ولا باطنا (قوله الحمد لله رب العالمين) يحتمل أنه من كلام العباد فهو مقول لقول محذوف حال والمعنى قائلين ذلك لما ورد عن ابن عباس «من قال لا إله إلا الله ، فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين» فهو إشارة إلى أن العبد لايؤجر على الحمد ولا يعتد به شكورا إلا إذا كان موحدا ، وأما الكافر فعمله يذهب هباء منثورا ، ويحتمل أنه مستأنف من كلامه تعالى تعليما لعباده كيفية الحمد (قوله قل إنى نهيت الخ) أمر الله تعالى نبيه أن يخاطب قومه بذلك زجرا لهم حيث استمروا على عبادة غير الله بعد ظهور الادلة العقلية والنقلية (قوله لما جاءنى) أى حين جاءنى (قوله دلائل التوحيد) الأدلة العقلية والنقلية (قوله وأمرت أن أسلم الخ) إمامن الاسلام بمعنى الانقياد أو بمعنى الخلوص وعلى كل فالمفعول محذوف تقديره على الأول أسلم أمرى له وعلى الثانى أخلص قلبي من عبادة غيره تعالى (قوله هو الذى خلقكم من تراب الخ) لما ذكر فيما تقدم من جملة أدلة توحيده أربعة أشياء من دلائل الآفاق وهى الليل والنهار والأرض والسماء وثلاثة من دلائل الأنفس وهى التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات ذكرهنا كيفية خلق الأنفس ابتداء وانتهاء (قوله بخلق أبيكم آدم الخ) أى فالكلام على حذف مضاف ويصح إبقاء الكلام على ظاهره باعتبار أن أصل النطفة الغذاء وهو ناشىء من التراب (قوله ثم من علقة) أى بعد مضى أربعين يوما (قوله ثم يخرجكم طفلا) أجمل هنا فى المراتب وفصلها فى سورة المؤمنون فى قوله ـ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ـ الخ أى فهنا حذف مرتبتين المضغة والعظم العارى عن اللحم (قوله بمعنى أطفالا) إنما أوله بالجمع لتحصل المطابقة بين الحال وصاحبها فان طفلا حال من الكاف فى يخرجكم فالحال مفردة لفظا جمع معنى لأن لفظ الطفل يقع على الذكر والمؤنث والمفرد والجمع ، ومن ذلك قوله تعالى ـ أو الطفل الذين لم يظهروا ـ (قوله ثم يبقيكم لتبلغوا) أشار بذلك إلى أن قوله لتبلغوا متعلق بمحذوف وهو معطوف على قوله يخرجكم (قوله ثم لتكونوا) معطوف على لتبلغوا (قوله بضم الشين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان .

(قوله فعل ذلك بكم لتعيشوا) قدره إشارة إلى أن قوله ولتبلغوا معطوف على محذوف وهما علتان والمعلوم ماتقدم من الأفعال الصادرة منه تعالى (قوله وقتا محدودا) أى وهو وقت الموت (قوله ولعلكم تعقلون) معطوف على قوله لتبلغوا ويصح أن يكون معطوفا على محذوف تقديره فعل ذلك لتتدبروا ولعلكم تعقلون (قوله هو الذى يحيى ويميت) هذا نتيجة ماقبله وقوله فإذا قضى أمرا مرتب على ماتقدم والمعنى من ثبت أن هذه أفعاله علم أنه لايعسر عليه شىء ولا يتوقف إلا على تعلق إرادته به (قوله بضم النون) أى على أنه خبر لمبتدإ محذوف أى فهو يكون (قوله وفتحها) أى فهو منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية الواقعة فى جواب الأمر والقراءتان سبعيتان (قوله عقب الارادة التى هى معنى القول المذكور) والأوضح أن يقول وهذا القول المذكور كناية عن سرعة الايجاد فالمعنى إن أراد إيجاد شىء وجد سريعا من غير توقف على شىء وإلا فكلام المفسر يقتضى أن معنى الآية فاذا أراد إيجاد شىء فانما يريد إيجاده فيوجد وهذا لامعنى له (قوله ألم تر إلى الذين يجادلون الخ) هذا تعجب من أحوالهم الشنيعة وبيان لعاقبة أمرهم (قوله الذين كذبوا) إما بدل من الموصول قبله فهو

فعل ذلك بكم لتعيشوا (وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى) وقتا محدودا (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) دلائل التوحيد فتؤمنون (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا) أراد إيجاد شىء (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) بضم النون وفتحها بتقدير أن: أى يوجد عقب الإرادة التى هى معنى القول المذكور (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (أَنَّى) كيف (يُصْرَفُونَ) عن الإيمان (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ) القرآن (وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا) من التوحيد والبعث وهم كفار مكة (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عقوبة تكذيبهم (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ) إذ بمعنى إذا (وَالسَّلَاسِلُ) عطف على الأغلال فتكون فى الأعناق أو مبتدأ خبره محذوف أى فى أرجلهم أو خبره (يُسْحَبُونَ) أى يجرون بها (فِي الْحَمِيمِ) أى جهنم (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) يوقدون (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ) تبكيتا (أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ) معه وهى الأصنام (قَالُوا ضَلُّوا) غابوا (عَنَّا) فلا نراهم (بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا) أنكروا عبادتهم إياها ثم أحضرت قال تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم: أى وقودها (كَذَلِكَ) أى مثل إضلال هؤلاء المكذبين (يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ) ويقال لهم أيضا (ذَلِكُمْ) العذاب (بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) من الإشراك وإنكار البعث (وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ) تتوسعون فى المعاصى،

فى محل جر أو فى محل نصب أو رفع على الذم (قوله من التوحيد) أى وسائر الكتب والشرائع (قوله إذ بمعنى إذا) جواب عما يقال إن سوف للاستقبال وإذ للماضى وحينئذ فلا يصح تعلق الماضى بالمستقبل فأجاب بأنها مستعملة فى الاستقبال مجازا والمسوغ الاشارة إلى أن هذا الأمر محقق وواقع (قوله عطف على الأغلال) أى وقوله فى أعناقهم خبر عنهما (قوله أو مبتدأ الخ) أى وجملة يسحبون حال من الضمير المستكن فى الظرف أو مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل فما حالهم فقيل يسحبون فى الحميم (قوله أو خبره يسحبون) أى وعليه فالرابط محذوف قدره بقوله بها فتحصل أن المعنى أن الأغلال والسلاسل تكون فى أعناقهم ويسحبون فى جهنم على وجوههم وهذا على الاعرابين الأولين وعلى الثالث فالمعنى أن الأغلال فى أعناقهم والسلاسل فى أرجلهم ويسحبون فى جهنم وكل صحيح (قوله أى جهنم) وقيل الحميم الماء الحار (قوله يسجرون) أى يعذبون بأنواع العذاب (قوله ثم قيل لهم) التعبير بالماضى لتحقق الوقوع (قوله أين ما كنتم) ترسم أين مفصولة من ما (قوله وهى الأصنام) تفسير لما (قوله بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) هذا فى أول الأمر يتبرءون من عبادة الأصنام لرجاء أنه ينفعهم فهو إضراب عن قوله ضلوا عنا وهذا قبل أن تقرن بهم آلهتهم (قوله ثم أحضرت) جواب عما يقال إن حمل الآية على هذا الوجه يخالف قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فأجاب بأنهم أولا تضل عنهم آلهتهم ويتبرءون ثم تحضر وتقرن بهم (قوله ويقال لهم أيضا) أى توبيخا (قوله تتوسعون فى المعاصى) أى تظهرون السرور فى الدنيا بالمعصية وكثرة المال وضياعه فى المحرمات فالمرح شدة الفرح وهو وإن كان ذما فى الكفار يجر بذيله على كل من توسع فى معاصى الله فله من هذا الوعيد نصيب.

(ادخلوا

(ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى) مأوى (الْمُتَكَبِّرِينَ . فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بعذابهم (حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ) فيه إن الشرطية مدغمة وما زائدة تؤكد معنى الشرط أول الفعل والنون تؤكد آخره (بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف : أى فذاك (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل تعذيبهم (فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) فنعذبهم أشد العذاب فالجواب المذكور للمعطوف فقط (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) روى أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبى أربعة آلاف من بنى إسرائيل ، وأربعة آلاف من سائر الناس (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ) منهم (أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) لأنهم عبيد مربوبون (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) بنزول العذاب على الكفار (قُضِيَ) بين الرسل ومكذبيها (بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) أى ظهر القضاء والخسران للناس وهم خاسرون فى كل وقت قبل ذلك (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ) قيل الإبل خاصة هنا والظاهر والبقر والغنم ،

(قوله ادخلوا أبواب جهنم) عطف على قوله ذلكم الخ داخل فى حيز القول المقدر (قوله فبئس مثوى المتكبرين) لم يقل فبئس مدخل المتكبرين لأن الدخول لايدوم و إنما يدوم الثوى ولذا خصه بالذم (قوله فاصبر إن وعد الله حق) هذا تسلية من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ووعد حسن بالنصر له على أعدائه (قوله بعذابهم) أى وسمى وعدا بالنظر لكونه نصرا للنبى فهو فى الحقيقة وعد ووعيد (قوله فيه) خبر مقدم و إن الشرطية مبتدأ مؤخر وقوله مدغمة حال من إن ولم يذكر المدغم فيه وهو ما الزائدة وقوله تؤكد معنى الشرط أى التعليق وقوله أول الفعل حال من ما الزائدة والمعنى حال كونها واقعة فى أول فعل الشرط وقوله والنون تؤكد أى تؤكد الفعل فحذف المؤكد بالفتح وقوله آخره حال من النون أى حال كونها واقعة فى آخر الفعل فتحصل أن هنا مؤكدين بالكسر وهما ما والنون ومؤكدين بالفتح وهما التعليق وفعل الشرط (قوله بعض الذى نعدهم) مفعول نرينك الثانى والكاف مفعول أول (قوله وجواب الشرط) أى الأول (قوله أو نتوفينك) عطف على قوله نرينك (قوله فالجواب المذكور للمعطوف فقط) أى ولا يصح أن يكون جوابا عن الأول لأن من المعلوم أن جواب الشرط مسبب عن فعله ولا يحسن أن يكون انتقام الله منهم فى الآخرة مسببا عن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم تعذيبهم فى الدنيا وفى الحقيقة قوله فالينا يرجعون دليل الجواب والجواب محذوف أيضا والتقدير فلا يفوتهم (قوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم كأن الله تعالى يقول له إنا قد أرسلنا قبلك رسلا وآتيناهم معجزات وجادلهم قومهم وصبروا على أذاهم فتأس بهم وقوله رسلا المراد بهم مايشمل الأنبياء (قوله منهم من قصصنا عليك) أى ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم فى القرآن وهم خمسة وعشرون (قوله ومنهم من لم نقصص عليك) أى لم نذكر لك قصصهم فى القرآن تخفيفا ورحمة بأمتك لئلا يعجزوا عن حفظه وبهذا التقدير اندفع ماقد يتوهم أن النبى صلى الله عليه وسلم مساو لأمته فى عدم علم ماعدا الخمسة والعشرين فتحصل أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى علم جميع الأنبياء تفصيلا كيف لا وهم مخلوقون منه وصلوا خلفه ليلة الاسراء فى بيت المقدس ولكنه من العلم المكتوم و إنما ترك بيان قصصهم للأمة رحمة بهم فلم يكلفهم إلا بما يطيقون (قوله روى) فى عبارة غيره قيل والصحيح ماروى عن أبى ذر قال «قلت يارسول الله كم عدة الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا» (قوله وما كان لرسول) أى ماصح وما استقام (قوله إلا باذن الله) أى بارادته (قوله مربوبون) أى مملوكون والمملوك لايستطيع أن يأتى بأمر إلا باذن سيده وهذا رد على قريش حيث قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل لنا الصفا ذهبا وغير ذلك مما تقدم تفصيله فى سورة الاسراء (قوله فاذا جاء أمر الله) أى حكمه وقضاؤه والمعنى ظهر و برز حكمه بنزول العذاب بهم (قوله وخسر هنالك المبطلون) الحكمة فى ختم هذه الآية بالمبطلون وختم السورة بالكافرون أنه ذكر هنا الحق فكان مقابلته بالباطل أنسب وهناك ذكر الايمان فكان مقابلته بالكفر أنسب (قوله أى ظهر القضاء الخ) دفع بذلك مايقال إنهم خاسرون من قبل يوم القيامة فأجاب بأن المراد ظهور الأمر الذى كان مخفيا (قوله قيل الابل خاصة) أى لأنها هى التى يوجد فيها جميع المنافع الآتية .

(قوله لتركبوا منها الخ) هذه الآية نظير قوله تعالى فى النحل والأنعام خلقها لكم فيها دفء الآية (قوله وعليها فى البر الخ) أفرد الحمل عما قبله لكونه مزية عظيمة وقرن بينها و بين الفلك لما بينهما من شدة المناسبة حتى سميت الابل سفائن البر وعبر بالاستعلاء هنا فى جانب الفلك وفى قصة نوح عبر بالظرفية حيث قال تعالى: وقال اركبوا فيها لما قيل إن سفينة نوح كانت مغطاة فظاهرها كباطنها فالخلق مظروفون فيها وما عداها فالشأن فيها أنها غير مغطاة فالخلق على ظاهرها (قوله فأى آيات الله الخ) أى منصوب بتنكرون قدم لكونه له صدر الكلام (قوله وتذكير أى أشهر من تأنيثه) أى فلم يقل أية آيات الله وذلك لأن التفرقة فى الأسماء الجامدة بين المؤنث والمذكر غريب وهى فى أى أغرب لابهامها (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعجزوا فلم

يسيروا الخ والاستفهام إنكارى وتقدم نظيره غير مرة (قوله كانوا أكثر منهم) كلام مستأنف مبين لمبدإ أحوالهم وعواقبها (قوله وآثارا) عطف على قوة (قوله من مصانع) أى أماكن تخزن فيها المياه كالصهاريج (قوله والقصور) أى الأماكن المرتفعة (قوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما الأولى نافية أو استفهامية والثانية موصولة أو مصدرية (قوله فرح استهزاء) أى سخرية حيث لم يأخذوه بالقبول و يمتثلوا أمر الله ويجتنبوا نواهيه يدل على هذا المعنى قوله : وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون (قوله أى العذاب) أى فكانوا يعدونهم به لو لم يؤمنوا فيستهزئون بالعذاب الموعود به قال تعالى حكاية عن أهل مكة : و إذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية

(لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) من الدر والنسل والوبر والصوف (وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ) هى حمل الأثقال إلى البلاد (وَعَلَيْهَا) فى البر (وَعَلَى الْفُلْكِ) السفن فى البحر (تُحْمَلُونَ . وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ) الدالة على وحدانيته (تُنْكِرُونَ) استفهام توبيخ، وتذكير أى أشهر من تأنيثه (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ) من مصانع وقصور (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات الظاهرات (فَرِحُوا) أى الكفار (بِمَا عِنْدَهُمْ) أى الرسل (مِنَ الْعِلْمِ) فرح استهزاء وضحك منكرين له (وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أى العذاب (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أى شدة عذابنا (قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ) نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه (الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) فى الأمم أن لا ينفعهم الايمان وقت نزول العذاب (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) تبين خسرانهم لكل أحد وهم خاسرون فى كل وقت قبل ذلك .

(سورة حم السجدة)

مكية ثلاث وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حم) الله أعلم بمراده به (تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) مبتدأ (كِتَابٌ) خبره (فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) ،

بينت

(قوله فلما رأوا بأسنا) أى فى الدنيا (قوله بفعل مقدر من لفظه) أى والتقدير سن الله تعالى بهم سنة من قبلهم (قوله التى قد خلت) أى مضت وسبقت (قوله وخسر هنالك الكافرون) أى وقت رؤيتهم العذاب (قوله تبين خسرانهم) أى ظهر ما كان خافيا وهو جواب عن سؤال مقدر كالذى قبله .

[سورة فصلت] مبتدأ وثلاث وخمسون آية خبر أول ومكية خبر ثان وتسمى أيضا سورة حم السجدة وسورة المصابيح وسورة السجدة (قوله الله أعلم بمراده به) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم (قوله من الرحمن الرحيم) خص هذين الاسمين إشارة إلى أن نزول القرآن من أكبر النعم ولا شك أن النعم من مظهر تجلى الرحمة فالقرآن نعمة باقية إلى يوم القيامة (قوله مبتدأ) أى وسوغ الابتداء به عمله فى الجار والمجرور بعده على حد : ورغبة فى الخير خير (قوله كتاب خبره) أى وفصلت آياته نعت للخبر .

(قوله بينت بالأحكام) أى ميزت ووضحت لفظا ومعنى فاللفظ فى أعلى طبقات البلاغة معجز لجميع الخلق ، والمعنى كالوعد والوعيد والقصص والأحكام وغير ذلك من المعانى المختلفة ، فاذا تأملت فى القرآن تجد بعض آياته متعلقا بذات الله وصفاته وبعضها متعلقا بعجائب خلقه من السموات والأرض ومافيهما ، و بعضها متعلقا بالمواعظ والنصائح وغير ذلك . قال البوصيرى فى ذلك المعنى : فلا تعد ولا تحصى عجائبها ولاتسام على الاكثار بالسأم

(قوله حال من كتاب) أى كل من قرآنا وعربيا فتكون حالا مؤسسة ويصح أن يكون الحال لفظ قرآنا وعربيا صفته (قوله بصفته) أى الكتاب ، والمعنى أن المسوغ لمجىء الحال منه مع كونه نكرة وصفه بما بعده (قوله متعلق بفصلت) أى والمعنى بينت ووضحت لهؤلاء (قوله يفهمون ذلك) أى تفاصيل آياته (قوله وهم العرب) أى وإنما خصوا بالذكر لأنهم يفهمونها بلا واسطة لكون القرآن نزل بلغتهم ، وأما غيرهم فلايفهم القرآن إلا بواسطتهم (قوله صفة قرآنا) ويصح أن يكونا حالين من كتاب وهذا على قراءة الجمهور وقرىء بالرفع شذوذا على أنه خبر لمحذوف أى هو بشير ونذير أو نعت لكتاب (قوله فأعرض أكثرهم) أى تكبرا وعنادا واستفيد منه أن الأقل لم يعرض بل خضع وانقاد وآمن وذلك كأبى بكر وأضرابه (قوله وقالوا) معطوف على فأعرض وقوله قلوبنا فى أكنة جمع كنان وهو ماتجعل فيه السهام ويسمى جعبة بفتح الجيم ويجمع على جعاب (قوله مما تدعونا إليه) ما واقعة على التوحيد والفعل مرفوع بضمة مقدرة على الواو والفاعل مستتر تقديره أنت ونامفعوله (قوله وفى آذاننا وقر) شبهوا أسماعهم بآذان فيها (١٧) صمم من حيث إنها تمج الحق

بينت بالأحكام والقصص والمواعظ (قُرْآناً عَرَبِيًّا) حال من كتاب بصفته (لِقَوْمٍ) متعلق بفصلت (يَعْلَمُونَ) يفهمون ذلك وهم العرب (بَشِيراً) صفة قرآنا (وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ) سماع قبول (وَقَالُوا) للنبى (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) أغطية (مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) ثقل (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) خلاف فى الدين (فَاعْمَلْ) على دينك (إِنَّنَا عَامِلُونَ) على ديننا (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) بالايمان والطاعة (وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ) كلمة عذاب (لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ .

ولاتميل إلى استماعه (قوله ومن بيننا وبينك حجاب) من لابتداء الغاية ، والمعنى أن الحجاب ناشىء من جهتنا فلا نستطيع التوصل لما عندك والحجاب ناشىء من جهتك فلا تستطيع التوصل لما عندنا فنحن معذورون فى عدم اتباعك لوجود المانع من جهتنا ومن جهتك (قوله خلاف) اى مخالفة فى الدين (قوله فاعمل على دينك) أى استمر عليه وقوله إننا عاملون أى مستمرون على ديننا (قوله قل إنما أنا بشرمثلكم) هذا رد لما زعموا من الحجاب كأنه قال دعواكم الحجاب باطلة لا أصل لها لأنى بشر من جنسكم تعرفون حالى وطبعى وأعرف حالكم وطبعكم فلست مغايرا حتى يكون بينى و بينكم حجاب وتباين ولست بداع لكم إلى شىء لاتقبله العقول والأسماع بل أنا داع لكم إلى توحيد خالقكم وموجدكم الذى قامت عليه الأدلة العقلية والنقلية (قوله فاستقيموا إليه) ضمنه معنى توجهوا فعداه بإلى (قوله واستغفروه) أى مما أنتم عليه من سوء العقيدة وفيه إشارة إلى أن الاستقامة لاتتم إلابالاستغفار والندم على مامضى بحيث يكره أن يعود للكفر كما يكره الوقوع فى النار (قوله وويل للمشركين) مبتدأ وخبره وسوغ الابتداء به قصد الدعاء (قوله الذين لايؤتون الزكاة) إنما خص منع الزكاة وقرنه بالكفر بالآخرة لأن المال أخو الروح فاذا بذله الإنسان فى سبيل الله كان دليلا على قوته وثباته فى الدين قال تعالى : ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم الخ أى يثبتون أنفسهم ، ولذا كان صلى الله عليه وسلم يؤلف حديث العهد بالايمان بالمال ، وقاتل أبو بكر مانعى الزكاة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ففى هذه الآية تخويف وتحذير للمؤمنين من منع الزكاة وتحضيض على أدائها ، وقال ابن عباس : هم الذين لايقولون لا إله إلا الله وهى زكاة الأنفس ، والمعنى لايطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد . فان قلت على تفسير الجمهور يشكل بأن الآية مكية والزكاة فرضت بالمدينة فلم يكن هناك أمر بالزكاة حتى يذم مانعها . والجواب أن المراد بالزكاة صرف المال فى مراضى الله تعالى

(قوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) ذكر تعالى وعد المؤمنين إثر وعيد المشركين جريا على عادته سبحانه وتعالى فى كتابه (قوله غير ممنون مقطوع) أى بل هو دائم مستمر بدوام الله ، وهذا أحد تفاسير فى هذه الآية ، وقيل غير منقوص ، وقيل غير ممنون به عليهم فلا يعدّد الله ولا ملائكته عليهم النعم فى الجنة و يطالبهم بشكرها لانقطاع التكاليف بالموت ، وأيضا نفوس أهل الجنة مطهرة فلا تزال تشكر الله تعالى و إن كان غير مطلوب منهم تلذذا وفرحا بنعم الله تعالى ولأن الجنة دار ضيافة مولانا تعالى والكريم لا يعدّد نعمه على أضيافه (قوله قل أئنكم) قدّم الاستفهام على التأكيد لأن له صدر الكلام وهو استفهام إنكار وتشنيع و إن واللام لتأكيد الانكار ، والمعنى أنتم تعلمون أنه لا شريك له فى العالم العلوى والسفلى فكيف تجعلون له شريكا ! ؟ (قوله و إدخال ألف الخ) المناسب أن يقول وتركه لأن القراآت السبعية هنا أربع لا اثنتان كما يوهمه كلامه (قوله فى يومين) قال ابن عباس : إن الله سبحانه وتعالى خلق يوما فسماه يوم الأحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الأربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس ، فخلق الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق مواضع الأنهار والشجر والقرى يوم الأربعاء ، وخلق الطير والوحوش والسباع والهوامّ والآفات يوم الخميس ، وخلق الانسان يوم الجمعة ، وفرغ من الخلق يوم السبت ، وهذا هو الصحيح وقد مشى عليه المفسر ، وقيل إن مبدأ الخلق السبت (قوله وتجعلون له أندادا) عطف على تكفرون عطف سبب على مسبب (قوله ذلك رب العالمين) اسم الاشارة عائد على الموصول وأتى بالخطاب مفردا إشارة إلى أن المخاطب فرد غير معين (قوله وجمع الخ) جواب عما يقال إنه اسم جنس

(١٨)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) مقطوع (قُلْ أَئِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها و إدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأولى (لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) الأحد والاثنين (وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا) شركاء (ذَلِكَ رَبُّ) مالك (الْعَالَمِينَ) جمع عالم وهو ماسوى الله وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليبا للعقلاء (وَجَعَلَ) مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الذى للفاصل الأجنبى (فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت (مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا) بكثرة المياه والزروع والضروع (وَقَدَّرَ) قسم (فِيهَا أَقْوَاتَهَا) للناس والبهائم (فِي) تمام (أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) أى الجعل وما ذكر معه ،

يصدق على كل ماسوى الله والجمع لابد أن يكون له أفراد ثلاثة فأكثر . فأجاب بأنه جمع باعتبار أنواعه (قوله بالياء والنون) إشارة لسؤال آخر فلو أتى بالواو لكان أوضح . وحاصل هذا السؤال أن هذا الجمع خاص بالعقلاء والعالم غالبه غير عاقل . فأجاب بقوله تغليبا الخ (قوله مستأنف الخ) هذه العبارة فى بعض النسخ

فى

وهى معترضة بأنه لا محذور فى الفصل بين المتعاطفين بالجمل المعترضة ولا يقال إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول لأنه يقال الموصول قد استوفى صلته وَ يغتفر فى التابع ما لا يغتفر فى المتبوع ، فالأولى إسقاط هذه العبارة كما هو فى بعض النسخ وقوله للفاصل أى وهو قوله : وتجعلون الخ فانه معطوف على تكفرون فليس من أجزاء الصلة (قوله من فوقها) الحكمة فى قوله من فوقها أنه تعالى لو جعل لها رواسى من تحتها لتوهم أنها هى التى أمسكتها عن النزول ، فجعل الله الجبال فوقها ليعلم الانسان أن الأرض وما عليها ممسكة بقدرة الله تعالى (قوله وقدر فيها أقواتها) قال محمد بن كعب : قدّر الأقوات قبل أن يخلق الخلق والأبدان فخص كل قوت بقطر من الأقطار ، وأضاف القوت إلى الأرض لكونه متولدا منها وناشئا فيها وذلك أنه تعالى جعل كل بلدة معدّة لنوع من الأشياء المطلوبة حتى إن أهل هذه البلدة يحتاجون إلى الأشياء الموجودة فى تلك البلد وهكذا فصار ذلك سببا لرغبة الناس فى التجارة واكتساب الأموال وجميع ما خلقه الله لا ينقص عن حاجة المحتاجين ولو زادت الخلق أضعافا ، و إنما ينقص توصل بعضهم إليه فلا يجد له ما يكفيه وفى الأرض أضعاف كفايته (قوله فى تمام أربعة أيام) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف دفعا لما يتوهم أن الأيام ثمانية يومان فى خلق الأرض وأربعة فى خلق الأقوات و يومان فى خلق السموات فينافى قوله تعالى : ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، والحكمة فى تقديره هذه المدة مع أنه تعالى قادر على خلق كل فى قدر لمحة تعليم العباد التمهل والتؤدة والتأنى فى الأمور والبعد من العجلة .

في يوم الثلاثاء والأربعاء (سَوَاءً) منصوب على المصدر أي استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص (لِلسَّائِلِينَ) عن خلق الأرض بما فيها (ثُمَّ اسْتَوَى) قصد (إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) بخار مرتفع (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا) إلى مرادي منكما (طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) في موضع الحال أي طائعتين أو مكرهتين (قَالَتَا أَتَيْنَا) بمن فينا (طَائِعِينَ) فيه تغليب المذكر العاقل ، أو نزلتا لخطابهما منزلته (فَقَضَاهُنَّ) الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه أي صيرها (سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) الخميس والجمعة فرغ منها في آخر ساعة منه وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل ، هنا سواء ووافق ماهنا آيات : خلق السموات والأرض في ستة أيام (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) الذي أمر به من فيها من الطاعة والعبادة (وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) بنجوم (وَحِفْظًا) منصوب بفعله المقدر أي حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب (ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) في ملكه (الْعَلِيمِ) بخلقه (فَإِنْ أَعْرَضُوا) أي كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان ،

(قوله في يوم الثلاثاء) بفتح الثاء وضمها (قوله للسائلين) متعلق بسواء . والمعنى مستوية للسائلين : أي جواب السائلين فيها سواء لا يتغير السائل بزيادة ولا نقص (قوله قصد إلى السماء) أي أراد . والمعنى تعلقت إرادته بخلق السموات (قوله وهي دخان) المراد به بخار الماء وذلك أن العرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض ، ثم أحدث الله في ذلك الماء اضطرابا فأزبد وارتفع فخرج منه دخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات ، وأما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق منه اليبوسة وأحدث منه الأرض (قوله فقال لها الخ) اختلف في قول الله للأرض والسموات وجوابهما له فقيل هو حقيقة وأجابتاه بلسان المقال ولا مانع منه لأن القادر لا يعجزه شيء فخلق فيهما الحياة والعقل والكلام وتكلمتا ، ويؤيده ماروى أنه نطق من الأرض موضع الكعبة ونطق من السماء بحذائها فوضع الله فيهما حرمة ، وقيل إن معنى القول في حق الله تعالى ظهور تأثير قدرته وكلامها كناية عن الطاعة والانقياد (قوله فيه تغليب المذكر العاقل) أي حيث جمعوا جمعه (قوله فقضاهن) تفصيل لتكوين السماء (قوله أي صيرها سبع سموات) أشار بذلك إلى أن قضى مضمن معنى صير فسبع مفعول به (قوله وفيها خلق آدم) ظاهره أن آدم خلق في نفس اليوم الذي خلقت فيه السموات وهو خلاف المشهور من أن بين خلق آدم وخلقها ألوفا من السنين . وأجيب بأن المراد أنه خلق في مثل ذلك اليوم كما تقول ولد محمد يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين (قوله ووافق ماهنا الخ) أي بتقدير المضاف السابق والمشهور أن الأيام الستة بقدر أيام الدنيا وقيل كل يوم منها بقدر ألف سنة من أيام الدنيا فتكون الستة الأيام بقدر الستة الآلاف سنة . إن قلت إن اليوم عبارة عن الليل والنهار وذلك يحصل بطلوع الشمس وغروبها وقبل خلق السموات لا يعقل حصول اليوم فضلا عن تسميته بالأحد ونحوه . أجيب بأن الله تعالى قدر مقدارا خلق فيه الأرض وسماه الأحد والاثنين ومقدارا خلق فيه الأقوات وسماه الثلاثاء والأربعاء وهكذا فالتسمية للمقادير التي خلقت فيها تلك الأشياء . بقي شيء آخر وهو أن ماهنا يقتضي أن الأرض خلقت قبل السموات فيخالف آية النازعات المفيدة أن الأرض خلقت بعد السموات قال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها إلى أن قال والأرض بعد ذلك دحاها . وأجيب بأن الله تعالى خلق الأرض أولا في يومين كروية ثم خلق بعدها السماء ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وبسطها وخلق الجميع في ستة أيام والدحو بعد ذلك فلا تناقض ، واستشكل ذلك الرازي وأجاب عنه بما لا طائل تحته (قوله وأوحى في كل سماء أمرها) الوحي كناية عن التكوين (قوله الذي أمر به من فيها الخ) وقيل المعنى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد والثلج (قوله بفعله المقدر) أي وهو معطوف على زينا (قوله ذلك) أي المذكور بتفاصيله (قوله فإن أعرضوا) مرتب على قوله فيما تقدم قل أئنكم لتكفرون الخ . والمعنى بين يا محمد لقومك طريق الرشاد وأظهر لهم الحجج القاطعة الدالة على ذلك فإن أعرضوا بعد إقامة الحجج وبيان الهدى فخوفهم بعذاب مثل عذاب من تقدمهم من الأمم لأنه جرت عادة الله تعالى أن لا يعذب أمة إلا بعد طلوع شمس الحق لهم وإعراضهم

(فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ) خوفتكم (صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) أى عذابا يهلككم مثل الذى أهلكهم (إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أى مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتى والإهلاك فى زمنه فقط (أَنْ) أى بأن (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ) علينا (مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ) على زعمكم (كَافِرُونَ . فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا) لما خوفوا بالعذاب (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) أى لا أحد ، كان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء (أَوَلَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا) المعجزات (يَجْحَدُونَ . فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) باردة شديدة الصوت بلا مطر (فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ) بكسر الحاء وسكونها : مشئومات عليهم ،

عنه وفى قوله أعرضوا التفات من خطابهم بقوله أنذرتكم إلى الغيبة إشارة إلى أنهم كما أعرضوا جوزوا بالأعراض والالتفات من خطابهم لأن الخطاب شأن من يرجى إقباله وهم ليسوا كذلك (قوله فقل أنذرتكم) عبر بالماضى إشارة إلى تحققه وحصوله (قوله صاعقة) هى فى الأصل الصيحة التى يحصل بها الهلاك أو قطعة نار تنزل من السماء معها رعد شديد ، والمراد هنا العذاب المهلك وقرئ شذوذا صعقة بغير ألف مع سكون العين فى الموضعين وقوله مثل صاعقة عاد وثمود التشبيه فى مطلق الهلاك وإن كان هلاك عاد وثمود عاما وهلاك هذه الأمة خاص ببعض أفرادهم فهو تشبيه جزئى بكلى وبهذا اندفع ماقد يقال إن العذاب العام لايأتى لهذه الأمة لما ورد فى الأحاديث الصحيحة من أمن الأمة من ذلك . وأجيب أيضا بأنه لا يلزم من التخويف الحصول بالفعل ، وحينئذ فالمعنى أنتم ارتكبتم أمورا تستحقون عليها ما نزل بعاد وثمود (قوله إذ جاءتهم) ظرف لصاعقة الثانية . والمعنى صعقتهم وقت مجىء رسلهم إليهم والضمير فى جاءتهم عائد على عاد وثمود ، وقوله الرسل ، المراد بهم هود وصالح ومن قبلهما من الرسل وهم نوح وإدريس وشيث وآدم لكن مجىء هود وصالح لهاتين القبيلتين حقيقى ومجىء من قبلهما لهاتين القبيلتين باعتبار اللازم لأن كل رسول قد جاء بالتوحيد وتكذيب واحد تكذيب للجميع (قوله أى مقبلين عليهم) أى وهم هود وصالح وقوله ومدبرين عنهم أى وهم الرسل الذين تقدموا على هود وصالح وهو لف ونشر مرتب (قوله ألا تعبدوا الخ) يصح أن تكون أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن أو مصدرية أو تفسيرية وكلام المفسر يشير للمعنيين الأولين حيث قدر الباء ولا ناهية فى الأوجه الثلاثة ويصح أن تكون نافية أيضا فى الوجه الثانى والفعل منصوب بأن حذفت منه النون الناصب ولا النافية لاتمنع عمل أن فى الفعل (قوله قالوا) أى عاد وثمود لهود وصالح (قوله لوشاء ربنا) أى إنزال ملائكته بالرسالة فمفعول شاء محذوف . والمعنى لوشاء ربنا إرسال رسول لجعله ملكا لا بشرا ، وهذا توصل منهم لانكار الرسالة لزعمهم أنها لا تكون للبشر (قوله على زعمكم) أى وإلا فهم ينكرون رسالتهما (قوله فأما عاد فاستكبروا فى الأرض) أى تعظموا على أهلها واستعلوا فيها وهذا شروع فى حكاية مايخص كل طائفة من القبائح والعذاب بعد الاجمال فى كفرهم (قوله من أشد منا قوة) أى فنحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بقوتنا . قال ابن عباس : إن أطولهم كان مائة ذراع وأقصرهم كان ستين ذراعا (قوله يجعلها) أى يضعها حيث شاء (قوله أولم يروا الخ) هذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه خوطب بها النبى صلى الله عليه وسلم للتعجيب من مقالتهم الشنيعة والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أيقولون ذلك ولم يروا (قوله وكانوا بآياتنا يجحدون) ضمنه معنى يكفرون فعداه بالباء وهو معطوف على قوله فاستكبروا (قوله صرصرا) من الصر وهو البرد أو من الصرير وهو التصويت بشدة والمفسر جمع بينهما (قوله بكسر الحاء وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان قيل هما صفة مشبهة والسكون للتخفيف كأشر وفرح ، وقيل إنه بالسكون مصدر وصف به (قوله مشئومات) أى غير مباركات من الشؤم ضد اليمن ، وهو تفسير لكل من القراءتين وكانت آخر شوال صبح الأربعاء إلى غروب الأربعاء التى تليها ، وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما . قال ابن عباس : ماعذب قوم إلا فى يوم الأربعاء .

(لنذيقهم

(قوله عذاب الخزى) أى العذاب الخزى فهو من إضافة الموصوف لصفته وقوله الذل وصف به العذاب مبالغة وإلا فحقه أن يوصف به أصحاب العذاب (قوله وأما ثمود فهديناهم) شروع فى ذكر أحوال الطائفة الثانية (قوله بينا لهم طريق الهدى) أى فالمراد بالهداية الدلالة لا الوصول بالفعل (قوله على الهدى) أى الايمان (قوله المهين) أى الموقع فى الاهانة والذل (قوله بما كانوا يكسبون) أى من الكفر وتكذيب نبيهم (قوله ونجينا الذين آمنوا) أى مع صالح وكانوا أربعة آلاف وتقدم فى الأعراف أنه نجا من كان مع هود قال تعالى ـ فأنجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا ـ وكانوا أربعة آلاف أيضا كما تقدم لنا فى سورة هود (قوله واذكر يوم يحشر) يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله بالياء) أى مع فتح الشين ورفع أعداء على أنه نائب فاعل (قوله وفتح الهمزة) أى من أعداء على أنه مفعول والفاعل على كل هو الله تعالى والقراءتان سبعيتان (قوله أعداء الله) المراد بهم كل من كان من أهل الخلود فى النار مطلقا من أول الزمان لآخره (قوله إلى النار) المراد موقف الحساب وإنما عبر عنه بالنار لأنها عاقبة حشرهم (قوله يساقون) وفسره البيضاوى يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ولا ينافى ماقاله المفسر فإن المراد يساق آخرهم ليلحق أولهم فيحصل الاجتماع والازدحام حتى يكون على القدم ألف قدم (قوله زائدة) أى للتأكيد وإنما أكده لأنهم ينكرون مضمون الكلام (قوله شهد عليهم سمعهم الخ) أى بأن

يخلق الله فيها النطق والفهم

(لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْىِ) الذل (فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى) أشد (وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ) بمنعه عنهم (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) بينا لهم طريق الهدى (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى) اختاروا الكفر (عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ) المهين (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . وَنَجَّيْنَا) منها (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) الله (وَ) اذكر (يَوْمَ يُحْشَرُ) بالياء والنون المفتوحة وضم الشين وفتح الهمزة (أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) يساقون (حَتَّى إِذَا مَا) زائدة (جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ) أى أراد نطقه (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) قيل هو من كلام الجلود، وقيل هو من كلام الله تعالى كالذى بعده وموقعه قريب مما قبله بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادتكم بعد الموت أحياء قادر على إنطاق جلودكم وأعضائكم (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) عن ارتكابكم الفواحش من (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) لأنكم لم توقنوا بالبعث (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ)،

والادراك كاللسان فتقر بما فعلته من المعاصى حقيقة وهو التحقيق، وقيل النطق كناية عن ظهور المعاصى على تلك الجوارح كظهور النتونة على فروج الزناة ونحو ذلك، وقيل النطق من غير فهم ولا إدراك، عن أنس بن مالك قال «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال ما تدرون مم أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يارب ألم تجرنى من الظلم فيقول بلى قال فيقول فإنى لا أجيز اليوم على نفسى إلا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين البررة عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبينها فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل» (قوله وجلودهم) المراد بها مطلق الجوارح فيكون من عطف العام على الخاص، وقيل المراد بالجلود خصوص الفروج ويكون التعبير عنها بالجلود من باب الكناية ويكون هذا فى شهادة الزنا وحينئذ فالآية فيها الوعيد الشديد على إتيان الزنا والأقرب الأول (قوله وقالوا لجلودهم) أى توبيخا وتعجبا من هذا الأمر الغريب (قوله قالوا أنطقنا الله الخ) أى جوابا لهم واعتذارا عما صدر منهم (قوله ترجعون) أى تردون إليه بالبعث وعبر بالمضارع مع أن المقالة بعد الرجوع بالفعل لأن المراد بالرجوع البعث ومايترتب عليه من العذاب الدائم والعذاب مستقبل بالنسبة لمقالتهم (قوله قيل هو) أى قوله وهو خلقكم الخ (قوله كالذى بعده) أى وهو قوله وما كنتم تستترون (قوله وموقعه) أى مناسبته قوله وهو خلقكم ووجه مناسبته له فى المعنى أنه يقربه من العقول من حيث إن القادر على الابداء والاعادة قادر على إنطاقها (قوله وما كنتم تستترون) أى تستخفون من هؤلاء الشهود وهو لا يكون إلا بترك الفعل بالكلية لأنها ملازمة للانسان فى حركاته وسكناته (قوله من أن يشهد) أشار بذلك إلى أن قوله أن يشهد فى محل نصب بنزع

الخافض ويصح أن يكون مفعولا لأجله والتقدير مخافة أن يشهد الخ (قوله عند استتاركم) أي من الناس (قوله أن الله لايعلم كثيرا) المراد به ما أخفوه عن الناس من الأعمال فظنوا أن علم الله مساو لعلم الخلق فكل ماستروه عن الناس لايعلمه الله (قوله وذلكم ظنكم الخ) اعلم أن الظن قسمان حسن وقبيح فالحسن أن يظن العبد المؤمن بالله عز وجل الرحمة والاحسان والخير، ففي الحديث «أنا عند ظن عبدي بي» والقبيح أن يظن بالله نقصا في ذاته أو صفاته أو أفعاله (قوله فأصبحتم من الخاسرين) نتيجة ماقبله (قوله فإن يصبروا فالنار مثوى لهم) إن قلت إن النار مأوى لهم صبروا أولا، فما وجه التقييد بالصبر؟ أجيب بأن في الآية حذفا والتقدير فإن يصبروا أو لايصبروا فالنار مثوى لهم وإنما حذف المقابل للعلم به لأنه إذا كانت لهم النار مع الصبر فهي لهم مع عدمه بالأولى، بخلاف الدنيا فإن الانسان مع الصبر ربما تخف مصيبته أو يعوض خيرا ومع عدمه يزاد فيها ويغضب الله عليه (قوله أي الرضا) وقيل العتبى الرجوع إلى مايحبون (قوله المرضيين) أي المرضى عليهم (قوله وقيضنا لهم) أي لكفار مكة ومعنى سببنا هيأنا وبعثنا والمعنى سببنا لهم قرناء يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيض وهو قشر البيض على البيض (قوله فزينوا لهم) أي القبائح (قوله مابين أيديهم من أمر الدنيا الخ)

وقيل مابين أيديهم من أمر الآخرة وماخلفهم من أمر الدنيا. قال القشيري:

عند استتاركم (أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ. وَذَلِكُمْ) مبتدأ (ظَنُّكُمُ) بدل منه (الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ) نعت والخبر (أَرْدَاكُمْ) أي أهلككم (فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ. فَإِنْ يَصْبِرُوا) على العذاب (فَالنَّارُ مَثْوًى) مأوى (لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا) يطلبوا العتبى أي الرضا (فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) المرضيين (وَقَيَّضْنَا) سببنا (لَهُمْ قُرَنَاءَ) من الشياطين (فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمر الدنيا واتباع الشهوات (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمر الآخرة بقولهم لابعث ولا حساب (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) بالعذاب وهو لأملأن جهنم الآية (فِي) جملة (أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ) هلكت (مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ. وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) عند قراءة النبي صلى الله عليه وسلم (لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ) ائتوا باللغط ونحوه وصيحوا في زمن قراءته (لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) فيسكت عن القراءة، قال الله تعالى فيهم (فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ)،

إذا أراد الله بعبد سوءا قيض له إخوان سوء وقرناء سوء يحملونه على المخالفات ويدعونه إليها ومن ذلك الشيطان وأشر منه النفس وبئس القرين يدعوه اليوم إلى مافيه الهلاك ويشهد عليه غدا، وإذا أراد الله بعبد خيرا قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه إليها، وفي الحديث «إذا أراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته شيطانا فلا يرى حسنا إلا قبحه عنده ولا قبيحا إلا حسنه عنده» وعن عائشة قالت «إذا أراد الله بالوالي خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه» وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مابعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله تعالى» (قوله وحق عليهم القول) أي ثبت وتحقق (قوله في أمم) حال من الضمير في عليهم والمعنى كائنين في جملة أمم (قوله قد خلت) صفة لأمم (قوله هلكت) المناسب أن يقول مضت (قوله إنهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب (قوله وقال الذين كفروا) أي من كفار مكة وإنما قالوا ذلك لأنه لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ يستميل القلوب بقراءته فيصغي إليها المؤمن والكافر فخافوا أن يتبعه الناس (قوله والغوا فيه) اللغو الكلام الذي لافائدة فيه وهو بفتح الغين في قراءة العامة من لغي كفرح وقرئ شذوذا بضم الغين من لغا يلغو كدعا يدعو ومنه حديث «أنصت فقد لغوت» (قوله باللغط) بسكون الغين وفتحها وهو كلام فيه جلبة واختلاط (قوله لعلكم تغلبون) أي في القول فاذا غلبتموه سكت لأنه لم يكن مأمورا حينئذ بقتالهم (قوله قال تعالى فيهم) أي في شأنهم (قوله الذين كفروا) أي استمروا على الكفر وماتوا عليه.

أى أقبح جزاء عملهم (ذَٰلِكَ) العذاب الشديد وأسوأ الجزاء (جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ) بتحقيق الهمزة الثانية و إبدالها واواً (النَّارُ) عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك (لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) أى إقامة لا انتقال منها (جَزَاءً) منصوب على المصدر بفعله المقدر (بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (يَجْحَدُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) فى النار (رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) أى إبليس وقابيل سنّا الكفر والقتل (نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا) فى النار (لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) أى أشد عذابا منا (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) على التوحيد وغيره مما وجب عليهم (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) عند الموت (أَنْ) بأن (لَا تَخَافُوا) من الموت وما بعده (وَلَا تَحْزَنُوا) على ما خلفتم من أهل وولد فنحن نخلفكم فيه (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أى نحفظكم فيها (وَفِي الْآخِرَةِ) أى نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ؛

(قوله أى أقبح جزاء عملهم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف دفعا لما قد يتوهم أنهم يجزون بنفس عملهم الذى عملوه فى الدنيا كالكفر مثلا والمعنى أن المستهزئين برسول الله يجازون بأقبح جزاء أعمالهم وفى هذه الآية وعيد لكل من يفعل اللغط فى حال قراءة القرآن ويشوّش على القارئ ويخلط عليه فانه حرام باجماع إن لم يقصد إبطال النفع بالقرآن كراهة فيه وإلا فهو كافر (قوله ذلك) أى المذكور من الأمرين كما قال المفسر (قوله بتحقيق الهمزة الثانية) أى الكائنة أوّل أعداء والقراءتان سبعيتان (قوله عطف بيان) هذا أحد أوجه فى إعرابها ويصح أن يكون بدلا من جزاء وردّ بأن البدل يصح حلوله للمبدل منه محله وهنا لا يصح لأنه يصير التقدير ذلك النار ويصح أن يكون مبتدأ ولهم فيها دار الخلد خبره ويصح أن يكون خبر مبتدإ محذوف (قوله لهم فيها دار الخلد) فى الكلام تجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمرا آخر موافقا له فى تلك الصفة على سبيل المبالغة فقد انتزع من النار دارا أخرى سماها دار الخلد ، والمعنى أن الدار نفسها هو الخلد (قوله منصوب على المصدر بفعله المقدّر) والتقدير يجزون جزاء (قوله بآياتنا) الباء إما زائدة أو ضمن يجحدون معنى يكفرون فعداه بالباء (قوله فى النار) حال من فاعل قال (قوله أرنا) أصله أرئينا فالراء فاء الكلمة والهمزة الثانية عينها والياء لامها حذفت الياء لبناء الفعل على حذفها ونقلت حركة الهمزة للساكن قبلها فسقطت الهمزة وصار وزنه افنا وهى بصرية تعدت بالهمزة للمفعول الثانى الذى هو الاسم الموصول ومفعولها الأول الضمير . والمعنى صيرنا رائين بأبصارنا الخ (قوله من الجن والانس) أى لأن الشيطان على قسمين جنى وإنسى كما قال تعالى ـ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوّا شياطين الانس والجن ـ وقدم الجن لأنهم أصل الضلال (قوله سنا الكفر والقتل) لف ونشر مرتب فقابيل قتل أخاه هابيل فهو أوّل من سنّ القتل وإبليس أول من كفر بالله (قوله نجعلهما تحت أقدامنا) أى إما حقيقة فيكونان أشدّ عذابا منا فنشتفى قلوبنا أو هو كناية عن كونهم فى الدرك الأسفل (قوله ليكونا من الأسفلين) أى فى دركات النار (قوله إنّ الذين قالوا ربنا الله الخ) شروع فى بيان حال المؤمنين إثر بيان وعيد الكافرين ، والمعنى قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته وإقرارا بوحدانيته (قوله ثم استقاموا) أى ظاهرا وباطنا بأن فعلوا المأمورات واجتنبوا المنهيات وداموا على ذلك إلى الممات . قال عمر بن الخطاب : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهى ولا تروغ زوغان الثعلب قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق (قوله عند الموت) أى أو عند الخروج من القبر ولا مانع من الجمع والمراد ملائكة الرحمة تأتيهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن (قوله أن لا تخافوا) أن مخففة من الثقيلة أو مصدرية أو مفسرة وكلام المفسر يحتمل المعنيين الأولين ، والخوف غم يلحق النفس لتوقع مكروه فى المستقبل ، والحزن غم يلحقها لفوات نفع فى الماضى (قوله وأبشروا بالجنة) أى وهى دار الكرامة التى فيها من النعيم الدائم والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله التى كنتم توعدون) أى فى الكتب المنزلة على ألسنة الرسل (قوله نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا الخ) يحتمل أن يكون هذا من كلام الله تعالى وهو ولىّ المؤمنين ومولاهم ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة . والمعنى كنا أولياءكم فى الدنيا ونكون معكم فى الآخرة فلا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة .

(قوله ماتدعون) من الدعاء بمعنى الطلب وهو أعم من الأول والمعنى لكم كل ماتشتهون وكل ماتطلبون ولو لم يكن مشتهى كالرتب العلية والفضائل السنية (قوله منصوب بجعل مقدرا) و يصح أن يكون حالا من قوله ما تدعون (قوله من غفور رحيم) متعلق بتدعون أو صفة لنزلا وخص هذين الوصفين دون شديد العقاب مثلا إشارة إلى مزيد السرور لهم و إكرامهم وأنه تعالى يعاملهم بالمغفرة والرحمة و يتجلى لهم بأوصاف الجمال دون أوصاف الجلال (قوله ومن أحسن قولا الخ) قيل نزلت هذه الآية فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذى جمع تلك الأوصاف لأن الداعين إلى الله تعالى أقسام ، فمنهم الداعون إلى الله بالتوحيد قولا كالأشعرى والماتريدى ومن تبعهما إلى يوم القيامة وفعلا كالمجاهدين ، ومنهم الداعون إلى الله تعالى بالأحكام الشرعية كالأئمة الأربعة ومن على قدمهم ، ومنهم الداعون إلى الله تعالى بزوال الحجب الكائنة على القلوب لمشاهدة علام الغيوب بحيث يكون دائما فى حضرة الله ليس فى قلبه سواه كالجنيد وأضرابه من الصوفية أهل الحقيقة ، ومنهم من يدعو إلى الله تعالى بالاعلام بأداء الفرائض كالمؤذنين ، وهذه الأقسام مجموعة فى النبى عليه الصلاة والسلام متفرقة فى أصحابه ، ثم انتقلت منهم إلى من بعدهم وهكذا إلى يوم القيامة لقوله فى الحديث الشريف « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » (قوله بالتوحيد) أى وفروعه وإنما خصه لأنه رأس الأمور وأساسها (قوله وعمل صالحا) أى امتثل أوامر ربه واجتنب نواهيه وحيث كان داعيا إلى الله مع اتصافه بالعمل الصالح كان قوله مقبولا و يؤثر فى القلوب ، وأما من كان بخلاف ذلك فلا يكون قوله مقبولا ولا يؤثر فى القلوب ولا تنبغى صحبته . قال العارف : لاتصحب من لاينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله ، وقال بعضهم :

أتنهى الأناس ولاتنتهى ... متى تلحق القوم يالكع
و ياحجر السن أما تستحى ... تسن الحديد ولا تقطع

فمن لم يؤثر كلامه فى نفسه فلا يؤثر فى غيره بالأولى . قال بعضهم :

يأيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم

(وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) تطلبون (نُزُلًا) رزقا مهيأ منصوب بجعل مقدرا (مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) أى الله (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا) أى لا أحد أحسن قولا (مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) بالتوحيد (وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) فى جزئياتهما لأن بعضهما فوق بعض (ادْفَعْ) السيئة (بِالَّتِي) أى بالخصلة التى (هِيَ أَحْسَنُ) كالغضب بالصبر والجهل بالحلم والإساءة بالعفو (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ)

كأنه

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويشتفى ... بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

و بالجملة فالدعوة إلى الله لاتنفع إلا من قلب ناصح وأعظم الداعين إلى الله تعالى الأولياء السالكون الذين يوصلون الخلق إلى طريق الحق وهم موجودون فى كل زمن غير أنه لا يجتمع بهم ولا يعرفهم إلا من حفظه الله تعالى بفضله كما قال بعض العارفين : الأولياء عرائس مخدرة ولايرى العرائس المجرمون نفعنا الله بهم أجمعين (قوله وقال إننى من المسلمين) أى تحدثا بنعمة ربه وفرحا بالإسلام (قوله ولا السيئة) يحتمل أن لازائدة للتوكيد لأن الاستواء لا يكون من واحد بل من اثنين كأنه قال لا تستوى الحسنة مع السيئة بل الحسنة خير والسيئة شر و يحتمل أن لا أصلية ، والمعنى لاتستوى مراتب الحسنات بل بعضها أعلى من بعض ولا تستوى مراتب السيئات بل بعضها أعلى من بعض فأعلى الناس من ارتكب أعلى الحسنات ، وأدنى الناس من ارتكب أعلى السيئات وهذا مامشى عليه المفسر (قوله ادفع بالتى هى أحسن) أى حيث فعلت معك سيئة ادفعها بخصلة هى أحسن (قوله كالغضب بالصبر الخ) أى أعلى المراتب أن تعطى من حرمك ، وتصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، وقد كان هذا خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله فاذا الذى بينك و بينه عداوة الخ) إذا الفجائية ظرف لمعنى التشبيه فعاملها معنوى مؤخر واغتفر تأخير عاملها المعنوى لأنه يغتفر فى الظروف ما لايغتفر فى غيرها والذى مبتدأ و بينك خبرمقدم وعداوة مبتدأ مؤخر والجملة صلة الموصول وكأنه الخ خبر الموصول والمعنى فاذا فعلت مع عدوك ماذكر فاجأك فى الحضرة انقلابه وصيرورته مشابها فى المحبة للصديق الذى لم تسبق منه عداوة .

(قوله كأنه ولى حميم) الحميم يطلق على الماء الحار وعلى القريب الذى تهتم لأمره وهو المراد هنا (قوله فيصير عدوك كالصديق القريب) هذا تفسير لمعنى الولى الحميم، فالولى القريب، والحميم القريب الصديق فهو أخص من الولى. قال بعضهم فى وصفه:

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيك شمله ليجمعك

(قوله فى محبته) هذا هو وجه الشبه (قوله إذا فعلت ذلك) أى الإحسان للعدو (قوله التى هى أحسن) الأوضح أن يقول وهى مقابلة الاساءة بالاحسان (قوله ثواب عظيم) وقيل المراد بالحظ الخلق الحسن وكمال النفس (قوله وإما ينزغنك الخ) المراد بالنزغ الوسوسة، والمعنى وإن يوسوس لك الشيطان بترك ما أمرت به فاستعذ بالله أى اطلب التحصن من شره، ومن جملة وسوسته الغضب فانه ربما يحمله على ارتكاب منهى عنه فاذا حصل عنده فليدفعه بالاستعاذة فان لم يزل فليدفعه بالسكون ثم بالجلوس إن كان قائما ثم بالاضطجاع إن كان جالسا فان لم يزل بعد ذلك ذهب من المكان الذى هو به (قوله إنه هو السميع العليم) تعليل لما قبله وفى هذه الآية دليل على استعمال التعوذات فى الصباح والمساء لأن الانسان بينهما لايخلو من نزغات شيطانية، فلذلك ورد فى الأحاديث وفى كلام العارفين كثرة التعوذ فى هذين الوقتين فتدبر (٢٥) (قوله ومن آياته) خبرمقدم والليل وماعطف عليه مبتدأ مؤخر والمعنى ومن دلائل قدرته وانفراده بالألوهية الليل الخ أى ظهور كل من هذه الأربع (قوله لاتسجدوا للشمس ولا للقمر) خصهما بالذكر لأن الكفار عبدوهما من دون الله (قوله أى الآيات الأربع) وإنما عبر عنها بضمير الاناث مع أن غالبها مذكر والعادة تغليب المذكر لا العكس نظرا للفظ الآيات فان مفرده آية وهو مؤنث

(كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) أى فيصير عدوك كالصديق القريب فى محبته إذا فعلت ذلك فالذى مبتدأ وكأنه الخبر وإذا ظرف لمعنى التشبيه (وَمَا يُلَقَّاهَا) أى يؤتى الخصلة التى هى أحسن (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ) ثواب (عَظِيمٍ. وَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ) أى يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أى يدفعه عنك (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) للقول (الْعَلِيمُ) بالفعل (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ) أى الآيات الأربع (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ. فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا) عن السجود لله وحده (فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) أى فالملائكة (يُسَبِّحُونَ) يصلون (لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) لايملون (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً) يابسة لانبات فيها (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) تحركت (وَرَبَتْ) انتفخت وعلت (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ)،

(قوله إن كنتم إياه تعبدون) أى تفردونه بالعبادة فاتركوا عبادة غيره (قوله فان استكبروا) أى تكبروا وعاندوا حيث جعلوا ما به الهدى والدلالة على توحيد الله إلها معبودا (قوله فالذين عند ربك) علة لجواب الشرط المحذوف والتقدير فلا تنعدم العبادة لأن الذين الخ والعندية عندية مكانة وشرف لامكان فهو كما تقول عند الملك من الجند كذا وكذا (قوله يسبحون له بالليل والنهار) هذا من مجاراة الكفار وإلا فلو ترك جميع الخلق عبادته لم ينقص من ملكه شىء لما فى الحديث «يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئا» (قوله ومن آياته) خبر مقدم وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مبتدأ مؤخر والتقدير ومن آياته رؤيتك الأرض الخ (قوله يابسة) أى فالأرض الخاشعة هى الغبراء التى ليس بها نبات استعير لها حال الخاشع وهو الذل والتقاصر (قوله اهتزت وربت) أى تحركت حركة عظيمة شديدة بسرعة وارتفع ترابها وعلا فالآية باقية على أصلها خلافا لمن قال إن فيها قلبا والتقدير ربت واهتزت (قوله لمحيى الموتى) أى يبعثهم (قوله إن الذين يلحدون فى آياتنا) أى يميلون عن الاستقامة فى الدين ويطعنون فى آياتنا بالتحريف واللغو والأكاذيب.

(قوله من ألحد ولحد) أشار بذلك إلى أن هنا قراءتين سبعيتين وهما ضمّ الياء وكسر الحاء من ألحد رباعيا وفتح الياء والحاء من لحد ثلاثيا من باب نفع، والالحاد الميل والعدول ومنه اللحد فى القبر لأنه أميل إلى ناحية منه (قوله فنجازيهم) أى بأعمالهم (قوله أم من يأتى آمنا) عدل عن مقتضى الظاهر حيث لم يقل أم من يدخل الجنة تصريحا بحصول الأمن لهم وانتفاء الخوف عنهم (قوله تهديد لهم) أى للكفار وزيادة مسرة المؤمنين (قوله إن الذين كفروا الخ) خبر إن محذوف قدره المفسر بقوله نجازيهم وهو أحد أعاريب وهو أسهلها، وقيل إنه جملة لايأتيه الباطل الخ والعائد محذوف، والتقدير لايأتيه الباطل منهم، والمعنى لايبلغون مرادهم فيه بل هو محفوظ منهم، وقيل إن الخبر قوله مايقال لك الخ والعائد محذوف، والتقدير مايقال لك فى شأنهم، وقيل غير ذلك (قوله لما جاءهم) ظرف لقوله: كفروا (قوله وإنه لكتاب عزيز) الجملة حالية من الذكر، والمعنى كفروا بالقرآن حين جاءهم، والحال أنه كتاب يرد المعارض ويقهره. قال البوصيرى:

كم جدلت كلمات الله من جدل   فيه وكم خصم البرهان من خصم

(قوله منيع) فعيل بمعنى فاعل: أى مانع المعارض عن الخوض فيه ويصح أن يفسر العزيز بعديم المثال (قوله أى ليس قبله كتاب يكذبه الخ) أى لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات بل جميع ما فيه صدق مطابق للواقع

من ألحد ولحد (فِي آيَاتِنَا) القرآن بالتكذيب (لَايَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) فنجازيهم (أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَاشِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) تهديد لهم (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ) القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ) نجازيهم (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) منيع (لَايَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) أى ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده (تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) أى الله المحمود فى أمره (مَايُقَالُ لَكَ) من التكذيب (إِلَّا) مثل (مَاقَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) للمؤمنين (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) للكافرين (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ) أى الذكر (قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا) هلا (فُصِّلَتْ) بينت (آيَاتُهُ) حتى نفهمها (أَ) قرآن (أَعْجَمِيٌّ وَ) نبى (عَرَبِيٌّ) استفهام إنكار منهم بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفا بإشباع ودونه (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى) من الضلالة (وَشِفَاءٌ) من الجهل (وَالَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ) ثقل فلا يسمعونه (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) فلا يفهمونه (أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) أى هم كالمنادى من مكان بعيد لايسمع ولا يفهم ماينادى به،

ليس بعده كتاب أصلا وليس قبله ما يقدح فيه وفى كلام المفسر لف ونشر مشوّش فقوله ليس قبله راجع لالخلق، وقوله ولا بعده راجع لمابين يديه (قوله من حكيم) الحكيم هو الذى يضع الشىء فى محله (قوله مايقال لك الخ) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم على مايصيبه من أذى الكفار (قوله من التكذيب) أى من أجل حصوله ووقوعه (قوله إن ربك لذو مغفرة الخ) هذا هو المقول، والمعنى مايقال لك من أجل حصول التكذيب ووقوعه منهم إلا قولا (ولقد مثل ماقيل للرسل من قبلك وهو إن ربك لذو مغفرة الخ (قوله ولو جعلناه قرآنا أعجميا) لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم (قوله لقالوا لولا فصلت آياته) أى بلسان نفهمه وهو لسان العرب، وقوله أأعجمى الخ جملة مستقلة عن جملة مقولهم، والمعنى أنهم طلبوا أوّلا نزوله بلغة العجم فردّ الله عليهم بقوله ـ وقالوا لولا فصلت آياته ـ أى جاءت بلغة العرب وأخبر الله تعالى أنه لوجاءهم بلغة العجم لادّعوا التنافى بين كونه بلغة العجم وكون الجائى به عربيا وغرضهم بذلك إنكار كون القرآن من عند الله على أى حال والأعجمى يقال للكلام الذى لايفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة فى الوصف كأحمرى وأعجمى خبر لمحذوف قدّره المفسر بقوله أقرآن الخ وكذا قوله وعربى (قوله بتحقيق الهمزة الثانية) أى من غير ألف بينهما، وقوله وقلبها ألفا: أى ممدودة مدا لازما وهاتان قراءتان، وقوله بإشباع ودونه سبق قلم منه، والصواب أن يقول وتسهيل الثانية بإشباع ودونه فالإشباع هو إدخال ألف بين المحققة والمسهلة وعدمه هو ترك الإشباع وبقيت قراءة خامسة سبعية أيضا وهى إسقاط الهمزة الأولى (قوله قل هو للذين آمنوا) أى صدقوا به وأذعنوا له (قوله وشفاء من الجهل) أى ومن الأمراض الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية (قوله والذين لايؤمنون) مبتدأ وفى آذانهم خبر مقدم ووقر مبتدأ مؤخر والجملة خبر المبتدإ الأول (قوله فلا يسمعونه) أى لوجود الحجاب على قلوبهم فلا يوفقون لاتباعه (قوله أى هم كالمنادى الخ)

أى فالكلام فيه استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم فى عدم قبول المواعظ و إعراضهم عن القرآن ومافيه بحال من ينادى من مكان بعيد والجامع عدم الفهم فى كلّ (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) كلام مستأنف سيق لبيان أن الاختلاف فى شأن الكتب عادة قديمة غير مختص بقومك وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لاتحزن على اختلاف قومك فى كتابك فقد اختلف من قبلهم فى كتابهم (قوله لقضى بينهم) أى عجل لهم العذاب فى الدنيا (قوله لفى شك منه) أى من أجل المخالفة ، وقوله مريب : أى مورث شكا آخر (قوله فلنفسه عمل) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف ويصح أن يكون خبرا لمحذوف . أى فعمله الصالح لنفسه ، والجملة على كل حال جواب الشرط إن جعلت من شرطية أوخبرلها إن جعلت موصولة وكذا يقال فى الجملة بعدها (قوله أى بذى ظلم) جواب عما يقال إن الآية لم تنف أصل الظلم ، فأجاب بأن ظلام صيغة نسبة لا مبالغة والمعنى ليس بمنسوب للظلم كتمار وخباز : أى منسوب للتمر والخبز . إن قلت إن الظلم مستحيل على الله تعالى عقلا لأنه التصرف فى ملك الغير ولا ملك لأحد معه فكيف يتصور إثباته حتى يحتاج لنفيه . أجيب بأن المراد بالظلم المنفى فى الآيه تعذيب المطيع لاحقيقة الظلم و إنما سماه ظلما تفضلا منه و إحسانا كأن الله تعالى يقول لاأدخل أحدا النار من غير ذنب فان فعلت ذلك كنت ظالما وهو مستحيل على حد كتب ربكم على نفسه الرحمة فتدبر (قوله إليه يرد علم الساعة) أى لله يرد علم جواب السؤال عن الساعة وهذه الآية بمعنى قوله تعالى – قل إنما علمها عند ربى لايجليها لوقتها إلا هو – فالمعنى تعيين وقت

مجيئها لايعلمه إلا الله تعالى وتقدّم ذلك عند قوله إن الله عنده علم الساعة (قوله لايعلمه غيره) أخذ الحصر من تقديم الجار والمجرور والمعنى لايفيد علمه غيره تعالى فلا ينافى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى اطلع على ما كان وما يكون وماهو كائن ومن جملته وقت الساعة ولكن أمر بكتمانه فلا يفيد السائل عنه شيئا (قوله من ثمرة) المراد الجنس ، وقوله فى قراءة : أى وهى سبعية أيضا والجمع ظاهر (قوله جمع كم بكسر الكاف) أى وهو مايغطى الثمرة من النور والزهر ويجمع أيضا على أكمة وكمام وأما مايغطى اليد من القميص فبالضم وجمعه أكمام ، وقيل مايغطى الثمرة بالضم والكسر ومايغطى اليد بالضم فقط (قوله وما تحمل من أنثى ولا تضع الخ) أى يعلم قدر أيام الحمل وساعاته وكونه ذكرا أوأنثى واحدا أومتعددا وغيرذلك ويعلم وقت وضعه ومكانه (قوله إلا بعلمه) استثناء مفرغ من عموم الأحوال ، والتقدير وما يحدث شىء من خروج ثمرة أوحمل حامل أو وضعها إلا ملتبسا بعلمه فقد حذف من الأولين لدلالة الثالث عليه . إن قلت قد يعلم ذلك بعض الخلق من أصحاب الكشف و بعض الكهنة والمنجمين . أجيب بأن صاحب الكشف علمه بإلهام من الله تعالى لبعض جزئيات فقط ، وأما الكهنة والمنجمون فعلمهم مستند لأمورظنية قدتصيب والغالب عليها الخطأ (قوله أين شركائى) أى بزعمكم وفيه تقريع وتهكم به (قوله قالوا) أى يقولون وعبر بالماضى لتحقق الوقوع (قوله الآن) أشار بذلك إلى أن المراد الإنشاء لاالإخبار عما سبق فالجملة خبرية لفظا إنشائية معنى ويصح أن يراد الاخبار لتنزيلهم علمه تعالى بحالهم منزلة إعلامهم به فأخبروا وقالوا آذناك (قوله وضل عنهم ما كانوا يدعون) أى غاب نفعهم عنهم فلا يشفعون لهم ولا ينصرونهم وهذا فى المحشر وأما فى النار فيجمعون معهم (قوله من محيص) أى فرار ومهرب من النار (قوله والنفى) أى وهو ما ، وقوله فى الموضعين : أى وما لنا وما لهم (قوله معلق عن العمل) التعليق إبطال العمل لفظا لامحلا والعامل المعلق هو

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (فَاخْتُلِفَ فِيهِ) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) فى الدنيا فيما اختلفوا فيه (وَإِنَّهُمْ) أى المكذبين به (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) موقع فى الريبة (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) عمل (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) أى فضرر إساءته على نفسه (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) أى بذى ظلم لقوله تعالى : إن الله لايظلم مثقال ذرة (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ) متى تكون لايعلمه غيره (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ) وفى قراءة ثمرات (مِنْ أَكْمَامِهَا) أوعيتها جمع كم بكسر الكاف إلا بعلمه (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ) أعلمناك الآن (مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ) أى شاهد بأن لك شريكا (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ) يعبدون (مِنْ قَبْلُ) فى الدنيا من الأصنام (وَظَنُّوا) أيقنوا (مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) مهرب من العذاب والنفى فى الموضعين معلق عن العمل

آذن وظن (قوله وجملة النفى) أى فى الموضعين (قوله سدت مسد المفعولين) أى الأول والثانى لظنوا والثالث لآذنا فإنه يتعدى لثلاثة كأعلم وأرى والمفعول الأول الكاف (قوله لايسأم الإنسان) المراد به جنس الكافر كما يأتى فى المفسر (قوله من دعاء الخير) المصدر مضاف لمفعوله (قوله وغيرهما)أى كالولد ونحوه من خير الدنيا (قوله فيئوس قنوط) خبران لمبتدإ محذوف : أى فهو ، قيل اليأس والقنوط مترادفان وجمع بينهما للتأكيد ، وقيل اليأس قطع الرجاء من رحمة الله والقنوط إظهار آثاره على ظاهر البدن ويطلق اليأس على العلم كما فى قوله تعالى ـ أفلم ييأس الذين آمنوا ـ ويئس من باب فهم وقنط من باب جلس ودخل وطرب (قوله وما بعده) أى وهو قوله : ولئن أذقناه إلى قوله : للحسنى ، وأما قوله : فلننبئن الخ تصريح فى الكافرين لايحتاج للتنبيه عليه (قوله ليقولن هذا لى) جواب القسم وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده للقاعدة المذكورة فى قول ابن مالك : واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم (قوله أى بعملى) أى بمالى من الفضل والعمل والشجاعة والتدبير (قوله وما أظن الساعة قائمة) أى تقوم (قوله ولئن رجعت إلى ربى) أى كما تقول الرسل على فرض صدقهم وقد أكدت هذه الجملة بأمور زيادة فى التعنت : منها القسم وإن وتقديم الظرف والجار والمجرور (قوله فلننبئن الذين كفروا) جواب لقول الكافر ولئن رجعت الخ (قوله الجنس) أى من حيث هو مسلما أو كافرا ولكنه مشكل بالنسبة

وجملة النفى سدت مسد المفعولين (لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) أى لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما (وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ) الفقر والشدة (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) من رحمة الله وهذا وما بعده فى الكافرين (وَلَئِنْ) لام قسم (أَذَقْنَاهُ) آتيناه (رَحْمَةً) غنى وصحة (مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ) شدة وبلاء (مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي) أى بعملى (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ) لام قسم (رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ) أى الجنة (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) شديد واللام فى الفعلين لام قسم (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ) الجنس (أَعْرَضَ) عن الشكر (وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ) ثنى عطفه متبخترا ، وفى قراءة بتقديم الهمزة (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) كثير (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ) أى القرآن (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) كما قال النبى (ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ) أى لا أحد (أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ) خلاف (بَعِيدٍ) عن الحق أوقع هذا موقع منكم بيانا لحالهم (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ) أقطار السموات والأرض من النيرات والنبات والأشجار (وَفِي أَنْفُسِهِمْ) ،

للكافر فإنه تقدم أنه عند مس الشر كان يئوسا قنوطا وهنا أفاد أنه ذو دعاء عريض فيقتضى أنه راج فحصل بين الآيتين التناقض . وأجيب بأنه يمكن حمل ما تقدم على أناس دون آخرين أو على الكل لكن الأوقات مختلفة فبعض الأوقات يكونون آيسين وبعض الأوقات يكونون راجين (قوله وناء بجانبه) بتقديم الألف على الهمزة بوزن قال ، وقوله وفى قراءة : أى وهى سبعية أيضا ، وقوله بتقديم الهمزة : أى على الألف بوزن رمى والنون مقدمة من على كليهما (قوله فذو دعاء عريض) أى فهو ذو دعاء (قوله كثير) أشار بذلك إلى أن العرض يطلق على الكثرة كالطول يقال أطال فلان الكلام وأعرض فى الدعاء إذا أكثر (قوله قل أرأيتم) رأى فى الأصل علمية أو بصرية أطلق العلم أو الابصار وأريد ما نشأ عنه وهو الخبر ثم أطلق الاستفهام على العلم أو الإبصار وأريد منه طلب الاخبار ففيه مجازان (قوله كما قال النبى) المناسب إسقاطه (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله أوقع هذا) أى قوله : ممن هو فى شقاق بعيد (قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق) الضمير عائد على كفار مكة ، والمعنى سنرى كفار مكة دلائل قدرتنا حال كونها فى الآفاق جمع أفق كأعناق وعنق و يقال أفق بفتحتين كعلم وأعلام (قوله من النيرات) أى الشمس والقمر والنجوم ، وقوله والأشجار والنبات : أى والرياح والأمطار والجبال والبحار وغير ذلك من العجائب العلوية والسفلية (قوله وفى أنفسهم) أى نخلقهم أولا نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم بعد تمام مدتهم فى البطون نخرجهم إلى فضاء الدنيا ضعافا ثم يعطيهم القوة شيئا فشيئا وهكذا . واستشكل ظاهر الآية بأن السين تدل على تخليص المضارع للاستقبال مع أنهم مشاهدون هذه الآيات فى الحال . أجيب بأن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير سنريهم عواقب آياتنا وأسرارها ففيه وعد للمعتبر ووعيد لغيره لأن حكمة هذه الآيات النظر والتأمل والاعتبار فمن اعتبر بهذه الآيات فقد سعد ومن تركه

فقد شق (قوله من لطيف الصنعة و بديع الحكمة) من ذلك ماخلقه وأبدعه فى نفس الانسان كالأكل والشرب يدخل من مكان واحدو يميز ذلك خارجا من مكانين مختلفين لا يختلط أحدهما بالآخر، والبصر فانه ينظر به من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام والسمع فانه يفرق به بين الأصوات المختلفة وغيرذلك وهذا ماقرر به المفسرالآية . وهناك احتمالات أخرمنها أن المراد بالآيات ما أخبرهم به النبيّ صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية، والمراد بالآفاق فتح القرى له ولخلفائه من بعده الذىلم يتيسر مثله لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ، والمراد بأنفسهم فتح مكة وملكهم وقد تحقق ذلك لرسول الله وخلفائه من بعده ، ومنها أن المراد بالآيات وقائع الأمم السابقة ، والمراد بأنفسهم ماحصل لهم يوم بدر من القتل والأسر ، ومنها غير ذلك (قوله أولم يكف بربك الخ) الهمزة داخلة على محذوف و الواو عاطفة عليه والتقدير أتحزن على إنكارهم ومعارضتهم لك ولم يكفك ربك والاستفهام إنكارى والباء زائدة فى الفاعل والمفعول محذوف تقديره يكفك وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر بدل من الفاعل بدل كل من كل ، والمعنى أتحزن على كفرهم ولم يكفك شهادة ربك لك وعليهم والمفسر قرر الآية بتقرير آخر والمؤدى واحد حيث جعل الآية إخبارا عن حالهم وعليه فالمعنى ألم يعتبروا ولم يكفهم شهادة ربك لك بالصدق وعليهم بالتكذيب (قوله لانكارهم البعث) أى بألسنتهم، والمعنى أن الدليل لنا على كونهم فى شك من لقاء ربهم إنكارهم بألسنتهم للبعث ولا

من لطيف الصنعة و بديع الحكمة (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ) أى القرآن (الْحَقُّ) المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب فيعاقبون على كفرهم به و بالجائى به (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ) فاعل يكف (أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) بدل منه ،أى أو لم يكفهم فى صدقك أن ربك لايغيب عنه شىء ما (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ) لإنكارهم البعث (أَلَا إِنَّهُ) تعالى (بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) علما وقدرة فيجازيهم بكفرهم.

(ســورة الشورى)

مكية إلا : قل لا أسألكم الآيات الأربع ، ثلاث وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . حم عسق) الله أعلم بمراده به (كَذَٰلِكَ) أى مثل ذلك الإيحاء (يُوحِي إِلَيْكَ ، وَ) أوحى (إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ) ،

يقال إن عندهم جزما فى قلوبهم بعدم البعث لأننا نقول لادليل لهم عليه حتى يحصل الجزم بالأوهام أو وساوس شيطانية والحجة القطعية إنما هى على البعث وهكذا سائر عقائدالكفرفتدبر (قوله ألا إنه بكل شىء محيط) تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لاتحزن على كفرهم فان الله محيط بكل شىء فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ومن لازمه أنه يجازيهم فلذلك قال المفسر فيجازيهم .

[سورة الشورى] بالتعريف وتسمى أيضا سورة شورى من غيرتعريف وسورة حم عسق وسورة عسق وسورة حم سق (قوله إلا قل لكم لا أسألكم عليه أجرا الخ) وقيل أول المدنى:ذلك الذى يبشر الله عباده و ينتهى إلى عليم بذات الصدور ، وقيل فيها من المدنى أيضا قوله ـ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ، إلى قوله : من سبيل ـ (قوله حم عسق) أجمع القراء على أن حم مفصولة من عسق فى الخط وعلى أن كهيعص متصلة ببعضها والحكمة فى ذلك أن حم عسق فصلت لما قيل إنهما اسمان للسورة وأيضا ليطابق سائر الحواميم (قوله أى مثل ذلك الايحاء) أشار بذلك إلى أن الكاف فى محل نصب على المفعولية المطلقة ، والمعنى يوحى إليك و إلى الذين من قبلك إيحاء مثل ذلك الايحاء فى المعنى لما ورد عن ابن عباس : ليس من نبى صاحب كتاب إلا وقد أوحى إليه حم عسق ، ووجه المشابهة أن الموحى به فى الكل يرجع لأمور ثلاثة التوحيد والنبوة والبعث فهذا القدر مشترك بين القرآن وغيره من الكتب (قوله يوحى إليك) جمهور القراء على أنه بالياء مبنيا للفاعل والله فاعله،وقرأ ابن كثير بالبناء للمفعول ونائب الفاعل إما ضمير عائد على كذلك أو الجار والمجرور،وقوله ـ الله العزيز الحكيم ـ فاعل بفعل محذوف كأنه قيل من يوحيه ؟ فقيل يوحيه الله نظير:يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال وقرئ شذوذا بالنون مبنيا للفاعل ولفظ الجلالة بدل من الضمير فى نوحى الواقع فاعلا (قوله وأوحى الى الذين من قبلك) أشار بذلك الى أن يوحى مستعمل

فى حقيقته ومجازه فهو مستعمل فى المستقبل بالنظر لما لم ينزل عليه من القرآن حينئذ وفى الماضى بالنظر لما أنزل عليه بالفعل وبالنظر لما أنزل على الرسل السابقين (قوله فاعل الايحاء) أى على قراءة الجمهور وأما على قراءة البناء للمفعول فهو فاعل بفعل محذوف وعلى قراءة النون فهو بدل من ضمير نوحى (قوله وهو العلىّ على خلقه) أى المنزه عن صفات خلقه (قوله العظيم) أى المنفرد بالكبرياء والعظمة (قوله بالنون الخ) ظاهره أن القراءات أربع من ضرب اثنتين فى اثنتين وليس كذلك بل هى ثلاثة فقط سبعيات لأن من قرأ تكاد بالتاء الفوقية يجوز فى ينفطرن الوجهين ومن قرأ يكاد بالياء التحتية لايقرأ ينفطرن إلا بالتاء مع التشديد (قوله أى تنشق كل واحدة) أى تسقط السابعة فوق السادسة والسادسة فوق الخامسة وهكذا إلى أن يسقط الجميع فوق الأرض فتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّا والتقييد بالفوقية أبلغ فى مزيد الهيبة والجلال (قوله فوق التى تليها) أشار بذلك إلى أن الضمير فى فوقهن عائد على السموات ويصح عوده على فوق الكفار والمشركين أو على الأرضين لتقدم ذكر الأرض (قوله من عظمته تعالى) أى فالسموات تكاد تنشق وتخرّ خوفا من الجلال الناشئ عن قولهم اتخذ الله ولدا يدل على ذلك ما تقدم فى سورة مريم (قوله والملائكة يسبحون الخ) هذا كلام مستأنف سيق لبيان فضل بنى آدم (قوله من المؤمنين) أى والمراد بالملائكة حملة العرش ومن حوله بدليل ماتقدم فى غافر لحمل المطلق على المقيد ، وقيل المراد مطلق الملائكة وبمن فى الأرض العموم (٣٠) فيشمل جميع الحيوانات ، والمراد بالاستغفار طلب الأرزاق ودفع البلاء وكل صحيح ولذلك قال بعض العارفين : أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة وأغش عباد الله لعباد الله الشياطين (قوله ألا إن الله الخ) ألا أداة استفتاح يؤتى بها لتأكيد مابعدها وقد وصف سبحانه وتعالى نفسه بالمغفرة والرحمة وأكد ذلك بألا الاستفتاحية وإن والجملة الاسمية تفضلا منه وإحسانا للاشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه (قوله أى الأصنام) تفسير للمفعول الأول فهو محذوف والثانى هو قوله أولياء ، والمعنى والذين اتخذوا الأصنام آلهة معبودة قائلين : مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، يدل عليه الآية الأخرى ، وأما الأولياء بمعنى المتولين خدمة ربهم وتولاهم بمحبته ومعرفته فمحبتهم والتعلق بهم من جملة طاعة الله لأنهم الوسيلة لنا إلى الله ورسوله وليست محبتنا لهم وتوسلنا بهم شركا إلا إذا كانت على وجه العبادة كالسجود مثلا واعتقاد أنهم يؤثرون بذواتهم فى نفع أو ضر خلافا للخوارج الضالين المضلين حيث زعموا أن كل من توسل إلى الله بأحد سواه فهو مشرك (قوله الله حفيظ) أى ضابط لهم ولأعمالهم فلا يغيب عنه شئ منها ولا يفلتون منه فهذه الآية توبيخ للكفار وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله وكذلك) يصح أن يكون مفعولا مطلقا لأوحينا وقرآنا مفعول به والتقدير وأوحينا إليك قرآنا عربيا إيحاء كذلك واسم الاشارة عائد على الايحاء المتقدم فى قوله ـ كذلك يوحى إليك الخ ـ ويصح أن يكون مفعولا به وقرآنا حال والتقدير وأوحينا إليك مثل ذلك الايحاء حال كونه قرآنا عربيا (قوله أم القرى) سميت بذلك لأنها أول بلد خلقها الله وشرفها ولذا بعث لها أصل الخلق وأشرفهم وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ومن حولها) أى كل جهة فهو مبعوث لسائر أهل الأرض بل وأهل السماء وإنما اقتصر على الانذار وإن كان مبعوثا بالبشارة أيضا لأنه فى ذلك الوقت لم يكن محل للبشرى لأن الخلق فى ذلك الوقت كفار (قوله يوم الجمع) هو المفعول الثانى والأول محذوف قدره المفسر بقوله الناس عكس الفعل الأول ، فإنه قد ذكر المفعول الأول وحذف الثانى تقديره العذاب

فاعل الإيحاء (الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (وَهُوَ الْعَلِيُّ) على خلقه (الْعَظِيمُ) الكبير (تَكَادُ) بالتاء والياء (السَّمَٰوَاتُ يَنْفَطِرْنَ) بالنون ، وفى قراءة بالتاء والتشديد (مِنْ فَوْقِهِنَّ) أى تنشق كل واحدة فوق التى تليها من عظمة الله تعالى (وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أى ملابسين للحمد (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) من المؤمنين (أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ) لأوليائه (الرَّحِيمُ) بهم (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ) أى الأصنام (أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ) محص (عَلَيْهِمْ) ليجازيهم (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) تحصل المطلوب منهم ماعليك إلا البلاغ (وَكَذَٰلِكَ) مثل ذلك الايحاء (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ) تخوف (أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا) أى أهل مكة وسائر الناس (وَتُنْذِرَ) الناس (يَوْمَ الْجَمْعِ) أى يوم القيامة تجمع فيه الخلائق ،

(لاريب)

ففى الآية احتباك حيث حذف من كلٍّ نظير ما أثبته فى الآخر (قوله لاريب فيه) حال من يوم الجمع (قوله فريق) إما مبتدأ فى كل خبره الجار والمجرور بعده والمسوّغ للابتداء بالنكرة وقوعها فى معرض التفصيل وهو الأولى أو مبتدأ خبره محذوف تقديره منهم أو خبر لمبتدإ محذوف أى هم (قوله فى الجنة) المراد بها دار الثواب فتعمّ جميع الجنان وقوله وفريق فى السعير المراد به دار العذاب بجميع طباقها ، فالجنة لمن لم يتصف بالكفر من الثقلين إنسا وجنا والنار لمن اتصف بالكفر من المكلفين إنسا وجنا (قوله ولوشاء الله) مفعول شاء محذوف تقديره جعلهم أمة واحدة ، والمعنى أن الأمر كله لله فلايسئل عما يفعل لحكمة سبقت بأن خلق جنة وخلق لها أهلا وخلق نارا وخلق لها أهلا (قوله وهو الاسلام) أى أو الكفر (قوله ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أى بفضله وإحسانه وهم فريق الجنة (قوله والظالمون) أى وهم فريق النار وهو مقابل قوله يدخل من يشاء فى رحمته ، وكان مقتضى الظاهر أن يقال ويدخل من يشاء فى غضبه وعدل عنه إلى ما ذكر إشارة إلى دفع توهم أن لهم شفيعا ونصيرا فى الآخرة ، وأما دخولهم فى الغضب فأمر معلوم لايحتاج للنص عليه (قوله الكافرون) تفسير للظالمون فالمراد بالظلم الكفر ، وأما الظالمون بمعنى العاصين بغير الكفر فلهم نصير يدفع عنهم العذاب لما فى الحديث «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» (قوله التى للانتقال) أى من بيان المسبب لبيان السبب فاتخاذهم الأصنام آلهة سبب فى دخولهم النار (قوله والهمزة للانكار) هذا أحد أوجه فى أم المنقطعة وهو أنها تقدر ببل والهمزة ويصح تقديرها ببل وحدها أو الهمزة وحدها

(لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ ، فَرِيقٌ) منهم (فِي الْجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) النار (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) أى على دين واحد وهو الاسلام (وَلَٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ) الكافرون (مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يدفع عنهم العذاب (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ) أى الأصنام (أَوْلِيَاءَ) أم منقطعة بمعنى بل التى للانتقال والهمزة للانكار : أى ليس المتخذون أولياء (فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ) أى الناصر للمؤمنين والفاء لمجرد العطف (وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَمَا اخْتَلَفْتُمْ) مع الكفار (فِيهِ مِنْ شَيْءٍ) من الدين وغيره (فَحُكْمُهُ) مردود (إِلَى اللَّهِ) يوم القيامة يفصل بينكم قل لهم (ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) أرجع (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) مبدعهما (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) حيث خلق حواء من ضلع آدم .

(قوله أى ليس المتخذون أولياء) أى فالنفى منصب على المفعول الثانى (قوله فالله هو الولى) أى المعبود بحق المتولى أمور الخلق والجملة المعرّفة الطرفين تفيد الحصر فلا معبود بحق إلا الله تعالى . إن قلت مقتضى الحصر هنا أن لفظ الولى لايتصف به المخلوق ومقتضى آية ـ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ـ أنه يتصف به المخلوق فكيف الجمع بينهما ؟ أجيب بأن معنى الولى هنا المعبود بحق وذلك لايتصف به غيره تعالى ، وأما الولى فى تلك الآية فمعناه المنهمك فى طاعة الله تعالى المتولى الله أموره وتقدم ذلك (قوله والفاء لمجرد العطف) أى عطف ما بعدها على ماقبلها ورد بذلك على الزمخشرى القائل إن الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر : أى إن أرادوا وليا بحق فالله هو الولى . قال أبو حيان لاحاجة إلى هذا التقدير لتمام الكلام بدونه (قوله وما اختلفتم فيه من شىء) ما مبتدأ شرطية أو موصولة ومن شىء بيان لما وقوله فحكمه إلى الله خبر المبتدإ (قوله وغيره) أى كأمور الدنيا (قوله يفصل بينكم) أى فيدخل المحق الجنة والمبطل النار (قوله ذلكم) اسم الاشارة مبتدأ أخبر عنه بأخبار أولها لفظ الجلالة وآخرها شرع لكم من الدين (قوله عليه توكلت) أى فوضت أمورى (قوله مبدعهما) أى على غير مثال سابق (قوله جعل لكم من أنفسكم) أى جنسكم وقوله أزواجا : أى نساء (قوله حيث خلق حواء من ضلع آدم) أى اليسرى وهو نائم فلما استيقظ ورآها سكن ومال إليها ومد يده إليها ، فقالت الملائكة مه يا آدم ، قال لم وقد خلقها الله ؟ فقال حتى تؤدّى مهرها ، قال وما مهرها ؟ قالوا حتى تصلى على محمد ثلاث مرات . وفى رواية لما رام آدم القرب منها طلبت منه المهر ، فقال يارب وماذا أعطيها ؟ فقال يا آدم صل على حبيبى محمد بن عبد الله عشرين مرة ، فلما فعل ماأمر به خطب الله له خطبة النكاح ثم قال : اشهدوا يا ملائكتى وحملة عرشى أنى زوجت أمتى حواء من عبدى آدم والضلع بوزن عنب وحمل فالضاد مكسورة واللام إما مفتوحة أو ساكنة وفعله ضلع من باب تعب: اعوجّ ، ومن باب نفع : مال عن الحق .

(قوله ومن الأنعام أزواجا) أى أصنافا (قوله أى يكثركم بسببه) أشار بذلك إلى أن فى للسببية والضمير فى فيه عائد على الجعل المأخوذ من جعل (قوله والضمير للأناسى) أى وهو الكاف فى يذرؤكم (قوله بالتغليب) جواب عما يقال كيف جمع بين العاقل وغيره فى ضمير واحد فكان مقتضى الظاهر أن يقال يذرؤكم و يذرؤها (قوله الكاف زائدة) أى للتأكيد وهذا أحد أجوبة عن سؤال مقدر وهو أن ظاهر الآية يوهم ثبوت المثل له تعالى وهو محال لأنه يصير التقدير ليس مثل مثله شىء فنفى المماثلة عن مثله فثبت أن له مثلا ولا مثل له ، وأيضا يلزم عليه التناقض لأنه إذا كان له مثل فلمثله مثل وهو هو مع أن إثبات المثل له تعالى محال . فأجاب المفسر بأن الكاف زائدة والتقدير ليس مثله شىء . وهذا الجواب أسهل الأجوبة فى هذا المقام . وأجيب أيضا بأن مثل زائدة ورد بأن زيادة الأسماء غير جائزة وأيضا يلزم عليه دخول الكاف على الضمير وهو لايجوز إلا فى الشعر . وأجيب أيضا بأن المثل بمعنى الصفة وحينئذ فالتقدير ليس مثل صفته شىء . وأجيب أيضا بأن الكاف أصلية والكلام من قبيل الكناية كقولهم مثلك لايبخل وليس لأخى زيد أخ فنفى المماثلة عن المثل مبالغة فى نفيها عنه هو لأن العرب تقيم المثل مقام النفس (قوله له مقاليد السموات والأرض) جمع مقلاد أومقليد أو إقليد (قوله من المطر الخ) بيان للخزائن وقوله وغيرهما أى كالجواهر المستخرجة من الأرض (قوله إنه بكل شىء عليم) تعليل لما قبله (قوله شرع لكم) الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والمعنى بين لكم وجعل لكم دينا قويا واصحا تطابقت على صحته الأنبياء والرسل من قبل وهو تفصيل لما أجمل أولا فى قوله: كذلك يوحى إليك و إلى الذين من قبلك (قوله ماوصى به نوحا الخ) خص هؤلاء بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء وأولوا العزم وأصحاب الشرائع المعظمة المستقلة المتجددة فكان كل من هؤلاء الرسل له شرع جديد ، وأما من عداهم من الرسل إنما كان يبعث بتبليغ شرع من قبله فمن بين نوح و إبراهيم وهما هود وصالح بعثا بتبليغ شرع نوح ومن بين إبراهيم وموسى بعثوا بتبليغ شرع إبراهيم وكذا من بين موسى وعيسى بعثوا بتبليغ شرع موسى و إنما لم يذكر من قبلهم لأنه لم يكن قبل نوح أحكام مشروعة ، لأن آدم كان شرعه التوحيد ومصالح المعاش . واستمر ذلك الأمر إلى نوح فبعثه الله تعالى بتحريم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب والديانات ، ولم يزل ذلك الأمر يتأكد بالرسل و يتناصر بالأنبياء واحدا بعد واحد وشريعة إثر شريعة حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فتبين بهذا أن شرعنا معشر الأمة المحمدية قد جمع جميع الشرائع المتقدمة (قوله هو أول أنبياء الشريعة) أى فهذا حكمة بدئه بنوح وأيضا لتقدمه فى الزمان (قوله والذى أوحينا إليك) أتى بالاسم الموصول الذى هو أصل الموصولات وعبر فى جانبه صلى الله عليه وسلم بالإيحاء تعظيما لشأنه وردا على المشركين المنكرين بعثته صلى الله عليه وسلم حيث قالوا : لست مرسلا (قوله أن أقيموا الدين) الأوضح أن أن تفسيرية بمعنى أى ويصح أن تكون مصدرية إما فى محل رفع خبر لمحذوف تقديره هو إقامة الدين أوفى محل نصب بدل من مفعول شرع ، والمراد بإقامة الدين تعديل أركانه وحفظه والمواظبة عليه (قوله وهوالتوحيد) بيان للمراد من الدين الذى اشترك فيه هؤلاء الرسل ، وأما قوله : والذى أوحينا إليك ، فهو أعم من ذلك فإن المراد به جميع الشريعة أصولا وفروعا وإنما اقتصر على التوحيد لأنه رأس الدين وأساسه (قوله كبر على المشركين) أى شق عليهم (قوله من التوحيد) اقتصر عليه لأنه عماد الدين و إلا فما يدعوهم إليه عام يشمل جميع الأصول والفروع .

وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا) ذكوراً و إناثا (يَذْرَؤُكُمْ) بالمعجمة يخلقكم (فِيهِ) فى الجعل المذكور : أى يكثركم بسببه بالتوالد والضمير للأناسى والأنعام بالتغليب (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) الكاف زائدة لأنه تعالى لامثل له (وَهُوَ السَّمِيعُ) لما يقال (الْبَصِيرُ) لما يفعل (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما (يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَاوَصَّى بِهِ نُوحًا) هو أول أنبياء الشريعة (وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) هذا هو المشروع الموصى به والموحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد (كَبُرَ) عظم (عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَاتَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) من التوحيد ،

(اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ) إلى التوحيد (مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) يقبل إلى طاعته (وَمَا تَفَرَّقُوا) أي أهل الأديان في الدين بأن وحد بعض وكفر بعض (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) بالتوحيد (بَغْيًا) من الكافرين (بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير الجزاء (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) يوم القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) بتعذيب الكافرين في الدنيا (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) وهم اليهود والنصارى (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ) من محمد صلى الله عليه وسلم (مُرِيبٍ) موقع في الريبة (فَلِذَلِكَ) التوحيد (فَادْعُ) يا محمد الناس (وَاسْتَقِمْ) عليه (كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) في تركه (وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ) أي بأن أعدل (بَيْنَكُمُ) في الحكم (اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) فكل يجازى بعمله (لَا حُجَّةَ) خصومة (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ) هذا قبل أن يؤمر بالجهاد (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا) في المعاد لفصل القضاء (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) المرجع (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي) دين (اللَّهِ) نبيه (مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ) بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود (حُجَّتُهُمْ ،

(قوله الله يجتبي إليه) من الاجتباء وهو اصطفاء الله العبد وتوفيقه لما يرضاه وتخصيصه بالفيوضات الربانية (قوله من ينيب) ضمنه معنى يقبل أو يميل فعداه بإلى (قوله وما تفرقوا) الضمير عائد على أهل الأديان المتقدمين من أول الزمان إلى آخره كما قال المفسر ، والمراد بأهل الأديان أمم الأنبياء المتقدمين كأمة نوح وأمة هود وأمة صالح وغيرهم ، وأخذ المفسر العموم من مجموع روايات عن ابن عباس وغيره ففي رواية عنه أن المراد بهم قريش ، والمراد بالعلم محمد دليله قوله تعالى : فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ، وقوله تعالى : فلما جاءهم نذير مازادهم إلا نفورا ، وفي رواية عنه أن المراد بهم أهل الكتاب بدليل قوله : وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة ، وفي رواية غيره أن المراد أمم الأنبياء المتقدمين (قوله العلم بالتوحيد) أي بأن قامت عليهم الحجج والبراهين من النبي المرسل إليهم (قوله بغيا مفعول لأجله) أي تفرقوا من أجل حصول البغي بينهم الذي هو الحسد والعناد في الكفر (قوله بتأخير الجزاء) أي إلى يوم القيامة ، وأما الدنيا فليست دار جزاء لشقي ولا سعيد . إن قلت إن كفار الأمم الماضية قد نزل بهم أنواع من العذاب كالصيحة والخسف والمسخ وغير ذلك . أجيب بأنه ليس بجزاء بل هو علامة الجزاء والخزي (قوله أورثوا) فعل مبني للمفعول والفاعل الله تعالى (قوله وهم اليهود والنصارى) تفسير للذين أورثوا الكتاب ، وحينئذ فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل والضمير في بعدهم عائد على أصولهم المتفرقين في الحق ، وقيل معنى من بعدهم من قبلهم ويكون الضمير حينئذ عائدا على مشركي مكة ، وقيل المراد بالذين أورثوا الكتاب مشركو العرب والمراد بالكتاب القرآن والضمير في من بعدهم عائد على اليهود والنصارى (قوله لفي شك) المراد به هنا مطلق التردد والتحير (قوله موقع في الريبة) أي الشبهات والضلالات (قوله فلذلك) الجار والمجرور متعلق بادع والتقدير فادع الناس لذلك التوحيد الذي تقدم ذكره في قوله : شرع لكم من الدين (قوله واستقم) الاستقامة لزوم النهج القويم (قوله كما أمرت) أي من تقوى الله حق تقاته وعبادته حق العبادة ومن هنا شاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « شيبتني هود وأخواتها » فسبب شيبه خوفه من عدم قيامه بما أمر به ولكن خفف الله عنه وعن أمته بقوله : فاتقوا الله مااستطعتم وقوله كما أمرت الكاف بمعنى مثل ، والمعنى استقم استقامة مثل الذي أمرت به أي موافقة له (قوله ولاتتبع أهواءهم) أي حيث قالوا اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد إلهك سنة (قوله من كتاب) بيان لما ، والمعنى آمنت بكل كتاب أنزله الله تعالى وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : كل آمن بالله وملائكته وكتبه الخ (قوله أي بأن أعدل) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى الباء وأن المصدرية مقدرة والفعل منصوب بها (قوله فكل يجازى بعمله) أي من خير وشر (قوله هذا قبل أن يؤمر بالجهاد) أشار بذلك إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله : قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية ، وقيل ليست منسوخة بل المراد من الآية أن الحق قد ظهر والحجج قامت فلم يبق إلا العناد وبعد العناد لاحجة ولاجدال (قوله وإليه المصير) أي فيجازي كل أحد بعمله من خير وشر (قوله والذين يحاجون في الله) الكلام على حذف مضاف والمفعول محذوف كما أشار لذلك المفسر (قوله من بعد مااستجيب له) أي من بعد دخول الناس في دينه وأجابوا دعوته فالسين والتاء زائدتان (قوله وهم اليهود) تفسير للموصول ،

(قوله داحضة) من الادحاض وهو الازلاق ، يقال دحضت رجله أى زلقت والمراد هنا الأبطال (قوله ولهم عذاب شديد) أى فى الآخرة (قوله متعلق بأنزل) أى والباء للملابسة (قوله والميزان العدل) أى وسمى العدل ميزانا لأن الميزان يحصل به الانصاف والعدل فهو من تسمية المسبب باسم السبب و إنزاله الأمر به ، وقيل المراد بالميزان نفسه الذى يوزن به والمراد بانزاله إنزال الالهام بعمله والأمر بالوزن به ، وقيل الميزان محمد صلى الله عليه وسلم يقضى بينكم بكتاب الله (قوله وما يدريك) الاستفهام إنكارى ، والمعنى لاسبب يوصلك للعلم بقربها إلا الوحى الذى ينزل عليك (قوله أى إتيانها قريب) قدر المضاف ليصح الاخبار بالمذكر عن المؤنث (قوله ولعل معلق للفعل عن العمل) التعليق إبطال العمل لفظا لامحلا بسبب توسط أداة لها صدر الكلام (قوله أوما بعده سد مسد المفعولين) أى الثانى والثالث وأما الأول فهو الكاف و يتعين جعل أو بمعنى الواو (قوله الذين لايؤمنون بها) أى فلايشفقون منها وقوله : والذين آمنوا مشفقون منها أى فلايستعجلون بها ففى الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ماأثبته فى الآخر (قوله إنها الحق) أى كائنة وحاصلة لامحالة (قوله فى الساعة) أى فى إتيانها (قوله لفى ضلال بعيد) أى عن الاهتداء (قوله الله لطيف بعباده) أى حفى بهم ، وقيل بار بهم ، وقيل رفيق بهم ، وقيل معناه لطيف بهم فى العرض والمحاسبة ، وقيل يلطف بهم فى الرزق من وجهين : أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات . والثانى أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة فتبذره

وقيل اللطيف من إذا لجأ إليه أحد من عباده قبله وأقبل عليه ، وفى الحديث «إن الله تعالى يطلع على القبور الدوارس فيقول الله عز وجل امحقت آثارهم واضمحلت صورهم و بقى عليهم العذاب وأنا اللطيف وأنا أرحم الراحمين خففوا عنهم» ، وقيل اللطيف الذى ينشر من عباده المناقب و يستر عليهم المثالب ، ومنه حديث «يامن أظهر الجميل وستر القبيح» ، وقيل هو الذى يقبل القليل و يبذل الجزيل ، وقيل هو الذى يجبر الكسير و ييسر العسير ، وقيل هو الذى لايخاف إلا عدله ولايرجى إلافضله ، وقيل هو الذى يعين على الخدمة و يكثر المدحة ، وقيل هو الذى لايعاجل من عصاه ولايخيب من رجاه ، وقيل هو الذى لايرد سائله ولايؤيس آمله ، وقيل هو الذى يعفو عمن يهفو ، وقيل هو الذى يرحم من لايرحم نفسه ، وقيل هو الذى أوقد فى أسرار العارفين من المشاهدة سراجا وجعل لهم الصراط المستقيم منهاجا وأجزل لهم من سحائب بره ماء ثجاجا . و بالجملة فهذا الاسم جامع لمعانى الأسماء الجمالية فينبغى للعاقل الاكثار من ذكره سيما إذا قصد بذكره رضا ربه فان له السعادة دنيا وأخرى و يكفى همومهما لما ورد «اعمل لوجه واحد يكفك كل الأوجه» (قوله من كل منهم) بيان لمن ، والمعنى أن الذى يشاء رزقه هو كل منهم (قوله من كان يريد حرث الآخرة الخ) الحرث فى الأصل إلقاء البذر فى الأرض و يطلق على الزرع الحاصل منه ثم استعمل فى ثمرات الأعمال ونتائجها على سبيل الاستعارة حيث شبهت ثمرات الأعمال بالغلال الحاصلة من البذر بجامع حصول العمل والتعب فى كل فان من أتعب نفسه أيام البذر واشتغل بالحرث والزرع أراحها ووجد الثمرات أيام الحصاد فكذلك من أتعب نفسه فى الدنيا وعمل ابتغاء وجه ربه فانه يجد ثمرات أعماله فى الآخرة ومنها هنا حديث «الدنيا مزرعة للآخرة» وهذه الآية عامة لبيان حال الخاص فى عمله لوجه الله والذى يطلب بعمله أعراض الدنيا ذكرا أو أنثى لأن من من صيغ العموم وقوله بعمله المراد به خدمته فى الدنيا صلاة أوصوما أوغيرهما كالسعى على العيال ، وحينئذ فالمدار على النية الحسنة إذ بها تصير العادات عبادات (قوله الحسنة) منصوب بالمصدر الذى هو التضعيف .

دَاحِضَةٌ) باطلة (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ . اللَّهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتَابَ) القرآن (بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (وَالْمِيزَانَ) العدل (وَمَا يُدْرِيكَ) يعلمك (لَعَلَّ السَّاعَةَ) أى إتيانها (قَرِيبٌ) ولعل معلق للفعل عن العمل أو ما بعده سد مسد المفعولين (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) يقولون متى تأتى ظنا منهم أنها غير آتية (وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ) خائفون (مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ) يجادلون (فِى السَّاعَةِ لَفِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ . اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) برهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم (يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ) من كل منهم مايشاء (وَهُوَ الْقَوِىُّ) على مراده (الْعَزِيزُ) الغالب على أمره (مَنْ كَانَ يُرِيدُ) بعمله (حَرْثَ الْآخِرَةِ) أى كسبها وهو الثواب (نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ) بالتضعيف فيه الحسنة إلى العشرة وأكثر ،

(ومن

(وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) بلا تضعيف ماقسم له (وَمَالَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ . أَمْ) بل (لَهُمْ)لكفار مكة (شُرَكَاءُ) هم شياطينهم (شَرَعُوا) أى الشركاء (لَهُمْ) للكفار (مِنَ الدِّينِ) الفاسد (مَالَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) كالشرك وإنكار البعث (وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ) أى القضاء السابق بأن الجزاء فى يوم القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) و بين المؤمنين بالتعذيب لهم فى الدنيا (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (تَرَى الظَّالِمِينَ) يوم القيامة (مُشْفِقِينَ) خائفين (مِمَّا كَسَبُوا) فى الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها (وَهُوَ) أى الجزاء عليها (وَاقِعٌ بِهِمْ) يوم القيامة لا محالة (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِى رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) أنزهها بالنسبة إلى من دونهم (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ . ذَلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ) من البشارة مخففا ومثقلا به (اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) أى على تبليغ الرسالة (أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) استثناء منقطع أى لكن أسألكم أن تودوا قرابتى التى هى قرابتكم أيضا

(قوله ومن كان يريد حرث الدنيا الخ) أى بعمله وخدمته والمعنى من صرف نيته للدنيا وجعل عمله وخدمته لها نعطيه ماقسم له منها و بعد ذلك ليس له فى الآخرة حظ ولا نصيب ، فالذى ينبغى للشخص أن يسعى فيما يرضى ربه و يقصد بعمله وجه خالقه وسيده يحصل له غنى الدنيا والآخرة . ومن معنى هذه الآية حديث «إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرىء مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه» وحديث «أوحى الله إلى الدنيا يادنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه» (قوله ماقسم له) مفعول نؤته (قوله وما له فى الآخرة من نصيب) أى حظ فى النعيم . واعلم أن المقام فيه تفصيل فان تجرد عمله للدنيا وقدم السعى فيها على الايمان فهو مخلد فى النار وليس له فى الآخرة نعيم أصلا وأما إن كان التفريط فيما عدا الايمان كأن يرائى بعمله قصدا لطلب الدنيا فهو مسلم عاص له نعيم فى الآخرة غير كامل (قوله أم لهم شركاء) قدرها المفسر ببل التى للانتقال من قصة إلى قصة وقدرها غيره ببل والهمزة التى للتوبيخ والتقريع وهو متصل بقوله : شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا (قوله هم شياطينهم) أى الذين شاركوهم فى الكفر والعصيان (قوله شرعوا لهم) إسناد الشرع إلى الشياطين مجاز من الاسناد للسبب لأنها سبب إضلالهم (قوله لقضى بينهم) أى حكم بين الكفار والمؤمنين بأن يعذب الكفار و يثيب المؤمنين ولكن حكم الله وقضى فى سابق أزله أن الثواب والعقاب يكونان يوم القيامة (قوله ترى الظالمين) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية (قوله مشفقين حال) أى حال كونهم خائفين فى ذلك اليوم وهذا الخوف زيادة عذاب لهم وأما المنجى فهو الخوف فى الدنيا من عذاب الله (قوله أن يجازوا عليها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أى من جزاء ما كسبوا (قوله لا محالة) أى أشفقوا أولم يشفقوا (قوله والذين آمنوا) مبتدأ خبره فى روضات الجنات (قوله أنزهها بالنسبة إلى من دونهم) أى فروضة الجنة أعلاها وأطيبها وفيه إشارة إلى أن الذين آمنوا ولم يعملوا الصالحات فى الجنة غير أنهم ليسوا فى الأعلى ولافى الأطيب (قوله عند ربهم) ظرف ليشاءون والعندية مجازية (قوله الفضل الكبير) أى الذى لايوصف لأن الله تعالى بجلاله وعظمته وصفه بالكبر فمن ذا الذى يستطيع أن يصفه من الحوادث (قوله ذلك) مبتدأ والذى يبشر خبره والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به فحذف الجار فاتصل الضمير وهذا على الصحيح من أنها اسم موصول وأما على رأى يونس من أنها مصدرية فلا تحتاج إلى عائد والتقدير عنده ذلك تبشير الله عباده (قوله من البشارة) أى وهى الخبر السار (قوله مخففا ومثقلا) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قل لا أسألكم عليه أجرا) أى قل يامحمد لأمتك، لا أطلب منكم أجرا فى نظير تبليغى الرسالة وتبشيرى إياكم ولا خصوصية له صلى الله عليه وسلم بذلك بل جميع الأنبياء لايسألون الأجرة لأن سؤال الأجرة على الأمور الأخروية نقص فى حق غير الأنبياء فأولى الأنبياء (قوله إلا المودة فى القربى) اختلف المفسرون فى معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال : الأول عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده وكان له فيهم قرابة فقال الله عز وجل : قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ، أى مابينى و بينكم من القرابة ، والمعنى إن لم تتبعونى فاحفظوا حق القربى وصلوا

رحمى ولا تؤذونى يعد عليكم نفعها لما فى الحديث « الرحم معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلنى واقطع من قطعنى » فثمرته عائدة عليهم لاعلى النبى صلى الله عليه وسلم . الثانى عنه أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن فى يده سعة فقالت الأنصار إن هذا الرجل هداكم وهو ابن أختكم وأجاركم فى بلدكم فاجمعوا له طائفة من أموالكم ففعلوا ثم أتوه بها فردها عليهم ونزلت الآية وحينئذ فالخطاب للأنصار . الثالث عن الحسن أن معناه إلا أن تجعلوا محبتكم ومودتكم محصورة فى التقرب إلى الله بطاعته وخدمته لالغرض دنيوى، فالقربى على الأول القرابة بمعنى الرحم وعلى الثانى بمعنى الأقارب وعلى الثالث بمعنى القرب والتقرب . واعلم أن طلب الأجر على التبليغ لايجوز لوجوه : الأول تبرى الأنبياء جميعا منه ، الثانى أن التبليغ واجب وطلب الأجرة على أداء الواجب لايليق بأفراد الأمة فضلا عن الأنبياء ، الثالث أن النبوة أمرها عظيم والدنيا وإن عظمت حقيرة لاتزن جناح بعوضة ولا يليق طلب الخسيس فى دفع الشريف وغير ذلك . إن قلت حيث كان الأمر كذلك فما معنى الاستثناء فى الآية . أجيب بجوابين : الأول أن هذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم على حد قول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

فالمعنى لا أطلب إلا هذا وهو فى الحقيقة ليس بأجر لأن المودة بين المسلمين واجبة خصوصا فى حق أشرافهم وحينئذ فيكون الاستثناء متصلا بالنظر للظاهر. الثانى أن الاستثناء منقطع كما قال المفسر وحينئذ فالكلام تم عند قوله قل لا أسألكم عليه أجرا ثم قال إلا المودة فى القربى أى أذكركم قرابتى ، والمراد بقرابته قيل فاطمة وعلى وابناهما وقيل هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس لما روى عن زيد بن أرقم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى قيل لزيد ابن أرقم فمن أهل بيته فقال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس» وقيل هم الذين تحرم عليهم الزكاة وقيل غير ذلك فتحصل أن الخطاب على القول الأول لقريش وعلى الثانى للأنصار والعبرة بعموم اللفظ لأن رحم النبى رحم لكل مؤمن

فإن له فى كل بطن من قريش قرابة (وَمَنْ يَقْتَرِفْ) يكتسب (حَسَنَةً) طاعة (نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) بتضعيفها (إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ) للذنوب (شَكُورٌ) للقليل فيضاعفه (أَمْ) بل (يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا) بنسبة القرآن إلى الله تعالى (فَإِنْ يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ) يربط (عَلَىٰ قَلْبِكَ) بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل (وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَاطِلَ) الذى قالوه (وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ) يثبته (بِكَلِمَاتِهِ) المنزلة على نبيه (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ) بما فى القلوب (وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) منهم (وَيَعْفُوا عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ) المتاب منها (وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ) ، بالياء

لقوله تعالى: النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، فمحبة أهل البيت فيها السعادة والسيادة دنيا وأخرى والمرء يحشر مع من أحب وقوله فى القربى الظرفية مجازية . والمعنى إلا المودة العظيمة المحصورة فى القربى وإنما لم يعدها باللام لئلا يتوهم زيادة اللام فيكون الكلام خاليا من البلاغة . فالتعبير بفى للمبالغة إشارة إلى أنهم جعلوا محلا للمودة وهم لها أهل (قوله فإن له فى كل بطن) أى قبيلة (قوله من قريش) أى وهم أولاد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم (قوله حسنة) فسرها ابن عباس بالمودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم (قوله بتضعيفها) أى من عشرة إلى سبعين إلى سبعمائة إلى غير ذلك (قوله شكور للقليل) أى يقبله ويثيب عليه (قوله وقد فعل) أى ختم على قلبه صلى الله عليه وسلم بأن صبره على ماذكر فدل كلامه على أن مشيئة الختم هنا مقطوع بوقوعها (قوله ويمح الله الباطل) كلام مستأنف غير داخل فى حيز الشرط لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقا (قوله بكلماته) أى القرآن (قوله بما فى القلوب) أشار بذلك إلى أنه أطلق المحل وأراد الحال (قوله وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة ولها شروط ثلاثة الإقلاع عن المعصية والندم على فعلها والعزم على أن لايعود إليها أبدا فإن كانت المعصية متعلقة بحق آدمى فيزاد على هذه الثلاثة رابع وهو استسماح صاحب الحق ويكفى عند مالك براءة المجهول فلايشترط عنده أن يعين له ذلك الحق فإذا تاب بالشروط وقدر الله عليه الوقوع فى الذنب مرة أخرى فإنه يتوب ولا يقنط من رحمة الله تعالى ولا ترجع عليه ذنوبه التى تاب منها (قوله منهم) أشار بذلك إلى أن عن بمعنى من والقبول بمعنى الأخذ (قوله المتاب منها) أى ويصح أن المراد ولولم يتب فمن صفاته تعالى أنه يقبل توبة التائب ويعفو عن سيئات من لم يتب إذ لايسأل عما يفعل

(قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يجيبهم إلى ما يسألون) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان والموصول مفعول به والفاعل ضمير يعود على الله تعالى (قوله لبغوا جميعهم) دفع بذلك ما يقال إن البغى حاصل بالفعل فكيف يصح انتفاؤه. فأجاب بأن اللازم المنتفى هو بغى جميعهم، والملزوم بسط الرزق للجميع وإلا فبغى البعض وبسط الرزق للبعض حاصل فى كل زمن (قوله أى طغوا فى الأرض) أى لأن الله تعالى لو سوى فى الرزق بين جميع عباده لامتنع كون البعض محتاجا للبعض، وذلك يوجب خراب العالم وفساد نظامه فأفعال الله تعالى لا تخلو عن مصالح وإن لم يجب على الله فعلها فقد يعلم من حال عبد أنه لو بسط عليه الرزق قاده ذلك إلى الفساد فيزوى عنه الدنيا مصلحة له، فى حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى «إن من عبادى المؤمنين من يسألنى الباب من العبادة وإنى عليم أنى لو أعطيته إياه لدخله العجب فأفسده، وإن من عبادى المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده الفقر، وإن من عبادى المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده الغنى، وإنى لأدبر عبادى لعلمى بقلوبهم فإنى عليم خبير» ثم قال أنس اللهم إنى من عبادك المؤمنين الذين لا يصلحهم إلا الغنى فلا تفقرنى برحمتك (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فيبسطها لبعض دون بعض) أى ويبسطها للبعض أحيانا ويضيقها عليه أحيانا فلا يسأل عما يفعل (قوله إنه بعباده خبير بصير) تعليل لما قبله. والمعنى عليم بالبواطن والظواهر (قوله وهو الذى ينزل) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله من بعد ما قنطوا) العامة على فتح النون وقرئ شذوذا بكسر النون ومضارعها بفتح النون وبه قرئ فى التواتر فتحصل أنه فى المضارع قرئ بالوجهين قراءة سبعية وفى الماضى لم يقرأ فى السبع إلا بالفتح والكسر قراءة شاذة وإن كان لغة فيه (قوله يبسط مطره) أشار بذلك إلى أن المطر سمى باسمين الغيث لأنه يغيث من الشدائد والرحمة لأنه رحمة وإحسان للخلق ويصح أن يراد بالرحمة البركات أى بركات الغيث ومنافعه فى كل شىء من السهل والجبل والنبات والحيوان وحينئذ فيكون عطفه على ما قبله من عطف المسبب على السبب (قوله المحمود عندهم) أى وعند جميع المخلوقات، وإنما خص المؤمنين تشريفا لهم (قوله ومن آياته) أى دلائل قدرته وعجائب وحدانيته (قوله خلق السموات والأرض) أى فإنهما بذاتهما وصفاتهما يدلان على اتصاف خالقهما بالكمالات قال تعالى: أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها الآية (قوله وخلق ما بث) أشار بذلك إلى أن قوله وما بث معطوف على السموات مسلط عليه خلق ويصح أن يكون فى محل رفع عطف على خلق (قوله هى ما يدب على الأرض) أشار بذلك إلى أن المراد فى أحدهما فهو من إطلاق المثنى على المفرد كما فى قوله تعالى: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، وإنما يخرجان من أحدهما وهو الملح، وهذا أسلم وأحسن مما قيل إن الآية باقية على ظاهرها ولا مانع من أن الله تعالى خلق حيوانات فى السموات يمشون فيها كمشى الأناسى على الأرض لأن ذلك بعيد من الافهام لكونه على خلاف العرف العام (قوله إذا يشاء) متعلق بجمعهم وقدير خبر الضمير وعلى جمعهم متعلق بقدير والمعنى وهو قدير على جمعهم فى أى وقت شاء وهو معنى قوله تعالى: إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فمتى أراد الله شيئا أبرزه بقدرته (قوله فى الضمير) أى وهو قوله على جمعهم ولو لم يرد التغليب لقال على جمعها (قوله خطاب للمؤمنين) أى وأما مصائب الكفار فى الدنيا فتعجيل لبعض العقاب لهم.

بالياء والتاء (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ) يجيبهم إلى ما يسألون (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ. وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ) جميعهم (لَبَغَوْا) جميعهم أى طغوا (فِى الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ) بالتخفيف والتشديد من الأرزاق (بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ) فيبسطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغى (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ. وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ) المطر (مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا) يئسوا من نزوله (وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) يبسط مطره (وَهُوَ الْوَلِيُّ) المحسن للمؤمنين (الْحَمِيدُ) المحمود عندهم (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ) خلق (مَا بَثَّ) فرق ونشر (فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ) هى ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم (وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ) للحشر (إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) فى الضمير تغليب العاقل على غيره (وَمَا أَصَابَكُمْ) خطاب للمؤمنين،

(قوله من مصيبة) بيان لما وقوله فبما كسبت أيديكم جواب الشرط إن جعلت ماشرطية أوخبر المبتدا إن جعلت موصولة وقرنت بالفاء لما فى المبتدإ من معنى الشرط وهذا على ثبوت الفاء ، وأما على قراءة حذفها فالأولى جعلها خبرا وما موصولة وجعلهاشرطية يلزم عليه حذف الفاء فى جوابه وهو شاذ والقراءتان سبعيتان (قوله و يعفواعن كثير) من تمة قوله : فبما كسبت أيديكم . والمعنى أن الذنوب قسمان قسم تعجل العقوبة عليه فى الدنيا بالمصائب وقسم يعفو عنه فلا يعاقب عليه بها وما يعفو عنه أكثر قال على بن أبى طالب هذه الآية أرجى آية فى كتاب الله عزّ وجلّ و إذا كان يكفر عنى بالمصائب و يعفوعن كثير فأىّ شىء يبقى بعد كفارته وعفوه ، وقد روى هذا المعنى مرفوعا عنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال على بن أبى طالب ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله حدثنا بها النبى صلى الله عليه وسلم : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم الآية ياعلى ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة وماعفا عنه فى الدنيا فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه ، وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم «مامن اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكتة حجر إلا بذنب ومايعفو الله عنه أكثر» وقال الحسن دخلنا على عمران بن حصين فقال رجل لابد أن أسألك عما أرى بك من الوجع ، فقال عمران يا أخى لاتفعل فوالله إنى لأحب الوجع ، ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله قال تعالى : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فهذا مما كسبت يدى وعفو ربى عما بقى أكثر ، وقال عكرمة : مامن نكبة أصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره إلا بها أو لنيل درجة لم يكن ليوصله إليها إلا بها وروى أن رجلا قال لموسى ياموسى سل الله لى فى حاجة يقضيها لى هو أعلم بها ففعل موسى فلما ترك إذا هو بالرجل قدمزق السبع لحمه وقتله فقال موسى يارب مابال هذا فقال الله تعالى ياموسى انه سألنى درجة علمت أنه لايبلغها بعمله فأصبته بما ترى لأجعله وسيلة له فى نيل تلك الدرجة

(مِنْ مُصِيبَةٍ) بلية وشدة (فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) أى كسبتم من الذنوب ، وعبر بالأيدى لأن أكثر الأفعال تزاول بها (وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) منها فلا يجازى عليها وهو تعالى أكرم من أن يثنى الجزاء فى الآخرة وأما غير المذنبين فما يصيبهم فى الدنيا لرفع درجاتهم فى الآخرة (وَمَا أَنْتُمْ) يا مشركين (بِمُعْجِزِينَ) الله هربا (فِى الْأَرْضِ) فتفوتونه (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يدفع عذابه عنكم (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ) السفن (فِى الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) كالجبال فى العظم (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ) يصرن (رَوَاكِدَ) ثوابت لا تجرى (عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ

لكل

(قوله وهو تعالى أكرم الخ) متعلق بقوله فبما كسبت أيديكم فكان المناسب تقديمه بلصقه (قوله من أن يثنى الجزاء فى الآخرة) أى من أن يعيد الجزاء بالعقوبة فى الآخرة لأن الكريم لايعاقب مرتين (قوله وأما غير المذنبين) أى كالأنبياء والأطفال والمجانين (قوله لرفع درجاتهم) وقيل فى الأطفال إن مصائبهم لتكفير سيئات أبويهم وفى الحقيقة رفع درجات لهم وتكفير لآبائهم (قوله يامشركين) كذا فى النسخ التى بأيدينا . والصواب يامشركون لأن المنادى يبنى على مايرفع به وهو يرفع بالواو (قوله بمعجزين الله) أى فارّين من عذابه (قوله ومن آياته) أى أدلة توحيده وعجائب قدرته (قوله الجوار) بحذف الياء خطا لأنها من ياآت الزوائد و إثباتها فى اللفظ وصلا ووقفا وحذفها كذلك أربع قراءات سبعيات (قوله السفن) استشكل بأن ظاهر الآية يوهم حذف الموصوف و إبقاء صفته مع أن الجرى ليس من الصفات الخاصة بالموصوف وهو السفن وحينئذ فلا يجوز حذفه لعدم علمه قال ابن مالك : ومامن المنعوت والنعت عقل يجوز حذفه وفى النعت يقل أجيب بأن محل الامتناع إذا لم تجر الصفة مجرى الجوامد بأن تغلب عليها الاسمية كالأبطح والأبرق والأجرع و إلا جاز حذف الموصوف ولذلك فسر الجوار بالسفن ولم يقل أى السفن الجارية (قوله فيظللن) بفتح اللام فى قراءة العامة من ظلل بكسرها كعلم وقرئ شذوذا فيظللن بكسر اللام من ظللَ بفتحها كضرب (قوله أى يصرن) أشار بذلك إلى أن المراد من ظل الصيرورة فى ليل أو نهار ، وليس المراد معناها وهو إتصاف المخبر عنه بالخبر نهارا (قوله رواكد) جمع راكد يقال ركد الماء ركودا من باب قعد سكن و يوصف به الريح والسفينة وكل شىء سكن بعد تحركه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الايمان فاستجابوا له ونقب عليهم اثنى عشر نقيبا قبل الهجرة (قوله أجابوه إلى مادعاهم الخ) أى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار المفسر إلى أن السين والتاء زائدتان (قوله وأقاموا الصلاة) أى أدوها بشروطها وآدابها (قوله وأمرهم شورى بينهم) والشورى مصدر شاورته أى شاركته فى الرأى كالبشرى وكانت الأنصار قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أمرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك قال تعالى - وشاورهم فى الأمر - تأليفا لقلوب أصحابه وذلك فى الأمور الاجتهادية كالحروب ونحوها ولم يكن يشاورهم فى الأحكام لأنها منزلة من عند الله تعالى وكانت الصحابة بعده صلى الله عليه وسلم يتشاورون فى المهمات من أمور الدين والدنيا وأول ماتشاور فيه الصحابة الخلافة لأن النبى لم ينص عليها فوقع بينهم اختلاف، ثم اجتمعوا وتشاوروا فيه فقال عمر نرض لدنيانا مارضيه النبى لديننا فوافقوه على ذلك وبالجملة فالشورى أمرها عظيم قال الحسن ماتشاور قوم قط إلاهدوا إلى أرشد أمورهم، وفى الحديث «إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاؤكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإن كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها» (قوله وبما رزقناهم ينفقون) أى فى وجوه البر وكانوا يقدمون غيرهم عليهم قال تعالى فى وصفهم - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (قوله ومن ذكر صنف) أى المؤمنون المتقدمون فتحصل أن الله تعالى جعل المؤمنين صنفين: صنفا يعفون عمن ظلمهم وقد ذكرهم الله تعالى فى قوله - وإذا ماغضبوا هم يغفرون - وصنفا ينتقمون ممن ظلمهم وقد ذكرهم الله فى قوله - والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون - (قوله هم ينتصرون) هذا فى الاعراب كقوله - وإذا ماغضبوا هم يغفرون - سواء بسواء ويزيد هنا أنه يصح أن يكون هم توكيدا للضمير المنصوب فى أصابهم وحينئذ ففيه الفصل بين المؤكد والمؤكد بالفاعل (قوله وهذا) أى قوله مثلها وقوله من الجراحات أى وغيرها من سائر الحقوق التى يمكن استيفاؤها (قوله قال بعضهم) هو مجاهد والسدى (قوله فمن عفا) الفاء للتفريع أى إذا كان الواجب فى الجزاء رعاية المماثلة فالأولى العفو والاصلاح لتعذر المماثلة غالبا (قوله وأصلح الود بينه وبين المعفو عنه) أشار بذلك إلى أن الاصلاح من تمام العفو وفيه تحريض وحث على العفو فان أمره عظيم وفيه تفويض الأمر إلى الله تعالى والله لايخيب من فوض الأمر إليه (قوله أى البادئين بالظلم) أى الذين فعلوا الظلم ابتداء (قوله ولمن انتصر بعد ظلمه) اللام للابتداء ومن شرطية وجملة فأولئك الخ جواب الشرط أو موصولة مبتدأ وقوله فأولئك خبره ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط (قوله أى ظلم الظالم إياه) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف لمفعول وفى هذه الآية اشارة إلى أن للمظلوم أن يأخذ حقه ممن ظلمه بنفسه وهو جائز بشرط أن لا يزيد على حقه وأن يأمن من ولاة الأمور وأن يكون حقه ثابتا (قوله فأولئك ماعليهم من سبيل) أى لأنهم فعلوا ماهو جائز لهم (قوله بغير الحق) قيد به اشارة إلى أن البغى قد يكون مصحوبا بالحق كما إذا أخذ حقه مع التجاوز فيه .

أجابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) أداموها (وَأَمْرُهُمْ) الذى يبدو لهم (شُورَى بَيْنَهُمْ) يتشاورون فيه ولا يعجلون (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أعطيناهم (يُنْفِقُونَ) فى طاعة الله ومن ذكر صنف (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ) الظلم (هُمْ يَنْتَصِرُونَ) صنف أى ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال تعالى (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) سميت الثانية سيئة لمشابهتها للأولى فى الصورة ، وهذا ظاهر فيما يقتص فيه من الجراحات . قال بعضهم : وإذا قال له أخزاك الله فيجيبه أخزاك الله (فَمَنْ عَفَا) عن ظالمه (وَأَصْلَحَ) الودّ بينه وبين المعفو عنه (فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) أى إن الله يأجره لامحالة (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) أى البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ) أى ظلم الظالم إياه (فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) مؤاخذة (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ) يعملون (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) بالمعاصى (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم ،

(ولمن

(قوله لكل صبار) أى كثير الصبر على البلايا عظيم الشكر على العطايا (قوله عطف على يسكن) أى فالمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن ولامفهوم له بل قد يغرقها الله بسبب آخر كقلع لوح أو غير ذلك (قوله بعصف الريح بأهلهن) أى اشتدادها و إنما قيد به و إن كانت أسباب الغرق كثيرة نظرا للشأن والغالب (قوله أى أهلهن) تفسير للواو فى كسبوا العائد على أهل السفن المعلوم من السياق (قوله و يعف عن كثير) قرأ العامة بالجزم عطفا على جواب الشرط واستشكل بأنه يلزم عليه دخول العفو فى حيز المشيئة مع أنه اخبار عن العفو من غير شرط المشيئة . وأجيب بأن الجزم من حيث الصورة الظاهرية لامن حيث المعنى وقرئ شذوذا و يعفو بالرفع والنصب أما قراءة الرفع فهى محتملة لوجهين : الأول الاستئناف الثانى الجزم وزيدت الواو للاشباع كزيادتها فى من يتقى و يصبر وأما قراءة النصب فهى على إضمار أن بعد الواو قال ابن مالك :

والفعل من بعد الجزا إن يقترن   بالفا أو الواو بتثليث قمن

وهذا نظير ماقيل فى قوله تعالى ـ فيغفر لمن يشاء ـ (قوله منها) أى الذنوب أو السفن (قوله بالرفع مستأنف) أى وهو يعلم وقوله و بالنصب أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لينتقم منهم) أى بالغرق وهو تعليل للاغراق (قوله فما أوتيتم) ما الشرطية مفعول ثان لأوتيتم والأول ضمير المخاطبين به نائب الفاعل ومن شىء بيان لما وقوله فمتاع الحياة الدنيا جملة من مبتدإ وخبر جواب الشرط

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) هو المؤمن يصبر فى الشدة و يشكر فى الرخاء (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) عطف على يسكن أى يغرقهن بعصف الريح بأهلهن (بِمَا كَسَبُوا) أى أهلهن من الذنوب (وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ) منها فلا يغرق أهله (وَيَعْلَمُ) بالرفع مستأنف و بالنصب معطوف على تعليل مقدر أى يغرقهم لينتقم منهم و يعلم (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) مهرب من العذاب وجملة النفى سدت مسد مفعولى يعلم والنفى معلق عن العمل (فَمَا أُوتِيتُمْ) خطاب للمؤمنين وغيرهم (مِنْ شَيْءٍ) من أثاث الدنيا (فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يزول (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ويعطف عليه (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ) موجبات الحدود من عطف البعض على الكل (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) يتجاوزون (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) ،

(قوله من أثاث الدنيا) أى منافعها من مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومركب وغير ذلك واحده أثاثة وقيل لاواحد له من لفظه (قوله ثم يزول) أخذ من قوله متاع لأن المتاع هو مايتمتع به تمتعا ينقضى (قوله للذين آمنوا) أى اتصفوا بالايمان وماتوا عليه (قوله وعلى ربهم يتوكلون) أى يعتقدون أن لاملجأ لهم من الله إلا إليه ولاضار ولانافع سواه والتوكل بهذا المعنى شرط فى صحة الايمان وأما إن أريد به تفويض الأمور إليه والاعتماد عليه فى جميع ماينزل بالشخص فليس شرطا فى صحته بل هو وصف كامل الايمان وليس مرادا هنا لأن ماعند الله من الثواب يكون لعموم المؤمنين (قوله و يعطف عليه) أى على قوله للذين آمنوا (قوله يجتنبون كبائر الاثم) هى كل ماورد فيها حد أو وعيد (قوله من عطف البعض على الكل) مراده عطف الخاص على العام لأن من الكبائر مافيه الوعيد ولاحد فيه كالغيبة والنميمة والعجب والرياء (قوله و إذا ماغضبوا الخ) إذا ظرف منصوب بيغفرون مجرد عن معنى الشرط وما صلة وهم مبتدأ و يغفرون خبره والجملة معطوفة على الصلة والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون عطف جملة اسمية على فعلية و يصح أن تكون إذا شرطية وما صلة وغضبوا فعل الشرط وهم تأكيد للواو و يغفرون جواب الشرط وأما جعل هم يغفرون جملة من مبتدإ وخبر جواب الشرط فشاذ لخلوه من الفاء ولاينبغى حمل التنزيل عليه والمعنى أن مكارم الأخلاق التجاوز والحلم عند حصول الغضب ولكن يشترط أن يكون الحلم غير مخل بالمروءة ولاواجبا و إلا فالغضب مطلوب كما إذا انتهكت حرمات الله فالواجب الغضب لا الحلم وعليه قول الامام الشافعى : من استغضب ولم يغضب فهو حمار . وقال الشاعر :

إذا قيل حلم قل فالحلم موضع   وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

و بالجملة فكل مقام له مقال (قوله والذين استجابوا لربهم) معطوف على الموصول المتقدم وهذه الآية نزلت فى الأنصار دعاهم

(قوله ولمن صبر الخ) عطف على قوله : ولمن انتصر بعد ظلمه ، وجملة إنما السبيل الخ اعتراض وكرر الصبر اهتماما به وترغيبا فيه و إشارة إلى أنه محمود العاقبة وهو أولى إن لم يترتب عليه مفسدة و إلا كان الانتصار أولى (قوله لمن عزم الأمور) أى من الأمور التى امر الله بها وأكد عليها (قوله ومن يضلل الله) أى يمنعه عن الهدى (قوله وترى الظالمين) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية وهى بصرية والجملة بعدها حال (قوله لما رأوا العذاب) عبر عنه بالماضى إشارة لتحقق الوقوع (قوله يعرضون عليها) حال وكذا قوله : خاشعين (قوله أى النار) أى المعلومة من دلالة العذاب عليها (قوله من الذل) متعلق بخاشعين : أى من أجل الذل (قوله مسارقة) أى يسارقون النظر إليها خوفا منها وذلا فى أنفسهم (قوله يوم القيامة) ظرف لخسروا والقول واقع فى الدنيا أوظرف لقال فهو واقع يوم القيامة وعبر بالماضى لتحقق الوقوع (قوله بتخليدهم فى النار الخ) لف ونشر مرتب (قوله وما كان لهم) خبر مقدم ومن أولياء اسمها مؤخر ومن زائدة و ينصرونهم صفة لأولياء (قوله استجيبوا لربكم) السين والتاء زائدتان كما أشار له المفسر بقوله : أجيبوه ، والمعنى أجيبوا داعى ربكم وأطيعوه فيما يأمركم به من التوحيد والعبادة (قوله من قبل أن يأتى يوم الخ) أى أطيعوا فى الدنيا التى هى ظرف للأعمال والايمان قبل أن يأتى يوم الحسرة والندامة فإنه إذا جاء لايرده الله ففيه وعيد للكافرين (قوله لايرده) أشار بذلك إلى أن قوله من الله متعلق بمرد (قوله من ملجأ) أى مفر ومهرب (قوله إنكار لذنوبكم) أى لأنها مكتوبة فى صحائفكم تشهد بها الملائكة والجوارح ، والمراد إنكار نافع و إلا فالكفار أولا ينكرون الذنوب طمعا فى العفو ثم لما لم يجدوا مخلصا يقرون ، وما قاله المفسر أوضح مما قاله غيره إن المراد بالنكير الناصر الذى ينصرهم لاغناء قوله من ملجأ عنه (قوله فما أرسلناك عليهم حفيظا) هذه الجملة تعليل للجواب المحذوف ، والتقدير فلا تحزن أو لاعتاب عليك أو لا تكلف بشىء لأننا ما أرسلناك الخ (قوله بأن توافق) أى أعمالهم الصادرة منهم ، وقوله المطلوب منهم : أى الأعمال المطلوبة منهم كالايمان والطاعة . والمعنى لم نرسلك لتخلق الهدى فى قلوبهم وتجعل أعمالهم موافقة للوجه الذى طلبناه منهم (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) اسم الإشارة عائد على الحصر ، والمعنى أن هذا الحصر منسوخ لأنه بعد الأمر بالجهاد عليه البلاغ والقتال (قوله و إنا إذا أذقنا الإنسان الخ) الحكمة فى تصدير النعمة بإذا والبلاء بإن الإشارة إلى أن النعمة محققة الحصول بخلاف البلاء لأن رحمة الله تغلب غضبه (قوله فرح بها) أى فرح بطر وتكبر (قوله الضمير) أى فى تصبهم

(وَلَمَنْ صَبَرَ) فلم ينتصر (وَغَفَرَ) تجاوز (إِنَّ ذَٰلِكَ) الصبر والتجاوز (لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أى معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ) أى أحد يلى هدايته بعد إضلال الله إياه (وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ) إلى الدنيا (مِنْ سَبِيلٍ) طريق (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) أى النار (خَاشِعِينَ) خائفين متواضعين (مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ) إليها (مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) ضعيف النظر مسارقة ومن ابتدائية أو بمعنى الباء (وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بتخليدهم فى النار وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم فى الجنة لو آمنوا والموصول خبر إن (أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ) دائم هو من مقول الله تعالى (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره يدفع عذابه عنهم (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ) طريق إلى الحق فى الدنيا و إلى الجنة فى الآخرة (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ) أجيبوه بالتوحيد والعبادة (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ) هو يوم القيامة (لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) أى أنه إذا أتى به لا يرد (مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ) تلجئون إليه (يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) إنكار لذنوبكم (فَإِنْ أَعْرَضُوا) عن الاجابة (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم (إِنْ) ما (عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) وهذا قبل الأمر بالجهاد (وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً) نعمة كالغنى والصحة (فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ) الضمير للانسان »

(قوله باعتبار الجنس) أى الاستغراق لجمعه باعتبار المعنى (قوله بما قدمت أيديهم) فى ذلك إشارة إلى أن المصيبة تكون بسبب كسب المعاصى والنعمة تكون بمحض فضل الله . قال تعالى ـ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ـ فالواجب على الإنسان إذا أعطاه الله نعمة أن يشكره عليها ويصرفها فيما يرضيه وإذا أصيب بمصيبة فليصبر عليها ويحمده عليها فلعلها تكون كفارة لما اقترفه (قوله لله ملك السموات والأرض) أى يتصرف فيهما كيف يشاء (قوله يخلق مايشاء) أى من حيوانات وغيرها (قوله يهب) من وهب كوضع والمصدر وهبا بسكون الهاء وفتحها وهبة والاسم الوهب والموهبة بكسر الهاء فيهما وهو العطاء من غير مقابل ولا عوض (قوله لمن يشاء) أى الآباء والأمهات (قوله من الأولاد) متعلق بيهب لابيان لمن لأنها عبارة عن الآباء والأمهات (قوله إناثا) قدمهن إشارة إلى أنه يفعل مايشاء لامايشاؤه عباده فالإناث مما يشاؤه هو ونكرهن لانحطاط رتبتهن عن الذكور ولذا عرف الذكور وقدمهم آخرا (قوله أى يجعلهم ذكرانا وإناثا) أشار بذلك إلى أن ذكرانا وإناثا مفعول ثان ليزوج ، والمعنى يجعل الأولاد ذكرانا وإناثا حال كونهم مزدوجين (قوله ويجعل من يشاء عقيما) من واقعة على الرجل والمرأة فقوله فلايلد : أى إذا كان امرأة ، وقوله ولايولد له : أى إذا كان رجلا فالعقيم هو الذى لايولد له ذكرا أو أنثى وفعله من باب فرح ونصر وكرم . وقال ابن عباس : يهب لمن يشاء إناثا يريد لوطا وشعيبا عليهما السلام لأنهما لم يكن لهما إلا البنات ويهب لمن يشاء الذكور يريد إبراهيم عليه السلام لأنه لم يكن له إلا الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كان له

من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبدالله وإبراهيم ومن البنات أربع زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، ويجعل من يشاء عقيما يريد يحيى وعيسى عليهما السلام انتهى ولكن حمل الآية على العموم أولى لأن المراد بيان نفاذ قدرته تعالى فى الكائنات كيف يشاء (قوله أن يكلمه) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر اسم كان (قوله إلاأن يوحى إليه وحيا) أشار بذلك إلى أن وحيا منصوب على الاستثناء المفرغ أى خلافا لمن قال إنه منقطع نظرا لظاهر اللفظ فان الوحى ليس بتكليم والوحى الإشارة والرسالة والكتابة وكل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه ثم غلب استعماله فيما يلقى إلى الأنبياء (قوله فى المنام) أى فرؤيا الأنبياء حق وذلك لما وقع للخليل حين أمر بذبح ولده فى المنام ولرسول الله حين رأى أنه يدخل مكة فصدق الله رؤياها ، وقوله أو بالإلهام : أى الالقاء فى القلوب لابواسطة ملك وقد يقع الالهام لغير الأنبياء كالأولياء غير أن إلهام الأولياء لامانع من اختلاط الشيطان به لأنهم غير معصومين بخلاف الأنبياء فالهامهم محفوظ منه (قوله أو إلامن وراء حجاب) أشار بذلك إلى أن من وراء حجاب معطوف على وحيا باعتبار متعلقه تقديره إلا أن يوحى إليه أو يكلمه (قوله ولا يراه) أشار بذلك إلى أن المراد من الحجاب لازمه وهو عدم الرؤية والحجاب وصف العبد لاوصف الرب (قوله كما وقع للسيد موسى) أى فى جميع مناجاته كما تقدم مفصلا (قوله أو يرسل رسولا) برفع اللام وكذا يوحى ونصبهما قراءتان سبعيتان فالرفع خبر لمحذوف : أى هو يرسل والنصب على أنه معطوف على وحيا باضمار أن قال ابن مالك

وإن على اسم خالص فعل عطف   تنصبه أن ثابتا أو منحذف

(قوله كجبريل) أدخلت الكاف غيره كاسرافيل وملك الجبال فان الله تعالى أرسل كلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله إنه على عن صفات المحدثين) أى منزه ومقدس عنها (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الشئ فى محله .

باعتبار الجنس (سَيِّئَةٌ) بلاء (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) أى قدموه ، وعبر بالأيدى لأن أكثر الأفعال تزاول بها (فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ) للنعمة (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ) من الأولاد (إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ) أى يجعلهم (ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا) فلا يلد ولا يولد له (إِنَّهُ عَلِيمٌ) بما يخلق (قَدِيرٌ) على مايشاء (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا) أن يوحى إليه (وَحْيًا) فى المنام أو بالإلهام (أَوْ) إلا (مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) بأن يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام (أَوْ) إلا أن (يُرْسِلَ رَسُولًا) ملكا كجبريل (فَيُوحِيَ) الرسول إلى المرسل إليه أى يكلمه (بِإِذْنِهِ) أى الله (مَا يَشَاءُ) الله (إِنَّهُ عَلِيٌّ) عن صفات المحدثين (حَكِيمٌ) فى صنعه (وَكَذَلِكَ)

أى مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يامحمد (رُوحًا) هو القرآن به تحيا القلوب (مِنْ أَمْرِنَا) الذى نوحيه إليك (مَا كُنْتَ تَدْرِى) تعرف من قبل الوحى إليك (مَا الْكِتَابُ) القرآن (وَلَا الْإِيمَانُ) أى شرائعه ومعالمه والنفى معلق للفعل عن العمل أو مابعده سد مسد المفعولين (وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ) أى الروح أو الكتاب (نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى) تدعو بالوحى إليك (إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) دين الاسلام (صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) ملكا وخلقاً وعبيداً (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) ترجع .

(ســـــورة الزخرف)

مكية ، وقيل إلا قوله تعالى « واسأل من أرسلنا » الآية ، تسع وثمانون آية

(قوله أى مثل إيحائنا إلى غيرك الخ) التشبيه فى مطلق الإيحاء والإرسال لأنه صلى الله عليه وسلم وقع له الكلام والرؤية بخلاف باقى الأنبياء فهو من تشبيه الأكمل بالكامل فى سابقية الكامل فى الوجود فالحصر المتقدم بالنسبة للأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم فلا يقال إن الآية تدل على أن الوحى منحصر فى هذه الثلاثة ولا يشمل الكلام مشافهة مع أنه وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هو القرآن) هذا أحد تفاسير فى الروح ، وقيل هو الرحمة ، وقيل الوحى ، وقيل الكتاب ، وقيل جبريل (قوله به تحيا القلوب) أى فشبه القرآن بالروح من حيث إن كلا به الحياة فالقرآن به حياة الأرواح والروح بها حياة الأشباح (قوله من أمرنا) من تبعيضية حال ، والمعنى حال كون هذا القرآن بعض مانوحيه إليك لأنه ورد أنه أعطى القرآن ومثله معه (قوله ما الكتاب) الكلام على حذف مضاف ، أى جواب ما الكتاب ، والمعنى جواب هذا الاستفهام (قوله ولا الإيمان) إن قلت إن الأنبياء لم تحجب أرواحهم بدخولها فى الأشباح عن التوحيد الأصلى الكائن فى يوم ألست بربكم بل بعض الأولياء كذلك فكيف يقال فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام ولا الإيمان مع أنه كان يتعبد قبل البعثة وحاشاه أن يعبد الله مع جهله بمعبوده . أجاب المفسر بأن الكلام على حذف مضاف : أى شرائع الإيمان ومعالمه كالصلاة والصوم والزكاة والطلاق والغسل من الجنابة وتحريم المحارم بالقرابة والصهر والمراد بالإيمان الاسلام (قوله والنفى معلق) صوابه الاستفهام لأنه متأخر عن النفى وهو المعلق للفعل عن العمل لفظا (قوله أو مابعده) أو بمعنى الواو (قوله نهدى به) صفة لنورا وسمى نورا لأن بالنور الاهتداء فى الظلمات الحسية فكذا القرآن يهتدى به فى الظلمات المعنوية ، والمراد الهداية الموصلة بدليل قوله من نشاء (قوله وإنك لتهدى) أى تدل والمفعول محذوف أى كل مكلف فتحصل أن المعنى أنت يا محمد عليك التبليغ والدلالة وإقامة الحجج ونحن نخلق الهداية والتوفيق فى قلب من نختاره من عبادنا (قوله دين الإسلام) أى وسمى طريقا لأنه يحصل به الوصول إلى المقصود كالطريق الحسى (قوله صراط الله) بدل من صراط الأول بدل معرفة من نكرة (قوله ألا إلى الله تصير الأمور) ألا أداة استفتاح يؤتى بها للاهتمام بما بعدها والجار والمجرور متعلق بتصير قدم للحصر وأتى بهذه الجملة عقب التى قبلها إشارة إلى أن كل شئ من الله وإلى الله فأفاد بالجملة الأولى أن جميع مافى السموات ومافى الأرض مملوك له وناشئ منه وأفاد بالجملة الثانية أن جميع هذه الأشياء مرجعها إليه فى كل ذرة ولمحة فلاغنى لها عنه تعالى والمراد من المضارع الدوام ، والمعنى شأنه رجوع الأمور إليه تعالى وليس المراد حقيقته لأن الأمور متعلقة به فى كل وقت فاذا علمت ذلك فكل شئ لايستغنى عن الله تعالى طرفة عين . قال العارف الشاذلى : ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك فاذا شاهد الانسان ذلك أورثه مقام المراقبة ورؤية عجز نفسه واضطرارها وافتقارها إلى مالكها وفى ذلك فليتنافس المتنافسون [فائدة] قال سهل بن أبى الجعد احترق مصحف فلم يبق منه إلا قوله : ألا إلى الله تصير الأمور وغرق مصحف فامحى كله إلا قوله : ألا إلى الله تصير الأمور انتهى .

[سورة الزخرف] سميت باسم كلمة منها ، وهو قوله تعالى ـ وزخرفا ـ (قوله مكية) أى كلها حتى هذه الآية بناء على أن المراد سؤال نفس الرسل وكان ذلك ليلة الاسراء ببيت المقدس فتكون مكية لكونها قبل الهجرة (قوله وقيل إلا قوله تعالى واسأل من أرسلنا الخ) أى بناء على أن المعنى واسأل من أمم رسلنا والمراد بهم اليهود والنصارى .

(قوله والكتاب المبين) هذا هو المقسم به والمقسم عليه هو قوله - إنا جعلناه قرآنا عربيا - وهو من أنواع البلاغة حيث جعل المقسم والمقسم عليه من واد واحد كأن الله تعالى يقول: ليس عندى أعظم من كلامى حتى أقسم به (قوله أوجدنا الكتاب) أى صيرناه مقروءا أى مجموعا سورا موصوفة بكونها عربية رحمة منا وتنزلا لعبادنا لعجزهم عن شهود الوصف القائم بنا فحدوثه من حيث قيامه بالمخلوقات وقدمه من حيث وصف الله به، وقد تنزه وصفه عن الحروف والأصوات والجمع والتفرق فتدبر ودفع بذلك ماقيل إن ظاهر الآية يدل على حدوث القرآن من وجوه ثلاثة: الأول أنها تدل على أن القرآن مجعول والمجعول هو المصنوع والمخلوق. والثانى أنه وصفه بكونه قرآنا والمجموع بعضه لبعض مصنوع. والثالث وصفه بكونه عربيا والعربى ما كان بلغة العرب وذلك يدل على أنه مجعول. وأجاب الرازى أيضا عن ذلك أن هذا الذى ذكرتموه حق لأنكم استدللتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة وذلك معلوم بالضرورة وليس لكم منازع فيه (قوله وإنه مثبت الخ) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور خبر إن وقوله لعلىّ خبر ثان، واعترض بأنه يلزم عليه تقديم الخبر الغير المقرون باللام على المقرون بها وفى جوازه خلاف فالأحسن أن الجار والمجرور متعلق بعلىّ ولا يقال إن لام الابتداء لها صدر الكلام لأنه يقال محل ذلك فى فى غير باب إن كما قال ابن هشام فى مغنيه لأنها فيه مؤخرة من تقديم ولهذا تسمى المزحلقة (قوله بدل) أى من الجار والمجرور وقوله عندنا تفسير للدينا (قوله لعلىّ) أى رفيع الشأن على غيره من الكتب (قوله أفنضرب) الهمزة داخلة على

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. حٰمۤ) الله أعلم بمراده به (وَالْكِتَابِ) القرآن (الْمُبِينِ) المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه من الشريعة (إِنَّا جَعَلْنَاهُ) أوجدنا الكتاب (قُرْآناً عَرَبِيًّا) بلغة العرب (لَعَلَّكُمْ) يا أهل مكة (تَعْقِلُونَ) تفهمون معانيه (وَإِنَّهُ) مثبت (فِى أُمِّ الْكِتَابِ) أصل الكتب: أى اللوح المحفوظ (لَدَيْنَا) بدل: عندنا (لَعَلِىٌّ) على الكتب قبله (حَكِيمٌ) ذو حكمة بالغة (أَفَنَضْرِبُ) نمسك (عَنْكُمُ الذِّكْرَ) القرآن (صَفْحًا) إمساكا فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل (أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ) مشركين؟ لا (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِىٍّ فِى الْأَوَّلِينَ. وَمَا) كان (يَأْتِيهِمْ) أتاهم (مِنْ نَبِىٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ) من قومك (بَطْشًا) قوة (وَمَضَى) سبق فى الآيات (مَثَلُ الْأَوَّلِينَ) صفتهم فى الإهلاك فعاقبة قومك كذلك (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ)،

محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنهملكم فنضرب الخ والاستفهام إنكارى بدليل قول المفسر فى آخر العبارة لا، والمعنى لانهملكم برفع الوحى ومنع إنزال القرآن ونعجل الهلاك من أجل كونكم قوما مسرفين بل نتم نورنا بتمام الانزال لعبادنا، ومن نكث فانما ينكث على نفسه (قوله نمسك) أى عن إنزاله لكم (قوله صفحا) أشار المفسر إلى أنه مفعول مطلق ملاق لعامله وهو نضرب فى المعنى (قوله فلا تؤمرون ولا تنهون) حذف أى بل تصيرون كالبهائم (قوله أن كنتم قوما مسرفين) بكسر الهمزة على أنها شرطية وفتحها على أنها تعليلية قراءتان سبعيتان لكن يرد على القراءة الأولى أن إن تفيد الشك مع أن إسرافهم محقق، ويجاب بأنه يؤتى بها فى مقام التحقق قصدا لتجهيل المخاطب بجعله كأنه متردد فى ثبوت الشرط شاك فيه (قوله وكم أرسلنا كم) كم خبرية بمعنى عددا كثيرا مفعول مقدم لأرسلنا ومن نبىّ تمييز لها وفى الأولين متعلق بأرسلنا: أى فى الأمم الأولين (قوله أتاهم) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضى وعبر عنه بالمضارع استحضارا للصورة العجيبة (قوله من نبى) أى رسول بدليل قوله أرسلنا الخ (قوله وهذا تسلية له) أى قوله وكم أرسلنا، والمعنى تسلّ يا محمد ولا تحزن فإنه وقع للرسل قبلك ما وقع لك (قوله أشد منهم) صفة لموصوف محذوف مفعول لأهلكنا (قوله بطشا) تمييز: أى أهلكنا قوما أشد من قومك من جهة البطش وهو شدة الأخذ (قوله سبق فى الآيات) أى فى القرآن غير مرة (قوله صفتهم فى الإهلاك) وإنما سمى مثلا لغرابته، فإن المثل فى الأصل كلام شبه مضربه بمورده لغرابته (قوله وعاقبة قومك كذلك) أى الهلاك فاصبر على أذى قومك كما صبر من قبلك من الرسل على أذى قومهم وفى هذه الآيات تعليم للأمة أن يصبروا على من آذاهم لينالوا العز الأكبر تأسيا بنبيهم (قوله لام قسم) أى وقوله ليقولن جوابه وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه وهذا على القاعدة فى اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر

حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين (خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) آخر جوابهم : أي الله ذو العزة والعلم ، زاد تعالى (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا) فراشا كالمهد للصبي (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) طرقا (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إلى مقاصدكم في أسفاركم (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) أي بقدر حاجتكم إليه ولم ينزله طوفانا (فَأَنْشَرْنَا) أحيينا (بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ) أي مثل هذا الإحياء (تُخْرَجُونَ) من قبوركم أحياء (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ) الأصناف (كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ) السفن (وَالْأَنْعَامِ) كالإبل (مَا تَرْكَبُونَ) حذف العائد اختصاراً وهو مجرور في الأول : أي فيه منصوب في الثاني (لِتَسْتَوُوا) لتستقروا (عَلَى ظُهُورِهِ) ذكر الضمير وجمع الظهر نظراً للفظ ما ومعناها (ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) مطيقين (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) ،

(قوله حذف منه نون الرفع) أي لتوالي النونات ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين ووجود الدليل عليها وهو الضمة (قوله خلقهن العزيز العليم) كرّر الفعل للتوكيد وإلا فيكفي أن يقال العزيز العليم ، وهذا الجواب مطابق للسؤال من حيث عجزه ولو روعي صدره لجيء بجملة ابتدائية بأن يقال هو العزيز العليم مثلا (قوله آخر جوابهم) أي أن ما ذكر آخر جواب الكفار وأما قوله الذي جعل إلى قوله لمنقلبون فهو من كلامه تعالى زيادة في توبيخهم على عدم التوحيد (قوله كالمهد للصبي) أي الفرش له أي ولو شاء لجعلها متحركة لا يثبت عليها شيء ولا يمكن الانتفاع بها فمن رحمته أن جعل الأرض قارة مسطحة ساكنة (قوله وجعل لكم فيها سبلا) أي بحيث تسلكون فيها إلى مقاصدكم ولو شاء لجعلها سدًّا ليس فيها طرق بحيث لا يمكنكم السير فيها كما في بعض الجبال (قوله أي بقدر حاجتكم) أي فليس بقليل فلا تنتفعون به ولا كثير فيضركم (قوله فأنشرنا) في الكلام التفات من الغيبة للتكلم (قوله تخرجون) أي فالقادر على إحياء الأرض بعد موتها بالماء قادر على إحياء الخلق بعد موتهم (قوله الأصناف) أي الأشكال والأنواع كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى (قوله وجعل لكم من الفلك) أي خلق لكم مواد السفن كالخشب وغيره وألهمكم صنعتها وسيرها لكم في البحر لتنتفعوا بها (قوله كالابل) إن قلت إنه لم يبق شيء من الأنعام يركب سوى الابل فالكاف استقصائية إلا أن يقال المراد بالأنعام ما يركب من الحيوان وهو الابل والخيل والبغال والحمير لأن المقام للامتنان بالركوب (قوله ما تركبون) مفعول لجعل ومن الفلك والأنعام بيان له (قوله حذف العائد اختصارا الخ) أي والمعنى جعل لكم من الفلك ما تركبون فيه ومن الأنعام ما تركبونها فهو مجرور في الأول بفي منصوب في الثاني بالفعل (قوله لتستووا على ظهوره) اللام للتعليل أو للعاقبة والصيرورة متعلقة بجعل (قوله ذكر الضمير) أي المضاف إليه وقوله وجمع الظهر : أي الذي هو المضاف وقوله نظرا للفظ ما الخ لف ونشر مرتب ، والمناسب أن يقول أفرد الضمير وجمع الظهر ولو روعي معناها فيهما لقيل على ظهورها ولو روعي لفظها لقيل على ظهره (قوله ثم تذكروا) أي بقلوبكم (قوله إذا استويتم عليه) أي على ما تركبون ففيه مراعاة لفظ ما وكذا في قوله سخر لنا هذا (قوله وتقولوا سبحان الذي الخ) أي تقولوا بألسنتكم لتجمعوا بين القلب واللسان (قوله هذا) أي المركوب من سفينة ودابة وظاهر الآية أنه يقول ذلك عند ركوب السفينة أو الدابة وهو الأولى ، وقال بعضهم إن هذا مخصوص بالدابة ، وأما السفينة فيقول فيها ـ بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره ـ الآية، وفي الحديث «كان صلى الله عليه وسلم إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله وإنا إلى ربنا لمنقلبون، فإذا كان الانسان يريد السفر زاد اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور وسوء المنظر في الأهل والمال» ومعنى الحور بعد الكور الفرقة بعد الاجتماع ، وورد أن الانسان إذا قرأ هذه الآية عند ركوب الدابة تقول الدابة بارك الله فيك من مؤمن خففت عن ظهري وأطعت ربك أنجح الله حاجتك فالذي ينبغي للانسان أن لا يدع ذكر الله خصوصا في هذه المواطن فإنه معرض فيها للتلف فكم من راكب دابة عثرت به أو طاح عن ظهرها فهلك وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق ، وحينئذ فمنقلبه إلى الله غير منفلت من قضائه فيكون مستعدا لقضاء الله بإصلاح نفسه (قوله وما كنا له مقرنين) الجملة حالية وهو من الإقران أو المقارنة

(قوله لمنصرفون) أي من الدنيا إلى دار البقاء فتذكر بالحمل على السفينة والدابة الحمل على الجنازة ، فالآية منبهة بالسير الدنيوى على السير الأخروى ففيه إشارة للرد على منكرى البعث (قوله وجعلوا له الخ) هذا مرتبط بقوله : ولئن سألتهم الخ والمعنى أنهم ينسبون الخلق لله تعالى ومع ذلك يعتقدون أن له شريكا فالمقصود التأمل فى عقول هؤلاء الكفرة حيث لم يضبطوا أحوالهم (قوله لأن الولد جزء الوالد) أى لأنه خارج من مخه وعظامه وهذا مناف لقولهم : خلقهن العزيز العليم لأن من شأن الوالد أن يكون مركبا والإله ليس بمركب بل هو واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله وشأن الخالق أن يكون مخالفا لما خلقه والولد لابد وأن يكون مماثلا لوالده لأنه جزء منه فتبين أن الولد على الله محال وتبين أن هؤلاء الكفرة حالهم متناقض غير مضبوط (قوله بين) أشار بهذا إلى أن مبين من أبان اللازم ويصح أن يقدر من أبان المتعدى بمعنى مظهر الكفر (قوله بمعنى همزة الانكار) أى والتوبيخ والتقريع وتقدر ببل أو بها والهمزة ففيها ثلاثة أوجه كما تقدم غير مرة (قوله لنفسه) متعلق باتخذ (قوله أخلصكم) أى خصكم (قوله اللازم) بالنصب نعت لقوله وأصفاكم المعطوف على اتخذ الواقع مقولا لقول محذوف فالمعنى أنهم قالوا : الملائكة بنات الله مع كراهة نسبتها لأنفسهم ومحبة نسبة البنين لهم فلزم منه أنهم قالوا

لمنصرفون (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) حيث قالوا الملائكة بنات الله تعالى لأن الولد جزء الوالد والملائكة من عباد الله تعالى (إِنَّ الْإِنْسَانَ) القائل ماتقدم (لَكَفُورٌ مُبِينٌ) بين ظاهر الكفر (أَمِ) بمعنى همزة الإنكار والقول مقدر : أى أتقولون (اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ) لنفسه (وَأَصْفَاكُمْ) أخلصكم (بِالْبَنِينَ) اللازم من قولكم السابق فهو من جملة المنكر (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا) جعل له شبها بنسبة البنات إليه لأن الولد يشبه الوالد ، المعنى إذا أخبر أحدهم بالبنت تولد له (ظَلَّ) صار (وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) متغيرا تغير مغتم (وَهُوَ كَظِيمٌ) ممتلئ غما فكيف ينسب البنات إليه ؟ تعالى عن ذلك (أَوَ) همزة الإنكار وواو العطف بجملة أى يجعلون لله (مَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ) الزينة (وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) مظهر الحجة لضعفه عنها بالأنوثة (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا) حضروا (خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ) بأنهم إناث (وَيُسْأَلُونَ) عنها فى الآخرة فيترتب عليها العقاب (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) أى الملائكة فعبادتنا إياهم بمشيئته فهو راض بها قال تعالى (مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ) المقول من الرضا بعبادتها (مِنْ عِلْمٍ)

إن)

والبنون لنا (قوله فهو من جملة المنكر) أى لعطفه على اتخذ الداخل عليه أم التى هى بمعنى همزة الانكار (قوله وإذا بشر أحدهم الخ) كلام مستأنف تقرير لما قبله وزيادة توبيخ لهم وترق فى الرد عليهم (قوله بما ضرب) ما موصولة واقعة على الأنثى بدليل الآية الأخرى وإذا بشر أحدهم بالأنثى وضرب بمعنى جعل والمفعول الأول محذوف هو العائد : أى ضربه ومثلا هو المفعول الثانى (قوله شبها) أشار بذلك إلى ان المثل بمعنى الشبه : أى المشابه وليس بمعنى الصفة الغريبة (قوله وهو كظيم) الجملة حالية (قوله أو من ينشأ) قرأ العامة بفتح الياء وسكون النون من نشأ و بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مبنيا للمفعول أى يربى قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا ينشأ بضم الياء مخففا و يناشأ كيقاتل مبنيا للمفعول (قوله همزة الانكار الخ) أى أنهما كلمتان لا كلمة واحدة هى أو التى للعطف فتحصل أن من معمولة لمحذوف معطوف بواو العطف على محذوف والتقدير أيجترءون و يسيئون الأدب ويجعلون من ينشأ الخ وقوله الزينة أى أن الأنثى تتزين فى الزينة لنقصها إذ لو كملت فى نفسها لما احتاجت للزينة (قوله وهو فى الخصام غير مبين) الجملة حالية والمعنى غير قادر على تقرير دعواه و إقامة الحجة لنقصان عقله وضعف رأيه ، فقلما تكلمت امرأة تريد أن تتكلم بحجة لها إلا تكلمت بالحجة عليها (قوله مظهر الحجة) أشار بذلك إلى أنه من أبان المتعدى وسابقا أفاد أنه من أبان اللازم وهما استعمالان (قوله وجعلوا الملائكة الخ) المراد بالجعل القول والحكم وهو بيان أنواع أخر من كفرياتهم لأن نسبة للملائكة الذين هم أكمل العباد وأكرمهم على الله للأنوثة التى هى وصف خسة كفر ، ورد أنهم لما قالوا ذلك سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال مايدريكم أنها إناث قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا فنزل ستكتب شهادتهم و يسألون (قوله وقالوا لو شاء الرحمن الخ) مفعول شاء محذوف

أى عدم عبادة الملائكة ماعبدناهم ، وهذا استدلال منهم بنفى مشيئة عدم العبادة على امتناع النهى عنها لزعمهم أن المشيئة متحدة مع الرضا وهوفاسد لأن الله تعالى قد يريد مالايرضاه فهو بيان لنوع آخر من كفرياتهم فتحصل أنهم كفروا بمقالات ثلاث : هذه وقولهم الملائكة إناث وقولهم الملائكة بنات الله (قوله إن هم إلا يخرصون) قاله هنا بلفظ يخرصون وفى الجاثية بلفظ يظنون لان ماهنا متصل بقوله : وجعلوا الملائكة الآية أى قالوا الملائكة بنات الله و إن الله قد شاء عبادتنا إياهم وهذا كذب فناسبه يخرصون وماهناك متصل بخلطهم الصدق بالكذب لأن قولهم نموت ونحيا صدق و إنكارهم البعث وقولهم مايهلكنا إلا الدهر كذب فناسبه يظنون (قوله أم آتيناهم كتابا من قبله) تنويع فى الإنكار عليهم مرتبط بقوله : أشهدوا خلقهم (قوله أى لم يقع ذلك) أشار به إلى أن الهمزة للانكار (قوله بل قالوا إنا وجدنا الخ) أى لم يأتوا بحجة عقلية ولا نقلية بل اعترفوا بأنه لامستند لهم سوى تقليد آبائهم (قوله أمة) قرأ العامة بضم الهمزة بمعنى الطريقة والملة ، وقرئ شذوذا بكسرها بمعنى الطريقة أيضا و بالفتح للمرة من الأم وهوالقصد (قوله ماشون) أشار بتقدير هذا إلى أن الجار والمجرور خبر إن وعليه فيكون مهتدون خبرا ثانيا (قوله مهتدون) قاله هنا بلفظ مهتدون وفيما يأتى بلفظ مقتدون تفننا (قوله وكذلك) أى والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد ، وقوله وماأرسلنا

استئناف مبين لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضا مستند غيره وفيه تسلية لرسول الله (قوله إلا قال مترفوها) جمع مترف اسم مفعول وتفسير المفسر له باسم الفاعل تفسير باللازم (قوله مثل قول قومك) مفعول مطلق نعت مصدر محذوف أى قولا مثل قول قومك وقوله : إنا وجدنا مقول القول (قوله قل لهم) خطاب للنبىّ صلى الله عليه وسلم

إنْ) ما (هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ) يكذبون فيه فيترتب عليهم العقاب به (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ) أى القرآن بعبادة غير الله (فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) ؟ أى لم يقع ذلك (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) ملة (وَإِنَّا) ماشون (عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) بهم وكانوا يعبدون غير الله (وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا) متنعموها مثل قول قومك (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) ملة (وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) متبعون (قُلْ) لهم (أ) تتبعون ذلك (وَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) أنت ومن قبلك (كَافِرُونَ) قال تعالى تخويفا لهم (فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) أى من المكذبين للرسل قبلك (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) واذكر (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ) أى برىء (مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي) خلقنى (فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ) يرشدنى لدينه (وَجَعَلَهَا) أى كلمة التوحيد المفهومة من قوله : إنى ذاهب إلى ربى سيهدين (كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله (لَعَلَّهُمْ)

أى قل لقومك يامحمد الخ (قوله بأهدى مما وجدتم الخ) أى بدين أهدى وأصوب مما وجدتم الخ أى من الضلالة التى ليست من الهداية فى شىء والتعبير بالتفضيل لأجل التنزل معهم و إرخاء العنان (قوله فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) أى فلا تكترث بتكذيب قومك لك فان عاقبتهم كغيرهم من المكذبين (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن الظرف معمول لمحذوف وسيأتى أن قوله : لعلهم يرجعون متعلق بذلك المحذوف (قوله لأبيه) تقدم الخلاف فى كونه أباه حقيقة أوعمه وتوجيه كل من القولين مفصلا (قوله براء) العامة على فتح الباء والراء بعدها ألف فهمزة مصدر وقع موقع الصفة وهى برىء فلايثنى ولايجمع ولايؤنث وقرئ شذوذا بضم الباء وكسرها بوزن طوال وكرام (قوله إلا الذى فطرنى) يحتمل أن الاستثناء منقطع بناء على أنهم كانوا يشركون مع الله غيره وذلك أنهم كانوا يعبدون النمروذ ويحتمل أن إلا صفة بمعنى غير (قوله يرشدنى لدينه) أى يدلنى على أحكامه من صلاة وغيرها ودفع بذلك مايقال إن الهداية حاصلة له لكونه مجبولا على التوحيد من ألست بربكم فكيف يعبر بالمضارع فضلا عن اقترانه بالسين فأجاب بما ذكر نظير ماأجاب به عن قوله : ما كنت تدرى ماالكتاب ولا الإيمان . وأجيب أيضا بأن السين زائدة والمضارع للدلالة على الاستمرار ، والمعنى يديمنى على الهدى . وأجيب أيضا بأن المعنى سيثبتنى على الهداية (قوله أى كلمة التوحيد الخ) تفسير للضمير البارز والضمير المستتر يعود على إبراهيم ، والمعنى أن إبراهيم وصى بهذه الكلمة عقبه قال تعالى : ووصى بها إبراهيم بنيه و يعقوب

الآية (قوله أي أهل مكة) أشار بذلك إلى أن قوله : لعلهم الخ متعلق باذكر الذي قدره ، والمعنى اذكر يا محمد لقومك ماذكر ليحصل عندهم رجوع إلى دين إبراهيم (قوله بل متعت هؤلاء) إضراب انتقالي للتوبيخ والتقريع على ماحصل منهم من عدم الاتباع واسم الاشارة عائد على المشركين الكائنين في زمنه صلى الله عليه وسلم (قوله ولم أعاجلهم بالعقوبة) أي بل أعطيتهم نعما عظيمة وحرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء فلم يشكروا بل ازدادوا طغيانا فأمهلتهم ولم أعجل لهم الانتقام (قوله حتى جاءهم الحق) غاية لمحذوف والتقدير بل متعت هؤلاء فاشتغلوا بذلك التمتع حتى جاءهم الخ (قوله وقالوا لولا نزل الخ) هذا من جملة شبههم الفاسدة التي بنوا عليها إنكار نبوته صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنهم قالوا إن الرسالة منصب شريف لايليق إلا برجل شريف وهذا صدق غير أنهم غلطوا في دعواهم أن الرجل الشريف هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد ليس كذلك فلا تليق به رسالة الله وليس كذلك بل العبرة بتعظيم الله لابالمال والجاه فليس كل عظيم المال والجاه معظما عند الله تعالى (قوله من أية منهما) أي من إحدى القريتين (قوله أي الوليد بن المغيرة) أي وقد استمر كافرا حتى هلك (قوله وعروة بن مسعود) أي وقد هداه الله للاسلام فأسلم وحسن إسلامه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشبه عيسى ابن مريم عليه السلام به رضى الله تعالى عنه (قوله أهم يقسمون) الاستفهام إنكاري وتعجب من حالهم وتحكمهم (قوله رحمت ربك) ترسم بالتاء المجرورة هنا وفي قوله تعالى فيما يأتي ورحمت ربك اتباعا لرسم المصحف وهذان موضعان ترسم فيهما بالتاء المجرورة. ثالثها في البقرة : أولئك يرجون رحمت الله . رابعها في الأعراف : إن رحمت الله قريب من المحسنين . خامسها في هود : رحمت الله وبركاته عليكم . سادسها في مريم : رحمت ربك . سابعها في الروم : فانظر إلى أثر رحمت الله وماعداها يرسم بالهاء

أي أهل مكة (يَرْجِعُونَ) عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم (بَلْ مَتَّعْتُ هٰؤُلَاءِ) المشركين (وَآبَاءَهُمْ) ولم أعاجلهم بالعقوبة (حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ) القرآن (وَرَسُولٌ مُبِينٌ) مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) القرآن (قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ . وَقَالُوا لَوْلَا) هلا (نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ) من أية منهما (عَظِيمٍ) أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) النبوة ؟ (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فجعلنا بعضهم غنياً و بعضهم فقيراً (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ) بالغنى (فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ) الغنيّ (بَعْضًا) الفقير (سُخْرِيًّا) مسخراً في العمل له بالأجرة والياء للنسب وقرئ بكسر السين (وَرَحْمَتُ رَبِّكَ) أي الجنة (خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) في الدنيا (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) على الكفر (لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ)،

بدل

وللقراء في تلك المواضع السبعة في الوقف طريقان فمنهم من يقف بالهاء كسائر الهاآت الداخلة على الأسماء كفاطمة وقائمة ، ومنهم من يقف بالتاء تغليبا لجانب الرسم (قوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) أي فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا لاستقامة نظام العالم لا للدلالة على سعادة وشقاوة (قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) اللام للتعليل أي إن القصد من جعل الناس متفاوتين في الرزق لينتفع بعضهم ببعض ولوكانوا سواء في جميع الأحوال لم يخدم أحد أحدا فيفضي إلى خراب العالم وفساد نظامه (قوله والياء للنسب) أي نسبته للسخرة وهي العمل بلا أجرة ، إذا علمت ذلك فقول المفسر بالأجرة تقييد بالنظر لصحة التعليل ويصح أن يكون من السخرية التي هي بمعنى الاستهزاء ، والمعنى ليستهزئ الغني بالفقير وعليه فتكون اللام للعاقبة والصيرورة (قوله وقرئ بكسر السين) أي قراءة شاذة هنا جريا على عادته في التعبير عن الشاذ بقرئ وعن السبعي بوفي قراءة . وأما مافي المؤمنين وص فبكسر السين فيهما قراءة سبعية ففرق بين ماهنا ومافي السورتين المتقدمتين (قوله خير مما يجمعون) أي والمعظيم من حازها وهو النبيّ صلى الله عليه وسلم ومن تبعه لامن حاز الكثير من المال (قوله ولولا أن يكون الناس الخ) الكلام على حذف مضاف أي ولولا خوف أن يكون الناس الخ كما أشار له المفسر فيما يأتي

والأوضح أن يقول لولا رغبة الناس فى الكفر إذا رأوا الكفار فى سعة وتنعم لجعلنا الخ لأنه تعالى لا يوصف بالخوف ففرق الله الدنيا بين المؤمن والكافر على حسب ماقدره لهم فى الأزل . إن قلت لم لم يوسع الدنيا على المسلمين حتى يصير ذلك سببا لاجتماع الناس على الاسلام فالجواب لأن الناس حينئذ يجتمعون على الاسلام لطلب الدنيا وهو إيمان المنافقين فما قدره الله تعالى خير لأن كل من دخل الايمان فانما يقصد رضا الله فقط (قوله بدل من لمن) أى بدل اشتمال (قوله و بضمهما جمعا) أى على وزن رهن جمع رهن فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومعارج) جمع معرج بفتح الميم وكسرها وهو السلم (قوله وجعلنا لهم سررا) أشار بذلك إلى أن سررا معمول لمحذوف معطوف على قوله جعلنا لمن يكفر بالرحمن عطف جمل (قوله وزخرفا) ذهبا وقيل الزخرف الزينة (قوله مخففة من الثقيلة) أى مهملة لوجود اللام فى خبرها (قوله والآخرة عند ربك للمتقين) أى أن الجنة تكون لكل موحد . قال كعب وجدت فى بعض كتب الله المنزلة لولا أن يحزن عبدى المؤمن لكللت رأس عبدى الكافر بالاكليل ولا يتصدع ولا ينبض منه عرق لوجع أى لا يتحرك ، وفى الحديث «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» ، وورد لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها شربة ماء قال البقاعى ولا يبعد أن يكون ماصار إليه الفسقة والجبابرة من زخرفة الأبنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادىء الفتنة بأن يكون الناس أمة واحدة فى الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله أو فى زمن الدجال لأن من يبقى إذ ذاك على الحق فى غاية القلة بحيث

بدل من لمن (سَقْفًا) بفتح السين وسكون القاف و بضمهما جمعاً (مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ) كالدرج من فضة (عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) يعلون إلى السطح (وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا) من فضة (وَ) جعلنا لهم (سُرُرًا) من فضة جمع سرير (عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ . وَزُخْرُفًا) ذهباً ، المعنى لولا خوف الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطيناه ذلك لقلة حظ الدنيا عندنا وعدم حظه فى الآخرة فى النعيم (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة (كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا) بالتخفيف فما زائدة و بالتشديد بمعنى إلا فإن نافية (مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يزول (وَالْآخِرَةُ) الجنة (عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ . وَمَنْ يَعْشُ) يعرض (عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ) أى القرآن (نُقَيِّضْ) نسبب (لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) لا يفارقه (وَإِنَّهُمْ) أى الشياطين (لَيَصُدُّونَهُمْ) أى العاشين (عَنِ السَّبِيلِ) أى طريق الهدى (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) فى الجمع رعاية معنى من (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا) العاشى بقرينه يوم القيامة (قَالَ) له (يَا) للتنبيه (لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ

أنه لا اعداد له فى جانب الكفرة لأن كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة و إن خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك سبحانه انتهى (قوله ومن يعش) من العشا وهو الاعراض والتغافل و يطلق على ضعف البصر وفعله عشا يعشو كدعا يدعو (قوله يعرض) أى يتعامى و يتغافل وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا (قوله عن ذكر الرحمن) أضاف الذكر إلى هذا الاسم إشارة إلى ان الكافر باعراضه عن القرآن سد على نفسه باب الرحمة ولو اتبعه لعمته الرحمة (قوله نقيض) جواب الشرط وفعله قوله يعش مجزوم بحذف الواو والضمة دليل عليها (قوله فهو له قرين) أى فى الدنيا بأن يمنعه من الحلال و يحمله على فعل الحرام و ينهاه عن الطاعة و يأمره بالمعصية أو فى الآخرة إذا قام من قبره لما ورد «إذا قام الكافر من قبره شفع بشيطان لا يزال معه حتى يدخله النار ، و إن المؤمن ليشفع بملك حتى يقضى الله بين خلقه» والأولى العموم (قوله وإنهم) جمع الضمير مراعاة لمعنى شيطان كما أفرد أولا فى قوله فهو مراعاة للفظه (قوله و يحسبون أنهم مهتدون) الجملة حالية أى يعتقدون أنهم على هدى وهو بمعنى قوله تعالى ويحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون (قوله فى الجمع) أى فى المواضع الثلاثة الأول أى ليصدونهم و يحسبون أنهم وقوله رعاية معنى من أى بعد أن روعى لفظها فى ثلاثة أيضا الضمير المستتر فى يعش والضميران المجروران باللام فى نقيض له فهو له ، وسيأتى مراعاة لفظها فى موضعين المستتر فى جاء وقال ثم مراعاة معناها فى ثلاثة مواضع ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم (قوله حتى إذا جاءنا) بالافراد والتثنية قراءتان سبعيتان فعلى الأولى فاعل جاء ضمير مستتر يعود على العاشى وعلى الثانية ضمير التثنية (قوله بقرينه) أى مع قرينه (قوله يا للتنبيه) و يصح أن تكون للنداء والمنادى محذوف تقديره قرينى .

(قوله بعد المشرقين) اسم ليت مؤخر وفيه تغليب المشرق على المغرب (قوله أي مثل مابين المشرق والمغرب) أي في أنهما لايجتمعان ولا يقربان منه لأنهما ضدان (قوله أنت) هو المخصوص بالذم (قوله قال تعالى) الماضي بمعنى المضارع لأن هذا القول يحصل في الآخرة (قوله أي العاشين)تفسير للكاف وقوله تمنيكم وندمكم تفسير للضمير المستتر فهو إشارة إلى أنه فاعل ينفع وهو معلوم من السياق دل عليه قوله ياليت بيني و بينك الخ و بعضهم قال إن الفاعل هو أنكم وما في حيزها والتقدير ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب وأتى بهذا دفعا لما قد يتوهم من أن عموم المصيبة يهونها كمصائب الدنيا فانها إذا عمت هانت بل في الآخرة عمومها موجب لعظمها وهولها (قوله أي تبين لكم) أي الآن في الآخرة ودفع بذلك مايقال إن الظلم وقع في الدنيا واليوم عبارة عن يوم القيامة و إذ بدل من اليوم فكيف يبدل الماضي من الحال فأجاب بأن المراد تبين الظلم وظهوره وذلك يكون يوم القيامة (قوله و إذ بدل من اليوم)أي بدل كل من كل . إن قلت لن ينفعكم عامل في اليوم و إذ مع أنه مستقبل اليوم ظرف حالي و إذ ظرف ماض فكيف يعمل المستقبل في الحال والماضي . أجيب بأن عمله في الحال من حيث إنه قريب من الاستقبال وتقدم أن الماضي مؤول بالحال (قوله أفأنت تسمع الصم) الاستفهام إنكاري بمعنى النفي أي

بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) أي مثل بعد ما بين المشرق والمغرب (فَبِئْسَ الْقَرِينُ) أنت لي قال تعالى (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ) أي العاشين تمنيكم وندمكم (الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ) أي تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا (أَنَّكُمْ) مع قرنائكم (فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) علة بتقدير اللام لعدم النفع و إذ بدل من اليوم (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين ؟ أي فهم لايؤمنون (فَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (نَذْهَبَنَّ بِكَ) بأن نميتك قبل تعذيبهم (فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) في الآخرة (أَوْ نُرِيَنَّكَ) في حياتك (الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ) به من العذاب (فَإِنَّا عَلَيْهِمْ) على عذابهم (مُقْتَدِرُونَ) قادرون (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ) أي القرآن (إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ . وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ) لشرف (لَكَ وَلِقَوْمِكَ) لنزوله بلغتهم (وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) عن القيام بحقه (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَٰنِ) أي غيره (آلِهَةً يُعْبَدُونَ) قيل هو على ظاهره بأن جمع له الرسل ليلة الاسراء وقيل المراد أمم من أي أهل الكتابين ولم يسأل على واحد من القولين لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله ،

أنت لاتسمعهم كما أشار له المفسر وهذه الآية نزلت لما كان يجتهد في دعائهم وهم لايزدادون إلا تصميما على الكفر (قوله ومن كان في ضلال مبين) عطف على العمي ويكفي في العطف تغاير العنوان وإلا فالأوصاف الثلاثة مجتمعة في كل كافر (قوله بأن نميتك قبل تعذيبهم) أي نقبضك إلينا قبل انتقامنا منهم (قوله فانا عليهم مقتدرون) أي فلا يعجزوننا وقد وقع بهم العذاب على يده في الدنيا وعلى أيدي أتباعه بعد موته إلى يوم القيامة ولعذاب الآخرة أشد (قوله فاستمسك) أي دم على الاستمساك (ولقد

(قوله إنك الخ) تعليل للأمر بالاستمساك (قوله ولقومك) أي قريش خصوصا ولغيرهم عموما فهو شرف لكل من تبعه وهذه الآية نظير قوله تعالى لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم (قوله من رسلنا) بيان لمن (قوله أجعلنا من دون الرحمن الخ) أي حكمنا بعبادة الأوثان وأنزلنا ذلك في كتبنا (قوله قيل هو على ظاهره) أي من غير تقدير فهو مأمور بسؤال المرسلين أنفسهم وهذا على أن الآية مكية (قوله بأن جمع له الرسل الخ) جواب عما يقال إنه متأخر في البعث عن الرسل فكيف يؤمر بسؤال من لم يلقه (قوله وقيل المراد أمم الخ) أي فالكلام على حذف مضاف والمعنى اسأل أمم من أرسلنا وقوله أي أهل الكتابين تفسير لأمم وهذا على أن الآية مدنية لأن أهل الكتابين إنما كانوا في المدينة (قوله ولم يسأل على واحد من القولين) هذا أحد قولين قال ابن عباس وابن زيد لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو مسجد بيت المقدس بعث الله له آدم ومن دونه من المرسلين وجبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم فأذن جبريل عليه الصلاة والسلام وأقام الصلاة ثم قال يامحمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له جبريل سل يامحمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون

فقال صلى الله عليه وسلم قد ا كتفيت » والقول الآخر لغير ابن عباس «أنهم صلوا خلفه صلى الله عليه وسلم سبعة صفوف المرسلون ثلاثة صفوف والنبيون أربعة صفوف وكان يلي ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم الخليل وعلى يمينه إسمعيل وعلى يساره إسحق ثم موسى ثم سائر المرسلين فصلى بهم ركعتين فلما انفتل قام فقال إن ربي أوحى إلي أن أسألكم هل أرسل أحدا منكم بدعوة إلى عبادة غير الله تعالى فقالوا يا محمد إنا نشهد أنا أرسلنا أجمعين بدعوة واحدة أن لا إله إلا الله وأن مايعبدون من دونه باطل وأنك خاتم النبيين وسيد المرسلين قد استبان ذلك بامامتك إيانا وأنه لانبي بعدك إلى يوم القيامة إلا عيسى ابن مريم فانه مأمور أن يتبع أثرك» (قوله ولقد أرسلنا موسى الخ) الحكمة في ذكر تلك القصة والتي بعدها عقب ما تقدم من مقالات الكفار تسليته صلى الله عليه وسلم فان موسى وعيسى وقع لهما من قومهما ما وقع لمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه من التعيير بقلة المال والجاه (قوله بآياتنا) أي معجزاتنا التسع والباء للملابسة (قوله فقال إني رسول رب العالمين) في القصة اختصار قد بين في سورة طه والقصص . والمعنى فقال إني رسول رب العالمين لتؤمن به وترسل معي بني إسرائيل (قوله فلما جاءهم بآياتنا) مرتب على مقدر أي فطلبوا منه آية تدل على صدقه يدل عليه ما تقدم في الأعراف قال إن كنت جئت بآية فأت بها الخ (قوله إذا هم منها يضحكون) إذا فجائية . والمعنى حين جاءهم

بالآيات فاجأوا المجيء بها بالضحك والسخرية من غير تأمل ولا تفكر (قوله والجراد) أي والقمل والضفادع والدم كل واحدة تمكث سبعة أيام عليهم فيستجيرون بموسى فيدعون الله تعالى فيكشفه عنهم فيمكثون بين كل واحدة والأخرى شهرا ويعودون لما كانوا عليه من الطغيان ثم أرسل الله عليهم السنين المجدبة فاستجاروا ثم عادوا للطغيان ثم دعا الله فكشفت عنهم ثم دعا عليهم بالطمس فطمست

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) أي القبط (فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا) الدالة على رسالته (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ . وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ) من آيات العذاب كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام والجراد (إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) قرينتها التي قبلها (وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن الكفر (وَقَالُوا) لموسى لما رأوا العذاب (يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ) أي العالم الكامل لأن السحر عندهم علم عظيم (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) من كشف العذاب عنا إن آمنا (إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) أي مؤمنون (فَلَمَّا كَشَفْنَا) بدعاء موسى (عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (وَنَادَى فِرْعَوْنُ) افتخاراً (فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ) أي من النيل (تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) أي تحت قصوري (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) عظمتي (أَمْ) تبصرون ؟ وحينئذ (أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا) أي موسى (الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) ضعيف حقير ،

أموالهم فعزموا على قتل موسى وقومه فانتقم الله منهم بالغرق (قوله إلا هي أكبر من أختها) الجملة صفة لآية . والمعنى إلا هي بالغة الغاية في الاعجاز بحيث يظن الناظر فيها أنها أكبر من غيرها (قوله لعلهم يرجعون) أي عما هم عليه من الكفر (قوله لأن السحر عندهم علم عظيم) أي فقصدوا بذلك تعظيمه لانقصه . إن قلت إن الله تعالى قال في سورة الأعراف حكاية عنهم قالوا ياموسى ادع لنا ربك الخ فهذا يقتضي أنهم نادوه باسمه ، وهذا صريح في أنهم نادوه بيأيها الساحر فكيف الجمع بينهما . أجيب بأن الخطاب تعدد وإنما لم يلمهم على ذلك رجاء أن يؤمنوا واستقصارا لعقولهم (قوله من كشف العذاب) بيان لما (قوله إننا لمهتدون) أي إن كشف العذاب عنا (قوله إذا هم ينكثون) أي في كل مرة من مرات العذاب (قوله ونادى فرعون) أي بنفسه أو بمناديه (قوله وهذه الأنهار الخ) معطوف على ملك مصر وجملة تجري حال من اسم الاشارة (قوله أفلا تبصرون) مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله عظمتي (قوله أم تبصرون) أشار بذلك إلى أن أم متصلة معادلة للهمزة مطلوب بها التعيين والمعادل محذوف ، واعترض بأن المعادل لايحذف بعد أم إلا إن كان بعدها لانحو أتقوم أم لا أي أم لاتقوم . وأجيب بأن هذا غالب لامطرد (قوله وحينئذ) أشار بذلك إلى أن قوله أنا خير الخ مسبب عن المعادل المحذوف (قوله حقير) أي لأنه يخدم نفسه وليس له ملك ولا نفاذ أمر .

(قوله ولا يكاد يبين) الجملة إما عطف على جملة هو مهين أو حال أو مستأنفة (قوله للثغته) بضم اللام وهى تصيير الراء غينا أولاما أو السين ثاء (قوله التى تناولها فى صغره) أى حين لطم فرعون على وجهه فاغتم لذلك وأراد قتله فمنعته زوجته وقالت له إنه صغير لايعرف التمرة من الجمرة فأتى له بتمر وجمر فأراد أخذ التمرة فحول جبريل يده فأخذ الجمرة فأثرت فى لسانه وقد حلها الله حين أرسله وإنما وصفه فرعون بها الآن استصحابا لما كان يعرف منه (قوله فلولا ألقى عليه) أى من عند مرسله الذى يدعى أنه الملك حقيقة (قوله استخف فرعون قومه) المعنى استخف فرعون عقول قومه فألقى عليهم تلك الشبه الواهية التى أثبت بها ألوهية نفسه وكذب موسى فأطاعوه (قوله فلما آسفونا) أصله أأسفونا بهمزتين أبدلت الثانية ألفا (قوله أغضبونا) أى حيث بالغوا فى العناد والعصيان (قوله فانتقمنا منهم) أى عاقبناهم (قوله فأغرقناهم أجمعين) تفسير للانتقام وقد أهلكوا بجنس ماتكبروا به ففيه إشارة إلى أن (٥٢) من افتخر بشئ وتعزز به غير الله أهلكه به (قوله ومثلا)

(وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) يظهر كلامه للثغته بالجمرة التى تناولها فى صغره (فَلَوْلَا) هلا (أُلْقِيَ عَلَيْهِ) إن كان صادقا (أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) جمع أسورة كأغربة جمع سوار كعادتهم فيمن يسوّدونه أن يلبسوه أسورة ذهب ويطوقوه طوق ذهب (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) متتابعين يشهدون بصدقه (فَاسْتَخَفَّ) استفز فرعون (قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ) فيما يريد من تكذيب موسى (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا آسَفُونَا) أغضبونا (انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ . فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) جمع سالف كخادم وخدم أى سابقين عبرة (وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ) بعدهم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم (وَلَمَّا ضُرِبَ) جعل (ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) حين نزل قوله تعالى : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، فقال المشركون رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى لأنه عُبد من دون الله (إِذَا قَوْمُكَ) أى المشركون (مِنْهُ) من المثل (يَصِدُّونَ) يضحكون فرحا بما سمعوا (وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) أى عيسى فنرضى أن تكون آلهتنا معه (مَا ضَرَبُوهُ) أى المثل (لَكَ إِلَّا جَدَلًا) خصومة بالباطل لعلمهم أن ما لغير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) شديدو الخصومة (إِنْ) ما (هُوَ) عيسى (إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) بالنبوة (وَجَعَلْنَاهُ) بوجوده من غير أب (مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) أى كالمثل لغرابته يستدل به على قدرة الله تعالى على مايشاء (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ) ،

معطوف على سلفا والمراد بالآخرين المتأخرون فى الزمان وهى الأمة المحمدية (قوله ولما ضرب ابن مريم مثلا) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله الآية قال عبد الله بن الزبعرى وكان قبل أن يسلم أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال رسول الله هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال قد خصمتك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح واليهود يعبدون عزيرا وبنو مليح يعبدون الملائكة فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت انتظارا للوحى فظنوا أنه ألزم الحجة فضحكوا وارتفعت أصواتهم إذا علمت ذلك تعلم الاقتصار الواقع بدلكم من المفسر فى القصة (قوله إذا قومك) إذا فجائية . والمعنى فاجأ ضرب المثل صدودهم وفرحهم (قوله يصدون) بضم الصاد وكسرها من باب ضرب ورد قراءتان سبعيتان (قوله فرحا بما سمعوا) أى أن محمدا صار مغلوبا بهذا الجدال (قوله وقالوا أآلهتنا خير الخ) تفصيل لجدالهم . والمعنى أنهم قالوا أآلهتنا خير عندك أم عيسى فان كان فى النار فلتكن آلهتنا معه وقوله أآلهتنا بتحقيق الهمزتين أو تسهيل الثانية بغير إدخال ألف بينهما فهما قراءتان سبعيتان فقط وقرئ شذوذا بهمزة واحدة بعدها ألف على لفظ الخبر (قوله فنرضى أن تكون الخ) هذا تفريع على الشق الثانى (قوله إلا جدلا) مفعول من أجله أى لأجل الجدال والمراء (قوله لعلمهم أن ما) أى الواقعة فى قوله تعالى إنكم وما تعبدون وعلمهم ذلك لكون القرآن نزل بلغتهم ولغة العرب أن ما تكون لغير العاقل ومن للعاقل (قوله إن هو إلا عبد) رد عليهم والمعنى ما عيسى إلا عبد مكرم منعم عليه بالنبوة لا إله ولا ابن إله (قوله بوجوده من غير أب) أى فهو نظير آدم فى خلقه من غير أبوين (قوله ولو نشاء لجعلنا منكم) خطاب لقريش والمعنى أنا أغنياء عنكم وعن عبادتكم

فلو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلكم ملائكة يعبدونى فى الأرض (قوله بدلكم) أى فهو نظير قوله تعالى ــ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ــ وقول الشاعر : جارية لم تأكل المرققا ولم تذق من البقول الفستقا
ويصح أن تكون من تبعيضية ، والمعنى لونشاء لجعلنا بعضكم ملائكة يخلفونكم فيها بأن يحوّل بعضكم إلى صورة الملائكة أو يلد بعضكم ملائكة (قوله وإنه لعلم) أى نزوله علامة على قرب الساعة. فالكلام على حذف مضاف واللام بمعنى على (قوله واتبعون) أى امتثلوا ما آمركم به (قوله ولايصدنكم الشيطان) معطوف على اتبعون فهو مقول القول وقيل من كلام الله تعالى والمعنى اتبعوا ياعبادى هدى أورسولى ولايصدنكم الشيطان الخ (قوله ولما جاء عيسى) أى أرسل لبنى اسرائيل (قوله ولأبين لكم) معطوف على قوله بالحكمة أى وجئتكم لأبين ولم يترك العاطف إشارة إلى أنه متعلق بما قبله إشعارا بالاهتمام بالقلة حتى جعل كأنه كلام برأسه (قوله بعض الذى تختلفون فيه) أى فبين لهم أمر الدين وهو بعض مايختلفون فيه لأن اختلافهم فى أمر الدين ومكسبات الدنيا والأنبياء بعثوا لبيان الدين لالصنائع الدنيا فانها تؤخذ (٥٣)

بدلكم (مَلَائِكَةً فِى الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ) بأن نهلككم (وَإِنَّهُ) أى عيسى (لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) تعلم بنزوله (فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) أى تشكّنّ فيها حذف منه نون الرفع للجزم وواو الضمير لالتقاء الساكنين (وَ) قل لهم (اتَّبِعُونِ) على التوحيد (هٰذَا) الذى آمركم به (صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ . وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ) يصرفنكم عن دين الله (الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بيّن العداوة (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات والشرائع (قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ) بالنبوة وشرائع الانجيل (وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره فبين لهم أمر الدين (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ . فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) فى عيسى أهو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة (فَوَيْلٌ) كلمة عذاب (لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا بما قالوه فى عيسى (مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) مؤلم (هَلْ يَنْظُرُونَ) أى كفار مكة أى ما ينتظرون (إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ) بدل من الساعة (بَغْتَةً) فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت مجيئها قبله (الْأَخِلَّاءُ) على المعصية فى الدنيا (يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة متعلق بقوله (بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) المتحابين فى الله على طاعته فإنهم أصدقاء ويقال لهم (يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا) نعت لعبادى (بِآيَاتِنَا) القرآن ،

عن أهلها ، وفى الحديث «أنتم أعلم بأمور دنياكم» (قوله فاتقوا الله وأطيعون) أى فيما أبلغه عنه (قوله فاختلف الأحزاب من بينهم) أى تفرقوا من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى (قوله أهو الله) هذه مقالة فرقة من النصارى تسمى اليعقوبية (قوله أو ابن الله) هذا قول فرقة منهم أيضا تسمى المرقوسية (قوله أو ثالث ثلاثة) هذا قول فرقة منهم أيضا تسمى الملكانية وقالت فرقة إنه عبد الله ورسوله وإنما كفرت ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقالت اليهود إنه ليس بنبى فانه ابن زنا لعنهم الله (قوله كلمة عذاب) أى كلمة معناها العذاب وهو مبتدأ وقوله للذين ظلموا خبره (قوله أى كفار مكة) هذا توعد لهم بالعذاب إثر بيان فرحهم بجعل المسيح مثلا (قوله وهم لا يشعرون) الجملة حالية (قوله على المعصية) أى وعليه فيكون الاستثناء منقطعا ويصح أن المراد بالأخلاء الأحباب مطلقا فيكون الاستثناء متصلا (قوله متعلق بقوله بعضهم) أى والفصل بالمبتدإ لايضر (قوله فانهم أصدقاء) أى ويشفعون لبعضهم ويتوددون كما كانوا فى الدنيا (قوله ويقال لهم) أى تشريفا وتطييبا لقلوبهم ورد أنه ينادى مناد فى العرصات : ياعبادى لاخوف عليكم اليوم فيرفع أهل العرصة رءوسهم ، فيقول المنادى الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس أهل الأديان رءوسهم غير المسلمين (قوله ياعبادى) الاضافة للتشريف والتكريم والياء إما ساكنة أو مفتوحة أو محذوفة ثلاث قراآت سبعيات وقد ناداهم الله تعالى بأربعة أمور : الأول نفى الخوف ، والثانى نفى الحزن ، والثالث الأمر بدخول الجنة ، والرابع البشارة بالسرور فى قوله تحبرون (قوله لاخوف عليكم) بالرفع والتنوين فى قراءة العامة وهو مبتدأ وعليكم خبره وقرئ شذوذا بالضم أو الفتح دون تنوين .

(قوله وكانوا مسلمين) أى مخلصين فى أمر الدين (قوله زوجاتكم) أى المؤمنات (قوله تسرون) أى يظهر أثره على وجوهكم (قوله بقصاع) جمع قصعة وهى الاناء الذى يشبع العشرة وأكبر منها الجفنة والصحفة مايشبع الخمسة والمأكلة مايشبع الرجلين أو الثلاثة ورد أنه يطوف على أدنى أهل الجنة منزلة سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحفة من ذهب يغدى عليه بها فى كل واحدة منها لون ليس فى صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لايشبه بعضه بعضا يراح عليه بمثلها ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمائة ألف غلام مع كل غلام صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس فى صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضا (قوله جمع كوب) أى كعود وأعواد (قوله لاعروة له) أى ليس له محل يمسك منه (قوله ليشرب الشارب من حيث شاء) أى لأن العروة تمنع من بعض الجهات ، وروى أنهم يؤتون بالطعام والشراب فاذا كان فى آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فتضمر لذلك بطونهم وتفيض عرقا من جلودهم أطيب من ريح المسك قال تعالى ـ وسقاهم ربهم شرابا طهورا ـ (قوله وفيها) أى الجنة (قوله ماتشتهيه الأنفس) أى من الأشياء المعقولة والمسموعة والمنظورة والملموسة والمذوقة والمشمومة . روى «أن رجلا قال: يارسول الله أفى الجنة خيل فانى أحب الخيل؟ فقال إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى أى الجنة شئت إلا فعلت ، فقال أعرابى يا رسول الله أفى الجنة إبل فانى أحب الابل ، فقال يا أعرابى إن أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك » وتشتهى بهاء واحدة واثنتين بينهما الياء قراءتان سبعيتان (قوله تلذذا) أى فطعامها وشرابها لا عن عطش (قوله نظرا) أى وأعظمه النظر إلى وجه الله الكريم (قوله وتلك الجنة) مبتدأ وخبر وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب تشريفا لها وتعظيما لقدرها ولم يقل وتلكم الجنة ليكون مناسبا لقوله أورثتموها اشارة إلى أن كل واحد من أهل الجنة مخاطب بالاستقلال (قوله أورثتموها بما كنتم تعملون) أى أعطيتموها بسبب عملكم وهذا زيادة فى الاكرام لأهل الجنة حيث لم يقل أورثتموها من فضلى وإن كانت فى الحقيقة من فضله تعالى . قال ابن عباس: خلق الله لكل نفس جنة ونارا فالكافر يرث نار المسلم والمسلم يرث جنة الكافر (قوله يخلف بدله) أى لأنها على صفة الماء النابع لايؤخذ منها شىء إلاخلف مكانه فى الحال مثله (قوله إن المجرمين الخ) لما ذكر وعد المؤمنين الحسن بالجنة ومافيها شرع فى ذكر وعيد الكافرين السىء بالنار ومافيها على حكم عادته سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز والمراد بالمجرمين الكفار لذكرهم فى مقابلة المؤمنين (قوله لايفتر عنهم) الجملة حالية وكذا مابعدها والفتور السكون يقال من فتر الماء سكن حره (قوله ساكتون) أى فالابلاس السكوت ويطلق على السكون يقال أبلس سكت وسكن (قوله سكوت يأس) أى من رحمة الله تعالى . إن قلت إن مقتضى ماهنا أنهم يسكتون فى النار ومقتضى مايأتى فى قوله ونادوا يامالك الآية أنهم يستغيثون ويتكلمون فحصل التنافى بين الموضعين : أجيب بأنهم يسكتون تارة ويستغيثون أخرى فأحوالهم مختلفة (قوله ولكن كانوا هم الظالمين) العامة على نصب الظالمين خبرا لكان وهم ضمير فصل وقرىء شذوذا الظالمون بالرفع على أن هم ضمير منفصل مبتدأ والظالمون خبره والجملة خبر كان (قوله ونادوا) التعبير بالماضى لتحقق الحصول (قوله هو خازن النار) أى كبير خزنتها ومجلسه وسط النار وفيها جسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها .

(وَكَانُوا مُسْلِمِينَ . ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ) مبتدأ (وَأَزْوَاجُكُمْ) زوجاتكم (تُحْبَرُونَ) تسرون وتكرمون خبر المبتدإ (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ) بقصاع (مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ) جمع كوب ، وهو إناء لا عروة له ليشرب الشارب من حيث شاء (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ) تلذذا (وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) نظرا (وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا) أى بعضها (تَأْكُلُونَ) وكل مايؤكل يخلف بدله (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ . لَا يُفَتَّرُ) يخفف (عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) ساكتون سكوت يأس (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ . وَنَادَوْا يَامَالِكُ) هو خازن النار ،

(ليقض

(قوله ليقض علينا ربك) اللام للدعاء و يقض مجزوم بحذف الياء ، والمعنى سل ربك أن يميتنا فهو من قضى عليه إذا أماته (قوله ليميتنا) أى لنستريح مما نحن فيه (قوله بعد ألف سنة) هذا أحد أقوال ، وقيل بعد مائة سنة ، وقيل بعد أربعين سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم كألف سنة مما تعدون (قوله مقيمون فى العذاب دائما) أى لامفر لكم منه بموت ولاغيره (قوله لقد جئناكم الخ) يحتمل أنه من كلام الله تعالى خطاب لأهل مكة عموما مبين لسبب مكث الكفار فى النار وهوماشى عليه للمفسر ، وقوله ـ ولكن أكثركم للحق كارهون ـ أى وأما أقلكم فهومؤمن يحب الحق ويحتمل أنه من كلام مالك لأهل النار جار مجرى العلة كأنه قال إنكم ماكثون لأنا جئناكم الخ ويكون معنى أكثركم كلكم (قوله كارهون) أى لما فيه من منع الشهوات فكراهتكم له من أجل كونه مخالفا لهواكم وشهواتكم (قوله أم أبرموا أمرا) الإبرام فى الأصل الفتل المحكم يقال أبرم الحبل إذا أتقن فتله ثانيا وأما فتله أولا فيسمى سحلا ثم أطلق على مطلق الاتقان والإحكام وأم منقطعة تفسر ببل والهمزة وهوانتقال من توبيخ أهل النار إلى توبيخ الكفار على بعض ماحصل منهم فى الدنيا (قوله فى كيد محمد) أى كما ذكره فى قوله تعالى ـ و إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ـ الآية (قوله أم يحسبون) أم منقطعة تفسر ببل وهمزة الانكار

(لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) ليميتنا (قَالَ) بعد ألف سنة (إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ) مقيمون فى العذاب دائما قال تعالى (لَقَدْ جِئْنَاكُمْ) أى أهل مكة (بِالْحَقِّ) على لسان الرسول (وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ . أَمْ أَبْرَمُوا) أى كفار مكة أحكموا (أَمْرًا) فى كيد محمد النبى (فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) محكمون كيدنا فى إهلاكهم (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) مايسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم (بَلَى) نسمع ذلك (وَرُسُلُنَا) الحفظة (لَدَيْهِمْ) عندهم (يَكْتُبُونَ) ذلك (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ) فرضا (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) للولد لكن ثبت أن لا ولد له تعالى فانتفت عبادته (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ) الكرسى (عَمَّا يَصِفُونَ) يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا) فى باطلهم (وَيَلْعَبُوا) فى دنياهم (حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) فيه العذاب وهو يوم القيامة (وَهُوَ الَّذِي) هو (فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ) بتحقيق الهمزتين وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء : أى معبود (وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ) وكل من الظرفين متعلق بما بعده (وَهُوَ الْحَكِيمُ) فى تدبير خلقه (الْعَلِيمُ) بمصالحهم (وَتَبَارَكَ) تعظم (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) متى تقوم (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) بالياء والتاء

(قوله ورسلنا الخ) الجملة حالية وقوله يكتبون ذلك: أى سرهم ونجواهم (قوله قل إن كان للرحمن ولد) اى إن صح وثبت ذلك ببرهان صحيح فأنا أول من يعظم ذلك الولد ويعبده (قوله لكن ثبت أن لا ولد له) أشار بذلك الى أنه قياس استثنائى وقد استثنى فيه نقيض المقدم بقوله لكن ثبت الخ فأنتج نقيض التالى وهو قوله فانتفت عبادته وإيضاحه أنه علق العبادة بكينونة الولد وهى محالة فى نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فحصل نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها (قوله الكرسى) المناسب إبقاء الآية على ظاهرها لان من المعلوم أن العرش غير الكرسى (قوله العذاب) مفعول ثان ليوعدون وفيه متعلق بالعذاب (قوله وهو يوم القيامة) المناسب أن يقول يوم موتهم لأن خوضهم ولعبهم إنما ينتهى بيوم الموت (قوله وهو الذى هو فى السماء الخ) قدر الضمير إشارة إلى أن العائد محذوف وهو مبتدأ و إله خبره وفى السماء متعلق باله ، و إنما حذف المبتدأ لدلالة المعنى عليه ولطول الصلة بالمعمول نظير قولك ما أنا بالذى قائل لك سوءا ولا يصح أن يكون الجار والمجرور خبرا مقدما و إله مبتدأ مؤخر لئلا تعرى الجملة عن رابط نظير جاء الذى فى الدار زيد (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أى همزة سماء وهمزة إله وذكر المفسر هنا ثلاث قراءات وفى الحقيقة هى سبع سبعيات التحقيق وهى قراءة واحدة و إسقاط الهمزة الأولى وتسهيلها مع القصر فى سماء بقدر ألف والمد بقدر ألفين وتسهيل الثانية و إبدالها ياء مع القصر لاغير (قوله متعلق بما بعده) أى وهو إله لأنه بمعنى معبود ، والتقدير وهو معبود فى السماء ومعبود فى الأرض ولا شك أن العابد فى السماء غير العابد فى الأرض والمعبود واحد ودفع بذلك مايتوهم من ظاهر الآية أن الاله متعدد لأن النكرة إذا أعيدت كانت غيرا (قوله وعنده علم الساعة) أى علم وقت قيامها (قوله والتاء) أى فهو التفات من الغيبة للخطاب للتهديد

والنظر يبع (قوله ولا يملك الذين الخ) الاسم الموصول فاعل يملك وهو إما عبارة عن مطلق المعبودات غير الله فيكون الاستثناء متصلا وهو ما تقتضيه عبارة المفسر أو عن خصوص الأصنام فيكون منقطعا (قوله أى الكفار) تفسير للواو فى يدعون (قوله لأحد) قدره إشارة إلى أن مفعول الشفاعة محذوف (قوله وهم يعلمون) الضمير عائد على من والجمع باعتبار معناها (قوله ولئن سألتهم) أى العابدين مع ادّعاء الشريك (قوله ليقولنّ الله) جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعدة (قوله أى قول محمد النبي) تفسير لكلّ من المضاف والمضاف إليه ، وقوله ونصبه على المصدر : أى فالقول والقيل والمقالة كلها مصادر بمعنى واحد وفى قراءة سبعية أيضا بالجرّ إما عطفا على الساعة أو أن الواو للقسم والجواب إما محذوف ، والتقدير لأفعلنّ بهن ما أريد أو مذكور وهو قوله : إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (قوله وقل سلام) خبر لمحذوف : أى شأنى سلام : أى ذو سلامة منكم ومنى فهو تباعد وتبرؤ منهم فليس فى الآية مشروعية السلام على الكفار (قوله وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم) أى فالآية منسوخة ، ويحتمل أن المراد الكف عن مقابلتهم بالكلام فلا نسخ فيها .

(وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ) يعبدون : أى الكفار (مِنْ دُونِهِ) أى الله (الشَّفَاعَةَ) لأحد (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) أى قال لا إله إلا الله (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم يشفعون للمؤمنين (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) حذف منه نون الرفع وواو الضمير (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن عبادة الله (وَقِيلِهِ) أى قول محمد النبي ونصبه على المصدر بفعله المقدر أى وقال (يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ) قال تعالى (فَاصْفَحْ) فأعرض (عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ) منكم وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) بالياء والتاء تهديد لهم ،

(سورة الدخان)

مكية ، وقيل إلا « إنا كاشفوا العذاب » الآية ، وهى ست أو سبع أو تسع وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حم) الله أعلم بمراده به (وَالْكِتَابِ) القرآن (الْمُبِينِ) المظهر الحلال من الحرام (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) هى ليلة القدر ، أو

[سورة الدخان مكية] أى كلها وهو المعتمد (قوله الآية) أى إلى قوله عائدون، وورد فى فضل هذه السورة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم « من قرأ الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوّج من الحور العين » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « من قرأ الدخان ليلة الجمعة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا فى الجنة » .قال بعض العلماء ما ذكره البيضاوى من الأحاديث الواردة فى فضل السور متكلم فيها إلا أحاديث سورة الدخان وحديث يس الذى تقدم لنا وهو « إن لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له » إلى آخره وحديث سورة الواقعة وهو « من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا »

(قوله والكتاب) الواو للقسم والكتاب مقسم به وجواب القسم هو قوله : إنا أنزلناه الخ ، وأما قوله إنا كنا منذرين فهو تعليل للجواب وهو أحسن من جعل الجواب قوله : إنا كنا منذرين، وقوله : إنا أنزلناه جملة معترضة بين القسم وجوابه (قوله القرآن) هذا أحد أقوال فى تفسير الكتاب وهو أقواها ، وعليه فقد أقسم بالقرآن أنه أنزل القرآن فى ليلة مباركة وهذا من أبلغ الكلام الدال على غاية تعظيم القرآن كما تقول للعظيم أتشفع بك لك ، وفى الحديث « أعوذ برضاك من سخطك و بعفوك من عقوبتك و بك منك » ، وقيل المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الأنبياء والضمير فى أنزلناه عائد على القرآن المفهوم من السياق وقيل المراد به اللوح المحفوظ ، وقوله أنزلناه : أى أنزلنا بعض ما فيه وهو القرآن (قوله هى ليلة القدر) هذا قول قتادة وابن زيد وأكثر المفسرين ، ووجه بأمور منها قوله تعالى ـ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ـ فيجب أن تكون الليلة المباركة هى المسماة بليلة القدر لأن خير ما فسرته بالوارد ، ومنها قوله تعالى ـ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ـ فقوله تعالى هنا ـ إنا أنزلناه

فى ليلة مباركة ـ يجب أن تكون هذه الليلة المباركة فى رمضان فثبت أنها ليلة القدر ، ومنها قوله تعالى فى صفة ليلة القدر ـ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ـ وقال هنا ـ فيها يفرق كل أمر حكيم ـ وقال هنا ـ رحمة من ربك ـ وقال فى ليلة القدر ـ سلام هى حتى مطلع الفجر ـ وإذا تقاربت الأوصاف وجب القول بأن إحدى الليلتين هى الأخرى وهذه أدلة ظاهرة واضحة على أنها ليلة القدر وهو المعتمد ، وسميت ليلة القدر لأن الله تعالى يقدر فيها مايشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق ويسلم ذلك إلى مدبرات الأمور وهم إسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام ، وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ من ليلة النصف من شعبان ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت (قوله أو ليلة النصف من شعبان) هو قول عكرمة وطائفة ، ووجه بأمور : منها أن ليلة النصف من شعبان لها أربعة أسماء : الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الرحمة وليلة الصك ، ومنها فضل العبادة فيها لما ورد « من صلى فيها مائة ركعة أرسل الله تعالى إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان » ومنها نزول الرحمة فيها لما فى الحديث « إن الله يرحم أمتى فى هذه الليلة بعدد شعر أغنام بنى كلب » ومنها حصول المغفرة فيها لما فى الحديث « إن الله يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة إلا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق الوالدين والمصر على الزنا » ومنها « إن الله تعالى أعطى رسوله فى هذه الليلة تمام الشفاعة فى أمته » وذلك أنه

أو ليلة النصف من شعبان نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى السماء الدنيا (إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) مخوفين به (فِيهَا) أى فى ليلة القدر ، أو ليلة النصف من شعبان (يُفْرَقُ) يفصل (كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) محكم من الأرزاق والآجال وغيرهما التى تكون فى السنة إلى مثل تلك الليلة (أَمْرًا) فرقا (مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) الرسل محمداً ومن قبله (رَحْمَةً) رأفة بالمرسل إليهم (مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْعَلِيمُ) لأفعالهم (رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) برفع رب خبر ثالث وبجره بدل من ربك (إِنْ كُنْتُمْ) يا أهل مكة (مُوقِنِينَ) بأنه تعالى رب السموات والأرض ،

سأل ليلة الثالث عشر من شعبان فى أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد عن الله شرود البعير (قوله نزل فيها) أى جملة ومعنى إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا أن جبريل أملاه منه على ملائكة سماء الدنيا فكتبوه فى صحف وكانت عندهم فى محل من تلك السماء يسمى بيت العزة ، ثم نجمته الملائكة المذكورون على جبريل فى عشرين سنة ينزل بها على النبى صلى الله عليه وسلم بحسب الوقائع والحوادث (قوله إنا كنا منذرين) المراد من كان الاستمرار والدوام : أى شأننا وعادتنا الإنذار والتخويف وهذه الجملة علة للانزال وكونه فى ليلة مباركة ، والمعنى إنما أنزلناه فى ليلة مباركة لأن شأننا الإنذار ، وهذا القرآن عظيم أنزل فى ليلة مباركة شأنه أن يخاف منه (قوله فيها يفرق) هذه الجملة إما مستأنفة أو صفة لليلة ومابينهما اعتراض (قوله يفصل) أى يبين ويظهر للملائكة الموكلين بالتصرف (قوله محكم) أى مبرم لاتغيير فيه ولا تبديل (قوله فرقا) أشار بذلك إلى أن أمرا منصوب على المصدرية بفعل ملاق له فى المعنى كقمت وقوفا وجلست قعودا ويصح أن يكون حالا من فاعل أنزلناه ، والتقدير أنزلناه حال كوننا آمرين أو من مفعوله ، والتقدير أنزلناه حال كونه مأمورا به ويصح أن يكون مفعولا لأجله وعامله أنزلناه ، والتقدير أنزلناه لأمر الخلق : أى شأنهم بمعنى أن فيه مصالح دينهم ودنياهم ، قال تعالى ـ مافرطنا فى الكتاب من شىء ـ (قوله من عندنا) صفة لأمرا (قوله إنا كنا مرسلين) جملة مستأنفة قصد بها بيان حكمة الانزال فى ليلة مباركة وكونه أمرا (قوله رحمة) مفعول لأجله والعامل فيه إما أنزلناه وإما أمرا وإما منذرين وإما يفرق وإما مرسلين وهو الأقرب ويصح أن يكون منصوبا بفعل محذوف : أى رحمناهم رحمة ويصح أن يكون حالا من ضمير مرسلين : أى ذوى رحمة ويصح أن يكون بدلا من أمرا (قوله من ربك) متعلق برحمة وفيه التفات من التكلم للغيبة لمزيد الارهاب والترغيب فالارهاب للكفار والترغيب للمؤمنين (قوله إنه هو السميع العليم) تعليل لما قبله وإن حرف توكيد ونصب والهاء اسمها وهو ضمير فصل والسميع خبر أول والعليم خبر ثان وقوله رب خبر ثالث كما قال المفسر ففيه إشارة لهذا الاعراب

(قوله فأيقنوا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف والجملة الشرطية معترضة بين الأخبار فإن قوله لا إله إلا هو خبر رابع (قوله ربكم ورب آبائكم) بالرفع فى قراءة العامة على أنه بدل أو بيان أو نعت لربّ السموات والأرض فى قراءة من رفعه وقرئ شذوذا بالجر والنصب فالأول على أنه نعت لربّ السموات فى قراءة من جره والثانى على المدح (قوله بل هم فى شكّ) إضراب عن محذوف، والمعنى فليسوا موقنين بل هم فى شك وقوله يلعبون حال أى حال كونهم يلعبون بظواهرهم من الأقوال والأفعال والمراد بلعبهم انهماكهم فى الفانى وإعراضهم عن الباقى قال تعالى ـ إنما الحياة الدنيا لعب ـ (قوله فقال اللهمّ أعنى عليهم بسبع) أى سنين، هذا مفرع على محذوف أشار له المفسر بقوله استهزاء أى فلما استهزءوا به وكثر عنادهم دعا عليهم بقوله اللهم أعنى عليهم أى على هداهم وفى الحقيقة هو دعاء لهم لأن من شأن النفوس أنها إذا شبعت وكثر عليها الخير تكبرت وطغت و بغت فإذا جاعت واشتد بها الألم ذلت وصغرت ورجعت للحق، لما ورد أن الله تعالى لما خلق النفس قال لها من أنا؟ قالت له أنت أنت وأنا أنا، فألقاها فى بحر الجوع فذلت وقالت أنت الله لا إله غيرك، ومن هنا كانت تربية العارفين نفوسهم بالجوع (قوله قال تعالى) أى إجابة لدعوته، واختلف هل حصل ذلك والنبى صلى الله عليه وسلم فى مكة أو بعد هجرته إلى المدينة وهو الراجح (قوله يوم تأتى السماء) مفعول به وعامله فارتقب (قوله بدخان) الدخان بوزن غراب وجبل ورمان: الغبار والجمع أدخنة ودواخن ودواخين والتلاوة بوزن غراب (قوله فأجدبت الأرض) أشار بذلك إلى أنه حصل مطلوبه فيهم بالفعل (قوله كهيئة الدخان) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقة الدخان بل رأوا شيئا يشبهه من ضعف أبصارهم وهو قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد وابن مسعود فلما اشتد الأمر عليهم جاءه أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم فدعا لهم بالمطر فنزل واستمر عليهم سبعة أيام حتى تضرروا من كثرته فجاء أبو سفيان وطلب منه أن يدعو برفعه فدعا لهم فارتفع وقال ابن عمر وأبو هريرة وزيد بن على والحسن إنه دخان حقيقة يظهر فى العالم فى آخر الزمان يكون علامة على قرب الساعة يملأ ما بين المشرق والمغرب وما بين السماء والأرض يمكث أربعين يوما وليلة، أما المؤمن فيصيبه كالزكام، وأما الكافر فيصير كالسكران فيملأ جوفه ويخرج من منخريه وأذنيه ودبره وتكون الأرض كلها كبيت أوقدت فيه النار (قوله يغشى الناس) صفة ثانية لدخان والمراد بهم قريش وأمثالهم على ما قاله المفسر وعلى القول الآخر يكون المراد بالناس جميع الموجودين فى ذلك الوقت من المؤمنين والكفار (قوله إنا مؤمنون) هذا وعد منهم بالإيمان وقد أخلفوه وليس المراد أنهم آمنوا حقيقة ثم ارتدوا (قوله أى لا ينفعهم الإيمان الخ) الأوضح أن يقول: أى لا يوفون بما وعدوا من الإيمان عند كشف العذاب عنهم فهو استبعاد لإيمانهم (قوله وقالوا معلم) أى قالوا فى حق النبى عليه السلام تارة إنه يعلمه غلام أعجمى وقالوا تارة إنه مجنون وتقدم فى سورة النحل فى قوله ـ إنما يعلمه بشر ـ أن رجلا اسمه جبر ـ وهو غلام عامر بن الحضرمى ورجلا اسمه يسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل فكان النبى عليه السلام يدخل عليهما ويسمع ما يقرآنه، فقال الكفار إنما يعلمه بشر فرد الله تعالى عليهم بقوله ـ لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ـ الآية (قوله إنا كاشفوا العذاب) جواب عن قوله ربنا اكشف عنا العذاب (قوله قليلا) قيل إلى يوم بدر، وقيل إلى ما بقى من أعمارهم (قوله فعادوا إليه) أى استمروا عليه لأنه لم يوجد منهم إيمان بالفعل (قوله اذكر يوم نبطش) أشار بذلك إلى أن يوم منصوب بمحذوف، ويصح أن يكون بدلا من يوم تأتى.

فأيقنوا بأن محمداً رسوله (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ) من البعث (يَلْعَبُونَ) استهزاء بك يا محمد، فقال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف، قال تعالى (فَارْتَقِبْ) لهم (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) فأجدبت الأرض واشتد بهم الجوع إلى أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والأرض (يَغْشَى النَّاسَ) فقالوا (هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ. رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) مصدقون نبيك، قال تعالى (أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ) أى لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب (وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ) بيّن الرسالة (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ) أى يعلمه القرآن بشر (مَجْنُونٌ. إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ) أى الجوع عنكم زمنا (قَلِيلًا) فكشف عنهم (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) إلى كفركم فعادوا إليه، اذكر (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ) هو يوم بدر (إِنَّا مُنْتَقِمُونَ)

(قوله بلونا) أى امتحنا ، والمعنى فعلنا بهم فعل الممتحن باقبال النعم عليهم منا ومقابلتهم لها بالكفر والطغيان (قوله قبلهم) أى قبل قريش (قوله معه) أشار بذلك دفع ما يتوهم من ظاهر الآية أن الابتلاء لخصوص قوم فرعون . فأجاب بأن المراد هو وقومه (قوله وجاءهم) هو من جملة الممتحن به (قوله كريم على الله) أى عزيز عليه حيث اختصه بالرسالة والكلام وهذا ردّ لقول فرعون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين كأنه قال : حاشا موسى من المهانة بل هو كريم عزيز على ربه (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أنّ أن مصدرية ويصح أن تكون مفسرة وأن تكون مخففة من الثقيلة (قوله عباد الله) مشى المفسر على أن مفعول أدوا محذوف وعباد الله منادى وعليه فالمراد بعباد الله فرعون وقومه وقيل إن عباد الله مفعول لأدوا ، والمراد بهم بنو إسرائيل ومعنى تأديتهم إياهم إطلاقهم من الأسر يشير إلى هذا قوله تعالى فى سورة الشعراء ــ أن أرسل معنا بنى إسرائيل ــ وعلى كلا القولين فالخطاب فى أدوا لفرعون وقومه (قوله إنى لكم رسول أمين) تعليل للأمر وقوله على ما أرسلت به متعلق بأمين ، والمعنى مأمون على ما أرسلنى الله به فلا أزيد ولا أنقص وذكر الأمانة بعد الرسالة وإن كانت تستلزمها إشارة إلى أنها وصف شريف ينبغى الاعتناء به (قوله وأن لا تعلوا على الله) عطف على قوله أن أدوا (قوله تتجبروا على الله) فسر العلو بالتجبر وفسره غيره بالتكبر والبغى والافتراء والتعاظم والاستكبار وكلها معان متقاربة (قوله إنى آتيكم)

منهم والبطش الأخذ بقوة (وَلَقَدْ فَتَنَّا) بلونا (قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ) معه (وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ) هو موسى عليه السلام (كَرِيمٌ) على الله تعالى (أَنْ) أى بأن (أَدُّوا إِلَيَّ) ما أدعوكم إليه من الإيمان أى أظهروا إيمانكم بالطاعة لى يا (عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) على ما أرسلت به (وَأَنْ لَا تَعْلُوا) تتجبروا (عَلَى اللَّهِ) بترك طاعته (إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ) برهان (مُبِينٍ) بيّن على رسالتى فتوعدوه بالرجم فقال (وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ) بالحجارة (وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي) تصدقونى (فَاعْتَزِلُونِ) فاتركوا أذاى فلم يتركوه (فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ) أى بأن (هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ) مشركون ، فقال تعالى (فَأَسْرِ) بقطع الهمزة ووصلها (بِعِبَادِي) بنى إسرائيل (لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) يتبعكم فرعون وقومه (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ) إذا قطعته أنت وأصحابك (رَهْوًا) ساكنا منفرجا حتى يدخله القبط (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) فاطمأن بذلك فأغرقوا (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ) تجرى (وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) مجلس حسن .

تعليل للنهى (قوله فتوعدوه بالرجم) ظاهره أنه حين قال إنى آتيكم بسلطان مبين توعدوه بالرجم ولم يمهلوا مع أنه تقدم أن فرعون قال له فأت بها إن كنت من الصادقين ومكث بينهم مدة عظيمة وهو يأتيهم بالمعجزات الباهرة ثم لما توعدوه دعا عليهم وحينئذ فيكون بين ما هنا وبين ما تقدم تناف فالجواب أن القصة ذكرت هنا مجملة وفى ما تقدم ذكرت مبسوطة وذكر الشىء مفصلا ثم مجملا أثبت فى النفس (قوله أن ترجمون) الياء فيه وفى قوله فاعتزلون من ياءات الزوائد لاتثبت فى الرسم وأما فى اللفظ فيجوز إثباتها وحذفها حالة الوصل فقط وأما الوقف فيتعين حذفها (قوله وإن لم تؤمنوا لى) اللام بمعنى الباء ويصح أن تكون لام العلة ، والمعنى إن لم تصدقونى ولم تؤمنوا بالله لأجل برهانى الخ (قوله فاتركوا أذاى) أى لاتتعرضوا لى بسوء (قوله فدعا ربه) عطف على مقدر قدره بقوله فلم يتركوه وقوله إن هؤلاء الخ تعريض بالدعاء كأنه قال : فافعل ما يليق بهم وإن بفتح الهمزة فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بكسرها على إضمار القول (قوله بقطع الهمزة ووصلها) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان : الأولى من أسرى ، والثانية من سرى قال تعالى ــ سبحان الذى أسرى بعبده ــ وقال تعالى ــ والليل إذا يسر ــ والاسراء السير ليلا وحينئذ فذكر الليل تأكيد بغير اللفظ (قوله إذا قطعته أنت وأصحابك) هذا تعليم لموسى بما يفعله فى سيره قبل أن يسير ، والمعنى إذا سرت بهم وتبعك العدو ووصلت إلى البحر وأمرناك بضربه ودخلتم فيه ونجوتم منه فاتركه بحاله ولا تضربه بعصاك فيلتئم بل أبقه على حاله ليدخله فرعون وقومه فينطبق عليهم (قوله رهوا) حال من البحر وهو فى الأصل مصدر رها يرهو رهوا إما بمعنى سكن وإما بمعنى انفرج والمفسر جمع بينهما (قوله فاطمأن بذلك) أى بقوله إنهم جند مغرقون والضمير فى اطمأن عائد على موسى (قوله كم تركوا من جنات) كم مفعول لتركوا ، والمعنى تركوا أمورا كثيرة بينها بقوله من جنات الخ (قوله مجلس حسن) أى محافل مزينة ومنازل حسنة كما هو مشاهد

فى منازل الملوك الآن (قوله متعة) أى أمور يتمتعون بها و ينتفعون بها كالملابس والمراكب (قوله فاكهين) العامة بالألف وقرئ شذوذا بغير ألف ومعنى الأولى ناعمين كما قال المفسر : أى متنعمين ومعنى الثانية مستخفين ومستهزئين بنعمة الله (قوله خبر مبتدإ) أى والوقف على كذلك والجملة معترضة لتوكيد ما قبلها (قوله أى الأمر) أى وهو إهلاك فرعون وقومه (قوله وأورثناها) معطوف على كم تركوا ، والمعنى تركوا أمورا كثيرة وأورثنا تلك الأمور بنى إسرائيل (قوله أى بنى إسرائيل) فقد رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون . إن قلت كيف قال الله تعالى ـ وأورثناها قوما آخرين ـ مع أنه تقدم أن أموالهم طمست ومسخت حجارة . قلت لعل الجواب أنها بعد غرقهم أعيدت كما كانت إكراما لبنى إسرائيل فحين رجعوا وجدوها كما كانت قبل الطمس (قوله فما بكت عليهم السماء والأرض) اختلف فى البكاء فقيل حقيقة ، وعليه فقيل هو واقع من ذات السموات والأرض ويؤيده ما ورد «ما من مؤمن إلا وله فى السماء بابان باب ينزل منه رزقه و باب يدخل منه كلامه وعمله فاذا مات فقداه فيبكيان عليه وتلا ـ فما بكت عليهم السماء والأرض ـ و يؤيده أيضا قول مجاهد إن السماء والأرض ليبكيان على المؤمن أربعين صباحا قال أبو يحيى فعجبت من قوله ، فقال أتعجب وما للأرض لاتبكى على عبد يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لاتبكى على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوى كدوى النحل ، وقيل على حذف مضاف أى أهل السموات والأرض ، وقيل إن بكاءها حمرة أطرافهما و يؤيده قول السدى لما قتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما بكت عليه السماء

(٦٠)

(وَنَعْمَةٍ) متعة (كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ) ناعمين (كَذَٰلِكَ) خبر مبتدإ أى الأمر (وَأَوْرَثْنَاهَا) أى أموالهم (قَوْمًا آخَرِينَ) أى بنى إسرائيل (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) بخلاف المؤمنين يبكى عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء (وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) مؤخرين للتوبة (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) قتل الأبناء واستخدام النساء (مِنْ فِرْعَوْنَ) قيل بدل من العذاب بتقدير مضاف أى عذاب ، وقيل حال من العذاب (إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ . وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ) أى بنى إسرائيل (عَلَىٰ عِلْمٍ) منا بحالهم (عَلَى الْعَالَمِينَ) أى عالمى زمانهم أى العقلاء (وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ) نعمة ظاهرة من فلق البحر والمن والسلوى وغيرها (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ) أى كفار مكة (لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ) ما الموتة التى بعدها الحياة (إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ) أى وهم نطف (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) بمبعوثين أحياء بعد الثانية ،

وبكاؤها حمرتها وقول محمد ابن سيرين أخبرونا أن الحمرة التى تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين ابن علىّ رضى الله تعالى عنه . وقال سليمان القاضى مطرنا دما يوم قتل الحسين وقيل إن البكاء كناية عن عدم الاكتراث وعدم المبالاة بهم (قوله ولقد نجينا بنى إسرائيل) هـذا من جملة تعداد النعم على بنى إسرائيل والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وتبشيره بأنه سينجيه وقومه المؤمنين من أيدى المشركين

(فأتوا

فانهم لم يبلغوا فى التجبر مثل فرعون وقومه (قوله وقيل حال من العذاب) أى متعلق بمحذوف ، والمعنى واقعا من جهة فرعون (قوله من المسرفين) خبر ثان لكان ، والمعنى من المتجاوزين الحد (قوله على علم) على بمعنى مع وقوله على العالمين على على بابها للاستعلاء فاختلف معناها فحينئذ جاز تعلقهما بعامل واحد وهو اخترنا (قوله بحالهم) أى بكونهم أهلا للاصطفاء لكون أكثر الأنبياء منهم (قوله أى عالمى زمانهم) دفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية يدل على كون بنى إسرائيل أفضل من كل العالمين مع أن أمة محمد أفضل منهم فدفع ذلك بأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم فلا ينافى أن أمة محمد أفضل منهم (قوله العقلاء) المناسب أن يقول الثقلين ، فان من جملة العقلاء الملائكة و بنو إسرائيل ليسوا أفضل منهم (قوله من الآيات) بيان مقدم على المبين (قوله نعمة ظاهرة) هذا تفسير للبلاء فان البلاء معناه الاختبار وهو يكون بالمحن و بالنعم هل يصبر أولا وهل يشكر أولا (قوله أى كفار مكة) إنما أشار إليهم باشارة القريب تحقيرا لهم وازدراء بهم (قوله ليقولون) أى جوابا لما قيل لهم إنكم تموتون موتة تعقبها حياة دلّ عليه قوله تعالى ـ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ـ كأنهم قالوا مسلم لنا أن موتة تعقبها حياة لكن المراد بها الأولى وهى حال النطفة لا الثانية التى ينقضى بها العمر فانها لاتعقبها حياة (قوله وما نحن بمنشرين) هذه الآية نظير قوله تعالى ـ إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ـ

(فَأْتُوا بِآبَائِنَا) أحياء (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أنا نبعث بعد موتتنا : أى نحيا ، قال تعالى (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ) هو نبى أو رجل صالح (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم (أَهْلَكْنَاهُمْ) بكفرهم والمعنى ليسوا أقوى منهم وأهلكوا (إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ . وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) بخلق ذلك حال (مَا خَلَقْنَاهُمَا) وما بينهما (إِلَّا بِالْحَقِّ) أى محقين فى ذلك ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ) أى كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد (مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) للعذاب الدائم (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى) بقرابة أو صداقة : أى لايدفع عنه (شَيْئًا) من العذاب (وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) يمنعون منه ويوم بدل من يوم الفصل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) وهم المؤمنون فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ) الغالب فى انتقامه من الكفار (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ) هى من أخبث الشجر المرّ بتهامة ينبتها الله تعالى فى الجحيم (طَعَامُ الْأَثِيمِ) أبى جهل وأصحابه ذوى الإثم الكبير (كَالْمُهْلِ)

(قوله فأتوا بآبائنا) أى أحيوهم لنا ليخبرونا بصدقكم (قوله أهم خير) أى فى أمور الدنيا (قوله أم قوم تبع) هو تبع الحميرى أبو كرب ، واسمه أسعد وإليه تنسب الأنصار بنى الحيرة بكسر الحاء بعدها مثناة تحتية وراء مهملة : مدينة بقرب الكوفة وبنى سمرقند وأراد غزو البيت وتخريب المدينة فأخبر بأنها مهاجر نبى اسمه أحمد فكفّ عنهما وكسا البيت بالحبرة وكتب كتابا وأودعه عند أهل المدينة وكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر إلى أن هاجر النبىّ صلى الله عليه وسلم فدفعوه إليه يقال إن الكتاب عند أبى أيوب خالد بن زيد ، وفيه شهدت على أحمد أنه رسولٌ من الله بارئ النسم فلو مدّ عمرى إلى عمره لكنت وزيرا له وابن عم ، أما بعد : فإنى آمنت بك وبكتابك الذى ينزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وربّ كل شىء وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإسلام ، فإن أدركتك فبها ونعمت ، وإن لم أدركك فاشفع لى ولا تنسنى يوم القيامة فإنى من أمتك الأولين ، وبايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام ، ثم ختم الكتاب ونقش عليه : لله الأمر من قبل ومن بعد ، وكتب على عنوانه : إلى محمد بن عبد الله نبىّ الله ورسوله خاتم النبيين ورسول ربّ العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الأول ، وكان من اليوم الذى مات فيه تبع إلى اليوم الذى بعث فيه النبى صلى الله عليه وسلم ألف سنة لايزيد ولاينقص (قوله هو نبى أو رجل صالح) أو لحكاية

الخلاف فالقول الأول لابن عباس والثانى لعائشة رضى الله عنهما ، وكان ملكا من الملوك وكان قومه كهانا وكان معهم قوم من أهل الكتاب فأمر الفريقين أن يقرب كل فريق منهم قربانا ففعلوا فتقبل الله قربان أهل الكتاب فأسلم (قوله والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع وقوله أهلكناهم حال من المعطوف والمعطوف عليه (قوله وما خلقنا السموات والأرض الخ) هذا دليل على صحة الحشر ووقوعه ، وذلك أن الله تعالى خلق النوع الانسانى وخلق له مافى الأرض جميعا وكلفه بالإيمان والطاعة فآمن البعض وكفر البعض ، وحتم الله فى سابق أزله أن النعيم للمؤمن والعقاب للكافر وذلك لا يكون فى الدنيا لعدم الاعتداد بها فحينئذ لابدّ من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت (قوله وما بينهما) أى بين الجنسين (قوله حال) أى وهى لا يستغنى عنها (قوله أى محقين فى ذلك) أى لنا فيه حكمة وقد بينها المفسر بقوله ليستدلّ به الخ (قوله لا يعلمون) أى ليس عندهم علم بالكلية (قوله إنّ يوم الفصل) الاضافة على معنى اللام (قوله ميقاتهم) أى موعدهم والمراد جميع الخلق (قوله للعذاب الدائم) أى للكفار والنعيم الدائم للمؤمنين (قوله يوم لايغنى مولى) المولى يطلق على المعتق بالكسر والفتح وابن العم والناصر والجار والحليف (قوله بقرابة) أى بسببها (قوله ولا هم ينصرون) الضمير للمولى وجمع باعتبار المعنى وهذه الجملة توكيد لما قبلها والمعنى لاينصر المؤمن الكافر ولو كان بينهما علقة من قرابة أو صداقة أو غيرهما (قوله إلا من رحم الله) يصح أن يكون الاستثناء متصلا والمعنى لايغنى قريب عن قريب إلا المؤمنين فإنه يؤذن لهم فى الشفاعة فيشفعون لبعضهم وهو ما مشى عليه المفسر ويصح أن يكون منقطعا أى ولكن من رحم الله لاينالهم ما يحتاجون فيه إلى من ينفعهم من المخلوقين (قوله إنه هو العزيز الخ) تعليل لما قبله (قوله إنّ شجرت الزقوم) ترسم شجرت بالتاء المجرورة فى هذا الموضع دون غيره من القرآن

و يوقف عليه بالهاء والتاء وأما غير هذا الموضع فترسم بالهاء و يوقف عليه بالهاء لاغير والزقوم يطلق على نبات بالبادية له زهر ياسمينى الشكل طعام أهل النار و يطلق على شجر له ثمر كالتمر وله دهن عظيم المنافع عجيب الفعل فى تحليل الرياح الباردة وأمراض البلغم وأوجاع المفاصل وعرق النسا والريح الساقطة فى الورك يشرب زنة سبعة دراهم ثلاثة أيام وربما أقام الزمنى والمقعدين و يقال أصله الاهاليلج الكابلى (قوله أى كدردى الزيت الأسود) هذا أحد معانى المهل و يطلق على القيح والصديد والنحاس المذاب (قوله و بالتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حال من المهل) الأظهر أنه حال من طعام لأن المراد وصف الطعام المشبه بالمهل بالغليان لاوصف المهل لأنه لايتصف بذلك (قوله كغلى الحميم) صفة لمصدر محذوف أى تغلى غليا مثل غلى الحميم (قوله بكسر التاء وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان من باب ضرب ونصر (قوله جروه بغلظة) أى أو اضربوه بالعتلة وهى بفتحتين العصا الضخمة من الحديد لها رأس (قوله ثم صبوا فوق رأسه) أى ليكون محيطا بجميع جسده (قوله من الحميم الذى الخ) أى فاذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته (قوله و يقال له ذق) الأمر للاهانة والتحقير (قوله إنك) بفتح الهمزة على معنى التعليل وكسرها على الاستئناف المفيد للعلة قراءتان سبعيتان ووصفه بهذين الوصفين للتهكم والاستهزاء (قوله وقولك) تفسير لقوله بزعمك وقوله مابين جبليها أى مكة (قوله ما كنتم به تمترون) الجمع باعتبار المعنى لأن المراد جنس الأثيم (قوله (٦٢) إن المتقين فى مقام أمين) مقابل قوله إن شجرت الزقوم طعام الأثيم لأنه جرت عادة الله تعالى فى كتابه أنه إذا ذكر أحوال أهل النار أتبعه بذكر أحوال الجنة وقوله المتقين أى الشرك بأن ماتوا على التوحيد وهذا أعم من أن يكونوا فى أعلى مراتب التقوى وهى تقوى الأغيار بأن لايخطر الغير ببالهم أو أوسطها وهى تقوى المعاصى بفعل الطاعات أو أدناها وهى تقوى مجرد الشرك بالايمان (قوله فى مقام) بفتح الميم وضمها قراءتان سبعيتان فالفتح هو موضع القيام ومكانه من والضم موضع الاقامة والمكث (قوله يؤمن فيه الخوف) أى من الخلق والخالق والمعنى تطمئن فيه النفس ولا تنزعج من شىء أصلا فأهل الجنة آمنون من غضب الله ومن جميع مايؤذى فى البدن والأهل والمال وآمنون من خطور الأكدار ببالهم (قوله فى جنات الخ) بدل من مقام وتقديمه عليه من باب تقديم التخلية على التحلية لأن الأمن من المخاوف تخلية وكونهم فى جنات وعيون الخ تحلية (قوله وعيون) أى أنهار تجرى تحت القصور (قوله يلبسون) خبر آخر لان أو مستأنف (قوله أى مارق من الديباج الخ) لف ونشر مرتب والديباج هو الحرير. إن قلت كيف يكون لبس الغليظ من الحرير نعيما فى الجنة مع أنه فى الدنيا ربما كان غير نعيم. أجيب بأن غليظ حرير الجنة ليس كغليظ حرير الدنيا بل هو أعلى على أن من غليظ حرير الدنيا مايؤلف وينعم به كالقطيفة مثلا (قوله متقابلين) أى يواجه بعضهم بعضا ليحصل الانس لبعضهم بعضا وهذا فى غير وقت النظر إلى وجه الله الكريم وأما عنده فينسون النعيم بل ومقابلة إخوانهم لكونه أعلى نعيم الجنة رتبة ومن هنا قيل إن حكمة المقابلة فى حلق العلم والذكر فى الدنيا التشبه بمجالس الجنة والانس بمقابلة الاخوان وحكمة الاصطفاف فى الصلاة وعدم المقابلة فيها التشبه بالنظر لوجه الله الكريم فى الجنة لأن فى الصلاة إقبالا بالكلية على الله تعالى وقطعا للشواغل (قوله أى لاينظر بعضهم إلى قفا بعض) أى لأن النظر للقفا مما يحزن ولاحزن فى الجنة (قوله يقدر قبله الأمر) أى فهو مبتدأ وقوله كذلك خبره والجملة معترضة لتقرير ماقبلها (قوله وزوجناهم) عطف على قوله يلبسون.

أى كدردى الزيت الأسود خبر ثان (يَغْلِي فِي الْبُطُونِ) بالفوقانية خبر ثالث وبالتحتانية حال من المهل (كَغَلْيِ الْحَمِيمِ) الماء الشديد الحرارة (خُذُوهُ) يقال للزبانية خذوا الأثيم (فَاعْتِلُوهُ) بكسر التاء وضمها: جروه بغلظة وشدة (إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ) وسط النار (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) أى من الحميم الذى لايفارقه العذاب فهو أبلغ مما فى آية: يصب من فوق رءوسهم الحميم، ويقال له (ذُقْ) أى العذاب (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) بزعمك وقولك مابين جبليها أعز وأكرم منى، ويقال لهم (إِنَّ هٰذَا) الذى ترون من العذاب (مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ) فيه تشكون (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ) مجلس (أَمِينٍ) يؤمن فيه الخوف (فِي جَنَّاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ، يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) أى مارق من الديباج وما غلظ منه (مُتَقَابِلِينَ) حال: أى لاينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم (كَذٰلِكَ) يقدر قبله الأمر (وَزَوَّجْنَاهُمْ)،

(قوله من التزويج) أى وهو جعل الشيء زوجا والمعنى جعلناهم اثنين اثنين فقوله أوقرناهم مرادف له وليس المراد بالتزويج الانكاح بالعقد فانه لاقائل به (قوله عين) جمع عيناء وأصله عين بضم العين وسكون الياء فكسرت العين لتصح الياء (قوله بنساء بيض) تفسير للحور وقوله واسعات الأعين تفسير لعين وهذا على أن المراد بالحور البياض مطلقا وقيل الحور شدة بياض العين وشدة سوادها ، واختلف هل الأفضل فى الجنة نساء الدنيا أو الحور العين ؟ والحق أن نساء الدنيا أفضل لما روى أن الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف (قوله يدعون) حال من الهاء فى زوجناهم (قوله لا يذوقون) حال من الضمير فى آمنين (قوله قال بعضهم) هو الطبرى وبهذا اندفع ماقيل كيف قال فى صفة أهل الجنة ذلك مع أنهم لم يذوقوه فيها أصلا وهذا القول وإن كان يدفع الاشكال إلا أن مجيء إلا بمعنى بعد لم يرد وبعضهم يجعل الاستثناء منقطعا والمعنى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها (قوله منصوب بتفضل) أى على أنه مفعول مطلق (قوله الفوز العظيم) أى لأنه خلوص من المكاره وظفر بالمطلوب (قوله فإنما يسرناه بلسانك) هذا إجمال لما فصل فى السورة كأنه قال ذكر قومك بهذا الكتاب المبين فاننا سهلنا عليك تلاوته وتبليغه إليهم (قوله لكنهم لايؤمنون) دخول على قوله فارتقب (قوله فارتقب إنهم مرتقبون) أشار المفسر إلى أن مفعول كل محذوف قدر الأول بقوله هلاككم والثانى بقوله هلاكك (قوله وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم) أى فهو منسوخ لأن معنى ارتقب أمهلهم من غير قتال حتى يحكم الله بينك وبينهم .

[سورة الجاثية]

سميت باسم كلمة منها وهى قوله وترى كل أمة جاثية ، وتسمى سورة الشريعة لقوله فيها ثم جعلناك على شريعة

من التزويج أوقرناهم (بِحُورٍ عِينٍ) نساء بيض واسعات الأعين حسانها (يَدْعُونَ) يطلبون الخدم (فِيهَا) أى الجنة أن يأتوا (بِكُلِّ فَاكِهَةٍ) منها (آمِنِينَ) من انقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف حال (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى) أى التى فى الدنيا بعد حياتهم فيها ، قال بعضهم إلا بمعنى بعد (وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . فَضْلًا) مصدر بمعنى تفضلا منصوب بتفضل مقدرا (مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ) سهلنا القرآن (بِلِسَانِكَ) بلغتك لتفهمه العرب منك (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنون لكنهم لايؤمنون (فَارْتَقِبْ) انتظر هلاكهم (إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) هلاكك وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم .

(سورة الجاثية)

مكية إلا « قل للذين آمنوا » الآية ، وهى ست أو سبع وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حم) الله أعلم بمراده به (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنَ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْحَكِيمِ) فى صنعه (إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى فى خلقهما (لَآيَاتٍ) دالة على قدرة الله ووحدانيته تعالى (لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ)

(قوله مكية إلا قوله قل للذين آمنوا الخ) أى إلى قوله أيام الله وهو قول ابن عباس وقتادة قالا : إنها نزلت بالمدينة فى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عابه عبد الله بن أبىّ فأراد عمر قتله فنزلت وقيل مكية كلها حتى هذه الآية فانها نزلت فى عمر أيضا شتمه رجل فى مكة من الكفار فأراد قتله فنزلت ثم نسخت بآية الجهاد (قوله من الله خبره) أى متعلق بمحذوف تقديره كائن (قوله العزيز فى ملكه) أى الغالب على أمره (قوله الحكيم فى صنعه) أى الذى يضع الشيء فى محله فاقتضت حكمته تعالى إنزال أشرف الكتب وهو القرآن على أشرف العبيد وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله إن فى السموات والأرض الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى هنا من الدلائل ستة فى ثلاث فواصل وختم الأولى بالمؤمنين والثانية بيوقنون والثالثة بيعقلون ووجه التغاير أن الانسان إذا تأمل فى السموات والأرض وأنه لابد لهما من صانع آمن وإذا نظر فى خلق نفسه ونحوها ازداد يقينا وإذا نظر فى سائر الحوادث كمل عقله واستحكم علمه (قوله أى فى خلقهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف يدل عليه التصريح به فى سورة البقرة فى قوله إن فى خلق السموات والأرض ، وما فى سورة آل عمران إن فى خلق السموات والأرض (قوله لآيات للمؤمنين) بالنصب بالكسرة باتفاق القراء لأنه اسم إن وأما ما يأتى فى قوله آيات لقوم يوقنون

وآيات لقوم يعقلون ففيه قراءتان سبعيتان الرفع والنصب بالكسرة فالرفع على أن قوله فى خلقكم خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على جملة إن فى السموات والنصب على أن آيات معطوف على آيات الأوّل الذى هو اسم إن وقوله وفى خلقكم معطوف على قوله فى السموات والأرض الواقع خبرا لإن ففيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جائز باتفاق (قوله وخلق مايبث) أشار بذلك إلى أنه معطوف على خلقكم المجرور بفى على حذف مضاف (قوله هى مايدب) أى يتحرّك (قوله وفى اختلاف الليل والنهار) أشار المفسر إلى أن حرف الجر مقدر يؤيده القراءة الشاذة باثباته (قوله بعد موتها) أى يبسها (قوله وباردة وحارة) لف ونشر مشوش وترك الصبا والدبور فالرياح أربع (قوله تلك آيات الله) مبتدأ وخبر وجملة تتلوها حال (قوله الآيات المذكورة) أى وهى السموات والأرض ومابعدها (قوله متعلق بنتلو) أى على أنه عامل فيه مع كونه حالا والباء للملابسة (قوله أى لايؤمنون) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله وفى قراءة) أى

أى فى خلق كل منكم من نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن صار إنسانا (وَ) خلق (مَا يَبُثُّ) يفرّق فى الأرض (مِنْ دَابَّةٍ) هى ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم (آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بالبعث (وَ) فى (اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) ذهابهما ومجيئهما (وَمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ) مطر لأنه سبب الرزق (فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ) تقليبها مرة جنوبا ومرة شمالا وباردة وحارة (آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) الدليل فيؤمنون (تِلْكَ) الآيات المذكورة (آيَاتُ اللّٰهِ) حججه الدالة على وحدانيته (نَتْلُوهَا) نقصها (عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) متعلق بنتلو (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللّٰهِ) أى حديثه وهو القرآن (وَآيَاتِهِ) حججه (يُؤْمِنُونَ) أى كفار مكة أى لايؤمنون وفى قراءة بالتاء (وَيْلٌ) كلمة عذاب (لِكُلِّ أَفَّاكٍ) كذاب (أَثِيمٍ) كثير الإثم (يَسْمَعُ آيَاتِ اللّٰهِ) القرآن (تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ) على كفره (مُسْتَكْبِرًا) متكبرا عن الإيمان (كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا) أى القرآن (شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) أى مهزوءا بها (أُولَٰئِكَ) أى الأفاكون (لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (مِنْ وَرَائِهِمْ) أى أمامهم لأنهم فى الدنيا (جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا) من المال والفعال (شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ) أى الأصنام (أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. هَٰذَا) أى القرآن (هُدًى) من الضلالة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ) حظ (مِنْ رِجْزٍ) أى عذاب (أَلِيمٌ) موجع.

وهى سبعية أيضا (قوله كلمة عذاب) أى فيطلق على العذاب ويطلق على وادفى جهنم (قوله كذاب) أى كثير الكذب على الله وعلى خلقه (قوله كثير الإثم) أى المعاصى (قوله يسمع آيات الله) إما مستأنف أوحال من الضمير فى أثيم (قوله تتلى عليه) حال من آيات الله (قوله ثم يصرّ على كفره) ثم للترتيب الرتبى والمعنى أن إصراره على الكفر حاصل بعد تقرير الأدلة المذكورة وسماعه إياها (قوله كأن لم يسمعها) كأن مخففة حذف منها ضمير الشأن والجملة إما مستأنفة أوحال (قوله فبشره بعذاب أليم) سماه بشارة تهكما بهم لأن البشارة هى الخبر السار (قوله وإذا علم من آياتنا شيئا) أى إذا بلغه شىء وعلم أنه من آياتنا اتخذها هزوا الخ وذلك نحو قوله فى الزقوم إنه الزبد والتمر وقوله فى خزنة جهنم إن كانوا تسعة عشر فأنا ألقاهم وحدى (قوله اتخذها هزوا) أنث الضمير مع أنه عائد على شيئا وهو مذكر مراعاة لمعناه وهو الآية و يصح عوده على آياتنا (قوله أى الأفاكون) جمع باعتبار معنى الأفاك وراعى أوّلا لفظه فأفرد (قوله أى أمامهم) أشار بذلك إلى أن الوراء كما يطلق على الخلف يطلق على الأمام كالجون يستعمل فى الأبيض والأسود على سبيل الاشتراك (قوله ما كسبوا) ما إما مصدرية أى كسبهم أو موصولة أى الذى كسبوه، وهذان الوجهان يجريان فى قوله ولا ما اتخذوا، ومقتضى عبارة المفسر أنها فيهما موصولة حيث قال فى الأول من المال والفعال وقال فى الثانى أى الأصنام (قوله هذا هدى) أى لمن أذعن له واتبعه وهم المؤمنون ووبال وخسران على الكفار، قال تعالى ـ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ـ .

(أَللهُ الذِى سَخَّرَ لَـكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ) السفن (فِيهِ بِأَمْرِهِ) باذنه (وَلِتَبْتَغُوا) تطلبوا بالتجارة (مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّـكُمْ تَشْكُرُونَ : وَسَخَّرَ لَـكُمْ مَافِى السَّمٰوَاتِ) من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره (وَمَا فِى الْأَرْضِ) من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيره ، أى خلق ذلك لمنافعكم (جَمِيعاً) تأكيد (مِنْهُ) حال أى سخرها كائنة منه تعالى (إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيها فيؤمنون (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَايَرْجُونَ) يخافون (أَيَّامَ اللهِ) وقائعه أى اغفروا للـكفار ماوقع منهم من الأذى لـكم وهذا قبل الأمر بجهادهم (لِيَجْزِىَ) أى الله وفى قراءة بالنون (قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الغفر للـكفار أذاهم (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) عمل (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) أساء (ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) تصيرون فيجازى المصلح والمسىء (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ)التوراة (وَالْحُكْمَ) به بين الناس (وَالنُّبُوَّةَ)لموسى وهرون منهم (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ)الحلالات

(قوله الله الذى سخر لكم البحر) أى حلوا وملحا ، والمعنى ذلله وسهل لكم السير فيه بأن جعله أملس الظاهر مستويا شفافا يحمل السفن ولايمنع الغوص فيه (قوله باذنه) أى إرادته ومشيئته ولوشاء لم تجر (قوله بالتجارة) أى والحج والغزو وغير ذلك من المصالح الدينية والدنيوية (قوله ولعلكم تشكرون) أى تصرفون النعم فى مصارفها (قوله وغيره) أى كالملائكة فانهم مسخرون لأهل الأرض يدبرون معاشهم وهذا سر قوله تعالى : ولقد كرمنا بنى آدم الآية (قوله تأكيد) أى حال مؤكدة (قوله حال) أى من ما ويصح أن يكون صفة لجميعا ، والمعنى على الأول سخرلكم هذه الأشياء كائنة منه أى مخلوقة له وعلى الثانى جميعا كائنا منه تعالى (قوله يتفكرون) أى يتأملون فى تلك الآيات (قوله قل للذين آمنوا يغفروا الخ) المراد بالغفر لهم تحمل أذاهم وعدم مقابلتهم بمثل مافعلوا . واختلف فى هذه الآية فقيل مدنية وعليه فسبب نزولها كما قال ابن عباس أنهم كانوا فى غزوة بنى المصطلق نزلوا على بئر يقال له المريسيع فأرسل عبد الله بن أبى غلامه يستقى الماء فأبطأ عليه ، فلما أتاه قال له ماحبسك ؟ قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك أحدا يستقى حتى ملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم وقرب أبى بكر فقال عبد الله مامثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل : سمن كلبك يأكلك ، فبلغ ذلك عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه له فنزلت هذه الآية ، وقيل مكية وعليه فسبب نزولها كما قال مقاتل أن رجلا من بنى غفار شتم عمر بمكة فهم عمر أن يبطش به فنزلت ، أوكما قال السدى إن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا فى أذى كثير من المشركين قبل أن يؤمروا بالجهاد فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وما ذكره المفسر فيه إشارة إلى هذا الأخير (قوله لايرجون أيام الله) أى لايتوقعون وقائعه من قولهم أيام العرب أى وقائعهم وهذا مامشى عليه المفسر ، وقيل إن الرجاء باق على معناه الاصلى ، والمراد بالايام مطلق الأوقات ، والمعنى لايؤملون الأوقات التى جعل الله فيها نصر المؤمنين وثوابهم (قوله أى اغفروا للـكفار) أشار بذلك إلى أن مقول القول محذوف دل عليه قوله يغفروا فهو مجزوم لـكونه جواب أمر محذوف والتقدير قل لهم اغفروا يغفروا (قوله وهذا قبل الأمر بجهادهم) أى فهو منسوخ بآية القتال وهذا على أنها مكية ، وأما على أنها مدنية فالـكف عن المنافقين خوف أن يقول المشركون إن محمدا يقتل أصحابه حتى جاء الاذن بتمييزهم ، وقيل إنها ليست منسوخة بل هى محمولة على ترك المنازعة والتجاوز فيما يصدر عنهم من الـكلام المؤذى (قوله ليجزى قوما) علة لما قبله والقوم هم المؤمنون وهومامشى عليه المفسر ، وقيل الـكافرون ، وقيل كل منهما فالتنكير إما للتعظيم أوالتحقير أوالتنويع (قوله وفى قراءة بالنون) أى وهى سبعية أيضا (قوله أذاهم) مفعول للغفر الواقع مصدرا (قوله من عمل صالحا فلنفسه) جملة مستأنفة لبيان كيفية الجزاء (قوله ولقد آتينا بنى إسرائيل الخ) المقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم كأنه قال لاتحزن على كفر قومك فانا آتينا بنى إسرائيل الـكتاب والنعم العظيمة فلم يشكروا بل أصروا على الـكفر (قوله التوراة) إنما اقتصر عليها لـكونها تغنى عن غيرها من كتبهم ولايغنى غيرها عنها فان فيها أحكام شرعهم وإلافنى الحقيقة كتب بنى إسرائيل ثلاثة التوراة والانجيل والزبور (قوله والحكم) أى الفصل بين الخصوم وهذه نعم دينية وقوله : ورزقناهم من الطيبات نعم دنيوية فلم يشكروا عليها .

(قوله كالمن والسلوى) أى فى أيام التيه (قوله العقلاء) تقدم مافيه وأن الأولى التعبير بالثقلين (قوله وآتيناهم) أى بنى إسرائيل فى التوراة ، والمعنى بينا لهم فيه أمر الشريعة وأمر محمد صلى الله عليه وسلم وأنهم يؤمنون به إن ظهر بينهم كما أشار له المفسر (قوله فما اختلفوا فى بعثته الخ) أى وقد كانوا قبل ذلك متفقين فلما جاءهم العلم والشرع فى كتابهم اختلفوا وكان مقتضاه أن يدوم لهم الاتفاق (قوله يقضى بينهم) أى بالمؤاخذة والمجازاة (قوله ثم جعلناك على شريعة) الكاف مفعول أول لجعلنا وعلى شريعة هو المفعول الثانى ، والشريعة تطلق على مورد الناس من الماء وعلى المذهب والملة ، والمراد هنا ماشرعه الله لعباده من الدين ، سمى شريعة لأنه يقصد ويلجأ إليه كما يلجأ إلى الماء من العطش (قوله من الأمر) يطلق على مقابل النهى وعلى الشأن ويصح إرادة كل منهما هنا ، والمعنى ثم جعلناك على طريقة من الدين وهى ملة الاسلام التى كان عليها إبراهيم ولاشك أن الله تعالى لم يغاير بين الشرائع فى التوحيد والمكارم والمصالح وأما التغاير فى الفروع (قوله أهواء الذين لايعلمون) أى وهم رؤساء قريش حيث قالوا ارجع إلى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك وأسن (قوله إنهم لن يغنوا عنك) تعليل لما قبله وقوله وإن الظالمين عطف على ماقبله من تتمة التعليل (قوله أولياء بعض) أى فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة يزيل عنهم العقاب (قوله والله ولى المتقين) أى فى الدنيا والآخرة لأنهم اتقوا الشرك (قوله هذا بصائر) مبتدأ وخبر وجمع الخبر باعتبار أن المبتدأ مشار به إلى ماتقدم من الآيات ولاشك أنه جمع (قوله معالم) جمع معلم وهو فى الأصل الأثر الذى يستدل به على الطريق ، والمراد هنا أن تلك الآيات تبصر الناس فى الاحكام وتدلهم عليها (قوله وهدى) أى من الضلالة (قوله ورحمة) أى إحسان اى (قوله لقوم يوقنون) أى يطلبون اليقين ، وأما الكفار فهو وبال وخسران عليهم (قوله أم بمعنى همزة الانكار) أى فهى منقطعة تقدر تارة بالهمزة وحدها أو ببل وحدها أو بهما معا ، والمراد إنكار الحسبان أى الظن ، والمعنى لاينبغى أن يكون والافالظن قد وقع بالفعل (قوله الذين اجترحوا السيئات) فاعل حسب وجملة أن نجعلهم الخ سادة مسد المفعولين . والمراد بالاجتراح الاكتساب كما قال المفسر ومنه الجوارح قال الكلبى : الذين اجترحوا السيئات عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات على وحمزة وعبيدة بن الحرث رضى الله عنهم حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلوهم ، وقيل نزلت فى قوم من المشركين قالوا إنهم يعطون فى الآخرة خيرا مما يعطاه المؤمن كما أخبر الله عنهم فى قوله : ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى (قوله سواء خبر) أى على قراءة الرفع ، وقرأ بعض السبعة بالنصب على الحال (قوله والجملة) أى من المبتدإ والخبر (قوله بدل من الكاف) أى الداخلة على الموصول (قوله أى ليس الأمر كذلك) أشار بذلك إلى أن همزة الانكار للنفى

كالمنّ والسلوى (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) عالمى زمانهم العقلاء (وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ) أمر الدين من الحلال والحرام وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام (فَمَا اخْتَلَفُوا) فى بعثته (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) أى لبغى حدث بينهم حسداً له (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . ثُمَّ جَعَلْنَاكَ) يامحمد (عَلَى شَرِيعَةٍ) طريقة (مِنَ الْأَمْرِ) أمر الدين (فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) فى عبادة غير الله (إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا) يدفعوا (عَنْكَ مِنَ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) المؤمنين (هَذَا) القرآن (بَصَائِرُ لِلنَّاسِ) معالم يتبصرون بها فى الأحكام والحدود (وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بالبعث (أَمْ) بمعنى همزة الإنكار (حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا) اكتسبوا (السَّيِّئَاتِ) الكفر والمعاصى (أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً) خبر (مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) مبتدأ ومعطوف والجملة بدل من الكاف والضميران للكفار ، المعنى أحسبوا أن نجعلهم فى الآخرة فى خير كالمؤمنين أى فى رغد من العيش مساوٍ لعيشهم فى الدنيا حيث قالوا للمؤمنين لئن بعثنا لنعطى من الخير مثل ماتعطون ، قال تعالى على وفق إنكاره (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) بالهمزة أى ليس الأمر كذلك فهم فى الآخرة فى العذاب على خلاف عيشهم فى الدنيا ، والمؤمنون فى الآخرة فى الثواب بعملهم الصالحات فى الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك وما مصدرية ،

وكان المناسب للمفسر تقديم هذا على قوله ساء مايحكمون فانه مرتبط بما قبله . والمعنى أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم مستويا محياهم ومماتهم كلا لايستوون فى شىء منها فان هؤلاء فى عز الايمان والطاعة وشرفهما فى المحيا وفى رحمة الله ورضوانه فى الممات وأولئك فى ذل الكفر والمعاصى وهوانهما فى المحيا وفى لعنة الله والعذاب المخلد فى الممات ، ولا يعتبر توسعة العيش فى الدنيا فانها بحسب القسمة الأزلية للمؤمن والكافر ولكل دابة (قوله أى بئس حكما الخ) مقتضى هذا الحل أن ماتمييز وحينئذ فالفاعل مستتر وهو ينافى كونها مصدرية لأنها فى تلك الحالة تكون فاعلا فالمناسب لجعلها مصدرية أن يقول ساء الحكم حكمهم (قوله وخلق الله السموات الخ) من تتمة قوله أم حسب الذين اجترحوا السيئات الخ وهو كالدليل له كأنه قال لايستوى المؤمن والكافر بدليل أن الله خلق السموات والأرض بالحق أى العبر والاستدلال ولم يترك العباد سدى وجازى كل نفس بما كسبت فلا يستوى جزاء المؤمن بجزاء الكافر (قوله متعلق بخلق) أى على أنه حال من الفاعل أو المفعول (قوله ليدل على قدرته الخ) قدره إشارة إلى أن قوله ولتجزى عطف على علة محذوفة (قوله وهم) أى النفوس المدلول عليها بقوله كل نفس (قوله لايظلمون) أى لاينقص من ثواب المؤمن ولا يزاد فى العذاب على مايستحقه الكافر (قوله أخبرنى) تقدم أن فيه مجازين حيث أطلق الرؤية وأراد الإخبار ثم أطلق الاستفهام على الإخبار وأراد الأمر به وقوله من اتخذ إلهه الخ مفعول أول لرأيت . والمعنى ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه

يعبده (قوله من حجر) أى وغيره

أى بئس حكما حكمهم هذا (وَخَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ ، وَ) خلق (الْأَرْضَ بِالْحَقِّ) متعلق بخلق ليدل على قدرته ووحدانيته (وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) من المعاصى والطاعات فلا يساوى الكافر المؤمن (وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ . أَفَرَأَيْتَ) أخبرنى (مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ) مايهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن (وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ) منه تعالى : أى عالما بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه (وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ) فلم يسمع الهدى ولم يعقله (وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) ظلمة فلم يبصر الهدى ويقدر هنا المفعول الثانى لرأيت أيهتدى (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ) أى بعد إضلاله إياه أى لايهتدى (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) تتعظون فيه إدغام إحدى التاءين فى الذال (وَقَالُوا) أى منكرو البعث (مَا هِيَ) أى الحياة (إِلَّا حَيَاتُنَا) التى فى (الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا) أى يموت بعض ويحيا بعض بأن يولدوا (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) أى مرور الزمان ، قال تعالى (وَمَا لَهُمْ بِذٰلِكَ)

كالشمس والقمر من كل معبود غير الله عاقلا أوغير عاقل فالكفر هو العبادة بأن يتقرب إلى غيره كما يتقرب إليه. وأما زيارة الصالحين والأنبياء فليس من قبيل العبادة لهم بل هى من باب التسبب فى نفع الغير لأن الترضى عن الأولياء والصلاة والسلام على الأنبياء دعاء للغير بذلك ولا شك أن ذلك الغير ينتفع به والمتسبب له مثله، لما ورد «إن الملك يقول له ولك مثل ذلك» فآل الأمر إلى أن زيارة الصالحين والتوسل بهم من جملة طاعة الله وصاحبها محبوب لله لأن أحب عباد الله إلى الله أنفعهم لعباده وصدق عليهم أنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل فليست معصية فضلا عن كونها شركا كما اعتقده ذوو الجهل المركب والعقيدة الزائغة (قوله أى عالما بأنه من أهل الضلالة) أشار بذلك أن قوله على علم حال من الفاعل ويصح أن يكون حالا من المفعول . والمعنى أضله فى حال كونه عالما بالحق غير جاهل به فهو أشد قبحا (قوله غشاوة) بكسر الغين أو بفتحها مع سكون الشين وحذف الألف أو بالعين المهملة (قوله ويقدر هنا المفعول الثانى) أى وإنما حذف لدلالة فمن يهديه عليه ولا حاجة للتقدير إذ يصح أن تكون هى المفعول الثانى ، وقد وصفهم الله تعالى بأربعة أوصاف الأول قوله اتخذ الخ . الثانى قوله وأضله الخ . الثالث قوله وختم الخ . الرابع قوله وجعل الخ فكل وصف منها مقتض للضلالة فلا يمكن إيصال الهدى إليه بوجه من الوجوه (قوله إحدى التاءين) أى الثانية (قوله أى الحياة) بيان لمرجع الضمير ويقال لهذا الضمير ضمير القصة (قوله أى يموت بعض الخ) دفع بذلك مايقال إن قولهم نموت ونحيا فيه اعتراف بالحياة بعد الموت مع أنهم ينكرونها . ويجاب أيضا بأن الآية فيها تقديم وتأخير أى نحيا ونموت (قوله أى مرور الزمان) أى فكان الجاهلية يقولون الدهر هو الذى يهلكنا وهو الذى يحيينا ويميتنا ، ولذلك رد عليهم بقوله صلى الله عليه وسلم «كان أهل الجاهلية يقولون وما يهلكنا إلا الليل والنهار وهو الذى يحيينا ويميتنا فيسبون الدهر

فقال تعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار » . والحاصل أن فرقة من الكفار يسمون الدهرية ينسبون الفعل ضرا ونفعا للزمان فرد عليهم بما تقدم (قوله القول) أى وهو قولهم ماهى إلا حياتنا الدنيا الخ (قوله واضحات) أى ظاهرات (قوله حال) أى من آياتنا (قوله ما كان حجتهم) بالنصب خبر كان ، وقوله إلا أن قالوا اسمها أى إلا قولهم وتسميتها حجة على سبيل التهكم أو على حسب زعمهم (قوله ائتوا بآبائنا) أى الذين ماتوا قبلنا (قوله قل الله يحييكم) رد لقولهم وما يهلكنا إلا الدهر (قوله وهم) أى الأكثر وجمع باعتبار المعنى (قوله ولله ملك السموات والأرض) تعميم بعد تخصيص (قوله و يوم تقوم الساعة) ظرف لقوله يخسر وقوله يومئذ بدل من يوم قبله للتوكيد والتنوين فى يومئذ عوض عن جملة مقدرة والتقدير يومئذ تقوم الساعة فهو بدل توكيدى (قوله أى يظهر خسرانهم) جواب عما يقال إن خسرانهم متحتم فى الأزل (قوله وترى كل أمة جاثية) رأى بصرية وكل مفعولها وجاثية حال . واختلف هل الجثى خاص بالكفار و به قال يحيى بن سلام ، وقيل عام للمؤمن والكافر انتظارا للحساب ويؤيده ماورد : إن فى القيامة لساعة هى عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى إن إبراهيم عليه السلام ينادى : لا أسألك اليوم إلا نفسى ، وذلك لأن الحضرة فى ذلك اليوم حضرة جلال فالجميع يعطونه حقه من الخوف والهيبة إلى أن يحصل التمييز ، والجثو وضع الركبتين بالأرض مع رفع الأليتة ونصب القدمين و يطلق على الجلوس على أطراف القدمين مع وضع الركب بالأرض ، وكل من المعنيين يدل

المقول (مِنْ عِلْمٍ إِنْ) ما (هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ . وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث (بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا) أحياء (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أنا نبعث (قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ) حين كنتم نطفا (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ) أحياء (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) وهم القائلون ما ذكر (لَا يَعْلَمُونَ . وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يبدل منه (يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ) الكافرون أى يظهر خسرانهم بأن يصيروا إلى النار (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ) أى أهل دين (جَاثِيَةً) على الركب أو مجتمعة (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) كتاب أعمالها و يقال لهم (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أى جزاءه (هَذَا كِتَابُنَا) ديوان الحفظة (يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ) نثبت ونحفظ (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِ) جنته (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ)

على كونه مستوفزا غير مطمئن وقوله أو مجتمعة أولحكاية الخلاف وقيل معناه متميزة وقيل خاضعة (قوله كل أمة) بالرفع فى قراءة العامة مبتدأ وتدعى خبرها (قوله تدعى إلى كتابها) أضيف لهم الكتاب باعتبار أنه مشتمل على أعمالهم (قوله و يقال لهم) قدره إشارة إلى أن الجملة مقولة لقول محذوف واليوم معمول لتجزون وما كنتم مفعوله الثانى ونائب الفاعل مفعول أول (قوله هذا كتابنا) قيل من قول الله لهم ، وقيل من قول الملائكة لهم (قوله ينطق عليكم بالحق) أى يدل عليه لأنهم يقرءونه فيذكرهم بما فعلوه لقوله تعالى - و يقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - (قوله إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) قيل معناه إن لله ملائكة مطهرين ينسخون من أم الكتاب فى رمضان كل يوم ما يكون من أعمال بنى آدم فى العام كله و يعرضونه على الحفظة كل خميس فيجدون ما كتبه الحفظة على بنى آدم موافقا لما فى أيديهم ، وقيل إن الملائكة الحفظة إذا رفعت أعمال العباد إلى الله عز وجل أمر بأن يثبت عنده منها ما فيه ثواب أوعقاب و يسقط ما لا ثواب فيه ولا عقاب (قوله نثبت ونحفظ) أى فالمراد بالنسخ الاثبات والنقل إما من اللوح المحفوظ أو من صحف الكتبة كما علمت (قوله فأما الذين آمنوا الخ) تفصيل لما أجمل فى قوله اليوم تجزون ما كنتم تعملون (قوله فيدخلهم ربهم فى رحمته) أى مع السابقين فلا ينافى أن المؤمن وإن لم يعمل الصالحات يدخل الجنة لكن لامع السابقين بل إما بعد الحساب أو بعد الشفاعة فلا يقال إن التقييد بالعمل الصالح يخرج من مات على الايمان ولم يعمل صالحا (قوله جنته) إنما فسر العام بالخاص لأن الجنة أثر الرحمة التى تستقر الخلائق فيها وتوصف بالدخول فيها دون غيرها من آثار الرحمة (قوله الفوز) أى بلوغ الآمال والظفر بالمقصود .

(قوله المبين) أي الخالص من الشوائب (قوله فيقال لهم) قدره اشارة إلى أن جواب أما محذوف (قوله أفلم تكن آياتي الخ) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه : أي أتركتم الايمان بالرسل فلم تكن الخ (قوله وإذا قيل إن وعد الله حق) هذا من جملة مايقال لهم وحينئذ فيصير المعنى وكنتم إذا قيل لكم إن وعد الله حق الخ (قوله إن وعد الله حق) بكسر إن في قراءة العامة لحكايتها بالقول وقرئ شذوذا بفتحها إجراء للقول مجرى الظن في لغة سليم (قوله بالرفع والنصب) أي فهما قراءتان سبعيتان فالرفع على الابتداء وجملة لاريب فيها خبره والنصب عطفا على اسم إن (قوله ماندري ما الساعة) هذا على سبيل الاستغراب والاستبعاد (قوله إن نظن إلاظنا) إن قلت ما الجمع بين ماهنا وماتقدم في قوله ـ إن هي إلاحياتنا الدنيا ـ فان ماتقدم أثبت أنهم جازمون بعدم البعث وهنا أفاد أنهم شاكون فيه ، ويمكن الجواب بأن الكفار لعلهم افترقوا فرقتين فرقة جازمة بنفي البعث وفرقة متحيرة فيه (قوله قال المبرد الخ) جواب عما يقال إن ظاهر الآية وقوع المفعول المطلق استثناء مفرغا مع أن المقرر في النحو أنه يجوز تفريغ العامل لما بعده من جميع المعمولات إلا المفعول المطلق فلا يقال ماضربت إلاضربا لاتحاد مورد النفي والاثبات لأنه يصير في قوة ماضربت إلا ضربت ولافائدة في ذلك

الْمُبِينُ) البين الظاهر (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) فيقال لهم (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي) أي القرآن (تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ) تكبرتم (وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ) كافرين (وَإِذَا قِيلَ) لكم أيها الكفار (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث (حَقٌّ وَالسَّاعَةُ) بالرفع والنصب (لَا رَيْبَ) شك (فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ) ما (نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) قال المبرد : أصله إن نحن إلا نظن ظنا (وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) أنها آتية (وَبَدَا) ظهر (لَهُمْ) في الآخرة (سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) في الدنيا أي جزاؤها (وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أي العذاب (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ) نترككم في النار (كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) أي تركتم العمل للقائه (وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين منها (ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) حتى قلتم لابعث ولا حساب (فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ) بالبناء للفاعل وللمفعول (مِنْهَا) من النار (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) أي لايطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة لأنها لاتنفع يومئذ (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ) الوصف بالجميل على وفاء وعده في المكذبين (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) خالق ماذكر ، والعالم ماسوى الله وجمع لاختلاف أنواعه ، ورب بدل ،

فأجاب المفسر بأن الآية مؤولة بأن مورد النفي محذوف تقديره نحن ومورد الاثبات كونه يظن ظنا فكلمة إلا مؤخرة من تقديم والمعنى حصر أنفسهم في الظن ونفي ماعداه (قوله وما نحن بمستيقنين) مبالغة في نفي ماعدا الظن عنهم (قوله أي جزاؤها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله نترككم في النار) أشار بذلك إلى أن المراد من النسيان الترك مجازا لأن الترك مسبب عن النسيان فان من نسي شيئا تركه فسمى السبب باسم المسبب لاستحالة حقيقة النسيان عليه تعالى (قوله أي تركتم العمل للقائه) أشار بذلك إلى أنه من اضافة المصدر إلى ظرفه على حد مكر الليل ، وفي الكلام حذف قدره المفسر بقوله العمل والمعنى تركتم العمل للقاء الله في يومكم هذا ، ولايصح أن يكون من إضافة المصدر لمفعوله لأن التوبيخ على نسيان مافي اليوم من الجزاء لاعلى نفس اليوم (قوله ذلكم) أي العذاب الدائم (قوله بأنكم اتخذتم الخ) أي بسبب اتخاذكم (قوله فاليوم لا يخرجون الخ) فيه التفات من الخطاب للغيبة ونكتته الاشارة إلى أنهم ساقطون عن رتبة الخطاب لهوانهم (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لأنها لا تنفع يومئذ) أي ، وأما في الدنيا فالتوبة والطاعة نافعان ، فالذي ينبغي للعاقل المبادرة لذلك قبل الفوات (قوله على وفاء وعده في المكذبين) أي والمؤمنين ، وإنما اقتصر على المكذبين دفعا ، لما يتوهم أنه تعالى إنما يحمد على الفضل فأفاد أنه كما يحمد على الفضل يحمد على العدل ، لأن أوصافه تعالى جميلة (قوله ورب بدل) أي في المواضع الثلاثة ، ويصح أن يكون نعتا للفظ الجلالة .

(قوله وله الكبرياء) أى آثارها لأن وصف الكبرياء قائم بذاته تعالى و إنما تظهر آثارها فى السموات والأرض من التصرف والقهر فتصرفه سبحانه وتعالى فى السموات والأرض ومافيهما من آثار كبريائه سبحانه وتعالى لايعلم قدره غيره ولايبلغ الواصفون صفته (قوله حال) و يصح أن يتعلق بنفس الكبرياء لأنه مصدر (قوله وهوالعزيز الحكيم) أى الغالب الذى يضع الشىء فى محله .

[سورة الأحقاف] سيأتى أن الأحقاف واد باليمن كانت فيه منازل عاد ، وقيل إنه جمع حقف وهوالتل من الرمل ، ولامنافاة بين القولين إذ لامانع من كون التلال فى منازل عاد (قوله إلا قوله تعالى : قل أرأيتم الخ) أى بناء على أن الشاهد عبد الله بن سلام إذ لم يظهر منه التصديق بالقرآن إلا بالمدينة وأما على أن المراد به موسى عليه السلام فلا تكون مدنية (قوله الثلاث آيات) أى وآخرها قوله : أساطير الأولين . وحينئذ فجملة الآيات المستثنيات خمس (قوله وهى أربع أو خمس الخ) هذا الخلاف مبنى على أن حم تعد آية مستقلة أولا

(قوله الله أعلم بمراده به) تقدم غير مرة أن هذا القول هو الأسلم وهو طريقة السلف فى تفويض علم المتشابه لله تعالى (قوله من الله) أى لم يخترعه من نفسه ولم ينقله من بشر ولامن جنى كما قال الكفار (قوله الحكيم فى صنعه) أى الذى أتقن كل شىء (قوله إلا بالحق) هذا هو منصب النفى وهو صفة لمصدر محذوف كما قدره المفسر (قوله ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا) أى و باقى الصفات الكمالية وتنزهه عن النقائص لأن بالحق يعرف الحق لأن كل صنعة تدل على وجود صانعها واتصافه بصفات الكمال (قوله وأجل مسمى) عطف على الحق والكلام على حذف مضاف : أى و إلا بتقدير أجل مسمى لأن الأجل نفسه متأخر عن الخلق وفيه رد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم (قوله والذين كفروا) مبتدأ ومعرضون (إن خبره وقوله عما أنذروا متعلق بمعرضون وما اسم موصول والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به والأولى أن يقدر منصوبا لاختلاف الجار للموصول وللعائد بأن يقول خوفوه (قوله تأكيد) أى لقوله أرأيتم (قوله مفعول ثان) أى أن الجملة الاستفهامية سدت مسد المفعول الثانى (قوله بيان ما) أشار بذلك إلى أن ما اسم استفهام وذا اسم موصول خبرها وخلقوا صلة الموصول و يصح أن ماذا اسم استفهام مفعول لخلقوا (قوله بمعنى همزة الانكار) أى و بل الاضرابية فهى منقطعة (قوله ائتونى بكتاب) الأمر للتبكيت وفيه إشارة إلى نفى الدليل النقلى بعد الاشارة إلى نفى الدليل العقلى (قوله من قبل هذا) صفة لكتاب والجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر خاصا بقوله منزل والمناسب أن يقدره عاما من مادة الكون (قوله أو أثارة) مصدر على وزن كفالة وقوله من علم صفة لأثارة وهى مشتقة من الأثر الذى هو الرواية والعلامة أو من أثرت الشىء أثيره اثارة استخرجت بقيته ، والمعنى ائتونى برواية أو علامة أو بقية

(وله الكبرياء) العظمة (فى السموات والأرض) حال : أى كائنة فيهما (وهو العزيز الحكيم) تقدم .

(سورة الأحقاف)

مكية إلا قوله تعالى « قل أرأيتم إن كان من عندالله » الآية و إلا « فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل الآية » و إلا « ووصينا الانسان بوالديه » الثلاث آيات

وهى أربع أو خمس وثلاثون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . حم) الله أعلم بمراده به (تنزيل الكتاب) القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا) خلقا (بالحق) ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا (وأجل مسمى) إلى فنائهما يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) خوفوا به من العذاب (معرضون . قل أرأيتم) أخبرونى (ما تدعون) تعبدون (من دون الله) أى الأصنام مفعول أول (أرونى) أخبرونى تأكيد (ماذا خلقوا) مفعول ثان (من الأرض) بيان ما (أم لهم شرك) مشاركة (فى) خلق (السموات) مع الله وأم بمعنى همزة الإنكار (ائتونى بكتاب) منزل (من قبل هذا) القرآن (أو أثارة) بقية (من علم) يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم فى عبادة الأصنام أنها تقربكم إلى الله ،

(إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى دعواكم (وَمَنْ) استفهام بمعنى النفى : أى لا أحد (أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا) يعبد (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) وهم الأصنام لايجيبون عابديهم إلى شىء يسألونه أبدا (وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ) عبادتهم (غَافِلُونَ) لأنهم جماد لايعقلون (وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا) أى الأصنام (لَهُمْ) لعابديهم (أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ) بعبادة عابديهم (كَافِرِينَ) جاحدين (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ) أى أهل مكة (آيَاتُنَا) القرآن (بَيِّنَاتٍ) ظاهرات حال (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) منهم (لِلْحَقِّ) أى القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) بين ظاهر (أَمْ) بمعنى بل وهمزة الإنكار (يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) أى القرآن (قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ) فرضا (فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ) أى من عذابه (شَيْئًا) أى لا تقدرون على دفعه عنى إذا عذبنى الله (هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ) تقولون فى القرآن (كَفَىٰ بِهِ) تعالى (شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ) لمن تاب (الرَّحِيمُ) به فلم يعاجلكم بالعقوبة (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا) بديعا (مِنَ الرُّسُلِ) أى أول مرسل قد سبق قبلى كثير منهم فكيف تكذبونى (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) فى الدنيا أأخرج من بلدى أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلى أم ترمونى بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم (إِنْ) ما (أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ) أى القرآن ولا أبتدع من عندى شيئا ،

من علم يؤثر عن الأنبياء والصلحاء (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه : أى فأتونى (قوله ومن أضل الخ) مبتدأ وخبر (قوله من لايستجيب) من نكرة موصوفة بالجملة بعدها أو اسم موصول وما بعدها صلتها وهى معمولة ليدعوا ، والمعنى لاأحد أضل من شخص يعبد شيئا لايجيبه أو الشىء الذى لايجيبه ولا ينفعه فى الدنيا والآخرة (قوله إلى يوم القيامة) الغاية داخلة فى المغيا وهو كناية عن عدم الاستجابة فى الدنيا والآخرة (قوله وهم الأصنام) عبر عنهم بضمير العقلاء مجاراة لما يزعمه الكفار (قوله لأنهم جماد) أشار بذلك إلى أن المراد بالغفلة عدم الفهم (قوله وإذا حشر الناس) أى جمعوا بعد إخراجهم من القبور (قوله جاحدين) أى منكرين وهذا نظير قوله تعالى - وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون - (قوله حال) أى من آياتنا (قوله قال الذين كفروا) أظهر فى مقام الإضمار لبيان وصفهم بالكفر ووصف الآيات بالحق و إلا فمقتضى الظاهر قالوا لها (قوله لما جاءهم) أى حين جاءهم (قوله ظاهر) أى باهر لايعارض إلا بمثله (قوله أم يقولون الخ) ترق فى الانكار وانتقال إلى ماهو أشنع (قوله فرضا) أى على سبيل الفرض والتقدير (قوله فلا تملكون لى من الله شيئا) أى فهو المتولى أمورى ولا أحد يقدر على دفع ما أصابنى منه غيره (قوله هو أعلم بما تفيضون فيه) أى تخوضون وتقدحون فى القرآن بقولكم هو شعر هو سحر وغير ذلك (قوله كفى به شهيدا بينى وبينكم) أى فيشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالتكذيب والانكار (قوله الرحيم به) المناسب أن يقول الرحيم بعباده ليحسن ترتيب قوله فلم يعاجلكم الخ عليه (قوله فلم يعاجلكم بالعقوبة) أى بل أمهلكم لتتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه ففيه وعد حسن بالمغفرة للتائبين والرحمة بجميع العباد إشارة إلى أن حلم الله ورحمته شاملة لهم مع عظم جرمهم (قوله بديعا) اشار بذلك إلى أن بدعا صفة كخف وحقيق وهو من الابتداع والاختراع ويصح أن يكون مصدرا على حذف مضاف : أى ذا بدع وقرئ شذوذا بكسر الباء وفتح الدال جمع بدعة : أى ما كنت صاحب بدع و بفتح الباء وكسر الدال وصف كحذر (قوله وما أدرى مايفعل بى ولا بكم) ما استفهامية مبتدأ والجملة بعدها خبرها وهى معلقة لأدرى عن العمل فهى سادة مسد مفعوليها ، ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون وقالوا كيف نتبع نبيا لايدرى مايفعل به ولابنا وأنه لافضل له علينا ولولا أنه ابتدع الذى يقوله من تلقاء نفسه لأخبره الذى بعثه بما يفعله به فنسخت هذه الآية وأرغم الله أنف الكفار بنزول قوله تعالى - ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر - الآيات ، فقالت الصحابة هنيئا لك يارسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فليت شعرنا ماهو فاعل بنا ؟ فنزلت - ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار - الآية ونزلت - و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا - فهذه الآية نزلت فى أوائل الاسلام قبل بيان مآل النبى والمؤمنين والكافرين و إلا فماخرج صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أعلمه الله

فى القرآن ما يحصل له وللمؤمنين والكافرين فى الدنيا والآخرة إجمالا وتفصيلا (قوله وما أنا إلا نذير مبين) الحصر إضافى ؛ أى منذر عن الله لا أخترع من تلقاء نفسى فلا ينافى أنه بشير أيضا (قوله ماذا حالكم) أشار بذلك إلى أن مفعولى أرأيتم محذوفان دلت عليهما الجملة (قوله جملة حالية) أى وكذا ما بعدها من الجمل الثلاث ويصح جعل الجمل الأربعة معطوفات على فعل الشرط فقول المفسر فيما يأتى بما عطف عليه يعنى من الجمل الأربع فيه تلفيق ويمكن أن يجاب بأن المراد العطف اللغوى (قوله هو عبد الله بن سلام) وقيل الشاهد موسى وشهادته ما فى التوراة من نعته صلى الله عليه وسلم (قوله أى عليه) أشار بذلك إلى أن مثل صلة (قوله ألستم ظالمين) المناسب للمفسر تقدير الفاء لأن الجملة التى فعلها جامد إذا وقعت جوابا للشرط لزمت الفاء (قوله وقال الذين كفروا الخ) هذا من جملة قبائح الكفار زعما منهم أن عز الآخرة تابع لعز الدنيا ولم يعلموا أن رحمة الله يخص بها من يشاء ولاسيما من لم تكن الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه ، ورد أن القائل ذلك جملة من العرب وهم بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار (قوله أى فى حقهم) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى فى ويصح أن تبقى على بابها (قوله لو كان الإيمان الخ) أشار بذلك إلى أن الضمير فى كان عائد على الإيمان ويصح عوده على القرآن أو على الرسول وكلها معان متلازمة (قوله ما سبقونا إليه) التفات من الخطاب إلى الغيبة وكان مقتضى الظاهر ما سبقتمونا إليه والضمير فى إليه عائد على ما عاد عليه ضمير كان (قوله وإذ لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف تقديره زادوا طغيانا وليس قوله فسيقولون عاملا فيه لأمرين وجود الفاء وكون الفعل مستقبلا لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها وبين الماضى والاستقبال تضاد فان الفعل مستقبل وإذ للماضى (قوله إفك قديم) أى من قول الأقدمين أتى به هو ونسبه إلى الله تعالى فهو كقولهم أساطير الأولين (قوله ومن قبله) خبر مقدم وكتاب

(وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الإنذار (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبرونى ماذا حالكم (إِنْ كَانَ) أى القرآن (مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ) جملة حالية (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ) هو عبد الله بن سلام (عَلَى مِثْلِهِ) أى عليه أنه من عند الله (فَآمَنَ) الشاهد (وَاسْتَكْبَرْتُمْ) تكبرتم عن الإيمان وجواب الشرط بما عطف عليه ألستم ظالمين ؟ دل عليه (إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا) أى فى حقهم (لَوْ كَانَ) الإيمان (خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا) أى القائلون (بِهِ) أى بالقرآن (فَسَيَقُولُونَ هٰذَا) أى القرآن (إِفْكٌ) كذب (قَدِيمٌ . وَمِنْ قَبْلِهِ) أى القرآن (كِتَابُ مُوسَى) أى التوراة (إِمَاماً وَرَحْمَةً) للمؤمنين به حالان (وَهٰذَا) أى القرآن (كِتَابٌ مُصَدِّقٌ) للكتب قبله (لِسَاناً عَرَبِيًّا) حال من الضمير فى مصدق (لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) مشركى مكة (وَ) هو (بُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ) المؤمنين (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) على الطاعة (فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ .

مبتدأ مؤخر والجملة حالية أو مستأنفة وهو رد لقولهم هذا إفك قديم ، والمعنى لا يصح كونه إفكا قديما مع كونكم سلمتم كتاب موسى ورجعتم إلى حكمه فان القرآن مصدق لكتاب موسى وغيره وفيه قصص المتقدمين من الرسل وغيرهم والمتأخرين (قوله حالان) أى من كتاب موسى (قوله مصدق للكتب قبله) أى كتاب موسى وغيره من باقى الكتب السماوية (قوله حال من الضمير فى مصدق) ويصح أن يكون حالا من كتاب وعربيا صفة للسانا (قوله لينذر) متعلق بمصدق (قوله وبشرى للمحسنين) أشار المفسر بتقدير الضمير إلى أنه خبر لمبتدإ محذوف والجملة حالية ويصح أن يكون معطوفا على مصدق فهو مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها التعذر أو منصوب عطف على محل قوله لينذر كأنه قال للانذار والبشارة (قوله إن الذين قالوا ربنا الله) أى وحدوا ربهم ، وقوله ثم استقاموا الاستقامة هى العلم والعمل وأتى بثم إشارة إلى أن اعتبار العلم والعمل إنما يكون بعد التوحيد وللدلالة على الاستمرار على الاستقامة فليس المراد حصول الاستقامة مدة ثم يرجع للمخالفات (قوله فلا خوف عليهم) أى من وقت حضور الموت إلى ما لا نهاية له فيأمنون من الفتانات وسؤال الملكين وعذاب القبر وهول الموقف والنار (قوله ولا هم يحزنون) أى على ما فاتهم فى الدنيا .

(قوله أولئك أصحاب الجنة) أى هى لهم بالأصالة (قوله حال) أى من ضمير أصحاب الجنة (قوله ووصينا الانسان بوالديه) لما كان حق الوالدين مطلوبا بعد حق الله تعالى ذكر الوصية بهما إثر ما يتعلق بحقوقه تعالى ومناسبة ذكر الوصية بالوالدين عقب ذكر صفات أهل الجنة وأهل النار لأن الانسان يختلف حاله مع أبويه فقديبرّهما فيكون ملحقا بأهل الجنة وقديعقهما فيكون ملحقا بأهل النار (قوله وفى قراءة) أى سبعية أيضا (قوله أى أمرناه الخ) تفسير لكلّ من القراءتين (قوله فنصب إحسانا الخ) بيان لإعراب القراءتين على اللف والنشر المشوّش والحسن والإحسان بمعنى واحد وهوجمال القول والفعل بأن يعظمهما ويوقرهما قولا وفعلا (قوله حملته أمه الخ) علة لقوله وصينا، واقتصر على ذكر الأم لأن حقها أعظم ولذلك قيل إن لها ثلثى الأجر (قوله كرها) بفتح الكاف وضمها قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد (قوله أى على مشقة) أى فى أثناء الحمل إذ لامشقة فى أوله (قوله وحمله) أى مدّة حمله، وقوله ثلاثون شهرا خبر قوله حمله على حذف مضاف (قوله إن حملت به ستة) أى من الشهور، وقوله أرضعته الباقى: أى من الثلاثين وهو أربعة وعشرون أوأحد وعشرون، قيل إن الآية عامة فى كلّ إنسان، وقيل إنها خاصة بمن نزلت فى حقه وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما روى: أن أمه حملت به تسعة أشهر وأرضعته أحدا وعشرين شهرا (قوله غاية لجملة مقدّرة) أى معطوفة على قوله ووضعته أومستأنفة

أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا) حال (جَزَاءً) منصوب على المصدر بفعله المقدر أى يجزون (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) وفى قراءة إحسانا . أى أمرناه أن يحسن إليهما فنصب إحسانا على المصدر بفعله المقدر ومثله حسنا (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) أى على مشقة (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ) من الرضاع (ثَلَاثُونَ شَهْرًا) ستة أشهر أقلّ مدة الحمل والباقى أكثرمدة الرضاع، وقيل إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقى (حَتَّىٰ) غاية لجملة مقدرة أى وعاش حتى (إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) هو كمال قوته وعقله ورأيه، اقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً) أى تمامها وهو أكثر الأشدّ (قَالَ رَبِّ) الخ نزل فى أبى بكر الصديق لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم آمن به ثم آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق (أَوْزِعْنِي) ألهمنى (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ) بها (عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ) وهو التوحيد (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله، (وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي)

(قوله أقله ثلاث وثلاثون سنة) أى لأن هذا الوقت هوالوقت الذى يكمل فيه بدن الانسان (قوله الخ) أى وآخرها قوله: وإنى من المسلمين (قوله نزل) أى المذكور من قوله تعالى - ووصينا الإنسان - الخ وحاصل ذلك أن أبا بكر صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة إلى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبى صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب هناك فسأله عن الدين، فقال له الراهب من الرجل الذى فى ظلّ السدرة؟ فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فقال الراهب هذا والله نبىّ وما استظلّ تحتها بعد عيسى أحد إلا هذا وهو نبىّ آخر الزمان، فوقع فى قلب أبى بكر اليقين والتصديق وكان لايفارق النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ولاحضر، فلما بلغ رسول الله أربعين سنة وأكرمه الله تعالى بنبوّته واختصه برسالته آمن به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وصدّقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجلّ فقال - ربّ أوزعنى - الآية (قوله ثم آمن أبواه) أى أبوه عثمان بن عامر بن عمرو، وكنيته أبو قحافة وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو (قوله وابن عبد الرحمن) أى واسمه محمد، وكلهم أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم، ولم يجتمع هذا لأحد من الصحابة غير أبى بكر وامرأة أبى بكر اسمها قتيلة بنت عبد العزى وامرأة أبيه اسمها قيلة (قوله ألهمنى) أى رغبنى ووفقنى (قوله فأعتق تسعة) أى افتداهم من أيدى الكفار وخلصهم من أذاهم فهو عتيق صورى ولم يرد شيئا من الخير إلا أعانه الله عليه (قوله وأصلح لى فى ذرّيتى) أى اجعل الصلاح ساريا فيهم، وعبر بفى إشارة إلى أنهم كالظرف للصلاح لتمكنه منهم،

(قوله فكلهم مؤمنون) أى فالصلاح مقول بالتشكيك يتحقق بأصل الايمان و يتزايدون فيه على حسب مراتبهم (قوله أى قائلو هذا القول) أشار بذلك إلى أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله الذين يتقبل) هو و يتجاوز بالياء مبنيا للمفعول أو بالنون مبنيا للفاعل قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بالياء مبنيا للفاعل (قوله بمعنى حسن) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه (قوله حال) أى من ضمير عنهم (قوله وعد الصدق) مصدر منصوب بفعله المقدر أى وعدهم الله وعد الصدق (قوله الذى كانوا يوعدون) أى فى الدنيا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله والذى قال لوالديه الخ) اسم الموصول معمول لمحذوف تقديره اذكر يامحمد لقومك الشخص الذى قال لوالديه الخ ويحتمل أنه مبتدأ خبره قوله أولئك الذين حق عليهم القول الخ والمراد منه الجنس لاشخص معين ولذا أخبر عنه بالجمع مراعاة لمعناه فهى واردة فى كل شخص كافر عاق لوالديه المسلمين وهذا هوالصحيح خلافا لمن شذ وقال إن هذه الآية نزلت فى حق عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قبل إسلامه فانه كان من أفاضل الصحابة وخيارهم وقد كذبت الصديقة من قال ذلك و يرده أيضا قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الخ (قوله وفى قراءة بالادغام) أى وهى سبعية أيضا (قوله بكسر الفاء) أى مع التنوين وتركه وقوله وفتحها أى من غير تنوين فالقراآت ثلاث سبعيات وهو مصدر أف يؤف أفا بمعنى نتنا وقبحا أو هو اسم صوت يدل على أتضجر أو اسم فعل بمعنى أتضجر والمفسر أشار لاثنين منها بقوله بمعنى مصدر و بقوله أتضجر منكما (قوله أى نتنا) النتن القذارة والرائحة الكريهة وهو كناية عن عدم الرضا بفعلهما والتضجر منهما (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أن أخرج) هذا هوالموعود به والباء محذوفة أى بأن أخرج وحذف الجار مع أن مطرد (قوله وقد خلت القرون من قبلى) (لما

فكلهم مؤمنون (إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ . أُولَٰئِكَ) أى قائلو هذا القول أبو بكر وغيره (الَّذِينَ يُتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ) بمعنى حسن (مَا عَمِلُوا وَيُتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِى أَصْحَابِ الْجَنَّةِ) حال: أى كائنين فى جملتهم (وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ) فى قوله تعالى: وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات (وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ) وفى قراءة بالإدغام أريد به الجنس (أُفٍّ) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أى نتنا وقبحا (لَكُمَا) أتضجر منكما (أَتَعِدَانِنِى) وفى قراءة بالادغام (أَنْ أُخْرَجَ) من القبر (وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ) الأمم (مِنْ قَبْلِى) ولم تخرج من القبور (وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ) يسألانه الغوث برجوعه ويقولان إن لم ترجع (وَيْلَكَ) أى هلاكك بمعنى هلكت (آمِنْ) بالبعث (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا) أى القول بالبعث (إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أكاذيبهم (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ) وجب (عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) بالعذاب (فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ . وَلِكُلٍّ) من جنس المؤمن والكافر (دَرَجَاتٌ) فدرجات المؤمنين فى الجنة عالية، ودرجات الكافرين فى النار سافلة،

الجملة حالية (قوله ولم تخرج من القبور) أى زعما منه أن الخروج من القبور لو كان صدقا لحصل قبل انقضاء الدنيا (قوله وهما يستغيثان الله) اعلم أن مادة الاستغاثة تتعدى بنفسها تارة و بالباء أخرى لكن لم ترد فى القرآن إلا متعدية بنفسها، قال تعالى إذ تستغيثون ربكم، وإن يستغيثوا يغاثوا، فاستغاثه الذى من شيعته (قوله يسألانه الغوث) أى إغاثة ذلك الولد بتوفيقه للاسلام (قوله ويلك) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ويقولون الخ وذلك المحذوف حال من فاعل يستغيثان، والمعنى يستغيثان الله حال كونهما قائلين ويلك (قوله آمن) أى صدق واعترف فهو فعل أمر (قوله إن وعد الله حق) جملة مستأنفة أو تعليل لما قبلها (قوله أكاذيبهم) أى اخترعوها من غير أن يكون لها أصل (قوله فى أمم) حال من ضمير عليهم والمعنى ثبت عليهم القول فى عداد أمم الخ (قوله إنهم كانوا خاسرين) أى كافرين ابتداء وانتهاء (قوله ولكل) خبر مقدم ودرجات مبتدأ مؤخر، والمعنى لكل شخص من المؤمنين والكفار (قوله درجات) فى الكلام تغليب لأن مراتب أهل النار يقال لها دركات بالكاف لابالجيم أو تسمح حيث أطلق الدرجات وأراد المنازل مطلقا علوية أو سفلية.

(قوله بما عملوا) أي من أجل ما عملوا من خير وشر (قوله وليوفيهم) عطف علة على معلول والمعنى جازاهم بذلك ليوفيهم (قوله أي جزاءها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ينقص للمؤمنين) أي من درجاتهم بل قد يزاد لهم فيها (قوله ويزاد للكفار) أي في دركاتهم بل قد يخفف عن بعضهم كأبي طالب وأبي لهب (قوله ويوم يعرض الخ) يوم معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله يقال لهم الخ والمعنى يقال لهم أذهبتم الخ وقت عرضهم على النار (قوله بأن تكشف لهم) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه قلب والأصل ويوم تعرض النار على الذين كفروا أي يكشف لهم عنها وأتى به كذلك لأن عرض الشخص على النار أشد في إهانته من عرض النار عليه لأن عرضه عليها يفيد أنه كالحطب المجعول للاحراق وإنما كان فيه قلب لأن المعروض عليه شأنه العلم والاطلاع والنار ليست كذلك وقيل المراد بالعرض العذاب وحينئذ فليس فيه قلب وقد أفاد هذا المعنى المفسر آخرا بقوله ويعذبون بها (قوله يقال لهم) هذا المقدار عامل في جملة أذهبتم وناصب ليوم على الظرفية (قوله أذهبتم طيباتكم) أي ما قدر لكم من المستلذات فقد استوفيتموه في الدنيا فلم يبق لكم حظ تأخذونه في الآخرة (قوله بهمزة الخ) أشار المفسر لخمس قراآت تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما على الوجهين وتركه وهمزة واحدة وأجمل في ذلك فقوله بهمزة هي إحدى القراآت الخمس وقوله وبهمزتين أي محققتين بغير مد بينهما ثانيتها

(بِمَا عَمِلُوا) أي المؤمنون من الطاعات والكافرون من المعاصي (وَلِيُوَفِّيَهُمْ) أي الله وفي قراءة بالنون (أَعْمَالَهُمْ) أي جزاءها (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) شيئاً ينقص للمؤمنين ويزاد للكفار (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) بأن تكشف لهم يقال لهم (أَذْهَبْتُمْ) بهمزة وبهمزتين وبهمزة ومدة وبهما وتسهيل الثانية (طَيِّبَاتِكُمْ) باشتغالكم بلذاتكم (فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ) تمتعتم (بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) أي الهوان (بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) تتكبرون (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) به وتعذبون بها (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ) هو هود عليه السلام (إِذْ) الخ بدل اشتمال (أَنْذَرَ قَوْمَهُ) خوفهم (بِالْأَحْقَافِ) واد باليمن به منازلهم (وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ) مضت الرسل (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) أي من قبل هود ومن بعده إلى أقوامهم (أَنْ) أي بأن قال (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) وجملة وقد خلت ،

قوله وبهمزة ومدة المناسب وبهمزتين محققتين ومدة وهي ثالثتها وقوله وبهما وتسهيل الثانية أي بمدة ودونها فقد تمت الخمس (قوله أي الهوان) أشار بذلك إلى أنه من إضافة الموصوف لصفته (قوله بغير الحق) وصف كاشف لأن الاستكبار لا يكون إلا بغير الحق فان الكبرياء وصف لله وحده (قوله به) متعلق بتستكبرون وتفسقون وقدره إشارة إلى أن العائد محذوف ويصح أن تكون مصدرية أي بكونهم مستكبرين فاسقين والمراد بالاستكبار الفواحش الباطنية وبالفسق الفواحش الظاهرية (قوله ويعذبون بها) عطف على يعرض عطف تفسير فهو تفسير آخر للعرض فالمناسب تقديمه وعلى بمعنى الباء (قوله واذكر أخا عاد) أي في النسب لا في الدين لأن هودا هو وقومه ينتسبون لعاد (قوله هو هود) أي ابن عبد الله بن رباح وتقدم ذكره تفصيلا في سورة هود (قوله بدل اشتمال) أي فالمقصود ذكر قصته مع قومه للاعتبار بها (قوله بالأحقاف) حال من قومه أي أنذرهم والحال أنهم مقيمون بالأحقاف (قوله واد باليمن) أي فهو علم على الوادي لا جمع وقوله ومنازلهم تفسير آخر وعليه فهو جمع حقف وهو الرمل المستطيل وتقدم القولان في أول السورة وقيل إن الأحقاف جبل بالشام (قوله وقد خلت النذر) الواو اعتراضية والخلو بالنسبة لزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بهذه الجملة لبيان أن إنذار هود لعاد وقع مثله للرسل المتقدمين عليه والمتأخرين عنه فلم يكن مختصا بهود ويحتمل أن معنى قوله وقد خلت النذر الخ أي مضى لك ذكرهم في القرآن مرارا فلا حاجة للاعادة فهو ذكر لباقي القصص إجمالا نظير قوله فيما تقدم وقد مضى مثل الأولين فتدبر (قوله أي من قبل هود الخ) لف ونشر مرتب والذين قبله أربعة آدم وشيث وإدريس ونوح والذين بعده كصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق وسائر أنبياء بني إسرائيل (قوله إلى أقوامهم) متعلق بمضت لتضمنه معنى مرسلين (قوله أي بأن) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية أو مخففة من الثقيلة والباء المقدرة للتصوير .

(قوله معترضة) أى بين الانذار ومعموله (قوله إنى أخاف) علة لقوله أن لا تعبدوا (قوله عظيم) بالجر صفة ليوم ووصف اليوم بالعظم لشدة هو له (قوله قالوا أجئتنا) أى جوابا لانذاره (قوله إن كنت من الصادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله إنما العلم عند الله) أى علم وقت إتيان العذاب عند الله فلا علم لى بوقته ولا مدخل لى فى استعجاله (قوله وأبلغكم ما أرسلت به إليكم) أى إن وظيفتى تبليغكم لا الاتيان بالعذاب إذ ليس فى طاقتى وأبلغكم بسكون الباء وتخفيف اللام وبفتحها وتشديد اللام مكسورة قراءتان سبعيتان (قوله ولكنى) بسكون الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله أى ماهو العذاب) أشار بذلك إلى أن الضمير فى رأوه عائد على ما فى قوله ماتعدنا (قوله سحابا عرض) أى فالعارض هو السحاب الذى يعرض فى الأفق (قوله مستقبل أوديتهم) أى متوجها إليها والاضافة لفظية للتخفيف وكذا هى قوله ممطرنا ولذا وقع المضاف فى الموضعين صفة للنكرة وهى عارضا وعارض (قوله أى ممطر إيانا) أى يأتينا بالمطر (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله بل هو الخ من كلامه تعالى ويصح أن يكون من كلام هود ردا لقولهم هذا عارض ممطرنا وهو الأولى

معترضة (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) إن عبدتم غير الله (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا) لتصرفنا عن عبادتها (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) من العذاب على عبادتها (إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى أنه يأتينا (قَالَ) هود (إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ) هو الذى يعلم متى يأتيكم العذاب (وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ) إليكم (وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) باستعجالكم العذاب (فَلَمَّا رَأَوْهُ) أى ما هو العذاب (عَارِضًا) سحابا عرض فى أفق السماء (مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا) أى ممطر إيانا قال تعالى (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ) من العذاب (رِيحٌ) بدل من ما (فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (تُدَمِّرُ) تهلك (كُلَّ شَيْءٍ) مرت عليه (بِأَمْرِ رَبِّهَا) بإرادته أى كل شىء أراد إهلاكه بها فأهلكت رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته ، وبقى هود ومن آمن معه (فَأَصْبَحُوا لَا تَرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ) كما جزيناهم (نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) غيرهم (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا) فى الذى (إِنْ) نافية أو زائدة (مَكَّنَّاكُمْ) يا أهل مكة (فِيهِ) من القوة والمال (وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا) بمعنى أسماعا (وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً) قلوبا (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ) أى شيئا من الإغناء ومن زائدة (إِذْ)

معمولة

(قوله بدل من ما) أى أو خبر لمحذوف : أى هى ريح (قوله فيها عذاب أليم) الجملة صفة لريح وكذا قوله تدمر (قوله أى كل شىء أراد إهلاكه بها) تفسير لقوله بأمر ربها (قوله فأهلكت رجالهم) قدر هذا ليعطف عليه قوله فأصبحوا الخ روى أن هودا لما أحس بالريح أخذ المؤمنين ووضعهم فى حظيرة وقيل خط حولهم خطا فكانت الريح لا تعدو الخط وجاءت الريح فأمالت الأحقاف على الكفرة فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين ثم كشفت عنهم الرمل واحتملتهم فقذفتهم فى البحر (قوله وبقى هود ومن آمن معه) أى وهم أربعة آلاف وكانت الريح تأتيهم لينة باردة طيبة والريح التى تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهى معجزة عظيمة لهود عليه السلام (قوله فأصبحوا) أى صاروا (قوله لاترى إلا مساكنهم) بتاء الخطاب ونصب المساكن وبياء الغيبة مبنيا للمفعول ورفع مساكن على أنه نائب الفاعل قراءتان سبعيتان ، والمعنى فصاروا لايرى إلا أثر مساكنهم لأن الريح لم تبق منها إلا الآثار والمساكن معطلة (قوله كما جزيناهم) أى عادا (قوله ولقد مكناهم) أى عادا (قوله فى الذى) أشار به إلى أن ما موصولة (قوله نافية) أى بمعنى ما ولم يؤت بلفظها دفعا لثقل التكرار ويكون المعنى ولقد مكنا عادا فى الذى لم نمكنكم يا أهل مكة فيه (قوله أو زائدة) أى والمعنى ولقد مكنا عادا فى مثل الذى مكناكم فيه ويصح أن تكون شرطية وجوابها محذوف والتقدير ولقد مكناهم فى الذى إن مكناكم فيه طغيتم وبغيتم وأوضحها أولها (قوله وجعلنا لهم سمعا الخ) أفرد السمع لأن ما يدرك به متحد وهو الصوت بخلاف ما بعده من الأبصار والأفئدة فانه يدرك بهما أشياء كثيرة (قوله أى شيئا) أشار بذلك إلى أن من شىء مفعول مطلق منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد .

معمولة لأغنى وأشرب معنى التعليل (كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) حججه البينة (وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) أى العذاب (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى) أى من أهلها كثمود وعاد وقوم لوط (وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ) كررنا الحجج البينات (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. فَلَوْلَا) هلا (نَصَرَهُمُ) بدفع العذاب عنهم (الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (قُرْبَانًا) متقربا بهم إلى الله (آلِهَةً) معه وهم الأصنام ومفعول اتخذ الأول ضمير محذوف يعود على الموصول أى هم وقربانا الثانى وآلهة بدل منه (بَلْ ضَلُّوا) غابوا (عَنْهُمْ) عند نزول العذاب (وَذَلِكَ) أى اتخاذهم الأصنام آلهة قربانا (إِفْكُهُمْ) كذبهم (وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يكذبون وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أى فيه (وَ) اذكر (إِذْ صَرَفْنَا) أملنا (إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ) جن نصيبين باليمن أو جن نينوى وكانوا سبعة أو تسعة وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخل يصلى بأصحابه الفجر رواه الشيخان .

(قوله معمولة لأغنى) أى لنفيه فان التعليل للنفى، والمعنى انتفى نفع هذه الحواس عنهم لأنهم كانوا يجحدون الخ (قوله ولقد أهلكنا ماحولكم) الخطاب لأهل مكة (قوله من القرى) أى أهلها (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية (قوله ومفعول اتخذوا الخ) أى والمعنى فهلا دفع عنهم العذاب الأصنام الذين اتخذوهم قربانا آلهة والمقصود توبيخهم (قوله وآلهة بدل منه) هذا أحد أعاريب ويصح أن يكون آلهة الثانى وقربانا حال أو مفعول من أجله (قوله بل ضلوا عنهم) إضراب انتقالى من نفى الدفع عنهم إلى غيبتها عنهم بالكلية، والمعنى لم يحضروا عندهم فضلا عن كونهم يدفعون عنهم العذاب (قوله إفكهم) قرأ العامة بكسر الهمزة وسكون الفاء مصدر أفك يأفك إفكا، وقرئ شذوذا بفتح الهمزة وهو مصدر له أيضا و بفتحات فعلا ماضيا (قوله وما مصدرية) أى وافتراؤهم وهو الأحسن لتناسب المعطوفين (قوله أى فيه) أى فحذف الجار فاتصل الضمير ثم حذف ولو قال أى يفترونه لكان أوضح (قوله وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) أى اذكر يا محمد لقومك قصة صرفنا إليك نفرا من الجن ليعتبروا فان رسالتك عامة للانس والجن والملائكة وجميع الخلق، لكن إرساله للانس والجن إرسال تكليف إجماعا، وإرساله للملائكة قيل إرسال تكليف بما يليق بهم، وقيل إرسال تشريف وإرساله لما عداهم من الحيوانات غير العاقلة والجمادات إرسال تشريف ورحمة (قوله نفرا) النفر بفتحتين والنفر والنفير من ثلاثة رجال إلى عشرة (قوله نصيبين) أى وهى قرية باليمن (قوله أو جن نينوى) بنون مكسورة فياء ساكنة فنون مضمومة أومفتوحة فواو فألف مقصورة هى قرية يونس عليه السلام قرب الموصل (قوله وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخل) الصواب أن يقول وكان ببطن نخلة لأنه هوالذى فى طريق الطائف، وأما بطن نخل فهوالمكان الذى صلى فيه صلاة الخوف وهو على مرحلتين من المدينة (قوله يصلى بأصحابه الفجر) فيه شئ إذ لم يثبت أنه كان معه من الصحابة إلا زيد بن حارثة وهذه الواقعة كانت قبل فرض الصلوات، فالصواب أن يقول: كان يصلى فى جوف الليل وعبارة المواهب ثم خرج عليه السلام إلى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة أشهر فى ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لمانال من قريش بعد موت أبى طالب وكان معه زيد بن حارثة فأقام به شهرا يدعو أشراف ثقيف إلى الله تعالى فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف راجعا إلى مكة نزل نخلة وهوموضع على ليلة من مكة صرف الله إليه سبعة من جن نصيبين وكان عليه السلام قد قام فى جوف الليل يصلى الخ. واعلم أن العلماء ذكروا فى سبب هذه الواقعة قولين: أحدهما أن الجن كانت تسترق السمع فلما رجموا ومنعوا من السماء حين بعث النبى قالوا ماهذا إلا لشئ حدث فى الأرض فذهبوا فيها يطلبون السبب وكان قد اتفق أن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحادية عشرة من النبوة لما أيس من أهل مكة خرج إلى الطائف يدعوهم إلى الاسلام فلم يجيبوه فانصرف راجعا إلى مكة فقام ببطن نخل يقرأ القرآن فمر به نفر من جن نصيبين كان إبليس قد بعثهم يطلبون السبب الذى أوجب حراسة السماء بالرجم بالشهب فسمعوا القرآن فعرفوا أن ذلك هوالسبب وعليه فلم يكن اجتماعه بالجن مقصودا للارسال. ثانيهما أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله إليه نفرا منهم يستمعون القرآن

و ينذرون قومهم وذلك لأن الجن مكلفون لهم الثواب وعليهم العقاب ويدخلون الجنة و يأكلون فيها و يشربون كالانس فانتهض النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقال « إنى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة القرآن فأيكم يتبعنى فأطرقوا فتبعه عبدالله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه أحد غيرى قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل النبى شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا وأمرنى أن أجلس فيه وقال لى لاتخرج حتى أعود إليك فانطلق حتى وصل إليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبى الله وغشيته أسودة كثيرة حالت بينى و بينه حتى لم أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ النبى منهم مع الفجر فانطلق إلىّ فقال لى قد نمت فقلت لا والله ولكنى هممت أن آتى إليك لخوفى عليك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم فأولئك جن نصيبين فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا فقال إن الجن اختصموا فى قتيل قتل بينهم فتحاكموا إلىّ فقضيت بينهم بالحق وكان عدة هؤلاء اثنى عشر ألفا» وروى عن أنس قال « كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وهو بظاهر المدينة إذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازة فقال النبى صلى الله عليه وسلم إنها لنغمة جنى فقال الشيخ أجل يارسول الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من أى الجن أنت قال إنى هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس فقال له النبى كم أتى عليك من العمر فقال أكلت عمر الدنيا إلا القليل كنت حين قتل هابيل غلاما ابن أعوام فكنت أشرف على الآكام وأصطاد الهام وأحرش بين الأنام فقال النبى بئس العمل فقال يارسول الله دعنى من العتب فانى ممن آمن مع نوح عليه السلام وعاتبته فى دعوته فبكى وأبكانى ، وقال والله إنى لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين وأتيت هودا فعاتبته فى دعوته فبكى وأبكانى ، وقال والله إنى لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولقيت إبراهيم وآمنت به وكنت بينه و بين الأرض إذ رمى به فى المنجنيق وكنت معه فى النار إذ ألقى فيها وكنت مع يوسف إذ ألقى فى الجب فسبقته إلى قعره ولقيت موسى بن عمران وكنت مع عيسى ابن مريم عليهما السلام فقال لى إن لقيت محمدا فاقرأ عليه السلام

(يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا) أى قال بعضهم لبعض (أَنْصِتُوا) اصغوا لاستماعه (فَلَمَّا قُضِيَ) فرغ من قراءته (وَلَّوْا) رجعوا (إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا وكانوا يهودا وقد أسلموا (قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا) هو القرآن (أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) أى تقدمه كالتوراة (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) الإسلام (وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) أى طريقه (يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ) محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان (وَآمِنُوا بِهِ ،

يغفر)

قال أنس فقال النبى وعليه السلام وعليك السلام ياهام ماحاجتك فقال إن موسى علمنى التوراة و إن عيسى علمنى الانجيل فعلمنى القرآن قال أنس فعلمه النبى صلى الله عليه وسلم سورة الواقعة وعم يتساءلون و إذا الشمس كورت وقل يأيها الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتين ولا منافاة بين هذه القصص فلعل الواقعة تعددت فاحداها كان فيها زيد بن حارثة والأخرى كان فيها عبد الله بن مسعود والأخرى كان فيها أنس بن مالك كما أن قراءة القرآن عليهم تعددت (قوله يستمعون القرآن) جمعه مراعاة لمعنى النفر ولو راعى لفظه لقال يستمع (قوله فلما حضروه) أى القرآن والرسول (قوله اصغوا) بكسر الهمزة وفتح الغين من باب رمى أو بفتح الهمزة وضم الغين من الرباعى (قوله فلما قضى) بالبناء للمفعول فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل فالأولى تؤيد عود الضمير على القرآن والثانية تؤيد عوده على الرسول (قوله ولوا إلى قومهم منذرين) أى بأمر الرسول عليه السلام لأنه جعلهم رسلا إلى قومهم (قوله وكانوا يهودا) أى وقد أسلموا فى هذه الواقعة وأسلم من قومهم حين رجعوا إليهم وأنذروهم سبعون - وقال العلماء أن الجن فيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام ، وفى مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع . وروى أنهم أصناف ثلاثة صنف لهم أجنحة يطيرون بها وصنف على صورة الحيات والكلاب وصنف يحلون و يظعنون . واختلف فى مؤمنى الجن فقيل لاثواب لهم إلا النجاة من النار وعليه أبو حنيفة والليث و بعد نجاتهم من النار يقال لهم كونوا ترابا وقال الأئمة الثلاثة يدخلون الجنة و يأكلون و يشربون و يتنعمون وقيل إنهم يكونون حول الجنة فى ربض ورحاب وليسوا فيها (قوله كالتوراة) أى والانجيل والزبور وغيرهما (قوله أى طريقه) أى الإسلام وهو الانقياد

وطريقه الأعمال كالصلاة والصوم (قوله يغفر لكم) جواب الأمر (قوله ويجركم) أى يخلصكم وينجكم (قوله ومن لايجب الخ) من شرطية وجوابها قوله فليس بمعجز الخ (قوله أولياء أولئك) هنا همزتان مضمومتان من كلمتين وليس فى القرآن محل لاجتماعهما غير هذا (قوله أولئك الخ) هذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن (قوله أو لم يروا الخ) رجوع لتوجيه الكلام إلى أهل مكة وغيرهم بعد تقرير قصة الجن والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه تقديره أتركوا التفكر ولم يروا (قوله لم يعجز عنه) أى لم يضعف ولم يتعب (قوله وزيدت الباء فيه الخ) جواب عما يقال إن الباء لا تزاد إلا فى خبر ليس وما كما قال ابن مالك * وبعد ما وليس جر البا الخبر * وإن للاثبات (قوله لأن الكلام الخ) حاصل الجواب أنها واقعة فى خبر ليس تأويلا (قوله بلى) هى جواب النفى ويصير بها إثباتا بخلاف نعم فانها تقرر ماقبلها نفيا أو إثباتا (قوله ويوم يعرض الذين كفروا الخ) هذا إشارة لبعض مايحصل فى يوم البعث من الأهوال إثر بيان إثباته وتقرره (قوله يقال لهم) قدره إشارة إلى أن يوم ظرف لمحذوف وإلى أن قوله أليس هذا بالحق مقول لقول محذوف (قوله وربنا) الواو للقسم، وإنما أكدوا كلامهم بالقسم طمعا فى الخلاص حيث اعترفوا بالحق (قوله بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم (قوله فاصبر الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والصبر تلقى المكاره والشدائد بالرضا والتسليم (قوله كما صبر أولوا العزم) الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف وما مصدرية والتقدير صبرا مثل صبر أولى العزم (قوله فكلهم ذوو عزم) أى حزم وكمال وثبات وصبر على الشدائد (وقوله وقيل هى للتبعيض) فى كلامه إشارة لقولين فى تفسير أولى العزم من جملة أقوال شتى وقيل هم نجباء الرسل المذكورون فى سورة

يَغْفِرْ) الله (لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) أى بعضها لأن منها المظالم ولا تغفر إلا برضا أصحابه (وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم (وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ) أى لايعجز الله بالهرب منه فيفوته (وَلَيْسَ لَهُ) لمن لا يجب (مِنْ دُونِهِ) أى الله (أَوْلِيَاءُ) أنصار يدفعون عنه العذاب (أُولَئِكَ) الذين لم يجيبوا (فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بيّن ظاهر (أَوَلَمْ يَرَوْا) يعلموا أى منكرو البعث (أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ) لم يعجز عنه (بِقَادِرٍ) خبر أنّ وزيدت الباء فيه لأن الكلام فى قوة أليس الله بقادر (عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى) هو قادر على إحياء الموتى (إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) بأن يعذبوا بها يقال لهم (أَلَيْسَ هَذَا) التعذيب (بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. فَاصْبِرْ) على أذى قومك (كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ) ذوو الثبات والصبر على الشدائد (مِنَ الرُّسُلِ) قبلك فتكون ذا عزم ومن للبيان فكلهم ذوو عزم، وقيل للتبعيض فليس منهم آدم لقوله تعالى: ولم نجد له عزما، ولا يونس لقوله تعالى: ولا تكن كصاحب الحوت،

الأنعام ثمانية عشر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسمعيل واليسع ويونس ولوط، وقيل هم اثنا عشر نبيا أرسلوا إلى بنى إسرائيل بالشام فعصوهم فأوحى الله إلى الأنبياء إنى مرسل عذابى إلى عصاة بنى إسرائيل فشق ذلك على المرسلين فأوحى الله إليهم اختاروا لأنفسكم إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأنجيت بنى إسرائيل وإن شئتم نجيتم وأنزلت العذاب ببنى إسرائيل فتشاوروا بينهم فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجى الله بنى إسرائيل فأنجى الله بنى إسرائيل وأنزل العذاب بأولئك الرسل وذلك أنه سلط عليهم ملوك الأرض فمنهم من نشر بالمناشير ومنهم من سلخ جلدة رأسه ووجهه ومنهم من صلب على الخشب حتى مات، ومنهم من أحرق بالنار، وقيل أولو العزم أربعة إبراهيم صبر على فقد نفسه وذبح ولده وموسى صبر على أذى قومه ووثق بربه حين قال له قومه إنا لمدركون فقال كلا إن معى ربى سيهدين وداود صبر على البكا من أجل خطيئته حتى نبت من دموعه الشجر فقعد تحت ظله وعيسى لم يضع لبنة على لبنة، وقال إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها فكأن الله تعالى يقول لنبيه كن صادقا واثقا بربك مهتما بما سلف منك زاهدا فى الدنيا وقيل أولو العزم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم وهو المعتمد لأنهم أصحاب الشرائع (قوله ولم نجد له عزما) أى تاما لأن إرادتنا أكله من الشجرة غلبت إرادته عدم الأكل منها والافكل نبى صاحب عزم غير

أنهم يتفاوتون فيه على حسب مراتبهم قال تعالى : تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض (قوله ولا تستعجل لهم) اى لأجلهم والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله نزول العذاب (قوله قيل كأنه ضجر الخ) المناسب حذف كأن كما فى عبارة غيره (قوله فانه نازل بهم) أى ولو فى الآخرة (قوله يوم يرون) ظرف لقوله لم يلبثوا الخ (قوله لطوله) تعليل لقوله لم يلبثوا مقدم عليه (قوله إلا ساعة من نهار) أى لأن مامضى عليهم من الزمان كأنهم لم يروه لانقضائه (قوله هذا القرآن بلاغ) أشار بذلك إلى أن قوله بلاغ خبر لمحذوف (قوله تبليغ من الله إليكم) أى بلغكم الله إياه فآمنوا به أو المعنى موصل من عمل به وآمن إلى الدرجات العلى لما ورد « يقال له اقرأ وارق » و يؤنسه فى قبره وموصل من لم يعمل به إلى الدركات السفلى (قوله فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) أى لا يكون الهلاك والدمار إلا للكافرين ، وأما من مات على الإيمان ولو عاصيا فهو فائز ولا يقال له هالك وهذه الآية أرجى آية فى القرآن إذ فيها تطميع فى سعة فضل الله ورحمته .

فائدة — نقل القرطبي عن ابن عباس أن المرأة إذا تعسر وضعها تكتب هاتان الآيتان والكلمتان فى صحفة ثم تغسل وتسقى منها فانها تلد سريعا ، وهى : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون اهـ .

(وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) لقومك نزول العذاب بهم قيل كأنه ضجر منهم فأحب نزول العذاب بهم فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب فانه نازل بهم لا محالة (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَايُوعَدُونَ) من العذاب فى الآخرة لطوله (لَمْ يَلْبَثُوا) فى الدنيا فى ظنهم (إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ) هذا القرآن (بَلَاغٌ) تبليغ من الله إليكم (فَهَلْ) أى لا (يُهْلَكُ) عند رؤية العذاب (إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) أى الكافرون .

(سورة القتال)

مدنية إلا « وكأين من قرية » الآية أو مكية ، وهى ثمان أو تسع وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (وَصَدُّوا) غيرهم (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى الإيمان (أَضَلَّ) أحبط (أَعْمَالَهُمْ) كإطعام الطعام وصلة الأرحام فلا يرون لها فى الآخرة ثوابا و يجزون بها فى الدنيا من فضله تعالى ،

(والذين

[سورة القتال]

وتسمى سورة محمد صلى الله عليه وسلم لذكر هذا الاسم فيها وسورة الذين كفروا لبدئها بهذا اللفظ (قوله مدنية الخ) هذا القول منقول عن ابن عباس وقوله : إلا وكأين الخ أى فانها نزلت بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكى حزنا على فراقه وهذا مبنى على أن المكى مانزل بمكة ولو بعد الهجرة وهو ضعيف ، والصحيح أن المكى مانزل قبل الهجرة والمدنى مانزل بعدها ولو بأرض مكة ورد أيضا بأنه فى حجة الوداع خرج منها مختارا ولم يكن عنده حزن لكونها صارت دار إسلام ، وحينئذ فلا يظهر الوعيد الذى فى الآية ، وقيل إنها نزلت لما خرج من مكة إلى الغار مهاجرا ، وعليه فكونها مكية ظاهر وهو الصحيح وسيأتى إيضاحه فى تفسيرها (قوله أو مكية) هذا القول بالنظر لغالبها وهو ضعيف (قوله ثمان أو تسع الخ) وقيل أربعون آية ، والخلاف فى قوله : حتى تضع الحرب أوزارها ، وقوله : لذة للشاربين هل كل آية مستقلة أو من تمة ماقبلها (قوله الذين كفروا) مبتدأ ، وقوله : أضل أعمالهم خبره ، ومناسبة هذه الآية لآخر الأحقاف ظاهرة وذلك كأن قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كإطعام الطعام ونحوه والله سبحانه وتعالى لايضيع أجر المحسنين ؟ . فأجاب بأن الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم وأبطلها (قوله فلا يرون لها فى الآخرة ثوابا) أى لقوله تعالى : وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (قوله ويجزون بها فى الدنيا) أى بأن يوسع لهم فى المال ويزاد لهم فى الولد والعافية ونحو ذلك حيث لم يقصدوا بها فخرا ولا رياء .

(قوله والذين آمنوا) أي صدقوا بقلوبهم ونطقوا بألسنتهم وقوله: وعملوا الصالحات العطف يقتضي المغايرة فاستفيد منه أن العمل الصالح ليس داخلا في حقيقة الإيمان بل هو شرط كمال كما هو مختار الأشاعرة (قوله وآمنوا بما نزل الخ) عطف خاص على عام والنكتة تعظيمه والاعتناء بشأنه إشارة إلى أن الايمان لايتم بدونه ولذا أكده بقوله: وهو الحق أي الثابت الذي ينسخ غيره وهو لاينسخ (قوله وهو الحق من ربهم) جملة معترضة سيقت لبيان التنزل (قوله غفر لهم سيئاتهم) أي محاها من صحف الملائكة (قوله وأصلح بالهم) البال يطلق على الحال والشأن والأمر وكلها بمعنى واحد، والمعنى أصلح أحوالهم الدنيوية بتوفيقهم للأعمال الصالحة والأخروية بنجاتهم من النار وإدخالهم الجنة (قوله فلايعصونه) أي لايصرّون على معصيته أعم من أن لاتقع منهم أصلا أوتقع ولكن لايصرّون عليها (قوله ذلك) مبتدأ وقوله بأن الذين الخ خبر (قوله الشيطان) وقيل الباطل الكفر (قوله الحق القرآن) وقيل الحق الايمان (قوله كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) المثل في الأصل القول السائر المشبه مضربه بمورده كقولهم: الصيف ضيعت اللبن. والكلاب على البقر، وليس مرادا هنا بل المراد الأمور العجيبة تشبيها لها بالمثل في الغرابة المؤدية إلى التعجب واسم الاشارة عائدا على مابين في أحوال المؤمنين والكافرين (قوله فإذا

(وَالَّذِينَ آمَنُوا) أي الأنصار وغيرهم (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ) أي القرآن (وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ) غفر لهم (سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) أي حالهم فلا يعصونه (ذَلِكَ) أي إضلال الأعمال وتكفير السيئات (بِأَنَّ) بسبب أن (الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ) الشيطان (وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ) القرآن (مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ) أي مثل ذلك البيان (يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) يبين أحوالهم أي فالكافر يحبط عمله والمؤمن يغفر زلله (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ) مصدر بدل من اللفظ بفعله: أي فاضربوا رقابهم أي اقتلوهم وعبر بضرب الرقاب لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة (حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ) كثرتم فيهم القتل (فَشُدُّوا) أي فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدوا (الْوَثَاقَ) مايوثق به الأسرى (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ) مصدر بدل من اللفظ بفعله: أي تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء (وَإِمَّا فِدَاءً) أي تفادونهم بمال أو أسرى مسلمين (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ) أي أهلها (أَوْزَارَهَا) أثقالها من السلاح وغيره بأن يسلم الكفار أو يدخلوا في العهد،

لقيتم الخ) الفاء للفصيحة لكونها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره إذا علمتم أحوال المؤمنين وأنهم أحباب الله وأحوال الكافرين وأنهم أعداء الله فالواجب على أحباب الله أن يقاتلوا أعداء الله (قوله بدل من اللفظ بفعله) أي فهو نائب عن الفعل في المعنى والعمل على الصحيح، وقيل في المعنى دون العمل والأصل فاضربوا الرقاب ضربا حذف الفعل وأتى بالمصدر محله وأضيف إلى مفعول الفعل وهو الرقاب وهو عامل في الظرف أيضا (قوله أي اقتلوهم) أي فأراد بضرب الرقاب مطلق القتل على أي حالة كانت لاخصوص ضرب الرقاب (قوله حتى إذا أثخنتموهم) حتى ابتدائية، والمعنى فإذا أعجزتموهم بأي وجه من الوجوه إما بكثرة القتل فيهم وهو الغالب أو بقطع الماء عنهم أو بأخذ أسلحتهم أوغير ذلك فأسروهم (قوله أي فأمسكوا) أشار بذلك إلى أن في الكلام تقدير جملتين الإمساك عن القتل والأسر (قوله بدل من اللفظ بفعله) أي جيء به لتفصيل جملة فوجب إضمار عامله والتقدير فإما أن تمنوا منا وإما أن تفدوا فداء (قوله بعد) أي بعد أسرهم وشد وثاقهم، والمعنى أن المسلمين بعد القدرة على الكفار يخيرون فيهم بين أمور أربعة: القتل والمن والفداء والاسترقاق، وهذا في الرجال المقاتلين، وأما النساء والصبيان فليس فيهم إلا المن والفداء والاسترقاق، وهذا التفصيل للامام الشافعي وعند مالك يزاد في حق الرجال الجزية وعند أبي حنيفة ليس إلا القتل أوالاسترقاق، وأما المن والفداء فمنسوخان بعد غزوة بدر (قوله أوأسارى) بالضم والفتح أوبفتح فسكون فراء مفتوحة (قوله أي أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله بأن يسلم الكفار) أي فالمراد بوضع آلة القتال ترك القتال لانقضاض شوكة الكفر ففي الكلام استعارة تبعية حيث شبه ترك القتال بوضع آلته واشتق من الوضع تضع: بمعنى تترك.

(قوله وهذه غاية للقتل) أي المذكور في قوله : فضرب الرقاب وقوله والأسر أي المذكور في قوله : فشدّوا الوثاق (قوله ماذكر) أي من القتل والأسر وما بعدهما (قوله بغير قتال) أي كالخسف (قوله ليبلو بعضكم ببعض) أي فيظهر لعباده حال الصادق في الإيمان من غيره قال تعالى : ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين (قوله والذين قتلوا) مبتدأ وقوله : فلن يضلّ أعمالهم خبره (قوله وفي قراءة قاتلوا) أي وهي سبعية أيضا مفسرة للقراءة الأولى وحينئذ فليس المراد قتلوا بالفعل بل المراد قاتلوا قتلوا أولا (قوله وقد فشا الخ) الجملة حالية وقوله القتل ورد أنهم سبعون وقوله والجراحات أي لكثير والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذا الوعد الحسن لكل من قاتل في سبيل الله لنصر دينه إلى يوم القيامة قتل أوجرح أوسلم (قوله فلن يضلّ أعمالهم) أي سواء نشأت منهم أوتسببوا فيها (قوله إلى ماينفعهم) أي فالذي ينفعهم في الدنيا العمل الصالح والاخلاص فيه والذي ينفعهم في الآخرة الجنة ومافيها وحينئذ فلا يقع منهم مايخالف أمرالله لحفظ الله إياهم من المخالفات ومنه حديث «اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم» وليس فيه توهم إباحة المعاصي لأهل بدر بل المعنى كما أفنيتم نفوسكم في محبتي وخرجتم عن شهواتكم في رضاي جازيتكم بالحفظ مما يوجب سخطي فاشتريت نفوسكم فصارت لي راضية مرضية قال تعالى : إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآيات ، ولهذا أشار العارف ابن وفا بقوله :

وبعد الفنا في الله كن كيفما تشا
نعلمك لاجهل وفعلك لاوزر

وهذه غاية للقتل والأسر (ذٰلِكَ) خبر مبتدإ مقدر : أي الأمر فيهم ماذكر (وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ) بغير قتال (وَلٰكِنْ) أمركم به (لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) منهم في القتال فيصير من قتل منكم إلى الجنة ومنهم إلى النار (وَالَّذِينَ قُتِلُوا) وفي قراءة قاتلوا ، الآية نزلت يوم أحد وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات (فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ) يحبط (أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ) في الدنيا والآخرة إلى ماينفعهم (وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ) حالهم فيهما وما في الدنيا لمن لم يقتل وأدرجوا في قتلوا تغليبا (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا) بينها (لَهُمْ) فيهتدون إلى مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ) أي دينه ورسوله (يَنْصُرْكُمْ) على عدوّكم (وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) يثبتكم في المعترك (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة مبتدأ خبره تعسوا يدل عليه (فَتَعْسًا لَهُمْ) أي هلاكا وخيبة من الله (وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) عطف على تعسوا ،

(قوله وما في الدنيا) أي من الهداية وإصلاح الحال وقوله لمن لم يقتل جواب عما يقال كيف قال سيهديهم ويصلح بالهم يعني في الدنيا مع أن الفرض أنهم قتلوا بالفعل وأجيب بأن ذلك يحصل في الدنيا لمن لم يقتل وعبر بالذين قتلوا تغليبا لهم أولأنهم قتلوا حكما بالنية . وأجيب أيضا بأن المراد بالذين قتلوا الذين وقع منهم القتال أعم من أن يقتلوا (ذلك) بالفعل أولا بدليل القراءة الأخرى (قوله فيهتدون إلى مساكنهم الخ) أي إذا دخلوها يتفرقون إلى منازلهم فهم أعرف بها من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم ويؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة من منزله الذي كان في الدنيا» وماورد «إن العبد المؤمن لايخرج من الدنيا حتى يشاهد مسكنه في الجنة وماأعده الله له من النعيم ويفتح له طاقة في قبره يشاهد ذلك مادام في البرزخ وأن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر في الجنة وأرواح الأنبياء في قناديل من ذهب معلقة في العرش تسرح وتأوي إليها» وقيل معنى عرّفها لهم طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (قوله يثبتكم) أشار بذلك إلى أن المراد بالأقدام الذوات جميعها وعبرعنها بالأقدام لأن الثبات والتزلزل يظهران فيها (قوله خبره تعسوا الخ) أشار بذلك إلى أن الفاء في قوله فتعسا داخلة على محذوف هو الخبر وتعسا مفعول مطلق لذلك المحذوف وحينئذ فالمناسب للمفسر أن يقدر الخبر بعد الفاء (قوله أي هلاكا وخيبة لهم) هذان قولان من عشرة أقوال في معنى التعس ، وقيل خزيا لهم ، وقيل شقاء لهم ، وقيل شتما لهم من الله ، وقيل قبحا لهم ، وقيل رغما لهم ، وقيل شرا لهم ، وقيل شقوة لهم ، وقيل التعس الانحطاط والعثار وكلها معان متقاربة وهو في الأصل أن يخرّ لوجهه والنكس أن لايستقل بعد سقطته حتى يسقط ثانية وهي أشد من الأولى وضده الانتعاش وهو قيام من سقط

(قوله ذلك) مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده ويصح أن يكون اسم الاشارة خبر مبتدإ محذوف أى الأمر ذلك (قوله المشتمل على التكاليف) أى فهذا وجه كراهتهم له وذلك لأن فى التكاليف ترك الملاذ والشهوات والنفوس الخبيثة تكره ذلك وتحب إرخاء العنان لها فى الشهوات فمن تبع نفسه من كل وجه كفر فعلى الانسان أن يجاهد نفسه حتى تصير معتادة لما يرضاه الله تعالى ففى الحديث « لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به » فالأصل فى النفوس الخسة لاتجر لصاحبها خيرا ولا تسعى إلافيما يغضب الله فاذا شمر الانسان عن ساعد الجد والاجتهاد وخالف هوى نفسه سكن وهجها واضمحلت شهوتها فاذا دام ذلك حسن حالها وصارت جميلة الأخلاق مطمئنة بخالقها نسأل الله أن يملكنا نفوسنا ولا يسلطها علينا (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجبنوا وتركوا السير فلم يسيروا (قوله دمر الله عليهم) المفعول محذوف قدره المفسر بقوله أنفسهم الخ (قوله وللكافرين) أى السائرين على قدم من قبلهم من الكفار وقوله أمثالها مقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة على الآحاد أى إن لكل واحد من هؤلاء الكفار عاقبة كعاقبة من تقدمه من الكفار أو أشد وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء وشرعه جامع لجميع الشرائع فالكفر به

(ذَٰلِكَ) أى التعس والإضلال (بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) من القرآن المشتمل على التكاليف (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ . أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم (وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا) أى أمثال عاقبة من قبلهم (ذَٰلِكَ) أى نصر المؤمنين وقهر الكافرين (بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى) ولىّ وناصر (الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ . إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ) فى الدنيا (وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ) أى ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون إلى الآخرة (وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) أى منزل ومقام ومصير (وَكَأَيِّنْ) وكم (مِنْ قَرْيَةٍ) أريد بها أهلها (هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ) مكة أى أهلها (الَّتِي أَخْرَجَتْكَ) روعى لفظ قرية (أَهْلَكْنَاهُمْ) روعى معنى قرية الأولى (فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) من إهلاكنا (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ) حجة وبرهان (مِنْ رَبِّهِ) وهم المؤمنون (كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) فرآه حسنا وهم كفار مكة ،

وشرعه كفر بجميع الشرائع فبسبب ذلك عظم عذاب الكافر به (قوله وأن الكافرين لا مولى لهم) أى لاناصر لهم ولامعين ولامغيث وأما قوله تعالى ـ ثم ردّوا إلى الله مولاهم الحق ـ فالمراد بالمولى المالك فلم يحصل تناف (قوله إنّ الله يدخل الذين آمنوا الخ) بيان لثمرة ولايته تعالى للمؤمنين فى الآخرة (قوله كما تأكل الأنعام) الكاف فى محل نصب إما نعت لمصدر محذوف أى أكلا مثل أكل الانعام أو حال أى أكلا حال كونه مثل أكل الأنعام (قوله والنار مثوى لهم) مبتدأ وخبر (قوله وكأين من قرية الخ) كأين مركبة من الكاف وأى بمعنى كم الخبرية وهى فى محل رفع مبتدأ ومن قرية تمييز لها وقوله هى أشد صفة لقرية وقوله التى أخرجتك صفة لقريتك وقوله أهلكناهم خبر المبتدإ . وسبب نزول هذه الآية أنه لما خرج صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال أنت أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إلىّ ولولا أن المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك . فنزلت هذه الآية تسلية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لاتحزن على خروجك من بلدك فان الله يعزك ويذلهم فليس خروجك من مكة إلا كخروج آدم من حيث إنه حصل له العز العظيم وحصل لابليس الذى تسبب فى إخراجه الخزى العظيم (قوله أريد أهلها) أى فهو مجاز فى الظرف حيث أطلق المحل وأريد الحال فيه لامجاز بالحذف (قوله التى أخرجتك) هذا الوصف للاحتراز عن قريته التى تكون وطنه فيما يستقبل وهى المدينة (قوله أهلكناهم) أى فكذلك نفعل بأهل قريتك فاصبر كما صبر رسل أهل تلك القرى (قوله فلا ناصر لهم) تفريع على قوله أهلكناهم (قوله أفمن كان على بينة الخ) شروع فى بيان أحوال المؤمنين والكافرين والهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أليس الأمر كما ذكر فمن كان على بينة الخ والتعبير بعلى إشارة إلى تمكنهم من الحجج والبراهين تمكن المستعلى من المستعلى عليه .

(وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) فى عبادة الأوثان أى لا مماثلة بينهما (مَثَلُ) أى صفة (الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) المشتركة بين داخليها مبتدأ خبره (فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) بالمد والقصر كضارب وحذر أى غير متغير بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض (وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع (وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ) لذيذة (لِلشَّارِبِينَ) بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب (وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) بخلاف عسل الدنيا فإنه بخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره (وَلَهُمْ فِيهَا) أصناف (مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) فهو راض عنهم مع إحسانه إليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد فى الدنيا فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطاً عليهم (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِى النَّارِ) خبر مبتدإ مقدر : أى أمن هو فى هذا النعيم (وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً) أى شديد الحرارة (فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) أى مصارينهم فخرجت من أدبارهم ، وهو جمع معى بالقصر وألفه عن ياء لقولهم معيان (وَمِنْهُمْ) أى الكفار (مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) فى خطبة الجمعة

(قوله واتبعوا أهواءهم) فيه مراعاة معنى من كما روعى لفظها فيما سبق (قوله مثل الجنة) تفصيل لبيان محاسن الجنة وكيفية أنهارها المتقدمة فى قوله تجرى من تحتها الأنهار (قوله أى صفة الجنة) أشار بذلك إلى أن المراد بالمثل الصفة فكأنه قال وصف الجنة كذا وكذا فليس فى الكلام مشبه ومشبه به (قوله التى وعد المتقون) المراد من لم يحكم الشرع بكفره فيشمل عصاة المؤمنين وأهل الفترة وأولاد الكفار الذين ماتوا قبل البلوغ (قوله المشتركة بين داخليها) أى فهو بيان لمطلق نعيم الجنة المشترك بين أعلى أهل الجنة وأدناهم وأما تفصيل ما لكل فريق فسيأتى فى سورة الواقعة (قوله خبره فيها أنهار الخ) فيه أن الخبر جملة خالية من رابط يعود على المبتدإ . وأجيب بأن الخبر عين المبتدإ فى المعنى وحينئذ فلا تحتاج لرابط وهذا أسهل الأعاريب وقيل إن مثل الجنة مبتدأ خبره كمن هو خالد فى النار وفى الكلام حذف مضاف وهمزة الانكار والتقدير أمثل أهل الجنة كمن هو خالد فى النار وقوله فيها أنهار إما حال من الجنة أو خبر لمبتدإ محذوف أى هى فيها أنهار وقيل غير ذلك (قوله غير آسن بالمد والقصر) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله كضارب) أى ففعله أسن يأسن كضرب يضرب وقوله وحذر أى ففعله أسن يأسن كحذر يحذر (قوله لم يتغير طعمه) أى فلا يعود حامضا ولا مكروه الطعم (قوله لذة للشاربين) أى ليس فيها حموضة ولا مرارة ولم تدنسها الأرجل بالدرس ولا الأيدى بالعصر وليس فى شربها ذهاب عقل بل هى لمجرد الالتذاذ . إن قلت لم لم يقل فى جانب اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين وفى العسل مصفى للناظرين . أجيب بأن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص فرب طعام يلتذ شخص ويعافه الآخر ، فلذا قال لذة للشاربين بأسرهم ولأن الخمر كريهة الطعم فى الدنيا فقال لذة أى ليس فى خمر الآخرة كراهة طعم ، وأما الطعم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس فلم يكن للتصريح بالتعميم مزيد فائدة (قوله لذيذة) أشار بذلك لدفع ماقيل إن لذة مصدر بمعنى الالتذاذ وهو فلا يصح وصف الخمر به لكونها اسم عين . فأجاب المفسر بأنها تؤول بالمشتق على حد زيد عدل (قوله من عسل مصفى) يجوز فى العسل التذكير والتأنيث والقرآن جاء على التذكير (قوله يخالطه الشمع وغيره) أى كفضلات النحل (قوله ولهم) خبر مقدم وقوله فيها متعلق بما تعلق به الخبر والمبتدأ محذوف قدره بقوله أصناف وقوله من كل الثمرات نعت للمبتدإ المحذوف والمعنى لهم فى الجنة أنواع متعددة من كل الثمرات فالتفاح أنواع والرمان أنواع وهكذا (قوله فهو راض عنهم الخ) دفع بذلك ما يقال إن المغفرة تكون قبل دخول الجنة والآية تقتضى أنها فيها . فأجاب المفسر بأن المراد بالمغفرة الرضا وهو يكون فى الجنة ، وإيضاحه أنه يرفع عنهم التكاليف فيما يأكلونه ويشربونه بخلاف الدنيا فان مأكولها ومشروبها يترتب عليه الحساب والعقاب ونعيم الجنة لاحساب عليه ولا عقاب فيه (قوله خبر مبتدإ مقدر) أى إن قوله كمن هو خالد فى النار خبر لمحذوف والاستفهام للانكار أى لايستوى من هو فى هذا النعيم المقيم بمن هو خالد فى النار (قوله وسقوا) معطوف على خالد عطف صلة فعلية على صلة اسمية (قوله فى خطبة الجمعة) أى فهذه الآيات مدنيات وحينئذ فتكون مستثنيات من القول بأن السور مكية :

وهم المنافقون (حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) لعلماء الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استهزاء وسخرية (مَاذَا قَالَ آنِفًا) بالمد والقصر أى الساعة أى لانرجع إليه (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) بالكفر (وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) فى النفاق (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا) وهم المؤمنون (زَادَهُمْ) الله (هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) ألهمهم مايتقون به النار (فَهَلْ يَنْظُرُونَ) ماينتظرون أى كفار مكة (إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ) بدل اشتمال من الساعة أى ليس الأمر إلا أن تأتيهم (بَغْتَةً) فجأة (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) علاماتها : منها بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان (فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ) الساعة (ذِكْرَاهُمْ) تذكرهم ؟ أى لاينفعهم (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أى دم يامحمد على علمك بذلك النافع فى القيامة (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) لأجله ، قيل له ذلك مع عصمته لتستن به أمته وقد فعله قال صلى الله عليه وسلم «إنى لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة» (وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ،

(قوله وهم المنافقون) تفسير لمن (قوله استهزاء) علة لقالوا فالاستفهام إنكارى ، والمعنى لم يقل شيئاً يعتدّ به فلا عبرة بقوله (قوله آنفا) حال والمعنى ماذا قال مؤتنفا : أى مبتدئا ومخترعا (قوله بالمد والقصر) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى الساعة) أى فآنفا ظرف حالى بمعنى الآن وهو أحد استعمالين فيه والثانى أنه اسم فاعل بمعنى مؤتنفا كما تقدم (قوله أى لانرجع إليه) أى إلى قوله الذى قاله آنفا أى لانعمل به (قوله أولئك) مبتدأ وقوله الذين طبع الله الخ خبره (قوله والذين اهتدوا الخ) لما بين الله حال المنافقين وأنهم لاينتفعون بما يسمعون بين حال المؤمنين وأنهم ينتفعون بما يسمعون (قوله ألهمهم مايتقون به النار) أى خلق فيهم التقوى الخاصة ، وهى ترك متابعة الهوى والتنزه عما سوى الله تعالى وصرف القلب إلى مايرضى الله (قوله فهل ينظرون) أى ينتظرون جزاء أعمالهم فالمراد انتظار الجزاء لا انتظار الموت فانه يأتيهم قبل مجيئها (قوله أن تأتيهم بغتة) أى فقد قرب قيامها (قوله فقد جاء أشراطها) كالعلة لقوله فهل ينظرون الخ لأن ظهور أشراط الشئ موجب لانتظاره ، ورد عن حذيفة والبراء بن عازب «كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ماتتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة . قال إنها لاتقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب ، والدجال وطلوع الشمس من مغربها ، ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن» انتهى (قوله منها بعثة النبى الخ) أى أن من علاماتها الصغرى بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد حصل بالفعل . وأما العلامات الكبرى فستأتى وإنما عبر عن الجميع بالماضى لتحقق الوقوع على حد أتى أمر الله (قوله فأنى لهم) خبر مقدم وذكراهم مبتدأ مؤخر ، وإذا وما بعدها معترض وجوابها محذوف دل عليه ماقبله ، والمعنى كيف لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة فكيف يتذكرون (قوله فاعلم أنه لا إله إلا الله) مرتب على ماقبله كأنه قال إذا علمت أنه لاينفع التذكر إذا حضرت الساعة فدم على ماأنت عليه من العلم بالوحدانية فانه النافع يوم القيامة وعبر بالعلم اشارة إلى أن غيره لا يكفى فى التوحيد كالظن والشك والوهم . واعلم أن العلم مراتب : الأولى العلم بالدليل ولو جمليا ويسمى علم يقين وهذا هو المطلوب فى التوحيد الذى يخرج به المكلف من ورطة التقليد وهو الجزم من غير دليل وفيه خلاف . الثانية العلم مع مراقبة الله ويسمى عين يقين . الثالثة العلم مع المشاهدة ويسمى حق يقين وفى هذه المراتب فليتنافس المتنافسون (قوله أى دم يامحمد الخ) أى فالخطاب له صلى الله عليه وسلم بل ولكل مؤمن وقوله على علمك بذلك أى بأنه لا إله إلا الله أى لامعبود بحق إلا الله (قوله النافع فى القيامة) أى لما ورد «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» (قوله لتستن به أمته) أى تقتدى به وهذا أحد أوجه فى تأويل الآية وهو أحسنها ، وقيل معناه اسأل الله العصمة من الذنوب ، ومن المعلوم أن دعاءه مستجاب ، ففى استغفاره تحدث بنعمة الله عليه وهى عصمته من الذنوب وتعليم للأمة أن يقتدوا به ، وقيل المراد بذنبه خلاف الأولى مثل ماوقع منه فى أسارى بدر وفى إذنه للمنافقين بالتخلف عن الجهاد فهو ذنب بحسب مقامه ورتبته وقيل المراد بذنبه ذنب أهل بيته ففى هذه الآية بشرى للأمة حيث أمر صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (قوله وقد فعله) أى الاستغفار لذنبه وللمؤمنين

والمؤمنات ورد فى الحديث «إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله فى اليوم مائة مرة» وفى رواية «توبوا إلى ربكم فوالله إنى لأتوب إلى ربى عز وجل فى اليوم مائة مرة» وفى رواية «إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة» وفى رواية «أكثر من ذلك» وقوله فى الحديث «إنه ليغان على قلبي» الغين التغطية والستر ويسمى به الغيم الرقيق الذى يغشى السماء، والمراد به أنوار تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وسبب استغفاره منها أنه صلى الله عليه وسلم دائما يترقى فى الكمالات فكلما ارتقى إلى مقام رأى أن الذى كان فيه بالنسبة للذى ارتقى إليه ذنبا فيستغفر الله منه (قوله والله يعلم متقلبكم ومثواكم) أشار المفسر إلى أن معنى متقلبكم متصرفكم لأشغالكم بالنهار ومعنى مثواكم مأواكم إلى مضاجعكم بالليل وهو أحد تفاسير فى هذه الآية، وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات وبطونهن ومثواكم فى الدنيا وفى القبور، وقيل متقلبكم فى الدنيا ومثواكم مصيركم فى الآخرة إلى الجنة أو النار (قوله والخطاب للمؤمنين وغيرهم) أى ولكن خطاب المؤمنين إرشاد لهم إلى مقام المراقبة لله تعالى وهى أن يشاهد الانسان أن الله مطلع عليه فى كل لمحة وطرفة وحركة وسكون وهذا سر والله معكم أينما كنتم وهو مطالب العارفين وكنز الراسخين. قال العارف ابن الفارض:

أرانا مع الأحباب رؤيتك التى ... إليها قلوب الأولياء تسارع

وقال العارف الدسوقى:

قد كان فى القلب أهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى

تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلا بحبك يا دينى ودنيائى

وفيه فليتنافس المتنافسون وخطاب غيرهم تخويف وتحذير (قوله ويقول الذين آمنوا الخ) أى حين اشتد كرب المسلمين من أذى المشركين تمنوا الأمر بالجهاد وافقهم فى الظاهر على هذا التمنى المنافقون، فهذه الآيات من هنا إلى آخر السورة مدنيات قطعا ولو على القول بأن السورة مكية لأن القتال لم يشرع إلا بها وكذا النفاق لم يظهر إلا بها (قوله أى طلبه) أى ذكر فيها الأمر به والحث عليه (قوله أى شك) وقيل ضعف فى الدين (قوله نظر المغشى عليه) أى نظرا مثل نظر المغشى عليه والمعنى تشخص أبصارهم كالشخص الذى حضره الموت (قوله خوفا منه) أى الموت (قوله فأولى لهم) أى الحق والواجب لهم: أى عليهم طاعة الخ هذا ما مشى عليه المفسر وهو أوضح ما قيل فى هذا المقام (قوله أى حسن) تفسير لمعروف، وقوله لك متعلق بكل من طاعة وقول معروف والمعنى الواجب عليهم أن يطيعوك ويخاطبوك بالقول الحسن (قوله وجملة لو) أى مع جوابها (قوله بكسر السين وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وفيه التفات) أى لتأكيد التوبيخ (قوله أى لعلكم الخ) تفسير لعسى، ولم يذكر تفسير الاستفهام وهو التقرير، والمعنى قروا بأنه يتوقع منكم إن توليتم الخ والتوقع فى الآية جار على لسان من يشاهد حرصهم على الدنيا وتفريطهم فى الدين لا لله لأنه هو الخالق لهم العالم بأحوالهم (قوله أعرضتم عن الايمان) تفسير للتولى، وقيل معناه تأمرتم وتوليتم أمر الأمة.

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ) متصرفكم لأشغالكم بالنهار (وَمَثْوَاكُمْ) مأواكم إلى مضاجعكم بالليل: أى هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شىء منها فاحذروه والخطاب للمؤمنين وغيرهم (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا) طلبا للجهاد (لَوْلَا) هلا (نُزِّلَتْ سُورَةٌ) فيها ذكر الجهاد (فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ) أى لم ينسخ منها شىء (وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ) أى طلبه (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أى شك وهم المنافقون (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) خوفا منه وكراهية له أى فهم يخافون من القتال ويكرهونه (فَأَوْلَى لَهُمْ) مبتدأ خبره (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) أى حسن لك (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) أى فرض القتال (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ) فى الإيمان والطاعة (لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) وجملة لو جواب إذا (فَهَلْ عَسَيْتُمْ) بكسر السين وفتحها وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب: أى لعلكم (إِنْ تَوَلَّيْتُمْ) أعرضتم عن الإيمان،

(ان

(قوله أن تفسدوا) خبر عسى والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف لدلالة فهل عسيتم عليه (قوله أولئك) مبتدأ خبره قوله: الذين لعنهم الله (قوله فأصمهم وأعمى أبصارهم) أى فلا يهتدون إلى سبيل الرشاد (قوله أفلا يتدبرون القرآن) أى يتفكرون فى معانيه فيهتدون وهذه الآية لتقرير ماقبلها كأنه قال أولئك الذين لعنهم الله: أى أبعدهم عنه فجعلهم لايسمعون النصيحة ولا يبصرون طريقة الإسلام فتسبب عن ذلك كونهم لايتدبرون القرآن (قوله أم على قلوب الخ) أم منقطعة بمعنى بل وهو انتقال من توبيخهم على غدم التدبر إلى توبيخهم بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر (قوله لهم) صفة لقلوب (قوله إن الذين ارتدوا على أدبارهم) أى رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الموصوفون بما تقدم دل عليه قوله بالنفاق، وقيل هم اليهود، وقيل أهل الكتابين داموا على الكفر به عليه الصلاة والسلام بعد ماوجدوا نعته فى كتابهم (قوله من بعد ماتبين لهم الهدى) أى الطريق القويم بالأدلة والحجج الظاهرة (قوله بضم أوله) أى وكسر ثالثه وفتح الياء والجار والمجرور نائب الفاعل، وقوله وبفتحه واللام: أى مبنيا للفاعل والفاعل ضمير يعود على الشيطان وهما قراءتان سبعيتان (قوله والملى الشيطان الخ) جواب عن سؤال مقدر تقديره الإملاء معناه الامهال وهو لا يكون إلا من الله لأنه الفاعل المختار فكيف ينسب للشيطان فأجاب بأن الملى حقيقة هو الله وأسند للشيطان باعتبار أنه جار على يديه لأنه يوسوس لهم بسعة الأجل (قوله أى للمشركين) أى والقائل هم اليهود أو المنافقون كما حكى الله عنهم ذلك فى سورة الحشر بقوله ألم تر إلى الذين نافقوا الآيات (قوله سنطيعكم فى بعض الأمر) أى فى بعض ما تأمروننا به كالقعود عن الجهاد وتثبيط المسلمين عنه ونحو ذلك لا فى كله لأنهم لايوافقونهم فى إظهار الكفر (قوله وبكسرها) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله فكيف) خبر لمحذوف قدره بقوله حالهم (قوله يضربون وجوههم وأدبارهم) أى فملائكة العذاب تأتيهم عند قبض أرواحهم بمقامع من حديد يضربون بها وجوههم وأدبارهم (قوله على الحالة المذكورة) أى وهى التوفى مع ضرب الوجوه والأدبار (قوله بأنهم اتبعوا الخ) راجع لضرب الوجوه، وقوله: وكرهوا رضوانه راجع لضرب الأدبار (قوله ما أسخط الله) أى من الكفر وغيره (قوله بما يرضيه) أى من الايمان وغيره من الطاعات (قوله أم حسب الذين الخ) أى وهم المنافقون المتقدم ذكرهم (قوله أحقادهم) جمع حقد وهو الانطواء على العداوة والبغضاء (قوله عرفناكهم) أى فالاراءة علمية لا بصرية (قوله وكررت اللام) أى فى قوله فلعرفتهم للتأكيد، والمعنى لو أردنا لدللناك على المنافقين فعرفتهم بسيماهم، وورد عن ابن مسعود قال «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال إن منكم منافقين فمن سميته فليقم ثم قال قم يافلان قم يافلان حتى سمى ستة وثلاثين».

(أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) أى تعودوا إلى أمر الجاهلية من البغى والقتال (أُولَٰئِكَ) أى المفسدون (الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ) عن استماع الحق (وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ) عن طريق الهدى (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) فيعرفون الحق (أَمْ) بل (عَلَىٰ قُلُوبٍ) لهم (أَقْفَالُهَا) فلا يفهمونه (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا) بالنفاق (عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ) أى زين (لَهُمْ وَأُمْلِيَ لَهُمْ) بضم أوله وبفتحه واللام، والملى الشيطان بإرادته تعالى فهو المضل لهم (ذَٰلِكَ) أى إضلالهم (بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ) أى للمشركين (سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ) أى المعاونة على عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وتثبيط الناس عن الجهاد معه قالوا ذلك سرا فأظهره الله تعالى (وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ) بفتح الهمزة جمع سر وبكسرها مصدر (فَكَيْفَ) حالهم (إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ) حال من الملائكة (وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) ظهورهم بمقامع من حديد (ذَٰلِكَ) أى التوفى على الحالة المذكورة (بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) أى العمل بما يرضيه (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ. أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ) يظهر أحقادهم على النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ) عرفناكهم وكررت اللام فى (فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ) علامتهم (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ) الواو لقسم محذوف وما بعدها جوابه،

(قوله فى لحن القول) اللحن يقال على معنيين أحدهما صرف الكلام عن الأعراب إلى الخطإ والثانى الكناية بالكلام بحيث يكون للكلام ظاهر و باطن فيكون ظاهره تعظيما و باطنه تحقيرا وهو المراد هنا ، ومعنى الآية و إنك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضونه بك من القول الذى ظاهره إيمان و إسلام و باطنه كفر وسب (قوله بما فيه تهجين أمر المسلمين) التهجين التقبيح والتعييب فكانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول ظاهرها حسن ويعنون بها القبيح كقولهم راعنا وتقدم الكلام على ذلك فى سورة البقرة (قوله والله يعلم أعمالكم) أي فيجازيكم بحسب قصدكم ففيه وعد ووعيد (قوله بالجهاد وغيره) أى من سائر المشاق كما قال تعالى - ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع - الآية (قوله علم ظهور) أى علما يشاهده خلقنا مطابقا لما هو فى علمنا الأزلى : أى فتظهر سرائرهم بين عبادنا (قوله فى ثلاثتها) وفى نسخة فى الأفعال الثلاثة وهى لنبلونكم ونعلم ونبلو وهما قراءتان سبعيتان (قوله طريق الحق) أى وهو دين الإسلام (قوله خالفوه) أى خرجوا عن طاعته (قوله لن يضروا الله شيئا) هذه الجملة خبر إن والكلام إما على ظاهره ، والمعنى إن كفرهم لايضر إلا أنفسهم وتعالى الله عن أن يصل له من خلقه ضر أونفع لما فى الحديث القدسى «ياعبادى إنكم لن تقدروا على ضرى فتضرونى» إلى آخره أوعلى حذف مضاف : أى لن يضروا رسول الله لعصمته منهم (قوله فى المطعمين من أصحاب بدر) أى فى المطعمين الطعام للكفار يوم بدر ، وذلك أن أغنياء الكفار كانوا يعينون فقراءهم على حرب رسول الله وأصحابه كأبى جهل وأضرابه ، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى - إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها - الآية وسبب ذلك

(فِى لَحْنِ الْقَوْلِ) أى معناه إذا تكلموا عندك بأن يعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين (وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ . وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) نختبرنكم بالجهاد وغيره (حَتَّى نَعْلَمَ) علم ظهور (الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) فى الجهاد وغيره (وَنَبْلُوَا) نظهر (أَخْبَارَكُمْ) من طاعتكم وعصيانكم فى الجهاد وغيره بالياء والنون فى الأفعال الثلاثة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) طريق الحق (وَشَاقُّوا الرَّسُولَ) خالفوه (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى) هو معنى سبيل الله (لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ) يبطلها من صدقة ونحوها فلا يرون لها فى الآخرة ثوابا ، نزلت فى المطعمين من أصحاب بدر أو فى قريظة والنضير (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) بالمعاصى مثلا (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) :

طريقه

أن قريشا خرجت لغزوة بدر بأجمعها وكان العام عام قحط وجدب وكان أغنياؤهم يطعمون الجيش فأول من نحر لهم حين خروجهم من مكة أبوجهل نحر لهم عشر جزر ثم صفوان تسعا بعسفان ثم سهل عشرا بقديد ومالوا منه إلى نحو البحر فضلوا فأقاموا يوما فنحر لهم شيبة تسعا ثم أصبحوا بالأبواء فنحر مقيس الجمحى تسعا ونحر العباس عشرا ونحر الحرث تسعا ونحر أبو البخترى على ماء بدر عشرا ونحر مقيس عليه تسعا ثم شغلهم الحرب فأكلوا من أزوادهم (قوله أو فى قريظة والنضير) أى فكانوا ينفقون على قريش ليستعينوا بهم على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فآل أمرهم إلى أن أخرج بنى النضير من ديارهم وغزا قريظة فقتل كبارهم وأسر نساءهم وذراريهم ولم تنفعهم قريش بشئ (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) لما ذكر أحوال الكفار ومخالفتهم لرسول الله أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ، وبالجملة فهذه السورة اشتملت على ذكر أوصاف المؤمنين والكافرين على أحسن ترتيب (قوله بالمعاصى مثلا) أى كالردة فإنها تبطل جميع الأعمال الصالحة من أصلها والعجب والرياء فإنهما يبطلان ثواب الأعمال والمن والأذى فإنهما يبطلان ثواب الصدقات والمن مذموم إلا من الله على عباده والرسول على أمته والشيخ على تلميذه والوالد على ولده فليس بمذموم ، وأما باقى المعاصى فلا تبطل ثواب الأعمال الصالحة خلافا للمعتزلة القائلين بأن الكبائر تحبط الأعمال كالردة ورد كلامهم بقوله تعالى - ويغفر مادون ذلك لمن يشاء - وأخذ بعض الأئمة من هذه الآية أنه يحرم على الشخص قطع الأعمال الصالحة ولونفلا كالصلاة والصوم . والحاصل أن الأصل فى النوافل أنها لا تلزم بالشروع عند جميع الأئمة ، واستثنى مالك وأبوحنيفة سبعا منها تلزم بالشروع نظمها ابن عرفة من المالكية بقوله :

صلاة وصوم ثم حج وعمرة   طواف عكوف وائتمام تحتما
وفى غيرها كالوقف والطهر خيرن   فمن شاء فليقطع ومن شاء تمما

ولابن كمال باشا من الحنفية :

من النوافل سبع تلزم الشارع أخذا لذلك مما قاله الشارع
صوم صلاة عكوف حجه الرابع طوافه عمرة إحرامه السابع

(قوله وهم كفار) الجملة حالية (قوله فلن يغفر الله لهم) خبر إنّ (قوله فى أصحاب القليب) هو بئر فى بدر ألقيت فيه القتلى من الكفار لكن حكمها عام فى كل كافر مات على كفره (قوله فلا تهنوا) الفاء فصيحة وقعت فى جواب شرط مقدر : أى إذا تبين لكم بالأدلة القطعية عز الإسلام وذل الكفر فى الدنيا والآخرة فلا تهنوا (قوله بفتح السين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان وهذه الآية قيل ناسخة لآية - وإن جنحوا للسلم فاجنح لها - لأن الله منع من الميل إلى الصلح إذا لم يكن بالمسلمين حاجة إليه وقيل إنهما نزلتا فى وقتين مختلفين فيجوز الصلح عند الضرورة والاحتياج إليه ولا يجوز عند القدرة والاستعداد فهذه الآية مخصصة للآية المتقدمة (قوله وأنتم الأعلون) الجملة حالية ، وكذا قوله والله معكم (قوله لام الفعل) أى وأصله الأعلوون بواوين الأولى لام الفعل والثانية واو الجمع تحركت الواو الأولى وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان فحذفت الألف (قوله بالعون والنصر) أى فالمراد معية معنوية (قوله ينقصكم) أى أو يفرد كم عنها لأن الترة تطلق بالمعنيين يقال وتره حقه يتره وتره انقصه وأوتره أرضه بمعنى أفرده (قوله إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) اللعب مايشغل الإنسان وليس فيه منفعة فى الحال ولا فى المآل ، واللهو ما يشغل الانسان عن مهمات نفسه (قوله ولا يسألكم أموالكم) أى لا يأمركم باخراج جميع أموالكم فى الزكاة بل يأمركم باخراج بعضها (قوله فيحفكم) عطف على الشرط وتبخلوا جوابه (قوله يبالغ فى طلبها) أى حتى يستأصلها (قوله ويخرج أضغانكم لدين الإسلام) أى أحقادكم وبغضكم لدين الإسلام وذلك لان الإنسان جبل على محبة الاموال ومن نوزع فى حبيبه ظهرت سرائره فمن رحمته على عباده عدم التشديد عليهم فى التكاليف (قوله ها أنتم) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء منادى وحرف النداء محذوف قدره المفسر وتدعون خبره وجملة النداء معترضة بين المبتدإ والخبر (قوله فمنكم من يبخل) أى ومنكم من يجود وحذف هذا المقابل لأن المراد الاستدلال على البخل (قوله يقال بخل عليه وعنه) أى فيتعدى بعلى إذا ضمن معنى شح وبعن إذا ضمن معنى أمسك (قوله وأنتم الفقراء إليه) أى فى جميع الأحوال (قوله وإن تتولوا) إما خطاب للصحابة والقصود منه التخويف لأنه لم يصل أحد من بعدهم لرتبتهم والشرطية لا تقتضى الوقوع أو خطاب للمنافقين والتبديل حاصل بالفعل . واختلف فى القوم المستبدلين فروى عن أبى هريرة قال « تلا رسول الله هذه الآية - وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا - وكان سلمان جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان ، فقال هذا وأصحابه والذى نفس محمد بيده لوكان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس » وقيل هم العجم ، وقيل هم فارس والروم ، وقيل الأنصار ، وقيل الملائكة ، وقيل التابعون ، وقيل من شاء من سائر الناس ، ورد « أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هى أحبّ إلىّ من الدنيا » .

طريقه وهو الهدى (ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) نزلت فى أصحاب القليب (فَلَا تَهِنُوا) تضعفوا (وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ) بفتح السين وكسرها أى الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم (وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ) حذف منه واو لام الفعل : الأغلبون القاهرون (وَاللَّهُ مَعَكُمْ) بالعون والنصر (وَلَنْ يَتِرَكُمْ) ينقصكم (أَعْمَالَكُمْ) أى ثوابها (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) أى الاشتغال فيها (لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا) الله وذلك من أمور الآخرة (يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ) جميعها بل الزكاة المفروضة فيها (إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ) يبالغ فى طلبها (تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ) البخل (أَضْغَانَكُمْ) لدين الإسلام (هَا أَنْتُمْ) يا (هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) مافرض عليكم (فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ) يقال بخل عليه وعنه (وَاللَّهُ الْغَنِيُّ) عن نفقتكم (وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ) إليه (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا) عن طاعته (يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) أى يجعلهم بدلكم (ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) فى التولى عن طاعته بل مطيعين له عز وجل .

[سورة الفتح] سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى السنة السادسة بألف وأربعمائة من أصحابه قاصدين مكة للاعتمار، فأحرموا بالعمرة من ذى الحليفة وساق صلى الله عليه وسلم سبعين بدنة هديا للحرم وساق القوم سبعمائة، فلما وصلوا للحديبية وهى قرية بينها و بين مكة مرحلة أرسل عثمان إلى مكة ليخبر أهلها بأن رسول الله يريد زيارة بيت الله الحرام ولم يكن قاصدا حربا، فلما ذهب عثمان حبسوه عندهم، فأشاع إبليس فى الصحابة أن عثمان قتل، فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على أنهم يدخلون مكة حربا، فلما بلغ المشركين ذلك أخذهم الرعب وأطلقوا عثمان وطلبوا الصلح من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يأتى فى العام القابل و يدخلها و يقيم فيها ثلاثة أيام، فتحلل هو وأصحابه هناك بالحلق وذبح ما ساقوه من الهدى، ثم رجعوا يعلوهم الحزن والكآبة، فأراد الله تسليتهم و إذهاب الحزن عنهم فأنزل الله عليه وهو سائر ليلا فى رجوعه وهو بكراع الغميم وهو واد أمام عسفان بين مكة والمدينة: إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى آخر السورة، فقال صلى الله عليه وسلم: لقد أنزلت على الليلة سورة هى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ ـ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ـ فقال المسلمون: هنيئا مريئا لك يارسول الله لقد بين الله لك مايفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه ـ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار ـ حتى بلغ فوزا عظيما (قوله مدنية) أى لكونها نزلت بعد الهجرة (قوله إنا فتحنا لك الخ) الفتح هو الظفر بالبلاد عنوة أو صلحا فشبه الظفر بالبلاد بفتح الباب المغلق بجامع التمكن فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الفتح فتحنا بمعنى ظفرنا: أى مكناك من البلاد وحذف المعمول ليؤذن بالعموم، وأسند إلى نون العظمة اعتناء بشأن الفتح و إشارة إلى أن هذا الأمر لايتيسر إلا بإرادة الله وتوفيقه (قوله قضينا بفتح مكة وغيرها) أى كخيبر وحنين والطائف ونحوها وهو جواب عما يقال إن الآية نزلت فى رجوعه من الحديبية عام ست ومكة لم تفتح إلا فى السنة الثامنة فكيف عبر بالماضى. فأجاب بأن التعبير بالماضى بالنسبة للقضاء الأزلى، والمعنى حكمنا لك فى الأزل بالفتح المبين وحينئذ فالتعبير بالماضى حقيقة. وأجيب أيضا

(سورة الفتح)

مدنية، تسع وعشرون آية

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ) قضينا بفتح مكة وغيرها المستقبل فى عنوة بجهادك (فَتْحًا مُّبِينًا) بينا ظاهرا (لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ) بجهادك (مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) منه لترغب أمتك فى الجهاد، وهو مؤول لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلى القاطع،

من

بأن التعبير بالماضى مجاز لتحقق الوقوع نظير ونفخ فى الصور. وأجيب أيضا بأن الفتح على حقيقته وأن المراد به صلح الحديبية لأنه أصاب فيه ما لم يصب فى غيره. قال الزهرى: لقد كان فتح الحديبية أعظم الفتوح وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم جاء إليها فى ألف وأربعمائة، فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم على بعض وعلموا وسمعوا عن الله، فما أراد أحد الاسلام إلا تمكن منه فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاءوا إلى مكة فى عشرة آلاف. وقال الشعبى فى قوله ـ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ـ هو فتح الحديبية لقد أصاب فيها ما لم يصب فى غزوة غيرها غفر الله ماتقدم من ذنبه وما تأخر و بويع بيعة الرضوان وأطعموا نخل خيبر و بلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس وفرحت المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس اهـ (قوله عنوة) هذا مذهب مالك وأبى حنيفة نظرا لكون النبى وأصحابه دخلوها قهرا ووقوع القتل من بعض الصحابة كخالد بن الوليد وأصحابه فى جهة أسفلها ومذهب الشافعى أنها فتحت صلحا نظرا للظاهر وهو عدم حصول القتال من النبى وتأمينه أباسفيان وهذا الخلاف يكاد أن يكون لفظيا (قوله بجهادك) متعلق بقوله بفتح مكة وهو جواب عما يقال إن الفتح ناشئ من الله والمغفرة تكون للشخص فكيف تترتب عليه و إنما الشأن أن تترتب على ما يكون من الشخص. فأجاب بأن الفتح و إن كان من الله لكنه ترتب على فعل النبى وهو الجهاد فصح أن يترتب على الفتح المغفرة بهذا الاعتبار (قوله لترغب أمتك) علة لترتب الغفران على الفتح (قوله وهو مؤول) أى إن إسناد الذنب له صلى الله عليه وسلم مؤول إما بأن المراد ذنوب أمتك أو هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين أو بأن المراد بالغفران الاحالة بينه و بين الذنوب فلا تصدر منه لأن الغفر هو الستر، والستر

إما بين العبد والذنب أو بين الذنب وعذابه فاللائق بالأنبياء الأول وبالأمم الثاني . إن قلت إن عصمة النبي عليه الصلاة والسلام من الذنوب حاصلة بالفعل قبل النبوة وبعدها فكيف تكون مترتبة على جهاده . أجيب بأن المرتب إظهارها للخلق لا هي نفسها (قوله من الذنوب) أي صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها (قوله للعلة الغائية) أي وهي المترتبة على آخر الفعل وليست علة باعثة لاستحالة الأغراض على الله تعالى في الأفعال والأحكام (قوله لاسبب) أي لأن السبب مايضاف إليه الحكم كالزوال لوجوب الظهر والمغفرة ليست كذلك (قوله بالفتح المذكور) أي وهو فتح مكة وغيرها بجهادك (قوله يثبتك عليه) أي يديمك ويقويك عليه أو المراد يزيدك في الهداية باتباع الشريعة وأحكام الدين (قوله ذا عز) جواب عما يقال إن العزيز وصف للمنصور لا للنصر وتوضيح جوابه أن فعيلا صيغة نسبة : أي نصرا منسوبا للعز (قوله لاذل معه) أي لا في الدنيا ولا في الآخرة وأما مطلق نصر فيكون حتى لبعض الكفار في الدنيا (قوله في قلوب المؤمنين) أي وهم أهل الحديبية حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مناجزة الحرب مع أهل مكة بعد أن حصل لهم ماشأنه أن يزعج النفوس ويزيغ القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصود فلم يرجع منهم أحد عن الإيمان بعد أن هاج الناس وزلزلوا حتى عمر بن الخطاب المروي أنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبي الله حقا ؟ قال بلى ، قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ، قال بلى ، قلت فلم نعطى الدنية في ديننا إذا ؟ قال إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري ، قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال بلى أنا أخبرتك أنا نأتيه العام ؟ قلت لا ، قال فانك آتيه وتطوف به ، قال فأتيت

أبا بكر ، فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا؟ قال بلى فقلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى ، فقلت فلم نعطي الدنية في ديننا إذا قال أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بأمره ولا تخالفه فوالله إنه على الحق ، قلت أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال بلى فأخبرك انا نأتيه العام ، قلت لا ، قال فانك آتيه فتطوف به . قال العلماء لم يكن سؤال عمر شكا بل طلبا لكشف ماخفي عليه وحثا على إذلال الكفار وظهور الإسلام كما هو معروف من شدته وصلابته في الدين ، وأما جواب أبي بكر المطابق لجواب النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه رضي الله عنهما وعنا بهما (قوله بشرائع الدين) متعلق بإيمانا وقوله مع إيمانهم متعلق بمحذوف أي بالله ورسوله (قوله ولله جنود السموات والأرض) اختلف في المراد بجنود السموات والأرض فقيل هم ملائكة السموات والأرض ، وقيل إن جنود السموات الملائكة وجنود الأرض الحيوانات ، وقيل إن جنود السموات مثل الصواعق والصيحة والحجارة وجنود الأرض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك وكل صحيح (قوله لفعل) أي لكنه لم يفعل بل أنزل السكينة على المؤمنين ليكون إهلاك الأعداء بأيديهم ليحصل لهم الشرف والعز دنيا وأخرى (قوله متعلق بمحذوف) أي لا بفتحنا أي لئلا يلزم عليه عمل الفعل في حرفي جر متحدي اللفظ والمعنى من غير عطف ولا بدل ولا توكيد (قوله ويكفر عنهم سيئاتهم) أي يمحوها وهو معطوف على قوله ليدخل المؤمنين الخ عطف سبب على مسبب فدخول الجنة مسبب عن تكفير السيئات وقدم الادخال في الذكر على التكفير مسارعة إلى بيان ماهو المطلب الأعلى (قوله وكان ذلك) أي المذكور من الادخال والتكفير (قوله عند الله) حال من فوزا لأنه صفة له في الأصل فلما قدم عليه صار حالا : أي كائنا عند الله : أي في علمه وقضائه (قوله ويعذب المنافقين) قدمهم على المشركين لأنهم أشد ضررا من الكفار المتجاهرين ، وذلك لأن المؤمن كان يتوقى المجاهر ويخالط المنافق لظنه إيمانه .

من الذنوب ، واللام للعلة الغائية فمدخولها مسبب لاسبب (وَيُتِمَّ) بالفتح المذكور (نِعْمَتَهُ) إنعامه (عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ) به (صِرَاطًا) طريقا (مُسْتَقِيمًا) يثبتك عليه وهو دين الإسلام (وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ) به (نَصْرًا عَزِيزًا) ذا عز لاذل معه (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ) الطمأنينة (فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) بشرائع الدين كلما نزل واحدة منها آمنوا بها منها الجهاد (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) في صنعه : أي لم يزل متصفا بذلك (لِيُدْخِلَ) متعلق بمحذوف : أي أمر بالجهاد (الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ

(قوله ظن السوء) إما من إضافة الموصوف لصفته على مذهب الكوفيين أو أن السوء صفة لموصوف محذوف أى ظن الأمر السوء فحذف المضاف إليه وأقيمت صفته مقامه (قوله بفتح السين وضمها) أى فالفتح الذم والضم العذاب والهزيمة والشر (قوله فى المواضع الثلاثة) أى هذين والثالث قوله فيما يأتى وظننتم ظن السوء وهو سبق قلم ، والصواب أن يقول فى الموضع الثانى ، وأما الأول والثالث فليس فيهما إلا الفتح باتفاق السبعة (قوله عليهم دائرة السوء) إما إخبار عن وقوعه بهم أو دعاء عليهم كأن الله يقول سلونى بقولكم عليهم دائرة السوء ، والدائرة عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت فى الحادثة المحيطة بمن وقعت عليه ، والجامع الاحاطة فى كل (قوله وغضب الله عليهم) عطف على قوله عليهم دائرة السوء (قوله ولله جنود السموات والأرض الخ) ذكر هذه الآية أولا فى معرض الخلق والتدبير فذيلها بقوله : عليما حكيما ، وذكرها ثانيا فى معرض الانتقام فذيلها بقوله : عزيزا حكيما فلا تكرار (قوله أى لم يزل الخ) أشار بذلك إلى أن كان فى أوصاف الله معناها الاستمرار (قوله إنا أرسلناك الخ) امتنان منه تعالى عليه صلى الله عليه وسلم حيث شرفه بالرسالة وبعثه إلى كافة الخلق شاهدا على أعمال أمته (قوله شاهدا على أمتك) أى بالطاعة والعصيان (قوله ليؤمنوا بالله) متعلق بأرسلناك (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقرئ) أى شذوذا (قوله وضميرهما لله الخ) أى فهما احتمالان : أى فاذا أردت الجرى على وتيرة واحدة جعلتها كأنها عائدة على الله تعالى وأما قوله وتسبحوه فهو عائد على الله قولا واحدا ويؤخذ من هذه الآية أن من اقتصر على تعظيم الله وحده أو على تعظيم الرسول وحده فليس بمؤمن بل المؤمن من جمع بين تعظيم الله تعالى وتعظيم رسوله ولكن التعظيم فى كل بحسبه فتعظيم الله تنزيهه عن صفات الحوادث ووصفه بالكمالات وتعظيم رسوله اعتقاد أنه رسول الله حقا وصدقا لكافة الخلق بشيرا ونذيرا إلى غير ذلك من أوصافه السنية وشمائله المرضية (قوله إن الذين يبايعونك الخ) لما ذكر سبحانه وتعالى أنه أرسله بشيرا ونذيرا بين أن متابعته متابعة له وطاعته طاعة له وذلك يشعر بعظيم منزلته وقدره عند ربه ، والبيعة فى الأصل العقد الذى يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذى التزمه له ، والمراد بها هنا بيعة الرضوان بالحديبية ، وهى قرية ليست كبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببئر هناك . واختلف فيها فقيل من الحرم وقيل بعضها من الحل ويجوز فيها التخفيف والتشديد (قوله إنما يبايعون الله) اعلم أن فى هذا المقام استعارة تصريحية تبعية ومكنية وتخييلية ومشاكلة فالتبعية فى الفعل وهو يبايعون وذلك لأن المبايعة معناها مبادلة المال بالمال فشبه المعاهدة على دفع الأنفس فى سبيل الله طلبا لمرضاة الله بدفع السلع فى نظير الأموال واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من البيع يبايعون بمعنى يعاهدون على دفع أنفسهم فى سبيل الله ، والمكنية فى لفظ الجلالة ، وذلك لأن المتعاهدين إذا كان هناك ثالث يضع يده فوق يديهما ليحفظهما فشبه اطلاع الله ومجازاته على فعلهم بملك وضع يده على يد أميره ورعيته وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو اليد فاثباتها تخييل ، والمشاكلة لذكر الأيدى بعده (قوله هو نحو من يطع الرسول الخ) أى من حيث إنه فى المعنى يرجع له وفيه إشارة إلى أنه تعالى منزه عن الجوارح

وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ) بفتح السين وضمها فى المواضع الثلاثة ظنوا أنه لا ينصر محمداً صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) بالذل والعذاب (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ) أبعدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً) أى مرجعاً (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً) فى ملكه (حَكِيماً) فى صنعه : أى لم يزل متصفاً بذلك (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً) على أمتك فى القيامة (وَمُبَشِّراً) لهم فى الدنيا بالجنة (وَنَذِيراً) منذراً مخوفاً فيها من عمل سوءا بالنار (لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) بالياء والتاء فيه وفى الثلاثة بعده (وَيُعَزِّرُوهُ) ينصروه وقرىء بزايين مع الفوقانية (وَيُوَقِّرُوهُ) يعظموه وضميرهما لله أو لرسوله (وَيُسَبِّحُوهُ) أى الله (بُكْرَةً وَأَصِيلاً) بالغداة والعشى (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) بيعة الرضوان بالحديبية (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) هو نحو : من يطع الرسول فقد أطاع الله (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) التى بايعوا بها النبى ، أى هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها (فَمَنْ نَكَثَ) نقض البيعة (فَإِنَّمَا يَنْكُثُ) :

يرجع

(قوله يرجع وبال نقضه) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف مضافين (قوله بالياء والنون) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله أجرا عظيما) أى وهو الجنة وهذه الآية وإن كان سبب نزولها بيعة الرضوان إلا أن العبرة بعموم اللفظ فيشمل مبايعة الامام على الطاعة والوفاء بالعهد ومبايعة الشيخ العارف على محبة الله ورسوله والتزام شروطه وآدابه ومن هنا استعمل مشايخ الصوفية هـذه الآية عند أخذ العهد على المريد (قوله سيقول لك المخلفون الخ) أى وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد السير إلى مكة عام الحديبية معتمرا طلب من الأعراب وأهل البوادى حول المدينة أن يخرجوا معه حذرا من قريش أن يتعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا عنه وقالوا يذهب إلى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه (قوله حول المدينة) حال من الأعراب أو صفة لهم (قوله إذا رجعت منها) ظرف ليقول (قوله وأهلونا) أى النساء والصبيان فانا لو تركناهم لضاعوا لأنه لم يكن لنا من يقوم بهم وأنت قد نهيت عن ضياع المال والتفريط فى العيال (قوله فهم كاذبون فى اعتذارهم) أى وطلب الاستغفار (قوله قل فمن يملك لكم الخ) أى فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه (قوله إن أراد بكم ضرا) أى كقتل وهزيمة ونحوهما (قوله بفتح الضاد وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بل كان الله بما تعملون خبيرا) ترق فى الرد عليهم (قوله للانتقال من غرض إلى آخر) أى فأضرب عن تكذيبهم فى اعتذارهم إلى إيعادهم بجزاء أعمالهم من التخلف والاعتـذار الباطل ثم أضرب عن بيان بطلان اعتذارهم إلى بيان ما حملهم على التخلف وهـذا على سبيل الترقى فى الرد عليهم (قوله بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول) أى لا يرجع إلى المدينة وسبب ظنهم ذلك اعتقادهم عظمة المشركين وحقارة المؤمنين حتى قالوا ماهم فى قريش إلا أكلة رجل (قوله جمع بائر) أى كحائل وحول وقيل البور مصدر بمعنى الهلاك (قوله ومن لم يؤمن بالله ورسوله) لما بين حال المتخلفين عن رسول الله وبين حال ظنهم الفاسد وأنه يفضى بصاحبه إلى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة على سبيل العموم ومن إما شرطية أو موصولة والاسم الظاهر قائم مقام العائد وقوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا دليل الجواب أو الخبر (قوله نارا شديدة) أى فالمراد جميع طبقات النار لا الطبقة المسماة بذلك (قوله ولله ملك السموات والأرض) أى يتصرف فيهما كيف يشاء (قوله يغفر لمن يشاء) هذا قطع لطمعهم فى استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم كأن الله يقول لهم لا يستحق أحد عندى شيئا وإنما أغفر لمن أريد وأعذب من أريد ، وقد سبقت حكمتى أن المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين فلا تطمعوا فى المغفرة مادمتم كفارا (قوله سيقول المخلفون الخ) هذا من جملة الإخبار عما يحصل منهم (قوله إذا انطلقتم) ظرف لما قبله ، والمعنى يقولون عند انطلاقكم الخ .

يرجع وبال نقضه (عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ) بالياء والنون (أَجْرًا عَظِيماً . سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ) حول المدينة : أى الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفا من تعرض قريش لك عام الحديبية إذا رجعت منها (شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) عن الخروج معك (فَاسْتَغْفِرْ لَنَا) الله من ترك الخروج معك قال تعالى مكذبا لهم (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ) أى من طلب الاستغفار وما قبله (مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) فهم كاذبون فى اعتذارهم (قُلْ فَمَنْ) استفهام بمعنى النفى أى لا أحد (يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا) بفتح الضاد وضمها (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) أى لم يزل متصفا بذلك (بَلْ) فى الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر (ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ) أى أنهم يستأصلون بالقتل فلا يرجعون (وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ) هذا وغيره (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) جمع بائر : أى هالكين عند الله بهذا الظن (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا) نارا شديدة (وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحِيماً) أى لم يزل متصفا بما ذكر (سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ) المذكورون (إِذَا ٱنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ) ،

(قوله هى مغانم خيبر) أى وذلك أن المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل مغانمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا وكان المتولى للقسمة بخيبر جبار بن صخر الأنصارى من بنى سلمة وزيد بن حارثة من بنى النجار كانا حاسبين قاسمين وأمر صلى الله عليه وسلم بالقسم لمن حضر من أهل الحديبية ومن غاب ولم يغب منهم عنها غير جابر بن عبد الله فقسم له صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر (قوله ذرونا) أى دعونا وهذا الفعل هجر مصدره وماضيه واسم فاعله استغناء بمادة ترك وأصل مادته وذر يذر وذرا فهو واذر والأمر منه ذر وهذه الجملة مقول القول (قوله يريدون) إما مستأنف أو حال من المخلفون (قوله أن يبدلوا كلام الله) أى يغيروا وعد الله الذى وعد أهل الحديبية به من جعل غنائم خيبر لهم عوضا عن فتح مكة فى ذلك العام (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله قل لن تتبعونا) نفى فى معنى النهى للمبالغة (قوله كذلكم) أى مثل هذا القول وهو لن تتبعونا (قوله قال الله) أى حكم بأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (قوله فسيقولون) أى عند سماعهم النهى (قوله بل تحسدوننا) أى فليس هذا النهى حكما من الله تعالى بل هو حسد منكم لنا على مشاركتكم فى الغنائم (قوله من الدين) أشار بذلك إلى أن الاضراب الأول معناه رد منهم أن يكون حكم الله أن لايتبعوهم وإثبات الحسد والثانى إضراب عن وصفهم باضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أهم وهو الجهل وقلة الفهم (قوله قل للمخلفين) كرر وصفهم بهذا الاسم إشعارا بشناعته ومبالغة فى ذمهم (قوله قيل هم بنو حنيفة) أى وهم جماعة مسيلمة الكذاب والداعى للمخلفين على قتالهم حينئذ أبو بكر بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم (قوله أصحاب اليمامة) اسم لبلاد فى اليمن ولامرأة كانت بها و يقال لها زرقاء كانت تبصر الركب من مسيرة ثلاثة أيام (قوله وقيل فارس والروم) أى والداعى لهم عمر بن الخطاب وقيل إن ذلك فى هوازن وغطفان يوم حنين والداعى لهم رسول الله . إن قلت إن الله تعالى أمر رسوله أن لايدعو المخلفين إلى الجهاد فى قوله فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا وحينئذ فيبعد أن ذلك فى غزوة حنين والداعى لهم رسول الله . وأجيب بأنه لايبعد إذ قوله لن تخرجوا معى أبدا الخ إنما نزلت بعد الفتح فى غزوة تبوك فتحصل أن الأقوال ثلاثة وكل صحيح (قوله أو هم يسلمون) أشار بذلك إلى أن الجملة مستأنفة وليست أو بمعنى إلى أو إلا و إلا لنصب الفعل بحذف النون ومعنى يسلمون ينقادون ولو بعقد الجزية فان الروم نصارى وفارس مجوس وكل منهما يقر بالجزية وأما بالنسبة لبنى حنيفة فمعناه يسلمون بالفعل لأنهم كانوا مرتدين والمرتد لايقر بالجزية بل إما السيف أو الاسلام (قوله كما توليتم من قبل) أى فى الحديبية (قوله ليس على الأعمى حرج) نزلت لما قال أهل الزمانة والعاهة والآفة كيف بنا يارسول الله حين سمعوا قوله تعالى و إن تتولوا الخ (قوله فى ترك الجهاد) أى فى التخلف عن الجهاد وهذه أعذار ظاهرة وذلك لأن الأعمى لايمكنه الكر ولا الفر وكذلك الأعرج والمريض ومثل هذه الأعذار الفقر الذى لايمكن صاحبه أن يقضى مصالحه وأشغاله التى تعوق عن الجهاد وكل هذا مالم يفجأ العدو و إلا وجب على كل بما يمكنه .

هى مغانم خيبر (لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا) اتركونا (نَتَّبِعْكُمْ) لنأخذ منها (يُرِيدُونَ) بذلك (أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) وفى قراءة كلم الله بكسر اللام أى مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة (قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) أى قبل عودنا (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا) أن نصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ) من الدين (إِلَّا قَلِيلًا) منهم (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ) المذكورين اختبارا (سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي) أصحاب (بَأْسٍ شَدِيدٍ) قيل هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة ، وقيل فارس والروم (تُقَاتِلُونَهُمْ) حال مقدرة هى المدعو إليها فى المعنى (أَوْ) هم (يُسْلِمُونَ) فلا تقاتلون (فَإِنْ تُطِيعُوا) إلى قتالهم (يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) فى ترك الجهاد (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ) بالياء والنون (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ) ،

بالياء

(قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لقد رضى الله عن المؤمنين) أى فعل بهم فعل الراضى من الثواب والفتح المبين وفى ذلك تلميح إلى أن الكافرين غير راض عنهم فلهم الخذلان فى الدنيا والآخرة . وكان سبب هذه البيعة على ماذكره محمد بن إسحق عن أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعى حين نزل الحديبية فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جمله صلى الله عليه وسلم ليبلغ أشرافهم أنه صلى الله عليه وسلم جاء معتمرا ولم يجئ محاربا فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعتهم الأحابيش فخلوا سبيله فأتى لرسول الله فأخبره فدعا رسول الله عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فقال يارسول الله إنى أخاف على نفسى قريشا وليس فى مكة من بنى عدى بن كعب أحد وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلظتى عليها ولكن أدلك على رجل هو أقربها منى لوجود عشيرته فيها وهو عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته وكتب له كتابا بعثه معه وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريبا وأن الله سيظهر دينه فخرج عثمان وتوجه إلى مكة فوجد قريشا قد اتفقوا على منعه صلى الله عليه وسلم من دخول مكة ولقيه أبان بن سعيد بن العاصى حين دخل مكة أوقبل أن يدخلها فنزل عن فرسه وحمله بين يديه ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم الكتاب واحدا واحدا فصمموا على أنه لايدخلها هذا العام وقالوا لعثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به قال ماكنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان المسلمون قالوا هنيئا لعثمان خلص إلى البيت وطاف به دوننا فقال

بالياء والنون (عذابا أليما . لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك) بالحديبية (تحت الشجرة) هى سمرة وهم ألف وثلثمائة أو أكثر ثم بايعهم على أن يناجزوا قريشا وأن لا يفروا من الموت (فعلم) الله (ما فى قلوبهم) من الصدق والوفاء (فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية (ومغانم كثيرة يأخذونها) من خيبر (وكان الله عزيزا حكيما) أى لم يزل متصفا بذلك (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) من الفتوحات (فعجل لكم هذه) غنيمة خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) فى عيالكم ،

صلى الله عليه وسلم إن ظنى به أن لايطوف حتى يطوف معنا وبشر عثمان المستضعفين واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانبرح حتى تناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ووضع النبى صلى الله عليه وسلم شماله فى يمينه وقال هذه عن عثمان وهذا يشعر بأن النبى قد علم بنور النبوة أن عثمان لم يقتل حتى بايع عنه . وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما بايع الناس اللهم إن عثمان فى حاجتك وحاجة رسولك فضرب باحدى يديه على الأخرى فكانت يده لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا و بعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين وكانوا عشرة دخلوا مكة باذنه صلى الله عليه وسلم (قوله إذ يبايعونك) ظرف لرضى وعبر بصيغة المضارع استحضارا لصورة المبايعة (قوله تحت الشجرة) معمول ليبايعونك (قوله هى سمرة) بضم الميم من شجر الطلح وهو الموز كما عليه جمهور المفسرين فى قوله تعالى : وطلح منضود وهذه الشجرة قد أخفيت لئلا يحصل الافتتان بها ، وروى أن عمر بلغه أن قوما يأتون الشجرة ويصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقطعت (قوله أو أكثر) قيل وأربعمائة وهو الصحيح وقيل خمسمائة (قوله على أن يناجزوا قريشا) أى يقاتلوهم (قوله فعلم مافى قلوبهم) معطوف على يبايعونك (قوله بعد انصرافهم من الحديبية) أى فى ذى الحجة فأقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقيته و بعض المحرم ثم خرج إلى خيبر فى بقية المحرم سنة سبع (قوله ومغانم) معطوف على فتحا و يأخذونها صفة لمغانم أو حال منها (قوله وعدكم الله) الالتفات إلى الخطاب لتشريفهم فى مقام الامتنان وهو لأهل الحديبية (قوله من الفتوحات) أى غير خيبر مما استقبلهم بعد كفتح مكة وهوازن و بلاد كسرى والروم (قوله غنيمة خيبر) مقتضى ماتقدم من أن السورة نزلت كلها فى رجوعه من الحديبية أن يكون قوله فعجل لكم هذه من التعبير بالماضى عن المستقبل لتحقق وقوعه ومن الاخبار بالغيب (قوله فى عيالكم) أى عن عيالكم والجار والمجرور بدل من قوله عنكم والمراد بالناس أهل خيبر وحلفاؤهم من بنى أسد وغطفان .

(قوله لما خرجتم) أى للحديبية وقوله وهمت بهم اليهود أى يهود خيبر هموا بأخذ عيال النبيّ والصحابة من المدينة فى غيبة النبيّ للحديبية وكان هو السبب فى أخذ خيبر (قوله عطف على مقدّر) هذا أحد قولين والآخر أنها زائدة وعليه فيكون تعليلا لقوله كفّ (قوله آية للمؤمنين) أى أمارة يعرفون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى وعده إياهم عند الرجوع من الحديبية بتلك الغنائم (قوله أى طريق التوكل عليه) فسر الصراط المستقيم بما ذكر لأن الحاصل من الكف ليس إلا ذلك ولأن أصل الهدى حاصل قبله .

تنبيه — ملخص غزوة خيبر «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذى الحجة و بعض المحرم ثم خرج إلى خيبر فى بقية المحرم سنة سبع وكان إذا غزا قوما ينتظر الصباح فان سمع أذانا كفّ عنهم و إن لم يسمع أذانا أغار عليهم ، فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب عليهم فخرجوا بمكاتلهم ومساحيهم ، فلما رأوا النبيّ صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس أى الجيش ، فلما رآهم النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» . وعن سلمة بن الأكوع قال «خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم :

تالله لولا الله مااهتدينا ولا تصدّقنا ولاصلينا

ونحن عن فضلك مااستغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ؟ قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه إلا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يانبيّ الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر قدم ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول : قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلتهب

قال و برز له عمى عامر فقال : قد علمت خيبر أنى عامر شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضربتيهما فوقع سيف مرحب فى ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه رضى الله عنه

لما خرجتم وهمت بهم اليهود فقذف الله فى قلوبهم الرعب (وَلِتَكُونَ) أى المعجلة عطف على مقدر أى لتشكروه (آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) فى نصرهم (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) أى طريق التوكل عليه وتفويض الأمر إليه تعالى (وَأُخْرَى) صفة مغانم مقدراً ، مبتدأ

قال سلمة فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقلت يارسول الله بطل عمل عمى عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ، ثم أرسلنى إلى علىّ وهو أرمد فقال لأعطين الراية رجلا يحبّ الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلتهب

فقال علىّ رضى الله عنه :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره كليث غابات كريه المنظره أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده» أخرجه مسلم بهذا اللفظ وفى رواية أخرى «أنه خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج إليه الزبير بن العوامّ فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب أيقتل ابنى يارسول الله قال بل ابنك يقتله إن شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم لم يزل رسول الله يفتح الحصون و يقتل المقاتلة و يسبى الذرية و يحوز الأموال فجمع السبى فجاء دحية فقال يارسول الله أعطنى جارية من السبى قال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيى فجاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير لاتصلح إلا لك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر إليها النبيّ صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبى غيرها فأعتقها النبى صلى الله عليه وسلم وتزوّجها ، فلما دخل بها رأى فى عينيها أثر خضرة فسألها عن سببها فقالت إنى رأيت فى المنام وأنا عروس بكنانة بن الربيع أن قمرا وقع فى حجرى فقصصت رؤياى على زوجى فقال ماهذا إلا أنك تمنيت ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهى لطمة اخضرت منها عينى فلما ظهر رسول الله على خيبر أراد إخراج اليهود منها

فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم بها على أن يكفوهم العمل ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ماشئنا فقروا بها حتى أجلاهم عمر فى إمارته إلى تيماء وأريحاء ، قال محمد بن إسحق لما سمع أهل فدك بما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن دماءهم وأن يسيرهم و يخلوا له الأموال ففعل بهم ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم على النصف كأهل خيبر ففعل فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولاركاب ، فلما اطمأن رسول الله أهدت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية ، يعنى مشوية ، وسألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله تناول الذراع فأخذ فلاك منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فأخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما بشر فأساغها : يعنى ابتلعها ، وأما رسول الله فلفظها ثم قال إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ماحملك على ذلك ؟ فقالت بلغت من قومى مالم يخف عليك فقلت إن كان ملكا استرحنا منه و إن كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذى توفى فيه فقال

يا أم بشر مازالت أكلة خيبر التى أكلت مع ابنك تعاودنى فهذا أوان قطع أبهرى فكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوّة (قوله مبتدأ) أى وخبره قوله قد أحاط الله بها وقوله لم تقدروا عليها صفة لمغانم القدر وسوّغ الابتداء بالنكرة الوصف وهذا أسهل الأعاريب ولذا اختاره المفسر (قوله هى فارس والروم) أى و باقى الأقطار (قوله قد أحاط الله بها) أى أعدّها لكم فى قضائه وقدره فهى محصورة لانفوتكم (قوله أى لم يزل متصفا) أشار بذلك إلى أن المراد من كان الاستمرار (قوله ولوقاتلكم الذين كفروا) أى وهم أهل مكة ومن وافقهم وقد كانوا اجتمعوا وجمعوا الجيوش وقدموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم ولم يكن أسلم حينئذ فما شعر بهم خالد حتى إذاهم بقترة الجيش أى بغبار أثرهم فانطلق بركض نذيرا لقريش (قوله لولوا الأدبار) أى مضوا منهزمين (قوله من هزيمة الكافرين) من بيانية (قوله التى قد خلت) أى مضت وقوله من قبل أى فيمن مضى من الأمم (قوله تبديلا منه) أى من الله تعالى ، والمعنى أن الله لايبدّل ولايغير سنته وطريقته من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين (قوله بالحديبية) بيان لبطن مكة ، والمراد بمكة الحرم والحديبية تقدم فيها الخلاف هل هى منه أو بعضها فعلى الأوّل التعبير بالبطن ظاهر وعلى الثانى فالمراد بالبطن الملاصق والمجاور (قوله من بعد أن أظفركم) أى أظهركم فتعديته بعلى ظاهرة (قوله فكان ذلك) أى العفو عنه وتخلية سبيلهم (قوله سبب الصلح) أى لعلمهم أن هذا الأمر لايقع إلا من قادر على قتالهم غير مكترث بهم (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله معطوف على كم) أى الضمير المنصوب فى صدوركم وهوأحسن الأعاريب (قوله محبوسا) أى فالعكوف الاحتباس ومنه الاعتكاف المشهور وهو حبس النفس على ماتكره مع ملازمة المسجد .

مبتدأ (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) هى من فارس والروم (قَدْ أَحَاطَ اللّٰهُ بِهَا) علم أنهاستكون لكم (وَكَانَ اللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) أى لم يزل متصفا بذلك (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالحديبية (لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يحرسهم (وَلَا نَصِيرًا . سُنَّةَ اللّٰهِ) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله:من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين ، أى سن الله ذلك سنة (الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰهِ تَبْدِيلًا) منه (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ) بالحديبية (مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم فأخذوا وأتى بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم فكان ذلك سبب الصلح (وَكَانَ اللّٰهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا) بالياء والتاء ، أى لم يزل متصفا بذلك (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى عن الوصول إليه (وَالْهَدْيَ) معطوف على كُمْ (مَعْكُوفًا) محبوسا حال (أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ)

(قوله أى مكانه) أى المعهود وهو منى للمحرم بالحج والمروة للمحرم بالعمرة وهو الأفضل وإلا فالحرم كله محل النحر (قوله بدل اشتمال) أى من الهدى، والمعنى صدوا بلوغ الهدى محله ويصح أن يكون على إسقاط الخافض أى عن أن يبلغ الهدى محله والجار والمجرور إما متعلق بصدوكم أو بمعكوفا (قوله موجودون) هو خبر المبتدإ (قوله بدل اشتمال من هم) أى والمعنى لم تعلموا وطأهم ويصح أن يكون بدلا من رجال ونساء، والمعنى ولولا وطء رجال ونساء (قوله إثم) أى مكروه كالتأسف عليهم أو المراد بالإثم حقيقته بسبب ترك التحفظ (قوله بغير علم منكم به) أى بالقتل (قوله وجواب لولا محذوف) أى والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا ناسا مؤمنين بين أظهر الكفار حال كونكم جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم (قوله حينئذ) أى عام الحديبية (قوله ليدخل الله الخ) علة لما قدره المفسر بقوله لكن لم يؤذن (قوله كالمؤمنين المذكورين) أى وكالمشركين لأنه آل أمر أهل مكة إلى الاسلام إلا ماقل (قوله تميزوا) أى تفرقوا وانفردوا ولكن لم يتميزوا بل اختلط المستضعفون بالمشركين والأصول المشركون بالفروع المسلمين كالذرارى الذين علم الله إسلامهم فلم يحصل العذاب (قوله الأنفة) بفتحتين أى الكبر (قوله حمية الجاهلية) بدل من الحمية قبلها وهى فعيلة مصدر يقال حميت من كذا حمية، وحمية الجاهلية عدم الإذعان للحق ونصرة الباطل (٩٨) (قوله فأنزل الله سكينته) معطوف على شىء مقدر أى فضاقت صدور

أى مكانه الذى ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ) موجودون بمكة مع الكفار (لَمْ تَعْلَمُوهُمْ) بصفة الإيمان (أَنْ تَطَئُوهُمْ) أى تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم فى الفتح، بدل اشتمال من هم (فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ) أى إثم (بِغَيْرِ عِلْمٍ) منكم به وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور، وجواب لولا محذوف أى لأذن لكم فى الفتح لكن لم يؤذن فيه حينئذ (لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) كالمؤمنين المذكورين (لَوْ تَزَيَّلُوا) تميزوا عن الكفار (لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) من أهل مكة حينئذ بأن نأذن لكم فى فتحها (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (إِذْ جَعَلَ) متعلق بعذبنا (الَّذِينَ كَفَرُوا) فاعل (فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ) الأنفة من الشىء (حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) بدل من الحمية وهى صدهم النبى وأصحابه عن المسجد الحرام (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فصالحوهم على أن يعودوا من قابل ولم يلحقهم من الحمية مالحق الكفار حتى يقاتلوهم

(وألزمهم)

المسلمين واشتد الكرب عليهم فأنزل الخ. روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأحنف على أن يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا مانعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ماصالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب مايريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا (قوله على أن يعودوا من قابل) أى وعلى وضع الحرب عشر سنين. قال البراء صالحوهم على ثلاثة أشياء: على أن من أتاهم من المشركين مسلما ردوه إليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم فيها ثلاثة أيام ولا يدخلها بسلاح فكتب بذلك كتابا، فلما فرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه قوموا وانحروا ثم احلقوا فوالله ماقام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد لما حصل لهم من الغم قام فدخل على أم سلمة فذكر لها مالقى من الناس فقالت له يانبى الله اخرج ولا تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج ففعل فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل يحلق بعضهم بعضا» وروى ثابت عن أنس أن قريشا صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم واشترطوا أن من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاء منا رددتموه علينا فقالوا يارسول الله أنكتب هذا قال نعم إن من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاء منهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا. روى أنه بعد عقد الصلح جاء أبو جندل بن سهل بن عمرو بقيوده

قد افلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال له سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فأجره لي قال ما أنا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده إلى قريش فقال أبو جندل أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما لقيت ، وكان قد عذب في الله عذابا شديدا وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يا أبا جندل احتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا عقدنا بيننا و بين القوم صلحا وعقدا و إنا لا نغدر فقام عمر وتكلم بكلام طويل منه ما تقدم لنا عند قوله هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ثم بعد رجوع رسول الله وأصحابه إلى المدينة جاءه أبو بصير عتبة بن أسد من قريش مسلما فأرسلوا في طلبه رجلين فسلمه لهما النبي صلى الله عليه وسلم فقتل أحدهما وفر عنه الآخر فأتى أبو بصير سيف البحر وجلس هناك فبلغ ذلك أبا جندل وأصحابه من المستضعفين فلحقوا به حتى تكاملوا نحوا من سبعين رجلا لهما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا تعرضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم بأنه لا يرسل إليهم من أتاه منهم مسلما وأبطلوا هذا الشرط فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهما فأحضرهم المدينة (قوله وألزمهم كلمة التقوى) أي اختارها لهم فهو إلزام إكرام وتشريف والمراد تقوى الشرك (قوله لا إله إلا الله) هذه رواية أبي بن كعب ، وقيل إنها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وقيل إنها بسم الله الرحمن الرحيم (قوله وكانوا أحق بها) أي في علم الله لأنه اختارهم لدينه (قوله تفسيري) أي لأحق بها أو الضمير في بها لكلمة التوحيد وفي أهلها للتقوى (قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أي جعل رؤياه صادقة محققة لم يدخلها الشيطان لأنه معصوم منه هو وجميع الأنبياء وتأخيرها لا ينافي كونها حقا وصدقا نظير رؤيا يوسف الصديق أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدون له فتأخرت الزمن الطويل و بعد ذلك تحققت (قوله وراب بعض المنافقين) أي ارتاب حيث قال عبد الله بن أبي وعبدالله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام (قوله أوحال من الرؤيا) أي فهو متعلق بمحذوف والتقدير ملتبسة بالحق و يصح أن يكون صفة لمصدر محذوف والتقدير صدقا ملتبسا بالحق و يصح أن يكون بالحق قسما وجوابه لتدخلن إلخ وعليه فالوقف على قوله الرؤيا وعلى ما قبله فالوقف على قوله بالحق وقوله لتدخلن اللام موطئة لقسم محذوف (قوله للتبرك) أي مع تعليم العباد الأدب وتفويض الأمر إليه وهو جواب عما يقال إن الله تعالى خالق للأشياء كلها وهو عالم بها قبل وقوعها فكيف وقع منه التعليق بالمشيئة مع أن التعليق إنما يكون من المخبر المتردد أو الشاك في وقوع المعلق والله منزه عن ذلك فأجاب بأن المقصود التبرك لا التعليق ويجاب أيضا بأن المشيئة باعتبار جميع الجيش ، فإن الذين حضروا عمرة القضاة كانوا سبعمائة ، وأما باعتبار المجموع فالقضاء مبرم لا تعليق فيه ويجاب أيضا بأنه حكاية عن كلام الملك المبلغ للرسول كلام الله أوحكاية عن كلام الرسول عليه الصلاة والسلام (قوله آمنين) حال مقارنة للدخول والجملة الشرطية معترضة (قوله مقدرتان) دفع بذلك ما قد يقال إن حال الدخول هو حال الإحرام وهو لا يتأتى معه حلق ولا تقصير (قوله لا تخافون أبدا) أشار بذلك إلى أنه غير مكرر مع قوله آمنين والمعنى آمنون في حال الدخول وحال المكث وحال

(وَأَلْزَمَهُمْ) أي المؤمنين (كَلِمَةَ التَّقْوَى) لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها (وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا) بالكلمة من الكفار (وَأَهْلَهَا) عطف تفسيري (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) أي لم يزل متصفاً بذلك ، ومن معلومه تعالى أنهم أهلها (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين ويحلقون و يقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت ، وقوله بالحق متعلق بصدق أو حال من الرؤيا وما بعدها تفسيرها (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) للتبرك (آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ) أي جميع شعورها (وَمُقَصِّرِينَ) بعض شعورها وهما حالان مقدرتان (لَا تَخَافُونَ) أبداً (فَعَلِمَ) في الصلح (مَا لَمْ تَعْلَمُوا) ،

الخروج وقد كان عند أهل مكة أنه يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فأفاد أنه يبقى أمنهم بعد خروجهم من الاحرام (قوله من الصلاح) أى وهو حفظ دماء المسلمين المستضعفين (قوله من دون ذلك) أى قبله (قوله هو فتح خيبر) وقيل هو صلح الحديبية وقيل هو فتح مكة (قوله هو الذى أرسل رسوله) تأكيد لتصديق الله رؤياه والمعنى حيث جعله رسولا فلا يريه خلاف الحق (قوله بالهدى) أى القرآن أو المعجزات (قوله ليظهره على الدين كله) أى ليعليه على جميع الأديان فينسخ ما كان حقا ويظهر فساد ما كان باطلا (قوله بما ذكر) أى بالهدى ودين الحق (قوله كما قال) أشار بذلك إلى أن قوله محمد رسول الله مؤكد لقوله هو الذى أرسل رسوله (قوله لا يرحمونهم) أى لا يرأفون بهم وذلك لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم وقد بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كان يتحرزون من ثيابهم أن تمس أبدانهم (قوله رحماء بينهم) أى فكان الواحد منهم إذا رأى أخاه فى الدين صافحه وعانقه (قوله تراهم ركعا) إما خبر آخر أو مستأنف، والمعنى تراهم فى النهار على الأعداء أسود وفى الليل ركع سجود (قوله حالان) أى من مفعول تراهم (قوله مستأنف) أى واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا يريدون بركوعهم وسجودهم، فقيل يبتغون الخ (قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) اختلف فى تلك السيما، فقيل إن مواضع سجودهم يوم القيامة ترى كالقمر ليلة البدر، وقيل هو صفرة الوجوه من سهر الليل، وقيل الخشوع الذى يظهر على الأعضاء حتى يتراءى أنهم مرضى وليسوا بمرضى، وليس المراد به ما يصنعه بعض الجهلة المرائين من العلامة فى الجبهة فإنه من فعل الخوارج، وفى الحديث «إنى لأبغض الرجل وأكرهه إذا رأيت بين عينيه أثر السجود» (قوله من ضميره) أى من ضمير ما تعلق به الخبر وهو كائنة

من الصلاح (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ) أى الدخول (فَتْحًا قَرِيبًا) هو فتح خيبر وتحققت الرؤيا فى العام القابل (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ) أى دين الحق (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) على جميع باقى الأديان (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا) أنك مرسل بما ذكر كما قال الله تعالى (مُحَمَّدٌ) مبتدأ (رَسُولُ اللَّهِ) خبره (وَالَّذِينَ مَعَهُ) أى أصحابه من المؤمنين مبتدأ خبره (أَشِدَّاءُ) غلاظ (عَلَى الْكُفَّارِ) لا يرحمونهم (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) خبر ثان أى متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد (تَرَاهُمْ) تبصرهم (رُكَّعًا سُجَّدًا) حالان (يَبْتَغُونَ) مستأنف: يطلبون (فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ) علامتهم مبتدأ (فِي وُجُوهِهِمْ) خبره، وهو نور وبياض يعرفون به فى الآخرة أنهم سجدوا فى الدنيا (مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) متعلق بما تعلق به الخبر أى كائنة وأعرب حالا من ضميره المنتقل إلى الخبر (ذَٰلِكَ) أى الوصف المذكور (مَثَلُهُمْ) صفتهم (فِي التَّوْرَاةِ) مبتدأ وخبره (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ) مبتدأ خبره (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) بسكون الطاء وفتحها: فراخه (فَآزَرَهُ) بالمد والقصر قواه وأعانه (فَاسْتَغْلَظَ) غلظ (فَاسْتَوَىٰ) قوى واستقام (عَلَىٰ سُوقِهِ) أصوله جمع ساق،

(يعجب

(قوله المنتقل إلى الخبر) أى وهو الجار والمجرور (قوله أى الوصف المذكور) أى وهو كونهم أشداء رحماء تراهم ركعا الخ سيماهم فى وجوههم الخ (قوله مثلهم فى التوراة) أى وصفهم العجيب الجارى فى الغرابة مجرى الأمثال (قوله مبتدأ وخبر) أى أن قوله مثلهم مبتدأ خبره قوله فى التوراة، والجملة خبر عن ذلك (قوله ومثلهم فى الانجيل الخ) يصح أن يكون مبتدأ خبره قوله كزرع، وحينئذ فيوقف على قوله فى التوراة، ويكونان مثلين وعليه مشى المفسر يصح أنه معطوف على مثلهم الأول وحينئذ فيوقف على قوله الانجيل ويكونان مثلا واحدا فى الكتابين، وقوله كزرع خبر لمحذوف أى مثلهم كزرع الخ وهو كلام مستأنف (قوله بسكون الطاء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان والشطء أفراخ النخل والزرع أو ورقه (قوله فراخه) بكسر الفاء جمع فرخ كفرع لفظا ومعنى (قوله بالمد) أى وأصله أأزره بوزن أكرمه قلبت الهمزة الثانية ألفا للقاعدة المعلومة وقوله والقصر: أى فهو من باب ضرب، وهما قراءتان سبعيتان (قوله غلظ) أى فهو من باب استحجر الطين (قوله على سوقه) متعلق باستوى.

(يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ) أى زراعه لحسنه ، مثل الصحابة رضى الله عنهم بذلك لأنهم بدءوا فى قلة وضعف فكثروا وقووا على أحسن الوجوه (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) متعلق بمحذوف دل عليه ماقبله أى شبهوا بذلك (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ) أى الصحابة ومن لبيان الجنس لاللتبعيض لأنهم كلهم بالصفة المذكورة (مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) الجنة وهما لمن بعدهم أيضا فى آيات .

(سورة الحجرات)

مدنية ثمان عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا) من قدم بمعنى تقدم أى لاتتقدموا بقول ولا فعل (بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) المبلغ عنه : أى بغير إذنهما ،

(قوله يعجب الزراع) الجملة حالية والمعنى حال كونه معجبا (قوله فكثروا) هو مأخوذ من قوله أخرج شطأه وقوله فآزره مأخوذ من قوله فاستغلظ وقوله على أحسن الوجوه مأخوذ من قوله فاستوى على سوقه يعجب الزراع (قوله ليغيظ بهم الكفار) تعليل لما دل عليه التشبيه كأنه قال إنما قواهم وكثرهم ليغيظ الخ (قوله لبيان الجنس) أى لاللتبعيض كما زعمه بعضهم (قوله لمن بعدهم) أى كالتابعين وأتباعهم إلى يوم القيامة (قوله فى آيات) متعلق بما تعلق به قوله لمن بعدهم ، والمعنى وهما ثابتان لمن بعد الصحابة فى آيات كقوله تعالى ــ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ، إلى قوله : أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ــ .

[خاتمة] قد جمعت هذه الآية وهى قوله محمد رسول الله إلى آخر السورة جميع حروف المعجم وفى ذلك بشارة تلويحية مع مافيها من البشائر التصريحية باجتماع أمرهم وعلوّ نصرهم رضى الله عنهم وحشرنا معهم نحن ووالدينا ومحبينا وجميع المسلمين بمنه وكرمه . وهذا آخر القسم الأول من القرآن وهو المطوّل وقد ختم كما ترى بسورتين هما فى الحقيقة للنبيّ صلى الله عليه وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا، كما ختم القسم الثانى المفصل بسورتين هما نصرة له صلى الله عليه وسلم بالحال من قصده بالضرّ باطنا ومن أجل ذلك اتخذ العارفون هذه الآية وردا وحصنا منيعا .

[سورة الحجرات مدنية] أى بالاجماع وهذه أوائل السور المسماة بالمفصل. واختلف فى تسميته بذلك فقيل لكثرة الفصل فيه بين السور ، وقيل لكون جميعه محكما لانسخ فيه (قوله يأيها الذين آمنوا) ذكر هذه اللفظة فى هذه السورة خمس مرات اعتناء بشأن المؤمنين فى الأوامر والنواهى نظير خطابات لقمان لابنه فى قوله يابنيّ ولئلا يتوهم أن المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا وذكر يا أيها الناس مرة خطابا لما يعمّ المؤمن والكافر لمناسبة ما يترتب عليه من قوله تعالى ــ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وهذه السورة جمعت آدابا ظاهرية وباطنية وأوامر ونواهى ظاهرية و باطنية عامة وخاصة فهى متضمنة لطريقة الصوفية التى من تمسك بها وصل (قوله من قدم بمعنى تقدم) العامة على ضمّ التاء وفتح القاف وتشديد الدال مكسورة وفيها وجهان : أحدهما أنه متعد حذف مفعوله اقتصارا كقولهم هو يعطى ويمنع وكلوا واشربوا والأصل لاتقدموا مالايصلح . والثانى أنه لازم نحو وجه وتوجه ، ويعضده قراءة ابن عباس والضحاك لاتقدموا بالفتح فى الثلاثة والأصل لاتتقدموا فحذفت إحدى التاءين وفى الآية استعارة تمثيلية حيث شبه تجرى الصحابة على الحكم فى أمر من أمور الدين بغير إذن من الله ورسوله بحالة من تقدم بين يدى متبوعه إذا سار فى طريقه من غير إذن فانه فى العادة مستهجن ثم استعمل فى جانب المشبه ما كان مستعملا فى جانب المشبه به من الألفاظ والغرض التنفير من التجرى بغير إذن الله ورسوله ومثله قوله تعالى فى حق الملائكة ــ لايسبقونه بالقول ــ أصله لايسبق قولهم قوله فمدحهم بنفى السبق تنبيها على استهجان السبق أو المراد بين يدى رسول الله ، وذكر لفظ الله تعظيما للرسول و إشعارا بأنه من الله بمكان يوجب إجلاله وعلى هذا فلا استعارة (قوله بقول أو فعل) مثال القول ما ذكره المفسر فى سبب النزول ومثال الفعل ماقيل فى سبب النزول أيضا من أنهم ذبحوا يوم النحر قبل رسول الله فأمرهم أن يعيدوا الذبح ، وقال « من ذبح قبل الصلاة فانما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك فى شئ » وما ورد عن عائشة أنه فى النهى عن صوم يوم الشك : أى لاتصوموا قبل أن يصوم نبيكم. وقال الضحاك هو عام فى القتال وشرائع الدين أى لاتقطعوا أمرا دون الله ورسوله وهو الأولى .

(قوله واتقوا الله) أى فى التقدم الذى نهاكم عنه (قوله على النبى) الأولى أن يقول عند النبى ، فنى الحديث «أنه قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم وطلبوا أن يؤمر عليهم واحدا منهم ، فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافى وقال عمر ما أردت خلافك ، فتماريا أى تخاصما حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت تلك الآيات الخمس إلى قوله غفور رحيم» ومعنى قول عمر ماأردت خلافك : أى ماأردت مخالفتك تعنتا ، وإنما أردت أن تولية الأقرع أصلح بهم ولم يظهر لك ذلك (قوله ونزل فيمن رفع صوته الخ) أى كأبى بكر وعمر فى القصة المذكورة كما أن قوله ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبىّ أى كأبى بكر وعمر حين بلغهما النهى عن رفع الصوت فصارا يخفضان صوتهما عند النبىّ كما أن قوله ، ونزل فى قوم الخ هم بنو تميم الذين تكلم فى شأنهم أبو بكر وعمر فتلخص أنه لما اختلف أبو بكر وعمر فى تأمير الأمير على الوفد المذكور ولم يصبرا حتى يكون رسول الله هو الذى يشير بذلك نزل قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ـ الآية ، ولما رفعا أصواتهما فى تلك القضية نزل قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم ـ الآية ولما خفضا أصواتهما بعد ذلك نزل ـ إن الذين يغضون أصواتهم ـ الآية ولما نادى الركب المذكور النبى صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات نزل ـ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ـ الآيتين (قوله إذا نطقتم) أى تكلمتم وقوله إذا نطق أى تكلم (قوله ولا تجهروا له بالقول) لما كانت هذه الجملة كالمكررة مع ماقبلها مع أن العطف يأباه أشار المفسر إلى أن المراد بالأول إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لاتبلغوا بأصواتكم حدا يبلغه صوته بل يكون كلامكم دون كلامه ، والمراد بالثانى أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فلا ترفعوا أصواتكم كما ترفعونها فيما بينكم (قوله إذا ناجيتموه) أى كلمتموه وهو صامت (قوله بل دون ذلك) راجع لكلّ من النهيين أى بل اجعلوا أصواتكم دون صوته ودون جهر بعضكم لبعض وقوله إجلالا له تعليل لما تضمنه قوله بل دون ذلك (قوله أن تحبط أعمالكم) أى يبطل ثوابها وقوله وأنتم لاتشعرون أى بحبوطها (قوله أى خشية ذلك) أشار به إلى أن تحبط على حذف مضاف أى خشية الحبوط والخشية منهم وقد تنازعه لاترفعوا ولاتجهروا فيكون مفعولا لأجله والعامل فيه الثانى أو الأول (قوله بالرفع والجهر) الباء سببية متعلقة باسم الاشارة لأنه واقع على الحبوط فكأنه قال أى خشية الحبوط بسبب الرفع والجهر لأن فى الرفع والجهر استخفافا بجنابه فيؤدى إلى الكفر المحبط وذلك إذا انضمّ له قصد الاهانة وعدم المبالاة . روى أنه لما نزلت هذه الآية قعد ثابت فى الطريق يبكى ، فمر به عاصم بن عدى فقال مايبكيك ياثابت ؟ قال هذه الآية أتخوّف أن تكون نزلت فىّ وأنا رفيع الصوت على النبىّ صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملى وأن أكون من أهل النار ، فمضى عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبدالله بن أبىّ ابن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرشى فسدّى علىّ الضبة بمسمار فضربته بمسمار ، فأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره ، قال اذهب فادعه لى ، فجاء عاصم إلى المكان الذى رآه فيه فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده فى بيت الفرش ، فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ، فقال اكسر الضبة ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك ياثابت؟ فقال أنا صيت وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت فىّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة ؟ فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لاأرفع صوتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا فأنزل الله ـ إن الذين يغضون أصواتهم ـ الآية . قال أنس فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا ، فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم قال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ماكنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته

(وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لقولكم (عَلِيمٌ) بفعلكم ، نزلت فى مجادلة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما على النبى صلى الله عليه وسلم فى تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد . ونزل فيمن رفع صوته عند النبى صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ) إذا نطقتم (فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) إذا نطق (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ) إذا ناجيتموه (كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) بل دون ذلك إجلالا له (أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) أى خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين .

ونزل

في المنام وأنه قال له اعلم أن فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طيله وقد وضع على درعي برمة فائت خالد بن الوليد ، فأخبره حتى يسترد درعي وائت أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له إن علي دينا حتى يقضي عني وفلان من رقيقي عتيق ، فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته . قال مالك بن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه (قوله فيمن كان يخفض صوته) أي مخافة من مخالفة النهي السابق و إجلالا وتعظيما (قوله كأبي بكر وعمر الخ) أي فكان الجميع يخفضون أصواتهم عند رسول الله إجلالا له وتعظيما (قوله أولئك الذين الخ) اسم الاشارة مبتدأ والموصول بعده خبر والجملة خبر إن وجملة لهم مغفرة وأجر عظيم مستأنفة لبيان ما أعد لهم (قوله امتحن الله قلوبهم) الامتحان افتعال من محنت الأديم محنا أوسعته ومعنى امتحن الله قلوبهم للتقوى وسعها (قوله أي لتظهر منهم) أي فإنها لا تظهر إلا بالاصطبار على أنواع المحن والتكاليف الشاقة فالاختبار سبب لظهور التقوى لا سبب للتقوى نفسها فهو من إطلاق السبب على المسبب أي فالاختبار يظهر ما كان كامنا في النفس من التقوى كما أن سماع الألحان يظهر ما كان كامنا في النفس من الحب فتدبر (قوله ونزل في قوم) أي وهم وفد بني تميم (قوله من وراء الحجرات) أي من خارجها خلفها أو قدامها لأن وراء من الأضداد تكون بمعنى خلف وبمعنى قدام . قال مجاهد وغيره نزلت في أعراب بني تميم قدم وفد منهم على النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا المسجد ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات أن اخرج إلينا فإن مدحنا زين وذمنا شين وكانوا سبعين رجلا قدموا لفداء ذراري لهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائما للقائلة وسئل صلى الله عليه وسلم فقال هم جفاة بني تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالا للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم ، وقيل كانوا جاءوا شفعاء في أسارى بني عنبر فأعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادى نصفهم ولو صبروا لأعتق جميعهم بغير فداء (قوله وهي ما يحجر عليه) أي يحوط عليه للمنع من الدخول (قوله كأن كل واحد منهم الخ) أتى بصيغة لا جزم فيها لأن المقام مقام احتمال وذلك لأن مناداتهم يحتمل أن تكون كما قال المفسر أو الكل وقفوا على كل حجرة ونادوه منها (قوله مناداة الأعراب) معمول لينادونك (قوله أكثرهم لا يعقلون) المراد بالأكثر الكل لأن العرب قد تعبر بالأكثر وتريد الكل (قوله محلك الرفيع) معمول ليعقلون وفي نسخة بمحلك فيكون معمولا لفعلوه فالمحل على الأول والمكانة والرتبة على الثاني الدار المحسوسة ومعنى الرفيع على الأول العلي القدر وعلى الثاني المحفوظ من إساءة الأدب لحلولك فيه فإن الظرف يعظم بالمظروف ، قال الشاعر :

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

(قوله أنهم في محل رفع بالابتداء) هو قول سيبويه ولا يحتاج إلى خبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند إليه وقيل الخبر محذوف وجوبا لوقوعه بعد لو (قوله أي ثبت) بيان للفعل المقدر والمعنى ثبت صبرهم وانتظارهم وهذا قول المبرد والزجاج والكوفيين ورجح بأن فيه إبقاء لها على الاختصاص بالفعل (قوله لكان خيرا لهم) أي لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب . قال العارفون الأدب عند الأكابر يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى وسعادة الدنيا والآخرة (قوله ونزل في الوليد بن عقبة) بن أبي معيط أخي عثمان بن عفان لأمه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ) اختبر (اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) أي لتظهر منهم (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) الجنة . ونزل في قوم جاءوا وقت الظهيرة والنبي صلى الله عليه وسلم في منزله فنادوه (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ) حجرات نسائه صلى الله عليه وسلم جمع حجرة ، وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه كأن كل واحد منهم نادى خلف حجرة لأنهم لم يعلموه في أي حجرة ، مناداة الأعراب بغلظة وجفاء (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) فيما فعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا) أنهم في محل رفع بالابتداء وقيل فاعل بفعل مقدر أي ثبت (حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لمن تاب منهم . ونزل في الوليد بن عقبة وقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق ،

بعثه إلى بنى المصطلق بعد الوقعة معهم واليا يجبى الزكاة وكان بينه و بينهم عداوة فى الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لأمر رسول الله فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمّ أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه ، فأتوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا يارسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدّى إليه ماقبلنا من حقّ الله فبدا له فى الرجوع فخشينا أنه إنما ردّه من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا و إنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله و بعث خالد بن الوليد فى عسكره خفية و أمره أن يخفى عليهم قدومه ، وقال انظر فان رأيت منهم مايدلّ على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم و إن لم تر ذلك فافعل فيهم ماتفعل فى الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم عند الغروب فسمع منهم أذان صلاة المغرب والعشاء ووجدهم مجتهدين فى امتثال أمر الله فأخذ منهم صدقات أموالهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير وانصرف إلى رسول الله وأخبره الخبر فنزلت الآية » واستشكل بأن الوليد صحابى جليل ولايليق إطلاق لفظ الفاسق عليه فان المراد به الكافر ، قال تعالى ـ ففسق عن أمر ربه ، وأما الذين فسقوا فمأواهم النار ـ إلى غير ذلك . وأجيب بأن الذى وقع من الوليد توهم وظنّ فترتب عليه الخطأ و إنما سماه الله فسقا تنفيرا عن هذا الفعل وزجرا عليه . ويؤخذ من الآية حرمة النميمة وتعليم كيفية ردّها على صاحبها (قوله مصدّقا) بتخفيف الصاد : أى يأخذ الصدقات (قوله لترة) بكسر التاء وفتح الراء : أى عداوة (قوله إن جاءكم فاسق) المقصود من الآية : أى تمام فان النمام فاسق وليس المقصود عين الوليد فانه ليس بفاسق بل هو صحابى جليل وإن كان سبب النزول واقعته

مصدّقا فخافهم لترة كانت بينه و بينهم فى الجاهلية فرجع وقال إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله فهمّ النبى صلى الله عليه وسلم بغزوهم فجاءوا منكرين ما قاله عنهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ) خبر (فَتَبَيَّنُوا) صدقه من كذبه وفى قراءة فتثبتوا من الثبات (أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا) مفعول له ، أى خشية ذلك (بِجَهَالَةٍ) حال من الفاعل أى جاهلين (فَتُصْبِحُوا) تصيروا (عَلَى مَا فَعَلْتُمْ) من الخطإ بالقوم (نَادِمِينَ) وأرسل صلى الله عليه وسلم إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالداً فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير فأخبر النبى بذلك (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) فلا تقولوا الباطل فإن الله يخبره بالحال (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ) الذى تخبرون به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه (لَعَنِتُّمْ) لأثمتم دونه إثم التسبب إلى المرتب (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ) حسنه (فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ) استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لأن من حبب إليه الإيمان الخ غايرت صفته صفة من تقدم ذكره (أُولَئِكَ هُمُ) فيه التفات عن الخطاب (الرَّاشِدُونَ) الثابتون على دينهم (فَضْلًا مِنَ اللَّهِ) مصدر منصوب بفعله المقدر أى أفضل

(قوله أن تصيبوا قوما) أى بالقتل والسبى (قوله نادمين) أى مغتمين لما وقع منكم (قوله واعلموا أن فيكم رسول الله) أى أفلا تكذبوا عليه فان الله يعلمه ببواطنكم فتفتضحوا (قوله لو يطيعكم الخ) حال من الضمير المجرور فى فيكم ، والمعنى أنه فيكم كائنا على حالة منكم يجب تغييرها وهى أنكم تودّون أن يتبعكم فى كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم فى الجهل والهلاك لكن عصمه الله رحمة بكم (قوله لأثمتم دونه) أى فلا يأثم لعذره ، وقوله إثم التسبب : أى لا إثم الفعل لأنكم لم تفعلوا ، وقوله إلى المرتب : أى الذى يرتبه النبى صلى الله عليه وسلم على إخباركم و يفعله كقتال بنى المصطلق (قوله حبب إليكم الإيمان) أى الكامل وهو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالأركان و إذا حبب إليهم الايمان الجامع للخصال الثلاث لزم كراهتهم لأضدادها فلذلك قال وكره إليكم الكفر الذى هو مقابلة التصديق بالجنان والفسوق الذى هو مقابلة الاقرار باللسان والعصيان الذى هو مقابلة العمل بالأركان (قوله استدراك من حيث المعنى الخ) أشار بذلك لدفع ماقيل إن لكن يشترط أن يكون مابعدها مخالفا لماقبلها نفيا و إثباتا ، وتوضيح الجواب أن الذين حبب إليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فان ماقبل لكن يوهم أنهم على غير استقامة مع الله ومع رسوله فهو استدراك بحسب المعنى (قوله مصدر منصوب الخ) فيه مسامحة إذ هو اسم مصدر والمصدر إفضال و يصح أن يكون مفعولا لأجله عامله حبب وما بينهما اعتراض ، وفى هذه الآية تنبيه على أن

(ونعمة)

السعادة العظمى محبة الله ورسوله وكراهة أهل الكفر والفسوق (قوله هي أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا الخ) ذكر القصة مختصرة ورواها الشيخان بطولها ، وحاصلها أنه روى عن أسامة بن زيد أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه إكاف تحته قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال : فسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى مرّ على مجلس فيه عبدالله بن أبيّ ابن سلول ، وذلك قبل أن يسلم عبدالله بن أبيّ و إذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله ابن أبيّ أنفه بردائه ثم قال لاتغبروا علينا ، فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبيّ ابن سلول : أيها المرء إنه لاأحسن مما تقول : أي لاشيء أحسن منه إن كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال عبدالله بن رواحة بلى يارسول الله فأغشنا به في مجالسنا فانا نحب ذلك فمالبث المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتحاربون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا اه (قوله ومرّ على ابن أبيّ) أي وكان من الخزرج ، وقوله فقال ابن رواحة : أي وكان من الأوس (قوله وسدّ ابن أبيّ أنفه) أي وقال إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك (قوله فكان بين قوميهما) أي وهما الأوس والخزرج (قوله والسعف) أي وهو جريد النخل إذا كان عليه الخوص فان جرّد منه قيل له عسيب (قوله وقرئ) أي شذوذا

(وَنِعْمَةً) منه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بهم (حَكِيمٌ) في إنعامه عليهم (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الآية نزلت في قضية « هي أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حماراً ومرّ على ابن أبيّ فبال الحمار فسدّ ابن أبيّ أنفه فقال ابن رواحة والله لبول حماره أطيب ريحا من مسكك فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسعف » (اقْتَتَلُوا) جمع نظراً إلى المعنى لأن كل طائفة جماعة وقرئ اقتتلتا (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) ثنى نظراً إلى اللفظ (فَإِنْ بَغَتْ) تعدت (إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ) ترجع (إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) الحق (فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ) بالإنصاف (وَأَقْسِطُوا) اعدلوا (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) في الدين (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) إذا تنازعا وقرئ إخوتكم بالفوقانية (وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ) الآية نزلت في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب ، والسخرية الازدراء والاحتقار (قَوْمٌ) أي رجال منكم (مِنْ قَوْمٍ

(قوله فان بغت إحداهما) أي أبت النصيحة والإجابة إلى حكم الله (قوله حتى تفئ) حتى هنا للغاية والنصب بأن مضمرة بعدها : أي إلى أن ترجع الخ (قوله فأصلحوا بينهما بالعدل) أي بالنصح والدعاء إلى حكم الله (قوله بالانصاف) أي فلاتجوروا على إحدى الطائفتين بل احكموا بينهما بالانصاف (قوله اعدلوا) أشار به إلى أن أقسط معناه عدل فهمزته للسلب بخلاف قسط فمعناه جار. قال تعالى - وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا - (قوله إنما المؤمنون إخوة) كالتعليل لما قبله (قوله إخوة في الدين) أي من حيث إنهم ينتسبون إلى أصل واحد وهو الايمان (قوله فأصلحوا بين أخويكم) خص الاثنين بالذكر لأنهما أقل من يقع بينهما النزاع فاذا لزمت الصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر أولى (قوله وقرئ) أي شذوذا وهذه القراءة تدلّ على أن قراءة التثنية معناها الجماعة (قوله لعلكم ترحمون) أي على تقواكم وفي هذا الترجي إطماع من الكريم الرحيم (قوله لايسخر قوم الخ) يقال سخر منه سخرا من باب تعب والاسم السخرية بضم السين وكسرها والسخرة بوزن غرفة ماسخرته من خادم أودابة بلاأجر ولا ثمن (قوله حين سخروا من فقراء المسلمين) أي لما رأوا من رثاثة حالهم وتقشفهم وهذا كان في أول إسلامهم قبل تمكنهم منه و إلافقد صاروا بعد ذلك إخوانا متحابين في الله (قوله كعمار الخ) أي وهم أهل الصفة الذين قال الله فيهم - للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله - الآية (قوله أي رجال منكم) أشار بذلك إلى أن القوم اسم جمع بمعنى الرجال خاصة واحده في المعنى رجل ، وقيل جمع لاواحد له من لفظه يدل على تخصيصه بالرجال مقابلته بقوله - ولانساء من نساء - وهذا هو الموافق لأصل اللغة . قال الشاعر :

وما أدري ولست إخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء

وأما قوله تعالى - كذبت قبلهم قوم نوح - ونحوه فالمراد مايشمل النساء لكن بطريق التبع لأن قوم كل نبي رجال ونساء ، وسمي الرجال قوما لأنهم قوامون على النساء (قوله منكم) قيد به قوم المرفوع وتركه

في المجرور ويصح تعليقه بكل ويقال نظيره في قوله : ولا نساء الخ (قوله عسى أن يكونوا خيرا منهم) الجملة مستأنفة لبيان العلة الموجبة للنهي ولا خبر لعسى لأنه يغني عنه فاعلها ، والمعنى لايحتقر أحد أحدا فلعل من يحتقر يكون عند الله أعلى وأجل ممن احتقره ، وبالجملة فينبغي للانسان أن لايسخر بأخيه في الدين بل ولا بأحد من خلق الله فلعله يكون أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن سخر به ولقد بلغ بالسلف الصالح هذا الأمر حتى قال بعضهم لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل ماصنع وقال عبد الله بن مسعود : البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت أن أحوّل كلبا (قوله ولا نساء من نساء) قال أنس : «نزلت في صفية بنت حيي بلغها أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي ، فقال مايبكيك؟ قالت : قالت لي حفصة إني بنت يهودي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنك لابنة نبي وعمك نبي وإنك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ؟ ثم قال اتقي الله ياحفصة» وذكر النساء لمزيد الإيضاح والتبيين ولدفع توهم أن هذا النهي خاص بالرجال (قوله ولاتلمزوا أنفسكم) اللمز في الأصل الإشارة بالعين ونحوها (قوله لاتعيبوا فتعابوا) أشار بذلك إلى توجيه قوله أنفسكم وذلك لأن الانسان إذا عاب غيره عابه ذلك الغير فقد عاب الشخص نفسه بتسببه (قوله أي لايعب بعضكم بعضا) هذا توجيه آخر فكان الأولى للمفسر أن يأتي بأو ، والمعنى أن المؤمنين كشخص واحد فمن عاب غيره كأنه عاب نفسه ، ومن هذا المعنى قول العارف :

إذا شئت أن تحيا سعيدا من الردى ... وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ ... فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معايبا ... فدعها وقل ياعين للناس أعين
فعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... وفارق ولكن بالتي هي أحسن

عسى أن يكونوا خيرا منهم) عند الله (ولا نساء) منكم (من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم) لاتعيبوا فتعابوا : أي لايعب بعضكم بعضاً (ولا تنابزوا بالألقاب) لايدعو بعضكم بعضاً بلقب يكرهه ومنه يافاسق يا كافر (بئس الاسم) أي المذكور من السخرية واللمز والتنابز (الفسوق بعد الإيمان) بدل من الاسم لإفادة أنه فسق لتكرره عادة (ومن لم يتب) من ذلك (فأولئك هم الظالمون . ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) أي مؤثم ،

(قوله ولاتنابزوا بالألقاب) النبز بفتح الباء اللقب مطلقا حسنا أو قبيحا ثم صار مخصوصا بما يكرهه الشخص وسبب نزول هذه الآية كما قال جبيرة بن الضحاك الأنصاري : قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا له اسمان أوثلاثة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول يافلان فيقولون مه يارسول الله إنه يغضب من هذا الاسم فأنزل الله هذه الآية ، ومن ذلك الشتم كقولك لأخيك ياكلب ياحمار ونحو ذلك والمراد بهذه الألقاب مايكرهه المخاطب ، وأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلابأس بها إذا لم يكرهه المدعو بها ، وأما الألقاب التي تشعر بالمدح فلاتكره كما قيل لأبي بكر عتيق ولعمر فاروق ولعثمان ذوالنورين ولعلي أبوتراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك (قوله بئس الاسم) بئس فعل ماض والاسم فاعل ، وقوله الفسوق بدل من الاسم كما قال المفسر وعليه فالمخصوص بالذم محذوف تقديره هو والأوضح إعرابه مخصوصا بالذم والمراد بالاسم الذكر المرتفع (قوله الفسوق بعد الإيمان) أي الاتصاف بالفسق بعد الاتصاف بالإيمان والمراد بالفسوق الخروج عن الطاعة (قوله لافادة أنه) أي ماذكر من السخرية الخ (قوله لتكرره عادة) أي أنه وإن كان المذكور صغيرة لايفسق بها لكنه في العادة يتكرر فيصير كبيرة يفسق بها (قوله فأولئك هم الظالمون) أي الضارون لأنفسهم بمعاصيهم ومخالفاتهم ، ففي هذه الآيات وصف المؤمنين بالفسق والظلم وإن كان في غالب الآيات إطلاق الفسق والظلم على أهل الكفر (قوله ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما إلى المنزل فيهيء لهما مايصلحهما من الطعام والشراب ، فضم سلمان إلى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيء لهما شيئا ، فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا ؟ قال لا غلبتني عيناي ، قالا له انطلق إلى رسول الله فاطلب لنا منه طعاما ، فجاء سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله طعاما ، فقال رسول الله : انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له إن كان عنده فضل طعام وإدام فليعطك ، وكان أسامة خازن طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه

وعلى رحله فأتاه فقال ماعندى شئ فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن بخل فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لو بعثناك إلى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ماأمر لهما به رسول الله فلما جاآ إلى رسول الله قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما قالا والله يارسول الله ماتناولنا يومنا هذا لحما قال ظلتما تأكل لحم سلمان وأسامة فنزلت الآية ، والمعنى أن الله تعالى نهى المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شرا كأن يسمع من أخيه المسلم كلاما لايريد به سوءا أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءا لأن بعض الفعل قد يكون فى الصورة قبيحا وفى نفس الأمر لايكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا ويكون الرائى مخطئا ، فأما أهل السوء والفسق المتجاهرون بذلك فلنا أن نظن فيهم مثل الذى يظهر منهم (قوله كثيرا من الظن) أبهم الكثير إشارة إلى أنه ينبغى الاحتياط والتأمل فى كل ظن خوف أن يقع فى منهى عنه . قال سفيان الثورى : الظن ظنان أحدهما إثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن يظن ولايتكلم به (قوله وهو) أى بعض الظن كثير وقوله وهم أى أهل الخير (قوله بخلافه بالفساق منهم) أى المؤمنين وقوله فى نحو مايظهر منهم فى أى نحو المعاصى التى تظهر منهم بأن يتجاهروا بها (قوله ولا تجسسوا) العامة على قراءته بالجيم وقرئ شذوذا بالحاء ، واختلف فقيل معناهما واحد ، وقيل التجسس بالجيم البحث عما يكتم عنك والتحسس بالحاء طلب الأخبار والبحث عنها ، والمعنى خذوا ماظهر ولاتتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته (قوله ولايغتب بعضكم بعضا) ١٠٧ اعلم أن الغيبة ثلاثة أوجه فى كتاب

وهو كثير كظنّ السوء بأهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلافه بالفساق منهم فلا إثم فيه فى نحو ما يظهر منهم (وَلَا تَجَسَّسُوا) حذف منه إحدى التاءين : لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها (وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) لا يذكره بشىء يكرهه وإن كان فيه (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) بالتخفيف والتشديد أى لا يحسن به ؟ لا (فَكَرِهْتُمُوهُ) أى فاغتيابه فى حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثانى فكرهتموه فاكرهوا الأول (وَاتَّقُوا اللَّهَ) أى عقابه فى الاغتياب بأن تتوبوا منه (إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ) قابل توبة التائبين (رَحِيمٌ) بهم ،

الله تعالى : الغيبة والإفك والبهتان ، فأما الغيبة فهى أن تقول فى أخيك ماهو فيه ، وأما الافك فهوأن تقول فيه مابلغك عنه ، وأما البهتان فهو أن تقول فيه ماليس فيه ، وقيل إن كلا يطلق على كل وهو المشهور . واعلم أن هذه الأمور المتقدم ذكرها كبائر تحتاج لتوبة وهل تفتقر لاستحلال المغتاب ونحوه أولا ؟ فقال جماعة ليس عليه استحلال بل يكفيه التوبة بينه وبين الله لأن المظلمة ماتكون فى النفس والمال ولم يأخذ من ماله ولا أصاب من بدنه ماينقصه ، وقال جماعة يجب عليه أن يستغفر لصاحبها لما ورد عن الحسن رضى الله عنه : كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته ، وقال جماعة عليه الاستحلال منها ولو إجمالا ، ويستثنى من الغيبة المحرّمة سبعة أمور نظمها بعضهم بقوله :

تظلم واستغث واستفت حذر وعرف بدعة فسق المجاهر

(قوله أيحب أحدكم الخ) تمثيل لما يناله المغتاب من عرض من اغتابه على أقبح وجه وإنما مثله بهذا لأن أكل لحم الميت حرام فى الدين وقبيح فى النفوس (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لايحسن به) تفسير لميتا وقوله لا أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله فكرهتموه) الضمير عائد على الأكل المفهوم من يأكل (قوله أى فاغتيابه فى حياته الخ) فى هذا التمثيل إشارة إلى أن عرض الانسان كلحمه ودمه لأن الانسان يتألم قلبه من قرض عرضه كما يتألم جسمه من قطع لحمه ، فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الانسان لم يحسن منه قرض عرضه بالأولى (قوله قابل توبة التائبين) يشير به إلى أن المبالغة فى تواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده لأنه مامن ذنب إلا ويعفو الله عنه بالتوبة إذا استوفت شروطها . واعلم أنه تعالى ختم الآيتين بذكر التوبة فقال : ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ، وقال هنا : إن الله تواب رحيم ، لكن لما كان الابتداء فى الآية الأولى بالنهى فى قوله ـ لايسخر قوم من قوم ـ ذكر النفى الذى هو قريب من النهى وفى الثانية كان الابتداء بالأمر فى قوله ـ اجتنبوا كثيرا من الظن ـ ذكر الاثبات الذى هو قريب من الأمر تأمل .

(قوله يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) اختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس : لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن أسيد بن أبى القيض الحمد لله الذى قبض أبى حتى لايرى هذا اليوم ، وقال الحرث بن هشام ماوجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا ، وقال سهل بن عمرو إن يرد الله شيئا يغيره ، وقال أبوسفيان أنا لاأقول شيئا أخاف أن يخبره به رب السموات ، فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا ، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية زجرا لهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء وأن المدار على التقوى لأن الجميع من آدم وحواء وإنما الفضل بالتقوى ، وقيل نزلت فى أبى هند حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بياضة أن يزوجوه امرأة منهم فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بناتنا موالينا ، وقيل نزلت فى قيس بن ثابت حين قال له رجل افسح لى فقال إن ابن فلانة يقول افسح لى كناية عن استخفافه به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت أنا يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر فى وجوه القوم فنظر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم مارأيت ؟ قال ثابت رأيت أبيض وأسود وأحمر فقال إنك لاتفضلهم إلا بالتقوى ، ونزل فيه أيضا قوله تعالى : يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس الآية (قوله آدم وحواء) لف ونشر مرتب (قوله هو أعلى طبقات النسب) أى فالشعوب رءوس القبائل ، وسمى شعبا لتشعب القبائل منه (قوله ثم الفصائل آخرها) أى فالمراتب ست وزاد بعضهم سابعة وهى العشيرة وكل واحدة تدخل فيما قبلها فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل والبطون تحت العمائر والأفخاذ تحت البطون والفصائل تحت الأفخاذ والعشائر تحت الفصائل (قوله بكسر العين) أى وفتحها ففيها لغتان لكن الأفصح الفتح (قوله ليعرف بعضكم بعضا) أى فتصلوا أرحامكم وتنتسبوا لآبائكم (قوله وإنما الفخر بالتقوى) أى الافتخار المحمود إنما يكون إلى على أهل الكفر بترك الشرك والتمسك بالإسلام وشعائره (قوله إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أى أعزكم عند الله تعالى أكثركم تقوى ، فهى سبب رفعة القدر فى الدنيا والآخرة ، وانظروا إلى قوله ــ أتقاكم ــ ولم يقل أكثركم مالا ولاجاها ولا أحسنكم صورة ولا غير ذلك من الأمور التى تفنى (قوله إن الله عليم) أى يعلم ظواهركم خبير يعلم بواطنكم فلا يخفى عليه شىء (قوله نفر من بنى أسد) أشار بذلك إلى سبب نزول هذه الآية ، وذلك أنهم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة مجدبة فأظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين فى السر وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها ، وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها ونحن جئناك بالأطفال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنوفلان وبنوفلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فنزلت هذه الآية (قوله صدقنا بقلوبنا) جواب عما يقال إن الاسلام والايمان متلازمان . فأجاب بأن المنفى هنا الايمان بالقلب والمثبت الانقياد ظاهرا فهما متغايران بهذا الاعتبار ، وأما الاسلام والايمان الشرعيان المعتبران فهما متحدان ماصدقا وإن كان مفهومهما مختلفا إذ الايمان هو التصديق القلبى بشرط النطق بالشهادتين والاسلام الانقياد الظاهرى الناشئ عن التصديق القلبى (قوله قل لم تؤمنوا) أى فلاتقولوا آمنا وقوله ــ ولكن قولوا أسلمنا ــ أى حصل منكم الاسلام ظاهرا ففى الآية احتباك حذف من كل نظير ماأثبت فى الآخر .

(يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) آدم وحواء (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا) جمع شعب بفتح الشين هو أعلى طبقات النسب (وَقَبَائِلَ) هى دون الشعوب وبعدها العمائر ثم البطون ثم الأفخاذ ثم الفصائل آخرها ، مثاله خزيمة شعب كنانة قبيلة قريش عمارة بكسر العين قصى بطن هاشم فخذ العباس فصيلة (لِتَعَارَفُوا) حذف منه إحدى التاءين ليعرف بعضكم بعضا لالتفاخروا بعلو النسب وإنما الفخر بالتقوى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بكم (خَبِيرٌ) ببواطنكم (قَالَتِ الْأَعْرَابُ) نفر من بنى أسد (آمَنَّا) صدقنا بقلوبنا (قُلْ) لهم (لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) أى انقدنا ظاهرا (وَلَمَّا) أى لم (يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) ،

(قوله إلى الآن) أخذه من لما لأن نفيها مختص بالحال وقوله لكنه يتوقع منكم أشار إلى أن منفى لما متوقع الحصول ففيه بشارة لهم بأنهم سيؤمنون وقد حصل وبهذا اندفع ماقد يتوهم من أن هذه الجملة مكررة مع قوله لم تؤمنوا وإيضاح الجواب أن هذه الجملة أفادت معنى زائدا وهو نفى الايمان مع توقع حصوله بخلاف الأولى فانها أفادت نفيه فقط (قوله بالهمز) أى من ألت من باب ضرب ونصر (قوله وتركه) أى من لات يليت كباع يبيع فحذفت منه عين الكلمة وهى الياء وقيل هو من ولت يلت كوعد يعد فحذفت منه فاء الكلمة وهى الواو (قوله وبابداله ألفا) أى فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله إنما المؤمنون) مبتدأ خبره قوله الذين آمنوا (قوله ثم لم يرتابوا) أتى بثم إشارة إلى أن نفى الريب لم يكن وقت حصول الايمان بل هو حاصل فيما يستقبل فكأنه قال ثم داموا على ذلك (قوله فى سبيل الله) أى طاعته (قوله فجهادهم يظهر صدق إيمانهم) أى أن الجهاد فى سبيل الله دل على أنهم صادقون فى الايمان وليسوا منافقين وهو

جواب عن سؤال وهو أن العمل ليس من الايمان فكيف ذكر أنه منه فى هذه الآية وإيضاح الجواب عنه أن المراد من الآية الايمان الكامل (قوله أولئك هم الصادقون) فيه تعريض بكذب الأعراب فى ادعائهم الايمان فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله يحلفون أنهم مؤمنون صادقون وعلم الله منهم غير ذلك فأنزل الله قل أتعلمون الله الخ (قوله مضعف علم بمعنى شعر) أى وهو بهذا المعنى متعد لواحد فقط وبواسطة التضعيف يتعدى لاثنين أولهما بنفسه والثانى بحرف الجر (قوله والله يعلم مافى السموات الخ) الجملة حالية (قوله يمنون عليك أن أسلموا) أى يعدون إسلامهم منة عليك (قوله من غير قتال) أى لك ولأصحابك (قوله ويقدر) أى الخافض الذى هو الباء. والحاصل أنه مقدر فى ثلاثة مواضع الأول منها قوله أن أسلموا الثانى قوله قل لاتمنوا على إسلامكم الثالث قوله أن هداكم فموضعان فيهما أن وموضع خال عنها (قوله أن هداكم للايمان) أى على حسب زعمكم كأنه قال إن إيمانكم على فرض حصوله منة من الله عليكم (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه (قوله أن الله يعلم غيب السموات والأرض) أى فلايخفى عليه شئ فيهما (قوله بالياء) أى نظرا لقوله يمنون وما بعده وقوله والتاء أى نظرا لقوله لاتمنوا وهما قراءتان سبعيتان.

إلى الآن لكنه يتوقع منكم (وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) بالإيمان وغيره (لَا يَلِتْكُمْ) بالهمز وتركه وبإبداله ألفا لاينقصكم (مِنْ أَعْمَالِكُمْ) أى من ثوابها (شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) للمؤمنين (رَحِيمٌ) بهم (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) أى الصادقون فى إيمانهم كما صرح به بعد (الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) لم يشكوا فى الإيمان (وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فجهادهم يظهر صدق إيمانهم (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) فى إيمانهم لامن قالوا آمنا ولم يوجد منهم غير الإسلام (قُلْ) لهم (أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ) مضعف علم بمعنى شعر: أى تشعرونه بما أنتم عليه فى قولكم آمنا (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم (قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ) منصوب بنزع الخافض الباء ويقدر قبل أن فى الموضعين (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى قولكم آمنا (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى ماغاب فيهما (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالياء والتاء لايخفى عليه شىء منه.

(سورة ق)

مكية إلا «ولقد خلقنا السموات والأرض» الآية فمدنية خمس وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ق) الله أعلم بمراده به (وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ):

[سورة ق مكية] أى كلها على أحد القولين وقوله إلا ولقد خلقنا على القول الآخر فكان المناسب للمفسر أن يقول أو إلا ولقد خلقنا ليكون مشيرا للقولين (قوله ق) العامة على قراءته بالسكون وقرئ شذوذا بالبناء على الكسر والفتح والضم (قوله الله أعلم بمراده به)

تقدم غير مرة أن هـذا القول أصح وأسلم ، وقيل هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء اخضرت السماء منه وعليه طرفا السماء والسماء عليه مقبية وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل وقال وهب أشرف ذو القرنين على جبل قٓ فرأى تحته جبالا صغارا فقال له ما أنت قال أنا قٓ قال فما هذه الجبال حولك قال هي عروقي وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروقي فإذا أراد الله أن يزلزل مدينـة أمرني فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك الأرض فقال له ياقٓ أخبرني بشيء من عظمة الله قال إن شأن ربنا لعظيم وإن ورائي أرضا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة من جبال ثلج بعضها يحطم بعضا لولا هي لاحترقت من حر جهنم ثم قال زدني قال إن جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله ترعد فرائصه يخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهؤلاء الملائكة واقفون بين يدي الله منكسون رءوسهم فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا لا إله إلا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا وقيل معنى قٓ قضى الأمر كما قيل في حمٓ حم الأمر وقيل هو اسم من أسمائه تعالى أقسم به ، وقيل هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو افتتاح كل اسم من أسمائه تعالى في أوله قٓ كقادر وقهار وقوى ولعظم فضل

تلك السورة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الأضحى والفطر بها وباقتربت الساعة وكان يقرؤها على المنبر يوم الجمعة إذا خطب للناس (قوله الكريم) أي فكل من طلب منه مقصوده وجده فيه (قوله ما آمن كفار مكة الخ) قدره إشارة إلى أن جواب القسم محـــذوف وهو أسهل الأعاريب (قوله بل عجبوا) إضراب عن جواب القسم المحذوف لبيان أحوالهم الشنيعة والعجب استعظام أمر خفي سببه وهـذا بالنسبة لعقولهم القاصرة

الكريم ما آمن كفار مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث (فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا) الإنذار (شَيْءٌ عَجِيبٌ . أَئِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا) نرجع (ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) في غاية البعد (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ) تأكل (مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) هو اللوح المحفوظ فيه جميع الأشياء المقدرة (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ) بالقرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ) في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن (فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ) مضطرب ، قالوا مرة : ساحر وسحر ، ومرة : شاعر وشعر ، ومرة : كاهن وكهانة (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا) بعيونهم معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث (إِلَى السَّمَاءِ) كائنة (فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا) بلا عمد (وَزَيَّنَّاهَا) بالكواكب (وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) شقوق تعيبها (وَالْأَرْضَ) معطوف على موضع إلى السماء كيف (مَدَدْنَاهَا) دحوناها على وجه الماء (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا تثبتها (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ) صنف (بَهِيجٍ) :

حيث قالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (قوله فقال الكافرون) حكاية لبعض تعجبهم وأقاويلهم الباطلة (قوله هذا شيء عجيب) أي يتعجب منه لأنه خارج عن طور عقولنا (قوله أئذا متنا) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله نرجع (قوله وإدخال ألف بينهما) أي وتركه فالقراءات أربع سبعيات لااثنتان كما توهمه عبارته (قوله بعيد) أي عن العادة (قوله قد علمنا ماتنقص الأرض منهم) رد لاستبعادهم وتعجبهم (قوله وعندنا كتاب حفيظ) الجملة حالية والكلام على تشبيه علمه بتفاصيل الأشياء بعلم من عنده كتاب حاو محفوظ يطلع عليه (قوله هو اللوح المحفوظ) أي وهو من درة بيضاء مستقرة على الهواء فوق السماء السابعة طوله مابين السماء والأرض وعرضه مابين المشرق والمغرب (قوله فيـه جميع الأشياء) يحتمل أن الجار والمجرور متعلق بالمحفوظ وجميع نائب فاعل به ويحتمل أنه خبر مقدم وجميع مبتدأ مؤخر (قوله بل كذبوا بالحق) انتقال من شناعتهم إلى ماهو أشنع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الظاهرة (قوله مريج مضطرب) أي مختلط يقال مرج الأمر ومرج الدين اختلط (قوله أفلم ينظروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أغفلوا وعموا فلم ينظروا إلى السماء الخ (قوله كائنة فوقهم) أشار به إلى أن فوقهم حال من السماء (قوله كيف بنيناها) كيف مفعول مقدم وجملة بنيناها بدل من السماء (قوله ومالها من فروج) الجملة حالية (قوله معطوف على موضع إلى السماء) أي المنصوب بينظروا

(قوله يبهج به) أى يسر وفيه إشارة إلى أن فعيل بمعنى فاعل أى يحصل السرور به (قوله مفعول له) أى لأجله ويصح أن يكونا منصوبين على المصدرية والتقدير بصرناهم تبصرة وذكرناهم تذكرة (قوله تبصيرا منا) أى تعليما وتفهيما والتبصرة والتذكرة إما عائدان على كل من السماء والأرض. والمعنى خلقنا السموات تبصرة وذكرى والأرض تبصرة وذكرى ويحتمل أنه لف ونشر مرتب فالسماء تبصرة والأرض تذكرة والفرق بينهما أن التبصرة تكون فيما آياته مستمرة والتذكرة فيما آياته متجددة (قوله رجاع إلى طاعتنا) أى ذى رجوع وإقبال عليها فالصيغة للنسبة لا للمبالغة (قوله وحب الحصيد) قدر المفسر الزرع إشارة إلى أنه حذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه (قوله المحصود) أى الذى شأنه أن يحصد كالبر والشعير وفيه مجاز الأول أى الزرع الذى يئول إلى كونه محصودا (قوله والنخل باسقات) يقال بسقت النخلة بسوقا من باب قعد طالت فهى باسقة والجمع باسقات وبواسق وبسق الرجل بهر فى علمه (قوله حال مقدرة) أى لأنها وقت الانبات لم تكن طوالا وأفردها بالذكر لكثرة منافعها وزيادة ارتفاعها (قوله لها طلع نضيد) الجملة حال من النخل مترادفة أو من الضمير فى باسقات (قوله رزقا للعباد) منصوب على الحال ولم يقيد العباد هنا بالانابة وقيد به فى قوله تبصرة وذكرى لأن التذكرة لاتكون إلا لمنيب والرزق يعم كل أحد (قوله وأحيينا به) أى بذلك الماء وقوله بلدة ميتا أى أرضا جدبة يابسة فاهتزت وربت بذلك

يبهج به لحسنه (تَبْصِرَةً) مفعول له، أى فعلنا ذلك تبصيرا منا (وَذِكْرَى) تذكيرا (لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) رجاع إلى طاعتنا (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا) كثير البركة (فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ) بساتين (وَحَبَّ) الزرع (الْحَصِيدِ) المحصود (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) طوال حال مقدرة (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) متراكب بعضه فوق بعض (رِزْقًا لِلْعِبَادِ) مفعول له (وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا) يستوى فيه المذكر والمؤنث (كَذَلِكَ) أى مثل هذا الإحياء (الْخُرُوجُ) من القبور فكيف تنكرونه والاستفهام للتقرير، والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما ذكر (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث الفعل لمعنى قوم (وَأَصْحَابُ الرَّسِّ) هى بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام ونبيهم قيل حنظلة بن صفوان وقيل غيره (وَثَمُودُ) قوم صالح (وَعَادٌ) قوم هود (وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) أى الغيضة قوم شعيب (وَقَوْمُ تُبَّعٍ) هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه (كُلٌّ) من المذكورين (كَذَّبَ الرُّسُلَ) كقريش،

الماء وأنبتت من كل زوج بهيج (قوله يستوى فيه المذكر والمؤنث) جواب عن سؤال مقدر تقديره الأرض مؤنثة فكيف وصفها بالمذكر وفى هذا الجواب نظر لأن استواء المذكر والمؤنث فى فعيل وليس هنا والصواب أن التذكير باعتبار كونه مكانا (قوله كذلك الخروج) جملة قدم فيها الخبر لقصد الحصر والمعنى خروجهم من قبورهم مثل ما تقدم من عجائب خلق السماء وما بعدها (قوله والاستفهام للتقرير الخ) الاولى ان يقول للانكار والتوبيخ وقوله والمعنى أنهم الخ غير صحيح إذ لو نظروا وعلموا لآمنوا (قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) كلام مستأنف قصد به تقرير حقيقة البعث والوعيد لقريش والتسلية لرسول الله (قوله لمعنى قوم) أى لأنه بمعنى أمة (قوله هى بئر) أى خسفت تلك البئر مع ما حولها فذهبت بهم وبأموالهم (قوله وقيل غيره) هو شعيب أو نبى آخر أرسل بعد صالح لبقية من ثمود (قوله وثمود) ذكرهم بعد أصحاب الرس لأن الرجفة التى أخذتهم مبدأ الخسف لأصحاب الرس وأتبع ثمود بعاد لأن الريح التى أهلكتهم إثر صيحة ثمود (قوله وإخوان لوط) تقدم أنه ابن أخى إبراهيم وأنه هاجر معه من العراق إلى الشام فنزل إبراهيم بفلسطين ونزل لوط بسدوم وأرسله الله إلى أهلها وهو أجنبى منهم، فكيف يقال إخوانه. أجيب بأنه تزوج منهم وصار صهرا لهم فالأخوة من حيث ذلك (قوله وأصحاب الأيكة) تقدم الكلام عليهم فى الشعراء (قوله أى الغيضة) أى وهى الشجر الملتف وهى هنا بأل المعرفة وفى ص والشعراء بأل ودونها قراءتان سبعيتان (قوله هو ملك كان باليمن) وقيل نبى وهو تبع الحميرى واسمه أسعد وكنيته أبو قرن (قوله كل) التنوين عوض عن المضاف إليه أى كل أمة، والمراد بالكل الكل المجموعى (قوله كذب الرسل) أى ولو بالواسطة كتبيع.

(قوله حق وعيد) مضاف لياء المتكلم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها (قوله فلا يضيق صدرك) أى لما تقدم أنه تسلية لرسول الله وتهديد لهم (قوله أفعيينا بالخلق الأول) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والأصل أقصدنا الخلق الأول فعجزنا عنه حتى يحكموا بعجزنا عن الإعادة وفيه إلزام لمنكرى البعث والى العجز (قوله بالخلق الأول) الباء سببية أو بمعنى عن والاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله بل هم فى لبس) عطف على مقدر يقتضيه السياق كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول بل هم فى خلط وشبهة من خلق جديد لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والإشعار بخروجه عن حدود العادات (قوله ولقد خلقنا الانسان) المراد به الجنس الصادق بآدم وأولاده (قوله حال بتقدير نحن) أى لأن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالا لاتقترن بالواو بل تحوى الضمير فقط فان اقترنت بالواو أعربت خبرا لمحذوف وتكون الجملة الاسمية حالا . قال ابن مالك :

وذات بدء بمضارع ثبت   حوت ضميرا ومن الواو خلت
وذات واو بعدها انو مبتدا   له المضارع اجعلن مسندا

(قوله مامصدرية) أى والتقدير ونعلم وسوسة نفسه إياه ويصح أن تكون موصولة والضمير عائد عليها والتقدير ونعلم الأمر الذى تحدث نفسه به (قوله الباء زائدة) أى فهو نظير صوت بكذا وقوله أو للتعدية أى فالنفس تجعل الانسان قائمة به الوسوسة (قوله والضمير للانسان) أى لجعل الانسان مع نفسه شخصين تجرى بينهما مكالمة ومحادثة تارة يحدثها وتارة تحدثه وهذه الوسوسة لايؤاخذ بها الانسان خيرا أو شرا ومثلها الخاطر والهاجس وأما الهم فيكتب فى الخير لا فى الشر وأما العزم فيكتب خيرا أو شرا ، وقد تقدم ذلك (قوله ونحن أقرب إليه) أى لأن الله لايحجبه شىء بل هو القائم على كل نفس لاتخفى عليه خافية فقربه تعالى من عبده اتصال تصاريفه فيه بحيث لايغيب عنه طرفة عين قال تعالى ـ وهو معكم أينما كنتم ـ (قوله من حبل الوريد) هذا مثل فى شدة القرب والحبل العرق (قوله والوريدان عرقان بصفحتى العنق) أى مكتنفان صفحتى العنق فى مقدمهما يتصلان بالوتين وهو عرق متصل بالقلب ، وبالأبهر وهو عرق فى الظهر ، وبالأكحل وهو عرق فى الذراع ، وبالنسا وهو عرق فى الفخذ ، وبالأسلم وهو عرق فى الخنصر متى قطع من أى جهة مات صاحبه . قال القشيرى فى هذه الآية هيبة وفزع وخوف وروح وأنس وسكون قلب لقوم أى بحسب تجلى الله تعالى وشهوده فاذا شهد الانسان جلال الله وهيبته وشدة بطشه وسرعة انتقامه مع شدة تمكنه منه واتصال تصاريفه به ذاب من خشية الله وإذا شهد جمال الله ورحمته وإحسانه أنس وفرح (قوله يأخذ ويثبت) أى يكتبان فى صحيفتى الحسنات والسيئات وقلمهما لسانه ومدادهما ريقه ومحلهما من الانسان نواجذه (قوله مايعمله) مفعول يتلقى (قوله أى قاعدان) أشار بذلك إلى أن قعيد مفرد أقيم مقام المثنى لأن فعيلا يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع (قوله وهو مبتدأ خبره ما قبله) أى والجملة فى محل نصب على الحال من المتلقيان (قوله مايلفظ من قول الخ) مانافية ومن زائدة فى المفعول وقوله لديه خبر مقدم ورقيب مبتدأ مؤخر والجملة حالية (قوله وكل منهما بمعنى المثنى) أى فالمعنى إلا لديه ملكان موصوفان بأنهما رقيبان وعتيدان فكل منهما موصوف بأنه رقيب وعتيد وقوله حاضر أى فلا يفارقه إلا فى مواضع ثلاثة فى الخلاء وعند الجماع وفى حالة الجنابة فاذا فعل العبد فى تلك الحالات حسنة أو سيئة عرفاها وكتباها .

(وجاءت

(فَحَقَّ وَعِيدِ) وجب نزول العذاب على الجميع فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) أى لم نعى به فلا نعيا بالإعادة (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ) شك (مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) وهو البعث (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ) حال بتقدير نحن (مَا) مصدرية (تُوَسْوِسُ) تحدث (بِهِ) الباء زائدة أو للتعدية والضمير للانسان (نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ) بالعلم (مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) الإضافة للبيان ، والوريدان عرقان بصفحتى العنق (إِذْ) ناصبه اذكر مقدراً (يَتَلَقَّى) يأخذ ويثبت (الْمُتَلَقِّيَانِ) الملكان الموكلان بالإنسان ما يعمله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ) منه (قَعِيدٌ) أى قاعدان وهو مبتدأ خبره ما قبله (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ) حافظ (عَتِيدٌ) حاضر وكل منهما بمعنى المثنى .

(قوله وجاءت سكرة الموت) أى حضرت إما بالموت فرادى وهو ظاهر وأقع أو دفعة عند النفخة الأولى و إنما عبر عنها بالماضى لتحقق وقوعها و إشارة إلى أنها فى غاية القرب (قوله بالحق) الباء للتعدية أى أتت بالأمر الحق أى أظهرته والمراد به ما بعد الموت من أهوال الآخرة ، ومعنى كونه حقا أنه واقع لامحالة (قوله وهو نفس الشدة) المناسب حذف هذه العبارة الاستغناء بما قبلها عنها إلا أن يقال إن الضمير فى هو عائد على أمر الآخرة والمراد بالشدة الأمر الشديد وهو أهوال الآخرة (قوله تهرب) بضم الراء من باب طلب (قوله ونفخ فى الصور) عطف على قوله وجاءت سكرة الموت والصور هو القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل لايعلم قدره إلا الله تعالى وقد التقمه إسرافيل من حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منتظرا للاذن بالنفخ (قوله إلى يوم النفخ) أى فالإشارة إلى الزمان المفهوم من قوله نفخ لأن الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان (قوله معها سائق وشهيد) اختلف فى معنى السائق والشهيد على أقوال أشهرها ما قاله المفسر وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات ، وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله وقيل غير ذلك (قوله ويقال للكافر) هذا أحد قولين ، وقيل إن القول يقع للمسلم أيضا لكن على سبيل التهنئة ، ومعنى كنت فى غفلة كنت فى حجاب لم تشاهده بالبصر إذ ليس راء كمن سمع فكشفنا عنك غطاءك فتهنأ بما رأيت وتمل بما أعطيت من النعيم المقيم (قوله فكشفنا عنك غطاءك) أى حجابك وهو الغفلة والانهماك فى الشهوات (قوله حاد) أى نافذ لزوال المانع للإبصار (قوله الملك الموكل به) أى فى الدنيا لكتابة أعماله وهو الرقيب العتيد المتقدم ذكره ، والمعنى أن الملك يقول هذا عمله المكتوب عندى حاضر لدى ، وقيل المراد بقرينه الشيطان المقيض له واسم الاشارة عائد على ذات الشخص الكافر ، والمعنى يقول الشيطان هذا الشخص الذى عندى حاضر معد ومهيأ للنار (قوله هذا مالدى عتيد) يصح أن تكون ما نكرة موصوفة وعتيد صفتها ولدى متعلق بعتيد أى هذا شىء حاضر عندى و يصح أن تكون ما موصولة بمعنى الذى ولدى صلتها وعتيد خبر الموصول والموصول وصلته خبر اسم الاشارة (قوله أى ألق ألق الخ) لما جعل المفسر الخطاب للواحد احتاج للجواب عن التثنية فى قوله ألقيا فأجاب بجوابين الأول أنه تثنية بحسب الصورة والأصل أن الفعل مكرر للتوكيد فحذف الثانى وعبر عنهما بضمير التثنية فعلى هذا يعرب بحذف النون والألف فاعل . الثانى أن الألف ليست للتثنية بل هى منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة وأجرى الوصل هنا مجرى الوقف (قوله وبه قرأ الحسن) أى وهى قراءة شاذة (قوله معاند) أى معرض عن الحق مخالف له (قوله مبتدأ ضمن معنى الشرط) المناسب أن يقول مبتدأ يشبه الشرط (قوله تفسيره) أى تخريجه مثل ما تقدم من حيث الاعتذار عن التثنية (قوله قال قرينه الخ) أى جوابا عما ادعاه الكافر عليه بقوله هو أطغانى فالكافر أولا يقول الشيطان أطغانى فيجيبه الشيطان بقوله ربنا ما أطغيته وكان الأولى للمفسر أن يقدم قوله هو أطغانى بأن يقول وقال قرينه جوابا لقوله هو أطغانى ربنا الخ .

(وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ) غمرته وشدته (بِالْحَقِّ) من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عيانا وهو نفس الشدة (ذَٰلِكَ) أى الموت (مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) تهرب وتفزع (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) للبعث (ذَٰلِكَ) أى يوم النفخ (يَوْمُ الْوَعِيدِ) للكفار بالعذاب (وَجَاءَتْ) فيه (كُلُّ نَفْسٍ) إلى المحشر (مَعَهَا سَائِقٌ) ملك يسوقها إليه (وَشَهِيدٌ) يشهد عليها بعملها هو الأيدى والأرجل وغيرها ، و يقال للكافر (لَقَدْ كُنْتَ) فى الدنيا (فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا) النازل بك اليوم (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) حاد تدرك به ما أنكرته فى الدنيا (وَقَالَ قَرِينُهُ) الملك الموكل به (هَٰذَا مَا) أى الذى (لَدَيَّ عَتِيدٌ) حاضر فيقال لمالك (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ) أى ألق ألق أو ألقين و به قرأ الحسن فأبدلت النون ألفا (كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) معاند للحق (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) كالزكاة (مُعْتَدٍ) ظالم (مُرِيبٍ) شاك فى دينه (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ) مبتدأ ضمن معنى الشرط خبره (فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) تفسيره مثل ما تقدم (قَالَ قَرِينُهُ) الشيطان (رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ) أضللته (وَلَٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) فدعوته فاستجاب لى وقال هو أطغانى بدعائه لى ،

(قوله لاتختصموا) خطاب للكافرين وقرنائهم (قوله أى ماينفع الخصام هنا) أى فى موقف الحساب (قوله وقد قدمت إليكم بالوعيد) ظاهره أن الجملة حال من قوله لا تختصموا وهو مشكل بأن التقديم بالوعيد فى الدنيا والاختصام فى الآخرة . وأجيب بأن الكلام على حذف والأصل وقد ثبت الآن أنى قد قدمت إليكم الخ (قوله ولابدّ) أى لاتطمعوا أنى أبدل وعيدى فان وعيدى للكافرين حتم كوعدى للمؤمنين (قوله مايبدّل القول) المراد بالقول الوعيد بتخليد الكافر فى النار (قوله فى ذلك) أى فى ذلك اليوم فاسم الاشارة عائد على يوم الحساب (قوله لاظلم اليوم) أى و إذا انتفى الظلم عنه فى هذا اليوم فنفى الظلم عنه فى غيره أحرى ، سبحان من تنزه عن الظلم عقلا ونقلا (قوله ناصبه ظلام) أى والمعنى ماأنا بظلام يوم قولى لجهنم الخ (قوله استفهام تحقيق لوعده بملئها) خاطب الله سبحانه وتعالى جهنم خطاب العقلاء وأجابته جواب العقلاء ولا مانع من ذلك عقلا ولا شرعا لما ورد « تحاجت الجنة والنار واشتكت النار إلى ربها » فلا حاجة إلى تكلف المجاز مع التمكن من الحقيقة فى هذا ونظائره مما ورد فى السنة من نطق الجمادات والمراد باستفهام التحقيق التقرير فالله تعالى يقررها بأنها قد امتلأت (قوله وتقول بصورة الاستفهام كالسؤال)أى أجابته جوابا صورته استفهام ومعناه الخبر كما أشار له المفسر بقوله أى امتلأت و إنما أجابته بصورة الاستفهام ليكون طبق السؤال لكن استفهام السؤال تقريرى واستفهام جوابها إنكارى هذا مامشى عليه المفسر، وقيل إن الاستفهام لطلب الزيادة فهو بمعنى زدنى و يدلّ عليه ماجاء فى الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم « لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك فينزوى بعضها على بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولايزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة » وفى رواية «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله يقول لها قط قط فهنالك تمتلئ وينزوى بعضها إلى بعض فلا يظلم الله من خلقه أحدا ، وأما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا » انتهى ولفظ القدم والرجل فى الحديث من المتشابه يأتى فيه مذهب السلف والخلف ، فالسلف ينزهونه عن الجارحة و يفوّضون علمه لله تعالى، والخلف لهم فيه تأويل : منها أن المراد بالقدم والرجل قوم من أهل النار فى علم الله لأن القدم والرجل يطلقان فى اللغة على العدد الكثير من الناس فكأنه قال حتى يضع ربّ العزة فيها العدد الكثير من الناس الموعودين بها و يؤيده ماورد عن ابن مسعود « إن ما فى النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذى قد عرف اسمه وصفته فاذا استوفى ماأمر به وماينتظره ولم يبق أحد منهم قالت الخزنة : قط قط حسبنا حسبنا اكتفينا اكتفينا وحينئذ فتنزوى جهنم على من فيها وتنطبق إذ لم يبق أحد ينتظر »اه . ومنها أن وضع القدم والرجل كناية عن تجلى الجلال عليها فتتصاغر وتضيق وتنزوى فتقول قط قط وهذا هو الأقرب (قوله للمتقين) المراد بهم من ماتوا على التوحيد (قوله مكانا) قدره المفسر إشارة إلى أن قوله غير بعيد صفة لموصوف محذوف فهومنصوب على الظرفية لقيامه مقام الظرف ولم يقل غير بعيدة إما لأنه صفة لمذكر محذوف أولأن فعيلا يستوى فيه المذكر والمؤنث وأتى بهذه الجملة عقب قوله وأزلفت للتأكيد كقولهم هوقريب غير بعيد وعزيز غير ذليل. إن قلت إن الجنة مكان والشأن انتقال الشخص للمكان لا انتقال المكان للشخص . أجيب بأنه أضاف القرب لها إكراما للمؤمنين كأن الاكرام ينقل لهم وهو كناية عن سهولة وصولهم إليها (قوله و يبدل من المتقين) أى باعادة الجار وجملة : هذا ماتوعدون معترضة بين البدل والمبدل منه .

(قال) تعالى : (لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ) أى ماينفع الخصام هنا (وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ) فى الدنيا (بِالْوَعِيدِ)بالعذاب فى الآخرة لو لم تؤمنوا ولابد منه (مَا يُبَدَّلُ) يغير (الْقَوْلُ لَدَىَّ) فى ذلك (وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) فأعذبهم بغير جرم ، وظلام بمعنى ذى ظلم لقوله «لاظلم اليوم» (يَوْمَ) ناصبه ظلام (نَقُولُ) بالنون والياء (لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ) استفهام تحقيق لوعده بملئها (وَتَقُولُ) بصورة الاستفهام كالسؤال (هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) أى فىّ لا أسع غير ما امتلأت به أى قد امتلأت (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ) قربت (لِلْمُتَّقِينَ) مكانا (غَيْرَ بَعِيدٍ) منهم فيرونها ويقال لهم (هَٰذَا) المرئى (مَا تُوعَدُونَ) بالتاء والياء فى الدنيا و يبدل من المتقين قوله (لِكُلِّ أَوَّابٍ) رجاع إلى طاعة الله (حَفِيظٍ) ،

حافظ

(قوله حافظ لحدوده) أى حفيظ بمعنى حافظ لابمعنى محفوظ (قوله من خشى الرحمن) إما بدل من كل أومستأنف خبرلمحذوف (قوله خافه ولم يره) أشار بذلك إلى أن قوله بالغيب حال من المفعول والمعنى خشيه والحال أن الله غائب عنه: أى متحجب بصفة جلاله وكبريائه ويصح أن يكون حالا من الفاعل والمعنى خشى الرحمن والحال أن الشخص غائب عن الله أى محجوب عنه (قوله أى سالمين من كل مخوف) أشار بذلك إلى أن قوله بسلام حال من فاعل ادخلوها وهى حال مقارنة (قوله أومع سلام) أى أن دخولهم مصحوب بالسلام من بعضهم على بعض أومن الله وملائكته عليهم وحينئذ فالمعنى ادخلوها مسلما عليكم (قوله ذلك اليوم الذى حصل فيه الدخول الخ) فائدة هذا القول بشرى المؤمنين وطمأنينة قلوبهم (قوله لهم مايشاءون) أى مايشتهون ويريدونه يحصل لهم عاجلا وقوله فيها إما متعلق يشاءون أو حال من ما (قوله زيادة على ماعملوا وطلبوا) أى وهو النظر إلى وجه الله الكريم لما قيل: يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى كل ليلة جمعة فى دار كرامته فهذا هو المزيد، وقيل إن السحابة تمر شجرة تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فيقلن نحن المزيد الذى قال الله فيه: ولدينا مزيد (قوله وكم أهلكنا الخ) كم خبرية معمولة لأهلكنا ومن قرن تمييز لكم وقوله هم أشد منهم مبتدأ وخبر والجملة صفة إما لكم أو لقرن و بطشا تمييز، والمعنى إننا أهلكنا قرونا كثيرة أشد بأسا و بطشا من قريش ففتشوا فى البلاد عند نزول

حافظ لحدوده (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ) خافه ولم يره (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) مقبل على طاعته، ويقال للمتقين أيضاً (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ) أى سالمين من كل مخوف أو مع سلام: أى سلموا وادخلوا (ذَلِكَ) اليوم الذى حصل فيه الدخول (يَوْمُ الْخُلُودِ) الدوام فى الجنة (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) زيادة على ما عملوا وطلبوا (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أى أهلكنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار (هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا) قوة (فَنَقَّبُوا) فتشوا (فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) لهم أو لغيرهم من الموت فلم يجدوا (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَذِكْرَى) لعظة (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) عقل (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ) استمع الوعظ (وَهُوَ شَهِيدٌ) حاضر بالقلب (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها الأحد وآخرها الجمعة (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) تعب، نزل رداً على اليهود فى قولهم إن الله استراح يوم السبت، وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماسة بينه و بين غيره، إنما أمره،

العذاب بهم فلم يجدوا مخلصا (قوله فنقبوا فى البلاد) أى ساروا فيها طالبين المهرب (قوله لهم أو لغيرهم) هذا يقتضى أن جملة هل من محيص استئنافية من كلامه تعالى وحينئذ فالوقف على قوله فى البلاد ويكون فى الكلام حذف والتقدير ففتشوا فى البلاد هار بين فلم يجدوا مخلصا فهل من فرار لهم أو لغيرهم، وقيل إنها من كلامهم والتقدير قائلين هل من محيص لنا (قوله إن فى ذلك المذكور) أى من أول السورة إلى هنا (قوله أو ألقى السمع) أو مانعة خلو تجوز الجمع وهو المطلوب فان الموعظة لاتفيد ولا ينتفع بها صاحبها إلا إذا كان ذا عقل وأصغى بسمعه وأحضر قلبه فان لم يكن كذلك فلا ينتفع بها (قوله استمع الوعظ) أى بكليته حتى كأنه يلقى شيئا من علو إلى أسفل (قوله وهو شهيد) الجملة حالية أى ألقى السمع والحال أنه حاضر القلب غير مشتغل بشئ غير ماهو فيه وحضور القلب على مراتب: مرتبة العامة أن يشهد الأوامر والنواهى من القارئ. ومرتبة الخاصة أن يشهد الشخص منهم أنه فى حضرة الله تعالى يأمره و ينهاه. ومرتبة خاصة الخاصة أن يفنوا عن حسهم ويشاهدوا أن القارئ هو الله تعالى و إنما لسانه ترجمان عن الله تعالى (قوله فى ستة أيام) أى تعليما لعباده التمهل والتأنى فى الأمور وإلافلوشاء لخلق الكل فى أقل من لمح البصر (قوله من لغوب) من زائدة فى الفاعل واللغوب مصدر لغب من باب دخل وتعب الاعياء والتعب والعامة على ضم اللام وقرئ شذوذا بفتحها والجملة إما حالية أومستأنفة (قوله نزل رداعلى اليهود الخ) أى فقالوا خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فنزلت هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم فى قولهم استراح يوم السبت بقوله ومامسنا من لغوب (قوله ولعدم المماسة بينه و بين غيره) أى من الموجودات التى يوجدها والتعب والاعياء إنما يحصل من العلاج ومماسة الفاعل لمفعوله كالنجار والحداد وغيرذلك وهذا إنما يكون فى أفعال المخلوقين (قوله إنما أمره) أى شأنه

(قوله إذا أراد شيئا) أى إيجاد شئ أو إعدامه (قوله أن يقول له كن فيكون) أى من غير فعل ولا معالجة عمل وهذا على حسب التقريب للعقول وإلا ففى الحقيقة لاقول ولا كاف ولا نون (قوله من التشبيه) أى تشبيه الله بغيره إذ نسبوا له الاعياء والاستراحة وغير ذلك من كفرياتهم (قوله وسبح بحمد ربك الخ) أى حيث لم يهتدوا ولم يتبعوك فاشتغل بعبادة ربك ولا تتركها حزنا على عدم إيمانهم وذلك أن الله تعالى أمره بشيئين هداية الخلق وعبادة ربه فحيث فاته هدايتهم فلا يترك العبادة لأنه ليس مأمورا بجهادهم حينئذ (قوله صل حامدا) أشار بذلك إلى أن سبح معناه صل إما مجاز من إطلاق الجزء على الكل أو حقيقة لأن من جملة معانى الصلاة التسبيح لما ورد عن عائشة «كنت أصلى سبحة الضحى الخ» (قوله بفتح الهمزة جمع دبر) أى أعقاب الصلاة من أدبرت الصلاة إذا انقضت (قوله وبكسرها مصدر أدبر) أى والمعنى وقت إدبار الصلاة : أى انقضائها

وتمامها والقراءتان سبعيتان (قوله وقيل المراد حقيقة التسبيح) أى

إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (فَاصْبِرْ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (عَلَى مَا يَقُولُونَ) أى اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) صل حامدا (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) أى صلاة الصبح (وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) أى صلاة الظهر والعصر (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) أى صل العشاءين (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) بفتح الهمزة جمع دبر وبكسرها مصدر أدبر أى صل النوافل المسنونة عقب الفرائض، وقيل المراد حقيقة التسبيح فى هذه الأوقات ملابسا للحمد (وَاسْتَمِعْ) يا مخاطب مقولى (يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ) هو إسرافيل (مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) من السماء، وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (يَوْمَ) بدل من يوم قبله (يَسْمَعُونَ) أى الخلق كلهم (الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ) بالبعث وهى النفخة الثانية من إسرافيل، ويحتمل أن تكون قبل ندائه أو بعده (ذَلِكَ) أى يوم النداء والسماع (يَوْمُ الْخُرُوجِ) من القبور وناصب يوم ينادى مقدرا: أى يعلمون عاقبة تكذيبهم (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ. يَوْمَ) بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض (تَشَقَّقُ) بتخفيف الشين وتشديدها بإدغام التاء الثانية فى الأصل فيها (الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا) جمع سريع حال من مقدر: أى فيخرجون مسرعين (ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص وهو لا يضر وذلك إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه وهو الإحياء بعد الفناء والجمع للعرض والحساب.

(نحن

لما ورد «من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون وتمام المائة لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» (قوله مقولى) أشار بذلك إلى أن مفعول استمع محذوف : أى استمع ما أقول لك فى شأن أحوال يوم القيامة وقوله يوم ينادى كلام مستأنف مبين للمفعول المحذوف (قوله يوم يناد) الوقف عليها إما بالياء أو بدونها قراءتان سبعيتان والمناد إما بالياء وصلا ووقفا أو بإثباتها وصلا لا وقفا أو بحذفها وصلا ووقفا ثلاث قراآت (قوله هو إسرافيل) هذا أحد قولين، وقيل المنادى جبريل والنافخ إسرافيل (قوله أقرب موضع من الأرض إلى السماء) أى باثنى عشر ميلا (قوله والأوصال) أى العروق (قوله بالحق حال من الواو) أى يسمعون ملتبسين بالحق أو من الصيحة أى ملتبسة بالحق وعبارة المفسر تقتضى أن الباء للتعدية (قوله ويحتمل أن تكون قبل ندائه أو بعده) هذا يقتضى أنها غير النداء المذكور مع أن النداء المذكور هو ما يسمع من النفخة فهذا الصنيع غير مستقيم إلا على القول بأن المنادى جبريل والنافخ إسرافيل (قوله أى يعلمون عاقبة تكذيبهم) بيان للناصب المقدر ولو قدره بلصقه لكان أولى (قوله إنا نحن نحيى) أى فى الدنيا وقوله وإلينا المصير أى فى الآخرة (قوله وما بينهما) أى وهو قوله إنا نحن نحيى ونميت وإلينا المصير (قوله بتخفيف الشين الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حال من مقدر) أى ويصح أن يكون حالا من ضمير عنهم (قوله للاختصاص) أى الحصر والمعنى لا يتيسر ذلك إلا على الله وحده

(قوله نحن أعلم بما يقولون) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (قوله بجبار) صيغة مبالغة من جبر الثلاثي و يقال أيضا أجبر رباعيا فهما لغتان فيه (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) أي فهو منسوخ (قوله من يخاف وعيد) يرسم بدون ياء وفي اللفظ يقرأ بإثباتها وصلا لاوقفا وبحذفها وصلا ووقفا قراءتان سبعيتان (قوله وهم المؤمنون) خصهم لأنهم المنتفعون به ، و يؤخذ من الآية أنه ينبغي للشخص أن لايعظ إلا من يسمع وعظه ويقبله .

[سورة الذاريات] وفي بعض النسخ والذاريات بالواو (قوله والذاريات) الواو للقسم والذاريات مقسم به والحاملات عطف عليه والجاريات عطف على الحاملات والمقسمات عطف على الجاريات والمقسم عليه هو قوله إنما توعدون لصادق و إنما أقسم بهذه الأشياء تعظيما لها ولكونها دلائل على باهر قدرة الله و يصح أن يكون الكلام على حذف مضاف أي ورب هذه الأشياء فالقسم بالله لابتلك الأشياء (قوله تذرو التراب) أي ففعله واوى من باب عدا وأشار به إلى أن مفعول الذاريات محذوف (قوله مصدر) أي مؤكد وناصبه اسم الفاعل (قوله ويقال تذريه) أي ففعله يائي من باب

(نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) أي كفار قريش (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) تجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالجهاد (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) وهم المؤمنون .

(سورة الذاريات)

مكية، ستون آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . وَالذَّارِيَاتِ) الرياح تذرو التراب وغيره (ذَرْوًا) مصدر، ويقال تذريه ذريا : تهب به (فَالْحَامِلَاتِ) السحب تحمل الماء (وِقْرًا) ثقلا مفعول الحاملات (فَالْجَارِيَاتِ) السفن تجرى على وجه الماء (يُسْرًا) بسهولة مصدر في موضع الحال : أي ميسرة (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد والبلاد (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) مامصدرية : أي إن وعدهم بالبعث وغيره (لَصَادِقٌ) لوعد صادق (وَإِنَّ الدِّينَ) الجزاء بعد الحساب (لَوَاقِعٌ) لامحالة (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) جمع حبيكة كطريقة وطرق : أي صاحبة الطرق في الخلقة كالطرق في الرمل (إِنَّكُمْ) ياأهل مكة في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن (لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) قيل شاعر ساحر كاهن ، شعر سحر كهانة (يُؤْفَكُ) يصرف (عَنْهُ) عن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن أي عن الإيمان به (مَنْ أُفِكَ) صرف عن الهداية في علم الله تعالى (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ) لعن الكذابون أصحاب القول المختلف (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ) جهل يغمرهم ،

رمى (قوله تهب به) راجع لكل من الواوى واليائي (قوله وقرا) الوقر والثقل والحمل كلها ألفاظ متحدة الوزن والمعنى (قوله مفعول الحاملات) أي مفعول به للحاملات (قوله أمرا) إما مفعول به أو حال أي مأمورة وعليه فيحتاج إلى حذف مفعول المقسمات (قوله الملائكة تقسم الأرزاق الخ) أي ورؤساء ذلك أربعة : جبريل وهو صاحب الوحي إلى الأنبياء وميكائيل صاحب الرزق و إسرافيل صاحب الصور وعزرائيل صاحب قبض الأرواح وما مشى عليه المفسر في تفسير هذه الأشياء هو المشهور ، وقيل هذه الأوصاف الأربعة للرياح لأنها تثير السحاب ثم تحمله وتنقله ثم تجرى به ريا سهلا ثم تقسم الأمطار بتصريف السحاب (قوله أي إن وعدهم) صوابه بكاف الخطاب (قوله لواقع) أي حاصل (قوله والسماء ذات الحبك) بضمتين في قراءة العامة وقرئ بوزن إبل وسلك وجبل ونعم و برق (قوله في الخلقة) أشار به إلى أن المراد بها الطرق المحسوسة التي هي مسير الكواكب و يصح أن المراد بها الطرق المعنوية للناظرين الذين يستدلون بها على توحيد الله تعالى (قوله إنكم لفي قول مختلف) جواب القسم (قوله قيل شاعر الخ) المناسب أن يقول قلتم (قوله عن النبي والقرآن) أي فالضمير عائد على أحدهما وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أي فما من عبد كفر بك إلا لسابق كفره أزلا و يصح أن يكون الضمير عائدا على القول المذكور والمعنى يصرف عن هذا القول المختلق من صرف عنه وهو من أراد الله هدايته كالمؤمنين (قوله قتل الخراصون) هذا التركيب في الأصل مستعمل في القتل حقيقة ثم استعمل في اللعن على سبيل الاستعارة حيث شبه من فاتته السعادة بالمقتول الذي فاتته الحياة وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه

(ساهون) غافلون عن أمر الآخرة (يَسْأَلُونَ) النبى استفهام استهزاء (أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) أى متى مجيئه، وجوابهم يجيء (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) أى يعذبون فيها ويقال لهم حين التعذيب (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) تعذيبكم (هَذَا) التعذيب (الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) فى الدنيا استهزاء (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ) تجرى فيها (آخِذِينَ) حال من الضمير فى خبر إن (مَا آتَاهُمْ) أعطاهم (رَبُّهُمْ) من الثواب (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ) أى دخولهم الجنة (مُحْسِنِينَ) فى الدنيا (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) ينامون وما زائدة ويهجعون خبر كان وقليلا ظرف. أى ينامون فى زمن يسير من الليل ويصلون أكثره (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقولون اللهم اغفر لنا (وَفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) الذى لايسأل لتعففه (وَفِى الْأَرْضِ) من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها (آيَاتٌ) دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته (لِلْمُوقِنِينَ. وَفِى أَنْفُسِكُمْ) آيات أيضاً من مبدإ خلقكم إلى منتهاه وما فى تركيب خلقكم من العجائب (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته (وَفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) أى المطر المسبب عنه النبات الذى هو رزق (وَمَا تُوعَدُونَ) من المآب والثواب والعقاب أى مكتوب ذلك فى السماء (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ)،

وهو القتل فاثباته تخييل (قوله يسألون أيان يوم الدين) أيان خبر مقدم ويوم الدين مبتدأ مؤخر (قوله أى متى مجيئه) جواب عن سؤال مقدر تقديره إن الزمان لايخبر به عن الزمان وإنما يخبر به عن الحدث. فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف (قوله وجوابهم) أى جواب سؤالهم وإنما أجيبوا بما لاتعيين فيه لأنهم مستهزئون لامتطلعون (قوله على النار يفتنون) عداه بعلى لتضمنه معنى يعرضون (قوله هذا) مبتدأ وقوله الذى كنتم الخ خبره (قوله إن المتقين الخ) لما بين حال الكفار وما أعد لهم فى الآخرة أخذ يبين أحوال المتقين وما أعد لهم (قوله تجرى فيها) جواب عما يقال إن المتقين لم يكونوا فى العيون فكيف قال فى جنات وعيون. فأجاب بأن المراد أن العيون تجرى فى الجنة تكون فى جهاتهم وأمكنتهم (قوله حال من الضمير فى خبر إن) أى كائنون فى جنات وعيون حال كونهم آخذين ما آتاهم ربهم أى راضين به (قوله من الثواب) بيان لما (قوله كانوا قليلا الخ) تفسير للاحسان (قوله وبالأسحار) متعلق بيستغفرون المعطوف على يهجعون والباء بمعنى فى والأسحار جمع سحر وهو سدس الليل الأخير (قوله يقولون اللهم اغفر لنا) أى تقصيرنا فى حقك فانه لايقدرك أحد حق قدرك (قوله وفى أموالهم حق) أى بمقتضى كرمهم جعلوه كالواجب عليهم كصلة الأرحام ومواساة الفقراء والمساكين والمعنى أنهم بذلوا نفوسهم وأموالهم فى طاعة ربهم (قوله لتعففه) أى فيظن غنيا فيحرم الصدقة وهذا على حد تفسير القانع والمعتر (قوله وفى الأرض آيات الخ) الجار والمجرور خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر وقوله وفى أنفسكم خبر حذف مبتدؤه لدلالة ماقبله عليه وهو كلام مستأنف قصد به الاستدلال على قدرته تعالى ووحدانيته أى وقد اشتمل على دليلين الأرض والأنفس (قوله من الجبال الخ) بيان للأرض فالمراد بها ماقابل السماء (قوله دلالات على قدرة الله تعالى الخ) أى وجميع صفاته الكمالية (قوله من مبدإ خلقكم إلى منتهاه) أى كالأطوار المذكورة فى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الخ (قوله وما فى تركيب خلقكم الخ) أى كحسن القامة وحسن الشكل ونحو ذلك (قوله أفلا تبصرون) جملة مستأنفة قصد بها الحث على النظر والتأمل (قوله وفى السماء رزقكم) كلام آخر قصد به الامتنان والوعد والوعيد (قوله أى المطر المسبب عنه النبات) أى فالكلام على حذف مضاف والتقدير وفى السماء سبب رزقكم (قوله وما توعدون) عطف عام (قوله أى مكتوب ذلك) أى ماتوعدون فهو تفسير لظرفية ماتوعدون فى السماء وأما ظرفية الرزق فيها فظاهرة إذ المطر فيها حقيقة، والمعنى أن جميع ماتوعدون به من خير وشر مكتوب فى السماء تنزل به الملائكة الموكلون تدبير العالم على طبق ماأمروا به (قوله فورب السماء والأرض الخ) هذا قسم من الله تعالى على ماذكره من الرزق وغيره وأنه مثل النطق فى كونه حقا لايفارق الشخص فى حال من أحواله

أى ما توعدون (إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) برفع مثل صفة وما مزيدة و بفتح اللام مركبة مع ما، المعنى مثل نطقكم فى حقيته أى معلوميته عندكم ضرورة صدوره عنكم (هَلْ أَتَاكَ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل (إِذْ) ظرف لحديث ضيف (دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا) أى هذا اللفظ (قَالَ سَلَامٌ) أى هذا اللفظ (قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) لا نعرفهم، قال ذلك فى نفسه وهو خبر مبتدإ مقدر: أى هؤلاء (فَرَاغَ) مال (إِلَى أَهْلِهِ) سرا (فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) وفى سورة هود بعجل حنيذ: أى مشوى (فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ) عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا (فَأَوْجَسَ) أضمر فى نفسه (مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ) إنا رسل ربك (وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) ذى علم كثير، هو إسحق كما ذكر فى هود (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ) سارة (فِي صَرَّةٍ) صيحة حال: أى جاءت صائحة (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) لطمته (وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) لم تلد قط وعمرها تسع وتسعون سنة وعمر إبراهيم مائة سنة، أو عمره مائة وعشرون سنة وعمرها تسعون سنة.

(قوله أى ما توعدون) أى ورزقكم أيضا (قوله برفع مثل صفة) أى لحق (قوله و بفتح اللام) أى والقراءتان سبعيتان (قوله مركبة مع ما) أى حال كونها مركبة مع ما تركيب مزج ككلما وطالما فيقال فى إعرابها مثلما صفة لحق مبنى على السكون فى محل رفع ومثل ما مضاف وجملة أنكم تنطقون مضاف إليه فى محل جر (قوله المعنى) أى معنى القراءتين (قوله مثل نطقكم فى حقيته) أى فكما أنه لاشك لكم فى أنكم تنطقون ينبغى لكم أن لاتشكوا فى حقيته، حكى أن رجلا جاع فى مكان وليس فيه شئ فقال اللهم رزقك الذى وعدتنى فأتنى به فشبع وروى من غير طعام ولا شراب (قوله هل أتاك الخ) استفهام تشويق وتفخيم لشأن تلك القصة، وقيل إن هل بمعنى قد كما فى قوله تعالى ـ هل أتى على الانسان حين من الدهر ـ (قوله ضيف إبراهيم) الضيف فى الأصل مصدر ضاف ولذلك يطلق على الواحد والجماعة (قوله المكرمين) أى المعظمين (قوله منهم جبريل) أى على جميع الأقوال (قوله ظرف لحديث ضيف) هذا أحد أوجه فى عامل الظرف. الثانى أنه منصوب بما فى ضيف من معنى الفعل لكونه فى الأصل مصدرا. الثالث أنه منصوب بالمكرمين. الرابع أنه منصوب بفعل محذوف تقديره اذكر ولا يصح نصبه بأتاك لاختلاف الزمانين (قوله فقالوا سلاما) أى نسلم عليكم سلاما، وقوله قال سلام: أى عليكم سلام وعدل إلى الرفع قصدا للاثبات فتحيته أحسن من تحيتهم (قوله قوم منكرون) أى لا نعرف من أى بلدة قدموا، وفى هود ـ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم ـ فمقتضاه أن إنكارهم إنما حصل بعد مجيئه لهم بالعجل وامتناعهم من الأكل، ومقتضى ما هنا أنه قبل ذلك. وحاصل الجمع بين الموضعين أن الانكار هنا غيره فيما تقدم فما هنا محمول على عدم العلم بأنهم من أى جهة، وما تقدم محمول على عدم العلم بأنهم دخلوا عليه لقصد الخير أو الشر (قوله فراغ إلى أهله) أى خدمه وكان عامة ماله البقر (قوله سرا) أى فى خفية من ضيفه فان من دأب رب المنزل الكريم أن يبادر بالقرى فى خفية حذرا من أن يمنعه الضيف (قوله فقربه إليهم) عطف على محذوف والتقدير فشواه (قوله عرض عليهم الأكل) أشار بذلك إلى أن ألا للعرض وهو الطلب بلين ورفق كما قال الشاعر:

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما ... قد حدثوك فما راء كمن سمعا

(قوله فأوجس) عطف على ما قدره المفسر (قوله خيفة) أى من عدم أكلهم فان الضيف إذا لم يأكل من طعام رب المنزل يخاف منه (قوله قالوا لا تخف) أى لما ظهر لهم أمارات خوفه (قوله إنا رسل ربك) أى إلى قوم لوط، وقيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يمشى حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم (قوله فأقبلت امرأته) أى لما سمعت البشارة المذكورة وكانت فى زاوية من زوايا البيت فجاءت وقالت ما ذكر (قوله سارة) بالتخفيف والتشديد لغتان (قوله صيحة) تفسير لصرة، وتقدم فى هود أنها ضحكت: أى حاضت فلم يكن بين البشارة والولادة إلا سنة (قوله فصكت وجهها) أى ضربته بيدها مبسوطة أو بأطراف أصابعها مثل المتعجب وهى عادة النساء إذا أنكرن شيئا (قوله وقالت عجوز) أى أنا عجوز.

(قوله قالوا كذلك) منصوب على المصدر بقال الثانية : أى مثل ذلك القول الذي أخبرناك به ـ قال ربك ـ أى قضى وحكم فى الأزل فلا تعجبي منه (قوله قال فما خطبكم) أى لما رأى من حالهم وأن اجتماعهم لم يكن لهذه البشارة فقط (قوله لنرسل عليهم حجارة) استدل به على أن اللائط يرجم بالأحجار وكان فى تلك المدائن سبعمائة ألف فأدخل جبريل جناحه تحت الأرض فاقتلعها ورفعها حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قلبها ثم أرسل الحجارة على من كان منهم خارجا عنها (قوله مسومة) إما حال من حجارة أو صفة ثانية لها (قوله فأخرجنا من كان فيها الخ) حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط بطريق الإجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة مع إبراهيم (قوله أى قرى قوم لوط) أى وهى وإن لم تذكر دل عليها السياق (قوله غير بيت) أى غير أهل بيت (قوله وهم لوط وابنتاه) أى وقيل كانوا ثلاثة عشر منهم ابنتاه (قوله وصفوا بالإيمان والإسلام) أى لأن المسلم قد يكون مؤمنا وقد لا يكون (قوله وتركنا) أى أبقينا فى القرى (قوله علامة) أى وهى تلك الأحجار والصخر المتراكم والماء الأسود المنتن يشاهدها من يمر بأرضهم (قوله معطوف على فيها) أى على الضمير المجرور بفى (قوله المعنى وجعلنا الخ)

(قالوا كذلك) أى مثل قولنا فى البشارة (قال ربك إنه هو الحكيم) فى صنعه (العليم) بخلقه (قال فما خطبكم) شأنكم (أيها المرسلون. قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) كافرين: أى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) مطبوخ بالنار (مسومة) معلمة عليها اسم من يرمى بها (عند ربك) ظرف لها (للمسرفين) بإتيانهم الذكور مع كفرهم (فأخرجنا من كان فيها) أى قرى قوم لوط (من المؤمنين) لإهلاك الكافرين (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) وهم لوط وابنتاه وصفوا بالإيمان والإسلام، أى هم مصدقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات (وتركنا فيها) بعد إهلاك الكافرين (آية) علامة على إهلاكهم (للذين يخافون العذاب الأليم) فلا يفعلون مثل فعلهم (وفى موسى) معطوف على فيها، المعنى وجعلنا فى قصة موسى آية (إذ أرسلناه إلى فرعون) ملتبسا (بسلطان مبين) بحجة واضحة (فتولى) أعرض عن الإيمان (بركنه) مع جنوده لأنهم له كالركن (وقال) لموسى هو (ساحر أو مجنون. فأخذناه وجنوده فنبذناهم) طرحناهم (فى اليم) البحر فغرقوا (وهو) أى فرعون (مليم) آت بما يلام عليه من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية (وفى) إهلاك (عاد) آية (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) هى التى لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر، وهى الدبور (ما تذر من شىء) نفس أو مال (أتت عليه إلا جعلته كالرميم) كالبالى

أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمفعول محذوف (قوله إذ أرسلناه) الظرف متعلق بآية المحذوف، والمعنى تركنا فى قصة موسى علامة فى وقت إرسالنا إياه (قوله ملتبسا بسلطان الخ) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال والباء للملابسة (قوله بحجة واضحة) أى وهى الآيات التسع (قوله كالركن) أى كركن البيت الذى يعتمد عليه فسمى الجنود ركنا لأنه يحصل بهم التقوى والاعتماد كما يعتمد على الركن (قوله وقال لموسى) أى فى شأن موسى (قوله ساحر أو مجنون) يحتمل أن أو على بابها من الإبهام على السامع أو للشك نزل نفسه منزلة الشاك تمويها على قومه ويحتمل أنها بمعنى الواو وهو الأحسن لأنه قالهما. قال تعالى ـ إن هذا الساحر عليم ـ وقال فى موضع آخر ـ إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ـ (قوله وجنوده) معطوف على مفعول أخذناه (قوله وهو مليم) الجملة حالية من مفعول أخذناه (قوله آت بما يلام عليه) أشار بذلك إلى أن إسناد الملام مجاز عقلى على حد عيشة راضية (قوله من تكذيب الرسول الخ) أشار بذلك إلى أن الفعل الذى يحصل اللوم عليه مختلف باعتبار من وصف به فاندفع بذلك ما يقال كيف وصف فرعون بما وصف به ذو النون (قوله وفى إهلاك عاد الخ) أى فيما تقدم من تقدير المضاف والمفعول يأتى هنا (قوله هى التى لا خير فيها) أى فالعقم فى الأصل وصف للمرأة التى لا تلد وصفت به الريح من حيث إنها لا تأتى بخير (قوله وهى الدبور) وقيل هى الجنوب وقيل هى النكباء وهى كل ريح هبت بين ريحين والأظهر ما قاله المفسر لما فى الحديث «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» (قوله إلا جعلته كالرميم) هذه الجملة فى محل المفعول الثانى لتذر كأنه قال ما تترك شيئا إلا مجعولا كالرميم .

كالبالي المتفتت (وَفِي) إهلاك (ثَمُودَ) آية (إِذْ قِيلَ لَهُمْ) بعد عقر الناقة (تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ) أي إلى انقضاء آجالكم كما في آية تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فَعَتَوْا) تكبروا (عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) أي عن امتثاله (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) بعد مضي الثلاثة أيام: أي الصيحة المهلكة (وَهُمْ يَنْظُرُونَ) أي بالنهار (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ) أي ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب (وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ) على من أهلكهم (وَقَوْمَ نُوحٍ) بالجر عطف على ثمود، أي وفي إهلاكهم بما في السماء والأرض آية، وبالنصب أي وأهلكنا قوم نوح (مِنْ قَبْلُ) أي قبل إهلاك هؤلاء المذكورين (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) بقوة (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) قادرون، يقال: آد الرجل يئيد: قوي، وأوسع الرجل صار ذا سعة وقوة (وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا) مهدناها (فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ) نحن (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ) متعلق بقوله (خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) صنفين كالذكر والأنثى والسماء والأرض والشمس والقمر والسهل والجبل والصيف والشتاء والحلو والحامض والنور والظلمة (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بحذف إحدى التاءين من الأصل فتعلمون أن خالق الأزواج فرد فتعبدونه (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) أي إلى ثوابه من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه،

(قوله كالبالي المتفتت) وقيل الرميم الرماد، وقيل التراب المدقوق والمعاني متقاربة (قوله فعتوا عن أمر ربهم) هذا الترتيب في الذكر فقط وإلا فقول الله لهم تمتعوا متأخر عن العتو (قوله عن أمر ربهم) أي المذكور في سورة هود بقوله ـ وياقوم هذه ناقة الله لكم آية ـ الخ (قوله أي الصيحة المهلكة) أي فصاح عليهم جبريل فهلكوا جميعا والصاعقة تطلق على نار تنزل من السماء وعلى الصيحة وهو المراد هنا (قوله أي بالنهار) أشار بذلك إلى أن قوله: وهم ينظرون من النظر، وقيل هو من الانتظار والمعنى ينتظرون ما وعدوه من العذاب (قوله على من أهلكهم) المناسب أن يقول وما كانوا دافعين عن أنفسهم العذاب إذ لا يتوهم انتصارهم على الله وإنما يتوهم الفرار منه (قوله بالجر عطف على ثمود) هذا أحد أوجه وهو أقربها (قوله وبالنصب) أي على أنه معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله وأهلكنا وفيه أوجه أخر وهذا أحسنها، وقيل منصوب باذكر مقدرا والقراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بالرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف: أي أهلكناهم (قوله والسماء بنيناها) قرأ العامة بنصب السماء على الاشتغال وكذا قوله والأرض فرشناها، وقرئ شذوذا برفعهما على الابتداء والخبر ما بعدهما والأفصح في النحو قراءة العامة لعطف الفعلية على الفعلية (قوله بأيد) حال من فاعل بنيناها، والمعنى بنيناها حال كوننا ملتبسين بقوة وبطش لا بواسطة شيء بل بقول كن (قوله قادرون) فسر الايساع بالقادرية إشارة إلى أن قوله وإنا لموسعون حال مؤكدة وهو من أوسع اللازم كأورق الشجر إذا صار ذا ورق ويستعمل متعديا والمفعول محذوف أي لموسعون السماء: أي جاعلوها واسعة وعليه فتكون حالا مؤسسة إذا علمت ذلك تعلم أن النسخ التي فيها لفظة لها بعد موسعون غير صحيحة لأنها لا تناسب إلا استعماله متعديا والمفسر استعمله لازما حيث قال وأوسع الرجل الخ (قوله يقال آد الرجل) أي اشتد وقوي كما في المختار وبابه باع (قوله مهدناها) أي فالفرش كناية عن البسط والتسوية (قوله نحن) أي فالمخصوص بالمدح محذوف (قوله متعلق بقوله خلقنا) ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف حال من زوجين لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله صنفين) أي أمرين متقابلين (قوله كالذكر والأنثى) أشار بتعداد الأمثلة إلى ما نشاهده فلا يرد العرش والكرسي واللوح والقلم فانه لم يخلق من كل إلا واحد (قوله بحذف إحدى التاءين) أي وهذه إحدى القراءتين السبعيتين والأخرى إدغام التاء الثانية في الذال (قوله ففروا إلى الله) مفرع على ما علم من توحيد الله، والمعنى حيث علمتم أن الله واحد لا شريك له وأنه الضار النافع المعطي المانع فالجأوا إليه واهرعوا إلى طاعته، والفرار مراتب ففرار العامة من الكفر والمعاصي إلى الايمان والطاعة، وفرار الخاصة من كل شاغل عن الله كالمال والولد إلى شهود الله والانهماك في طاعته فلا يصرف جزءا من أجزائه لغير الله فكما أن الله في خلق العبد واحد فليكن العبد في إقباله على ربه واحدا بحيث لا يجعل في قلبه غير حب ربه وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (قوله أي إلى ثوابه من عقابه الخ) حمله على الفرار العام لأن أوامر القرآن ونواهيه لعامة الخلق التي من امتثلها فقد زحزح عن النار وأدخل الجنة

(قوله إنى لكم منه نذير مبين) تعليل لما قبله والضمير فى منه عائد على الله والمعنى فرّوا إليه لأنى مخوف لكم منه (قوله ولا تجعلوا مع الله إلها آخر الخ) أشار بذلك الى أن الطاعة لاتنفع مع الاشراك ولذا كرر قوله إنى لكم منه نذير مبين فالفائز من جمع بين الطاعة والتوحيد ، والمعنى لا تنسبوا وصف الألوهية لغير الله فانه لا يستحقه غيره (قوله يقدر قبل ففرّوا قل لهم) أى فهو مقول لقول محذوف وليس بمتعين إذ يصح أن تكون الفاء فصيحة ، والتقدير إذا علمتم ماتقدم من صفات الله الكمالية ففرّوا إلى الله كما تقدم (قوله كذلك) خبر مقدم وقوله ما أتى الخ مبتدأ مؤخر ، والمعنى تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم كائن كذلك أى كتكذيب أمتك لك كما أفاده المفسر (قوله إلا قالوا ساحر أو مجنون) تقدم أن أو بمعنى الواو ، وحكمة جمعهم بين الوصفين أن خروجه عن عوائدهم وعما عليه آباؤهم وعدم مبالاته بالجم الغفير اقتضى تسميته مجنونا وإتيانه بالمعجزات التى بهرت عقولهم اقتضت تسميته ساحرا (قوله أتواصوا به) أى أوصى بعضهم بعضا بهذه المقالة واجتمعوا عليها (قوله استفهام بمعنى النفى) أى فهو إنكار تعجبي والمعنى ماوقع منهم تواص بذلك لأنهم لم يتلاقوا فى زمان واحد (قوله بل هم قوم طاغون) إضراب عن الاستفهام المتقدم وبيان لحقيقة الباعث لهم على تلك المقالة (قوله فتولّ عنهم) أى أعرض عن خطابهم وجدالهم (قوله فما أنت بملوم) أى لالوم عليك فى الاعراض عنهم فانك قد بلغت الغاية فى النصح و بذل الجهد ، ولما نزلت هذه الآية حزن رسول الله واشتد الأمر على أصحابه وظنوا أن

الوحى قد انقطع وأن العذاب قد حضر إذ أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم وجرت عادة الله فى الأمم السابقة متى أمر رسولهم بالاعراض عنهم حل بهم العذاب فأنزل الله : وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فسروا بذلك ولذلك قيل إنها ناسخة لما قبلها ولكن الحقّ أن ماقبلها منسوخ بآية السيف (قوله فان الذكرى تنفع المؤمنين) تعليل لقوله ذكر والمعنى لاتترك التذكير فربما انتفع به من علم الله إيمانه ، ويؤخذ من الآية أن البلاء لاينزل بقوم وفيهم التذكرون لما ورد أن الله يطلع على عمار المساجد فيرفع العذاب عن مستحقيه (قوله إلا ليعبدون) أى لالطلب الدنيا والانهماك فيها (قوله ولا ينافى ذلك) أى الحصر المذكور وهو جواب عن سؤال مقدر حاصله أن الله تعالى حصر الجن والانس فى العبادة فمقتضاه أنه لايخرج أحد عنها مع أنه شوهد كثير من الخلق كفر وترك العبادة . فأجاب المفسر بأن اللام للغاية والعاقبة لاللعلة الباعثة لأن الله لايبعثه شىء على شىء ، وقوله فانك قد لاتكتب به اعترض بأن هذا مسلم فى أفعال المخلوقين لجهلهم بعواقب الأمور وأما فى حقّ الله تعالى فلا يصحّ التخلف فى فعله بل مقتضاه أنه عالم بأنهم سيعبدونه ولا بد ولا يمكن تخلفه فى البعض فالجواب الصحيح أن يقال إن الله تعالى خلق الخلق وجعلهم مهيئين صالحين للعبادة بأن ركب فيهم عقلا وحواس وجعلهم قابلين للعبادة والطاعة و بعد ذلك اختار لعبادته وطاعته من أحب منهم فلا يلزم من الصلاحية للعبادة وقوعها منهم بالفعل ، وقيل معنى ليعبدون لآمرهم وأكلفهم بعبادتى لاليهتموا بالرزق و ينهمكوا فى خدمة الدنيا وهذا على حد ـ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ـ وقيل معناه إلا ليوحدون فالمؤمن يوحده طوعا والكافر يوحده كرها ، وقيل إنه عام أريد به الخصوص ، والمعنى وما خلقت الجن والانس المؤمنين إلا ليعبدون بدليل القراءة الشاذة وما خلقت الجن والانس من المؤمنين (قوله ماأريد منهم من رزق لى ولا لأنفسهم) دفع المفسر بقوله لى مايتوهم من عادة سادات العبيد فى احتياجهم لمكاسب عبيدهم فالمعنى أن عادة الله سبحانه وتعالى ليست كعادة السادات مع عبيدهم فانهم يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم

(إِنِّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بيّن الإنذار (وَلاَ تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) يقدر قبل ففرّوا قل لهم (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا) هو (سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) أى مثل تكذيبهم لك بقولهم إنك ساحر أو مجنون تكذيب الأمم قبلهم رسلهم بقولهم ذلك (أَتَوَاصَوْا) كلهم (بِهِ) استفهام بمعنى النفى (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) جمعهم على هذا القول طغيانهم (فَتَوَلَّ) أعرض (عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) لأنك بلغتهم الرسالة (وَذَكِّرْ) عظ بالقرآن (فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) من علم الله تعالى أنه يؤمن (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) ولا ينافى ذلك عدم عبادة الكافرين لأن الغاية لا يلزم وجودها كما فى قولك : بريت هذا القلم لأكتب به فإنك قد لاتكتب به (مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ) لى ولا لأنفسهم وغيرهم ،

(وما

(قوله وما أريد أن يطعمون) إن قلت إن هذا يغنى عنه ماقبله . أجيب بأنه أتى به لدفع توهم ماعليه سادات العبيد الأغنياء من احتياجهم للاستعانة بهم فى صنع الطعام مثلا وتهيئته ونحو ذلك فكأنه قال شأن ربنا ليس كشأن السادات مع عبيدهم فليس محتاجا لعبيده فى تحصيل رزق ولا فى صنعه لاله ولا لغيره وهذا من تنزلات الحق سبحانه وتعالى لضعفاء العقول وإلا فيستحيل على الله عقلا تلك الأوصاف ولاينفى فى نفس الأمر إلا ماجوّزه العقل (قوله إن الله هو الرزاق) أتى بالاسم الظاهر للتفخيم والتعظيم وأكد الجملة بإنّ والضمير المنفصل لقطع أوهام الخلق فى أمور الرزق وليقوى اعتمادهم عليه (قوله المتين) العامة على رفعه وهو إما نعت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر وقرئ شذوذا بالجرّ (قوله الشديد) أى الذى لايطرأ عليه ضعف ولا عجز (قوله فان للذين ظلموا الخ) أى فلا تحزن على كفر قومك وتسلّ عنهم فلا بد لهم من العذاب (قوله ذنوبا) هو فى الأصل الدلو العظيم شبه به النصيب من العذاب إشارة إلى أنه يصب عليهم كما يصب الذنوب قال تعالى - يصب من فوق رءوسهم الحميم - (قوله أصحابهم) أى نظائرهم من الأمم السابقة (قوله فويل للذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميره تسجيلا عليهم بالكفر وإشارا بعلة الحكم (قوله شدة عذاب) وقيل واد فى جهنم (قوله الذى يوعدون) هو مرتبط بقوله تعالى فيما تقدم - إنما توعدون لصادق - الخ

(وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ) ولا أنفسهم ولا غيرهم (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) الشديد (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بالكفر من أهل مكة وغيرهم (ذَنُوبًا) نصيباً من العذاب (مِثْلَ ذَنُوبِ) نصيب (أَصْحَابِهِمْ) الهالكين قبلهم (فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ) بالعذاب إن أخرتهم إلى يوم القيامة (فَوَيْلٌ) شدة عذاب (لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ) فى (يَوْمِهِمُ الَّذِى يُوعَدُونَ) أى يوم القيامة .

(سورة الطور)

مكية ، وهى تسع وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالطُّورِ) أى الجبل الذى كلم الله عليه موسى (وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ . فِى رَقٍّ مَنْشُورٍ) أى التوراة أو القرآن (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) هو فى السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة بحيال الكعبة يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة لايعودون إليه أبداً (وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) أى السماء ،

[فائدة] قد تلقينا عن الصالحين فوائد فى استعمال هذه السورة العظيمة كلها مجربة : منها استعمالها إحدى وأربعين مرة على وضوء فى مجلس واحد لتفريج السجن وقضاء الدين وتيسير الرزق والانتصار على الخصم والأمن من كلّ هول دنيا وأخرى واستعمالها ستين مرة عدد آياتها أبلغ فى تلك المطالب .

[سورة الطور مكية]

وفى نسخة والطور (قوله والطور الخ) أقسم الله سبحانه وتعالى بخمسة أقسام تعظيما للمقسم عليه وهو قوله إن عذاب ربك لواقع وتعظيما للمقسم به أيضا فان تلك الأشياء الخمسة عظيمة والواو فى كل إما للقسم أو للعطف فيما عدا الأول (قوله أى الجبل الذى كلم الله عليه موسى) أى والمراد به طور سيناء وهو أحد جبال الجنة وأقسم الله به تشريفا له وتكريما (قوله وكتاب مسطور) أى متفق الكتابة بسطور مصفوفة فى حروف مترتبة جامعة لكلمات متفقة (قوله فى رق منشور) الرقّ الجلد الرقيق الذى يكتب فيه ، وقيل كل ما يكتب فيه جلدا كان أو غيره وهو بفتح الراء فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بكسرها ، ومعنى المنشور المبسوط : أى أنه غير مطوىّ وغير محجور عليه (قوله أى التوراة أو القرآن) هذان قولان من جملة أقوال كثيرة فى تفسير الكتاب المسطور ، وقيل هو صحائف الأعمال قال تعالى - ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا - وقيل سائر الكتب المنزلة على الأنبياء وقيل غير ذلك (قوله هو فى السماء الثالثة) وقيل هو فى الأولى ، وقيل هو فى الرابعة ، وقيل هو تحت العرش فوق السابعة ، وقيل هو الكعبة نفسها وعمارتها بالحجاج والزائرين لها لما ورد أن الله يعمره كلّ سنة بستمائة ألف فان عجز الناس عن ذلك أتمه الله بالملائكة (قوله بحيال الكعبة) أى مقابلا لها بازائها على كلّ قول (قوله يزوره الخ) بيان لتسميته معمورا (قوله أى السماء) أى لأنها كالسقف للأرض ، وقيل هو العرش وهو سقف الجنة .

(قوله والبحر المسجور) أى وهو البحر المحيط ومعنى المسجور الممتلئ ماء ، وقيل البحر المسجور هو الممتلئ نارا لما ورد أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها فى نار جهنم ، وقيل هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحا فينبتون من قبورهم (قوله معمول لواقع) أى والجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله (قوله تتحرك وتدور) أى كدوران الرحى وتجىء وتذهب ويدخل بعضها فى بعض وتختلف أجزاؤها وتتكفأ بأهلها تكفأ السفينة (قوله تصير هباء منثورا) ليس تفسيرا لتسير كما توهمه عبارته بل معناه أنها تنتقل عن مكانها وتطير فى الهواء ثم تقع على الأرض متفتتة كالرمل ثم تصير كالعهن : أى الصوف المندوف ثم تطيرها الرياح فتصير هباء منثورا ، والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الاعلام بأنه لا رجوع ولا عود إلى الدنيا وذلك لأن الأرض والسماء وما بينهما إنما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بنى آدم بذلك ، فلما لم يبق لهم عود إليها أزالها الله لخراب الدنيا وعمارة الآخرة فيحصل للمؤمنين مزيد السرور وطمأنينة وللكافرين غاية الحزن والكروب (قوله فويل يومئذ) أى يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا وهو يوم القيامة (قوله فى خوض) هو فى الأصل الدخول فى كل شىء ثم غلب على الدخول فى الباطل فلذا فسره به (قوله يدعون) العامة على فتح الدال وتشديد العين من دعه دفعه فى صدره بعنف وشدة وقرئ شذوذا بسكون الدال وتخفيف العين المفتوحة من الدعاء أى يقال لهم هلموا فادخلوا النار (قوله يدفعون بعنف)

(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) أى المملوء (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) لنازل بمستحقه (مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ) عنه (يَوْمَ) معمول لواقع (تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) تتحرك وتدور (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) تصير هباء منثوراً وذلك فى يوم القيامة (فَوَيْلٌ) شدة عذاب (يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) الرسل (الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ) باطل (يَلْعَبُونَ) أى يتشاغلون بكفرهم (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) يدفعون بعنف بدل من يوم تمور ، ويقال لهم تبكيتاً (هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ . أَفَسِحْرٌ هَٰذَا) العذاب الذى ترون كما كنتم تقولون فى الوحى هذا سحر (أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ . اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا) عليها (أَوْ لَا تَصْبِرُوا) صبركم وجزعكم (سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ) لأن صبركم لا ينفعكم (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أى جزاءه (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ . فَاكِهِينَ) متلذذين (بِمَا) مصدرية (آتَاهُمْ) أعطاهم (رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) عطفا على آتاهم أى بإتيانهم ووقايتهم ويقال لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا) حال أى مهنئين

أى وذلك بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار (قوله كما كنتم تقولون فى الوحى) أى القرآن الجائى بالعذاب (قوله أم أنتم لا تبصرون) يصح أن تكون أم متصلة معادلة للهمزة ، والمعنى هل فى أمرنا سحر أم هل فى بصركم خلل والاستفهام إنكارى وتهكمى أى ليس واحد منهما ثابتا ويصح أن تكون أم منقطعة تفسر ببل والهمزة ، والمعنى أبل أنتم عمى عن العذاب المخبر به كما كنتم عميا عن الخبر (قوله اصلوها) أى ذوقوا حرارتها (قوله صبركم وجزعكم سواء) أشار بذلك إلى أن سواء خبر لمحذوف ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف والتقدير سواء الصبر والجزع والأول أولى لأن جعل النكرة خبرا أولى من جعلها مبتدأ (قوله لأن صبركم لا ينفعكم) أى لا ينزعكم من ديوان الرحمة بخلاف الدنيا فان الصبر فيها على المكاره من أعظم موجبات الرحمة (قوله إنما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل لاستواء الصبر وعدمه (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله إن المتقين فى جنات الخ) مقابل قوله ـ ويل يومئذ للمكذبين ـ وإنما أتى بأوصاف المتقين عقب أوصاف المكذبين ليحصل الترغيب والترهيب كما هو عادته سبحانه وتعالى (قوله ونعيم) أى تنعم بتلك الجنات إذ لا يلزم من كونه فى جنات أنه يتنعم بها فأفاد أنهم مع كونهم فى جنات يتنعمون ويتفكهون بها (قوله فاكهين) العامة على قراءته بالألف أى ذوى فاكهة كثيرة كما يقال لابن وتامر أى ذو لبن وتمر وقرئ شذوذا فكهين بغير ألف : أى متنعمين متلذذين إذا علمت ذلك ، فالمناسب للمفسر تفسيره بذوى فاكهة لا بمتلذذين (قوله أى باتيانهم ووقايتهم) إنما جعلها مصدرية فى المعطوف والمعطوف عليه لما يلزم عليه من خلو الصلة فى المعطوف عن العائد لو جعلت موصولة والأحسن أن تجعل موصولة ويجعل قوله وقاهم معطوفا على قوله فى جنات .

(قوله بما كنتم تعملون) ما مصدرية والباء سببية ، والمعنى أن الملائكة تقول لأهل الجنة كلوا واشربوا متهنئين بسبب عملكم وهذا من مزيد السرور والتكرمة على حسب عادة الكرام فى منازلهم وإلا فذلك من فضل الله وإحسانه (قوله على سرر) جمع سرير . قال ابن عباس هى سرر من ذهب مكللة بالدر والزبرجد والياقوت والسرير كما بين مكة وأيلة ، وورد أن ارتفاع السرير خمسمائة عام فاذا أراد العبد أن يجلس عليها قربت منه فاذا جلس عليها عادت إلى حالها وفى الكلام حذف تقديره على نمارق على سرر (قوله أى قرناهم) أى جعلناهم مقارنين لهن وفى ذلك إشارة إلى جواب سؤال مقدر تقديره إن الحور العين فى الجنات مملوكات بملك اليمين لا بعقد النكاح . فأجاب بأن التزويج ليس بمعنى عقد النكاح بل بمعنى المقارنة (قوله عظام الأعين) تفسير لعين جمع عيناء ، وأما الحور فهو من الحور وهو شدة البياض (قوله والذين آمنوا) مبتدأ خبره قوله : ألحقنا بهم ذرياتهم ، والذرية تطلق على الأصول والفروع قال تعالى : وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ، والمعنى أن المؤمن إذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه فى العمل ابنا كان أو أبا ، ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان حصل مع المحبة تعليم علم أو عمل كان أحق باللحوق كالتلامذة فانهم يلحقون بأشياخهم وأشياخ الأشياخ يلحقون بالأشياخ إن كانوا دونهم فى العمل ، والأصل فى ذلك عموم قوله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أهل الجنة الجنة سأل أحدهم عن أبويه وعن زوجته وولده فيقال إنهم لم يدركوا ما أدركت فيقول يارب إنى عملت لى ولهم فيؤمر بالحاقهم به » (قوله بفتح اللام وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان فالأولى من باب علم والثانية من باب ضرب (قوله من زائدة) أى فى المفعول الثانى (قوله يزاد فى عمل الأولاد) أى لم نأخذ من عمل الآباء شيئا نجعله للأولاد فيستحقون به هذا الاكرام بل عمل الآباء باق لهم بتمامه وإلحاق الذرية بهم بمحض الفضل والكرم (قوله رهين) أى مرهون عند الله تعالى كأن نفس العبد مرهونة عند الله بعمله الذى هو مطالب به فان عمل صالحا فكها من الرهن وإلا أهلكها كما يرهن الرجل رقبة عبده بدين عليه فان وفى ماعليه خلص رقبته من الرهن وإلا استمر مرهونا (قوله فى وقت بعد وقت) أخذه من لفظ الامداد (قوله وإن لم يصرحوا بطلبه) أى بل بمجرد مايخطر ببالهم يقدم إليهم لما ورد « أن الرجل يشتهى الطير فى الجنة فيخر مثل البختى حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير » (قوله يتعاطون بينهم) أى يتجاذب بعضهم الكأس من بعض ويناول بعضهم بعضا تلذذا وتأنسا وهو المؤمن وزوجاته وخدمه فى الجنة (قوله كأسا) الكأس هو إناء الخمر وكل كأس مملوء بشراب أو غيره فاذا فرغ لم يسم كأسا (قوله غلمان أرقاء لهم) أى كالأرقاء فى الحيازة والاستيلاء وهؤلاء الغلمان يخلقهم الله فى الجنة كالحور ، وقيل هم الأولاد من أطفالهم الذين سبقوهم فأقر الله تعالى أعينهم بهم ، وقيل هم أولاد المشركين ، وليس فى الجنة نصب ولاحاجة إلى خدمة بل هو من مزيد التنعم . قال عبد الله بن عمر : مامن أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام وكل غلام على عمل غير ما عليه صاحبه . وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلا هذه الآية قالوا يارسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم ؟ قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على

(بِمَا) الباء سببية (كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . مُتَّكِئِينَ) حال من الضمير المستكن فى قوله تعالى : فى جنات (عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ) بعضها إلى جنب بعض (وَزَوَّجْنَاهُمْ) عطف على فى جنات أى قرناهم (بِحُورٍ عِينٍ) عظام الأعين حسانها (وَالَّذِينَ آمَنُوا) مبتدأ (وَأَتْبَعْنَاهُمْ) معطوف على آمنوا (ذُرِّيَّتُهُمْ) الصغار والكبار (بِإِيمَانٍ) من الكبار ومن الآباء فى الصغار والخبر (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) المذكورين فى الجنة فيكونون فى درجتهم وإن لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع الأولاد إليهم (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ) بفتح اللام وكسرها : نقصناهم (مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) يزاد فى عمل الأولاد (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ) عمل من خير أو شر (رَهِينٌ) مرهون يؤاخذ بالشر ويجازى بالخير (وَأَمْدَدْنَاهُمْ) زدناهم فى وقت بعد وقت (بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) وإن لم يصرحوا بطلبه (يَتَنَازَعُونَ) يتعاطون بينهم (فِيهَا) أى الجنة (كَأْسًا) خمرا (لَا لَغْوٌ فِيهَا) أى بسبب شربها يقع بينهم (وَلَا تَأْثِيمٌ) به يلحقهم بخلاف خمر الدنيا (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ) للخدمة (غِلْمَانٌ) أرقاء (لَهُمْ كَأَنَّهُمْ) حسنا ولطافة (لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ) :

سائر الكواكب » وروى « إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك » وطواف الغلمان عليهم بالفواكه والتحف والشراب قال تعالى : يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب . يطاف عليهم بكأس من معين (قوله مصون فى الصدف) جمع صدفة وهى غشاء الدرّ (قوله عما كانوا عليه) أى فى الدنيا (قوله وما وصلوا إليه) أى من نعيم الجنة (قوله قالوا) أى قال المسئول للسائل (قوله إيماء) أى إشارة (قوله إلى علة الوصول) أى ومحطها قوله : فمنّ الله علينا (قوله إنا كنا قبل فى أهلنا الخ) أى وشأن من كان فى أهله وعزوته أن يكون آمنا فخوفهم من الله فى تلك الحالة دليل على خوفهم فى غيرها بالأولى فهم دائما خائفون ويحتمل أن قوله : مشفقين من الشفقة وهى الرفق أى نرفق بأهلنا وغيرهم (قوله لدخولها فى المسام) هذا بيان لوجه تسميتها سموما فالسموم من أسماء جهنم وهى فى الأصل الريح الحارة التى تتخلل المسام (قوله وقالوا إيماء أيضا) أى إلى علة وصولهم إلى النعيم ومحط العلة قوله : إنه هو البرّ الرحيم (قوله أى

مصون فى الصدف لأنه فيها أحسن منه فى غيرها (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) يسأل بعضهم بعضا عما كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذذا واعترافا بالنعمة (قَالُوا) إيماء إلى علة الوصول (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا) فى الدنيا (مُشْفِقِينَ) خائفين من عذاب الله (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا) بالمغفرة (وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) أى النار لدخولها فى المسامّ وقالوا إيماء أيضاً (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ) أى فى الدنيا (نَدْعُوهُ) أى نعبده موحدين (إِنَّهُ) بالكسر استئنافا وإن كان تعليلا معنى ، وبالفتح تعليلا لفظاً (هُوَ الْبَرُّ) المحسن الصادق فى وعده (الرَّحِيمُ) العظيم الرحمة (فَذَكِّرْ) دم على تذكير المشركين ولا ترجع عنه لقولهم لك : كاهن مجنون (فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ) أى بإنعامه عليك (بِكَاهِنٍ) خبر ما (وَلَا مَجْنُونٍ) معطوف عليه (أَمْ) بل (يَقُولُونَ) هو (شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء (قُلْ تَرَبَّصُوا) هلاكى (فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ) هلاككم فعذبوا بالسيف يوم بدر ، والتربص الانتظار (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ) عقولهم (بِهَذَا) أى قولهم له ساحر كاهن شاعر مجنون ، أى لا تأمرهم بذلك (أَمْ) بل (هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) بعنادهم (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ) اختلق القرآن ، لم يختلقه (بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ) استكباراً ، فإن قالوا اختلقه (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ) مختلق (مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) فى قولهم (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ) أى خالق (أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) أنفسهم ،

نعبده) أى أو نسأله الوقاية من النار ودخول دار القرار (قوله وبالفتح تعليلا لفظا) أى والقراءتان سبعيتان (قوله بنعمت ربك) الباء سببية مرتبطة بالنفى المستفاد من ما ، والمعنى انتفى كونك كاهنا أو مجنونا بسبب إنعام الله عليك بكمال العقل وعلو الهمة والعصمة (قوله بكاهن) أى مخبر بالأمور المغيبة من غير وحى (قوله خبر ما) أى فهى حجازية والباء زائدة فى خبرها (قوله أم يقولون شاعر) اعلم أن أم ذكرت فى هذه الآيات خمس عشرة مرة وكلها تقدر ببل والهمزة فهى للاستفهام الانكارى التوبيخى ، إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقدرها فى الجميع ببل والهمزة ولا (قوله حوادث الدهر) فى الكلام استعارة تصريحية حيث شبهت حوادث الدهر بالريب الذى هو الشك بجامع التحير وعدم البقاء على حالة واحدة فى كل ، وقيل المنون المنية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد (قوله قل تربصوا) أمر تهديد على حد اعملوا ما شئتم (قوله أم تأمرهم أحلامهم) جمع حلم يطلق على الأناة وعلى العقل وهو المراد هنا (قوله أى قولهم له ساحر كاهن شاعر مجنون) أى وهذا تناقض فان شأن الكاهن أن يكون ذا فطنة ورأى ، وشأن الشاعر والساحر كذلك ، ونسبتهم الجنون له بعد ذلك مناقضة (قوله أى لا تأمرهم) أشار بذلك إلى أن الاستفهام المستفاد من أم إنكارى وفيه توبيخ أيضا (قوله أم بل هم قوم طاغون) المناسب للمفسر أن يقدر أم ببل والهمزة ليوافق قوله فيما يأتى والاستفهام بأم فى مواضعها الخ ، والمعنى لا ينبغى منهم هذا الطغيان (قوله لم يختلقه) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله فليأتوا بحديث مثله) جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله : فان قالوا اختلقه والأمر للتعجيز .

(قوله ولا يعقل مخلوق بدون خالق) راجع لقوله خلقوا من غير شيء. وقوله ولا معدوم يخلق راجع لقوله أم هم الخالقون، والمعنى أنهم لو كانوا هم الخالقين لأنفسهم وأنفسهم كانت معدومة أولا لزم أن يكونوا في حالة العدم أوجدوا أنفسهم وأخرجوها من العدم فيكون للعدوم خالقا وهذا لا يعقل (قوله وإلا لآمنوا بنبيه) أي فحيث لم يترتب على إيقانهم بالله إقبال على توحيده وتصديق نبيه جعل إيقانهم كالعدم وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله أم عندهم خزائن ربك) لم يبين أن الاستفهام إنكاري مع أنه كذلك. والمعنى ليس عندهم خزائن ربك والمراد بخزائنه مقدوراته شبهت بها لأن خزانة الملوك بيت مهيأ لجمع أنواع مختلفة من الذخائر التي يحتاج إليها (قوله أم هم المسيطرون) اعلم أنه لم يأت على وزن مفيعل إلا خمسة ألفاظ أربعة صفة اسم فاعل مهيمن ومبيقر ومبيطر ومسيطر وواحد اسم جبل وهو محيمر (قوله المتسلطون) أي الغالبون على الأشياء يدبرونها كيف شاءوا (قوله ومثله بيطر) أي عالج الدواب ومنه البيطار وقوله و بيقر أي أفسد وأهلك فالحاصل أن معنى المهيمن الرقيب والمبيقر المفسد والمسيطر المتسلط الجبار والمبيطر المعالج للدواب (قوله أي عليه كلام الملائكة) أشار بذلك إلى أن مفعول يستمعون محذوف وفي بمعنى على (قوله بزعمهم) متعلق بقوله يستمعون فيه

ولا يعقل مخلوق بدون خالق ولا معدوم يخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه (أَمْ خَلَقُوا السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ) ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق فلم لا يعبدونه (بَل لَّا يُوقِنُونَ) به وإلا لآمنوا بنبيه (أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاءوا بما شاءوا (أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ) المتسلطون الجبارون وفعله سيطر ومثله بيطر و بيقر (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ) مرقى إلى السماء (يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) أي عليه كلام الملائكة حتى يمكنهم منازعة النبي بزعمهم، إن ادعوا ذلك (فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم) أي مدعى الاستماع عليه (بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) بحجة بينة واضحة، ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال تعالى (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ) أي بزعمكم (وَلَكُمُ الْبَنُونَ) تعالى الله عما زعموه (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا) على ما جئتهم به من الدين (فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ) غرم ذلك (مُّثْقَلُونَ) فلا يسلمون (أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ) أي علمه (فَهُمْ يَكْتُبُونَ) ذلك حتى يمكنهم منازعة النبي صلى الله عليه وسلم في البعث وأمور الآخرة بزعمهم (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا) بك ليهلكوك في دار الندوة (فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ) المغلوبون المهلكون فحفظه الله منهم ثم أهلكهم ببدر (أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) به من الآلهة والاستفهام بأم في مواضعها للتقبيح والتوبيخ (وَإِن يَرَوْا كِسْفًا) بعضا (مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا) عليهم كما قالوا:

(قوله إن ادعوا ذلك) أي الاستماع من الملائكة. المعنى إن فرض أنهم ادعوه فليأت مستمعهم الخ (قوله ولشبه هذا الزعم الخ) أشار بذلك إلى وجه المناسبة بين الآيتين ووجه الشبه بين الزعمين أن كلا منهما فاسد وإن كان الزعم الأول فرضيا والثاني تحقيقيا لوقوعه منهم (قوله أي بزعمكم) أي دعواكم واعتقادكم (قوله ولكم البنون) أي لتكونوا أقوى منه فاذا كذبتم رسله تكونون آمنين لقوتكم بالبنين وزعمكم ضعفه بالبنات (قوله تعالى الله عما زعموه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري (قوله مثقلون) أي متعبون ومغتمون لأن العادة أن من غرم شخصا مالا يكون المأخوذ منه كارها للآخذ ومغتما منه (قوله أم عندهم الغيب) جواب لقولهم نتربص به ريب المنون، والمعنى أعندهم علم الغيب بأن الرسول يموت قبلهم فهم يكتبون ذلك (قوله أم يريدون كيدا) أي مكرا وتحيلا في هلاكك (قوله في دار الندوة) إن قلت السورة مكية والاجتماع بدار الندوة كان ليلة الهجرة فالتقييد بها مشكل فالأوضح حذف قوله في دار الندوة لأن إرادة الكيد حاصلة منهم من يوم بعثته صلى الله عليه وسلم (قوله فالذين كفروا) أوقع الظاهر موقع المضمر تشنيعا وتقبيحا عليهم بصفة الكفر (قوله ثم أهلكهم ببدر) أي أهلك رؤساءهم وهم سبعون (قوله سبحان الله عما يشركون) أي تنزه الله عما ينسبونه له من الشركة في الألوهية (قوله والاستفهام بأم) أي المقدرة ببل والهمزة أو بالهمزة وحدها وقوله في مواضعها أي وهي خمسة عشر (قوله للتقبيح والتوبيخ) أي والإنكار (قوله وإن يروا كسفا) أي على فرض حصوله فإنه لم يحصل لقوله تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، والمعنى لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء عليهم لم ينتهوا ولم يرجعوا ويقولون في هذا النازل عنادا

فأسقط علينا كسفاً من السماء أي تعذيباً لهم (يَقُولُوا) هذا (سَحَابٌ مَرْكُومٌ) متراكب نرتوى به ولا يؤمنوا (فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ) يموتون (يَوْمَ لَا يُغْنِي) بدل من يومهم (عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) يمنعون من العذاب فى الآخرة (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) بكفرهم (عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ) أى فى الدنيا قبل موتهم فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين و بالقتل يوم بدر (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن العذاب ينزل بهم (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) بإمهالهم ولا يضق صدرك (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا نراك ونحفظك (وَسَبِّحْ) متلبساً (بِحَمْدِ رَبِّكَ) أى قل سبحان الله و بحمده (حِينَ تَقُومُ) من منامك أو من مجلسك (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) حقيقة أيضاً (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) مصدر أى عقب غروبها سبحه أيضا ، أو صلّ فى الأول العشاءين وفى الثانى الفجر ، وقيل الصبح .

(سورة النجم)

مكية ، ثنتان وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالنَّجْمِ) الثريا (إِذَا هَوَىٰ) غاب ،

واستهزاء و إغاظة لمحمد إنه سحاب مركوم (قوله فأسقط علينا كسفا) هذه الآية إنما وردت فى قوم شعيب كما ذكر فى سورة الشعراء ، فكان الأولى للمفسر أن يستدل بما نزل فى قريش فى سورة الإسراء وهو قوله : أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا (قوله فذرهم) جواب شرط مقدّر ، والمعنى إذا بلغوا فى العناد إلى هذا الحدّ وتبين أنهم لايرجعون عن الكفر فدعهم ولا تلتفت لهم (قوله يصعقون) هكذا ببنائه للفاعل والمفعول قراءتان سبعيتان (قوله يموتون) أى بانقضاء آجالهم فى بدر أو غيرها هذا هو الأحسن (قوله من العذاب فى الآخرة) المراد به العذاب الذى يأتى بعد الموت (قوله دون ذلك) أى قبل العذاب الذى يأتيهم بعد الموت وذلك صادق كما قال المفسر بالجوع والقحط والقتل يوم بدر (قوله ولكن أكثرهم لايعلمون) أى لتزيين الشيطان لهم ماهم عليه والمراد بالأكثر من سبق فى علم الله شقاوه (قوله بمرأى منا) أى فأطلقت الأعين وأريد لازمها وهو إبصار الشىء والإحاطة به علما وقربا فيلزم منه مزيد الحفظ المرئى الذى هو المراد ، وعبر هنا بالجمع لمناسبة نون المعظمة بخلاف ما ذكر فى سورة طه فى قوله ولتصنع على عينى (قوله من منامك) أى فقد ورد عن عائشة قالت : « كان إذا قام أى استيقظ من منامه كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال : اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى وكان يتعوّذ من ضيق المقام يوم القيامة » وفى رواية « كان صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ من منامه قرأ العشر الآيات من آخر آل عمران » (قوله أو من مجلسك) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كان كفارة لما بينهما » وفى رواية « كان كفارة له » (قوله أى عقب غروبها) المراد بغروبها ذهاب ضوئها بغلبة ضوء الصبح عليه وإن كانت باقية فى السماء وذلك بطلوع الفجر (قوله أو صلّ فى الأول) أى الليل فهذا راجع لقوله ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ، وأما وسبح بحمد ربك حين تقوم فالمراد به حقيقة التسبيح على كل حال (قوله وفى الثانى الفجر) أى الركعتين اللتين هما سنة الصبح وقوله وقيل الصبح أى فريضة صلاة الصبح .

[سورة النجم مكية] أى كلها ، وقيل إلا قوله تعالى ـ الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ـ الآية ، وقيل كلها مدنى وردّ بما روى أنها أوّل سورة أعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وسجد فيها وسجد معه المسلمون والمشركون زعما منهم أنه يمدح آلهتهم ، واعلم أن بين أوّل هذه السورة وآخر ماقبلها مناسبة فانه تعالى قال فى آخر تلك ـ و إدبار النجوم ـ وقال فى أوّل هذه ـ والنجم إذا هوى ـ (قوله والنجم إذا هوى) اختلف ، فى تفسير النجم فمشى المفسر على أنه الثريا وهى عدّة نجوم بعضها ظاهر وبعضها خفىّ وكان صلى الله عليه وسلم يراها أحد عشر نجما ، ومعنى هويه غيبوبته عند طلوع الفجر ، وقيل المراد به أى نجم ، وقيل المراد به جميع النجوم ، وقيل هو الزهرة ، وقيل الشعرى ، وقيل القرآن ، ومعنى هوى نزل لأنه نزل منجما على ثلاث وعشرين سنة ، وقيل هو

محمد ومعنى هوى نزل من المعراج وقيل جبريل ، ومعنى هوى نزل بالوحى . واختلف فى عامل الظرف فقيل معمول لمحذوف تقديره أقسم بالنجم وقت هويه واستشكل بأن فعل القسم إنشاء والانشاء حال و إذا لما يستقبل من الزمان فكيف يعمل الانشاء فى المستقبل . وأجيب بأنه يتوسع فى الظروف مالايتوسع فى غيرها أو قصد منها مجرد الظرفية الصادق بالماضى والحال والاستقبال لأنها قد تأتى للحال والماضى وقيل عامله حال من النجم محذوفة والتقدير أقسم بالنجم حال كونه مستقرا فى زمان هويه و يأتى فيه الاشكال والجواب المتقدمان ويجاب أيضا بأن تجعل الحال مقدرة (قوله ماضل صاحبكم) هذا هو جواب القسم وعبر بلفظ الصحبة تبكيتا لهم وإشعارا بأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فلا يليق منهم نسبته للنقص (قوله عن طريق الهدى) أشار بذلك إلى أن الضلال مخالف للغى فالضلال فعل العاصى والغى هو الجهل المركب وقيل الضلال فى العلم والغى فى الأفعال وقيل هما مترادفان (قوله من اعتقاد فاسد) أى ناشىء وحاصل (قوله عن الهوى) متعلق بينطق والمعنى مايصدر نطقه عن هوى نفسه ومثله الفعل بل وجميع أحواله وهو مفرع على ما قبله لأنه إذا علم تنزهه عن الضلال والغواية تفرع عليه أنه لاينطق عن هواه قرآنا أو غيره (قوله إن هو) الضمير عائد على النطق المأخوذ من ينطق ، والمعنى مايتكلم به من القرآن وغيره ومثل النطق الفعل وجميع أحواله فهو صلى الله عليه وسلم لاينطق ولا يفعل إلا بوحى من الله تعالى لا عن هوى نفسه (قوله يوحى) الجملة صفة لوحى أتى بها لرفع توهم المجاز كأنه قال هو وحى حقيقة لامجرد تسمية (قوله علمه إياه) الضمير المذكور هو المفعول الأول عائد على النبي والثاني الذى قدره المفسر عائد على لوحى (قوله شديد القوى) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله ملك وهو جبريل عليه السلام ومن شدة قوته اقتلاعه مدائن قوم لوط ورفعها إلى السماء وقلبها وصياحه على قوم ثمود ونتقه الجبل على بنى إسرائيل وهذه الشدة حاصلة فيه ولو تشكل بصورة الآدميين لأنها لا تحكم عليهم الصورة وهذا قول الجمهور وقيل المراد به الرب سبحانه وتعالى والمراد بالقوى فى حقه تعالى صفات الاقتدار كالكبرياء والعظمة (قوله ذو مرة) أى قوة باطنية وعزم وسرعة حركة فغاير ماقبله فجبريل أعطاه الله قوة ظاهرية وقوة باطنية وقيل المرة وفور العلم وقيل الجمال (قوله فاستوى) عطف على قوله علمه شديد القوى (قوله وهو بالأفق الأعلى) الجملة حالية (قوله وكان) أى النبي صلى الله عليه وسلم (قوله وكان قد سأله الخ) تعليل لقوله فاستوى وذلك أن جبريل كان يأتى النبي صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما يأتى إلى الأنبياء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه التى جعله الله عليها فأراه نفسه مرتين مرة بالأرض ومرة بالسماء ولم يره أحد من الأنبياء على صورته التى خلق عليها إلا نبينا صلى الله عليه وسلم (قوله فنزل جبريل) عطف على قوله نخر مغشيا عليه (قوله زاد فى القرب) أى فالكلام باق على ظاهره وقيل فى الكلام قلب والأصل فتدلى ثم دنا ومعنى تدلى رجع لصورته الأصلية (قوله فكان قاب قوسين) فى الكلام حذف والأصل فكان مقدار مسافة قربه منه مثل مقدار مسافة قاب قوسين والقاب القدر وقيل هو مابين المقبض والطرف ولكل قوس قابان فأصل الكلام فكان قابى قوس فحصل فى الكلام قلب (قوله أو أدنى) أو بمعنى بل نظير قوله تعالى ـ أو يزيدون ـ أو على بابها والشك بالنسبة للرائى والمعنى إذا نظرت إليه وهو فى تلك الحالة تتردد بين المقدارين (قوله حتى أفاق) غاية لمحذوف أى ضمه إليه حتى أفاق روى «أنه لما أفاق قال ياجبريل ماظننت أن الله خلق أحدا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد : إنما

(مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ) محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق الهدى (وَمَا غَوَى) مالابس الغى وهو جهل من اعتقاد فاسد (وَمَا يَنْطِقُ) بما يأتيكم به (عَنِ الْهَوَى) هوى نفسه (إِنْ) ما (هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) إليه (عَلَّمَهُ) إياه ملك (شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ) قوة وشدة ، أو منظر حسن أى جبريل عليه السلام (فَاسْتَوَى) استقر (وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى) أفق الشمس : أى عند مطلعها على صورته التى خلق عليها فرآه النبي صلى الله عليه وسلم وكان بحراء قد سد الأفق إلى المغرب نخر مغشياً عليه وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التى خلق عليها فواعده بحراء فنزل جبريل له فى صورة الآدميين (ثُمَّ دَنَا) قرب منه (فَتَدَلَّى) زاد فى القرب (فَكَانَ) منه (قَابَ) قدر (قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) من ذلك حتى أفاق وسكن روعه

نشرت جناحين من أجنحتى وإن لى ستمائة جناح سعة كل جناح

مابين المشرق والمغرب ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنّ هذا لعظيم ، فقال جبريل : وما أنا فى جنب خلق الله إلا يسير ، ولقد خلق الله إسرافيل له ستمائة جناح كل جناح منها قدر جميع أجنحتى و إنه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوصع » أى العصفور الصغير . وهذا على كلام الجمهور . وأما على أن المراد به الرب سبحانه وتعالى فمعنى الاستواء الاستعلاء والقهر ومعنى الدنو والتدلى تجليه بصفة الجمال والمحبة لعبده على حدّ ماقيل فى «ينزل ربنا كل ليلة» (قوله فأوحى إلى عبده ماأوحى) هـذا مفرع على قوله وما ينطق عن الهوى ومشى المفسر على أن الضمير فى أوحى الأول عائد على الله تعالى والمراد بالعبد جبريل والضمير فى أوحى الثانى عائد على جبريل وهو احتمال من ثمانية أفادها العلامة الأجهورى . وحاصلها أن يقال الضمير فى أوحى الأول إما عائد على الله أو جبريل والثانى كذلك فهذه أربع وفى كل منها إما أن يراد بالعبد جبريل أو محمد فهذه ثمان اثنان منها فاسدان وهما أن يجعل الضمير فى أوحى الأول عائدا على جبريل ويراد بالعبد جبريل سواء جعل الضمير فى أوحى الثانى عائدا على الله أو جبريل وباقيها صحيح والأنسب بمقام المدح أن يعود الضمير فى أوحى الأول والثانى على الله والمراد بالعبد محمد عليه الصلاة والسلام والمعنى أوحى الله إلى عبده محمد ما أوحاه الله إليه من العلوم والأسرار والمعارف التى لا يحصيها إلا معطيها بواسطة جبريل وبغير واسطته حين فارقه عند الرفرف (قوله ولم يذكر الموحى به تفخيما لشأنه) أى وإشارة إلى عمومه واختلف فى هذا الموحى به فقيل مبهم لانطلع عليه وإنما يجب علينا الايمان به إجمالا وقيل هو معلوم وفى تفسيره خلاف ، فقيل أوحى الله إليه : ألم أجدك يتيما فآويتك ، ألم أجدك ضالا فهديتك ، ألم أجدك عائلا فأغنيتك ، ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك ، وقيل أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يامحمد وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان . فالمعنى على التشديد أن ما رآه محمد بعينه صدقه قلبه ولم ينكره والتخفيف قيل كذلك وقيل هو على إسقاط الخفض والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رآه

(فَأَوْحَى) تعالى (إِلَى عَبْدِهِ) جبريل (مَا أَوْحَى) جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الموحى به تفخيما لشأنه (مَا كَذَبَ) بالتخفيف والتشديد أنكر (الْفُؤَادُ) فؤاد النبى (مَا رَأَى) ببصره من صورة جبريل (أَفَتُمَارُونَهُ) تجادلونه وتغلبونه (عَلَى مَا يَرَى) خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل (وَلَقَدْ رَآهُ) على صورته (نَزْلَةً) مرة (أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) ،

(قوله من صورة جبريل) بيان لما رأى وهذا أحد قولين وقيل لما هو الله عز وجل وعليه فقد رأى ربه مرتين مرة فى مبادئ البعثة ومرة ليلة الاسراء ، واختلف فى تلك الرؤية فقيل رآه بعينه حقيقة وهو قول جمهور الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وأنس بن مالك والحسن وغيرهم وعليه قول العارف البرعى :

وإن قابلت لفظة لن ترانى ... بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فموسى خرّ مغشــيا عليــه ... وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

وقيل لم يره بعينه وهو قول عائشة رضى الله عنها والصحيح الأول لأن المثبت مقدم على النافى أو لأن عائشة لم يبلغها حديث الرؤية لكونها كانت حديثة السن (قوله أفتمارونه) بضم التاء وبالألف بعد الميم من ماراه جادله وغالبه أو بفتح التاء وسكون الميم من غير ألف من مريته حقه إذا علمته وجحدته إياه قراءتان سبعيتان (قوله على مايرى) أى على مارآه وهو جبريل على كلام المفسر وذات الله تعالى على كلام غيره وعبر بالمضارع استحضارا للحالة البعيدة فى ذهن المخاطبين (قوله ولقد رآه) اللام للقسم وقوله مرة أشار بذلك إلى أن نزلة منصوب على الظرفية (قوله عند سدرة المنتهى) سميت بذلك إما لأنه ينتهى إليها مايهبط من فوقها ومايصعد من تحتها أو لأنه ينتهى علم الأنبياء إليها ويعزب علمهم عما وراءها أو لأن الأعمال تنتهى إليها وتقبض منها أو لانتهاء الملائكة إليها ووقوفهم عندها أو لأنه ينتهى إليها أرواح الشهداء أو لأنه ينتهى إليها أرواح المؤمنين أو لأنه ينتهى إليها من كان على سنة رسول الله أقوال وإضافة سدرة للمنتهى إما من إضافة الشىء إلى مكانه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم أو من إضافة الملك إلى المالك على حذف الجار والمجرور أى سدرة المنتهى إليه وهو الله عز وجل ، قال تعالى ـ وأن إلى ربك المنتهى ـ .

(قوله لما أسرى به) أى وكان قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر وقيل كان قبلها بثلاث سنين والرؤية الأولى كانت فى بدء البعثة فبين الرؤيتين نحو عشر سنين (قوله وهى شجرة نبق) أى وفيها الحلىّ والحلل والثمار من جميع الألوان لووضعت ورقة منها فى الأرض لأضاءت لأهلها قيل هى شجرة طوبى والصحيح أنها غيرها والنبق بكسر الباء وسكونها واختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر لما قيل إن السدرة تختص بثلاثة أوصاف ظل مديد وطعام لذيذ ورائحة ذكية فشابهت الايمان الذى يجمع قولا وعملا ونية فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكونه ورائحتها بمنزلة القول لظهوره قيل إن سدرة المنتهى قالت للنبى صلى الله عليه وسلم استوص باخوانى فى الأرض خيرا ، فقال صلى الله عليه وسلم «من قطع سدرة صوب الله رأسه فى النار» واستشكل هذا الحديث بأنه يقتضى أن قطع السدر حرام لحاجة ولغير حاجة مع أنه خلاف النصوص وأجيب بأنه سئل أبو داود عن هذا الحديث فقال هو مختصر وحاصله «من قطع سدرة فى فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه فى النار» و بعد ذلك فهذا لايخص السدر (قوله عندها جنة المأوى) حال من سدرة المنتهى (قوله تأوى إليها الملائكة الخ) وقيل هى الجنة التى أوى إليها آدم عليه السلام إلى أن أخرج منها وقيل لأن جبريل وميكائيل يأويان إليها فهذا وجه تسميتها جنة المأوى أولأن أهل السعادة يأوون إليها (قوله مايغشى) أبهم الموصول وصلته اشارة إلى أن ماغشيها لايحيط به إلا الله تعالى (قوله من طير وغيره) وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى» وورد أيضا أنه عليه الصلاة والسلام قال «ذهب بى جبريل إلى سدرة المنتهى و إذا ورقها كآذان الفيلة و إذا ثمرها كقلال هجر فلما غشيها من أمر الله تعالى ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يقدر أن ينعتها من حسنها فأوحى إلىّ ماأوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة» وقيل يغشاها أنوار التجلى وقت مشاهدة النبى صلى الله عليه وسلم لربه كما تجلى على الجبل عند مكالمة موسى لكن السدرة أقوى من الجبل فالجبل صار دكا وخر موسى صعقا ولم تتحرك السدرة ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم (قوله مازاغ البصر) أى لم يلتفت إلى ماغشى السدرة من العجائب المتقدمة لأن الزيغ هو الالتفات لغير الجهة التى تعنيه (قوله وماطغى) الطغيان مجاوزة الحد اللائق كما أفاده المفسر فوصف صلى الله عليه وسلم بكمال الثبات والأدب مع غرابة ماهو فيه إذ ذاك وسبق تنزيه علمه عن الضلال وعمله عن الغواية ونطقه عن الهوى وفؤاده عن التكذيب وهنا تنزه بصره عن الزيغ والطغيان مع تأكيد ذلك وتحقيقه بالاقسام وناهيك بذلك من رب العزة جل جلاله ثناء (قوله لقد رأى) اللام فى جواب قسم محذوف (قوله الكبرى) أفاد المفسر أن من للتبعيض وهو مفعول لرأى والكبرى صفة لآيات ووصفه بوصف المؤنثة الواحدة لجوازه وحسنه مراعاة الفاصلة وفسر الكبرى بالعظام اشارة إلى أنه ليس المعنى على التفضيل لعدم حصر تلك الآيات ووصف العظم مقول بالتشكيك فيها فيذهب السامع فيها كل مذهب فتدبر (قوله رفرفا) قيل هو فى الأصل ماتدلى على الأسرة من غالى الثياب ومن أعالى الفسطاط ، روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطاربه إلى العرش حتى وقف به بين يدى ربه ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به حتى أداه إلى جبريل صلوات الله عليهما وجبريل يبكى و يرفع صوته بالتحميد فالرفرف خادم من الخدم بين يدى الله تعالى له خواص الأمور فى محل الدنو والقرب كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء مخصوصة بذلك فى الأرض (قوله أفرأيتم) استفهام انكارى قصد به توبيخ المشركين على عبادتهم الأوثان بعد بيان تلك البراهين القاطعة الدالة على انفراده تعالى بالألوهية والعظمة وأن ماسواه تعالى و إن جلت مرتبته وعظم مقامه حقير فى جانب جلال الله عزّ وجلّ .

لما أسرى به فى السموات ، وهى شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) تأوى إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين (إِذْ) حين (يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) من طير وغيره ، وإذ معمولة لرآه (مَا زَاغَ الْبَصَرُ) من النبى صلى الله عليه وسلم (وَمَا طَغَى) أى ما مال بصره عن مرئيه المقصود له ولا جاوزه تلك الليلة (لَقَدْ رَأَى) فيها (مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) أى العظام أى بعضها فرأى من عجائب الملكوت رفرفا أخضر سدّ أفق السماء وجبريل له ستمائة جناح (أَفَرَأَيْتُمُ ،

(قوله اللات) اسم صنم كان فى جوف الكعبة وقيل كان لثقيف بالطائف وقيل اسم رجل كان يلت السويق و يطعمه الحاج وكان يجلس عند حجر فلما مات سمى الحجر باسمه وعبد من دون الله وأل فى اللات زائدة زيادة لازمة كما قال ابن مالك :

* وقد تزاد لازما كاللات * وتاؤه قيل أصلية وعليه فأصله ليت ، وقيل زائدة وعليه فأصله لوى يلوى كأنهم كانوا يلوون أعناقهم إليها يسوون : أى يعتكفون عليها و يترتب على القولين الوقف عليها فبعض القراء يقف عليها بالهاء على القول بزيادتها و بعضهم بالتاء على القول بعدم زيادتها (قوله والعزى) تأنيث الأعز كالفضلى والأفضل وهى اسم صنم وقيل شجرة سمر لغطفان كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها (قوله ومناة) إما بالهمزة بعد الألف أو بالألف وحدها قراءتان سبعيتان إما مشتقة من النوء وهو المطر لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء أو من منى يمنى أى صب لأن دماء النسك كانت تصب عندها (قوله اللتين قبلها) أى فالثالثة إضافية بالنظر للفظ أو بالنظر للرتبة والمعنى أن رتبتها عندهم منحطة عن اللتين قبلها (قوله صفة ذم للثالثة) أى لأنها بمعنى المتأخرة الوضيعة المقدار (قوله وهى أصنام من حجارة) أى أن الثلاثة أصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة ، وقيل اللات لثقيف بالطائف والعزى شجرة لغطفان ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أولثقيف وقيل إن اللات أخذه المشركون من لفظ الله والعزى من العزيز ومناة من منى الله الشىء قدره (قوله والثانى محذوف) أى وهو جملة استفهامية استفهاما إنكاريا ذكرها بقوله ألهذه الأصنام الخ والمعنى أفرأيتموها قادرة على شىء (قوله ولما زعموا أيضا) أى كما زعموا أن الأصنام الثلاثة تشفع لهم عند الله تعالى (قوله تلك إذا) أى إذا جعلتم البنات له والبنين لكم (قوله ضيزى) بكسر الضاد بعدها همزة أو ياء مكانها قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بفتح الضاد وسكون الياء (قوله وجار عليه) عطف تفسير وهذا المعنى لكل (قوله من القرآت الثلاث (قوله ما المذكورات) أى الأصنام المذكورات من حيث وصفها بالألوهية والمعنى ليس لها من وصف الألوهية التى أثبتموها لها إلا لفظها وأما معناها فهى خلية عنه لأنها من أحقر المخلوقات وأذلها (قوله أى سميتم بها) دفع بذلك مايقال إن الأسماء لاتسمى و إنما يسمى بها فكيف قال سميتموها فأجاب بأن الكلام من باب الحذف والايصال والمفعول الأول محذوف قدره بقوله أصناما (قوله أنتم) ضمير فصل أتى به توصلا لعطف وآباؤكم على الضمير المتصل فى سميتموها على حد قول ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل * عطفت فافصل بالضمير المنفصل

(قوله إن يتبعون إلا الظن) التفت من خطابهم إلى الغيبة إشعارا بأن كثرة قبائحهم اقتضت الاعراض عنهم (قوله مما زين لهم) بيان لما (قوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الجملة حالية من فاعل يتبعون والمعنى يتبعون الظن وهوى النفس فى حالة تنافى ذلك هو مجىء الهدى من عند ربهم (قوله بالبرهان) حال من الهدى والباء للملابسة والمراد بالبرهان المعجزات (قوله أم للانسان ما تمنى أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والاستفهام إنكارى والمعنى ليس للانسان ما يتمنى بل يعامل بضده حيث تتبع هواه وخرج عن حدود الشرع فالمراد بالانسان الكافر وهذه الآية تجر بذيلها على من يلتجىء لغير الله طلبا للفانى و يتبع نفسه فى ما تطلبه فليس له ما يتمنى قال العارف :

اللَّاتَ وَالعُزَّى . وَمَنَوةَ الثَّالِثَةَ) للتين قبلها (الأُخْرَى) صفة ذم للثالثة ، وهى أصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله ومفعول أرأيت الأول اللات وما عطف عليه والثانى محذوف ، والمعنى أخبرونى ألهذه الأصنام قدرة على شىء ما فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره . ولما زعموا أيضا أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزل (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) جائرة من ضازه يضيزه إذا ظلمه وجار عليه (إِنْ هِيَ) أى ما المذكورات (إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا) أى سميتم بها (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) أصناما تعبدونها (مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا) أى بعبادتها (مِنْ سُلْطَانٍ) حجة و برهان (إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ) فى عبادتها (إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ) مما زين لهم الشيطان من أنها تشفع لهم عند الله تعالى (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى) على لسان النبى صلى الله عليه وسلم بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عما هم عليه (أَمْ لِلإِنْسَانِ) أى لكل إنسان منهم (مَا تَمَنَّى) من أن الأصنام تشفع لهم ، ليس الأمر كذلك ،

وأما أهل الصدق مع ربهم فلهم مايتمنون وفوق ذلك لوعد الله الذى لايخلف (قوله فلله الآخرة والأولى) كالدليل لما قبله والمعنى أنه تعالى لايعطى مافيهما إلا لمن اتبع هداه وترك هواه لأنه مالك للدنيا والآخرة (قوله وكم من ملك الخ) هذا تقنيط للكفار من تعلق آمالهم بشفاعة معبوداتهم لهم (قوله أى وكثير من الملائكة الخ) أشار بذلك إلى أن كم خبرية بمعنى كثيرا (قوله وما أكرمهم عند الله) جملة تعجبية جىء بها للدلالة على تشريف الملائكة وزيادة تعظيمهم ومع ذلك فلا تغنى شفاعتهم عنهم شيئا (قوله لمن يشاء) أى فيمن يشاء (قوله ومعلوم أنها لاتوجد منهم) راجع لقوله ولا يشفعون والقصد من ذلك التوفيق بين الآيتين فى توقف الشفاعة على الاذن (قوله إن الذين لايؤمنون بالآخرة) أى وهم مشركو العرب . إن قلت كيف يقال إنهم غير مؤمنين بالآخرة مع أنهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . أجيب بأنهم غير جازمين بالآخرة بدليل قوله تعالى حكاية عنهم وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى وإنما اتخذوهم شفعاء على سبيل الاحتمال . وأجيب أيضا بأنهم لايؤمنون بالآخرة على الوجه الذى بينته الرسل (قوله تسمية الأنثى) أى تسمية الاناث وذلك أنهم رأوا فى الملائكة تاء التأنيث وصح عندهم أن يقال سجدت الملائكة فقالوا الملائكة إناث وجعلوهم بنات الله

(فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى) أى الدنيا فلا يقع فيهما إلا ما يريده تعالى (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ) أى وكثير من الملائكة (فِي السَّمَوَاتِ) وما أكرمهم عند الله (لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ) لهم فيها (لِمَنْ يَشَاءُ) من عباده (وَيَرْضَى) عنه لقوله : ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ومعلوم أنها لاتوجد منهم إلا بعد الإذن فيها: من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى) حيث قالوا هم بنات الله (وَمَا لَهُمْ بِهِ) بهذا القول (مِنْ عِلْمٍ إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ) فيه (إِلَّا الظَّنَّ) الذى تخيلوه (وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) أى عن العلم فيما المطلوب فيه العلم (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا) أى القرآن (وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) وهذا قبل الأمر بالجهاد (ذَلِكَ) أى طلب الدنيا (مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) أى نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) أى عالم بهما فيجازيهما (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى هو مالك لذلك ،

لكونهم لاأب لهم ولا أم (قوله بهذا القول) أى هم بنات الله (قوله إن يتبعون إلا الظن) أى لأنهم لم يشاهدوا خلقهم ولم يسمعوا ماقالوه من من رسول ولم يروه فى كتاب بل عولوا على مجرد ظنهم الفاسد ولو أذعنوا للقرآن وللنبى لأفادهم صحة التوحيد ونفعه (قوله أى عن العلم) أشار بذلك إلى أن من بمعنى عن والحق بمعنى العلم (قوله فيما المطلوب فيه العلم) أى فى الأمر الذى يطلب فيه العلم وهو الاعتقاديات بخلاف العمليات فالظن فيها كاف لاختلاف الأئمة فى الفروع الفقهية فتحصل أن الأمور الاعتقادية كمعرفة الله تعالى ومعرفة الرسل وما أتوا به لابد فيها من الجزم المطابق للحق عن دليل ولا يكفى فيها الظن ، وأما الأمور العملية كفروع الدين فيكفى فيها غلبة الظن (قوله فأعرض عمن تولى) أى اترك دعوته والاهتمام بشأنه فانه لاتفيد دعوته إلا عنادا وإصرارا على الباطل (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) أى فهو منسوخ بآية القتال وقد تبع المفسر فى ذلك أكثر المفسرين ، وقال الرازى إنها ليست منسوخة بآية القتال بل هى موافقة لها وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم فى الأول كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوا أمر بازالة شبههم والجواب عنها فقيل له : وجادلهم بالتى هى أحسن ثم لما لم ينفع ذلك فيهم قيل له أعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لاينتفعون به وقاتلهم فثمرة الاعراض القتال وقد يقال إن الخلاف لفظى فمن أراد بالاعراض الكف عن مجادلتهم ومعاملتهم بالتى هى أحسن قال بالنسخ ومن أراد بالاعراض عنهم ترك جدالهم ومعاملتهم بالسيف قال بعدمه (قوله مبلغهم من العلم) تسميته علما تهكم بهم (قوله إن ربك هو أعلم الخ) تعليل للأمر بالاعراض والمعنى أن الله عالم بالضال فيجازيه على ضلاله وبالمهتدى فيجازيه على هداه ، ومن هنا خافت العارفون من سوء الخاتمة لعدم اعتمادهم على أعمالهم .

ومنه الضال والمهتدى يضل من يشاء ويهدى من يشاء (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا) من الشرك وغيره (وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا) بالتوحيد وغيره من الطاعات (بِالْحُسْنَى) أى الجنة، وبيّن المحسنين بقوله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ) هو صغار الذنوب كالنظرة والقبلة واللمسة فهو استثناء منقطع، والمعنى لكن اللمم يغفر باجتناب الكبائر (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) بذلك و بقبول التوبة. ونزل فيمن كان يقول صلاتنا صيامنا حجنا (هُوَ أَعْلَمُ) أى عالم (بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) أى خلق أباكم آدم من التراب (وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ) جمع جنين (فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ) لا تمدحوها أى على سبيل الإعجاب، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن (هُوَ أَعْلَمُ) أى عالم (بِمَنِ اتَّقَى. أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى) عن الإيمان: أى ارتد لما عير به وقال إنى خشيت عقاب الله فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله إن رجع إلى شركه وأعطاه من ماله كذا فرجع (وَأَعْطَى قَلِيلًا) من المال المسمى (وَأَكْدَى) منع الباقى مأخوذ من الكدية، وهى أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر (أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى) يعلم من جملته أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة، لا، وهو الوليد بن المغيرة،

(قوله ومنه الضال والمهتدى) دفع بذلك مايقال كيف يجعل الجزاء علة لملك مافى السموات والأرض مع أنه ثابت لله تعالى بالذات فأجاب بأنه علة لمحذوف دل عليه قوله ملك السموات والأرض (قوله ليجزى الذين أساءوا الخ) أشار بذلك إلى أن اللام متعلقة بمحذوف قدره بقوله يضل من يشاء الخ ويصح أن تكون اللام للعاقبة والصيرورة والمعنى أن عاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم المحسن والمسىء فيجازى المحسن بالاحسان والمسىء بالاساءة (قوله و بين المحسنين الخ) أى فالذين يجتنبون بدل أو عطف بيان أو نعت للذين أحسنوا أو مفعول لمحذوف تقديره أعنى أو خبر لمحذوف تقديره هم الذين الخ (قوله كبائر الاثم) جمع كبيرة وهى ماورد فيها وعيد أو حد (قوله والفواحش) إما عطف مرادف إن أريد بها الكبائر أو خاص إن أريد بها ماترتب عليه عظيم مفسدة كالقتل والزنا والسرقة ونحو ذلك (قوله إلا اللمم) هو فى الأصل أن يلم بالشىء ولم يرتكبه والمراد به فعل الصغائر (قوله كالنظرة) أى وكالكذب الذى لاحد فيه ولم يترتب عليه إفساد بين الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والتبختر فى المشى ونحو ذلك (قوله إن ربك واسع المغفرة) تعليل لقوله إلا اللمم والمعنى أن عدم المؤاخذة على الصغائر لالكونها ليست ذنبا بل لسعة مغفرة الله (قوله بذلك) أى باجتناب الكبائر (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد صيغة التفضيل (قوله إذ أنشأكم من الأرض) أى فهو عالم بتفاصيل أموركم حين ابتدأ خلق أبيكم آدم من التراب وحين صوركم فى الأرحام (قوله جمع جنين) سمى بذلك لاستتاره فى بطن أمه (قوله لاتمدحوها) أى لاتثنوا عليها ولا تشهدوا لها بالكمال والتقى فان النفس خسيسة إذا مدحت اغترت وتكبرت فالذى ينبغى للشخص أو هضم النفس وذلها واستخفافها (قوله أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن) أى ولذا قيل المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر، قال تعالى: وأما بنعمة ربك فحدث (قوله هو أعلم بمن اتقى) أى بمن أخلص فى طاعته وتقواه فينتفع بها و يثاب عليها وأما المرائى فلا ينتفع بطاعته بل يعاقب عليها لأن الرياء يحبط العمل (قوله أى ارتد) أى بعد أن أسلم بالفعل وهذا أحد قولين وقيل قارب الاسلام ولم يسلم بالفعل (قوله وأعطاه من ماله) الضمير المستتر فى أعطى عائد على الذى تولى والبارز عائد على الذى ضمن له عذاب الله فتحصل أن الضامن جعل على المتولى شيئين: الرجوع إلى الشرك، وأن يدفع له عددا معينا من ماله، وجعل على نفسه هو شيئا واحدا وهو ضمان عذاب الله (قوله وأكدى) هو فى الأصل من أكدى الحافر إذا أصاب كدية منعته من الحفر ومثله أجبل أى صادف جبلا منعه من الحفر ثم استعمل فى كل من طلب منه شىء فلم يعطه (قوله أعنده علم الغيب) استفهام إنكارى بمعنى النفى أى ليس عنده علم الغيب (قوله فهو يرى) عطف على قوله أعنده علم الغيب فهى داخلة فى حيز الاستفهام (قوله وهو الوليد بن المغيرة) أى وهو قول مقاتل وعليه الأكثر.

(قوله أو غيره) أى فقيل هو العاص بن وائل السهمى وقيل هو أبو جهل وهـذا الخلاف فى بيان الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى وأما الذى عيره وضمن له أن يحمل عنه العذاب فلم يذكروا تعيينه (قوله أم لم ينبأ بما فى صحف موسى) أم منقطعة والمعنى أبل لم يخبر بالذى فى صحف موسى الخ حتى يغتر بما قيل له وقدم موسى لقرب عهده منهم وخص هذين الرسولين لأنهم كانوا قبل إبراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره فكان الرجل إذا قتل وظفر أهل المقتول بأبى القاتل أو ابنه أو أخيه أو عمه أو خاله قتلوه حتى جاءهم إبراهيم فنهاهم عن ذلك و بلغهم عن الله أن لاتزر وازرة وزر أخرى (قوله تمم ما أمر به) أى من تبليغ الرسالة وقيامه بالضيفان وخدمته إياهم بنفسه فكان يخرج يتلقى الضيفان من مسافة فرسخ فان وجد الضيفان أكرمهم وأكل معهم و إلا نوى الصوم وصبره على النار وذبح ولده، وقيل المراد وفى سهام الاسلام وهى ثلاثون عشرة فى التوبة التائبون العابدون وعشرة فى الأحزاب إن المسلمين والمسلمات وعشرة فى المؤمنون قد أفلح المؤمنون ، وقيـل المراد وفى بكلمات كان يقولهن إذا أصبح و إذا أمسى فسبحان الله حين تمسون إلى تظهرون ، والمعنى أنه ما أمره الله تعالى بشىء إلا وفى به (قوله و بيان ما) أى فقوله أن لاتزر فى محل جر بدل من ما فى قوله بما فى صحف موسى و يصح رفعه على أنه خبر لمحذوف أى هو أن لاتزر ونصبه على أنه مفعول لمحذوف (قوله وازرة) صفة لموصوف محذوف أى نفس وازرة أى مكافة بالوزر ، وليس المراد وازرة بالفعل (قوله وزر أخرى) أى وزر نفس أخرى (قوله إلى آخره) المراد به قوله فبأى آلاء ربك تتمارى وهذا على فتح همزة أن فى قوله وأن إلى ربك المنتهى وما بعده وهى ثمانية تضم لثلاث قبلها فتكون الجملة أحد عشر شيئا ، وأما على قراءة الكسر فى هذه الثمانية فيكون المراد بقوله إلى آخره ثم يجزاه الجزاء الأوفى فيكون البيان بالثلاثة

أو غيره وجملة أعنده المفعول الثانى لرأيت بمعنى أخبرنى (أَمْ) بل (لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى) أسفار التوراة أو صحف قبلها (وَ) صحف (إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) تمم ما أمر به نحو وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، و بيان ما (أَنْ لَاتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) الخ وأن مخففة من الثقيلة : أى أنه لاتحمل نفس ذنب غيرها (وَأَنْ) أى أنه (لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَاسَعَى) من خير فليس له من سعى غيره الخير شىء (وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) أى يبصر فى الآخرة (ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى) الأكمل يقال جزيته سعيه و بسعيه (وَأَنَّ) بالفتح عطفا

الأول فقط (قوله وأن مخففة من الثقيلة) أى واسمها محذوف هو ضمير الشأن ولا تزر هو الخبر (قوله وأن ليس للانسان إلا ماسعى) استشكل هذا الحصر بأمور : منها أن الدال على الخير كفاعله . ومنها وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان . ومنها «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث إلى قوله أو ولد صالح يدعو له» ومنها غير ذلك . قال الشيخ تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية من اعتقد أن الانسان لاينتفع إلا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة . أحدها : أن الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير . ثانيها أن النبى صلى الله عليـه وسلم يشفع لأهل الموقف فى الحساب ثم لأهل الجنة فى دخولها . ثالثها لأهل الكبائر فى الخروج من النار . رابعها أن الملائكة يدعون و يستغفرون لمن فى الأرض . خامسها أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم . سادسها أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم . سابعها قال تعالى فى قصة الغلامين اليتيمين وكان أبوهما صالحا . ثامنها أن الميت ينتفع بالصدقة عنه و بالعتق بنص السنة والاجماع . تاسعها أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة . عاشرها أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير . حادى عاشرها المدين قد امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الآخر على بن أبى طالب وانتفع بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم وهو من عمل الغير إلى آخر ماقال . وأجيب بأجوبة منها أن الآية منسوخة ورد بأنها خبر والأخبار لاتنسخ . ومنها أن المراد بالانسان الكافر . ومنها أن هذا حكاية عما فى صحف موسى و إبراهيم فليس فى شرعنا (قوله أى يبصر فى الآخرة) أى لأن العمل يصور بصورة جميلة إن كان صالحا وقبيحة إن كان سيئا ليكون سرورا للمؤمن وحزنا للكافر (قوله ثم يجزاه) الضمير المرفوع عائد على الانسان والمنصوب عائد على السعى (قوله الجزاء الأوفى) مصدر مبين للنوع (قوله يقال جزيته سعيه الخ) أشار بذلك إلى أن الجزاء يتعدى للمفعول الثانى بنفسه و بحرف الجر (قوله بالفتح عطفا) أى على قوله أن لاتزر وازرة الخ وعليه فيكون من جملة

مافى صحف موسى و إبراهيم (قوله وقرئ بالكسر استئنافا) أى وعليه فيكون زائدا على مافى صحف موسى و إبراهيم لأن القرآن فيه مافى الصحف وزيادة (قوله وكذا مابعدها) أى من قوله وأنه هو أضحك وأبكى إلى قوله وأنه أهلك عادا الأولى والكسر شاذ (قوله إلى ربك المنتهى) أى منتهى أمر الخلق ومرجعهم إليه تعالى وهذا كالدليل لقوله ثم يجزاه الجزاء الأوفى كأنه قال الله يجزى الانسان على أعماله الجزاء الأوفى لأنه إليه المنتهى فى الأمور كلها و إذا كان كذلك فينبغى للانسان أن يرجع إلى ربه فى أموره كلها ولا يعول على شئ من الأشياء لأنه الآخذ بالنواصى . واختلف فى المخاطب بقوله وأن إلى ربك المنتهى فقيل كل عاقل وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وهذا على قراءة الكسر وأما على قراءة الفتح فقيل كل عاقل وقيل موسى و إبراهيم على سبيل التوزيع لأنه محكى عن صحفهما (قوله أفرحه) أشار بذلك إلى أن الضحك مستعمل فى حقيقته وكذا البكا وأن مفعول كل من الفعلين محذوف (قوله وأنه خلق الزوجين الخ) الحكمة فى إسقاط ضمير الفصل فى هذا و إثباته فى قوله وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا الاشارة لدفع توهم أن للمخلوق مدخلا فى الاضحاك والابكاء والاماتة والاحياء فأكده بالفصل ولما لم يحصل فى حق الذكر

والأنثى وما بعده توهم أن للغير مدخلا لم يؤكده بضمير الفصل (قوله

وقرئ بالكسر استئنافا وكذا ما بعدها فلا يكون مضمون الجمل فى الصحف على الثانى (إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ) المرجع والمصير بعد الموت فيجازيهم (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ) من شاء أفرحه (وَأَبْكَىٰ) من شاء أحزنه (وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ) فى الدنيا (وَأَحْيَا) للبعث (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ) الصنفين (الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ) منىّ (إِذَا تُمْنَىٰ) تصبّ فى الرحم (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ) بالمد والقصر (الْأُخْرَىٰ) الخلقة الأخرى للبعث بعد الخلقة الأولى (وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ) الناس بالكفاية بالأموال (وَأَقْنَىٰ) أعطى المال المتخذ قنية (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ) هو كوكب خلف الجوزاء كانت تعبد فى الجاهلية (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ) وفى قراءة بإدغام التنوين فى اللام وضمها بلا همز هى قوم هود والأخرى قوم صالح (وَثَمُودَا) بالصرف اسم للأب و بلا صرف للقبيلة وهو معطوف على عادا (فَمَا أَبْقَىٰ) منهم أحدا (وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ) أى قبل عاد وثمود أهلكناهم (إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ) من عاد وثمود لطول لبث نوح فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه و يضربونه (وَالْمُؤْتَفِكَةَ) وهى قرى قوم لوط (أَهْوَىٰ) أسقطها بعد رفعها إلى السماء مقلوبة

وأن عليه النشأة الأخرى) أى بحكم الوعد الكائن فى قوله إنا نحن نحيي ونميت إذ لا يجب عليه تعالى فعل شئ ولا تركه (قوله بالمد والقصر) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أعطى المال المتخذ قنية) أى الذى يدوم عند صاحبه (قوله رب الشعرى) اعلم أن الشعرى فى لسان العرب كوكبان أحدهما الشعرى العبور وتسمى الشعرى اليمانية تطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر كانت تعبدها خزاعة من العرب وأول من سن عبادتها رجل من ساداتهم يقال له أبو كبشة وهى المرادة فى الآية والثانى الشعرى الغميصاء بضم الغين وفتح الميم من الغمص بفتحتين وهو سيلان دمع العين (قوله بادغام التنوين) أى بعد قلبه لاما وقوله فى اللام أى لام التعريف وقوله وضمها أى بنقل حركة همزة أولى إليها وقوله بلا همز أى للواو التى بعد اللام المدغم فيها التنوين و بقى قراءة ثالثة سبعية أيضا وهى هذه القراءة بعينها إلا أن الواو المذكورة تقلب همزة ساكنة (قوله هى قوم هود) أى وسميت أولى لتقدمها فى الزمان على عاد الثانية التى هى قوم صالح وهم ثمود فأهلكت الأولى بالريح الصرصر والثانية بصيحة جبريل وتسمى كل من القبيلتين عادا لأن جدهم واحد وهو عاد بن إرم بن سام ابن نوح عليه السلام (قوله وهو معطوف على عادا) أى ويصح نصبه بفعل محذوف تقديره وأهلك ثمودا وليس منصوبا بأبقى لأن مابعد الفاء لا يعمل فيما قبلها (قوله أهلكناهم) صوابه أهلكهم وأشار بذلك إلى أن قوله وقوم نوح منصوب بفعل محذوف و يصح عطفه على ماقبله (قوله إنهم كانوا هم أظلم وأطغى) الضمير عائد على قوم نوح خاصة وعليه مشى المفسر و يصح عوده على الفرق الثلاث . والمعنى أظلم وأطغى من غيرهم (قوله يؤذونه و يضربونه) أى حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال ربّ اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (قوله والمؤتفكة) منصوب بأهوى قدم رعاية للفاصلة . ومعنى المؤتفكة المنقلبة لأن الائتفاك الانقلاب

مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك (فَغَشَّاهَا) من الحجارة بعد ذلك (مَا غَشَّى) أبهم تهويلا ، وفى هود : فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ) أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته (تَتَمَارَى) تتشكك أيها الإنسان أو تكذب (هَٰذَا) محمد (نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ) من جنسهم:أى رسول كالرسل قبله أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم (أَزِفَتِ الْآزِفَةُ) قربت القيامة (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ) نفس (كَاشِفَةٌ) أى لا يكشفها و يظهرها إلا هو كقوله:لايجليها لوقتها إلا هو (أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ) أى القرآن (تَعْجَبُونَ) تكذيبا (وَتَضْحَكُونَ) استهزاء (وَلَا تَبْكُونَ) لسماع وعده ووعيده (وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) لاهون غافلون عما يطلب منكم (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ) الذى خلقكم (وَاعْبُدُوا) ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها .

(ســــورة القمر)

مكية إلا « سيهزم الجمع » الآية ، وهى خمس وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) قربت القيامة (وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) انفلق فلقتين على أبى قبيس ،

(قوله مقلوبة) حال من ضمير أسقطها (قوله فغشاها) أى ألبسها وكساها والفاعل ضمير عائد على الله تعالى ، وقوله ما غشى مفعول به (قوله تهويلا) أى تفخيما وتعظيما ، والمعنى غشاها أمرا عظيما من حجارة وغيرها مما لايسع العقول وصفه (قوله وفى هود فجعلنا الخ) الصواب أن يقول وفى هود ــ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ــ الخ أو يقول وفى الحجر فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم بدل قوله عليها (قوله فبأى) الباء ظرفية متعلقة بتمارى والمعنى فى أى آلاء ربك تتشكك (قوله أيها الإنسان) أى مطلقا ، وقيل المراد به الوليد بن المغيرة ، وقيل الخطاب للنبي والمراد غيره (قوله هذا نذير من النذر الأولى) النذير بمعنى المنذر والتنوين للتفخيم (قوله أزفت الآزفة) أزف من باب تعب دنا وقرب (قوله قربت القيامة) أى الموصوفة بالقرب فهى فى نفسها قريبة من يوم خلق الله الدنيا لأن كل آت قريب وقد ازدادت قربا ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه من أمارات الساعة كماهومعلوم (قوله نفس كاشفة) أشار بذلك إلى أن كاشفة صفة لموصوف محذوف (قوله أى لا يكشفها و يظهرها إلا هو) أىفهو من كشف الشيء عرف حقيقته و يصح أن يكون من كشف الضر أزاله ، والمعنى ليس لهامزيل غيره تعالى لكنه لم يفعل ذلك لأنه سبق فى علمه وقوعها (قوله أفمن هذا الحديث) متعلق بتعجبون(قوله تكذيبا) قيد به لأن التعجب قد يكون استحسانا وكذا يقال فى قوله استهزاء (قوله وأنتم سامدون) إما مستأنف أو حال (قوله لاهون غافلون) أى فالسمود اللهو والغفلة ، وقيل الاعراض والاستكبار (قوله فاسجدوا لله) يحتمل أن المراد به سجود الصلاة وهو ماعليه مالك ويحتمل أن المراد سجود التلاوة و به أخذ الشافعى وأبوحنيفة ، و يؤيده ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فى النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس إلا أبى بن خلف رفع كفا من تراب على جبهته وقال يكفى هذا (قوله واعبدوا) عطف عام على خاص، وقوله : ولا تسجدوا للأصنام الخ أخذه من لام الاختصاص ومن السياق .

[سورة القمر] جميع فواصل آياتها على الراء الساكنة (قوله الآية) أى وآخرها و يولون الدبر (قوله قربت القيامة) أشار بذلك إلى أن الفعل المزيد بمعنى المجرد و إنما أتى بالمزيد مبالغة لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى ، والمراد بالقيام خروج الناس من القبور ، وله أسماء كثيرة الحاقة والواقعة و يوم الدين و يوم الجزاء وغير ذلك (قوله وانشق القمر) اعلم أنه يسمى قمرا بعد ثلاث من الشهر وقبلها هلالا إلى أربعة عشر وليلتها يسمى بدرا (قوله فلقتين) تثنية فلقة بالكسر كقطعة وزنا ومعنى والانشقاق كان قبل الهجرة بخمس سنين وهل كان ليلة أربعة عشر من الشهر أولا لم يثبت ، وأماقول البوصيرى :

شق عن صدره وشق له البد ر ومن شرط كل شرط جزاء

فان كان عن نقل صحيح فهو مقبول لأنه حجة وإلا فتسميته بدرا مجاز

وماذكره المفسر من أنه انفاق بالفعل هو المشهور ، وقيل المعنى سينشق القمر إذا قامت القيامة لأن السماء تنشق حينئذ بما فيها ، وقيل إن المعنى ظهر الأمر واتضح (قوله وقعيقعان) هو جبل مقابل أبي قبيس (قوله وقد سئلها) الجملة حالية والمسئول إما مطلق آية أو خصوص انشقاق القمر روايتان (قوله فقال اشهدوا) أي بأني رسول الله ولست بساحر كما تزعمون (قوله يعرضوا) أي عن الإيمان بها (قوله هذا سحر) أشار بذلك إلى أن سحر خبر لمحذوف (قوله قوى أودائم) هذان قولان من أربعة أقوال . والثالث أن معناه ذاهب لايبقى مأخوذ من المرور . والرابع أن معناه مرّ بشع لانقدر أن نسيغه كما لانسيغ المرّ (قوله وكذبوا واتبعوا) عبر بالماضي إشارة إلى أن التكذيب واتباع الهوى من عادتهم ودأبهم (قوله وكل أمر مستقر) جملة مستأنفة مركبة من مبتدا وخبر قاطعة لأطماعهم الكاذبة ، والمعنى كل أمر من الأمور منته إلى غاية يستقر عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر (قوله مستقر بأهله) الباء بمعنى اللام ، والمعنى ثابت لأهله ماينشأ عنه من ثواب وعقاب (قوله أواسم مكان) أي على أن فيه تجريدا ، والمعنى أنه موضع ازدجار (قوله بدل من تاء الافتعال) أي لأن الزاي حرف مجهور والتاء حرف مهموس فأبدلوها إلى حرف

مجهور قريب من التاء وهو الدال وكما تقلب تاء الافتعال دالا بعدالزاي كذلك

وقعيقعان آية له صلى الله عليه وسلم وقد سئلها فقال اشهدوا ، رواه الشيخان (وَإِنْ يَرَوْا) أي كفار قريش (آيَةً) معجزة له صلى الله عليه وسلم (يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا) هذا (سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) قوي ، من المرة القوة أو دائم (وَكَذَّبُوا) النبي صلى الله عليه وسلم (وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) في الباطل (وَكُلُّ أَمْرٍ) من الخير والشر (مُسْتَقِرٌّ) بأهله في الجنة أو النار (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ) أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم (مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) لهم ، اسم مصدر أو اسم مكان والدال بدل من تاء الافتعال وازدجرته وزجرته : نهيته بغلظة وما موصولة أو موصوفة (حِكْمَةٌ) خبر مبتدإ محذوف أو بدل من ما أو من مزدجر (بَالِغَةٌ) تامة (فَمَا تُغْنِ) تنفع فيهم (النُّذُرُ) جمع نذير بمعنى منذر أي الأمور المنذرة لهم ، وما للنفي أو للاستفهام الإنكاري وهي على الثاني مفعول مقدم (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) هو فائدة ما قبله وتم به الكلام (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) هو إسرافيل وناصب يوم يخرجون بعده (إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ) بضم الكاف وسكونها أي منكر تنكره النفوس لشدته وهو الحساب (خَاشِعًا) ذليلا وفي قراءة خُشَّعًا بضم الخاء وفتح الشين مشددة (أَبْصَارُهُمْ) حال من فاعل (يَخْرُجُونَ) أي الناس (مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) ،

تقلب دالا بعد الدال والذال قال ابن مالك : في ادان وازدد وادكر دالا بقي (قوله وما موصولة أو موصوفة) أي وهي فاعل بجاء ومن الأنباء حال منها (قوله أو بدل من ما) أي بدل كل من كل أو بدل اشتمال (قوله بالغة تامة) أي لاخلل فيها (قوله فما تغن النذر) حذفت الياء لفظا لالتقاء الساكنين وتحذف في الخط اتباعا للفظ ولرسم المصحف (قوله أي الأمور المنذرة لهم) أي كما وقع للأمم السابقة من العذاب (قوله مفعول مقدم) أي مفعول به ، والمعنى فأي شيء من الأشياء لايدرون

النافعة تغني النذر ، أومفعول مطلق والمعنى فأي إغناء تغني النذر (قوله فتول عنهم) قيل منسوخة بآية السيف ، وقيل غير منسوخة بل معناها فتول عنهم ولا تكلمهم بل قاتلهم (قوله هوفائدة ماقبله) أي نتيجته وثمرته (قوله يوم يدع الداع) حذف الواو من يدع لفظا لالتقاء الساكنين وخطا تبعا لرسم المصحف وللفظ وحذفت الياء من الداع خطا لأنها من ياءات الزوائد وأما في اللفظ فقرئ في السبع باثباتها وحذفها وكذايقال في الداع الآتي (قوله هو إسرافيل) هذا أحد قولين ، وقيل هو جبريل يقول في ندائه أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتفرقة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله وناصب يوم يخرجون بعده) أي أو محذوف تقديره اذكر (قوله بضم الكاف الخ) أي وهما قراءتان سبعيتان (قوله تنكره النفوس) أي جميعها أونفوس الكفار لأن المؤمنين حينئذ يكونون آمنين (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله حال) أي قوله خاشعا وأبصارهم فاعل به وأسند الخشوع للأبصار لأنه يظهر فيها أكثر من بقية البدن (قوله أي الناس) أي مؤمنهم وكافرهم (قوله من الأجداث) جمع جدث بفتحتين كفرس وأفراس (قوله كأنهم جراد منتشر) أي في الكثرة والانتشار في الأمكنة

لايدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة والجملة حال من فاعل يخرجون وكذا قوله (مُهْطِعِينَ) أى مسرعين مادّين أعناقهم (إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ) منهم (هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) أى صعب على الكافرين كما فى المدثر: يوم عسير على الكافرين (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ) قبل قريش (قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث الفعل لمعنى قوم (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) نوحا (وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) أى انتهروه بالسب وغيره (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي) بالفتح أى بأنى (مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ فَفَتَحْنَا) بالتخفيف والتشديد (أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) منصب انصبابا شديدا (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) تنبع (فَالْتَقَى الْمَاءُ) ماء السماء والأرض (عَلَىٰ أَمْرٍ) حال (قَدْ قُدِرَ) قضى به فى الأزل وهو هلاكهم غرقا (وَحَمَلْنَاهُ) أى نوحا (عَلَىٰ) سفينة (ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) وهو ماتشد به الألواح من المسامير وغيرها واحدها دسار ككتاب (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا : أى محفوظة (جَزَاءً) منصوب بفعل مقدر أى أغرقوا انتصارا (لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) وهو نوح صلى الله عليه وسلم وقرئ كفر ببناء للفاعل: أى أغرقوا عقابا لهم (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا) أبقينا هذه الفعلة (آيَةً) لمن يعتبر بها : أى شاع خبرها واستمر (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) معتبر ومتعظ بها وأصله مذتكر أبدلت التاء دالا مهملة ،

(قوله لايدرون أين يذهبون الخ) اعلم أن الناس حين الخروج من القبور شبهوا فى هذه الآية بالجراد المنتشر وفى الآية الأخرى بالفراش المبثوث ، فمن حيث تحيرهم وتداخل بعضهم فى بعض شبهوا بالفراش المبثوث ، ومن حيث انتشارهم وقصدهم الجهة التى يجتمعون فيها شبهوا بالجراد المنتشر، إذا علمت ذلك فما قاله المفسر لايناسب تشبيههم بالجراد بل بالفراش هكذا قالوا فتدبر (قوله مادين أعناقهم الخ) أى فمعنى مهطعين مادّين الأعناق مع سرعة المشى (قوله يقول الكافرون الخ) استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالأهوال وشدائدها كأنه قيل فما يقول الكافر حينئذ (قوله كما فى المدّثر) أى ففى المدّثر مايفيد أن الصعوبة والشدّة لخصوص الكافر (قوله كذبت قبلهم قوم نوح) تفصيل لما أجمل أولا فى قوله - ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر - (قوله لمعنى قوم) أى وهو الأمة (قوله فكذبوا عبدنا) تفصيل لقوله - كذبت قبلهم قوم نوح - فالمكذب والمكذب فى الموضعين واحد (قوله وازدجر) عطف على قالوا ، والمعنى قالوا مجنون وانتهروه (قوله وغيره) أى كالضرب والخنق فكانوا يضربونه ويخنقونه حتى يغشى عليه فيتركونه فاذا أفاق قال - اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون - (قوله فدعا ربه) أى بعد صبره عليهم الزمن الطويل فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يعالجهم

فلم يفد فيهم شيئا (قوله أنى مغلوب) بفتح الهمزة فى قراءة العامة على حكاية المعنى ولو حكى اللفظ لقال إنه مغلوب وقرئ شذوذا بكسر الهمزة على إضمار القول ، والمعنى فدعا ربه قائلا إنى مغلوب (قوله فانتصر) أى انتقم لى منهم وذلك بعد يأسه من إيمانهم حيث أوحى الله إليه : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ودعا عليهم أيضا بقوله - رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا - وبقوله - فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين - (قوله ففتحنا) عطف على محذوف تقديره فاستجبنا له (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أبواب السماء) أى جميعها ويؤخذ من ذلك أن السماء لها أبواب حقيقة تفتح وتغلق وهو كذلك (قوله بماء) الباء للتعدية مبالغة حيث جعل الماء كالآلة التى يفتح بها (قوله منهمر) المنهمر الغزير النازل بقوّة (قوله وفجرنا الأرض عيونا) تمييز محوّل عن المفعول لأن أصله وفجرنا عيون الأرض (قوله تنبع) أى تخرج من العين ومكث الماء يصب من السماء وينبع من الأرض أربعين يوما قيل كان ماء السماء باردا مثل الثلج وماء الأرض حارا مثل الحميم وهل كان ماء السماء أكثر أو ماء الأرض أو مستويين أقوال (قوله فالتقى الماء) أى جنسه الصادق بماء السماء والأرض (قوله وغيرها) أى كالصفائح والخشب الذى تسمر فيه الألواح والخيوط ونحوها (قوله جمع دسار) وقيل جمع دسر بسكون السين كسقف وسقف (قوله تجرى) صفة ثانية للموصوف المحذوف (قوله بأعيننا) حال من ضمير تجرى (قوله منصوب بفعل مقدّر) أى مفعول لأجله (قوله وهو نوح) أى لأنه نعمة كفروها إذ كل نبى نعمة على أمته (قوله وقرئ) أى شذوذا (قوله هذه الفعلة) أى وهى الغرق على هذا الوجه ، وقيل هى السفينة بناء على أنها بقيت على الجودى زمنا مديدا حتى رآها أوائل هذه الأمة (قوله معتبر ومتعظ بها) أى يعتبر بما صنع الله بقوم نوح فيترك المعصية ويفعل الطاعة .

(قوله وكذا المعجمة) أى الدال التى قبل التاء أبدلت دالا مهملة وقوله وأدغمت أى الدال المهملة المنقلبة عن المعجمة وقوله فيها أى فى الدال المنقلبة عن التاء (قوله ونذر) بإثبات الياء لفظا وحذفها قراءتان سبعيتان ، وأما فى الرسم فلا تثبت لأنه من ياآت الزوائد وكذا يقال فى المواضع الآتية (قوله وكيف خبر كان) أى فهى ناقصة وعذابى اسمها (قوله وهى للسؤال عن الحال) أى فاذا أردت أن تخبر بحال شخص تقول له كيف أنت أصحيح أم سقيم مثلا (قوله بوقوع عذابه تعالى الخ) أى أنه فى غاية العدل فلا ظلم فيه ولا جور (قوله سهلناه للحفظ) أى أعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيعان عليه وليس من كتاب يقرأ عن ظهر قلب إلا القرآن ولم يكن هذا لبنى إسرائيل ولم يكونوا يقرءون التوراة إلا نظرا غير موسى وهرون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلب حين أحرقت ، ومن هذا المعنى قول الله عزوجل فى الحديث القدسى : وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم (قوله أوهيأناه للتذكر) أى بأن أودعنا فيه أنواع المواعظ والعبر ، وبالجملة فقد جعل الله القرآن مهيأ ومسهلا لمن يريد حفظ اللفظ أو حفظ المعنى أو الاتعاظ به فهو رأس سعادة الدنيا والآخرة (قوله والاستفهام بمعنى الأمر) أى فهو للتحضيض (قوله أى احفظوه واتعظوا به) أى ليكمل لكم الاصطفاء فإن من آتاه الله القرآن حفظا أو اتعاظا فقد جعله الله من أهله ومن جمع بين الأمرين فهو على أكمل الأحوال

وكذا المعجمة وأدغمت فيها (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ) أى إنذارى استفهام تقرير وكيف خبر كان وهى للسؤال عن الحال والمعنى حمل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) متعظ به وحافظ له والاستفهام بمعنى الأمر أى احفظوه واتعظوا به وليس يحفظ من كتب الله عن ظهر القلب غيره (كَذَّبَتْ عَادٌ) نبيهم هودا فعذبوا (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ) أى إنذارى لهم بالعذاب قبل نزوله أى وقع موقعه وقد بينه بقوله (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) أى شديدة الصوت (فِى يَوْمِ نَحْسٍ) شؤم (مُسْتَمِرٍّ) دائم الشؤم أو قويه وكان يوم الأربعاء آخر الشهر (تَنْزِعُ النَّاسَ) تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها وتصرعهم على رءوسهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد (كَأَنَّهُمْ) وحالهم ماذكر (أَعْجَازُ) :

(قوله كذبت عاد الخ) هذا أيضا من جملة تفصيل قوله : ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر، وذكر قصة عاد عقب قصة قوم نوح لأنهم من ذرية نوح لأن عادا هو ابن إرم بن سام بن نوح (قوله فكيف كان عذابى ونذر) مرتب على محذوف قدره بقوله فعذبوا (قوله أى وقع موقعه) أى فتعذيبه لهم عدل منه تعالى لأنه أنذرهم أولا على لسان نبيهم فلم يؤمنوا ، وذلك لأنه جرت عادة الله تعالى أصول أنه لا يؤاخذ عبدا بغير جرم تنزلا منه تعالى وإلا فلو آخذ عباده بغير جرم لا يسمى ظالما لأنه تصرف فى ملكه والظلم التصرف فى ملك الغير بغير إذنه (قوله وقد بينه بقوله الخ) أشار بذلك إلى أن قوله : إنا أرسلنا الخ تفصيل لما أجمل أولا (قوله شؤم) أى غير مبارك (قوله دائم الشؤم) أى إلى الأبد عليهم وهو يوم مبارك على هود ومن تبعه فهو يوم نحس على الكافرين ويوم مبارك على المؤمنين (قوله أو قويه) أى فهو مأخوذ من المرة وهى القوة وفى الحقيقة هو دائم الشؤم قويه (قوله آخر الشهر) أى شهر شوال لثمان بقين منه واستمر إلى غروب الشمس من يوم الأربعاء آخره ، والمعنى أنه أتاهم العذاب يوم الأربعاء والباقى من شوال ثمانية أيام فاستمر عليهم لآخره ، قال تعالى فى سورة الحاقة : سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، إذا علمت ذلك فليس المراد بقول المفسر آخر الشهر أن يوم نزول العذاب كان آخر الشهر بل هو منتهاه (قوله تنزع الناس) أظهر فى مقام الاضمار ليكون صريحا فى عموم الذكور والإناث وإلا فمقتضى الظاهر تنزعهم (قوله المندسين فيها) أى فقد روى أنهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى (قوله وحالهم ماذكر) الجملة حالية من ضمير كأنهم وفيه إشارة إلى أن قوله كأنهم حال من الناس مقدرة ، وذلك لأنهم حين إخراجهم من الحفر لم يكونوا كأعجاز النخل بل كانوا كذلك بعد ما حصل لهم ماذكر .

(قوله أصول نخل) المراد بها النخل بتمامها من أولها لآخرها ماعدا الفروع ، والمعنى كأنهم نخل قد قطعت رءوسه (قوله منقلع) تفسير لمنقعر وفيه إشارة إلى قوتهم وثبات أجسامهم فى الأرض فكأنهم لعظم أجسامهم وكمال قوتهم يقصدون مقاومة الريح فلم يستطيعوا لأنها لشدتها تقلعهم كما تقلع النخل من الأرض (قوله وذكر هنا) أى حيث قال منقعر ولم يقل منقعرة وقوله وأنث فى الحاقة أى حيث قال خاوية ولم يقل خاو (قوله فى الموضعين) أى فهنا الفاصلة على الراء وهناك على الهاء (قوله فكيف كان عذابى ونذر) كرره للتهويل والتعجيب من أمرهم (قوله أى الأمور التى أنذرهم بها) هذا أحد وجهين فى تفسير النذر ، والثانى أنه جمع نذير بمعنى الرسل المنذرين لهم وجمعهم لأن من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل (قوله منصوب على الاشتغال) أى وهو الفصيح الراجح لتقدم أداة هى بالفعل أولى (قوله والاستفهام بمعنى النفى) أى فهو إنكارى (قوله جنون) أى فسعر مفرد ويصح أن يكون جمع سعير وهو النار

(قوله وإدخال ألف بينهما الخ)

أصول (نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) منقطع ساقط على الأرض ، وشبهوا بالنخل لطولهم وذكر هنا وأنث فى الحاقة نخل خاوية مراعاة للفواصل فى الموضعين (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ. وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ. كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ) جمع نذير بمعنى منذر: أى بالأمور التى أنذرهم بها نبيهم صالح إن لم يؤمنوا به ويتبعوه (فَقَالُوا أَبَشَرًا) منصوب على الاشتغال (مِنَّا وَاحِدًا) صفتان لبشرا (نَتَّبِعُهُ) مفسر للفعل الناصب له والاستفهام بمعنى النفى ، المعنى كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بملك: أى لانتبعه (إِنَّا إِذًا) أى إن اتبعناه (لَفِي ضَلَالٍ) ذهاب عن الصواب (وَسُعُرٍ) جنون (أَأُلْقِيَ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه (الذِّكْرُ) الوحى (عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا) أى لم يوح إليه (بَلْ هُوَ كَذَّابٌ) فى قوله إنه أوحى إليه ماذكر (أَشِرٌ) متكبر بطر قال تعالى (سَيَعْلَمُونَ غَدًا) فى الآخرة (مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ) وهو هم بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحا (إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ) مخرجوها من الهضبة الصخرة كما سألوا (فِتْنَةً) محنة (لَهُمْ) لنختبرهم (فَارْتَقِبْهُمْ) ياصالح : أى انتظر ماهم صانعون وما يصنع بهم (وَاصْطَبِرْ) الطاء بدل من تاء الافتعال أى اصبر على أذاهم (وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ) مقسوم (بَيْنَهُمْ) وبين الناقة فيوم لهم ويوم لها (كُلُّ شِرْبٍ) نصيب من الماء (مُحْتَضَرٌ) يحضره القوم يومهم ، والناقة يومها فتمادوا على ذلك ثم ملوه فهموا بقتل الناقة ،

أى فالقراآت أربع سبعيات (قوله من بيننا) حال من الهاء فى عليه ، والمعنى أخص بالرسالة منفردا من بيننا وفينا من هو أكثر منه مالا وأحسن حالا (قوله أى لم يوح إليه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله قال تعالى) أى وعيدا لهم ووعدا له (قوله أى فى الآخرة) هذا أحد قولين فى تفسير الغد ، وقيل المراد به يوم نزول العذاب الذى حل بهم فى الدنيا (قوله من الكذاب) مبتدأ وخبر والجملة سدت مسد المفعولين ، والمعنى سيعلمون غدا أى فريق هو الكذاب الأشر أهوهم أو صالح عليه السلام (قوله إنا مرسلوا الناقة) استئناف مسوق لبيان مبادئ الموعود به من العذاب وذلك لأنه جرت عادة الله تعالى أنه إذا أراد تعذيب قوم اقترحوا آية ولم يؤمنوا بها ، وورد أنهم قالوا لصالح عليه السلام نريد أن نعرف المحق منا بأن ندعو آلهتنا وتدعو إلهك فمن أجابه إلهه علمنا أنه المحق ، فدعوا أوثانهم فلم تجبهم فقالوا ادع أنت فقال فما تريدون ؟ قالوا تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء وبراء ، فأجابهم إلى ذلك بشرط الإيمان فوعدوه بذلك وأكدوا فكذبوا ثانيا بعد ما كذبوا أولا فى أن آلهتهم تجيبهم (قوله من الهضبة) بفتح الهاء وسكون الضاد وهو الجبل المنبسط على الأرض ويجمع على هضب وهضاب (قوله فتنة لهم) مفعول لأجله (قوله بدل من تاء الافتعال) أى لوقوعها إثر حرف من حروف الاطباق وهو الصاد (قوله ونبئهم) أى أخبرهم (قوله أن الماء) أى وهو ماء بئرهم الذى كانوا يشربون منه (قوله قسمة بينهم وبين الناقة) ظاهره أن الضمير فى بينهم واقع عليهم فقط وأن فى الكلام حذف الواو مع ما عطفت ، والأسهل أن الضمير وقع عليهم وعلى الناقة على سبيل التغليب (قوله ويوم لها) أى فكانت لاتبقى شيئا فى البئر ويومها يكتفون بلبنها

(قوله فنادوا صاحبهم) مرتب على محذوف قدره بقوله فتمادوا على ذلك الخ ، والمعنى أنهم بقوا على ذلك مدة ثم ملوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فأجمعوا على قتلها فقال بعضهم لبعض نكمن للناقة حيث تمرّ إذا صدرت عن الماء ، فاجتمعوا وكمن لها قدار بن سالف فى أصل شجرة فى طريقها التى تمرّ بها فرماها فقطع عضلة ساقها فوقعت وأحدثت ورغت رغاءة واحدة ثم نحرها (قوله موافقة لهم) قصد بذلك الجمع بين ماهنا وماقى الشعراء حيث قال فعقروها فتحصل أن مباشرة القتل كان منه لكن باجماعهم عليه (قوله إنا أرسلنا عليهم صيحة) أى صاح بهم جبريل فى اليوم الرابع من عقرالناقة وذلك أن عقرها يوم الثلاثاء فتوعدهم صالح عليه السلام بالعذاب وأخبرهم بأنهم يصبحون يوم الأربعاء صفر الوجوه ويوم الخميس حمر الوجوه ويوم الجمعة سود الوجوه وفى يوم السبت ينزل بهم العذاب وكان الأمر كما ذكر (قوله كهشيم المحتظر) تشبيه لاهلاكهم ، والحظيرة زريبة الغنم ونحوها ، والمحتظر بكسر الظاء اسم فاعل وهو الذى يتخذ حظيرة من الحطب وغيره لتكون وقاية لمواشيه من الحرّ والبرد والسباع (قوله كذبت قوم لوط) أى وهم الجماعة الذين سكن عندهم وأرسل لهم ، وذلك أن لوطا هو ابن أخى إبراهيم الخليل عليهما السلام خرج مع عمه من العراق فنزل إبراهيم بفلسطين ولوط بسذوم وقراها فأرسله الله لهم فكذبوا فحلّ بهم العذاب (قوله النذرة) أى المخوفة (قوله ريحا ترميهم بالحصباء) أشار بذلك إلى أن حاصبا اسم فاعل صفة لموصوف محذوف وفيه دليل على أن إمطار الحجارة و إرسالها عليهم كان بواسطة إرسال الريح لها (قوله من يوم غير معين) أى غير مقصود تعيينه للمخاطبين فلاينافى تعيينه فى الواقع ولمن حضر (قوله أى وقت الصبح) هذا تفسير مراد يدل عليه قوله فى الآية الأخرى : إنّ موعدهم الصبح و إلا فحقيقة السحر ما كان آخر الليل والباء بمعنى فى (قوله لأن حقه أن يستعمل فى المعرفة) أى فى إرادة التعريف (قوله تسمحا) أى تساهلا فى العبارة وأشار بذلك إلى أن وجه كون الاستثناء منقطعا بعيد لأن أهل لوط من جنس القوم على كل حال سواء قلنا بنزول الحاصب على الجميع أوعلى غيرأهل لوط فتحصل أن الاستثناء متصل على كل حال لكون المستثنى من جنس المستثنى منه وجعله منقطعا بعيد (قوله مصدر) أى مؤكد لعامله فى المعنى وهو نجيناهم إذ الانجاء نعمة أومفعول لمحذوف من لفظه أى أنعمنا عليهم نعمة (قوله أى مثل ذلك الجزاء) أى الذى هو الإنجاء (قوله نجزى من شكر) أى فلاخصوصية لآل لوط بل هوعام لكل من شكرنعمه تعالى قال تعالى : و ينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم الآية (قوله وهومؤمن) الجملة حالية وقوله أومن آمن عطف على من شكر عطف تفسير وفى ذلك إشارة إلى تفسيرين للموصول فقيل إن المراد من شكر النعمة مع أصل الايمان ، وقيل هو من ضم إلى الايمان عمل الطاعات (قوله تجادلوا وكذبوا) أشار بذلك إلى أنه ضمن تماروا معنى التكذيب فتعدى تعديته .

(فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ) قداراً ليقتلها (فَتَعَاطَى) تناول السيف (فَعَقَرَ) به الناقة أى قتلها موافقة لهم (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ) أى إنذارى لهم بالعذاب قبل نزوله أى وقع موقعه و بينه بقوله (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) هو الذى يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ . كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ) أى بالأمور المنذرة لهم على لسانه (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً) ريحاً ترميهم بالحصباء وهى صغار الحجارة الواحد دون ملء الكف فهلكوا (إِلَّا آلَ لُوطٍ) وهم ابنتاه معه (نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) من الأسحار أى وقت الصبح من يوم غير معين ولو أريد من يوم معين لمنع الصرف لأنه معرفة معدول عن السحر لأن حقه أن يستعمل فى المعرفة بأل ، وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولا قولان ، وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل وعلى الثانى بأنه منقطع و إن كان من الجنس تسمحاً (نِعْمَةً) مصدر ، أى إنعاما (مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ) أى مثل ذلك الجزاء (نَجْزِى مَنْ شَكَرَ) أنعمنا وهو مؤمن أو من آمن بالله ورسوله وأطاعهما (وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ) خوفهم لوط (بَطْشَتَنَا) أخذتنا إياهم بالعذاب (فَتَمَارَوْا) تجادلوا وكذبوا (بِالنُّذُرِ) بانذاره

بإنذاره (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ) أى أن يخلى بينهم وبين القوم الذين أتوه فى صورة الأضياف ليخبثوا بهم وكانوا ملائكة (فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) عميناها وجعلناها بلا شق كباقى الوجه بأن صفقها جبريل بجناحه (فَذُوقُوا) فقلنا لهم ذوقوا (عَذَابِي وَنُذُرِ) أى إنذارى وتخويفى أى ثمرته وفائدته (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً) وقت الصبح من يوم غير معين (عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ) دائم متصل بعذاب الآخرة (فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ . وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ . وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ) قومه معه (النُّذُرُ) الإنذار على لسان موسى وهارون فلم يؤمنوا، بل (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا) أى التسع التى أوتيها موسى (فَأَخَذْنَاهُمْ) بالعذاب (أَخْذَ عَزِيزٍ) قوى (مُقْتَدِرٍ) قادر لايعجزه شىء (أَكُفَّارُكُمْ) ياقريش (خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) المذكورين من قوم نوح إلى فرعون فلم يعذبوا (أَمْ لَكُمْ) يا كفار قريش (بَرَاءَةٌ) من العذاب (فِي الزُّبُرِ) الكتب، والاستفهام فى الموضعين بمعنى النفى أى ليس الأمر كذلك (أَمْ يَقُولُونَ) أى كفار قريش (نَحْنُ جَمِيعٌ) أى جمع (مُنْتَصِرٌ) على محمد، ولما قال أبو جهل يوم بدر إنا جمع منتصر نزل (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) فهزموا ببدر، ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ) بالعذاب (وَالسَّاعَةُ) أى عذابها (أَدْهَى) أعظم بلية (وَأَمَرُّ) أشد مرارة من عذاب الدنيا (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ) هلاك بالقتل فى الدنيا (وَسُعُرٍ) نار مسعرة بالتشديد أى مهيجة فى الآخرة (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ) أى فى الآخرة ويقال لهم (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ)

(قوله بإنذاره) أى أو بالأمور التى خوفهم بها لوط (قوله ولقد راودوه عن ضيفه) أى أرادوا منه تمكينهم ممن أتاه من الملائكة فى صورة الأضياف للفاحشة والمراودة الطلب المتكرر (قوله ليخبثوا بهم) الخبث الزنا، والمراد به مايشمل اللواط وهو المراد هنا وهو من باب قتل (قوله عميناها) صوابه أعميناها بالهمز لأن عمى ثلاثى لازم والمتعدى إنما هو الرباعى (قوله وجعلناها بلاشق) هذا أحد قولين وقيل بل أعماهم الله مع صحة أبصارهم فلم يروهم (قوله فقلنا لهم) أى على ألسنة الملائكة (قوله من يوم غير معين) أى لم يرد الله تعيينه لنا وإلا فهو معين فى علم الله وعلم من بقى من المؤمنين (قوله عذاب مستقر) أى خلع جبريل بلادهم فرفعها وقلبها وأمطر الله عليها حجارة من سجيل (قوله دائم متصل بعذاب الآخرة) أى فلا يزول عنهم حتى يصلوا إلى النار (قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر الخ) حكمة تكرار ذلك فى كل قصة التنبيه على الاتعاظ والتدبر إشارة إلى أن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب كما كرر قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان تقريرا للنعم المختلفة المعدودة فكلما ذكر نعمة وبخ على التكذيب بها (قوله الإنذار) أى فهو مصدر ويصح جعله جمع نذير باعتبار الآيات التسع (قوله كذبوا بآياتنا) استئناف بيانى واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا الخ (قوله أى التسع) أى وهى العصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (قوله أخذ عزيز) من إضافة المصدر لفاعله (قوله خير من أولئكم) أى فى القوة والشدة (قوله من قوم نوح إلى فرعون) أى وهم خمس فرق قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وقومه (قوله فلم يعذبوا) مسبب عن النفى، والمعنى أتزعمون أن كفاركم خير ممن كفر من الأمم قبلكم فيتسبب عن ذلك عدم تعذيبكم (قوله أم لكم براءة فى الزبر) إضراب انتقالى إلى وجه آخر من التبكيت (قوله بمعنى النفى) أى فهو إنكارى (قوله منتصر) أى فنحن يد واحدة على من خالفنا منتصر على من عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رءوس الآى (قوله نزل) أى يوم بدر أو كرر نزولها لما روى أنها لما نزلت قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم أعلم ماهى أى الواقعة التى يكون فيها ذلك فلما كان يوم بدر ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته أى علمت المراد من هذه الآية (قوله ويولون الدبر) هو اسم جنس لأن كل واحد يولى دبره وأتى به مفردا لموافقة رءوس الآى (قوله بل الساعة موعدهم) أى فليس ماوقع لهم فى الدنيا تمام عقوبتهم بل هو مقدماته (قوله والساعة أدهى) أفعل تفضيل من الداهية وهى الأمر الفظيع الذى لايهتدى إلى الخلاص منه والاظهار فى مقام الاضمار للتهويل (قوله نار مسعرة) أى شديدة (قوله يوم يسحبون) ظرف

إصابة جهنم لكم (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ) منصوب بفعل يفسره (خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) بتقدير حال من كل أى مقدرا وقرئ كل بالرفع مبتدأ خبره خلقناه (وَمَا أَمْرُنَا) لشىء نريد وجوده (إِلَّا) أمرة (وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) فى السرعة وهى قول كن فيوجد إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ) أشباهكم فى الكفر من الأمم الماضية (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) استفهام بمعنى الأمر ، أى اذكروا واتعظوا (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ) أى العباد مكتوب (فِي الزُّبُرِ) كتب الحفظة (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ) من الذنب أو العمل (مُسْتَطَرٌ) مكتتب فى اللوح المحفوظ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ) بساتين (وَنَهَرٍ) أريد به الجنس وقرئ بضم النون والهاء جمعا كأسد وأسد المعنى أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ) مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وأريد به الجنس وقرئ مقاعد المعنى أنهم فى مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل أن تسلم من ذلك وأعرب هذا خبرا ثانيا وبدلا وهو صادق ببدل البعض وغيره (عِنْدَ مَلِيكٍ) مثال مبالغة أى عزيز الملك واسعه (مُقْتَدِرٍ) قادر لا يعجزه شىء وهو الله تعالى ، وعند إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله تعالى .

قول محذوف تقديره و يقال لهم أو ظرف لسعر (قوله إصابة جهنم) أشار بذلك إلى أن المس مجاز أطلق وأريد منه الإصابة وسقر علم لجهنم مشتقة من سقرته الشمس أو النار لوحته أى غيرته (قوله منصوب بفعل الخ) هذه قراءة العامة وهى أرجح لأن الرفع يوهم عقيدة فاسدة على جعل كل مبتدأ وخلقناه صفة لشىء وبقدر خبره لأنه يكون مفهومه أن هناك شيئا ليس مخلوقا لله وليس بقدر مع أن مختار أهل السنة كل شىء مخلوق لله تعالى ، والمعنى كل شىء بقضاء وحكم وتدبير محكم وقوة بالغة خلقناه واختلف فى تعريف القدر فقالت الأشاعرة هو إيجاد الله الأشياء على طبق ماسبق فى علمه و إرادته وعليه فهو صفة فعل وهى حادثة ، وقالت الماتريدية هو تحديده تعالى كل مخلوق أزلا بحده الذى يوجد به من حسن وقبح وغير ذلك فهو تعلق العلم والارادة وعليه فهو قديم ، والقضاء عند الأشاعرة إرادة الله المتعلقة بالأشياء أزلا فهو قديم ، وعند الماتريدية هو الفعل مع زيادة إحكام فهو حادث وقيل هما شىء واحد وهو إيجاد الله الأشياء على طبق تعلق العلم والقدرة واقتصر على القدر إما لأن بينهما تلازما أو لترادفهما وفى هذه الآية رد على القدرية القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية والقائلين بأن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها تعالى الله عن قولهم وهذه الفرقة قد انقرضت قبل زمن الامام الشافعى (قوله وقرئ) أى شذوذا (قوله خبره خلقناه) أى وقوله بقدر إما خبر ثان أو حال من ضمير الخبر (قوله وما أمرنا) أى شأننا فى إيجاد شىء أو إعدامه (قوله إلا أمرة واحدة) أى مرة من الأمر وفى الحقيقة ليس هناك قول ولا أمر و إنما هو كناية عن سرعة الايجاد (قوله كلمح بالبصر) حال من متعلق الأمر ، والمعنى حال كونه يوجد سريعا بالمرة من الامر ولا يتراخى عنها واللمح النظر (سورة بسرعة فكما أن لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه فكذلك الأفعال كلها عند الله (قوله وهى كن) بيان للأمرة الواحدة وقوله إنما أمره الخ دليل لهذه الآية (قوله أشباهكم فى الكفر) أى الذين يشبهونكم فيه (قوله فهل من مدكر) أى بما وقع لهم فيرتدع و ينزجر (قوله فى الزبر) جمع زبور وهو الكتاب (قوله أريد به الجنس) أى لمناسبة جمع الجنات وأفرد موافقة لرءوس الآى (قوله وقرئ) أى شذوذا (قوله فى مقعد صدق) من إضافة الموصوف لصفته (قوله وقرئ مقاعد) أى شذوذا (قوله ببدل البعض) أى لأن المقعد بعض الجنات وقوله وغيره أى وهو بدل الاشتمال لأن الجنات مشتملة على المقعد (قوله عند مليك) خبر ثان إن جعل فى مقعد صدق بدلا أو ثالث إن جعل خبرا ثانيا (قوله وعند إشارة للرتبة) أى فهى عندية مكانة وقوله والقربة أى التقرب فهما متحدان .

[سورة الرحمن] وتسمى عروس القرآن لما ورد «لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن» (قوله مكية) أي كلها (قوله أو إلا يسئله الخ) حكاية لقول آخر وبقي قول ثالث وهو كلها مدني (قوله الآية) الأوضح أن يقول الآيتين لأن المدني على هذا القول يسئله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن وقوله عقبها فبأي آلاء ربكما تكذبان ولا شك أنهما آيتان (قوله الرحمن) إما خبر مبتدإ محذوف أي الله الرحمن أو مبتدأ خبره محذوف أي الرحمن ربنا وهذان الوجهان على القول بأن الرحمن آية مستقلة وأما على أنه ليس آية مستقلة فالرحمن مبتدأ خبره علم القرآن وسبب نزولها أنه لما نزل اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فأنكروه وقالوا لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فنزلت رداً عليهم، وفيها رد عليهم أيضاً حيث قالوا إنما يعلمه بشر فأفاد أن الذي يعلمه هو الرحمن لا غيره وافتتح هذه السورة بلفظ الرحمن إشارة إلى أنها مشتملة على نعم عظيمة وذلك لأن الرحمن هو المنعم بجلائل النعم كما وكيفا ولذا ذكر قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان إحدى وثلاثين مرة فيها (قوله علم القرآن) إما من التعليم وهو التفهيم أي عرفه فالقرآن مفعول ثان والأول محذوف قدره المفسر بقوله من شاء أي من عباده إنساً وجناً وملكاً وقدره بعضهم محمداً أو جبريل رداً على المشركين في قولهم إنما يعلمه بشر والأول أولى لعمومه، أو من العلامة، والمعنى جعله علامة وآية يعجز بها المعارضين وقدم تعليم القرآن على خلق الانسان مع أنه متأخر عنه في الوجود لأن التعليم هو السبب في إيجاده وخلقه (قوله خلق الانسان) هذه الجملة والتي بعدها خبران عن الرحمن أو حالان وترك العاطف بينهما لشدة الاتصال (قوله أي الجنس) أي الصادق بآدم وأولاده، وحينئذ فالمراد بالبيان النطق الذي يميز به عن سائر الحيوان وهذا أحد أقوال في تفسير الانسان وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه الانسان الكامل والمراد بالبيان علم ما كان وما يكون وما هو كائن وقيل هو آدم عليه السلام، والمراد بالبيان أسماء كل شيء ما وجد وما لم يوجد بجميع اللغات فكان يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية (قوله بحسبان) متعلق بمحذوف خبر المبتدإ الذي هو الشمس والقمر تقديره يجريان (قوله بحساب) أشار بذلك إلى أن قوله بحسبان مصدر مفرد بمعنى الحساب كالغفران والكفران ويصح أن يكون جمع حساب كشهاب وشهبان ورغيف ورغفان والمعنى أن الشمس والقمر يجريان في بروجهما ومنازلهما بمقدار واحد لا يتعديانه لمنافع العباد على حسب الفصول والشهور القمرية والقبطية من مبدإ الدنيا لمنتهاها (قوله ما لا ساق له) أي وهو المفروش على الأرض كالقثاء والبطيخ ونحوهما (قوله ماله ساق) أي وهو المرتفع كالنخل والنبق ونحوهما (قوله يخضعان) أي ينقادان لما يراد منهما طوعاً فلا تخالف ما أمرت به فلو أراد منها الاثمار أو عدمه لم تخالف بل تأتي على طبق ما أراده (قوله أثبت العدل) أي في جميع الأمور، والمعنى أن الله تعالى شرع العدل وأمر به في كل شيء لا سيما في الكيل والوزن (قوله أي لأجل أن لا تجوروا) أشار بذلك إلى أن أن ناصبة ولا نافية وتطغوا منصوب بأن وقبلها لام العلة مقدرة (قوله وأقيموا الوزن) إيضاح لقوله: أن لا تطغوا في الميزان، وذلك لأن الطغيان في الميزان أخذ الزائد والاخسار إعطاء الناقص والقسط التوسط بين الطرفين (قوله أثبتها) أي دحاها وخفضها (قوله للأنام) أي لانتفاعهم بها من أكل وشرب ونوم ونحو ذلك (قوله وغيرهم) أي كباقي البهائم (قوله فيها فاكهة) الجملة حالية (قوله ذات الأكمام) جمع كم بالكسر وهو وعاء الطلع وغطاء النور ويجمع أيضاً على أكمة وأما بالضم فهو للقميص (قوله والحب ذو العصف الخ) برفع الثلاثة أو نصبها أو رفع الأولين وجر الثالث ثلاث قراءات سبعيات

(سورة الرحمن)

(مكية أو إلا «يسئله من في السموات والأرض» الآية فمدنية، وهي ست أو ثمان وسبعون آية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ) من شاء (الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ) أي الجنس (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) النطق (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) يجريان بحساب (وَالنَّجْمُ) ما لا ساق له من النبات (وَالشَّجَرُ) ماله ساق (يَسْجُدَانِ) يخضعان بما يراد منهما (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) أثبت العدل (أَلَّا تَطْغَوْا) أي لأجل أن لا تجوروا (فِي الْمِيزَانِ) ما يوزن به (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ) بالعدل (وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) تنقصوا الموزون (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا) أثبتها (لِلْأَنَامِ) للخلق الإنس والجن وغيرهم (فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ) المعهود (ذَاتُ الْأَكْمَامِ) أوعية طلعها (وَالْحَبُّ) كالحنطة والشعير (ذُو الْعَصْفِ) التبن (وَالرَّيْحَانُ) الورق أو المشموم،

فرفع الجميع عطف على فاكهة ونصبها بفعل محذوف أي خلق ورفع الأولين عطف على فاكهة وجر الثالث عطف على العصف (قوله فبأي آلاء ربكما) أي بأي فرد من أفراد تلك النعم المذكورة تكذبان أي تنكرانها وتكابران فيها وذلك شأن الكفار أو لا تشكران ربكما عليها وذلك شأن العصاة وآلاء جمع إلى أو ألى كمعى وحصى و إلى كحمل وألى كأصل (قوله أيها الانس والجن) أي فالخطاب للثقلين كما يشعر به قوله فيما يأتي أيها الثقلان (قوله ذكرت إحدى وثلاثين مرة) ثمانية منها عقب آيات تعداد النعم ثم سبعة عقب ذكر النار وشدائدها على عدة أبوابها لأن التخلص منها نعمة ثم ثمانية عقب وصف الجنتين الأولين كعدة أبوابها ثم ثمانية عقب وصف الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليين (قوله والاستفهام للتقرير) ويصح أن يكون للتوبيخ على مافصل من فنون النعم الموجبة للشكر والايمان (قوله ثم قال مالي أراكم سكوتا الخ) يؤخذ من ذلك أنه ينبغي لسامع هذه السورة أن يجيب بهذا الجواب (قوله كانوا أحسن منكم ردا) أي في الجواب فلا ينافي أن الانس أحسن منهم فهذه مزية (قوله فبأي آلاء الخ) بدل من هذه الآية (قوله إلا قالوا ولا بشيء من نعمك الخ) ظاهره أن جميع مافي هذه السورة نعم مع أن فيها يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس الخ وكل من عليها فان وهذه جهنم ونحو ذلك . وأجيب بأن رفع البلاء وتأخير العذاب عن العصاة والتسوية في الموت بين الشريف وغيره من جملة النعم فحسن جواب الجن عقب كل واحدة (قوله آدم) أشار بذلك إلى أن أل في الانسان للعهد بخلاف الانسان المتقدم ففيه احتمالات ثلاث (قوله إذا نقر) أي ليختبر هل فيه عيب أولا (قوله كالفخار) أي في أن كلا منهما يسمع له صوت إذا نقر. واعلم أنه تعالى أفاد في هذه السورة أن خلق آدم

كان من صلصال كالفخار وفي سورة الحجر من صلصال من حمأ مسنون أي طين أسود متغير ، وفي الصافات من طين لازب : أي يلصق باليد وفي آل عمران كمثل آدم خلقه من تراب ولا تنافي بينها وذلك لأنه تعالى أخذه من تراب الأرض فعجنه بالماء فصار طينا لازبا ثم تركه حتى صار حمأ مسنونا ثم صوره كما تصور الأواني ثم أيبسه حتى صار في غاية الصلابة كالفخار إذا نقر صوت فالمذكور هنا آخر أطواره وفي غير هذا الموضع تارة مبدؤه وتارة أثناؤه فالأرض أمه والماء أبوه ممزوجان بالهواء الحامل للحر الذي هو من فيح جهنم فهو من العناصر الأربع لكن الغالب في جبلته التراب كما أن الجان خلق من العناصر الأربع لكن الغالب في جبلته النار ولذا نسب إليها (قوله وهو ماطبخ من الطين) أي فكان مجوفا كالأواني وليس كالآجر (قوله وهو إبليس) هذا أحد قولين وهو الصحيح وقيل أبو الجن غير إبليس (قوله من مارج من نار) من الأولى لابتداء الغاية والثانية يصح أن تكون للبيان وللتبعيض (قوله هو لهبها الخالص من الدخان) هذا أحد أقوال في تفسير المارج ، وقيل هو ما اختلط من أحمر وأخضر وأصفر وهو مشاهد في النار ترى الألوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض ، وقيل هو الأحمر الكائن في طرف النار ، وقيل اللهب المختلط بسواد (قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي بأي نعم ربكما الناشئة عنه تكفران (قوله رب المشرقين) بالرفع في قراءة العامة على أنه خبر لمحذوف : أي هو رب المشرقين وقرئ شذوذا بالجر على أنه بدل أو بيان لربكما (قوله كذلك) أي مغرب الشتاء ومغرب الصيف وأما آية فلا أقسم برب المشارق والمغارب فباعتبار مشرق كل يوم ومغربه (قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي بأي نعمة من هذه النعم العظيمة تكفران بها (قوله مرج البحرين) المرج بفتحتين في الأصل الاهمال والترك أو الارسال و بسكون الراء الأرض ذات النبات والمرعى يقال مرج الدابة أي أرسلها ترعى في المرج (قوله يلتقيان) حال من البحرين أي يتماسان على وجه الأرض بلا فصل بينهما في رؤية العين (قوله بينهما برزخ) جملة مستأنفة أو حالية من البحرين .

(فَبِأَيِّ آلَاءِ) نعم (رَبِّكُمَا) أيها الإنس والجن (تُكَذِّبَانِ) ذكرت إحدى وثلاثين مرة والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال «قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال : مالي أراكم سكوتا؟! للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» (خَلَقَ الْإِنْسَانَ) آدم (مِنْ صَلْصَالٍ) طين يابس يسمع له صلصلة : أي صوت إذا نقر (كَالْفَخَّارِ) وهو ماطبخ من الطين (وَخَلَقَ الْجَانَّ) أبا الجن ، وهو إبليس (مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ) هو لهبها الخالص من الدخان (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ) مشرق الشتاء ومشرق الصيف (وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) كذلك (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مَرَجَ) أرسل (الْبَحْرَيْنِ) العذب والملح (يَلْتَقِيَانِ) في رأي العين (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ) حاجز من قدرته تعالى (لا يبغيان)

(قوله لا يبغيان) أى لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده له خالقه فالماء العذب الداخل فى الملح باق على حاله لم يمتزج بالملح لحتى حفرت فى جنب الملح فى بعض الأماكن وجدت الماء العذب بل كلما قربت الحفرة من الملح كان الماء الخارج منها أحلى فخلطهما الله فى رأى العين وحجزهما بقدرته تعالى وإذا كان هذا حال جماد لا إدراك له ولا عقل فكيف يبغى العقلاء بعضهم على بعض (قوله بالبناء للمفعول والفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الصادق بأحدهما) هذا غير ظاهر لأن المجموع لا يصدق على البعض إلا إذا كان متعددا كقوله كل رجل يحمل الصخرة العظيمة فالأولى أن يجعل الكلام على حذف مضاف : أى من أحدهما وقيل لا تقدير فى الآية بل يخرجان من الملح فى الموضع الذى يقع فيه العذب وهو مشاهد عند الغواصين ، وقيل العذب كالرجل والملح كالمرأة واللؤلؤ والمرجان يخرجان منهما كما يخرج الولد من الرجل والمرأة ، وقال ابن عباس تكون هذه الأشياء فى البحر بنزول المطر والصدف تفتح أفواهها للمطر (قوله وله الجوار) جمع جارية وهى السفينة صفة جرت مجرى الأسماء سميت بذلك لأن شأنها الجرى (قوله المنشآت) بفتح الشين اسم مفعول أى أنشأها الناس بسبب تعليم الله لهم وكسرها اسم فاعل أى تنشئ الريح بجريها أو تنشئ السير إقبالا وإدبارا ونسبة الإنشاء لها مجاز وهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بتشديد الشين مع فتحها مبالغة (قوله أى الأرض) أى وعلى هذا التفسير فلا يستثنى شئ بخلاف قوله

تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه ، فيستثنى الجنة والنار والحور العين والولدان والعرش والأرواح (قوله هالك) أى بالفعل (قوله ويبقى وجه ربك) الخطاب إما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتناء بشأنه وإما لأى سامع ليعلم كل أحد أن غير الله فان (قوله ذو الجلال والاكرام) فيه وعد ووعيد فبوصف الجلال إفناء الخلق وتعذيب الكفار ، وبوصف الاكرام إحياؤهم وإثابة المؤمنين وذو بالرفع فى قراءة العامة نعت للوجه وقرئ شذوذا بالجر صفة للرب وأما فى آخر السورة فالقراءتان سبعيتان (قوله يسأله من فى السموات والأرض) أى لأنهم مفتقرون إليه تعالى فى جميع لحظاتهم قال ابن عباس أهل السموات يسألون المغفرة ولا يسألون الرزق وأهل الأرض يسألونهما جميعا وقال ابن جريج تسأله الملائكة الرزق لأهل الأرض فسؤال خير الدنيا والآخرة صادر من كل من أهل السموات والأرض وفى الحديث «إن من الملائكة ملكا له أربعة أوجه وجه كوجه الانسان يسأل الله تعالى لرزق لبنى آدم ووجه كوجه الأسد يسأل الله تعالى الرزق للسباع ووجه كوجه الثور يسأل الله تعالى الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر يسأل الله تعالى الرزق للطير» (قوله أى بنطق) أى بلسان المقال وقوله أو حال أى بلسان الحال وهو الذل والاحتياج (قوله كل يوم هو فى شأن) كل ظرف منصوب بالمحذوف الذى تعلق به الجار والمجرور بعده والمراد باليوم اللحظة من الزمن وبالشأن التصريف فى خلقه لما ورد «أن الانسان يخرج منه فى اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفس فى كل نفس تحمل مائة ألف ويولد مائة ألف ويعز مائة ألف ويذل مائة ألف ويفرج عن مائة ألف» وفى رواية «فى كل واحدة ستمائة ألف» وحكى أن ابن الشجرى كان يقرر فى درسه هذه الآية فجاءه الخضر وقال له ما شأن ربك اليوم فأطرق برأسه وقام متحيرا فنام فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه فعرض عليه السؤال فقال له السائل لك الخضر فإن أتاك وسألك فقل له شئون يبديها ولا يبتديها يرفع أقواما ويضع آخرين فلما أصبح أتاه وسأله فأجابه بذلك فقال له صل على من علمك (قوله أمر يظهره الخ) أى فالشأن صفة فعل وقوله من إحياء الخ بيان له فالتغير راجع

(لَا يَبْغِيَانِ) لا يبغى واحد منهما على الآخر فيختلط به (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُخْرَجُ) بالبناء للمفعول والفاعل (مِنْهُمَا) من مجموعهما الصادق بأحدهما وهو الملح (اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) خرز أحمر أو صغار اللؤلؤ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . وَلَهُ الْجَوَارِ) السفن (الْمُنْشَآتُ) المحدثات (فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) كالجبال عظما وارتفاعا (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا) أى الأرض من الحيوان (فَانٍ) هالك وعبر بمن تغليبا للعقلاء (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ) ذاته (ذُو الْجَلَالِ) العظمة (وَالْإِكْرَامِ) للمؤمنين عليهم (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى بنطق ، أو حال ما يحتاجون إليه من القوة على العبادة والرزق والمغفرة وغير ذلك (كُلَّ يَوْمٍ) وقت (هُوَ فِي شَأْنٍ) أمر يظهره على وفق ما قدره فى الأزل : من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك ،

المصنوعات ، وأما ذاته تعالى وصفاته فيستحيل عليها التغير فهو يغير ولا يتغير (قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى بأى نعمة من تلك النعم التى أنشأها خالقكما ومدبركما تكفران بها (قوله سنقصد لحسابكم) جواب عما يقال إن الله لا يشغله شأن عن شأن فكيف قال سنفرغ لكم فأجاب بما ذكر . وإيضاحه أن تقول الفراغ من الشئ يطلق على التفرغ من الشواغل وهو بهذا المعنى مستحيل عليه تعالى ويطلق على القصد للشئ والاقبال عليه وهو المراد هنا ، والمراد بالقصد فى كلام المفسر الارادة وحينئذ فيكون معناه سأريد حسابكم وهذا لا يظهر إلا على القول بأن للارادة تعلقا تنجيزيا حادثا وأما على القول بنفيه فلا يظهر فكان المناسب له أن يقول سأحاسبكم وفى الآية وعد للطائعين ووعيد للعاصين (قوله أيه الثقلان) تثنية ثقل بفتحتين سميا بذلك لأنهما أثقلا الأرض أو حصل لهما الثقل والتعب بالتكاليف (قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى التى من جملتها إثابة أهل الطاعات وعقاب أهل المعاصى (قوله يامعشر الجن والانس الخ) هذا إلزام وتعجيز لمن لم يرض بقضاء الله وقدره وهو إشارة لمعنى حديث قدسى «من لم يرض بقضائى ويصبر على بلائى فليخرج من تحت سمائى ويتخذ له ربا سوائى» وعلى هذا فالخطاب يقال لهما فى الدنيا وقيل يقال لهما هذا يوم القيامة لما ورد «إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقق بأهلها فتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها ثم يأمر الله السماء التى تليها كذلك فينزلون فيكونون صفا خلف ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فتنزل ملائكة الرفيع الأعلى فلا يأتون قطرا من أقطارها إلا وجدوا صفوفا من الملائكة فذلك قوله تعالى يامعشر الجن والانس إن استطعتم الآية» والحكمة

(فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . سَنَفْرُغُ لَكُمْ) سنقصد لحسابكم (أَيُّهَ الثَّقَلَانِ) الإنس والجن (فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا) تخرجوا (مِنْ أَقْطَارِ) نواحى (السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا) أمر تعجيز (لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) بقوة ولا قوة لكم على ذلك (فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ) هو لهبها الخالص من الدخان أو معه (وَنُحَاسٌ) أى دخان لا لهب فيه (فَلَا تَنْتَصِرَانِ) تمتنعان من ذلك بل يسوقكم إلى المحشر (فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ) انفرجت أبوابا لنزول الملائكة (فَكَانَتْ وَرْدَةً) أى مثلها محمرة (كَالدِّهَانِ) كالأديم الأحمر ،

فى تقديم الجن هنا على الانس وتأخيرهم عنهم فى قوله تعالى : قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أن الجن أقوى من الانس فقدموا فيما يتعلق بالهروب والانس أفصح من الجن فقدموا فيما يتعلق بالمعارضة بالقرآن فقدم فى كل موضع مايناسبه (قوله قوة) هذا أحد قولين فى تفسير السلطان ، وقيل هو البينة والحجج الواضحة (قوله فبأى على

آلاء ربكما) أى من التنبيه والتحذير والعفو مع كمال القدرة على العقوبة (قوله يرسل عليكما) إلخ جملة مستأنفة قصد بها بيان أهوال يوم القيامة ، وهذا على القول بأن الخطاب المتقدم فى الدنيا ، وأما على القول بأنه فى الآخرة فالكلام مرتبط بعضه وليس مستأنفا (قوله شواظ) بكسر الشين وضمها قراءتان سبعيتان ولغتان بمعنى واحد (قوله وهو لهبها الخالص من الدخان الخ) هذان قولان من أربعة وقيل هو اللهب الأحمر وقيل هو الدخان الخارج من اللهب (قوله ونحاس) إما بالرفع عطف على شواظ أو الجر عطف على نار سبعيتان لكن قراءة الجر لابد فيها من كسر شين شواظ أو إمالة نار فمن قرأ بجر نحاس بدون أحد الأمرين فقد وقع فى التلفيق (قوله أى دخان الخ) هذا التفسير إنما يناسب قراءة الرفع لا الجر وإلا فيصير المعنى يرسل عليكما شواظ أى لهب من نحاس أى دخان لا لهب فيه وهو لا يصح إلا أن يقال الشواظ يطلق بالاشتراك على اللهب الخالص والدخان (قوله فلا تنتصران) أى لا تجدان لكما ناصرا. واعلم أن هذا الأمر وهو سوق الجن والانس بالنار إلى المحشر وازدحامهم حتى يكون على القدم ألف قدم ليس لعموم الجن والانس، بل ورد فى أناس أنهم يخرجون من قبورهم لقصورهم لا يحزنهم الفزع الأكبر وكل واحد ممن حضر الموقف على قدر عمله فمنهم من يظل فى ظل العرش ومنهم من يلجمه العرق ومنهم من يراه قصيرا ومنهم من يراه طويلا هذا هو التحقيق (قوله من ذلك) أى المذكور من الشواظ والنحاس (قوله بل يسوقكم) أى المذكور منهما (قوله لنزول الملائكة) أى لتحيط بالعالم من سائر جهات الأرض (قوله كالدهان) إما خبر ثان أو نعت لوردة والدهان إما جمع دهن كرماح ورمح ويكون

بمعنى قوله يوم تكون السماء كالمهل أى كدردى الزيت أو مفرد كحزام وإدام وهو الأديم الأحمر أى الجلد وقد مشى على الثانى المفسر (قوله على خلاف العهد بها) أى على خلاف لونها الذى نراه ونعهده وهو الزرقة فإنها عارضة قيل بسبب جبل قٓ المحيط بها وأما لونها الأصلى فهو الحمرة (قوله فيومئذ) التنوين عوض عن جملة أى فيوم إذا انشقت السماء (قوله ولا جان عن ذنبه) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور محذوف من الثانى لدلالة الأول عليه (قوله ويسألون فى وقت آخر) أشار بذلك لوجه الجمع بين ماهنا وبين الآية التى ذكرها وإيضاح الجمع أن يقال إنهم حين يخرجون من القبور لا يسألون ويسألون حين يحشرون ويجتمعون فى الموقف (قوله والجان هنا الخ) قد يقال لا حاجة له لأن الجان والانس كل منهما اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالياء كزنج وزنجى (قوله فبأى آلاء ربكما) أى نعمه العظيمة التى من جملتها الزجر عما يؤدى للعذاب (قوله أى سواد الوجوه وزرقة العيون) أى وأخذ الصحف من وراء الظهر باليسرى (قوله بالنواصى) جمع ناصية وهو نائب الفاعل (قوله من خلف) أى فحينئذ يكسر ظهره كما يكسر الحطب قال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه فى سلسلة من وراء ظهره (قوله ويقال لهم) قدره إشارة إلى أن قوله هذه جهنم مقول لقول محذوف (قوله يطوفون بينها وبين حميم آن) أى يترددون بينهما فحين يستغيثون من النار يسعى بهم إلى الحميم فيسقون منه ويصب فوق رءوسهم فإذا استغاثوا منه يسعى بهم إلى النار وهكذا (قوله يسقونه الخ) أى ويغمسون فيه لما ورد عن كعب أن واديا من أودية جهنم يجتمع

على خلاف العهد بها وجواب إذا فما أعظم الهول (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) عن ذنبه، ويسألون فى وقت آخر فوربك لنسألنهم أجمعين والجان هنا وفيما سيأتى بمعنى الجن والإنس فيهما بمعنى الإنسى (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) أى سواد الوجوه وزرقة العيون (فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) أى تضم ناصية كل منهم إلى قدميه من خلف أو قدام ويلقى فى النار ويقال لهم (هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ . يَطُوفُونَ) يسعون (بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ) ماء حار (آنٍ) شديد الحرارة يسقونه إذا استغاثوا من حر النار وهو منقوص كقاض (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . وَلِمَنْ خَافَ) أى لكل منهم أو لمجموعهم (مَقَامَ رَبِّهِ) قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته (جَنَّتَانِ .

فيه صديد أهل النار فيغمسون بأغلالهم فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (قوله وهو منقوص كقاض) أى فيقال أنى يأنى كقضى يقضى فهو آن كقاض وأصله آنى استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاء الساكنين (قوله ولمن خاف مقام ربه) أى لكل شخص خائف سواء كان من الانس أو من الجن فالجن كالانس فى النعيم وهو ما عليه الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة إن من مات من الجن مسلما يصير ترابا كالبهائم ولا حظ له فى النعيم (قوله أى لكل منهم) أى لكل فرد من أفراد الخائفين جنتان. واختلف فى المراد بالجنتين اللتين يعطاهما كل خائف فقيل جنة لعقيدته وجنة لعمله وقيل جنة لطاعته وجنة لترك المعاصى وقيل جنة يثاب بها وجنة يتفضل بها عليه وقيل إحدى الجنتين منزله والأخرى منزل أزواجه كعادة الأكابر فى الدنيا وقيل إحدى الجنتين مسكنه والأخرى بستانه وقيل إحدى الجنتين خلقت له والأخرى جنة ورثها من الكفار وعلى كل من الأقوال تسمى إحداهما جنة عدن والأخرى جنة النعيم، وروى عن ابن عباس فى وصف الجنتين أنه قال الجنتان بستانان فى عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام فى وسط كل بستان دار من نور وليس منهما شىء إلا يهتز نعمة وخضرة قرارها ثابت وشجرها نابت، وقيل المراد بالجنتين جنة واحدة وإنما ثنى رعاية للفواصل (قوله أو لمجموعهم) أى أن الكلام على سبيل التوزيع فإحدى الجنتين للخائف الإنسى والأخرى للخائف الجنى بكل خائف ليس له إلا جنة واحدة والأول هو المعتمد (قوله قيامه بين يديه الخ) أشار بذلك إلى أن المقام مصدر ميمى بمعنى القيام وهو أحد احتمالات ثلاث فى تفسير المقام والثانى أنه اسم مكان أى خاف مكان وقوفه للحساب والثالث أنه مصدر ميمى بمعنى قيام الله عز وجل على الخلائق أى إشرافه واطلاعه عليهم ومناقشته لهم فى الحساب (قوله فترك معصيته) أى فتسبب عن خوفه تركه للمعاصى. واعلم أن الخوف مرتبتان مرتبة العامة وهى خوف تعذيب الله إياهم ومرتبة الخاصة وهى خوف جلال الله وهيبته وفيها

فليتنافس المتنافسون، وللعارفين تفسير آخر وهو أن المراد بالخوف خوف الإجلال والتعظيم والهيبة، والمراد بالجنتين جنة الشهود في الدنيا بالقلب وفي الآخرة بالأبصار وجنة الثواب في الآخرة لاغير (قوله فبأى آلاء ربكما) أى نعمه تكذبان أبتلك النعم التى من جملتها الجنة ونعيمها أم بغيرها (قوله ذواتا أفنان) إما صفة لجنتان أو خبر لمحذوف: أى هما (قوله تثنية ذوات) أى الذى هو مفرد (قوله على الأصل) أى وذلك لأن أصلها ذوى تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فصار ذوى كفتى فهذه الألف لام الكلمة وإنما قلبت الياء ألفا دون الواو مع أن كلا منهما متحرك وما قبله مفتوح لأنها طرف والطرف محل تغيير ولم ترد هذه الألف في التثنية إلى الياء فيقال ذويتان لأنه لما زيدت التاء فى هذا اللفظ تحصنت الألف من الردّ إلى الياء وما فى الآية هو الفصيح فى تثنيتها وقد تثنى على لفظها فيقال ذاتان (قوله أغصان) أى وهى فروع الشجر التى تشتمل على الورق والثمار (قوله جمع فنن) هذا أحد قولين، وقيل جمع فنّ: أى نوع وشكل (قوله فيهما) أى فى كل واحدة منهما (قوله عينان تجريان) أى بالماء الزلال إحداهما تسمى التسنيم والأخرى السلسبيل، وقيل إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين (قوله فى الدنيا) أى ماهو فاكهة فى الدنيا فلا تشمل الفاكهة على هذا مثل الحنظل (قوله أوكل مايتفكه به) أى فى الآخرة ولوكان فى الدنيا غير فاكهة كالحنظل، وقوله: والمر منها الخ مبنى على القول الثانى (قوله متكئين) أى مضطجعين أو متربعين فالتوكؤ الاضطجاع أوالتربع لما فى الحديث «أما أنا فلا آكل متكئا» أى جالسا جلوس التربع ونحوه من الهيئات التى تستدعى كثرة الأكل فالتوكؤ فى الدنيا مذموم وفى الآخرة غير مذموم لارتفاع التكليف (قوله أى يتنعمون) الضمير عائد على من فى قوله: ولمن خاف مقام ربه (قوله بطائنها من إستبرق) هذه الجمل صفة لفرش (قوله من السندس) أى وهو مارق من الديباج (قوله وجنى الجنتين دان) جنى مبتدأ بمعنى مجنى خبره دان وأصله دانو كغاز وقاض (قوله يناله القائم الخ) قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله إن شاء قائما وإن شاء قاعدا وإن شاء مضطجعا. وقال الرازى: جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة أوجه: أحدها أن الثمرة على رءوس الشجر فى الدنيا بعيدة عن الإنسان المتكئ وفى الجنة يتكئ والثمرة تتدلى إليه. وثانيها أن الانسان فى الدنيا يسعى إلى الثمرة ويتحرك إليها وفى الآخرة تدنو منه وتدور عليه. وثالثها أن الانسان فى الدنيا إذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة كلها تدنو إليه فى وقت واحد ومكان واحد (قوله فى الجنتين الخ) جواب عن سؤال مقدر حاصله كيف أتى بضمير الجمع مع أن المرجع مثنى (قوله قاصرات الطرف) أى محبوسات على أزواجهنّ لايبغين بغيرهم بدلا لماروى أنها تقول لزوجها وعزة ربى ما أرى فى الجنة أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك (قوله لم يطمثهنّ) الطمث الجماع المؤدّى إلى خروج دم البكر ثم أطلق على كل جماع فالمعنى لم يصبهنّ بالجماع قبل أزواجهنّ أحد (قوله من الحور) أى فيكن قسمين إنسيات للانس وجنيات للجنّ (قوله أومن نساء الدنيا المنشآت) أى المخلوقات من غير واسطة ولادة (قوله إنس قبلهم ولاجانّ) أى أن كل واحد من أفراد النوعين يجد زوجاته فى الجنة اللاتى كنّ فى الدنيا أبكارا وإن كنّ فى الدنيا ثيبات لم يمسها غيره (قوله كأنهنّ الياقوت) هذه الجملة نعت لقاصرات أوحال منه (قوله صفاء) أى فالتشبيه بالياقوت من حيث الصفاء لامن حيث الحمرة فلا يقال مقتضاه أن لون أهل الجنة البياض المشرب بالحمرة (قوله أى اللؤلؤ بياضا) أى فالمرجان يطلق على الأحمر والأبيض

هل)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . ذَوَاتَا) تثنية ذوات على الأصل ولامها ياء (أَفْنَانٍ) أغصان جمع فنن كطلل (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ) فى الدنيا أو كل ما يتفكه به (زَوْجَانِ) نوعان رطب ويابس والمرّ منهما فى الدنيا كالحنظل حلو (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُتَّكِئِينَ) حال عامله محذوف. أى يتنعمون (عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) ما غلظ من الديباج وخشن، والظهائر من السندس (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ) ثمرهما (دَانٍ) قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِنَّ) فى الجنتين وما اشتملتا عليه من العلالى والقصور (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) العين على أزواجهنّ المتكئين من الإنس والجن (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ) يفتضهنّ وهنّ من الحور أو من نساء الدنيا المنشآت (إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ) صفاء (وَالْمَرْجَانُ) أى اللؤلؤ بياضا (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ .

والمراد به هنا الأبيض ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن المرأة من نساء أهل الجنة يرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها» (قوله هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) اعلم أن هل ترد لأربعة أوجه تكون بمعنى قد كقوله تعالى ـ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ـ وبمعنى الاستفهام كقوله ـ فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا ـ وبمعنى الأمر كقوله ـ فهل أنتم منتهون ـ وبمعنى النفي كقوله ـ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ـ وكما هنا فهي هنا للنفي ، والمعنى لاجزاء الإحسان: أي الطاعات وترك المعاصي إلا الإحسان: أي الثواب الجزيل (قوله ومن دونهما) قيل معناه أدنى منهما وأصحاب هاتين الجنتين أهل اليمين وهم دون الخائفين مقام ربهم في المنزلة وهذا على حدّ ما يأتي في سورة الواقعة أن أهل اليمين أقلّ من السابقين ، وقيل الجنات الأربع لمن خاف مقام ربه ، ومعنى قوله ومن دونهما أقرب وأدنى منهما للعرش ، ويؤيده ماورد أن الأوليين من ذهب وفضة والأخريين من ياقوت ، وتقدّم أن الأوليين جنة عدن وجنة النعيم وهاتان جنة الفردوس وجنة المأوى وهو ماّمشى عليه المفسر (قوله مدهامتان) من الدهمة وهي السواد (قوله من شدّة خضرتهما) أي لكثرة بساتينهما (قوله فوارتان) أي وليستا كالجاريتين لأن النضخ دون الجرى ، وهذا بناء على أن هاتين أقلّ من الأوليين ، وأما على القول بأنهما أعلى منهما فمعنى نضاختان كما قال ابن عباس وابن مسعود أنهما ينضخان على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دار أهل الجنة كما ينضخ رش المطر أو أن المراد فوارتان مع الجرى ولاشك أنهما أعلى من الجاريتين فقط (قوله هما منها) أي من الفاكهة وهو ظاهر ، وقوله وقيل من غيرها : أي وذلك لأن النخل كان عامة قوتهم والرمان كالشراب فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم إليهما وكانت الفواكه عندهم الثمار التي يعجبون بها ، روى أن نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرمها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها حللهم وثمارها مثل القلال أو الدلاء أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس لها عجم ، وروى أن الرمانة من رمان الجنة كجلد البعير المقتب ، وروى أن نخل أهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا (قوله أي الجنتين وما فيهما الخ) جواب عما يقال كيف جمع الضمير مع أنه راجع للمثنى (قوله خيرات) إما جمع خيرة بوزن فعلة بفتح الفاء وسكون العين أو جمع خيرة مخفف خيرة بالتشديد ، وفي الحديث «إن الحور العين يأخذ بعضهنّ بأيدي بعض ويتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بأحسن منها ولابمثلها: نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ونحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناعمات فلا نبيس أبدا : ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام» وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت «إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهنّ المؤمنات من نساء أهل الدنيا نحن المصليات وماصليتنّ ونحن الصائمات وماصمتنّ ونحن المتوضئات وماتوضأتنّ ونحن المتصدقات وماتصدقتنّ ، قالت عائشة رضي الله عنها : فغلبنهنّ والله» واختلف هل الحور العين أكثر حسنا وأبهى جمالا أو نساء الدنيا ؟ والصحيح أن نساء الدنيا يكنّ أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف (قوله من درّ مجوّف) قال ابن عباس: الخيمة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، وروى «أن سحابة مطرت من العرش فخلقت الحور من قطرات رحمة ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الأنهار سعتها أربعون ميلا وليس لها باب حتى إذا حل ولي الله الجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدام لم تأخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين (قوله مضافة إلى القصور) أي أنها في داخلها فالخيمة في داخل القصر (قوله بالخدور) جمع خدر وهو الستر الذي يتخذ

هَلْ) ما (جَزَاءُ الْإِحْسَانِ) بالطاعة (إِلاَّ الْإِحْسَانُ) بالنعيم (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . وَمِنْ دُونِهِمَا) أي الجنتين المذكورتين (جَنَّتَانِ) أيضا لمن خاف مقام ربه (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُدْهَامَّتَانِ) سوداوان من شدّة خضرتهما (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ) فوّارتان بالماء لاينقطعان (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) هما منها ، وقيل من غيرها (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِنَّ) أي الجنتين ومافيهما (خَيْرَاتٌ) أخلاقا (حِسَانٌ) وجوها (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . حُورٌ) شديدات سواد العيون وبياضها (مَقْصُورَاتٌ) مستورات (فِي الْخِيَامِ) من درّ مجوف مضافة إلى القصور شبيهة بالخدور (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ) قبل أزواجهن (وَلاَ جَانٌّ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُتَّكِئِينَ) أي أزواجهن ،

فى البيوت كالناموسية (قوله و إعرابه كما تقدم) أى أنه حال عامله محذوف : أى يتنعمون (قوله جمع رفرفة) أى واحده رفرفة والرفرف اسم جنس جمعى أواسم جمع (قوله أى بسط أو وسائد) هذان قولان فى معنى الرفرف ، وقيل هو شىء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يتلذذ به مع أنيسته (قوله وعبقرى) منسوب إلى عبقر قرية بناحية اليمن ينسج فيها بسط منقوشة فقرّب الله لنا فراش تلك الجنتين به ، وقيل إن الياء ليست للنسب بل هى كياء الكرسى والبختى فهو اسم للفراش المنقوش البالغ الغاية فى الحسن (قوله أى طنافس) جمع طنفسة بكسرتين أوفتحتين بساط له خمل رقيق (قوله ذى الجلال) بالياء والواو قراءتان سبعيتان (قوله ولفظ اسم زائد) أى لأن أوصاف التنزيه والتعظيم فى الحقيقة للمسمى ، وقد يقال أسماء الله وصفاته يسند لها التنزيه والتعظيم حقيقة فعدم زيادته أبلغ فى التعظيم والتنزيه .

[سورة الواقعة] قال مسروق : من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة فليقرأ سورة الواقعة ، وحكى أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده فى مرضه الذى مات منه فقال ماتشتكى ؟ قال ذنوبى . قال فماتشتهى؟ قال رحمة ربى ، قال أفلا ندعو لك طبيبا ؟ قال الطبيب أمرضنى، قال أفلاتأمرلك بعطائك؟ قال لاحاجة لى فيه حبسته عنى فى حياتى وتدفعه لى عند مماتى ؟ قال يكون لبناتك من بعدك ، قال أتخشى على بناتى الفاقة من بعدى إنى أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » (قوله إلا أفبهذا الحديث الخ) هذا قول الكلبى وقول المفسر الآية أولا وثانيا مراده الجنس الصادق بالآيتين فالمدنى على هذا القول أربع آيات - أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون - وقوله تعالى - ثلة من الأولين وثلة من الآخرين - وقيل مكية كلها ، وقيل مكية إلا آية منها ، وهى قوله - وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون - (قوله إذا وقعت الواقعة) إذا إما ظرف ليس فيه معنى الشرط وعامله ليس لوقعتها كاذبة من حيث إنها تضمنت معنى النفى كأنه قيل انتفى التكذيب وقت وقوعها أو شرطية وجوابها محذوف تقديره يحصل كذا وكذا وهو العامل فيها (قوله قامت القيامة) أى فالواقعة من جملة أسماء القيامة (قوله ليس لوقعتها) اللام بمعنى فى على حذف مضاف ، والمعنى ليس نفس كاذبة توجد فى وقت وقوعها (قوله خافضة رافعة) خبر مبتدإ محذوف كما أفاده المفسر بقوله : أى هى الخ (قوله لخفض أقوام الخ) أى حسا ومعنى فأهل الجنة ترفعهم حسا ومعنى وأهل النار تخفضهم كذلك ونسبة الخفض والرفع إليها مجاز من إسناد الفعل لمحله وزمانه (قوله إذا رجت الأرض) إما بدل من إذا الأولى وعليه مشى المفسر أو تأكيد لها أو شرط وعاملها مقدر (قوله حركت حركة شديدة) أى فترتج كما يرتج الصبى فى المهد حتى يتهدم ماعليها ويتكسر كل شىء عليها من الجبال وغيرها والرجة الاضطراب (قوله منتشرا) أى متفرقا بنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه فهو كالذى يرى شعاع الشمس إذا دخل من كوّة (قوله وكنتم) الخطاب لجميع الخلق المكلفين والمغير قسمتم باعتبار طباعكم وأخلاقكم فى الدنيا أصنافا ثلاثة .

و إعرابه كما تقدم (عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ) جمع رفرفة أى بسط أو وسائد (وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) جمع عبقرية. أى طنافس (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) تقدم، ولفظ اسم زائد ،

(سورة الواقعة)

مكية إلا « أفبهذا الحديث » الآية ، و « ثلة من الأولين » الآية وهى ست ، أوسبع ، أو تسع وتسعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) قامت القيامة (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ) نفس تكذب بأن تنفيها كما نفتها فى الدنيا (خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ) أى هى مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا) حركت حركة شديدة (وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا) فتتت (فَكَانَتْ هَبَاءً) غبارا (مُنْبَثًّا) منتشرا ، و إذا الثانية بدل من الأولى (وَكُنْتُمْ) فى القيامة (أَزْوَاجًا) أصنافا (ثَلَاثَةً ،

فأصحاب

(قوله فأصحاب الميمنة) شروع في ذكر أحوال الأزواج الثلاثة على سبيل الاجمال وسيأتى تفصيلهم بعد ذلك (قوله مبتدأ خبره ما أصحاب الميمنة الخ) أى فأصحاب الأول مبتدأ وما استفهامية مبتدأ ثان وما بعده خبره والجملة خبر الأول وتكرير المبتدإ بلفظه مغن عن الرابط (قوله تعظيم لشأنهم) أى إن فى هذا الاستفهام تعظيم شأنهم كأنه قيل فأصحاب الميمنة فى غاية حسن الحال وأصحاب الشأمة فى نهاية سوء الحال (قوله بأن يؤتى كتابه بشماله) ماذكره المفسر فى الفريقين أحد أقوال ، وقيل أهل الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة وأهل المشئمة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار ، وقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشئمة أصحاب المنزلة الدنية (قوله والسابقون الخ) أخرهم مع كونهم أعلى الأقسام الثلاثة لئلا يعجبوا بأعمالهم وقدم أهل اليمين لئلا يقنطوا من رحمة الله (قوله وهم الأنبياء) هذا أحد أقوال فى تفسير السابقين ، وقيل هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق ، وقيل هم المسارعون إلى الخيرات ، وقيل هم الذين سبقوا فى حيازة الفضائل (قوله أولئك المقربون) أى الذين قربت درجاتهم وأعليت مراتبهم واصطفاهم الله لرؤيته فى الجنة بكرة وعشيا حيث تسابقوا لخدمته وطاعته فكان جزاؤهم من الله القرب والاصطفاء زيادة على كونهم فى الجنة (قوله فى جنات النعيم) خبر ثان أو حال من الضمير فى المقربون (قوله ثلة من الأولين) الثلة بالضم فى قرءة العامة الجماعة من الناس وأما بالكسر فمعناها الهلكة (قوله وهم السابقون) أى إلى الإيمان بالأنبياء عيانا واجتمعوا عليهم وذلك لأن المؤمنين الذين اجتمعوا على الأنبياء جماعة كثيرة والمؤمنين الذين اجتمعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة قليلة بالنسبة لمجموع الأمم وهذا لاينافى كون هذه الأمة المحمدية ثلثى أهل الجنة لأن ماهنا فيمن اجتمع بالأنبياء مشافهة ، إذا علمت ذلك فتفسير المفسر السابقين المتقدم ذكرهم بالأنبياء غير واضح

(فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم مبتدأ خبره (مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة (وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ) أى الشمال بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله (مَا أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ) تحقير لشأنهم بدخولهم النار (وَالسَّابِقُونَ) إلى الخير ، وهم الأنبياء مبتدأ (السَّابِقُونَ) تأكيد لتعظيم شأنهم ، والخبر (أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ) مبتدأ : أى جماعة من الأمم الماضية (وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ) من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم السابقون من الأمم الماضية ، وهذه الأمة ، والخبر (عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) منسوجة بقضبان الذهب والجواهر (مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ) حالان من الضمير فى الخبر (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ) للخدمة (وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) على شكل الأولاد لا يهرمون (بِأَكْوَابٍ) أقداح لا عرى لها (وَأَبَارِيقَ) لها عرى وخراطيم

فالمناسب ان يقول والسابقون إلى الخير من أمة كل نبى و بعض المفسرين جعل الخطاب فى قوله وكنتم أزواجا ثلاثة لهذه الأمة وحينئذ فالمراد بالسابقين خيارهم وأهل اليمين عوامهم وأهل المشأمة كفارهم وقوله ثلة من الأولين يعنى جماعة كثيرة من أوائل هذه الأمة وقوله وقليل من الآخرين يعنى أن من أتى بعد أوائل هذه الأمة من الخيار قليل بالنسبة لأوائلها وإن كان كثيرا فى نفسه ولعل هذا التفسير أقرب (قوله على سرر) جمع سرير وهو مايوضع للشخص من المقاعد العالية كرامة و إجلالا قال الكلبى طول كل سرير ثلثمائة ذراع فاذا أراد العبد أن يجلس عليه تواضع وانخفض له فاذا جلس عليه ارتفع (قوله متكئين عليها) أى على السرر (قوله متقابلين) أى فلا ينظر بعضهم إلى قفا بعض بل إذا أراد أحدهم الانصراف دار به سريره (قوله يطوف عليهم) هذه الجملة إما حال أو استئناف (قوله ولدان) بكسر الواو باتفاق القراء جمع وليد بمعنى مولود (قوله على شكل الأولاد) أى فهم مخلوقون فى الجنة ابتداء كالحور العين ليسوا من أولاد الدنيا و إنما سموا أولادا لكونهم على شكل الأولاد كما أفاده المفسر وهذا هو الصحيح ، وقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا صغارا ، ورد بأن الله أخبر عنهم أنهم يلحقون بآبائهم فى السيادة والخلقة ، وقيل هم صغار أولاد الكفار ، وقيل غير ذلك (قوله لايهرمون) تفسير لقوله مخلدون ، والمعنى لايتغيرون عن حالة الولدان من الطراوة والنعومة بخلاف أولاد الدنيا فى الدنيا فانهم يتغيرون بالشيخوخة (قوله وأباريق) جمع إبريق مشتق من البريق لصفاء لونه (قوله لها عرى) أى مايمسك بها المسماة بالآذان (قوله وخراطيم) هى المسماة بالبزابيز .

(وَكَأْسٍ) إناء شرب الخمر (مِنْ مَعِينٍ) أى خمر جارية من منبع لاينقطع أبداً (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ) بفتح الزاى وكسرها: من نزف الشارب وأنزف، أى لا يحصل لهم منها صداع ولا ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا (وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ. وَ) لهم للاستمتاع (حُورٌ) نساء شديدات سواد العيون و بياضها (عِينٌ) ضخام العيون كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة التاء ومفرده عيناء كحمراء وفى قراءة بجر حور عين (كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) المصون (جَزَاءً) مفعول له، أو مصدر والعامل مقدر: أى جعلنا لهم ما ذكر للجزاء أو جزيناهم (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا) فى الجنة (لَغْوًا) فاحشاً من الكلام (وَلَا تَأْثِيمًا) ما يؤثم (إِلَّا) لكن (قِيلًا) قولا (سَلَامًا سَلَامًا) بدل من قيلا فإنهم يسمعونه (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ. فِي سِدْرٍ) شجر النبق (مَخْضُودٍ) لا شوك فيه (وَطَلْحٍ) شجر الموز (مَنْضُودٍ) بالحمل من أسفله إلى أعلاه (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) دائم (وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ) جار دائماً (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ) فى زمن (وَلَا مَمْنُوعَةٍ) بثمن،

(قوله لايصدعون عنها) أى لايحصل لهم صداع من أجلها والصداع داء معروف يلحق الأنسان فى رأسه (قوله أى لايحصل لهم الخ) لف و نشر مرتب (قوله مما يتخيرون) أى يختارون (قوله ولحم طير مما يشتهون) ورد «إن فى الجنة طيرا مثل أعناق البخت تصطف على يد ولىّ الله، فيقول أحدها: ياولىّ الله رعيت فى مروج تحت العرش وشربت من عيون التسنيم فكل منى فلايزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها فيخرّ بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ما أراد فاذا شبع تجمع عظام الطير فطار يرعى فى الجنة حيث شاء، فقال عمر يارسول الله إنها لناعمة قال آكلها أنعم منها»، وقال ابن عباس رضى الله عنه: يخطر على قلبه لحم الطير فيصير بين يديه على مايشتهى أو يقع على الصحفة فيأكل منها مايشتهى ثم يطير (قوله وحور عين) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله لهم (قوله شديدات سواد العيون) هذا من جملة تفسير العين فلو أخره بعده لكان أوضح فالعين شديدات سواد العيون مع سعتها. وأما الحور فقيل هو بياض أجسامهن، وقيل هو شدّة بياض العين فى شدّة سوادها (قوله بدل ضمها) أى الذى هو حقها لأن أصلها عين بضم العين وسكون الياء كسرت العين لتصح الياء (قوله وفى قراءة (١٥٤) بجرحورعين) أى وهى سبعية أيضا عطف على جنات النعيم كأنه قيل هم فى جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور عين (قوله كأمثال اللؤلؤ المكنون) أى المستور فى الصدف لم تمسه الأيدى ولا الشمس والهواء، روى «أنه يسطع نور فى الجنة فيقولون ماهذا فيقال ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها» وروى «أن الحوراء إذا مشت يسمع تقديس الخلاخيل من ساقها وتمجيد الأسورة من ساعديها وعقد الياقوت فى نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصيحان بالتسبيح» (قوله بما كانوا يعملون) الباء سببية وما مصدرية (وفرش

أو موصولة (قوله لكن قيلا) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وذلك لأن السلام ليس من جنس اللغو والتأثيم (قوله بدل من قيلا) أى أو نعت له أو منصوب بقيلا أى إلا أن يقولوا سلاما سلاما (قوله فانهم يسمعونه) أى من الله والملائكة وبعضهم بعضا (قوله وأصحاب اليمين) شروع فى تفصيل ما أجمل من أوصافهم إثر تفصيل أوصاف السابقين (قوله فى سدر) خبر ثان عن قوله وأصحاب اليمين (قوله مخضود) من خضد الشجر قطع شوكه من باب ضرب. روى: أن أعرابيا أقبل يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى أن فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هى؟ قال السدر فان له شوكا مؤذيا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليس يقول فى سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فإنها تنبت ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام مافيها لون يشبه الآخر وليس ثمر الجنة فى غلاف كثمر الدنيا بل كله مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه (قوله دائم) أى لاتنسخه الشمس (قوله جار دائما) أى على وجه الأرض ليس فى حفر (قوله ولا ممنوعة بثمن) الأولى أن يقول بشىء يشمل الحائط والباب والشوك ونحو ذلك والنفى لاتمنع عن متناولها بوجه من الوجوه بل إذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها بلاتعب.

(وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) على السرر (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً) أي الحور العين من غير ولادة (فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع (عُرُبًا) بضم الراء وسكونها جمع عروب، وهي المحببة إلى زوجها عشقاً له (أَتْرَابًا) جمع ترب: أي مستويات في السن (لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ) صلة أنشأناهن، أو جعلناهن، وهم (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ . وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ) ريح حارة من النار تنفذ في المسام (وَحَمِيمٍ) ماء شديد الحرارة (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) دخان شديد السواد (لَا بَارِدٍ) كغيره من الظلال (وَلَا كَرِيمٍ) حسن المنظر (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ) في الدنيا (مُتْرَفِينَ) منعمين لايتعبون في الطاعة (وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ) الذنب (الْعَظِيمِ) أي الشرك (وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) في الهمزة في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) بفتح الواو للعطف والهمزة للاستفهام،

(قوله وفرش مرفوعة على السرر) وقيل مرفوعة بعضها فوق بعض لما ورد «أن ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة مابينهما خمسمائة عام» (قوله أي الحور العين من غير ولادة) أشار بذلك إلى أن الضمير في أنشأناهن عائد على الحور العين المفهومات مما سبق وهذا أحد قولين، وقيل هو عائد على نساء الدنيا ومعنى أنشأناهن أعدنا إنشاءهن ويؤيده ماورد «أن أم سلمة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى إنا أنشأناهن إنشاء فقال ياأم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رسول الله يقول ذلك قالت وارجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع» ويصح عود الضمير على ماهو أعم من الحور العين ونساء الدنيا وهو الأنسب بالأدلة (قوله بضم الراء وسكونها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي مستويات في السن) أي وهو ثلاث وثلاثون سنة لما في الحديث «يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا مكحولين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين على خلق آدم عليه السلام ستون ذراعا في سبعة أذرع» وروى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال: من دخل الجنة من صغير أو كبير يرد إلى ثلاثين سنة في الجنة لايزاد عليها أبدا وكذلك أهل النار (قوله صلة أنشأناهن) أي متعلقة به والمعنى أنشأناهن لأجل أصحاب اليمين ويصح تعلقها بأترابا والمعنى جعلناهن أترابا أي مساويات لأصحاب اليمين في الطول والعرض والجمال فلا تتخير امرأة عن رجل في الجنة (قوله ثلة من الأولين) خبر لمحذوف قدره بقوله وهم واختلف في المراد بالأولين والآخرين فقيل أوائل هذه الأمة كالصحابة والتابعين وتابع التابعين وأواخرهم من يأتي بعدهم إلى يوم القيامة وقيل المراد بالأولين الأمم السابقة وبالآخرين هذه الأمة فالخلاف هنا نظير ماتقدم، وقال فيما سبق وقليل من الآخرين وقال هنا وثلة من الآخرين لأن ماتقدم في ذكر السابقين وهم في الآخرين قليل وهنا في أصحاب اليمين وهم كثيرون في الأولين والآخرين (قوله وأصحاب الشمال الخ) شروع في ذكر بعض صفات أصحاب المشأمة المتقدم ذكرهم (قوله ماأصحاب الشمال) خبر أول وأبهمه لعظمه وقوله في سموم خبر ثان (قوله تنفذ في المسام) أي تدخل في أعماق أبدانهم (قوله وحميم) أي يطلبونه عند اشتعال السموم في أبدانهم فيزيد عطشهم فيسقون من ماء الحميم فتتقطع عند ذلك أمعاؤهم (قوله من يحموم) صفة أولى لظل وقوله لابارد ولا كريم صفة ثانية وثالثة له (قوله إنهم كانوا الخ) تعليل لاستحقاقهم تلك العقوبة ولم يذكر في أصحاب اليمين سبب استحقاقهم الثواب إشارة إلى أن الثواب حاصل من فضله تعالى لاوجوب عليه فعدم ذكر سببه لايوهم نقصا، وأما العقاب فمن عدله تعالى فلو لم يذكر سببه لربما توهم الجور في حقه تعالى (قوله لايتعبون في الطاعة) أي تركوا الطاعات واشتغلوا بالملاذ المحرمة وأما فعل الطاعات مع التنعم بالملاذ الحلال فلا ضرر فيه، قال تعالى: قل من حرم زينة الله الآية (قوله وإدخال ألف بينهما على الوجهين) المناسب أن يقول وتركه ليكون منبها على أربع قراآت وكلها سبعية وهي التحقيق والتسهيل مع الألف ودونها.

(قوله وهو فى ذلك) أى الاستفهام فى هذا الموضع وهو قوله أو آباؤنا وقوله وفيما قبله أى وهو قوله أئذا متنا أئنا لمبعوثون (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله والمعطوف عليه) أى على كل من القراءتين (قوله قل إن الأولين الخ) رد لانكارهم واستبعادهم (قوله لوقت يوم) أى فيه وضمن الجمع معنى السوق فعداه بإلى وإلا فمقتضى الظاهر تعديته بفى (قوله ثم إنكم) عطف على إن الأولين والخطاب لأهل مكة وأضرابهم (قوله من زقوم) هو أخبث الشجر ينبت فى الدنيا بتهامة وفى الآخرة فى الجحيم (قوله بيان للشجر) أى فمن بيانية وأما من الأولى فهى لابتداء الغاية أو زائدة (قوله من الشجر) أى وإنما أعاد الضمير عليه مؤنثا لكون الشجر اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه (قوله فشاربون شرب الهيم) تفسير للشرب الأول وفى الآية تنبيه على كثرة شربهم من الحميم وأنه لاينفعهم بل يزدادون به عذابا (قوله بفتح الشين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جمع هيمان الخ) هذا سبق قلم والصواب أن يقول جمع أهيم وهيماء لأن هيم أصله هيم بضم الهاء بوزن حمر قلبت الضمة كسرة لتصح الياء وحمر جمع لأحمر وحمراء ، والمعنى يكونون فى شربهم الحميم كالجمل أوالناقة التى أصابها الهيام وهو داء معطش تشرب منه الابل إلى أن تموت أو تمرض مرضا شديدا (قوله هذا نزلهم) أى ماذكر من مأكولهم ومشروبهم والنزل فى الأصل مايهيأ للضيف أول قدومه من التحف والكرامة فتسميته نزلا تهكم بهم (قوله بالبعث) أى الاحياء بعد الموت (قوله أفرأيتم ماتمنون الخ) احتجاجات على الكافرين المنكرين للبعث والمعنى أخبرونى فمفعولها الأول ماتمنون والثانى الجملة الاستفهامية (قوله ماتمنون) بضم التاء فى قراءة العامة من أمنى يمنى وقرىء شذوذا بفتحها من منى يمنى بمعنى صب والمعنى أخبرونى الماء الذى تقذفونه وتصبونه فى الرحم أأنتم تخلقونه الخ (قوله بتحقيق الهمزتين) (فى كلامه تنبيه على أربع قراآت سبعيات مع أنها خمس وذلك لأن التحقيق إما مع إدخال ألف بينهما ممدودة مدا طبيعيا أو بدونها والتسهيل كذلك وإبدال الثانية ألفا ممدودة مدا لازما وقوله فى المواضع الأربعة أى هذا وقوله بعد أأنتم تزرعونه أأنتم أنزلتموه من المزن أأنتم أنشأتم شجرتها (قوله أم نحن الخالقون) يحتمل أن أم منقطعة لأن مابعدها جملة والمتصلة إنما تعطف المفردات وحينئذ فيكون الكلام مشتملا على استفهامين الأول أأنتم تخلقونه وهو إنكارى وجوابه لا والثانى مأخوذ من أم إن قدرت ببل والهمزة أو بالهمزة وحدها ويكون تقريريا ويحتمل أن تكون متصلة وذلك لأنها عطفت المفرد وهو نحن والاتيان بالخبر زيادة تأكيد (قوله نحن قدرنا بينكم الموت) أى حكمنا به وقضيناه على كل مخلوق فلا يستطيع أحد تغيير ماقدرنا (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على أن نبدل أمثالكم) يصح تعلقه بمسبوقين أى لم يعجزنا أحد على تبديلنا أمثالكم أو بقدرنا . والمعنى قدرنا بينكم الموت على أن نميت طائفة ونجعل مكانها أخرى ، وأمثالكم إما جمع مثل بكسر فسكون . والمعنى نحن قادرون على أن نعدمكم ونخلق قوما آخرين أمثالكم أو جمع مثل بفتحتين بمعنى الصفة ، والمعنى نحن قادرون على أن نغير صفاتكم ونشئكم فى صفات أخرى غيرها .

وهو فى ذلك وفيما قبله للاستبعاد ، وفى قراءة بسكون الواو عطفاً بأو والمعطوف عليه محل إن واسمها (قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ) لوقت (يَوْمٍ مَعْلُومٍ) أى يوم القيامة (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ . لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ) بيان الشجر (فَمَالِئُونَ مِنْهَا) من الشجر (الْبُطُونَ . فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ) أى الزقوم المأكول (مِنَ الْحَمِيمِ . فَشَارِبُونَ شُرْبَ) بفتح الشين وضمها مصدر (الْهِيمِ) الإبل العطاش جمع هيمان للذكر وهيمى للأنثى كعطشان وعطشى (هَذَا نُزُلُهُمْ) ما أعد لهم (يَوْمَ الدِّينِ) يوم القيامة (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ) أوجدناكم من عدم (فَلَوْلاَ) هلا (تُصَدِّقُونَ) بالبعث إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ) تريقون المنى فى أرحام النساء (أَأَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه فى المواضع الأربعة (تَخْلُقُونَهُ) أى المنىّ بشرا (أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ . نَحْنُ قَدَّرْنَا) بالتشديد والتخفيف (بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) بعاجزين (عَلَى) عن (أَنْ نُبَدِّلَ) أى نجعل (أَمْثَالَكُمْ) مكانكم (وَنُنْشِئَكُمْ) نخلقكم ،

(قوله فيما لا تعلمون) ما موصولة وحينئذ فتكتب مفصولة من حرف الجر ، والمعنى نخلقكم فى صور لا علم لكم بها (قوله النشأة الأولى) ثم، الترابية لأبيكم آدم واللحمية لأمكم حواء والنطفية لكم ولا شك أن كلا منها تحويل من شئ إلى غيره (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله تثيرون الأرض الخ) إنما فسر الحرث بمجموع الأمرين مراعاة لمعناه اللغوى ولأن الشأن أن البذر يكون معه إثارة أرض والمناسب هنا تفسيره بالبذر، والمعنى أفرأيتم البذر الذى تلقونه فى الطين أأنتم تنبتونه الخ (قوله نباتا يابسا لاحب فيه) أى وقيل هشيما لاينتفع به فى مطعم آدمى ولا غيره (قوله تفكهون) هو فى الأصل من التفكه وهو إلقاء الفاكهة من اليد وهو لايكون من الشخص إلا عند إصابة الأمر المكروه فقوله تعجبون أى من غرابة مانزل بكم تفسير باللازم (قوله وتقولون إنا لمغرمون) أشار بذلك إلى أن قوله إنا لمغرمون مقول لقول محذوف حال تقديره فظلتم تفكهون قائلين إنا لمغرمون أى لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بسبب هلاك رزقنا (قوله من المزن) هو بالضم السحاب مطلقا كما قال المفسر أو المراد به أبيضه أو المحتوى على الماء (قوله جعلناه أجاجا) حذفت اللام هنا لعدم الاحتياج إلى التأكيد إذ لا يتوهم ملك السحاب وما فيه من الماء بخلاف الزرع والأرض ففى ذلك شائبة ملك فأتى فى جانبه بالمؤكد وهو اللام (قوله لايمكن شربه) أى ولا انتفاع الزرع به (قوله التى تورون) من أوريت الزند قدحته لتستخرج ناره وأصله توريون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما وقلبت الكسرة ضمة لمناسبة الواو (قوله من الشجر الأخضر) أى أو من غيره وإنما اقتصر على الشجر الأخضر لكونه أعظم وأبهر فى الدلالة على عظمة الله وباهر قدرته (قوله كالمرخ والعفار) تقدم الكلام على ذلك فى سورة يس وأما الكلخ فهو معروف فى بلاد المغرب والشام يؤخذ منه قطعتان وتضرب إحداهما بالأخرى فتخرج النار ، وعن ابن عباس أنه قال ما من شجر ولا عود إلا وفيه النار سوى العناب (قوله للمسافرين) أى وخصوا بالذكر لأن منفعتهم بها أكثر من المقيمين فإنهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدى الضال ونحو ذلك من المنافع (قوله من أقوى القوم) أشار بذلك إلى أن المراد بالمقوين المسافرون وأنه مأخوذ من أقوى القوم إذا صاروا بالقوى وهى الأرض الخالية من السكان، وقيل المراد بهم ماهو أعم لأن المقوى من الأضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال، وللغنى لقوته على ما يريد، والمعنى جعلناها متاعا ومنفعة للأغنياء والفقراء المسافرين والحاضرين فلا غنى لأحد عنها (قوله بالقصر والمد) أى مع كسر القاف فيهما (قوله فسبح باسم ربك) مفرع على ما تقدم، والمعنى ادع الخلق إلى توحيد الله وطاعته ووضح لهم الأمر بما تقدم فإن لم يهتدوا فارجع إلى ربك وسبحه ولا تلتفت لغيره، والمراد نزهه عما لايليق به سواء كان بخصوص سبحان الله أو بغيره من بقية الأذكار (قوله زائد) أى لفظ اسم زائد، والمعنى سبح ربك وسبح يتعدى بنفسه وبالباء وما مشى عليه المفسر من زيادة لفظ اسم أحد قولين والآخر أنه ليس زائدا بل كما يجب تعظيم الذات وتنزيهها عن النقائص كذلك يجب تعظيم الاسم وتنزيهه عن النقائص، ولذا قال الفقهاء من وجد اسم الله تعالى مكتوبا فى ورقة وموضوعا فى قذر وتركه فقد كفر وذلك لأن التهاون بأسماء الله كالتهاون بذاته لأن الاسم دال على المسمى وهذا هو الأتم .

(فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ) من الصور كالقردة والخنازير (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى) وفى قراءة بسكون الشين (فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) فيه إدغام التاء الثانية فى الأصل فى الذال (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ) تثيرون الأرض وتلقون البذر فيها (أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ) تنبتونه (أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا) نباتا يابسا لاحب فيه (فَظَلْتُمْ) أصله ظللتم بكسر اللام حذفت تخفيفا : أى أقمتم نهارا (تَفَكَّهُونَ) حذفت منه إحدى التاءين فى الأصل تعجبون من ذلك وتقولون (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) نفقة زرعنا (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) ممنوعون رزقنا (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ) السحاب جمع مزنة (أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ . لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا) ملحا لا يمكن شربه (فَلَوْلَا) فهلا (تَشْكُرُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) تخرجون من الشجر الأخضر (أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا) كالمرخ والعفار والكلخ (أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ . نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً) لنار جهنم (وَمَتَاعًا) بلغة (لِلْمُقْوِينَ) للمسافرين : من أقوى القوم ، أى صاروا بالقوى بالقصر والمد: أى القفر، وهو مفازة لانبات فيها ولا ماء (فَسَبِّحْ) نزه (بِاسْمِ) زائد (رَبِّكَ الْعَظِيمِ) أى الله (فَلَا أُقْسِمُ)

[فائدة] أثبتوا فى الخط ألف اسم هنا وحذفوها من البسملة لكثرة دوران البسملة فى الكلام دون ما هنا (قوله لازائدة) أى للتأكيد لأن المقصود القسم وهذا أحد أقوال فيها ، وقيل هى لام الابتداء دخلت على مبتدإ محذوف تقديره أنا أقسم حذف المبتدأ فاتصلت بخبره ، وقيل هى نافية ومنفيها محذوف تقديره فلا يصح قول المشركين فيك وفى قرآنك وقوله أقسم الخ جملة مستأنفة تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله بمساقطها لغروبها) هذا قول قتادة ، وقيل هو منازلها ، وقيل المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوما ؛ فإن الله تعالى أنزله من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكاتبين جملة واحدة فنجمه السفرة على جبريل وهو على محمد فى عشرين سنة (قوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) هذه الجملة معترضة بين القسم وجوابه وفى أثنائها جملة معترضة بين الصفة والموصوف وهى قوله لو تعلمون وليس هذا من باب الاعتراض بأكثر من جملة لأن الجملتين فى حكم جملة واحدة (قوله أى لو كنتم الخ) أشار بذلك إلى أن جواب لو محذوف وإلى أن الفعل منزل منزلة اللازم (قوله لعلمتم عظم هذا القسم) أى لما فيه من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة ولأن آخر الليل الذى هو وقت تساقط النجوم محل الرحمات والعطايا الربانية قال تعالى — ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم — (قوله لقرآن كريم) أى كثير النفع وصف بالكرم لاشتماله على خير الدين والدنيا والآخرة ففيه مزيد البيان والنور والاهتداء ، فكل عالم يطلب أصل علمه منه من معقول ومنقول (قوله مصون) أى من التغيير والتبديل فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال تعالى — إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون — (قوله وهو المصحف) أى وقيل هو اللوح المحفوظ ، وعليه فمعنى لايمسه لايطلع عليه إلا الملائكة المطهرون من الأقذار المعنوية ولا يكون فى الآية دليل لنهى المحدث عن مس المصحف (قوله خبر بمعنى النهى) أى فأطلق الخبر وأريد النهى وإلا فلو أبقى على خبريته للزم عليه الخلف فى خبره تعالى ، لأنه كثيرا ما يمس بدون طهارة والخلف فى خبره تعالى محال ، وما مشى عليه المفسر أحد وجهين ، والآخر أن لاناهية والفعل مجزوم بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الادغام وإنما حرك بالضم إتباعا لحركة الهاء . إن قلت إنه يلزم على هذا الوجه الفصل بين الصفات بجملة أجنبية فإن قوله: تنزيل من رب العالمين صفة رابعة لقرآن . وأجيب بأنه لايتعين أن يكون صفة لجواز جعله خبرا لمبتدإ محذوف : أى هو تنزيل (قوله منزل) أشار بذلك إلى أن المصدر بمعنى اسم المفعول (قوله أفبهذا الحديث الخ) الاستفهام توبيخى ، والمعنى لايليق منكم ذلك (قوله مدهنون) الإدهان فى الأصل جعل الشىء مدهونا بالدهن ليلين ويحسن أطلق وأريد به اللين الظاهرى الذى هو النفاق ولذا سميت المداراة والملاينة فيما يغضب الله مداهنة ، فالدهن هو الذى ظاهره يخالف باطنه ، والمراد به هنا الكفر مطلقا كما أفاده المفسر (قوله بسقيا الله) مصدر مضاف لفاعله (قوله حيث قلتم مطرنا الخ) أى وقائل ذلك كافر إن اعتقد تأثير الكوكب فى المطر وعاص إن لم يعتقده (قوله فلولا إذا بلغت الخ) الظرف متعلق بترجعونها مقدم عليه وقوله: وأنتم حينئذ الخ جملة حالية من فاعل بلغت ، وكذا قوله: ونحن أقرب إليه (قوله من البصيرة) أى أو من البصر ، والمعنى وأنتم لاتبصرون أعوان ملك الموت . ورد أن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهوا بها إلى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت.

لا زائدة (بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) بمساقطها لغروبها (وَإِنَّهُ) أى القسم بها (لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) أى لو كنتم من ذوى العلم لعلمتم عظم هذا القسم (إِنَّهُ) أى المتلو عليكم (لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِى كِتَابٍ) مكتوب (مَكْنُونٍ) مصون، وهو المصحف (لَا يَمَسُّهُ) خبر بمعنى النهى (إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) أى الذين طهروا أنفسهم من الأحداث (تَنْزِيلٌ) منزل (مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ) القرآن (أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ) متهاونون مكذبون (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ) من المطر: أى شكره (أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) بسقيا الله حيث قلتم : مطرنا بنوء كذا (فَلَوْلَا) فهلا (إِذَا بَلَغَتِ) الروح وقت النزع (الْحُلْقُومَ) هو مجرى الطعام (وَأَنْتُمْ) يا حاضرى الميت (حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ) إليه (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ) بالعلم (وَلَٰكِنْ لَا تُبْصِرُونَ) من البصيرة : أى لاتعلمون ذلك (فَلَوْلَا) فهلا (إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) :

مجزيين

(قوله مجزيين) أي مدينين من الدين بمعنى الجزاء وقوله غير مبعوثين تفسير للمراد هنا (قوله فلولا الثانية) أي التي في قوله فلولا إن كنتم غير مدينين (قوله تأكيد) أي لفظي وقوله للأولى: أي التي في قوله: فلولا إذا بلغت الحلقوم (قوله المتعلق به الشرطان) أي وهما إن كنتم غير مدينين إن كنتم صادقين ومعنى تعلقهما به أنه جزاء لكل منهما (قوله والمعنى هلا الخ) أي فهي للطلب والمعنى ارجعوها (قوله إن نفيتم البعث) هذا هو الشرط الأول وقوله صادقين في نفيه هو الشرط الثاني (قوله لينتفي الخ) علة للجزاء وقوله عن محلها أي الذي هو الجسد، والمعنى إن صدقتم في نفي البعث فردّوا روح المحتضر إلى جسده لينتفي عنه الموت فينتفي البعث الذي تنكرونه لترتبه على الموت (قوله فأما إن كان من المقرّبين الخ) شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عنده (قوله من المقرّبين) أي وهم المعبر عنهم فيما سبق بالسابقين (قوله فروح) بفتح الراء في قراءة العامة وقرئ شذوذا بضمها ومعناها الرحمة (قوله أي فله) أشار بذلك إلى أن روح مبتدأ خبره محذوف (قوله وجنت نعيم) ترسم هنا بالتاء المجرورة والوقف عليها إما بالهاء أو التاء وفي ذكر الجنة عقب الروح والريحان إشعار بأن محل ذلك يكون للمقرّبين في البرزخ قبل الجنة كما هو مشهور في السنة (قوله وهل الجواب لأما) أي وجواب إن

محذوف لدلالة المذكور عليه وهذا هو الراجح لأنه عهد حذف جواب إن كثيرا (قوله فسلام لك) أي يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب تعظيما لصاحب اليمين (قوله أي له السلامة) أشار بهذا إلى أن السلام بمعنى السلامة وهو خلاف ما قلنا فهما تفسيران (قوله من جهة أنه منهم) أشار به إلى أن من تعليلية أي من أجل أنه منهم (قوله وأما إن كان من المكذبين) لم يقل وأما إن كان من أصحاب الشمال الخ تبكيتا عليهم وإشعارا بالأفعال التي أوجبت لهم هذا العذاب (قوله فنزل) مبتدأ خبره محذوف أي له نزل من حميم، والمعنى أنه يشرب به بعد أكل الزقوم وسمي نزلا تهكما بهم (قوله وتصلية جحيم) أي احتراق بها (قوله إن هذا) أي ما ذكر من قصة المحتضرين أو ما قصصناه عليك في هذه السورة (قوله تقدّم) الذي تقدم في كلامه أن سبح بمعنى نزه وأن لفظ اسم زائد وتقدم لنا القول بعدم زيادته ووجهه وأنه الأولى والعظيم يصح أن يكون صفة للاسم وأن يكون صفة لربك لأن كلا منهما مجرور وفي ذكر لفظ التسبيح في آخر هذه السورة شدة مناسبة لما بعدها من التسابيح كأن الله تعالى يقول سبح باسم ربك لأنه سبح له ما في السموات والأرض، والله أعلم بأسرار كتابه.

[سورة الحديد] سميت بذلك لذكر الحديد فيها من باب تسمية الكل باسم بعضه على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه (قوله مكية) أي لما قيل إن سبب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه دخل على أخته وكانت أسلمت قبله فوجد أوائل هذه السورة إلى قوله إن كنتم مؤمنين مكتوبا في صحيفة فأسلم (قوله أو مدنية) وهو لابن عباس وعليه الجمهور. وقال القرطبي إنها مدنية في قول الجميع وإسلام عمر كان بأوائل طه وعلى القول بأنه كان بأوائل هذه السورة فتستثنى هذه الآيات من القول بأنها مدنية (قوله سبح لله) عبر هنا وفي الحشر والصف بالماضي وفي الجمعة والتغابن بالمضارع وفي الأعلى بالأمر وفي الإسراء بالمصدر

مجزيين بأن تبعثوا أي غير مبعوثين بزعمكم (تَرْجِعُونَهَا) تردون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيما زعمتم، فلولا الثانية تأكيد للأولى وإذا ظرف لترجعون المتعلق به الشرطان، والمعنى هلا ترجعونها إن نفيتم البعث صادقين في نفيه: أي لينتفي عن محلها الموت كالبعث (فَأَمَّا إِنْ كَانَ) الميت (مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ) أي فله استراحة (وَرَيْحَانٌ) رزق حسن (وَجَنَّتُ نَعِيمٍ) وهل الجواب لأما أو لإن أو لهما؟ أقوال (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. فَسَلَامٌ لَكَ) أي له السلامة من العذاب (مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) من جهة أنه منهم (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ. فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ. وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) من إضافة الموصوف إلى صفته (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) تقدم.

(سورة الحديد)

مكية، أو مدنية، تسع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي نزهه كل شيء

إشعارا بأن التسبيح مطلوب من الانسان فى كل حال وصدّر بالمصدر تنبيها على أن تنزيهه تعالى مطلق لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا بفاعل معين كما أن المصدر مطلق عن الفاعل والزمان ثم بالماضى لتقدم زمنه ثم بالمضارع لشموله للحال والاستقبال ثم بالأمر لتأكيد الحث على طلبه من الشخص فكأنه قال حيث علمت أيها الشخص أن ربك منزه تنزيها مطلقا وسبحه من تقدم من المخلوقات واستمروا على تسبيحه فعليك بالاشتغال به ، والتسبيح تنزيه المولى عن كل مالايليق به قولا وفعلا واعتقادا من سبح فى الأرض والماء ذهب وأبعد فيهما . إن قلت إن سبح متعد بنفسه فما وجه الإتيان باللام له ؟ أجيب بأن اللام زائدة للتأكيد كما فى نصحت له وشكرت له وعليه اقتصر المفسر أوللتعليل ، والمعنى فعل التسبيح لأجل رضا الله تعالى وخالصا لوجهه لا لغرض آخر (قوله فاللام مزيدة) أى للتأكيد وهو مفرع على قوله : أى نزهه أو أصلية للتعليل كما علمت (قوله تغليبا للأكثر) أى وهو غير العاقل ، فالمراد بالسموات والأرض جهة العلو والسفل فيشمل نفس السموات والأرض . واعلم أن تسبيح العقلاء بلسان المقال اتفاقا . واختلف فى تسبيح غيرهم فقيل بالحال أى أن ذاتها دالة على تنزيه صانعها عن كل نقص وقيل بلسان المقال أيضا ولكن لا يطلع على تسبيحها إلا من خصه الله بذلك (قوله وهو العزيز فى ملكه) أى الغالب على أمره لا يغلبه شئ (قوله الحكيم فى صنعه) أى يضع الشئ فى محله فلاحرج عليه ولامعقب لحكمه (قوله له ملك السموات والأرض) جملة مستأنفة كالدليل لما قبلها كأنه قيل هو العزيز الحكيم لأن له ملك السموات والأرض يتصرف فيه على ما يريد (قوله بالانشاء) أى من العدم وفيه رد على من يزعم أن الاحياء يكون بترك الحى من غير قتل مثلا كالنمروذ ، حيث قال فى محاجة إبراهيم عليه السلام أنا أحيي وأميت وأتى برجلين فأطلق أحدهما وقتل الآخر (قوله ويميت بعده) أى

فاللام مزيدة وجيء بما دون من تغليبا للأكثر (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي) بالإنشاء (وَيُمِيتُ) بعده (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . هُوَ الْأَوَّلُ) قبل كل شيء بلا بداية (وَالْآخِرُ) بعد كل شيء بلا نهاية (وَالظَّاهِرُ) بالأدلة عليه (وَالْبَاطِنُ) عن إدراك الحواس (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) :

بعد الاحياء الحاصل بالانشاء ، وأما الاحياء الثانى فلا موت بعده قال تعالى ـ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ـ (قوله وهو على كل شئ قدير) بضم الهاء وسكونها قراءتان سبعيتان فى جميع القرآن (قوله هو الأول قبل كل شئ) أى السابق على جميع الموجودات الكرخى

وقوله بلابداية أى فلاافتتاح لوجوده (قوله والآخر بعد كل شئ) أى الباقى بذاته بعد استحقاق كل ماسواه الفناء وبهذا اندفع مايقال إن الجنة والنار ومافيهما لا يطرأ عليها الفناء لأن كل موجود بعد عدم قابل للفناء وبقاء ماذكر ببقاء الله تعالى لا ذاتى له قال العارف :

من لاوجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال

(قوله بالأدلة عليه) أى وهى آثاره وتصاريفه فى خلقه :

فنى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

(قوله عن إدراك الحواس) أى الظاهرية والباطنية فلاتحيط به فى الدنيا ولا فى الآخرة وإنما رؤيته وسماع كلامه فى الآخرة من غير كيف ولا انحصار ولا إحاطة فكل مخلوق عاجز عن الاحاطة به بل كلما عظم قرب العبد منه ازداد خشية وهيبة وعجزا، ولذا ورد فى الحديث « سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أراد أحدكم أن ينام فليضطجع على شقه الأيمن ويقول: اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته » وفى رواية: من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين وأغننا من الفقر اه وأتى بالواو الأولى والثالثة للجمع بين الوصفين الأولين والأخيرين والثانية للجمع بين مجموع الأوصاف الأربعة ، فهو تعالى متصف بالأولية وضدها والظاهرية وضدها وتلك الصفات الأربع مجموعة فيه تعالى فالواو الأولى والثالثة عطفت مفردا على مفرد والثانية عطفت مجموع أمرين على مجموع أمرين .

(قوله الكرسي) تقدم غير مرة أن المناسب إبقاء العرش على ظاهره (قوله استواء يليق به) تقدم أن هذا تفسير السلف ، وأما الخلف فيؤولونه بالقهر والغلبة (قوله والسيئة) المناسب حذفه لأن الذي يرفع إنما هو الأعمال الصالحة قال تعالى: إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (قوله بعلمه) أي وقدرته وإرادته ، فالمراد بالمعية تصاريفه في خلقه (قوله له ملك السموات والأرض) ذكره ثانيا مع الإعادة كما ذكره أولا مع ابتداء الخلق فلا تكرار (قوله ترجع الأمور) بفتح التاء وكسر الجيم مبنيا للفاعل وبضم التاء وفتح الجيم مبنيا للمفعول قراءتان سبعيتان في جميع القرآن (قوله يدخله في النهار فيزيد) أي النهار بسبب دخول الليل فيه وكذا يقال في النهار (قوله بما فيها من الأسرار والمعتقدات) أي من خير وشر (قوله آمنوا بالله ورسوله) لما ذكر أنواعا من الدلائل الدالة على التوحيد شرع يأمر عباده بالإيمان وبترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة في وجوه البر (قوله دوموا على الإيمان) جواب عما يقال إن الخطاب للمؤمنين ، وحينئذ ففيه تحصيل الحاصل وهذا نتيجة ماقبله لأنه لما ذكر أدلة التوحيد ولا شك أن التفكر فيها يزيد في الإيمان ويوجب الدوام عليه نتج منه الأمر بالدوام على الإيمان (قوله من مال من تقدمكم الخ) أي فأنتم خلفا عمن تقدمكم ويصح أن المعنى من الأموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم . واعلم أن الأموال في الحقيقة لله

تعالى خلف فيها آدم يتصرف فيها وأولاده خلف عنه وحينئذ فالخلافة إما عمن له التصرف الحقيقي وهو الله تعالى أو عمن تصرف فيها قبله ممن كانت في أيديهم وانتقلت لهم وفي هذا حث على الانفاق وتهوين له على النفس فلا ينبغي البخل بمال الغير بل ينفقه في الوجوه التي تنفعه في المعاد (قوله وسيخلفكم فيه من بعدكم) أي من المال الذي هو بأيديكم سواء كان من مال من تقدمكم أو من مال اكتسبتموه بأنفسكم (قوله وهي غزوة تبوك) بالصرف نظرا للبقعة ومنعه للعلمية والتأنيث وهو مكان على طرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة وكانت تلك الغزوة في السنة التاسعة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف وهي آخر غزواته ولم يقع فيها قتال بل لما وصلوا إلى تبوك وأقاموا بها عشرين ليلة وقع الصلح على دفع الجزية فرجع صلى الله عليه وسلم بالعز والنصر العظيم وتقدم تفصيلها في سورة براءة (قوله إشارة إلى عثمان) أي فإنه جهز في تلك الغزوة ثلثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها وأحمالها وجاء بألف دينار ووضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية : حمل عثمان في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وقال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على عثمان مافعل بعد هذه ، وفي رواية : غفر الله لك ياعثمان ماأسررت وماأعلنت وماهو كائن إلى يوم القيامة مايبالي ماعمل بعدها ولا خصوصية لعثمان بهذه الاشارة بل غيره بذل فيها جهده (قوله لهم أجر كبير) أي عظيم (قوله ومالكم لاتؤمنون) جملة من مبتدأ وخبر وحال ، والمعنى أي شيء ثبت لكم حال كونكم غير مؤمنين (قوله أي لامانع لكم من الايمان) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله والرسول يدعوكم) الجملة حالية من الواو في تؤمنون ، والمعنى لامانع لكم من الايمان والحال أن الرسول يدعوكم إليه بالمعجزات الظاهرة والحجج الباهرة (قوله وقد أخذ ميثاقكم) الجملة حالية أيضا من الكاف في يدعوكم .

الكرسي استواء يليق به (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ) يدخل (فِي الْأَرْضِ) كالمطر والأموات (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) كالنبات والمعادن (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) كالرحمة والعذاب (وَمَا يَعْرُجُ) يصعد (فِيهَا) كالأعمال الصالحة والسيئة (وَهُوَ مَعَكُمْ) بعلمه (أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) الموجودات جميعها (يُولِجُ اللَّيْلَ) يدخله (فِي النَّهَارِ) فيزيد وينقص الليل (وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) فيزيد وينقص النهار (وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها من الأسرار والمعتقدات (آمِنُوا) دوموا على الإيمان (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا) في سبيل الله (مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) من مال من تقدمكم وسيخلفكم فيه من بعدكم ، نزل في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك (فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا) إشارة إلى عثمان رضي الله عنه (لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ . وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ) خطاب للكفار: أي لامانع لكم من الإيمان (بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ) ،

(قوله بضم الهمزة وكسر الخاء) أى ورفع ميثاقكم وتركه لوضوحه (قوله و بفتحهما) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى أخذه الله الخ) تفسير للقراءتين (قوله أى مريدين الايمان به) جواب عما يقال كيف قال ومالكم لاتؤمنون بالله ثم قال : إن كنتم مؤمنين و يجاب أيضا بأن المعنى إن كنتم مؤمنين بموسى وعيسى فان شريعتهما مقتضية للايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (قوله فبادروا إليه) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله على عبده) أى وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله و إن الله بكم لرءوف رحيم) أى حيث طلبكم للايمان وأقام لكم الحجج على ألسنة الرسل وأمهلكم (قوله ألاتنفقوا) توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان (قوله فى سبيل الله) أى طاعته جهادا أوغيره (قوله ولله ميراث السموات والأرض) الجملة حالية ، والمعنى أى شىء يمنعكم من الانفاق فى سبيل الله والحال أن ميراث السموات والأرض له فالدنيا له ابتداء وانتهاء وإنما جعلكم خلفاء لكم أجر الانفاق وعليكم وزر الامساك (قوله لايستوى منكم الخ) أى لأن الذين أنفقوا من قبل وقاتلوا من قبل فعلوا ذلك قبل عزة الاسلام وعزة أهله فنصروا الدين بأنفسهم وأموالهم وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم رسول الله « لوأنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه » بخلاف من أنفق وقاتل من بعد الفتح فسعيه و إن كان مشكورا لايصل لتلك المزية (قوله من أنفق) هو فاعل لايستوى والاستواء لايكون إلا بين شيئين فحذف المقابل لوضوحه والتقدير ومن أنفق من بعد الفتح وهو صادق بكل من آمن وأنفق من بعد الفتح إلى يوم القيامة (قوله لمكة) وقيل هو صلح الحديبية (قوله وكلا) بالنصب مفعول مقدم وقرأ ابن عامر بالرفع مبتدأ والجملة بعده خبر والعائد محذوف أى وعده الله ، والمعنى أن كلا ممن آمن وأنفق قبل الفتح ومن آمن وأنفق بعده ومات على الايمان وعده الله الحسنى أى الجنة و إن كانت درجات الأوائل أعلى من درجات الأواخر (وله)

(قوله من ذا الذى) يحتمل أن من اسم استفهام مبتدأ وذا خبره والذى بدل منه و يحتمل أن من ذا مبتدأ والموصول خبره وقوله يقرض الله الخ صلة الموصول على كلا الاحتمالين وهذا تنزل منه سبحانه وتعالى حيث ملك عباده الأموال من عنده وسمى رجوعها إليه قرضا مع أن العبد وماملكت يداه لسيده . قال صاحب الحكم : ومن مزيد فضله عليك أن خلق ونسب إليك (قوله فى سبيل الله) أى طاعته جهادا أوغيره (قوله قرضا حسنا) قال بعض العلماء: القرض لايكون حسنا حتى يجمع أوصافا عشرة وهى : أن يكون المال من الحلال ، وأن يكون من أجود المال ، وأن تتصدق به وأنت محتاج إليه ، وأن تصرف صدقتك إلى الأحوج إليها ، وأن تكتم الصدقة بقدر ماأمكنك ، وأن لاتتبعها بالمنّ والأذى ، وأن تقصد بها وجه الله، ولا ترائى بها الناس ، وأن تستحقر ماتعطى و إن كان كثيرا ، وأن يكون من أحب أموالك إليك ، وأن لاترى عز نفسك وذل الفقير ، فهذه عشر خصال إذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضا حسنا (قوله بأن ينفقه لله) أى خالصا لوجهه لا رياء ولاسمعة (قوله وفى قراءة فيضعفه الخ) أى وعلى كل من القراءتين فالفعل إما مرفوع عطفا على يقرض أومستأنف أومنصوب بأن مضمرة وجوبا بعد الفاء الواقعة فى جواب الاستفهام فالقراآت أربع سبعيات .

بضم الهمزة وكسر الخاء و بفتحهما ونصب مابعدهما (مِيثَاقَكُمْ) عليه: أى أخذه الله فى عالم الذرّ حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) أى مريدين الإيمان به فبادروا إليه (هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) آيات القرآن (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر (إِلَى النُّورِ) الإيمان (وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ) فى إخراجكم من الكفر إلى الإيمان (لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَمَا لَكُمْ) بعد إيمانكم (أَلَّا) فيه إدغام نون أن فى لام لا (تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) بما فيهما فيصل إليه أموالكم من غير أجر الانفاق بخلاف مالو أنفقتم فتؤجرون (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ) لمكة (وَقَاتَلَ ، أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا) من الفريقين، وفى قراءة بالرفع مبتدأ (وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) الجنة (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) فيجازيكم به (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ) بإنفاق ماله فى سبيل الله (قَرْضًا حَسَنًا) بأن ينفقه لله (فَيُضَاعِفَهُ) وفى قراءة فيضعفه بالتشديد (لَهُ) من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما ذكر فى البقرة

(قوله وله مع المضاعفة أجر كريم) ظاهر المفسر[1] أن العبد إذا عمل الحسنة تضاعف له إلى سبعمائة ويعطى فوق ذلك أجرا كريما لايعلم قدره إلا الله تعالى ولكن الذى يظهر أن الأجر الكريم يحصل له فى نظير العمل المضاعف وذلك أن المضاعفة تكتب للعبد فى الدنيا وتوزن له يوم القيامة ويستوفى أجرها الكريم فى الجنة (قوله رضا وإقبال) فاعل مقترن ، والمعنى أنه يعطى ثواب أعماله مع الرضا والاقبال عليه من الله تعالى كما قال ـ ورضوان من الله أكبر ـ (قوله اذكر يوم ترى) أشار بذلك إلى أن يوم ظرف لمحذوف وهو أحد أوجه أو ظرف لأجر كريم ، والمعنى لهم أجر كريم فى ذلك اليوم أو ظرف ليسعى والمعنى يسعى نور المؤمنين والمؤمنات يوم تراهم (قوله يسعى نورهم) الجملة حالية لأن الرؤية بصرية وهذا إذا لم يجعل عاملا فى يوم (قوله بين أيديهم) أى على الصراط (قوله ويكون بأيمانهم) قد يكون دفعا لما قد يتوهم من تسليط يسعى عليه أنه يكون النور فى جهاته بعيدا عنه ، والمراد بالأيمان جميع الجهات فعبر بالبعض عن الكل قال عبد الله بن مسعود : يؤتون نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على إبهامه فيطفأ مرة ويتقد أخرى ، وقال قتادة : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من المؤمنين من يضيء نوره إلى عدن وصنعاء ودون ذلك حتى إنّ من المؤمنين من لايضيء نوره إلا موضع قدمه (قوله ويقال لهم) أى تقول الملائكة الذين يتلقونهم بشراكم اليوم أى بشارتكم العظيمة فى جميع ما يستقبلكم إلى غير نهاية (قوله أى

(وَلَهُ) مع المضاعفة (أَجْرٌ كَرِيمٌ) مقترن به رضا وإقبال . اذكر (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أمامهم (وَ) يكون (بِأَيْمَانِهِمْ) ويقال لهم (بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ) أى دخولها (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا) أبصرونا وفى قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء :أمهلونا (نَقْتَبِسْ) نأخذ القبس والإضاءة (مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ) لهم استهزاء بهم (ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) فرجعوا (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ) وبين المؤمنين (بِسُورٍ) قيل هو سور الأعراف (لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ) من جهة المؤمنين (وَظَاهِرُهُ) من جهة المنافقين (مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) على الطاعة (قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) بالنفاق (وَتَرَبَّصْتُمْ) بالمؤمنين الدوائر (وَارْتَبْتُمْ) شككتم فى دين الاسلام (وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ) الأطماع (حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) الموت (وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ

دخولها) أشار بذلك إلى أن قوله جنات خبر بشراكم على حذف مضاف (قوله ذلك هو الفوز العظيم) أى الجنة وما فيها من النعيم المقيم (قوله يوم يقول المنافقون) بدل من يوم ترى (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا ثم يحتمل أن القراءة الأولى بمعنى هذه لأنه يقال نظره بمعنى انتظره وذلك لأنه يسرع بالمؤمنين الخاصين إلى الجنة على نجب فيقول المنافقون انظرونا لأنا مشاة لانستطيع لحوقكم ويحتمل أن يكون من النظر وهو الابصار كما قال المفسر وذلك لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيضيء لهم المكان (قوله أمهلونا) أى تمهلوا لنا نتدرككم (قوله ارجعوا وراءكم) أى إلى الموقف أو الدنيا، أو المعنى ارجعوا خائبين لاسبيل لكم إلى نورنا وهذا استهزاء بهم وذلك لأنهم لايستطيعون الرجوع إلى الموقف ولا إلى الدنيا (قوله فضرب بينهم بسور) الفعل مبنى للمفعول وبسور نائب الفاعل والباء زائدة (قوله قيل هو سور الأعراف) وقيل حائط يضرب بين الجنة والنار موصوف بما ذكر، وقيل هو كناية عن حجبهم عن النور الذى يعطاه المؤمنون (قوله له باب) الجملة صفة لسور وقوله باطنه فيه الرحمة صفة ثانية له أيضا ويجوز أن تكون فى موضع رفع صفة لباب وهو أولى لقربه (قوله ينادونهم) جملة مستأنفة ، والمعنى ينادى المنافقون المؤمنين ألم نكن معكم نصلى كما تصلون ونطيع كما تطيعون (قوله قالوا بلى) أى كنتم معنا فى الظاهر (قوله ولكنكم فتنتم أنفسكم) أى أهلكتموها (قوله بالنفاق) أى والمعاصى والشهوات (قوله الدوائر) أى الحوادث (قوله حتى جاء أمر الله) قرئ

(١) قول المحشى ظاهر المفسر الخ هكذا فى نسخة وفى نسخة قوله : وله مع المضاعفة أجر كريم فانّ العبد إذا عمل الحسنة يضاعف له فى الجزاء عشر إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة على حسب إخلاصه فى العمل ويعطى فوق ذلك أجرا كريما وهو رضا الله ورؤية وجهه، حققنا الله بذلك .

في السبع بإسقاط الهمزة الأولى مع المد والقصر وتسهيل الثانية مع تحقيق الأولى وبتحقيقهما فالقراآت أربع سبعيات (قوله الغرور) بفتح الغين هو الشيطان كما قال المفسر وقرئ بالضم شذوذا وهو مصدر بمعنى الاغترار بالباطل (قوله فاليوم) الظرف متعلق بيؤخذ (قوله بالياء والتاء) أي فهما سبعيتان (قوله ولا من الذين كفروا) عطف الكافرين على المنافقين لتغايرهم في الظاهر (قوله هي مولاكم) يجوز أن يكون مصدرا أي ولايتكم أي ذات ولايتكم وأن يكون مكانا أي مكان ولايتكم وأن يكون بمعنى أولى أي هي أولى بكم وهو الذي اقتصر عليه المفسر ويصح أن يكون بمعنى ناصركم أي لا ناصر لكم إلا النار وهو تهكم بهم (قوله ألم يأن للذين آمنوا الخ) العامة على سكون الهمزة وكسر النون مضارع أنى يأنى كرمى يرمي مجزوم بحذف حرف العلة، والمعنى ألم يأن أوان الخشوع والخضوع لقلوب الذين آمنوا وحينئذ فالذي ينبغي لهم الاقبال على شأنهم وتركهم ما لا يعنيهم وقرئ شذوذا بكسر الهمزة وسكون النون مضارع آن كباع فلما جزم سكن وحذفت عينه لالتقاء الساكنين، إذا علمت ذلك فقول المفسر يحن حل معنى لا حل إعراب وإلا فهو يناسب القراءة الشاذة لأنه من حان يحين كباع يبيع فهو مجزوم بالسكون ومعنى حان قرب وقته (قوله لما أكثروا المزاح) أي بسبب لين العيش الذي أصابوه في المدينة وذلك لأنهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا (١٦٤) عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا على ذلك وهذا محمول على فرقة قليلة فرحوا بمظاهر الدنيا فحصل منهم المزاح والهزل فعوتبوا عليه، وأما غالبهم كأبي بكر وأضرابه فمقامهم يجل عن ذلك (قوله أن تخشع قلوبهم) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل يأن أي ألم يقرب خشوع قلوبهم (قوله بالتخفيف) أي وضمير نزل عائد على القرآن وقوله والتشديد أي والضمير عائد على الله تعالى والعائد محذوف تقديره نزله والقراءتان سبعيتان وقوله من الحق بيان لما (قوله معطوف على تخشع) اى ولا نافية ويصح أن تكون لا ناهية فيكون انتقالا إلى نهيهم عن التشبه بمن تقدمهم فإن الدوام على المزاح ربما أدى لذلك (قوله الكتاب) أل فيه للجنس الصادق بالتوراة والإنجيل (قوله فطال عليهم الأمد) قرأ العامة بتخفيف دال الأمد ومعناه الزمن وقرأ غيرهم بتشديدها وهو الزمن الطويل (قوله لم تلن لذكر الله) أي لم تخضع ولم تذل (قوله وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن طاعة الله وطاعة نبيهم والقليل متمسك بشرع نبيه وهذا الاخبار عنهم قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم، وأما بعد ظهوره فكل من لم يؤمن به فهو فاسق خارج عن طاعة الله تعالى (قوله خطاب للمؤمنين المذكورين) أي الذين عوتبوا في شأن المزاح كأن الله تعالى يقول لهم: ياعبادي لا تقنطوا من رحمتي فإن شأني إحياء الأرض الميتة بالنبات فكذلك إذا حصل منكم الانابة والرجوع أحييت قلوبكم بالذكر والفكر فأنبتت العلوم والمعارف (قوله بهذا) أي كونه يحيي الأرض بعد موتها وقوله وغيره أي من الأمور العجيبة الدالة على باهر قدرته تعالى (قوله أدغمت التاء في الصاد) أي بعد قلبها (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله راجع إلى الذكور والاناث) أي فهو معطوف على مجموع الفعلين لا على الأول فقط لما يلزم عليه من العطف على الصلة قبل تمامها (قوله في صلة أل) الجملة نعت للاسم أي الاسم الكائن في صلة أل وقوله فيها متعلق بحل وهذا من قبيل قول ابن مالك: واعطف على اسم شبه فعل فعلا الخ.

وذكر

الْغَرُورُ) الشيطان (فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ) بالياء والتاء (مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ) أولى بكم (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) هي (أَلَمْ يَأْنِ) يحن (لِلَّذِينَ آمَنُوا) نزلت في شأن الصحابة لما أكثروا المزاح (أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ) بالتخفيف والتشديد (مِنَ الْحَقِّ) القرآن (وَلَا يَكُونُوا) معطوف على تخشع (كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ) هم اليهود والنصارى (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ) الزمن بينهم وبين أنبيائهم (فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) لم تلن لذكر الله (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ. اعْلَمُوا) خطاب للمؤمنين المذكورين (أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) بالنبات فكذلك يفعل بقلوبكم يردها إلى الخشوع (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ) الدالة على قدرتنا بهذا وغيره (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ) من التصدق أدغمت التاء في الصاد: أي الذين تصدقوا (وَالْمُصَّدِّقَاتِ) اللاتي تصدقن وفي قراءة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق الإيمان (وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) راجع إلى الذكور والإناث بالتغليب وعطف الفعل على الاسم في صلة أل لأنه فيها حل محل الفعل،

(قوله وذكر القرض الخ) جواب عما يقال إن قوله المصدقين على قراءة التشديد يغنى عنه لأن المراد بالقرض الصدقة . فأجاب بأنه ذكره توطئة لوصفه بالحسن فقوله تقييد له أى للتصدق بوصف القرض وهو الحسن (قوله يضاعف لهم) أى يكتب لهم فى صحائفهم الحسنة بعشرة إلى سبعمائة إلى غير ذلك (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله ولهم أجر كريم) أى فى نظير عملهم المضاعف(1) (قوله والذين آمنوا) مبتدأ أول وأولئك مبتدأ ثان وهم إما ضمير فصل أو مبتدأ ثالث والصديقون خبر الثالث وهو وخبره خبر الثانى وهو وخبره خبر الأول (قوله أولئك هم الصديقون) أى الموصوفون بالايمان بالله ورسله والمراد الايمان الكامل وإلا فمجرد الايمان لايسمى الشخص به صديقا لأن الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة (قوله والشهداء) يحتمل أن يكون معطوفا على ماقبله فالوقف تام على قوله الشهداء ويكون أخبر عن الذين آمنوا بأنهم صديقون شهداء وقوله عند ربهم ظرف متعلق بقوله بعد لهم أجرهم ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره إما الظرف بعده أو جملة لهم أجرهم (قوله النار) أى فمراده بالجحيم دار العذاب لاخصوص الطبقة المسماة بالجحيم (قوله اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب الخ) لما ذكر الآخرة وأحوال الخلق فيها شرع يزهدهم فى الدنيا لأنها قليلة النفع سريعة الزوال (قوله لعب) أى يتعب الناس فيها أنفسهم جدا كاتعاب الصبيان أنفسهم فى اللعب من غير فائدة (قوله ولهو) أى شغل عن الآخرة (قوله وزينة) أى مايتزين به من اللباس والحلى ونحوهما (قوله وتفاخر بينكم) أى مفاخرة

حاصلة فيما بينكم والعامة على تنوين تفاخر وقرىء شذوذا بإضافته إلى الظرف بعده (قوله أى الاشتغال فيها) أشار بذلك إلى أن قوله أنما الحياة الدنيا مبتدأ على حذف مضاف والتقدير إنما الاشتغال بالحياة الدنيا لعب الخ فالشغل بها دائر بين هذه الأمور الخمسة . قال على كرم الله وجهه لعمار بن ياسر : لاتحزن على الدنيا فان الدنيا ستة أشياء مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح ، فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة ، وأكثر شرابها الماء وهو يستوى فيه جميع الحيوان ، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة ، وأفضل مشمومها المسك وهو دم فأرة ، وأفضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال ، وأما المنكوح فهو النساء وهو مبال فى مبال (قوله كمثل غيث) يحتمل أن يكون خبرا سادسا لأن ويحتمل أن يكون خبرا لمحذوف وعليه اقتصر المفسر والمثل بمعنى الصفة والمعنى صفتها كصفة غيث الخ (قوله مطر) أى حصل بعد جدب ويأس (قوله الزراع) إنما سموا كفارا لأنهم يسترون الأرض بالزرع بسبب الحرث والبذر كما سمى من ستر الايمان بالطغيان والجحد كافرا ويصح أن يبقى الكفار على حقيقته وذلك لأن الكفار يفتخرون ويعجبون فى السراء ويسخطون فى الضراء فاذا كانوا زراعا افتخروا بالزرع إذا ظهر وسخطوا إذا ضاع فصفة الدنيا كصفة كفار زراع تعبوا فى الأرض وحرثوها وبذروها فظهر زرعها ففرحوا به فرح بطر وخيلاء ثم يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وعبارة المفسر محتملة للمعنيين لأن قوله الزراع يحتمل أن يكون تفسيرا للكفار أو صفة لهم (قوله ييبس) تفسير ليهيج والحامل له على ذلك تفريع قوله فتراه مصفرا عليه وإلا فيهيج معناه فى اللغة يطول جدا (قوله وفى الآخرة عذاب شديد) لما ذكر أحوال الدنيا الزائلة ذكر ما يكون عقب زوالها وقسمه إلى قسمين عذاب شديد ومغفرة ورضوان وفى الآية بشارة عظيمة حيث قابل العذاب بشيئين المغفرة والرضوان

وذكر القرض بوصفه بعد التصدق تقييد له (يُضَاعَفُ) وفى قراءة يضعف بالتشديد: أى قرضهم (لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) المبالغون فى التصديق (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) على المكذبين من الأمم (لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على وحدانيتنا (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) النار (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ) تزيين (وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) أى الاشتغال فيها . وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة (كَمَثَلِ) أى هى فى إعجابها لكم واضمحلالها كمثل (غَيْثٍ) مطر (أَعْجَبَ الْكُفَّارَ) الزراع (نَبَاتُهُ) الناشىء عنه (ثُمَّ يَهِيجُ) ييبس (فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) فتاتا يضمحل بالرياح (وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ) لمن آثر عليها الدنيا (وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ) لمن لم يؤثر عليها الدنيا (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) ،

(1) قول المحشى : أى فى نظير عملهم المضاعف فى نسخة : أى فوق عملهم المضاعف

فهو من باب « لن يغلب عسر يسرين » (قوله ما التمتع فيها) أشار بذلك إلى أن قوله : وما الحياة الدنيا مبتدأ على حذف مضاف (قوله إلا متاع الغرور) هو بالضم ما اغتر به الشخص مع متاع الدنيا (قوله سابقوا إلى مغفرة من ربكم) أى سارعوا مسارعة المتسابقين إلى مايوجب المغفرة وهى التوبة من الذنوب و إلى مايوجب الجنة وهو فعل الطاعات (قوله كعرض السماء والأرض) أى أن السموات السبع والأرضين السبع لوجعلت صفائح وألزق بعضها إلى بعض لكان عرض الجنة فى عرض جميعها . قال ابن عباس: يريد أن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة ، وقيل إن ذلك تمثيل للعباد بمايعقلونه و يعرفونه وأكثر مايقع فى نفوسهم مقدار السموات والأرض فشبه عرض الجنة بما تعرفه الناس . روى أن جماعة من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا له : إذا كانت الجنة عرضها ذلك فأين النار؟ فقال لهم أرأيتم إذاجاء الليل أين يكون النهار و إذاجاء النهار أين يكون الليل؟ فقالوا إن مثلها فى التوراة (قوله والعرض السعة) جواب عمايقال إنه ذكر العرض ولم يذكر الطول ، فأجاب المفسر بأنه لم يرد بالعرض ماقابل الطول بل أراد به السعة . وأجيب أيضا بأنه ترك ذكر الطول تعظيما لشأنها لأنه إذا كان هذا شأن العرض فالطول أعظم لأن العرض أقل من الطول (قوله ذلك فضل الله) أى الموعود به من المغفرة والجنة (قوله من مصيبة) من زائدة فى فاعل أصاب وعهد زيادتها حيث وقعت فى جملة منفية ومجرورها نكرة (قوله فى الأرض) يصح أن يكون متعلقا بأصاب أو بمحذوف صفة لمصيبة أو بنفس مصيبة (قوله بالجدب) أى وغيره كالعاهة والزلزلة (قوله إلا فى كتاب) حال من مصيبة لتخصصها بالوصف ، والمعنى إلا مكتوبة فى كتاب (قوله من قبل أن نبرأها) الضمير عائد على المصيبة (قوله ويقال فى النعمة كذلك) أى ماحصل للخلق نعمة فى الأرض كالمطر ولا فى أنفسكم كالصحة والولد إلا مكتوبة فى اللوح المحفوظ من قبل أن يخلقها الله وأشار المفسر بهذه العبارة إلى أن فى الآية حذف الواو مع ماعطفت بدليل التعليل الآتى فى قوله - لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - ويصح أن يراد بالمصيبة جميع الحوادث من خير وشر وعلى مامشى عليه المفسر من أن المراد بالمصيبة الشر خصها بالذكر لأنها أهم على البشر (قوله إن ذلك على الله يسير) أى سهل لامشقة فيه ولا تعب بل هو بقول كن (قوله كى ناصبة للفعل) أى بنفسها لدخول اللام عليها ولذا قال بمعنى أن (قوله أى أخبر تعالى) أشار بذلك إلى أن اللام حرف جر متعلقة بمحذوف (قوله تأسوا) مضارع منصوب بحذف النون والواو فاعل وأصله تأسيون تحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فصار تأساون فالتقى ساكنان الألف والواو التى هى الفاعل حذفت الألف لالتقاء الساكنين فصار وزنه تفعون ومصدره أسى وفعله أسى كجوى جوى ، فقول بعض النحاة والتقدير لأجل عدم إساءتكم صوابه أساكم لأن مصدره أسى لاإساءة (قوله تحزنوا) أى حزنا يوجب القنوط و إلا فالحزن الطبيعى لاينفك عنه الإنسان كالفرح الطبيعى (قوله بل فرح شكر على النعمة) أى فالمنهى عنه الحزن الموجب للجزع والقنوط والفرح الموجب للبطر والأشر وعدم شكر النعمة ، وأما الفرح والحزن الطبيعيان فلامحيص للشخص عنهما ، ولكن يسلم أمره لله ويرجع فى جميع أموره لمالكه وسيده ، فالمقصود من هذه الآية بيان أن الخير والشر بيد الله مقدر كل منهما فى الأزل يجب الرضا به (قوله بما آتاكم) أى لأنه مقدر لكم (قوله و بالقصر) هماقراءتان سبعيتان (قوله جاءكم منه) أى من الله (قوله كل مختال) أى معجب بنعم الله عليه (قوله بما أوتى) أى من النعم (قوله فخور به على الناس) أى كثير الفخر بما أعطيه من النعم على الناس (قوله الذين يبخلون) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وعيد شديد ، ويصح أن يكون خبرا لمحذوف تقديره هم الذين يبخلون أو بدل من

ما التمتع فيها (إلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ . سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) لو وصلت إحداها بالأخرى ، والعرض السعة (أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ) بالجدب (وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ) كالمرض وفقد الولد (إِلَّا فِي كِتَابٍ) يعنى اللوح المحفوظ (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) نخلقها ويقال فى النعمة كذلك (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلَا) كى ناصبة للفعل بمعنى أن : أى أخبر تعالى بذلك لئلا (تَأْسَوْا) تحزنوا (عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا) فرح بطر بل فرح شكر على النعمة (بِمَا آتَاكُمْ) بالمد أعطاكم وبالقصر جاءكم منه (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متكبر بما أوتى (فَخُورٍ) به على الناس (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ)

بما يجب عليهم (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) به لهم وعيد شديد (وَمَنْ يَتَوَلَّ) عما يجب عليه (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ) ضمير فصل وفى قراءة بسقوطه (الْغَنِيُّ) عن غيره (الْحَمِيدُ) لأوليائه (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا) الملائكة إلى الأنبياء (بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج القواطع (وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ) بمعنى الكتب (وَالْمِيزَانَ) العدل (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ) أخرجناه من المعادن (فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) يقاتل به (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ) علم مشاهدة معطوف على ليقوم الناس (مَنْ يَنْصُرُهُ) بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره (وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ) حال من هاء ينصره أى غائباً عنهم فى الدنيا قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) لاحاجة له إلى النصرة لكنها تنفع من يأتى بها (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) يعنى الكتب الأربعة التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فإنها فى ذرية إبراهيم (فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

قوله كل مختال فخور (قوله بما يجب عليهم) أى من المال كزكاة وكفارة ومن تعليم العلم ونشره ومن بيان صفة النبى صلى الله عليه وسلم التى هى فى الكتب القديمة (قوله و يأمرون الناس) أى من يعرفونه (قوله ومن يتول) أى يعرض ومن شرطية وجوابها محذوف تقديره فالوبال عليه (قوله وفى قراءة بسقوطه) أى وهى سبعية أيضا وهى تعين أنه ضمير فصل إذ لو صح أن يجعل ضميرا منفصلا لما حسن إسقاطه من غير دليل لأنه عمدة (قوله الغنى) أى المستغنى عما سواه (قوله الحميد لأوليائه) أى المثنى عليهم بالإحسان المنعم عليهم بجزيل الانعام (قوله لقد أرسلنا) اللام موطئة لقسم محذوف : أى والله لقد أرسلنا الخ (قوله الملائكة إلى الأنبياء) تبع فى ذلك الزمخشرى ولم يسبقه إليه أحد ، والحامل له على ذلك التفسير تصحيح المعية فى قوله وأنزلنا معهم الكتاب لأن الكتب إنما تنزل مع الملائكة ، والمناسب أن يفسر الرسل بالبشر كما عليه الجمهور لأنه لم ينزل بالكتب والأحكام على الرسل إلا جبريل فقط وحينئذ فقوله معهم ظرف متعلق بمحذوف حال منتظرة ، والتقدير وأنزلنا الكتاب حال كونه آيلا وصائرا لأن يكون معهم إذا وصل إليهم أو مع بمعنى إلى (قوله العدل) أى فليس المراد بالميزان حقيقته فقط بل مايشمله وغيره ، والمراد بالعدل التوسط فى الأمور فلايحصل منهم تفريط ولا إفراط (قوله ليقوم الناس بالقسط) علة لإرسال الرسل و إنزال الكتاب والميزان (قوله أخرجناه من المعادن) هذا أحد قولين فى تفسير الانزال والآخر إبقاؤه على حقيقته لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من حديد ، وروى من آلة الحدادين السندال والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة ، وروى ومعه المبرد والمسحاة ، وروى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنزل الله تعالى أربع بركات من السماء الحديد والنار والماء والملح» وعن ابن عباس أيضا قال : أنزل الله ثلاثة أشياء مع آدم الحجر الأسود وعصا موسى والحديد اهـ. والسندال بكسر السين وفتحها والكلبتان آلة يؤخذ بها الحديد المحمى والميقعة المبرد (قوله فيه بأس شديد) الجملة حالية من الحديد (قوله يقاتل به) أى فمنه الترس ومنه السلاح ونحو ذلك (قوله ومنافع للناس) أى فمامن صنعة إلا والحديد له دخل فى آلتها (قوله علم مشاهدة) أى للخلق والمعنى ليظهر متعلق علمه لعباده فاندفع مايقال إن هذا التعليل يوهم حدوث العلم مع أنه قديم (قوله معطوف على ليقوم) أى لكن المعطوف عليه علة للارسال والانزال والمعطوف علة لانزال الحديد وفى الحقيقة قوله ليعلم علة للثلاثة (قوله بآلات الحرب الخ) إنما خص النصر بذلك لكون المقام والسياق يقتضيه (قوله من هاء ينصره) أى الواقعة على الله تعالى (قوله غائبا عنهم) أى متحجبا بجلاله وعظمته (قوله ولايبصرونه) أى فى الدنيا فان رؤيته تعالى فى الدنيا لم تثبت إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لاحاجة له إلى النصرة) أى و إنما هو سعادة لمن يحصل النصر على يديه وشقاوة لمن لم يحصل (قوله لكنها تنفع من يأتى بها) أى فنفع التكاليف عائد على ذوات المكلفين . قال تعالى ـ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم (قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ) معطوف على قوله ـ لقد أرسلنا رسلنا ـ وكرر القسم إظهارا لمزيد الاعتناء والتعظيم وخص هذين الرسولين بالذكر لأن جميع الأنبياء من ذريتهما وذلك لأن نوحا هو الأب الثانى لجميع البشر و إبراهيم أبو العرب والروم و بنى إسرائيل (قوله يعنى الكتب الأربعة) أشار بذلك إلى أن أل فى الكتاب للجنس وخص هذه الأربعة لأنها أصول الكتب (قوله والفرقان) فى نسخة القرآن (قوله فمنهم مهتد) أى من الذرية أو من المرسل إليهم .

(قوله فاسقون) أى كافرون بدليل مقابلته بمهتد (قوله ثم قفينا على آثارهم) الضمير عائد على نوح وإبراهيم ومن عاصرهما من الرسل وليس عائدا على الذرية فان الرسل المقفى بهم من جملة الذرية ، والمعنى ثم أتبعنا رسولا بعد رسول حتى انتهينا إلى عيسى عليه السلام (قوله وقفينا بعيسى) أى جعلناه تابعا لهم ومتأخرا عنهم فى الزمان وخصه بالذكر للرد على اليهود المنكرين لنبوّته ورسالته (قوله وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) أى من الحواريين وغيرهم (قوله رأفة ورحمة) أى شدّة لين وشفقة (قوله ورهبانية) يصح أن يكون بالنصب عطفا على رأفة وجملة ابتدعوها صفة لرهبانية وجعل إما بمعنى خلق أو صير وذلك لأن الرأفة والرحمة أمر غريزى لاتكسب للانسان فيه بخلاف الرهبانية فانها من أفعال البدن وللانسان فيها تكسب ويصح أن تكون منصوبة بفعل مقدّر يفسّره الظاهر فهو من باب الاشتغال (قوله هى رفض النساء الخ) أى المبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس والتقشف فى الأكل والملبس والمشرب مع التقليل من ذلك ، روى عن ابن عباس قال : كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل ، وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرءون التوراة والانجيل ويدعونهم إلى دين الله ، فقيل لملوكهم لوجمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أودخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركون قراءة التوراة والانجيل إلا مابدّلوا منها ، فقالوا ماتريدون منا إلا ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا ، فقالت طائفة منهم ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا فيها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نردّ عليكم ، وطائفة قالت دعونا نسيح فى الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فإن قدرتم علينا فى أرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمرّ بكم وليس أحد من القبائل إلاوله حميم فيهم. قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى . خلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون فى مكان فلان نتعبد فيه كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لاعلم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله تعالى ـ ورهبانية ابتدعوها ـ أى ابتدعها الصالحون ـ فما رعوها حق رعايتها ـ يعنى الآخرين الذين جاءوا من بعدهم ـ فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ـ يعنى الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ـ وكثير منهم فاسقون ـ هم الذين جاءوا من بعدهم فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدّقوه فقال تعالى فيهم ـ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ـ الخ انتهى ـ (قوله إلا لكن) أشار المفسر إلى أن الاستثناء منقطع وإلى هذا ذهب جماعة ، وقيل إن الاستثناء متصل من عموم الأحوال ، والمعنى ما كتبناها عليهم لشىء من الأشياء إلا لابتغاء مرضاة الله ويكون كتب بمعنى قضى (قوله فما رعوها حق رعايتها) أى ما قاموا بها حق القيام بل غلوا فى دينهم غير الحق وقالوا بالتثليث وكفروا بدين عيسى من قبل ظهور محمد (قوله فآتينا الذين آمنوا به) أى بنبينا وقوله وكثير منهم : أى من هؤلاء الذين ابتدعوها وضيعوها (قوله فاسقون) أى لم يؤمنوا بنبينا بل داموا على الكفر والقول بالتثليث واقتدى بهم أمة من بعد أمة إلى نزول عيسى عليه السلام فيمحوه وما مشى عليه المفسر خلاف ماتفيده رواية ابن عباس المتقدّمة فان مقتضاها حمل قوله فآتينا الذين آمنوا على من آمن بعيسى وقوله وكثير منهم فاسقون على من غير وبدل قبل بعثة نبينا وهم الذين لم يرعوها حق رعايتها فتدبر (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) لما قدم أن أمة عيسى بعد رفعه إلى السماء افترقوا فمنهم من تمسك بالرهبانية الصحيحة وداموا عليها إلى أن ظهر محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من غير وبدل شرع يبين المطلوب منهم بعد ظهوره صلى الله عليه وسلم (قوله آمنوا بعيسى) هذا أحد قولين للمفسر ويشهد له سياق الكلام والثانى أن الخطاب عام لكل من آمن بالرسل المتقدمين فيشمل المؤمنين بعيسى وبمن قبله من الرسل . إن قلت إن هذا ظاهر فيمن كانت ملتهم صحيحة فنسخت بملة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما فيمن نسخت ملته بملة عيسى كاليهود فلا تظهر إثابتهم على التمسك بها . أجيب بأن إثابتهم على تلك الملة المنسوخة من خصائص دخولهم فى ملة الإسلام ولذا

فَاسِقُونَ . ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً) هى رفض النساء واتخاذ الصوامع (ابْتَدَعُوهَا) من قبل أنفسهم (مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) ما أمرناهم بها (إِلَّا) لكن فعلوها (ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ) مرضاة (اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) إذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى ودخلوا فى دين ملكهم وبقى على دين عيسى كثير منهم فآمنوا بنبينا (فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) به (مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بعيسى ، (اتقوا

(اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعيسى (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ) نصيبين (مِنْ رَحْمَتِهِ) لإيمانكم بالنبيين (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) على الصراط (وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . لِئَلَّا يَعْلَمَ) أى أعلمكم بذلك ليعلم (أَهْلُ الْكِتَابِ) التوراة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (أَنْ) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والمعنى أنهم (لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) خلاف ما فى زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه (وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ) يعطيه (مَنْ يَشَاءُ) فآتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين كما تقدم (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) .

(سورة المجادلة)

مدنية، ثنتان وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ) تراجعك أيها النبى (فِي زَوْجِهَا) المظاهر منها ،

كان الاسلام يصحح أنكحتهم الفاسدة (قوله اتقوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله يؤتكم) أى يعطكم على اتباعه (قوله كفلين) تثنية كفل وهو فى الأصل كساء يعقد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره على العجز يحفظ الراكب ويمنعه من السقوط، والمراد هنا نصيبان عظيمان من الرحمة يمنعان الشخص من العذاب كما يمنع الكفل الراكب من السقوط وهذان الكفلان لايختصان من ذكر بل ورد فى الحديث «ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك الذى أدى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران» (قوله لايمانكم بالنبيين) أى فاستحقاقهم الكفلين ظاهر لأنهم آمنوا بعيسى واستمروا على دينه إلى أن بعث نبينا عليه الصلاة والسلام فآمنوا به فكفل لايمانهم بعيسى وكفل لايمانهم بنبينا (قوله ويجعل لكم نورا) قيل هو القرآن وقيل هو الهدى والسبيل الواضح فى الدين (قوله ويغفر لكم) أى ماسبق من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (قوله لئلا يعلم أهل الكتاب) سبب نزولها أنه لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب هذه الآية وقوله تعالى: أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لايمانه بكتابنا وكتابكم ومن لم يؤمن منا بكتابكم فله أجر كأجركم فبأى شئ فضلتم علينا فنزلت هذه الآية ردا عليهم (قوله أى أعلمكم بذلك الخ) أشار بذلك إلى أن لا زائدة واللام متعلقة بمحذوف والمعنى إن تتقوا وتؤمنوا برسوله يؤتكم كفلين ليعلم أهل الكتاب عدم قدرتهم على شئ من من فضل الله وأن الفضل بيد الله (قوله والمعنى أنهم لايقدرون على شئ من فضل الله) أى لايملكونه ولا يتصرفون فيه بحيث يجعلونه لانفسهم ويمنعونه من غيرهم ومن جملة فضل الله الكفلان والمغفرة والنور (قوله خلاف) بالرفع خبر لمحذوف أى وعدم قدرتهم خلاف أى مخالف لما فى زعمهم (قوله وأن الفضل بيد الله) معطوف على قوله أن لايقدرون (قوله يؤتيه من يشاء) جملة مستأنفة أو خبر ثان لأن .

[سورة المجادلة] هى فى الأصل المحاورة فى الكلام والمبالغة فيه بحق أو باطل، والمراد هنا المحاورة فى الكلام لطلب الفرج من الله على لسان رسوله فان تلك المرأة أصابها من ألم الفراق ما حملها على اكثار الكلام مع رسول الله وترديد الكلام معه (قوله مدنية) أى كلها وهو قول الجمهور، وقيل مدنية إلا قوله تعالى: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم نزلت بمكة، وقيل غير ذلك، وهذه السورة أول النصف الثانى من القرآن باعتبار عدد سوره وأول عشره الأخير باعتبار أجزائه وليس فيها آية إلا وفيها ذكر الجلالة مرة أومرتين أوثلاثا، وجملة مافيها من الجلالات خمس وثلاثون، ومن فوائدها أن تكتب حجابا للقرينة ويجعل مافيها من الجلالات سطرا وسطا كهيئة النقطة الحمراء التى تجعل وسط القصيد ويكون حملها قبل نفخ الروح فى الجنين وبعد الولادة تنقل إليه (قوله قد سمع الله الخ) قد للتحقيق والمراد بسماع قولها إجابة مطلوبها بأن أنزل حكم الظهار على ما يوافق مرادها (قوله فى زوجها) أى شأنه

(قوله وكان قال لها أنت علىّ كظهر أمى) شروع فى سبب نزول هذه الآيات وأجمل المفسر فى القصة. وحاصلها تفصيلا وأنه روى أنها كانت حسنة الجسم فدخل عليها زوجها مرة فرآها ساجدة فى الصلاة فنظر إلى عجيزتها فأعجبه أمرها ، فلما انصرفت من الصلاة طلب وقاعها فأبت فغضب عليها وكان به لمم فأصابه بعض لممه فقال لها أنت علىّ كظهر أمى ثم ندم على ماقال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال ما أظنك إلا قد حرمت علىّ فقالت والله ماذاك طلاق فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يارسول الله إن زوجى أوس بن الصامت تزوجنى وأنا شابة غنية ذات أهل ومال حتى إذا أكل مالى وأفنى شبابى وتفرق أهلى وكبر سنى ظاهر منى وقد ندم فهل من شىء يجمعنى و إياه تنعشنى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه ، فقالت يارسول الله والذى أنزل عليك الكتاب ماذكر الطلاق ، و إنه أبو ولدى وأحب الناس إلىّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه ، فقالت أشكو إلى الله فاقتى ووحدتى قد طالت له صحبتى ونفضت له بطنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك إلا قد حرمت عليه ولم أومر فى شأنك بشىء ، فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم و إذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه ، هتفت وقالت أشكو إلى الله فاقتى ووحدتى وشدة حالى و إن لى صبية صغارا إن ضممتهم إلىّ جاعوا ، و إن ضممتهم إليه ضاعوا ، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول اللهم أشكو إليك اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجى فكان هذا أول ظهار فى الاسلام ، فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر فى أمرى جعلنى الله فداك يارسول الله فقالت عائشة أقصرى حديثك ومجادلتك أما رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا نزل عليه الوحى أخذه مثل السبات أى النوم فلما قضى الوحى قال ادعى لى زوجك فدعته فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التى تجادلك

فى زوجها الآيات إلى قوله وللكافرين عذاب أليم» وروى الشيخان عن عائشة قالت «الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته وأنا فى جانب البيت وما أسمع ماتقول فأنزل الله قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله الآيات فقال وفى

وكان قال لها : أنت علىّ كظهر أمى ، وقد سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأجابها بأنها حرُمت عليه على ماهو المعهود عندهم من أن الظهار موجبه فرقة مؤبدة ، وهى خولة بنت ثعلبة ، وهو أوس بن الصامت (وَتَشْتَكِي إِلَى ٱللَّهِ) وحدتها وفاقتها وصبية صغارا إن ضمتهم إليه ضاعوا ، أو إليها جاعوا (وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) تراجعكما (إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) عالم (ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ) أصله يتظهرون أدغمت التاء فى الظاء ،

صلى الله عليه وسلم لزوجها هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله إنى إن أخطأنى الأكل فى اليوم مرة أو مرتين كلّ بصرى وظننت أنى أموت قال فأطعم ستين مسكينا قال ما أجد إلا أن تعيننى منك بمعونة وصلة فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا فتصدق بها على ستين مسكينا» ، وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بها فى زمن خلافته وهو على حمار والناس حوله فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت ياعمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك ياعمر ثم قيل لك يا أمير المؤمنين فاتق الله ياعمر فانه من أيقن بالموت خاف الفوت ومن أيقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الموقف فقال والله لو حبستنى من أول النهار إلى آخره لازلت إلا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز هى خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر (قوله عن ذلك) أى حكمه هل هو فراق أولا (قوله فأجابها بأنها حرمت عليه) أى وجوابه بالتحريم دالّ على استمرار الحرمة التى كانت فى الجاهلية لأنه لاينطق عن الهوى (قوله وهى خولة بنت ثعلبة) أى ابن مالك الخزرجية (قوله وهو أوس بن الصامت) أى أخو عبادة بن الصامت (قوله وتشتكى إلى الله) أى تتضرع إلى الله (قوله وفاقتها) أى فقرها وقوله وصبية الجمع لما فوق الواحد لأنهما كانا ولدين (قوله ضاعوا) أى من عدم تعهد الخدمة وقوله جاعوا أى من عدم النفقة لفقرها ولعل نفقة الأولاد لم تكن إذ ذاك واجبة على أبيهم (قوله والله يسمع تحاوركما) استئناف جار مجرى التعليل لما قبله (قوله تراجعكما) أى فالمحاورة المراجعة فى الكلام (قوله إن الله سميع بصير) تعليل لما قبله (قوله الذين يظهرون منكم) شروع فى بيان حكم الظهار وهو الحرمة بالاجماع ومن استحله فقد كفر وحقيقة الظهار تشبيه ظهر حلال بظهر محرم فمن قال لزوجته أنت علىّ كظهر أمى فهو ظهار باجماع الفقهاء وقاس مالك وأبو حنيفة غير الأم من ذوات المحارم عليها. واختلف القول عن الشافعى

وفى قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة ، وفى أخرى كيقاتلون . والموضع الثانى كذلك (مِنكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِى) بهمزة وياء و بلا ياء (وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ) بالظهار (لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا) كذبا (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) للمظاهر بالكفارة (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) أى فيه بأن يخالفوه بإمساك المظاهر منها الذى هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) أى إعتاقها عليه (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا) بالوطء (ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . فَمَنْ لَمْ يَجِدْ) رقبة (فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ) أى الصيام (فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) عليه من قبل أن يتماسا حملا للمطلق على المقيد، لكل مسكين مدّ من غالب قوت البلد (ذَلِكَ) أى التخفيف فى الكفارة (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ) أى الأحكام المذكورة (حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ) بها (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ) يخالفون (اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا) أذلوا (كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) ،

فروى عنه مثل مالك ، وروى عنه أن الظهار لا يكون إلا بالأم وحدها (قوله وفى قراءة بألف الخ) فى كلامه التنبيه على ثلاث قراآت سبعيات (قوله الخفيفة) نعت للهاء وأما الظاء فمشددة (قوله ماهن أمهاتهم) أى حقيقة (قوله و بلا ياء) فالقراآت سبعيات و بقى قراءتان سبعيتان أيضا وهما تسهيل الهمزة وقلبها ياء ساكنة (قوله منكرا) أى فظيعا من القول لا يعرف فى الشرع (قوله بالكفارة) أى فالمغفرة سببها الكفارة وفيه إشارة إلى أن الحدود جوابر (قوله والذين يظهرون من نسائهم) تفصيل للحكم المترتب على الظهار إثر بيان التوبيخ عليه (قوله ثم يعودون لما قالوا) أى لقولهم فما مصدرية والعود عند مالك بالعزم على الوطء وعند الشافعى يحصل بإمساكها زمنا يمكنه مفارقتها فيه وعند أبى حنيفة يحصل باستباحة استمتاعها (قوله مقصود الظهار) الكلام إما على حذف مضاف أى ذى الظهار أو المعنى المقصود بالظهار (قوله فتحرير رقبة) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله عليه والجملة خبر المبتدإ الذى هو الموصول (قوله بالوطء) هذا قول الشافعى فى القديم وفى الجديد أنه الاستمتاع بما بين السرة والركبة وعند مالك بالوطء ومقدماته (قوله ذلكم) إشارة إلى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به أى تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور (قوله فمن لم يجد) مبتدأ وقوله فصيام مبتدأ ثان خبره محذوف قدره المفسر بقوله عليه والجملة خبر الأول (قوله فصيام شهرين متتابعين) أى فان أفطر فيهما ولو لعذر انقطع التتابع ووجب استئنافهما (قوله عليه) أى على من لم يستطع ومن لم يجد وهو خبر عن كل من قوله فصيام وقوله فاطعام (قوله حملا للمطلق) أى الذى هو وجوب الاطعام أطلق فى الآية عن التقييد بكونه من قبل أن يتماسا على المقيد الذى هو وجوب الصيام ووجوب الرقبة قيد كلا بكونه من قبل أن يتماسا والحمل معناه تقييد المطلق بالقيد الذى هو فى المقيد (قوله لكل مسكين مد) ظاهره أنه مد النبى صلى الله عليه وسلم وعليه الشافعى وقال مالك إنه مد هشام بن عبد الملك وكان يزيد على مد النبى صلى الله عليه وسلم ثلثا تشديدا على المظاهر بخلاف باقى الكفارات فالمراد به مد النبى صلى الله عليه وسلم وقدر الجميع تقريبا عند الشافعى فى زماننا ثلاثون قدحا بالمصرى لكل مسكين نصف قدح وعند مالك أربعون قدحا لكل مسكين ثلثا قدح فتدبر (قوله ذلك) إشارة إلى ما مر من البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها وقوله لتؤمنوا الخ : أى تستمروا على الايمان وتعملوا بشرائعه وترفضوا ما كان عليه الجاهلية (قوله وللكافرين) أى المنكرين لتلك الأحكام (قوله إن الذين يحادون الله ورسوله) هذه الآية نزلت فى أهل مكة عام الأحزاب حين أرادوا التحزب على رسول الله وأصحابه وكان فى السنة الرابعة وقيل فى الخامسة ، والمقصود منها تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم و بشارته بأن أعداءهم المتحزبين القادمين عليهم يكبتون و يذلون و يفرق جمعهم فلا تخشوا بأسهم (قوله يخالفون الله) أى يعادونه ورسوله فسمى المحادة مخالفة لأن المحادة أن تكون فى حد يخالف حد صاحبك وهو كناية عن المعاداة (قوله كبتوا) أى يكبتوا وعبر بالماضى لتحقق الوقوع لأن هذه الآية نزلت قبل قدومهم (قوله أذلوا) وقيل معناه أهلكوا وقيل أخذوا ، وقيل عذبوا ، وقيل لعنوا ، وقيل أغيظوا ، وكلها متقاربة فى المعنى .

(قوله في مخالفتهم) أي بسببها (قوله وقد أنزلنا) الخ الجملة حالية من الواو في كبتوا (قوله يوم يبعثهم) ظرف لمهين أو لعذاب أو لمحذوف تقديره اذكر (قوله جميعا) أي بحيث لا يبقى أحد غير مبعوث أو المعنى مجتمعين في حالة واحدة (قوله فينبئهم بما عملوا) أي من القبائح إما ببيان صدورها منهم أو بتصويرها بصورة قبيحة هائلة على رءوس الأشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم (قوله أحصاه الله) أي لم يفته منه شيء بل أحاط بجميع ما صدر من خلقه (قوله ونسوه) حال من مفعول أحصى والمعنى ذهلوا عنه لكثرته أو تهاونهم به واعتقادهم أن لا حساب عليه (قوله ما يكون من نجوى ثلاثة) استئناف مسوق لبيان أن علمه وسع كل شيء ويكون تامة ومن نجوى فاعلها بزيادة من ونجوى مصدر معناه التحدث سرا وإضافتها إلى ثلاثة من إضافة المصدر إلى فاعله (قوله إلا هو رابعهم) الاستثناء في هذا وما بعده مفرغ واقع في موضع نصب على الحال، والمعنى ما يوجد شيء من هذه الأشياء إلا في حال من هذه الأحوال وخص الثلاثة والخمسة بالذكر إما لأن الله وتر يحب الوتر فالعدد المفرد أشرف من الزوج أو لأن قوما من المنافقين كانوا يتحلقون للتناجي وكانوا بهذا العدد زيادة في الاختفاء فنزلت الآية بصفة حالهم (قوله بعلمه) أي وسمعه وبصره ومتعلقهم قدرته وإرادته، ولأهل الله المقربين في سر المعية مشاهدات وتجليات ومقامات يذوقها من شرب من مشاربهم (قوله ولا أدنى من ذلك) أي من العدد المذكور فالأدنى من الخمسة الأربعة والأدنى من الثلاثة الاثنان والواحد في خاصة نفسه

في مخالفتهم رسلهم (وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) دالة على صدق الرسول (وَلِلْكَافِرِينَ) بالآيات (عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ) بعلمه (وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ) هم اليهود نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلون من تناجيهم أي تحدثهم سرا ناظرين إلى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ) أيها النبي (بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ) وهو قولهم السام عليك أي الموت (وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا) هلا (يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) من التحية وإنه ليس بنبي إن كان نبيا (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ)،

(قوله ولا أكثر) بالجر في قراءة العامة عطف على لفظ نجوى وقرئ شذوذا بالرفع معطوف على محل نجوى (قوله أينما كانوا) أي من الأماكن فإن علمه تعالى بالأشياء لا يتفاوت بقرب الأمكنة ولا بعدها (قوله ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم (قوله ثم يعودون لما نهوا عنه) التعبير بالمضارع استحضارا للصورة العجيبة ويقال هي في قوله ويتناجون مثله (قوله والعدوان) أي عداوة الرسول والمؤمنين (قوله ومعصيت الرسول) رسمت هنا وفيما يأتي بالتاء المجرورة وإذا وقف عليها فبعض القراء يقفون بالهاء وبعضهم بالتاء وأما في الوصل فاتفقوا على التاء (قوله ليوقعوا في قلوبهم الريبة) أي فيوهموهم أنهم قد بلغهم خبر إخوانهم الذين خرجوا في السرايا وأنهم قتلوا أو ماتوا أو هزموا فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم (قوله حيوك) أي خاطبوك بشيء لم يحيك به الله أي لم يشرعه ولم يأذن فيه أن يقولوه لك (قوله وهو قولهم السام عليك) أي وكان يرد فيقول عليكم. في البخاري «أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا السام عليك. قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش قالت أولم تسمع ما قالوا؟ قال أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في» واختلف العلماء في رد السلام على أهل الذمة فقال مالك إن تحقق نطقهم بالسلام وجب الرد عليهم وإلا فلا يجب وعند الشافعي يجب الرد بأن يقول وعليك (قوله ويقولون في أنفسهم) أي فيما بينهم (قوله إن كان نبيا) مرتبط بقولهم لولا يعذبنا الله، والمعنى لو كان نبيا لعجل الله لنا العذاب بسبب قولنا (قوله حسبهم جهنم) أي كافيهم في العذاب. وقوله يصلونها حال، وأما إمهالهم

فى الدنيا فمن كراماته علياً ربه لكونه بث رحمة (قوله هى) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم) يحتمل أن يكون الخطاب للمؤمنين الصادقين قصد به الزجر والتنفير من فعل اليهود و يحتمل أن الخطاب للمؤمنين ظاهرا وهم المنافقون (قوله إنما النجوى بالإثم ونحوه) أى فالغيبة والتكلم فى أعراض المؤمنين سببها الشيطان ليدخل بها الحزن على المؤمن المتكلم فى عرضه وليس بضارّ له فى الواقع و إنما الوبال على المتناجين بذلك . قال العارفون : من أسباب سوء الخاتمة عند الموت الخوض فى أعراض المؤمنين وتشمل الآية بعمومها ماروى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا باذنه فان ذلك يحزنه » وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه » فبين فى الحديث غاية النهى . قال العلماء : ولا مفهوم لتناجى اثنين دون ثالث بل المدار على ترك واحد كان المتناجى اثنين أو أكثر (قوله من الشيطان) نسبت إليه لكونه المزين لها والحامل عليها (قوله ليحزن الذين آمنوا) بضم الياء وكسر الزاى من أحزنه أو بفتح الياء وضم الزاى من حزن فهما قراءتان سبعيتان والموصول على الأولى مفعول وعلى الثانية فاعل (قوله وليس هو) أى الشيطان (قوله إلا باذن الله) أى فيحصل منه الضرر لارادة الله إياه ففى الحقيقة الخير وضده من الله ، وهذه الآية مخوّفة لأهل الغيبة والنميمة من المؤمنين فى كل زمن (قوله يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا الخ) لما نهى الله تعالى المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر وهو التناجى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول أمرهم الآن بما يكون سببا لزيادة المحبة والمودة بقوله :

هى (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. إِنَّمَا النَّجْوَى) بالإثم ونحوه (مِنَ الشَّيْطَانِ) بغروره (لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ) هو (بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) أى إرادته (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا) توسعوا (فِى الْمَجْلِسِ) مجلس النبى صلى الله عليه وسلم أو الذكر حتى يجلس من جاءكم ، وفى قراءة المجالس (فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ) فى الجنة (وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا) قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات (فَانْشُزُوا) ،

يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم الخ ، وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبىّ صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فردّ عليهم السلام ثم سلموا على القوم فردوا عليهم السلام ثم سلموا على النبىّ صلى الله عليه وسلم فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا وشقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير أهل بدر قم يافلان وأنت يافلان ، فأقام من المجلس بقدر أولئك النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبىّ صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فأنزل الله هذه الآية» ، وقيل نزلت فى ثابت ابن قيس بن شماس وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للصمم الذى كان فى أذنيه فوسعوا له حتى قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه و بينهم كلام فنزلت ، وعلى كل حال فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيتناول أى مجلس كان سواء كان مجلس علم أو ذكر أو صلاة أو قتال أو غير ذلك لما ورد « لا يقيمنّ أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا ولا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا » وقوله فى الحديث لا يقيمن أحدكم الخ استفيد منه أن القادم لا يقيم الجالس ، وأما قيام الجالس من نفسه له تواضعا وأدبا أو كبير المجلس يقيم أحدا من الجالسين لمصلحة فلا بأس بذلك (قوله مجلس النبىّ) أى فانهم كانوا يتضامون فيه حرصا على القرب منه واستماع كلامه (قوله وفى قراءة المجالس) أى والجمع باعتبار أن لكل واحد مجلسا والقراءتان سبعيتان (قوله يفسح الله لكم) مجزوم فى جواب الأمر الواقع جوابا للشرط (قوله فى الجنة) أى والدنيا والقبر والقيامة (قوله وغيرها) أى كالجهاد وكل خير ، وقيل معنى انشزوا ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم ، وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة فى الجماعة إذا نودى لها فنزلت هذه الآية والمقصود العموم فى كل مايطلب فيه النهوض والاسراع

ففيه حث على التشمير عن ساعد الجد والاجتهاد فى الطاعات وترك التكاسل (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وكلاهما لغتان فصيحتان من بابى ضرب ونصر (قوله فى ذلك) أى القيام إلى الصلاة ونحوها (قوله والذين أوتوا العلم) معطوف على الذين آمنوا عطف خاص على عام لأن الذين أوتوا العلم بعض المؤمنين لكن لما جمع العلماء بين العلم والعمل استحقوا رفع الدرجات والاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم (قوله يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا الخ) الحكمة فى هذا الأمر تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والنهى عن الإفراط فى السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الدنيا ومحب الآخرة. واختلف فى هذا الأمر فقيل للندب وقيل للوجوب. روى عن على كرم الله وجهه أنه قال: إن فى كتاب الله آية ماعمل بها أحد غيرى، كان لى دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات أتصدق فى كل مرة بدرهم، وكان يقول آية فى كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلى ولايعمل بها أحد بعدى وهى آية المناجاة. وروى عنه أيضا أنه قال: لما نزلت ـ ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ـ فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم ماترى دينارا قلت لايطيقونه قال فنصف دينار قلت لايطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال إنك لزهيد أى قليل المال، ففى هذه الآية منقبة عظيمة لعلى بن أبى طالب وليس فيها ذم لغيره من الصحابة وذلك لأنه لم يتسع الوقت ليعملوا بهذه الآية ولواتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى القول باتساعه فلعل الأغنياء كانوا غائبين والفقراء لم يكن بأيديهم شىء (قوله أردتم مناجاته) أشار بذلك إلى أن الماضى ليس على حقيقته أخذا من قوله: فقدموا بين يدى نجواكم (قوله ذلك خير لكم) أى التقديم خير لما فيه من طاعة الله ورسوله (قوله يعنى فلا عليكم) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله: فان الله غفور رحيم تعليل للمحذوف ودليل عليه (قوله ثم نسخ ذلك) أى الأمر بتقديم الصدقة بعد ان استمر زمنا ما قيل هوساعة، وقيل يوم، وقيل عشرة أيام. واختلفوا فى الناسخ للأمر فقيل هو الآية بعده وعليه المفسر تبعا للجمهور، وقيل هو آية الزكاة (قوله بقوله ءأشفقتم الخ) مراده الآية بتمامها (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أشار بذلك لأربع قراآت سبعيات و بقى قراءة خامسة سبعية وذلك لأن التحقيق إما مع إدخال ألف أو بدونه (قوله الفقر) أشار بذلك إلى أن مفعول ءأشفقتم محذوف، والمعنى أخفتم من تقديم الصدقة الاحتياج (قوله فاذ لم تفعلوا) يحتمل أن إذ باقية على بابها من المضى، والمعنى إذا تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه باقامة الصلاة الخ ويحتمل أنها بمعنى إن الشرطية (قوله وتاب الله عليكم) الجملة حالية أومستأنفة معترضة بين الشرط وجوابه (قوله رجع بكم عنها) أى عن وجوبها فنسخها تخفيفا عليكم (قوله أى دوموا على ذلك) أى المذكورمن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله (قوله ألم تر إلى الذين تولوا قوما الخ) المقصود من هذه الآية التعجب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء و يناصحونهم و ينقلون إليهم أسرار المؤمنين. وسبب نزولها أن عبدالله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم و يرفع حديثه إلى اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره إذ قال يدخل عليكم اليوم رجل قلبه قلب جبار و ينظر بعينى شيطان فدخل عبدالله بن نبتل وكان أزرق العين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك؟ فحلف بالله مافعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فنزلت

وفى قراءة بضم الشين فيهما (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) بالطاعة فى ذلك (وَ) يرفع (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) فى الجنة (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ) أردتم مناجاته (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ) قبلها (صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ) لذنوبكم (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا) ما تتصدقون به (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لمناجاتكم (رَحِيمٌ) بكم يعنى فلا عليكم فى المناجاة من غير صدقة، ثم نسخ ذلك بقوله (ءَأَشْفَقْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه: أى أخفتم من (أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) الفقر (فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا) الصدقة (وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) رجع بكم عنها (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أى دوموا على ذلك (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا) هم المنافقون (قَوْمًا) هم اليهود (غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ،

هذه الآية (قوله ماهم منكم ولا منهم) إخبار عنهم بأنهم ليسوا من المؤمنين الخلص ولا من الكافرين الخلص لا ينتسبون إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وهذه الجملة إما مستأنفة أو حال من فاعل تولوا (قوله بل هم مذبذبون) أى مترددون بين الإيمان الخالص والكفر الخالص لأن فيهم طرفا من الايمان بحسب ظاهرهم وطرفا من الكفر بحسب باطنهم (قوله وهم يعلمون) الجملة حالية من فاعل يحلفون ، والمعنى يحلفون كاذبين والحال أنهم يعلمون ذلك فيمينهم غموس لاعذر لهم فيها وهذه اليمين توجب لصاحبها الغمس فى النار إن كان مؤمنا خالصا فما بالك إن كان كافرا وفائدة الاخبار عنهم بذلك بيان ذمهم عليه (قوله أيمانهم جنة) مفعولان لاتخذوا ، والمعنى جعلوا أيمانهم الكاذبة وقاية لأنفسهم وأموالهم فلولا ذلك لقوتلوا وأخذ مالهم (قوله فلهم عذاب مهين) أى فى الآخرة والعذاب الأول فى الدنيا أو القبر (قوله من عذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله شيئا) مفعول مطلق كما أشار له بقوله من الاغناء (قوله كما يحلفون لكم) أى فى الدنيا (قوله و يحسبون) حال من فاعل يحلفون ، والمعنى يحلفون والحال أنهم يظنون أن حلفهم فى الآخرة ينفعهم و ينجيهم من عذابها كما نفعهم فى الدنيا بدفع القتال عنهم (قوله استحوذ) هذا الفعل مما جاء على الأصل وخولف فيه القياس إذ قياسه استحاذ بقلب الواو ألفا كاستعاذ واستقام (قوله فأنساهم ذكر الله) أى فلا يذكرونه بألسنتهم ولا بقلوبهم وما يقع منهم من صورة الذكر باللسان فهو كذب (قوله هم الخاسرون) أى لأنهم فوتوا على أنفسهم النعيم الدائم وعرضوها للعذاب المقيم (قوله أولئك فى

مَا هُمْ) أى المنافقون (مِنْكُمْ) من المؤمنين (وَلاَ مِنْهُمْ) من اليهود بل هم مذبذبون (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ) أى قولهم إنهم مؤمنون (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون فيه (أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من المعاصى (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) ستراً على أنفسهم وأموالهم (فَصَدُّوا) بها المؤمنين (عَنْ سَبِيلِ اللهِ) أى الجهاد فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم (فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللهِ) من عذابه (شَيْئاً) من الإغناء (أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) . اذكر (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ) إنهم مؤمنون (كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ) من نفع حلفهم فى الآخرة كالدنيا (أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ . اسْتَحْوَذَ) استولى (عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ) بطاعتهم له (فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ) أتباعه (أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ) يخالفون (اللهَ وَرَسُولَهُ أُولٰئِكَ فِي الأَذَلِّينَ) المغلوبين (كَتَبَ اللهُ) فى اللوح المحفوظ ، أو قضى (لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) بالحجة أو السيف (إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ . لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ) يصادقون (مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا) أى المحادون (آبَاءَهُمْ) أى المؤمنين (أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) بل يقصدونهم بالسوء و يقاتلونهم على الإيمان ،

الأذلين) أى مع الأذلين أو معدودون فى جملتهم (قوله المغلوبين) أى وهم الكفار والمنافقون (قوله كتب الله) ضمنه معنى أقسم ولذا يجاب بما أجيب به القسم وهو قوله لأغلبن و يصح أن يبقى على ظاهره أو بمعنى قضى وعليهما اقتصر المفسر و يكون قوله لأغلبن جوابا لقسم محذوف (قوله بالحجة أو السيف) أو مانعة خلو تجوز الجمع فالرسول يغلب تارة بالسيف وتارة بالبراهين والدلائل وتارة بهما معا (قوله يؤمنون بالله واليوم الآخر) أى إيمانا صحيحا فالمؤمن الموصوف بهذه الصفة لا يمكن أن يصادق الكفار و يحبهم بقلبه لأنه إن فعل ذلك لم يكن صادقا فى إيمانه بل يكون منافقا كما قال الشاعر :

إذا والى صديقك من تعادى فقد عاداك وانفصل الكلام وأما البشاشة فى وجوه الكفار ظاهرا لأجل الضرورات فلا بأس بها لما فى الحديث « إنا لنبش فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم » (قوله يوادون) مفعول ثان لتجد إن كان بمعنى تعلم و إن كان بمعنى تلقى فالجملة حال من قوما أو صفة ثانية اه ، وقدم أولا الآباء لأنهم تجب طاعتهم ثم الأبناء لأنهم أعلق بالقلب ثم الإخوان لأنهم الناصرون للشخص بمنزلة العضد من الذراع ثم بالعشيرة لأن بها يستغاث وعليها يعتمد .

(قوله كما وقع لجماعة من الصحابة) روى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية قال : ولو كانوا آباءهم يعنى أباعبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح ، أوأبناءهم يعنى أبا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر للبراز ، وقال يارسول الله دعنى أكن فى الرعلة الأولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر، أو إخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، أوعشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاصى بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن أبى طالب وحمزة وأبوعبيدة قتلوا بنى عمهم عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر . وروى أيضا أن عبد الله بن عبد الله بن أبى هم بقتل أبيه ، فمنعه رسول الله ووقع لأبى بكر الصديق أنه صك أباه أبا قحافة حيث سمعه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله بروح بنور) وقيل الروح النصر ، وقيل القرآن والحجج ، وقيل هو جبريل عليه السلام يأتيهم عند الموت فيطرد الفتانات عنهم (قوله رضى الله عنهم) أى عاملهم معاملة الراضى بأن وفقهم للطاعات وقبلها منهم وأثابهم عليها (قوله الفائزون) أى بخيرى الدنيا والآخرة .

[سورة الحشر] وتسمى سورة النضير (قوله مدنية) أى فى قول الجميع ،روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ سورة الحشر لم يبق شىء من الجنة والنار والعرش والكرسى والسموات والأرض والهوام والريح والسحاب والطير والدواب والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة إلا صلوا عليه واستغفروا له فان مات فى يومه أو ليلته مات شهيدا» وروى الترمذى عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى و إن مات من يومه مات شهيدا ومن قرأها حين يمسى فكذلك» (قوله سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الخ) قال المفسرون نزلت فى بنى النضير وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة فى مبادى الهجرة صالحه بنو النضير على أن لا يكونوا عليه ولا معه فلما غزا بدرا وظهر على المشركين قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لاترد له راية فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد وركب كعب ابن الأشرف فى أربعين راكبا من اليهود ، فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على أن يكونوا معهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل أبوسفيان فى أربعين واجتمع مع كعب عند الكعبة وأخذ بعضهم على بعض الميثاق ، ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة ، فأخبر الله النبى بذلك وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف ، فدخل عليه محمد بن مسلمة ومعه أربعة من الأوس فقتلوه فى حصنه غيلة ، فألقى الله الرعب فى قلوب بنى النضير وكان قتله فى ربيع الأول من السنة الثالثة ، وكانت غزوة بنى النضير فى ربيع الأول من السنة الرابعة، وكانوا بقرية يقال لها زهرة على ميلين من المدينة ، فلما سار إليهم رسول الله وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف ؛ فقالوا له يامحمد ذرنا نبكى شجونا ثم ائتمر أمرك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة ، فقالوا الموت أقرب إلينا من ذلك ، ثم تنادوا بالحرب ودس المنافقون عبد الله بن أبى وأصحابه إليهم أن لايخرجوا من الحصن؛ فان قاتلوكم فنحن معكم ولانخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ثم إنهم أجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا إليه أن اخرج إلينا فى ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقى بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعون منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين من أصحابه وخرج

كما وقع لجماعة من الصحابة رضى الله عنهم (أُولَٰئِكَ) الذين لايوادّونهم (كَتَبَ) أثبت (فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ) بنور (مِّنْهُ) تعالى (وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بطاعته (وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابه (أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ) يتبعون أمره ويجتنبون نهيه (أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون .

(سورة الحشر)

مدنية، أربع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) أى نزهه فاللام مزيدة ، وفى الإتيان بما تغليب للأكثر ،

(وهو

ثلاثون حبرا حتى كانوا فى براز من الأرض . قال بعض اليهود لبعض : كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كل يحب الموت قبله ؟ ولكن أرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج فى ثلاثة من أصحابك ، يخرج إليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الله بذلك فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة ، فقذف الله فى قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين الذين عاهدوهم فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح ، فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن كل أهل بيت يحمل على بعير ما شاءوا من متاعهم ماعدا السلاح ، ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات وأريحاء إلا أهل بيتين من آل الحقيق وآل حيي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان سفيان بن عمير وسعد بن وهب فأحرزا مالهما (قوله وهو العزيز الحكيم) الجملة حال من لفظ الجلالة (قوله هو الذى أخرج الذين كفروا) بيان لبعض آثار قدرته تعالى الباهرة وعزته الظاهرة (قوله من أهل الكتاب) حال من الذين كفروا (قوله هم بنو النضير من اليهود) أى وهم من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة فى فتن بنى إسرائيل ينتظرون بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ليدخلوا فى دينه (قوله بالمدينة) أى أرضها بالقرب منها وذلك لأنهم كانوا بقرية بينها و بين المدينة ميلان (قوله لأول الحشر) متعلق بأخرج و اضافة أول للحشر من إضافة الصفة للموصوف

(وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فى ملكه وصنعه (هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) هم بنو النضير من اليهود (مِنْ دِيَارِهِمْ) مساكنهم بالمدينة (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) هو حشرهم إلى الشام، وآخره أن أجلاهم عمر فى خلافته إلى خيبر (مَا ظَنَنْتُمْ) أيها المؤمنون (أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ) خبر أن (حُصُونُهُمْ) فاعله به تم الخبر (مِنَ اللَّهِ) من عذابه (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ) أمره وعذابه (مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين (وَقَذَفَ) ألقى (فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) بسكون العين وضمها : الخوف بقتل سيدهم كعب بن الأشرف (يُخَرِّبُونَ) بالتشديد والتخفيف من أخرب (بُيُوتَهُمْ) لينقلوا مااستحسنوه منها من خشب وغيره (بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ،

أى الحشر الأول . واعلم أن الحشر أربع فالأول إجلاء بنى النضير ثم بعده إجلاء أهل خيبر ثم فى آخر الزمان تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس ثم فى يوم القيامة حشر جميع الخلق (قوله إلى خيبر) صوابه من خيبر كما صرح به غيره وذلك أن عمر أجلى اليهود من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحاء من الشام (قوله ما ظننتم أن يخرجوا) أى لما كان بهم من القوة وشدة البأس وكثرة أعوانهم من قريظة وقريش، وبكم من الضعف وقلة العدد (قوله به تم الخبر) أى بالفاعل تم خبر أن وحصله أن الضمير اسم أن ومانعتهم خبرها وحصونهم فاعله و يصح أن مانعتهم خبر مقدم وحصونهم مبتدأ مؤخر والجملة خبر أن (قوله أمره وعذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف و به اندفع ماأوهمه ظاهر الآية من أن الله تعالى يوصف بالاتيان فأفاد بأن الآية من قبيل المتشابه وأوله بتقدير مضاف نظير وجاء ربك (قوله لم يخطر ببالهم) تفسير لقوله لم يحتسبوا (قوله من جهة المؤمنين) إضافة جهة لما بعده بيانية ، والمعنى جاءهم عذاب الله من جهة لاتخطر ببالهم وهم المؤمنون لأنهم مستضعفون بالنسبة لهم فلا يخطر ببالهم أنهم يقدرون عليهم (قوله وقذف فى قلوبهم الرعب) أى أنزله فيها بشدة (قوله بسكون العين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بقتل سيدهم) أى وكان قتله فى ربيع الأول من السنة الثالثة كما تقدم (قوله يخربون بيوتهم) مستأنف أتى به للاخبار عنهم بذلك (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما سبعيتان (قوله من أخرب) راجع للتخفيف وأما التشديد فهو من خرّب (قوله من خشب) بفتحتين وضمتين وضم وسكون جمع خشبة (قوله بأيديهم) أى من داخل الحصون وقوله وأيدى المؤمنين : أى من خارجها ليدخلوها وعطفها على أيديهم من حيث إنهم سبب فى ذلك لأن بنى النضير لما نقضوا العهد كأنهم سلطوا المؤمنين على تخريب دورهم (قوله فاعتبروا يا أولى الأبصار) أى اتعظوا بحالهم ولا تغتروا ولا تعتمدوا على غير الله فالاعتبار النظر فى حقائق الأشياء ليستدل بها على شىء آخر.

(قوله ولولا أن كتب الله الخ) أن مصدرية وهى وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مبتدأ وخبره محذوف وجوبا والتقدير لولا الكتب موجود (قوله الجلاء) بالفتح والمد يطلق على الخروج من الوطن والاخراج منه وهو المراد هنا ويطلق على الأمر الجلى الواضح (قوله ولهم فى الآخرة عذاب النار) كلام مستأنف مبين لعاقبتهم كأنه قال إن نجوا فى الدنيا من القتل لم ينجوا فى الآخرة من العذاب الدائم فهو ثابت لهم على كل حال (قوله ذلك) أى المذكور من العذابين بسبب أنهم الخ (قوله ومن يشاق الله) من شرطية وقوله فان الله الخ إمانفس الجزاء وحذف منه العائد وقدقدره المفسر بقوله له أو تعليل الجزاء المحذوف أى يعاقبه وعلى كل فالشرط وجوابه تتميم لما قبله وتقرير لمضمونه وتحقيق لسببه (قوله ماقطعتم من لينة الخ) ماشرطية ومن لينة بيان لما و باذن الله خبر لمبتدإ محذوف : أى فقطعها والجملة جواب الشرط ، واللينة قيل هى النخلة مطلقا وقيل هى النخلة الكريمة ، وقيل غير ذلك . روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بنى النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها ، فخرج أعداء الله عند ذلك فقالوا يامحمد زعمت أنك تريد الصلاح أمن الصلاح قطع الشجر وقطع النخل فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد فى الأرض ، فوجد المسلمون فى أنفسهم شيئا مما قالوا وخشوا أن يكون ذلك فسادا، واختلفوا فى القطع وتركه ، فقال بعضهم لاتقطعوا فانه مما أفاء الله علينا ، وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه ، فأنزل الله هذه الآية» (قوله فباذن الله) أى رضاه (قوله أى خيركم فى ذلك) أى القطع والترك (قوله وما أفاء الله على رسوله الخ) لما بين حال بنى النضير وما وقع لذواتهم أخذ يبين ما وقع فى أموالهم (قوله رد الله على رسوله) أشار بذلك إلى أن الأموال التى كانت بأيدى بنى النضير ليست لهم بالأصالة بل هى لمن أطاع الله تعالى وتلذذهم بها إنما هو صورة تعدّ منهم وذلك لأن الله تعالى خلق الناس لعبادته وخلق لهم ما فى الأرض جميعا ليستعينوا بها على طاعته فالكفار حيث عصوا ربهم فليس لهم استحقاق فى تلك النعم (قوله فما أوجفتم الخ) خبر ما الموصولة وأفاء صلته (قوله أسرعتم الخ) أى فالايجاف إسراع الشى (قوله يامسلمين) هكذا بالياء هنا وفيما تقدم وهو سبق قلم وصوابه بالواو لأن المنادى يبنى على مايرفع به ولاشك أن جمع المذكر السالم يرفع بالواو فيبنى المنادى عليها (قوله من زائدة) أى فى المفعول (قوله ولاركاب) هى مايركب من الابل غلب ذلك عليها من بين المركوبات فالعرب يطلقون لفظ الراكب على راكب البعير والفارس على راكب الفرس (قوله أى لم تقاسوا فيه مشقة) أى لم تقطعوا إليها مسافة ولم يحصل منكم حرب وذلك لكون قريتهم قريبة لم يركبوا إليها خيلا ولا إبلا إلا النبى صلى الله عليه وسلم فانه كان راكبا جملا وقيل حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا فكان الأمر فى تلك الأموال مفوّضا له صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء (قوله ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) أى فعادته تعالى جارية بأن الرسل ليسوا كآحاد الأمة بل يسلطهم الله على من يشاء من غير أن يقتحموا المشقات ويقاسوا الشدائد فتحصل أن مال الكفار إذا حصل من غير قتال فهو فى موضع تحت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سيأتى بيانه ، ومثله المال الذى جهلت أربابه ومال من مات ولا وارث له والجزية وأعشار أهل الذمة وخراج الأرض على ماهو مبين فى الفروع ويقوم مقام رسول الله بعده الخليفة (قوله فأعطى منه المهاجرين) أى لاعلى أنه غنيمة بل بوصف الفقر ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار لأنهم كانوا قد قاسموهم فى الأموال والديار .

وَلَوْلاَ أَنْ كَتَبَ ٱللَّهُ) قضى (عَلَيْهِمُ ٱلْجَلاَءَ) الخروج من الوطن (لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا) بالقتل والسبى كما فعل بقريظة من اليهود (وَلَهُمْ فِى ٱلآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ . ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا) خالفوا (ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) له (مَاقَطَعْتُمْ) يامسلمين (مِنْ لِينَةٍ) نخلة (أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ) أى خيركم فى ذلك (وَلِيُخْزِىَ) بالإذن فى القطع (ٱلْفَاسِقِينَ) اليهود فى اعتراضهم بأن قطع الشجر المثمر فساد (وَمَا أَفَاءَ) ردّ (ٱللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ) أسرعتم يامسلمين (عَلَيْهِ مِنْ) زائدة (خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ) إبل : أى لم تقاسوا فيه مشقة (وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) فلاحق لكم فيه ويختص به النبى صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه فى الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل منهم خمس الخمس وله صلى الله عليه وسلم الباقى يفعل فيه مايشاء فأعطى منه المهاجرين وثلاثة

(قوله وثلاثة من الأنصار) أى وهم أبو دجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبى الحقيق وكان لهذا السيف ذكر وشأن عندهم (قوله ما أفاء الله على رسوله) بيان لمصرف الفئ إثر بيان رده على رسول الله وعدم عطف لواو من هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهى غير أجنبية منها (قوله كالصفراء الخ) أى وأرض قريظة والنضير وهما بالمدينة وفدك وهى على ثلاثة أميال من المدينة وقرى عرينة وينبع (قوله فلله وللرسول) اختلف فى قسم الفئ فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس للخمسة المذكورين وذكر الله للتعظيم. وفى القرطبى وقال قوم منهم الشافعى إن معنى الآيتين أى ماهنا والأنفال واحد أى ماحصل من أموال الكفار بغير قتال قسم على خمسة أسهم أربعة منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوى القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لأنهم منعوا الصدقة فجعل لهم حق فى الفئ وسهم اليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وأما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذى كان من الفئ لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف عند الشافعى فى قول إلى المجاهدين المرصدين للقتال فى الثغور لأنهم قائمون مقام الرسول عليه الصلاة والسلام وفى قول آخر له يصرف إلى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطر يقدم الأهم فالأهم، وهذا فى أربعة أخماس الفئ فأما السهم الذى كان من خمس الفئ والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته صلى الله عليه وسلم بلا خلاف كما قال عليه الصلاة والسلام «ليس لى من غنائمكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم» اه. وقالت المالكية لاخلاف فى أن الغنيمة تخمس وأما ما انجلى عنه أهله دون قتال فلا يخمس ويصرف فى مصالح المسلمين باجتهاد الامام ومثله جميع ما كان محله بيت المال وليس معنى الآيتين واحدا بل آية الأنفال فيما أوجف عليه وماهنا فيما لم يوجف عليه وقوله فلله وللرسول الخ ليس المقصود منه التخميس وإنما المقصود التعميم باجتهاد الامام فتدبر

وثلاثة من الأنصار لفقرهم (مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى) كالصفراء ووادى القرى وينبع (فَلِلَّهِ) يأمر فيه بما يشاء (وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى) صاحب (الْقُرْبَى) قرابة النبى من بنى هاشم وبنى المطلب (وَالْيَتَامَى) أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء (وَالْمَسَاكِينِ) ذوى الحاجة من المسلمين (وَابْنِ السَّبِيلِ) المنقطع فى سفره من المسلمين: أى يستحقه النبى صلى الله عليه وسلم والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس وله الباقى (كَىْ لَا) كى بمعنى اللام وأن مقدرة بعدها (يَكُونَ) الفئ علة لقسمه كذلك (دُولَةً) متداولا (بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ) أعطاكم (الرَّسُولُ) من الفئ وغيره (فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. لِلْفُقَرَاءِ)،

(قوله من بنى هاشم وبنى المطلب) هذا مذهب الشافعى وعند مالك الآل بنو هاشم فقط (قوله والمساكين) المراد بهم مايشمل الفقراء (قوله المنقطع فى سفره) أى والمحتاج ولو غنيا ببلده (قوله أى يستحقه النبى الخ) إنما لم يقل الله والنبى إشارة إلى أن ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك على التحقيق وظاهر الآية أن الفئ يخمس خمسة أخماس وأن للنبى خمسه وليس مرادا بل التخميس إنما هو للخمس لا للمال من أصله فالاشتراك المذكور إنما هو فى الخمس وتقدم أن ذلك مذهب الشافعى وأما عند مالك فلا تخميس وإنما النظر فيه للامام (قوله كى لا يكون الخ) كى ترسم هنا مفصولة من لا (قوله بمعنى اللام) أى لام التعليل والمعلل مايستفاد مما سبق أى جعل الله الفئ لمن ذكر لأجل أن لا يكون لو ترك على عادة الجاهلية دولة أى يتداوله الأغنياء كل من غلب منهم أخذه واستأثر به وذلك أن الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه ثم يصطفى بعد أخذ الربع منها ماشاء فنسخ هذا الأمر وجعله الله يصرف فى مصالح المسلمين على الوجه المتقدم (قوله وأن مقدرة بعدها) أى فالنصب بأن لا بها (قوله يكون) أى الفئ فيكون ناقصة اسمها ضمير يعود على الفئ ودولة خبرها وعلى هذه القراءة يكون بالتحتية لاغير وقرئ أيضا برفع دولة على أن كان تامة مع التحتية والفوقية من يكون فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله دولة) التداول حصول الشئ فى يد هذا تارة وهذا أخرى والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول كقصعة وقصع وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف ومعناهما واحد، وقيل الدولة بالضم فى المال وبالفتح فى الحرب (قوله وما آتاكم الرسول فخذوه الخ) أى ما أعطاكم من مال الغنيمة وما نهاكم عنه من الأخذ والغلول فانتهوا، وقيل فى تفسيرها

ما آتاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه فالآية محمولة على العموم فى جميع أوامره ونواهيه لأنه لايأمر إلا باصلاح ولاينهى إلا عن إفساد فنتج من هذه الآية أن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله وأن كل مانهى عنه النبي نهى من الله فقد جمعت أمور الدين كما هو معلوم (قوله متعلق بمحذوف الخ) أى القصد منه التعجب والمدح للمهاجرين الذين اتصفوا بتلك الصفات (قوله أى اعجبوا) أى تعجبوا من حال المهاجرين حيث تنزهوا عن الديار والأموال وتركوا ذلك ابتغاء وجه الله تعالى (قوله الذين أخرجوا من ديارهم) أى أخرجهم كفار مكة (قوله وأموالهم) عطف على ديارهم وعبر فيه بالخروج لأن المال لما كان يستر صاحبه كان كأنه ظرف له (قوله يبتغون فضلا الخ) الجملة حالية . والمعنى طالبين الرزق من الله لاعراضهم عن أملاكهم الدنيوية ومرضاة الله تعالى فى الآخرة (قوله وينصرون الله ورسوله) عطف على قوله يبتغون فهو حال أيضا لكنها مقدرة أى ناوين النصرة إذ وقت خروجهم لم تكن نصرة بالفعل (قوله أولئك هم الصادقون) أى الخالصون فى إيمانهم حيث اختاروا الاسلام وخرجوا عن الديار والأموال والعشائر حتى روى أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها ، وفى الحديث «أن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا» (قوله والذين تبوءوا الدار الخ) شروع فى الثناء على الأنصار إثر بيان الثناء على المهاجرين والموصول إما معطوف على الفقراء فيكون من عطف المفردات ، وقوله يحبون الخ حال أو مبتدأ وجملة يحبون خبره (قوله أى المدينة) أى اتخذوها منزلا باسلامهم من قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فعصموها وحفظوها بالاسلام فكأنهم استحدثوا بناءها (١٨٠) (قوله أى ألفوه) أشار بذلك إلى أن قوله والايمان معمول لمحذوف ويكون من عطف الجمل إذ لامعنى لتبوؤ الايمان وهذا أحد الوجوه الجارية فى قوله :

علفتها تبنا وماء باردا

أو ضمن تبوءوا معنى لزموا . والمعنى لزموا الدار والايمان أو شبه تمكنهم فى الايمان باتخاذه منزلا ففيه جمع بين الحقيقة والمجاز (قوله ولا يجدون فى صدورهم) أى نفوسهم (قوله حسدا) أى (ومن

متعلق بمحذوف : أى اعجبوا (الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) فى إيمانهم (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ) أى المدينة (وَالْإِيمَانَ) أى ألفوه ، وهم الأنصار (مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً) حسدا (مِمَّا أُوتُوا) أى آتى النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين من أموال بنى النضير المختصة به (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) حاجة إلى ما يؤثرون به ،

ولاغيظا ولاحزازة فالمراد بالحاجة هذه المعانى. روى «أن المهاجرين كانوا فى دور الأنصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من إنزالهم إياهم منازلهم وإشراكهم إياهم فى الأموال ثم قال صلى الله عليه وسلم : إن أحببتم قسمت ما أفاء الله علىّ من بنى النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ماهم عليه من السكنى فى مساكنكم وأموالكم وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دياركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا الثلاثة المتقدم ذكرهم (قوله أى آتى النبي) بيان للفاعل المحذوف وقوله المهاجرين بيان للمفعول القائم مقام الفاعل وقوله من أموال بنى النضير بيان لما (قوله ويؤثرون على أنفسهم) أى فى كل شىء من أسباب المعاش حتى إن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن إحداهما ويزوجها واحدا من المهاجرين والايثار تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فى الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وغاية المحبة والصبر على المشقة (قوله ولو كان بهم خصاصة) أى يقدمون غيرهم فى الأموال مع احتياجهم إليها وهذا الوصف لايخص الأنصار فقد روى عن ابن عمر أنه قال «أهدى لرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال إن أخى فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعثه إليهم فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات ثم عادت إلى الأول فنزلت هذه الآية». وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها فى صرة ثم قال للغلام اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح ثم تمكث عنده فى البيت حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام إليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجاتك فقال وصله الله

ورحمه، ثم قال تعالى ياجارية اذهبى بهذه السبعة إلى فلان و بهذه الخمسة إلى فلان حتى فقدها فرجع الغلام إلى عمر فأخبره ووجده قد ربط مثلها لمعاذ بن جبل فقال اذهب بها إليه وامكث فى البيت ساعة حتى تنظر مايصنع فذهب بها إليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجاتك ، فقال رحمه الله ووصله وقال ياجارية اذهبى إلى بيت فلان بكذا و إلى بيت فلان بكذا فجاءت امرأة معاذ وقالت نحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق فى الخرقة إلا ديناران فرمى بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك وقال إنهم إخوة بعضهم من بعض ونحوه عن عائشة وغيرها (قوله ومن يوق شح نفسه) من شرطية و يوق فعل الشرط وقوله فأولئك الخ جزؤه وهو كلام عام قصد به التنبيه على ذم الشح وفى قوله يوق إشارة إلى أن الشح أمر غريزى فى الانسان لا ينجو منه الشخص إلا بمعونة الله تعالى مع مجاهدة النفس ومكابدتها (قوله حرصها على المال) فيه إشارة إلى الفرق بين البخل والشح ، فالبخل منع الأموال ، والشح صفة راسخة يصعب معها على الرجل تأتى المعروف وتعاطى مكارم الأخلاق . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايجتمع الشح والايمان فى قلب عبد أبدا » وقال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له . وقال بعضهم: من لم يأخذ شيئا نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئا أمره الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (قوله والذين جاءوا) إما معطوف على الفقراء وقوله يقولون حال أو مبتدأ وجملة يقولون خبره (قوله من بعد المهاجرين والأنصار)

أى من بعد هجرة المهاجرين وإيمان الأنصار (قوله إلى يوم القيامة) أى فالبعدية تشمل التابعين وأتباعهم إلى آخر الزمان (قوله الذين سبقونا بالايمان) أى بالموت عليه فينبغى لكل واحد من القائلين لهذا القول أن يقصد بمن سبقه من انتقل قبله من زمنه إلى عصر النبى صلى الله عليه وسلم فيدخل جميع من

(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) حرصها على المال (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ) من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة (يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا) حقدا (لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) وهم بنو النضير وإخوانهم فى الكفر (لَئِنْ) لام قسم فى الأربعة مواضع (أُخْرِجْتُمْ) من المدينة (لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ) فى خذلانكم (أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ) حذفت منه اللام الموطئة (لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ) أى جاءوا لنصرهم (لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ) ،

تقدمه من المسلمين لاخصوص المهاجرين والأنصار (قوله حقدا) هو الانطواء على العداوة والبغضاء (قوله رءوف) بقصر الهمزة ومدها بحيث يتولد منها واو قراءتان سبعيتان (قوله ألم تر إلى الذين نافقوا الخ) لما ذكر الثناء على المهاجرين والأنصار وأتباعهم أتبعه بذكر أحوال المنافقين الذين نافقوا مع بنى النضير وهم عبد الله بن أبى وأصحابه والخطاب إما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه الخطاب (قوله لاخوانهم) اللام للتبليغ والمعنى مبلغين إخوانهم (قوله لام قسم) أى موطئة لقسم محذوف أى والله (قوله فى الأربعة مواضع) أى لئن أخرجتم لئن أخرجوا ولئن قوتلوا ولئن نصروهم بل فى الخمسة هذه الأربعة وقوله و إن قوتلتم لأن اللام مقدرة معه (قوله أخرجتم من المدينة) أى أخرجكم النبى وأصحابه (قوله ولا نطيع فيكم) عطف على قوله لئن أخرجتم وكذا قوله و إن قوتلتم فقولهم ثلاث جمل والقسم الواقع منهم اثنان ثم كذبهم الله إجمالا وتفصيلا بعد (قوله فى خذلانكم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أحدا) أى من النبى والمؤمنين وقوله أبدا ظرف للنفى (قوله حذفت منه اللام) أى وحذفها قليل فى لسان العرب والكثير إثباتها (قوله لكاذبون) أى فيما قالوه (قوله لئن أخرجوا) تفصيل لكذبهم وهو تكذيب لقولهم لئن أخرجتم وقوله ولئن قوتلوا الخ تكذيب لقولهم و إن قوتلتم الخ وقوله ولئن نصروهم من تمام تكذيبهم فى المقالة الثالثة (قوله جاءوا لنصرهم) جواب عما يقال إن قوله ولئن نصروهم مناف لقوله لاينصرونهم فأجاب بأن المعنى خرجوا لقصد نصرهم وحينئذ فلا يلزم منه نصرهم بالفعل . وأجيب أيضا بأن قوله ولئن نصروهم أى على سبيل الفرض والتقدير

(قوله واستغنى بجواب القسم الخ) أى للقاعدة المعروفة فى قول ابن مالك :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخـرت فهو ملتزم

(قوله أى اليهود) هذا أحد أقوال فى مرجع الضمير ، وقيل عائد على المنافقين،وقيل عائد على مجموع اليهود والمنافقين وهو الأقرب (قوله لأنتم أشد رهبة الخ) أى خوفهم منكم فى السر أشد من خوفهم من الله الذى يظهرونه لكم وهذه الجملة كالتعليل لقوله ليولن الأدبار كأنه قال إنهم لايقدرون على مقابلتكم لأنكم أشد رهبة (قوله ذلك) أى ماذكر من كون خوفهم من المخلوق أشد من خوفهم من الخالق (قوله مجتمعين) أشار بذلك إلى أن جميعا حال (قوله وفى قراءة جدر) أى وهى سبعية أيضا غير أن من قرأ جدار بالألف يلتزم إما الامالة فى جدار وإما الصلة فى بينهم بحيث يتولد منها واو فمن قرأ جدار بدون أحد هذين الوجهين فقد قرأ بقراءة لم يقرأ بها أحد (قوله بأسهم بينهم شديد) راجع لقوله ـ لا يقاتلونكم جميعا ـ الخ أى فعجزهم عن قتالكم ليس لضعف فيهم بل هم فى غاية القوة من العدد والعدة ، وإنما يضعفون فى حربكم للرعب الذى فى قلوبهم منكم (قوله متفرقة) أى لعظم الخوف فقلوبهم لاتوافق الأجسام بل فيها حيرة ودهشة (قوله خلاف الحسبان) حال : أى خلاف ظنكم فيهم بمقتضى جمعية الصور (قوله ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) إنما خص الأول بلايفقهون والثانى بلا يعقلون لأن الأول متصل بقوله لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله وهو دليل على جهلهم بالله فناسبه عدم الفقه والثانى متصل بقوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وهو دليل على عدم عقلهم إذ لوعقلوا لماتشتت قلوبهم وتحيرت وامتلأت رعبا (قوله كمثل الذين من قبلهم) خبر مبتدإ محذوف قدره بقوله مثلهم : أى صفة بنى النضير العجيبة التى تقع لهم من الاجلاء والذل كصفة أهل مكة فيما وقع لهم يوم بدر من الهزيمة والأسر والقتل أى فكل حصل له خزى الدنيا وعذاب الآخرة (قوله بزمن قريب) أى بين وقعة بدر ووقعة بنى النضير وهو سنة ونصف لما تقدم أن غزوة بنى النضير كانت فى ربيع الأول من السنة الرابعة وغزوة بدر كانت فى رمضان من الثانية (قوله مثلهم أيضا) أى صفة بنى النضير وقوله فى سماعهم بيان للمثل وقوله وتخلفهم: أى تخلف المنافقين عنهم وقوله كمثل الشيطان المراد به حقيقته لاشيطان الانس وقوله إذ قال للانسان اكفر بيان لمثل الشيطان ، وبالجملة فقد ضرب الله لهم مثلين الأول بكفار مكة الذين اغتروا بعددهم وعددهم وحضروا بدرا فكانت الدائرة عليهم ، والثانى من حيث اغترارهم بكلام المنافقين لهم ومخالفتهم لهم باغراء الشيطان لانسان معين على الكفر حتى أوقعه فيه ومات عليه ثم تبرأ منه (قوله إذ قال للانسان) المراد به برصيصا العابد لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الانسان الذى قال له الشيطان راهب نزلت عنده امرأة أصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان ووطئها فحملت ثم قتلها خوفا من أن يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاءوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده إن سجد له أن ينجيه منه فسجد له فتبرأ منه» ، وقصته مبسوطة فى الشبرخيتى على الأربعين فى شرح الحديث الرابع فانظرها إن شئت (قوله كذبا منه ورياء) أى قوله هذا كذب منه ورياء لأنه لايخاف الله أبدا .

واستغنى بجواب القسم المقدر عن جواب الشرط فى المواضع الخمسة (ثُمَّ لَايُنْصَرُونَ) أى اليهود (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً) خوفا (فِي صُدُورِهِمْ) أى المنافقين (مِنَ ٱللهِ)لتأخير عذابه (ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَايَفْقَهُونَ. لَايُقَاتِلُونَكُمْ) أى اليهود (جَمِيعاً) مجتمعين (إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ) سور ، وفى قراءة جدر (بَأْسُهُمْ) حربهم (بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً) مجتمعين (وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) متفرقة خلاف الحسبان (ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَايَعْقِلُونَ) مثلهم فى ترك الإيمان (كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً) بزمن قريب ، وهم أهل بدر من المشركين (ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) عقوبته فى الدنيا من القتل وغيره (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم فى الآخرة ، مثلهم أيضا فى سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم (كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ) كذبا منه ورياء (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا) ،

(قوله أى الغاوى) اسم فاعل من غوى يغوى كرمى يرمى ، والمراد به الإنسان الذى غرّه الشيطان (قوله والمغوى) اسم فاعل أيضا من أغواه يغويه وهو الشيطان (قوله وقرئ بالرفع) أى شاذا (قوله ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله الخ) لما ذكر صفات كل من المنافقين واليهود وما آل إليه أمرهم وعظ المؤمنين بموعظة حسنة تحذيرا من أن يكونوا مثل من تقدم ذكرهم وذلك أوقع فى النفس (قوله ولتنظر نفس) اللام لام الأمر ، والحكمة فى التنكير الاشارة إلى أن الأنفس الناظرة لمعادها المعتبرة بغيرها قليلة جدا عديمة المثيل (قوله ماقدمت لغد) مااسم موصول وقدمت صلته ، والمعنى ولتبحث وتحصل نفس العمل الذى قدمته لغد وذلك لأن جميع ماتعمله فى الدنيا ترى جزاءه فى القيامة فليختر العاقل أى الجزاءين لما ورد فى الحديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » (قوله ليوم القيامة) سمى غدا لقرب مجيئه ، قال تعالى : وما أمر الساعة إلا كلمح البصر ، فكأنه لقربه شبيه بما ليس بينه و بينه إلا ليلة واحدة والتنكير فى غد للتعظيم والإبهام كأنه قيل لغد لاتعرف النفس كنه عظمته وهوله (قوله واتقوا الله) كرره للتأكيد أو الأول إشارة للأمر بأصل التقوى والثانى للأمر بالدوام عليها (قوله إن الله خبير بما تعملون) الخبير المطلع على خفيات الأشياء القادر على الاخبار بما عجزت عنه المخلوقات وقوله : بما تعملون أى من خير وشر (قوله تركوا طاعته) أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك وليس المراد به عدم الحفظ والذكر (قوله أن يقدموا لها خيرا) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير فأنساهم تقديم خير لأنفسهم فثمرة نسيانهم الله نسيان أنفسهم أى بترك حقوق الله خسرانهم وهو نظير قوله تعالى : وإن أسأتم فلها ، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ، ومن كفر فعليه كفره لأنه المستغنى عن كل ماسواه (قوله لايستوى أصحاب النار) أى الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود فى النار (قوله وأصحاب الجنة) أى الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة (قوله أصحاب الجنة هم الفائزون) هذا كالتذييل لقوله : ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله الخ وذلك لأن الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتقوى والنظر فى العواقب والعمل النافع ، ونهاهم عن الغفلة والتشبه بمن نسى طاعة الله ذيله بمايرغبهم فى طاعة الله ويقربهم إليه زلفى (قوله وجعل فيه تمييز كالانسان) المقصود من هذا الكلام التنبيه على قساوة قلوب الكفار وغلظ طبائعهم وفيه رمز لمن قل خشوعه عند تلاوة القرآن وأعرض عن تدبيره ولم يأتمر بأوامره ولم ينته بنواهيه فالواجب التدبر فى القرآن والخشوع عند قراءته فإنه لاعذر فى ترك ذلك إذ لوخوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرأيتها خاشعة مشفقة من خشية الله (قوله المذكورة) أى فى هذه السورة أو فى سائر القرآن (قوله هو الله الذى الخ) لما وصف الله تعالى كلامه بالعظم ومن المعلوم أن عظم الصفة تابع لعظم الموصوف أتبع ذلك بوصف عظمه تعالى فقال هو أى الذات المتصفة بالكمالات أزلا وأبدا الواجبة الوجود وقوله الله خبر عن هو وقوله بعد ذلك : الذى لاإله إلاهو إما خبر ثان أوصفة للفظ الجلالة وذكر لفظ الجلالة بعد الهوية لأن الهوية هى الذات والجلالة اسم الذات ومظهرها (قوله الملك) أى المتصرف فى خلقه بالايجاد والاعدام (قوله القدوس) أى المنزه عن صفات الحوادث وأتى به عقب الملك لدفع توهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله السلام) أى الذى يسلم على عباده المؤمنين فى الجنة وعلى الأنبياء فى الدنيا أو السالم من كل نقص أو المؤمن من المخاوف والمهالك .

أى الغاوى والمغوى ، وقرىء بالرفع اسم كان (أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) الكافرين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) ليوم القيامة (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ) تركوا طاعته (فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ) أن يقدموا لها خيرا (أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ . لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ) وجعل فيه تمييز كالإنسان (لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا) متشققا (مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ) المذكورة (نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) فيؤمنون (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) السر والعلانية (هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ) الطاهر عما لا يليق به (السَّلَامُ) ذو السلامة من النقائص (الْمُؤْمِنُ) ،

(قوله الصدق رسله بخلق المعجزة لهم) أي أولياءه بالكرامات وعباده المؤمنين على إيمانهم و إخلاصهم لأنه لا يطلع على الاخلاص إلا هو (قوله أي الشهيد على عباده) وقيل معناه المطلع على خطرات القلوب (قوله القوىّ) أي فهو من عزّ بمعنى غلب وقهر فيكون من صفات الجلال و يصح أن يكون من عزّ بمعنى قلّ فلم يوجد له نظير فهو من صفات السلوب (قوله جبر خلقه على ما أراد) أي من إسلام وكفر وطاعة ومعصية فاذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز فهو من صفات الجلال و يصح أنه مأخوذ من الجبر بمعنى الاصلاح كقولهم جبر الطبيب الكسر أي أصلحه فيكون من صفات الجمال (قوله المتكبر) من الكبرياء وهي التعالي في العظمة وهي مختصة به تعالى لما في الحديث القدسي « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدة منهما قصمته ثم قذفته في النار » (قوله عما لا يليق به) أي من صفات الحوادث (قوله سبحان الله عما يشركون) أتى بالتسبيح عقب قوله المتكبر إشارة إلى أن هذا الوصف مختص به و ينزه سبحانه عن مشاركة الغير له (قوله هو الله) كرر الهوية لأنها حقيقة الذات المتصفة بالكمالات لما يذكر بعدها من الصفات فهو كشف لها (قوله الخالق) أي الموجد المخلوقات من العدم (قوله المنشئ) أي المبدع للأعيان المبرز لها (قوله المصوّر) أي المبدع للأشكال على حسب إرادته فأعطى كل شيء من المخلوقات صورة خاصة وهيئة منفردة

يتميز بها على اختلافها وكثرتها (قوله مؤنث الأحسن) أي التي هو أفعل تفضيل لا مؤنث أحسن المقابل لامرأة حسناء، ووصفت بالحسنى لأنها تدل على معان حسنة من تحميد وتقديس وغير ذلك، ووصف الجمع الذي لا يعقل بما توصف به الواحدة وهو فصيح ولو جاء على المطابقة لقال الحسن بوزن أخر و يصح أن يراد من الحسنى المصدر و يقال فيه ما قيل في زيد عدل ووصف الجمع به ظاهر لأنه لا يثنى ولا يجمع (قوله يسبح له ما في السموات والأرض الخ) ختمها بالتسبيح كما ابتدأها به إشارة إلى أنه المقصود الاعظم والمبدأ والنهاية وأن غاية المعرفة بالله سبحانه وتعالى تنزيهه عما صورته العقول .

الصدق رسله بخلق المعجزة لهم (الْمُهَيْمِنُ) من هيمن يهيمن إذا كان رقيباً على الشيء أي الشهيد على عباده بأعمالهم (الْعَزِيزُ) القوى (الْجَبَّارُ) جبر خلقه على ما أراد (الْمُتَكَبِّرُ) عما لا يليق به (سُبْحَانَ اللهِ) نزه نفسه (عَمَّا يُشْرِكُونَ) به (هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ) المنشئ من العدم (الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث، والحسنى مؤنث الأحسن (يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) تقدم أولها .

(سورة الممتحنة)

مدنية، ثلاث عشرة آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ) أي كفار مكة (أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ) توصلون (إِلَيْهِمْ) قصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم غزوهم الذي أسرّه إليكم وورّى بحنين، (بالمودّة)

[سورة الممتحنة] بكسر الحاء وفتحها لأنه نزل فيها أمر المؤمنين بامتحان المرأة التي هاجرت فالكسر من حيث أمر المؤمنين بالامتحان والفتح من حيث المرأة وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط امرأة عبد الرحمن بن عوف والدة إبراهيم بن عبد الرحمن (قوله مدنية) أي بإجماع (قوله عدوّي وعدوكم) أضاف العدوّ لنفسه تعالى تشريفا للمؤمنين أي أن عدوّكم بمنزلة عدوي أنتقم منه و إلا فالعدو بمعنى الموصل للضرّ على الله محال كما أن الحبيب الموصل للنفع على الله محال (قوله أي كفار مكة) تفسير للعدوّ والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فحكم الآية باق مع سائر الكفار إلى يوم القيامة (قوله تلقون إليهم) هذه الجملة إما مفسرة لموالاتهم إياهم أو استئنافية فلا محل لها من الاعراب على هذين أو حال من فاعل تتخذوا أو صفة لأولياء (قوله قصد النبيّ الخ) أشار بذلك إلى أن مفعول تلقون محذوف والباء في قوله بالمودّة سببية (قوله وورّى بحنين) أي بغزوة حنين، والمعنى أظهر لعامة الناس أنه يريد غزوة حنين على عادته من أنه كان إذا خرج لغزوة يورّى بغيرها كان يسأل عن طريق غيرها سترا عن المنافقين لئلا يرسلوا إلى الكفار فيتنبهوا فيفوت تدبير الحرب، والتورية مأخوذة من وراء الانسان كأنه يجعل ما أراده خلفه ووراءه،

وفى بعض النسخ : وورّى بخيبر وهو تحريف لأن غزوة خيبر كانت فى المحرم سنة سبع وفتح مكة كان فى رمضان من السنة الثامنة وحنين كانت بعد الفتح فى شوّال من سنة الفتح فورّى بها على عادته فى غزواته والسورة نزلت فى غزوة الفتح (قوله كتب حاطب بن أبى بلتعة الخ) أى وكان ممن هاجر مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الأصل من اليمن وكان فى مكة حليف بنى أسد بن عبد العزى رهط الزبير بن العوام ، وهذا بيان لسبب نزول قوله : يأيها الذين آمنوا الآيتين . روى عن علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال ائتوا روضة خاخ بالصرف وتركه موضع بينه و بين المدينة اثنا عشر ميلا فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تهادى خيلنا : أى تسرعها فاذا نحن بامرأة فقلنا أخرجى الكتاب فقالت مامعى كتاب فقلنا لتخرجنّ الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياحاطب ماهذا ؟ فقال لاتعجل علىّ يارسول الله إنى كنت امرأ ملصقا فى قريش قال سفيان كان حليفا لهم ولم يكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولارضا بالكفر بعد الاسلام وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وأن كتابى لايغنى عنهم شيئا وأنّ الله ناصرك عليهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدق فقال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه شهد بدرا ومايدريك لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عزّوجل : يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوّى وعدوكم أولياء ، قيل اسم المرأة سارة

من موالى قريش ، روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم فتح مكة إلا أربعة هى إحداهم ، وقيل إنها عاشت إلى خلافة عمر وأسلمت وحسن إسلامها وكان

(بِالْمَوَدَّةِ) بينكم و بينهم ، كتب حاطب بن أبى بلتعة إليهم كتاباً بذلك لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين، فاستردّه النبى صلى الله عليه وسلم ممن أرسله معه بإعلام الله تعالى له بذلك وقَبِلَ عذر حاطب فيه (وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ) أى دين الإسلام والقرآن (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ) من مكة بتضييقهم عليكم (أَنْ تُؤْمِنُوا) أى لأجل أن آمنتم (بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا) ،

فى الكتاب : أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو لم يسر إليكم إلا وحده لأظفره الله بكم ولايخذله موعده فيكم فان الله وليه وناصره ، وروى أن سارة المذكورة حين قدمت المدينة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهاجرة جئت ياسارة ؟ فقالت لا فقال أمسلمة جئت ؟ قالت لا قال فما جاء بك ؟ قال كنتم الأهل والموالى والأصل والعشيرة وقد ذهب بعض الموالى ، يعنى قتلوا يوم بدر ، وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى فقال عليه الصلاة والسلام فأين أنت من شباب أهل مكة وكانت مغنية قالت ماطلب منى شئ بعد وقعة بدر ، فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب على إعطائها فكسوها وحملوها وأعطوها ، فخرجت إلى مكة وأتاها حاطب فقال أعطيك عشرة دنانير و بردا على أن تلقى هذا الكتاب إلى أهل مكة ، وكتب فيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة سائرة إلى مكة ونزل جبريل فأخبر النبىّ صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث لها عليا إلى آخر ماتقدم (قوله فاستردّه النبىّ) أى طلب ردّه بارسال علىّ ومن معه (قوله ممن أرسله) أى وهى سارة والضمير المستتر فى أرسل عائد على حاطب والبارز عائد على الكتاب (قوله بإعلام الله له) متعلق باسترده والباء سببية (قوله وقبل عذر حاطب) أى لأنه مؤمن بدرى يشهد الله له بالايمان حيث قال : يأيها الذين آمنوا الخ (قوله يخرجون الرسول) إما مستأنف أوتفسير لكفرهم أوحال من فاعل كفروا (قوله و إياكم) عطف على الرسول وقدم عليهم لأنه المقصود فلذلك عدل عن اتصال الضمير إلى انفصاله لأنه لوقال يخرجونكم والرسول لفات هذا المعنى (قوله أى لأجل أن آمنتم الخ) أشار بذلك إلى أنّ أن تؤمنوا فى محل نصب مفعول له ، والمعنى يخرجونكم من أجل إيمانكم بالله (قوله إن كنتم خرجتم) أى من مكة .

للجهاد (فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِى) وجواب الشرط دل عليه ماقبله : أى فلا تتخذوهم أولياء (تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ) أى إسرار خبر النبي إليهم (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ) أخطأ طريق الهدى والسواء فى الأصل الوسط (إِنْ يَثْقَفُوكُمْ) يظفروا بكم(يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ)بالقتل والضرب (وَأَلْسِنَتَهُمْ بِٱلسُّوءِ) بالسب والشتم (وَوَدُّوا) تمنوا (لَوْ تَكْفُرُونَ. لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ) قراباتكم (وَلَا أَوْلَادُكُمْ) المشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبر من العذاب فى الآخرة (يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يُفْصَلُ) بالبناء للمفعول والفاعل (بَيْنَكُمْ) و بينهم فتكونون فى الجنة وهم فى جملة الكفار فى النار (وَٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ) بكسر الهمزة وضمها فى الموضعين : قدوة (حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ) أى به قولا وفعلا (وَٱلَّذِينَ مَعَهُ) من المؤمنين (إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ) جمع برىء كظريف (مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ) أنكرناكم (وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَاءُ أَبَدًا)بتحقيق الهمزتين و إبدال الثانية واوا(حَتَّى تُؤْمِنُوا بِٱللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) مستثنى من أسوة:أى فليس لكم التأسى به فى ذلك بأن تستغفروا للكفار وقوله

(قوله للجهاد) أشار به إلى أن جهادا وما بعده منصوب على المفعول له (قوله تسرون إليهم) بدل من تلقون بدل بعض من كل أو مستأنف ومفعول تسرون محذوف قدره بقوله إسرار خبر النبي والباء فى بالمودّة للسببية نظير ماتقدّم (قوله وأنا أعلم) الجملة حالية من فاعل تلقون وتسرون (قوله طريق الهدى) أشار بذلك إلى أن سواء السبيل مفعول ضل (قوله إن يثقفوكم الخ) كلام مستأنف مبين لوجه العداوة (قوله يكونوا لكم أعداء) أى يظهروا العداوة لكم (قوله وودّوا لو تكفرون) عطف على جملة الشرط والجزاء فقد أخبر عنهم بخبرين عداوتهم ومودّتهم كفر المؤمنين (قوله لن تنفعكم أرحامكم) هذا تخطئة لحاطب فى رأيه كأنه قال : لاتحملكم قراباتكم وأولادكم الذين بمكة على خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل أخبارهم وموالاة أعدائهم فانه لاتنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتم الله لأجلهم (قوله من العذاب) متعلق بقوله لن تنفعكم (قوله يوم القيامة) إما متعلق بما قبله فيوقف عليه و يبتدأ بيفصل بينكم أو متعلق بما بعده فيوقف على أولادكم و يبتدأ بيوم القيامة (قوله بالبناء للمفعول) أى مع التخفيف والتشديد وقوله والفاعل أى معهما أيضا فالقراآت أربع سبعيات (قوله و بينهم) أى الأرحام والأولاد (قوله فتكونون فى الجنة) أى فلا ينبغى موالاة الكفار لأنه لا اجتماع بينكم و بينهم فى الآخرة (قوله قد كانت لكم أسوة حسنة) لما بين سبحانه وتعالى حال من جعل الكفار أولياء فى أول السورة ذكر هنا قصة إبراهيم وقومه وأن طريقته التبرى من أهل الكفر وألزم أمة محمد بالاقتداء به فى ذلك وفيه توبيخ لحاطب ومن والى الكفار (قوله بكسر الهمزة وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان وقوله فى الموضعين أى هذا وقوله الآتى لقد كان لكم فيهم أسوة ومعناها عليهما الاتباع والاقتداء كما قال المفسر (قوله فى إبراهيم) (وما جار ومجرور متعلق بأسوة وردّ بأنه لايجوز عمل المصدر الموصوف. وأجيب بأنه يتوسع فى الظروف مالايتوسع فى غيرها و يصح أنه متعلق بحسنة تعلق الظرف بالعامل ويصح أنه نعت ثان لأسوة و إنما خص التأسى بإبراهيم لأنه صبر على أذى عدوّ الله النمروذ ولم يكن معه أحد يعينه عليه مع تفرده بملك الأرض مشرقا ومغربا (قوله قولا وفعلا) تمييز مبين لجهة الاقتداء أى اقتدوا به فى القول والفعل فانه لم يبال بالكفار ولا بشدّتهم وضعفه (قوله والذين معه من المؤمنين) يحتمل أن المراد بالمعية وهو فى أرض بابل وحينئذ لم يكن معه إلا لوط ولد أخيه وسارة زوجته أو المراد بعد مجيئه إلى الشام وحينما كثر المؤمنون به (قوله إذ قالوا) هذا بدل اشتمال من إبراهيم والذين معه والمراد بقومهم النمروذ وجماعته أى فبارزوهم بالعداوة ولم يبالوا بهم مع شدّة بأسهم وضعف المؤمنين (قوله إنا برآء منكم) أى من دينكم وآلهتكم (قوله و بدا) أى ظهر بيننا و بينكم العداوة على ممرّ الأزمان بدليل ذكر الأبد والعداوة المباينة ظاهرا والبغضاء المباينة بالقلوب وفى الحقيقة هما متلازمان (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مستثنى من أسوة حسنة) أى وساغ ذلك لأن القول من جملة الأسوة فكأنه قيل لكم فيه أسوة فى أفعاله وأقواله إلا قوله كذا (قوله أى فليس لكم التأسى به) أى لأن استغفاره له لرجائه إسلامه فلما ظهر أنه عدوّ لله تبرأ منه

(قوله وما أملك لك من الله من شىء) هذه الآية باعتبار معناها الوضعى تكون من جملة مايقتدى به فيه لأن محصله أنه لايملك له ثوابا ولاعقابا على حد : ليس لك من الأمر شىء وهذا ثابت لابراهيم وغيره وليس مرادا هنا بل المراد معناها الكنائى وهو أنه لايملك له غير الاستغفار فهو غير مقتدى به فيه وحينئذ فقوله وما أملك معطوف على لأستغفرنّ لك وأشار المفسر لذلك بقوله كنى به الخ (قوله فهو مبنىّ عليه) أى معطوف على لأستغفرنّ ومرتبط به ساقه اعتذارا (قوله مستثنى من حيث المراد منه) أى وهو المعنى الكنائى (قوله وإن كان من حيث الخ) مبالغة على أنه ليس مرادا وإن كان معناه الوضعى (قوله قل فمن يملك) هذا دليل للمعنى الوضعى غير المراد (قوله واستغفاره) هذا بيان لعذر إبراهيم فى استغفاره لأبيه وذلك أنه لم يستغفر له إلا لرجاء إيمانه ولما مات على الكفر رجع عن ذلك كما قال تعالى ـ وما كان استغفار إبراهيم ـ الخ ـ والحاصل أن إبراهيم وعد أباه بالاستغفار فى سورة مريم بقوله ـ سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا ـ واستغفر له بالقول فى سورة الشعراء فى قوله تعالى ـ واغفر لأبى ـ ثم رجع عن ذلك كما بينه الله فى سورة براءة (قوله من مقول الخليل الخ) أى الذى يقتدى به فهو فى المعنى مقدم على جملة الاستثناء (قوله أى قالوا)

أى فهو مقول للقول السابق

(وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ) أى من عذابه وثوابه (مِنْ شَىْءٍ) كنى به عن أنه لايملك له غير الاستغفار فهو مبنى عليه مستثنى من حيث المراد منه وإن كان من حيث ظاهره مما يتأسى فيه ، قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ، واستغفاره له قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر فى براءة (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) من مقول الخليل ومن معه: أى قالوا (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) أى لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا : أى تذهب عقولهم بنا (وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فى ملكك وصنعك (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ) يا أمة محمد جواب قسم مقدر (فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ) بدل اشتمال من كم بإعادة الجار (يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) أى يخافهما أو يظن الثواب والعقاب (وَمَنْ يَتَوَلَّ) بأن يوالى الكفار (فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِىُّ) عن خلقه (الْحَمِيدُ) لأهل طاعته (عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ) من كفار مكة طاعة لله تعالى (مَوَدَّةً) بأن يهديهم للإيمان فيصيروا لكم أولياء (وَاللهُ قَدِيرٌ) على ذلك ، وقد فعله بعد فتح مكة (وَاللهُ غَفُورٌ) لهم ماسلف (رَحِيمٌ) بهم (لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ) من الكفار ،

فى قالوا إنا برآء منكم أى قالوا ذلك وقالوا ربنا الخ) ويصح أن يكون أمرا من الله للمؤمنين تتميما لما أمرهم به من ترك موالاة الكفار أى أظهروا لهم العداوة ولا يهولنكم أمرهم وقولوا ربنا الخ ، ومعنى توكلنا فوضنا أمرنا وقوله وإليك أنبنا أى رجعنا بالتوبة عن كل ماتكره منا وقوله وإليك المصير المرجع فى الآخرة (قوله أى لا تظهرهم) أى لاتجعلهم غالبين علينا وقوله فيظنوا أنهم على الحق يعنى إن ظفروا بنا وقوله فيفتتنوا أى يزدادوا كفرا ويدوموا عليه لأن الاستدراج يوجب زيادة الكفر (قوله واغفر لنا) أى ما مضى من الذنوب (قوله لقد كان لكم فيهم) هذه الجملة تأكيد لقوله سابقا قد كانت لكم أسوة الخ أتى بها للمبالغة فى التحريض على الاتباع لابراهيم وأمته (قوله أو يظن الثواب والعقاب) تفسيران لمعنى الرجاء والمراد بظن الثواب الخ الايقان بذلك (قول ومن يتولّ) أى يعرض عن الاقتداء بابراهيم وجواب الشرط محذوف تقديره فوباله على نفسه وقوله فان الله الخ تعليل للجواب (قوله عسى الله الخ) هذا تسلية للمؤمنين فى عدم موالاة الكفار الذين أمروا به فى أول السورة فشدّد المسلمون على أنفسهم فى هجر الكفار فوعد الله المسلمين باسلام أقاربهم الكفار فيوالونهم موالاة جائزة مطلوبة ويجمع الله الشمل بعد التفرق (قوله منهم) أى من الكفار فهو حال من الذين أى حال كون الذين عاديتموهم من جملة الكفار وقوله طاعة لله مفعول لأجله أى حصلت المعاداة لأجل طاعة الله (قوله والله قدير) أى فلا يستبعد عليه ذلك الجعل المذكور (قوله وقد فعله) أى بأن أسلم غالب كفار مكة فصاروا أحبابا وإخوانا (قوله والله غفور لهم) أى للذين عاديتموهم بأن محا عنهم ما سلف بسبب الإيمان (قوله لاينهاكم) نزلت هذه الآية لتخصيص الحكم النازل أول السورة لأن الآية الأولى عامة فى سائر الكفار مطلقا ولو كانوا مصالحين ثم بين هنا أن من كان من الكفار بينهم وبين المسلمين صلح ومهادنة تجوز مودتهم ،

ولم يكن النهى شاملا لهم كخزاعة و بنى الحرث وعلى هذا تكون الآية محكمة فيجوز الآن للمسلمين موادة الكفار الذين تحت الذمة والصلح ، وقيل إن المراد بقوله لم يقاتلوكم : أى لم يبتدئوكم بالقتال ولولم يكن بينكم و بينهم صلح وهذا كان فى أول الأمر بالجهاد ثم نسخ بالأمر بالقتال عموما بقوله تعالى ــ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ــ (قوله فى الدين) أى لأجل دينكم (قوله بدل اشتمال) أى فالمعنى لاينهاكم الله عن أن تبروهم والبرّ هو الإحسان (قوله تفضوا) إنما فسر تقسطوا بمعنى تفضوا ليصح تعديته بإلى (قوله أى بالعدل) هذا لايخص هؤلاء فقط بل العدل واجب مع كل أحد ولو قاتل فالأولى تفسيره بالاعطاء : أى تعطوهم قسطا من أموالكم فعطف القسط على البرّ من عطف الخاص على العام (قوله وهذا قبل الأمر بجهادهم) يشير بذلك إلى أن الآية منسوخة وقد علمت مافيه (قوله العادلين) أى على تفسير القسط بالعدل وعلى تفسير القسط بالاعطاء فالمراد بالمقسطين المحسنون (قوله وأخرجوكم من دياركم) أى وهم أهل مكة (قوله بدل اشتمال) أى إنما ينهاكم الله عن أن تولوهم (قوله الظالمون) فيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها (قوله يا أيها الذين آمنوا) لما أمر الله المسلمين بهجر الكفار اقتضى ذلك عدم مساكنتهم والهجرة إلى المسلمين خوفا (١٨٨) من الموالاة المنهى عنها وكان التناكح من أقرب أسباب الموالاة بين أحكام الزوجين فى هذه الآية ، وسبب نزولها أن النبى صلى الله عليه وسلم لما عقد الصلح مع الكفار عام الحديبية على شرط أن من أتى النبى من أهل مكة رده إليهم وإن كان مسلما جاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مهاجرة للنبى فجاء زوجها صيفى ابن الراهب وقيل المسافر المخزومى وكان كافرا فقال يامحمد اردد علىّ امرأتى فأنت شرطت ذلك فأنزل الله هذه الآية فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر بن الخطاب (قوله بألسنتهن) أى ناطقات بالشهادتين تقطع

(فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ) بدل اشتمال من الذين (وَتُقْسِطُوا) تفضوا (إِلَيْهِمْ) بالقسط : أى بالعدل وهذا قبل الأمر بجهادهم (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) العادلين (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا) عاونوا (عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ) بدل اشتمال من الذين: أى تتخذوهم أولياء (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ) بألسنتهن (مُهَاجِرَاتٍ) من الكفار بعد الصلح معهم فى الحديبية على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يرد (فَامْتَحِنُوهُنَّ) بالحلف إنهن ما خرجن إلا رغبة فى الإسلام لا بغضاً لأزواجهن الكفار ولا عشقاً لرجال من المسلمين كذا كان صلى الله عليه وسلم يحلفهن (اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ) ظننتموهن بالحلف (مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ) تردوهن (إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ) أى أعطوا الكفار أزواجهن (مَا أَنْفَقُوا) عليهن من المهور (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) بشرطه (إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) مهورهن (وَلَا تُمَسِّكُوا) بالتشديد والتخفيف (بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ) زوجاتكم ،

بألسنتهن (قوله من الكفار) أى حال كونهن من جملة الكفار أومتعلق بجاءكم (قوله بعد الصلح) متعلق بمهاجرات أو بجاءكم (قوله على أن من جاء منهم) أى مؤمنا (قوله فامتحنوهن بالحلف) أى حلفوهن هل هن مسلمات حقيقة أولا، وسبب الامتحان أنه كان من أرادت من الكفار إضرار زوجها قالت سأهاجر إلى رسول الله فلذلك أمر بالامتحان (قوله الله أعلم بإيمانهن) أى بصدقه (قوله فلا ترجعوهن) أى لايحل لكم أن تردوهن إلى الكفار. قال تعالى ــ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ــ (قوله وآتوهم ما أنفقوا) أى مادفعوا لهن من المهور كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك مع زوج سبيعة (قوله بشرطه) أى وهو انقضاء عدتها فى الإسلام إن كان مدخولا بها والولى والشاهدان و بقية شروط الصحة فى المدخول بها وغيرها (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بعصم الكوافر) جمع عصمة وهى هنا عقد النكاح والكوافر جمع كافرة كضوارب جمع ضاربة ، وقوله زوجاتكم : أى المتأصلات فى الكفر اللاتى أسلمتم عنهن ، وهذا النعت المقدّر هو المعطوف عليه قوله واللاحقات الخ ، وصورة المسئلة أن الزوج أسلم عن زوجته الكافرة فهذا نهى للمؤمنين عن بقائهم على عصم المشركات الباقيات على الكفر بخلاف إسلامهم عن الكتابيات فلا ينفسخ نكاحهن فإن النكاح بهن يجوز للمسلم ابتداء

لقطع إسلامكم لها بشرطه أو اللاحقات للمشركين مرتدات لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه (وَاسْئَلُوا) اطلبوا (مَا أَنفَقْتُمْ) عليهن من المهور فى صورة الارتداد ممن تزوجهن من الكفار (وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنفَقُوا) على المهاجرات كما تقدم أنهم يؤتونه (ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) به (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ) أى واحدة فأكثر منهن، أو شىء من مهورهن بالذهاب (إِلَى الْكُفَّارِ) مرتدات (فَعَاقَبْتُمْ) فغزوتم وغنمتم (فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ) من الغنيمة (مِثْلَ مَا أَنفَقُوا) لفواته عليهم من جهة الكفار (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإيتاء للكفار والمؤمنين ثم ارتفع هذا الحكم (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ) كما كان يفعل فى الجاهلية ،

فلا يمنع من البقاء عليهن بعد الإسلام (قوله لقطع إسلامكم لها بشرطه) أى شرط القطع وهو أن لا يجمعهما الإسلام فى العدة فان أسلم وأسلمت بعده بشهر ونحوه أو أسلمت قبله وأسلم بعدها فى العدة والموضوع أنه مدخول بها أقر عليها فى الصورتين (قوله أو اللاحقات) معطوف على النعت المقدر بعد زوجاتكم وصورتها مسلمات أصالة تحت أزواج مسلمين فوقعت منهن الردة والتحقن بالمشركين فى ذلك (قوله بشرطه) أى وهو دوام الردة إلى وفاء العدة فان رجعت للاسلام قبل وفاء العدة ترجع له من غير عقد هكذا مذهب الإمام الشافعى فى المدخول بها وأما غيرها فتبين بمجرد الردة ، وأما مذهب مالك فلا ترجع له إلا بعقد مطلقا سواء رجعت قبل العدة أو بعدها فكلام المفسر على قاعدة مذهب الإمام الشافعى (قوله واسئلوا ما أنفقتم الخ) قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدا إلى الكفار المعاهدين يقال للكفار هاتوا مهرها و يقال للمسلمين إذا جاء أحد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا إلى الكفار مهرها وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين ، ثم نسخ ذلك الأمر فمن ارتدت لا تقر ومن جاءتنا منهم مسلمة مهاجرة لا يأخذون لها مهرا (قوله ذلكم حكم الله) أى المذكور فى هذه الآية ، وقوله يحكم بينكم استئناف أو حال بتقدير الرابط وقد جرى عليه المفسر (قوله و إن فاتكم الخ) هذه الآية أيضا من تتمة قوله ـ واسألوا ما أنفقتم ـ فهو بمعناه ، ومحصله أنه إن فر شىء : أى امرأة أو أكثر إلى الكفار فغنمتم فأعطوا الذين فرت أزواجهم من الغنيمة قبل قسمها قدر مهرها فكأنه دين على الكفار. قال ابن عباس : لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة مرتدات فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة (قوله مرتدات) حال من أزواج (قوله فغزوتم) فسر العقوبة بالغزو لحصولها به (قوله فآتوا) بمد الهمزة أى أعطوا ، روى أنه لما نزل قوله تعالى ـ واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ـ أدى المؤمنون مهور المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيئا من مهور المرتدات إلى أزواجهن المسلمين فأنزل الله و إن فاتكم الخ (قوله ثم ارتفع هذا الحكم) أى نسخ حكمه فصار الآن إذا ارتدت امرأة ولحقت بالمشركين لا نأخذ لها مهرا بل ننتظرها لحق قدرنا عليها استتبناها فان تابت و إلا قتلت كما أن من فرت من الكفار مسلمة لا ندفع لها مهرا (قوله يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات الخ) أى من أهل المدينة أو مكة أو غيرهن ولكن الآية نزلت فى فتح مكة لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مبايعة الرجال (قوله يبايعنك) أى يعاهدنك وسماه مبايعة لأنه مقابلة شىء بشىء وهو الإيمان وتوابعه فى مقابلة الجنة والرضوان و يبايعن مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة والكاف مفعول (قوله على أن لا يشركن) نهاهم فى هذه المبايعة عن ستة أشياء ولم يقابلها بأوامر لأن النهى عن هذه يستلزم الأمر بضدها (قوله ولا يسرقن) روى أنه لما قال النبي لهن ذلك قالت هند امرأة أبى سفيان يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح فهل على حرج إذا أخذت ما يكفينى وولدى قال لا إلا بالمعروف ، فخشيت هند أن تقتصر على ما يعطيها فتضيع أو تأخذ فتكون ناقضة للبيعة فلذلك أمرها بالمعروف فى الأخذ ومحل جواز الأخذ بغير إذن إذا كان غير محجور، وأما إذا حجره بقفل أو نحوه فيحرم الأخذ و إن أخذت تعد سارقة وتقطع يدها فلما قال رسول الله ولا يزنين ، قالت هند أو تزنى الحرة ؟ فلما قال ولا يقتلن أولادهن ، قالت ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا وعرضت بولدها حنظلة فانه قتل يوم بدر فضحك عمر وتبسم رسول الله ، فلما قال ولا يأتين ببهتان ، قالت والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق وكانت هذه البيعة فى مكة عند الصفا فاجتمع له من النسوة أربعمائة وسبع وخمسون

من وأد البنات: أي دفنهن أحياء خوف العار والفقر (وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ) أي بولد ملقوط ينسبنه إلى الزوج، ووصف بصفة الولد الحقيقي فإن الأم إذا وضعته سقط بين يديها ورجليها (وَلَا يَعْصِينَكَ فِي) فعل (مَعْرُوفٍ) هو ما وافق طاعة الله كترك النياحة وتمزيق الثياب وجز الشعور وشق الجيب وخمش الوجه (فَبَايِعْهُنَّ) فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بالقول ولم يصافح واحدة منهن (وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) هم اليهود (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ) أي من ثوابها مع إيقانهم بها لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه (كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ) الكائنون (مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) أي المقبورين من خير الآخرة، إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

(سورة الصف)

مكية أو مدنية، أربع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أي نزهه فاللام مزيدة وجيء بما دون من تغليبا للأكثر (وَهُوَ الْعَزِيزُ) في ملكه (الْحَكِيمُ) في صنعه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ)،

امرأة فآمن (قوله من وأد البنات) أي دفنهن أحياء (قوله أي بولد ملقوط) أي فكانت المرأة إذا خافت مفارقة زوجها لعدم الحمل التقطت ولدا ونسبته له ليبقيها عنده فأشار المفسر بقوله: أي بولد إلى أنه المراد بالبهتان المفترى وليس المراد الزنا لتقدمه في النهي صريحا (قوله كترك النياحة) أي فالمراد بالمعروف هو ما عرف حسنه في الشرع وهو اسم جامع لكل خير (قوله فبايعهن) جواب إذا جاءك المؤمنات: أي التزم لهن الثواب إذا التزمن ذلك (قوله بالقول) هذا هو الصحيح، وقيل إنه صافحهن بحائل لما يروى أنه بايع النساء و بين يديه وأيديهن ثوب، وقالت أم عطية لما قدم المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب على الباب فسلم فرددن عليه السلام، فقال أنا رسول رسول الله إليكن أن لا تشركن بالله شيئا الآية فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد (قوله واستغفر لهن الله) أي مما سلف منهن (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) ختم السورة بمثل ما افتتحها به وهو النهي عن موالاة الكفار وهذا من البلاغة و يقال له ردّ العجز على الصدر (قوله غضب الله عليهم) نعت لقوما، وقوله قد يئسوا نعت ثان (قوله هم اليهود) أشار المفسر بذلك إلى سبب نزول الآية وهو أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود بأخبار المسلمين ليعطوهم من ثمارهم فنزلت، وقيل المراد بالمغضوب عليهم جميع الكفار (قوله لعنادهم) علة ليأسهم مع إيقانهم بها فلا حظ لهم فيها ولا ثواب (قوله من أصحاب القبور) مشى المفسر على أن قوله من أصحاب القبور صفة للكفار والميئوس منه محذوف قدره بقوله من خير الآخرة: أي أن اليهود يئسوا من الآخرة كيأس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة، وقيل إن قوله من أصحاب القبور هو الميئوس منه، والمعنى أن اليهود أيسوا من الآخرة كيأسهم من أصحاب القبور لأنهم ينكرون البعث، وقيل كما يئس الكفار المقبورون من رجوعهم إلى الدنيا ففي احتمالات ثلاث (قوله إذ تعرض عليهم) أي وهم في القبور (قوله لو كانوا آمنوا) أي قبل الموت (قوله وما يصيرون إليه) معطوف على مقاعدهم: أي و يعرض عليهم ما يصيرون إليه من النار. [سورة الصف مكية] أي في قول عكرمة وقتادة والحسن و به جزم في الكشاف (قوله أو مدنية) أي وهو قول الجمهور (قوله فاللام مزيدة) أي للتأكيد، وقيل للتعليل: أي سبحوا لأجل الله ابتغاء وجهه لا طلبا لثواب ولا خوفا من عقاب وهذا أعلى مراتب العمل وقد تقدم نظير ذلك وأعاد ما الموصولة في قوله: وما في الأرض هنا وفي الحشر والجمعة والتغابن لأنه الأصل وتركه في الحديد مشاكلة لقوله فيها بعد: له ملك السموات والأرض، وقوله هو الذي خلق السموات والأرض (قوله لم تقولون) استفهام إنكاري جيء به للتوبيخ لمن يدعي ما ليس فيه فإن وقع ذلك إخبارا عن أمر في الماضي فهو كذب و إن وقع في المستقبل يكون خلفا للوعد وكلاهما مذموم ولام الجر داخلة على ما الاستفهامية وحذفت ألفها لذلك قال ابن مالك:

(قوله فى طلب الجهاد) سبب نزول هذه الآية أنه لما سمع أصحاب رسول الله مدح الجهاد ومدح أهل بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فنزلت هذه الآية توبيخا لهم وهذا خارج مخرج التخويف والزجر . وقيل نزلت فى المنافقين كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إن خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرج النبى وأصحابه نكصوا على عقبهم وتخلفوا وحينئذ فتسميتهم مؤمنين بحسب الظاهر والذم على حقيقته (قوله إذ انهزمتم بأحد) تعليل لقوله مالا تفعلون (قوله تمييز) أى محول عن الفاعل والأصل كبر مقت قولكم والمقت أشد البغض وهو من أمثلة التعجب فى مقام الذم (قوله ينصر ويكرم) هذا معنى المحبة فى حق الله لأن حقيقتها وهو ميل القلب مستحيل على الله ومن لازم الميل الاكرام والنصر فأطلق على الله باعتبار هذا اللازم (قوله حال) أى من الواو فى يقاتلون وقوله أى صافين فسره بمشتق لصحة الحالية ومفعوله محذوف أى أنفسهم (قوله ملزق بعضه إلى بعض) أى كأنه بنى بالرصاص أو معنى المرصوص الملتئم الأجزاء المستويها المحكمها ومن كان كذلك لايهزم ولا يقاوم (قوله وإذ قال موسى) ذكر قصة موسى وعيسى إجمالا تسلية للنبى عليه الصلاة والسلام ليصبر على أذى قومه وتذكيرا لتفاصيلها المتقدمة وابتدأ بقصة موسى لأسبقيته فى الزمن (قوله قالوا إنه آدر)

فى طلب الجهاد (مَا لاَ تَفْعَلُونَ) إذ انهزمتم بأحد (كَبُرَ) عظم (مَقْتًا) تمييز (عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا) فاعل كبر (مَا لاَتَفْعَلُونَ . إِنَّ اللهَ يُحِبُّ) ينصر ويكرم (الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا) حال: أى صافين (كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) ملزق بعضه إلى بعض ثابت (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي) قالوا إنه آدر: أى منتفخ الخصية وليس كذلك وكذبوه (وَقَدْ) للتحقيق (تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ) الجملة حال والرسول يحترم (فَلَمَّا زَاغُوا) عدلوا عن الحق بإيذائه (أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ) أمالها عن الهدى على وفق ماقدره فى الأزل (وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) الكافرين فى علمه (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) لم يقل ياقوم لأنه لم يكن له فيهم قرابة (إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ) قبلى (مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ،

وسبب تهمتهم له بذلك ستره للعورة من صغره فلم يروه فعيبوه بذلك وتقدم ذلك عند قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى الآية (قوله وكذبوه) معطوف على قالوا أى عيبوه فى جسمه وأنكروا ماجاء به وكذبوه (قوله وقد للتحقيق) أى تحقيق علمهم برسالته وذلك يوجب تعظيمه ويمنع إيذاءه (قوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) مقتضى هذا التركيب أن زيغهم سبب لازاغة الله قلوبهم مع أن الأمر بالعكس لأن العبد لايزيغ إلا إن أزاغه الله وصرفه عن الهدى . وأجيب بأنهم لما فعلوا سبب الزيغ وهو إيذاء موسى أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وقت إيذائهم على وفق ما أراده أزلا وقد أشار لذلك المفسر ويشهد لذلك قضية إبليس فانه كان مطيعا فلما خالف مولاه وعاند زاغ فأزاغ الله قلبه وطرده موافقة لما نجزه بارادته أزلا فزيغ العبد سبب لازاغة الله باعتبار إظهار القدرة لذلك الآن على وفق ما أراده الله ونجزه أزلا فليحفظ (قوله الكافرين فى علمه) هذا جواب عما يقال إن الله هدى كثيرا من الكفار بأن وفقهم للاسلام . وحاصل الجواب أن من أسلم وهداه الله لم يكن فى الأزل مكتوبا كافرا وأما من علم الله كفره فى الأزل لايهديه ولا بد من موته على الكفر ولو عاش طول عمره مسلما (قوله وإذ قال عيسى) معمول لمحذوف تقديره اذكر وإنما كررت قصة موسى وعيسى بل وقصة غيرهما لأن المقصود الاتعاظ ودوامه فاذا ذكر الشىء أولا وثانيا كان المقصود منه دوام تذكره والاعتبار به قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل (قوله لأنه لم يكن له فيهم قرابة) أى لأنه لا أب له فيهم وإن كانت أمه من أشرافهم . إن قلت هو منهم باعتبار أمه . قلت النسب إنما هو من جهة الأب (قوله مصدقا) حال من الضمير المستتر فى رسول لتأويله بمرسل وكذا قوله ومبشرا (قوله من التوراة) خصها لأنها أشهر الكتب عندهم (قوله يأتى من بعدى) الجملة صفة لرسول وكذا قوله اسمه أحمد والياء فى بعدى إما مفتوحة أو ساكنة قراءتان سبعيتان .

(قوله اسمه أحمد) يحتمل أن يكون أفعل تفضيل من المبنى للفاعل والمعنى أكثر حامدية لله تعالى من غيره و يحتمل أن يكون من المبنى للمفعول أى أكثر محمودية من غيره أى كون الخلق يحمدونه أكثر من كونهم يحمدون غيره وخص أحمد بالذكر دون محمد مع أنه أشرف أسمائه صلى الله عليه وسلم لوجوه : الأول كونه مذكورا فى الانجيل بهذا الاسم ، الثاني كونه مسمى فى السماء به ، الثالث لأن حمده لله سابق على حمد الخلق له فى الدنيا و يوم القيامة فحمده قبل شفاعته لأمته وحمد الخلق له بعدها ، وقال بعضهم إنه صلى الله عليه وسلم له أربعة آلاف اسم منها نحو سبعين من أسمائه تعالى كرءوف ورحيم (قوله أى جاء أحمد الكفار) هذا أحد قولين للمفسرين فى مرجع الضمير فى جاءهم والثانى أنه عائد على عيسى (قوله أى المجىء به) اسم مفعول من جاء وأصله مجيوء بوزن مضروب نقلت ضمة الياء للساكن قبلها وهو الجيم فالتقى ساكنان الواو والياء فحذفت الواو وكسرت الجيم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله ووصف آياته) بالجر عطف على نسبة (قوله وهو يدعى إلى الاسلام) الجملة حالية أى يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الاسلام الذى فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته افتراء الكذب على الله (قوله منصوب بأن مقدرة واللام مزيدة) أى فى مفعول يريدون للتوكيد و يصح أن تكون للتعليل والمفعول محذوف والتقدير يريدون إبطال القرآن ليطفئوا وهناك طريقة لبعض النحويين أن اللام بمعنى أن الناصبة فيكون الفعل منصوبا بها (قوله شرعه و براهينه) هذا أحد أقوال فى تفسير النور وقيل هو القرآن وقيل الاسلام وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل إنه مثل مضروب بمن أراد إطفاء الشمس بفيه فكما أنه لا يفيده ذلك كذلك من أراد إبطال الحق فلا يفيده وفى الكلام استعارة تبعية حيث شبه الابطال بالاطفاء واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الاطفاء يطفئون بمعنى يبطلون وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحى أربعين يوما فقال كعب بن الأشرف

اسْمُهُ أَحْمَدُ) قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُمْ) جاء أحمد الكفار (بِالْبَيِّنَاتِ) الآيات والعلامات (قَالُوا هٰذَا) أى المجىء به (سِحْرٌ) وفى قراءة ساحر: أى الجائى به (مُبِينٌ) بيّن (وَمَنْ) أى لا أحد (أَظْلَمُ) أشد ظلما (مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ) بنسبة الشريك والولد إليه ووصف آياته بالسحر (وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا) منصوب بأن مقدرة واللام مزيده (نُورَ اللّٰهِ) شرعه وبراهينه(بِأَفْوَاهِهِمْ) بأقوالهم إنه سحر وشعر وكهانة (وَاللّٰهُ مُتِمُّ) مظهر (نُورِهِ) وفى قراءة بالإضافة (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ذلك (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ) يعليه (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) جميع الأديان المخالفة له (وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ذلك (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ) ،

بالتخفيف

يامعشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية واتصل الوحى بعدها (قوله والله متم نوره) الجملة حالية من فاعل يريدون وقوله مظهر نوره هذا جواب عما يقال إن الاتمام لا يكون إلا عند النقصان فأجاب بأن المراد بالاتمام إظهاره فى المشارق والمغارب (قوله وفى قراءة بالاضافة) أى وهى سبعية أيضا (قوله ولو كره الكافرون) حال من قوله والله متم نوره (قوله بالهدى) أى البيان الشافى والمراد به القرآن والمعجزات الظاهرة (قوله ولو كره المشركون) إنما عبر أولا بالكافرون وثانيا بالمشركون لأن الرسول فى ابتداء أمره يأتى بالتوحيد و يأمر به فيخالفه المشركون فاذا ظهر أمره واشتهر حسده جميع الكفار وأرادوا إبطال ماجاء به من المعجزات والبراهين فعبر فى كل بما يناسبه (قوله يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم الخ) سبب نزول هذه الآية قول الصحابة لرسول الله لو نعلم أىّ الأعمال أحب إلى الله لعملنا به ، وقيل نزلت فى عثمان ابن مظعون وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو أذنت لى فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا أنام الليل أبدا ولا أفطر النهار أبدا فقال صلى الله عليه وسلم إن من سنتى النكاح ولا رهبانية فى الاسلام ، إنما رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله وخصاء أمتى الصوم ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ومن سنتى أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سنتى فليس منى فقال عثمان وددت يانبى الله أن أعلم أى التجارات أحب إلى الله فأتجر فيها فنزلت ، والاستفهام إخبار فى المعنى وذكر بلفظ الاستفهام تشويقا لكونه أوقع فى النفس وتسمية الجهاد تجارة لقوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية

(قوله بالتخفيف والتشديد) سبعيتان (قوله تؤمنون) فى محل رفع خبر مبتدإ مقدر أى هى تؤمنون أو جملة مستأنفة لامحل لها من الاعراب واقعة فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماهى فأجاب بما ذكر (قوله ذلكم) أى المذكور من الايمان والجهاد (قوله خير لكم) أى من كل شئ (قوله إن كنتم تعلمون) أشار المفسر إلى أن الجواب مقدر و إلى أن تعلمون متعد حذف مفعوله (قوله من تحتها) أى من تحت أشجارها وغرفها (قوله ومساكن طيبة الخ) روى عن الحسن قال : سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن قوله تعالى ومساكن طيبة فقال على الخبير سقطت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال «قصر من لؤلؤة فى الجنة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا فى كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفا أو وصيفة فيعطى الله المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله» (قوله ذلك) أى المذكور من غفران الذنوب و إدخال الجنان

بالتخفيف والتشديد (مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم فكأنهم قالوا نعم، فقال (تُؤْمِنُونَ) تدومون على الإيمان (بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم فافعلوه (يَغْفِرْ) جواب شرط مقدر: أى إن تفعلوه يغفر (لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) إقامة (ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَ) يؤتكم نعمة (أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالنصر والفتح (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلهِ) لدينه وفى قراءة بالإضافة (كَمَا قَالَ) الخ. المعنى كما كان الحواريون كذلك الدال عليه قال (عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ) أى من الأنصار الذين يكونون معى متوجها إلى نصرة الله (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ) والحواريون أصفياء عيسى، وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا من الحور وهو البياض الخالص، وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب: أى يبيضونها (فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بعيسى وقالوا إنه عبد الله رفع إلى السماء (وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ) لقولهم إنه ابن الله رفعه إليه فاقتتلت الطائفتان (فَأَيَّدْنَا) قوينا (الَّذِينَ آمَنُوا) من الطائفتين (عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ) الطائفة الكافرة (فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) غالبين .

(قوله ويؤتكم نعمة أخرى) أشار المفسر بتقدير هذا العامل إلى أن أخرى صفة لمحذوف مفعول لفعل مقدر وهذا المقدر معطوف على المذكور قبله والمراد يؤتكم فى الدنيا فهو إخبار عن نعمة الدنيا بعد الاخبار عن نعمة الآخرة (قوله نصر من الله) خبر مبتدأ مضمر أى تلك النعمة الأخرى نصر من الله وقوله وفتح قريب أى معجل، وهو فتح مكة أو فارس والروم (قوله و بشر المؤمنين) معطوف على محذوف أى قل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم الخ و بشر المؤمنين . والمعنى اخبر عامة المؤمنين بان هذا الفضل العظيم عام لكل من اتصف بما تقدم من الايمان وما بعده (قوله وفى قراءة بالاضافة) أى وهى سبعية أيضا (قوله كما كان الحواريون كذلك) أى أنصار الله . والمعنى كونوا أنصار الله معى كما كان الحواريون أنصار الله لما سألهم عيسى بقوله من أنصارى إلى الله (قوله نحن أنصار الله) من إضافة الوصف إلى مفعوله أى نحن الذين ننصر الله أى ننصر دينه كما تقدم (قوله وقيل كانوا قصارين) فعلى هذا الحور قائم بالثياب وعلى الأول قائم بذواتهم (قوله فآمنت طائفة) مرتبط بمحذوف تقديره فلما رفع عيسى إلى السماء افترق الناس فيه فرقتين فآمنت طائفة الخ وروى عن ابن عباس لما رفع عيسى تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه إليه وفرقة قالت كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرتين فذلك قوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا الآية (قوله فاقتتلت الطائفتان) أى وظهرت الكافرة حتى بعث الله محمدا ظهرت

(سورة الجمعة)

مدنية ، إحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . يُسَبِّحُ لِلَّهِ) ينزهه فاللام زائدة (مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) فى ذكر ما تغليب للأكثر (الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ) المنزه عما لا يليق به (الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) فى ملكه وصنعه (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ) العرب ، والأمى من لا يكتب ولا يقرأ كتابا (رَسُولًا مِنْهُمْ) هو محمد صلى الله عليه وسلم (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من الشرك (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) ما فيه من الأحكام (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أى وإنهم (كَانُوا مِنْ قَبْلُ) قبل مجيئه (لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (وَآخَرِينَ) عطف على الأميين: أى الموجودين (مِنْهُمْ) والآتين منهم بعدهم (لَمَّا) لم (يَلْحَقُوا بِهِمْ) فى السابقة والفضل (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فى ملكه وصنعه وهم التابعون ، والاقتصار عليهم كاف فى بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبى صلى الله عليه وسلم على من عداهم ممن بعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة لأن كل قرن خير ممن يليه (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) ،

المؤمنة على الكافرة روى المغيرة عن إبراهيم قال وأصبحت حجة من آمن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام كلمة الله وعبده ورسوله .

[سورة الجمعة مدنية] أى بالاجماع وقوله إحدى عشرة آية أى بلا خلاف (قوله فاللام زائدة) أى أو للتعليل والمعنى يسبح ما فى السموات وما فى الأرض لأجل وجهه تعالى لا يقصدون غرضا من الأغراض ففيه إشارة إلى أنه ينبغى للمكلفين أن يكونوا كذلك وقد تقدم نظيره (قوله الملك) أى المتصرف فى خلقه بالايجاد والاعدام وغيرهما (قوله المنزه عما لا يليق به) أى من صفات الحوادث وذكر القدوس عقبه دفعا لما يتوهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله فى الأميين) أى إليها وكذا قوله وآخرين منهم فهو على حد قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، والحكمة فى اقتصاره على الأميين هنا مع أنه رسول إلى كافة الخلق تشريف العرب حيث أضيف إليهم (قوله رسولا منهم) أى من جملتهم ومن نسبتهم لما من حى من العرب إلا وله فيهم قرابة ولهم عليه ولادة إلا بنى تغلب فان الله طهره منهم لنصرانيتهم كما قاله ابن اسحق ، والحكمة فى كونه صلى الله عليه وسلم أميا مثلهم لكونه فى كتب الأنبياء منعوتا بذلك وأيضا لدفع توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحى وليكون حاله مماثلة لحال أمته الذين بعث فيهم فيكون أقرب إلى صدقه وأبعد من التهم لكن وصف الأمية كمال فى حقه نقص فى حق غيره (قوله يتلوا عليهم آياته) حال من قوله رسولا (قوله يطهرهم من الشرك) أى يزيل عنهم الشبه وفساد العقيدة حتى يصيروا أذكياء (قوله مخففة من الثقيلة) أى بدليل وقوع اللام فى خبرها (قوله عطف على الأميين) أى فهو مجرور والمعنى بعث النبى إلى الأميين الموجودين وإلى الآتين منهم بعدهم فليست رسالته خاصة بمن كان موجودا فى زمنه بل هى عامة لهم ولغيرهم إلى يوم القيامة وما تقدم فى الأميين من قوله يتلوا عليهم آياته الخ يجرى فى قوله وآخرين لكن التلاوة والتعليم والتزكية بنفسه لمن كان فى زمنه و بالواسطة لمن يأتى بعدهم إلى يوم القيامة (قوله أى الموجودين منهم) تفسير للأميين المعطوف عليه وقوله والآتين تفسير لآخرين وفى نسخة وآتين وهى مشاكلة لآخرين فى عدم التعريف (قوله لما يلحقوا بهم) أى فى السبق إلى الاسلام والشرف وهذا النفى مستمر دائما لأن الصحابة لا يلحقهم ولا يساويهم فى فضلهم أحد ممن بعدهم ولذا فسر لما بلم وذلك لأن منفى لم أعم من كونه متوقع الحصول أولا بخلاف لما فمنفيها متوقع الحصول وليس مرادا (قوله والاقتصار عليهم) أى على التابعين فى تفسير الآخرين وهو جواب عما يقال ما حكمة الاقتصار على التابعين مع أن الصحابة أفضل من سائر الناس إلى يوم القيامة فأجاب بأنه حيث ثبت تفضيلهم على التابعين الذين هم أفضل ممن بعدهم لزم منه تفضيلهم على جميع الناس إلى يوم القيامة لأن كل قرن خير مما يليه (قوله ممن بعث إليهم) بيان لقوله من عداهم وقوله من جميع الخ بيان لقوله ممن بعث إليهم (قوله لأن كل قرن) تعليل لقوله كاف (قوله ذلك) أى ما ذكر من تفضيل

الرسول وقومه (قوله النبي) تفسير لمن يشاء وقوله ومن ذكر معه الأميون والآخرون (قوله مثل الذين حملوا التوراة) هذه قراءة العامة وقرئ شذوذا حملوا مخففا مبنيا للفاعل (قوله كلفوا العمل بها) أي القيام بها فليس هو من الحمل على الظهر بل هو من الحمالة وهي الكفالة (قوله كمثل الحمار) خص بالذكر لكونه أبلد الحيوانات (قوله يحمل) بفتح الياء وكسر الميم مخففة وهي قراءة العامة وقرئ شذوذا يحمل بضم الياء وفتح الميم مشددة والجملة إما حال أو صفة لأن القاعدة أن الجمل بعدما يحتمل التعريف والتنكير تكون محتملة للوصفية والحالية فالحالية نظرا لصورة التعريف والوصفية نظرا لجريان الحمار مجرى النكرة لأن المراد به الجنس (قوله أي كتبا) أي كبارا جمع سفر وهو الكتاب الكبير (قوله في عدم انتفاعه بها) بيان لوجه الشبه (قوله مثل القوم) فاعل بئس وقوله الذين كذبوا صفة للقوم (قوله بآيات الله) أي دلائل وحدانيته وعظمته (قوله الكافرين) أي الذين سبق في علمه كفرهم وهذا المثل يضرب لكل من تحمل القرآن ولم يعمل به (قوله قل يا أيها الذين هادوا) أي تمسكوا باليهودية وهي ملة موسى عليه السلام، وسبب نزولها أن اليهود زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وادعوا أنه لايدخل الجنة إلا من كان هودا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يظهر كذبهم بتلك الآية (قوله أنكم أولياء) هذه الجملة سدت مسد مفعولي زعم ولله متعلق بأولياء وكذا قوله من دون الناس (قوله تعلق بتمنوا الشرطان) أي وهما إن زعمتم إن كنتم صادقين (قوله على أن الأول قيد في الثاني) أي شرط فيه وهذا إشارة لقاعدة وهي أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط الجواب بينهما كان الأول قيدا في الثاني، وأما إن تأخر الجواب عنهما معا أو تقدم عليهما معا فإن الثاني يكون قيدا في الاول نحو إن دخلت دار زيد إن كلمت زوجته فأنت طالق فلا تطلق إلا بكلام الزوجة الكائن بعد دخول الدار، وأما دخول الدار وحده أو الكلام خارج الدار فلا تطلق به (قوله ومبدؤها) أي طريقها (قوله ولا يتمنونه) عبر هنا بلا وفي البقرة بلن حيث قال ولن يتمنوه أبدا إشارة إلى أنه نفي عنهم التمني على كل حال مؤكدا كما في البقرة وغير مؤكد كما هنا (قوله بما قدمت أيديهم) الباء سببية متعلقة بالنفي (قوله من كفرهم) بيان لما (قوله الذي تفرون منه) أي تخافون من تمنيه مخافة أن ينزل بكم فتؤخذوا بأعمالكم (قوله الفاء زائدة) هذا أحد وجهين والثاني أنها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم للموصوف بالموصول حكم الموصول (قوله السر والعلانية) لف ونشر مرتب (قوله إذا نودي للصلاة) المراد به الأذان عند جلوس الخطيب على المنبر وذلك لأنه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه فكان له مؤذن واحد إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام الصلاة ثم كان أبو بكر وعمر وعلي بالكوفة على ذلك حتى كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد أذانا آخر فأمر بالتأذين أولا على داره التي تسمى بالزوراء فإذا سمعوا أقبلوا حتى إذا جلس على المنبر أذن المؤذن ثانيا ولم يخالفه أحد في ذلك الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم «وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» (قوله بمعنى في) هذا أحد وجهين والثاني أنها بيان لإذا وتفسير لها (قوله يوم الجمعة) بضمتين وهي قراءة العامة وقرئ شذوذا بسكون الميم وفتحها سميت بذلك لاجتماع الناس

النبي ومن ذكر معه (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ) كلفوا العمل بها (ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا) لم يعملوا بما فيها من نعته صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا به (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) أي كتبا في عدم انتفاعه بها (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) المصدقة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) تعلق بتمنوا الشرطان على أن الأول قيد في الثاني: أي إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء لله والولي يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت فتمنوه (وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) الكافرين (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ) الفاء زائدة (مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) السر والعلانية (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ) بمعنى في (يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا) :

فيها الصلاة وكانت العرب تسميه العروبة. واعلم أن أفضل الليالي ليلة المولد ثم ليلة القدر ثم ليلة الاسراء فعرفة فالجمعة فنصف شعبان فالعيد، وأفضل الأيام يوم عرفة ثم يوم نصف شعبان ثم الجمعة والليل أفضل من النهار (قوله فامضوا) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد من السعي الاسراع في المشي إذ ليس بمطلوب ولو خاف فواتها بل المراد به التوجه والمشي عند الذهاب أفضل من الركوب إن لم يكن عذر و بعد انقضاء الصلاة لا بأس به (قوله أي اتركوا عقده) أي فالمراد بالبيع العقد بتمامه فهو خطاب لكل من البائع والمشتري ومثل البيع والشراء الاجارة والشفعة والتولية والاقالة فان وقعت حرمت وفسخت عند مالك وعند الشافعي تحرم ولا تفسخ (قوله ذلكم) أي المذكور من السعي وترك الاشتغال بالدنيا (قوله أنه خير) قدره إشارة إلى أن مفعول تعلمون محذوف وقوله فافعلوه جواب الشرط (قوله فاذا قضيت الصلاة) أي أديت وفرغ منها (قوله فانتشروا في الأرض) أي للتجارة والتصرف في حوائجكم (قوله أمر إباحة) أي فالمعنى يباح لكم الانتشار في الأرض فلا حرج عليكم في فعله ولا تركه (قوله واذكروا الله كثيرا) أتى به ثانية إعلاما بأن ذكر الله مأمور به في سائر الأحوال لا في خصوص الصلاة (قوله تفوزون) أي تظفرون بسعادتكم (قوله كان صلى الله عليه وسلم الخ) شروع في بيان سبب نزول قوله تعالى - وإذا رأوا تجارة الخ (قوله يخطب يوم الجمعة) أي بعد الصلاة كالعيدين (قوله فقدمت عير) أي من الشام قدم بها دحية بن خليفة الكلبي وكان الوقت وقت غلاء في المدينة وكان في تلك القافلة جميع ما يحتاج إليه الناس من بر ودقيق وزيت وغيرها فنزل بها عند أحجار الزيت موضع بسوق المدينة وضرب الطبل ليعلم الناس بقدومه فيبتاع منه وقيل الضارب للطبل أهل المدينة على العادة في أنهم

فامضوا (إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) أي الصلاة (وَذَرُوا الْبَيْعَ) أي اتركوا عقده (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير فافعلوه (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ) أمر إباحة (وَابْتَغُوا) اطلبوا الرزق (مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ) ذكرا (كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون ، كان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقدمت عير وضرب لقدومها الطبل على العادة فخرج لها الناس من المسجد غير اثنى عشر رجلا فنزل (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا) أي التجارة لأنها مطلوبهم دون اللهو (وَتَرَكُوكَ) في الخطبة (قَائِمًا، قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ):

كانوا يستقبلونها بالطبل والتصفيق ، وقيل أهل القادم بها. قال قتادة: بلغنا أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات كل مرة تقدم العير من الشام و يوافق قدومها يوم الجمعة وقت الخطبة (قوله غير اثنى عشر رجلا) وفي رواية ، أن الذين بقوا معه أربعون رجلا ، وفي أخرى أنهم ثمانية ، وفي أخرى أنهم أحد عشر ، وفي أخرى أنهم ثلاثة عشر ، وفي أخرى أنهم من أربعة عشر وهذا منشأ الخلاف بين الأئمة في العدد الذي تنعقد به الجمعة فصح عند مالك أنهم اثنا عشر وصح عند الشافعي أنهم أربعون ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال «لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي نارا» (قوله انفضوا إليها) أي والذي سوغ لهم الخروج وترك رسول الله يخطب أنهم ظنوا أن الخروج بعد تمام الصلاة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلاة لأنه كان يقدم الصلاة على الخطبة كالعيدين فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الآية قدم الخطبة وأخر الصلاة (قوله لأنها مطلوبهم) جواب عما يقال لم أفرد الضمير مع أن المتقدم شيئان ويجاب أيضا بأنه أفرد لأن العطف بأو وخص ضمير المؤنث لما قاله المفسر (قوله وتركوك قائما) الجملة حالية من فاعل انفضوا وفي قوله قائما إشارة إلى أن الخطبة تكون من قيام لا من جلوس. قال علقمة: سئل ابن مسعود أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا فقال أما تقرأ وتركوك قائما. قال جمهور العلماء الخطبة فريضة في صلاة الجمعة. وقال داود الظاهري هي مستحبة، ويجب أن يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس. وقال أبو حنيفة وأحمد لا يشترط القيام ولا القعود ويشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في أحد القولين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله لهذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعي وذهب أبو حنيفة إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وذهب مالك إلى أنه ما يقع عليه عند العرب اسم الخطبة وهو كلام مسجع مشتمل على تحذير وتبشير (قوله قل ما عند الله الخ) أي قل لهم تأديبا وزجرا لهم عن العود لمثل هذا الفعل .

(قوله من الثواب) بيان لما والمراد به الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله خير) اسم التفضيل باعتبار أن في اللهو والتجارة لذة دنيوية (قوله يقال كل إنسان الخ) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل على بابه فالرازقون متعددون لكن على سبيل المجاز وإلا فالرازق حقيقة هو الله وحده (قوله عائلته) أي عياله (قوله أي من رزق الله) تصحيح لهذا القول المذكور ، والمعنى ليس المراد أن كل إنسان يرزق عائلته بالاستقلال وبحوله وقوته بل من رزق الله تعالى يجري على يديه .

[سورة المنافقون] هكذا بالواو على الحكاية ، وفي بعض النسخ المنافقين بالياء (قوله مدنية) أي بالاجماع وكذا قوله إحدى عشرة آية (قوله إذا جاءك المنافقون) أي حضروا عندك كعبد الله بن أبيّ وأصحابه وجواب الشرط قوله قالوا وهو الأظهر وقيل جوابه محذوف أي فلا تقبل منهم وقيل الجواب قوله اتخذوا أيمانهم جنة وهو بعيد . وسبب نزول هذه السورة أنه صلى الله عليه وسلم لما غزا بني المصطلق وازدحم الناس على الماء اقتتل رجلان أحدهما من المهاجرين جهجاه بن أسيد ، وكان أجيرا لعمر يقود له فرسه والثاني من الأنصار اسمه سنان الجهني كان حليفا لعبد الله بن أبيّ ، فلما اقتتلا صاح جهجاه بالمهاجرين وسنان بالأنصار فأعان جهجاها رجل من فقراء المهاجرين ولطم سنانا ،

من الثواب (خير) للذين آمنوا (من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) يقال كل إنسان يرزق عائلته : أي من رزق الله تعالى .

(سورة المنافقون)

مدنية ، إحدى عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . إذا جاءك المنافقون قالوا) بألسنتهم على خلاف ما في قلوبهم (نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد) يعلم (إن المنافقين لكاذبون) فيما أضمروه مخالفا لما قالوه (اتخذوا أيمانهم جنة) سترة على أموالهم ودمائهم (فصدوا) بها (عن سبيل الله) أي عن الجهاد فيهم (إنهم ساء ما كانوا يعملون . ذلك) أي سوء عملهم (بأنهم آمنوا) باللسان (ثم كفروا) بالقلب : أي استمروا على كفرهم به (فطبع) ختم (على قلوبهم) بالكفر (فهم لا يفقهون) الإيمان (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لجمالها (وإن يقولوا تسمع لقولهم) لفصاحته ،

فقال عبد الله بن أبيّ ماصحبنا محمدا إلا لنلطم وجوهنا والله مامثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم قد أنزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم في أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم فضل الطعام لتحولوا من عندكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع ذلك زيد بن أرقم فبلغه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني عنك فحلف إنه ما قال شيئا وأنكر فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة الخ فنزلت السورة (قوله نشهد إنك لرسول الله) يحتمل أن الشهادة على بابها نفيا للنفاق عن أنفسهم ويحتمل أن نشهد بمعنى نحلف (قوله والله يعلم إنك لرسوله) جملة معترضة بين قولهم نشهد إنك لرسول الله وبين قوله والله يشهد الخ وحكمة الاعتراض أنه لو اتصل التكذيب بقولهم لربما توهم أن قولهم في حد ذاته كذب فأتى بالاعتراض لدفع الايهام (قوله فيما أضمروه) أي من أنك غير رسول وسماه كذبا باعتبار هذا الذي أضمروه هذا ماأفاده المفسر وقيل كذبهم هو قوله نشهد لأن صدقها كونها من صميم القلب وقولهم خلاف مافي القلب (قوله اتخذوا أيمانهم) بفتح الهمزة في قراءة العامة جمع يمين وقرئ شذوذا بكسرها بمعنى دعواهم الايمان والتصديق بما جاء به محمد (قوله جنة) بضم الجيم أي وقاية (قوله ساء ما كانوا يعملون) ساء كبئس في إفادة الذم وفيها معنى التعجب (قوله بأنهم آمنوا باللسان الخ) جواب عما يقال إن المنافقين لم يحصل منهم إيمان أصلا بل هم ثابتون على الكفر وإيضاحه أن ثم للترتيب الاخباري ومعناه أنهم آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم (قوله لجمالها) قال ابن عباس : كان ابن أبيّ جسيما صحيحا فصيحا طلق اللسان وكان قوم من المنافقين مثله وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه إلى الجدر وكان النبي ومن حضر يعجبون بهياكلهم (قوله وإن يقولوا) أي يتكلموا في مجلسك (قوله تسمع) أي تستمع بمعنى تصغى

(كَأَنَّهُمْ) من عظم أجسامهم فى ترك التفهم (خُشُبٌ) بسكون الشين وضمها (مُسَنَّدَةٌ) ممالة إلى الجدار (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ) تصاح كنداء فى العسكر وإنشاد ضالة (عَلَيْهِمْ) لما فى قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ) فإنهم يفشون سرك للكفار (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) أهلكهم (أَنَّى يُؤْفَكُونَ) كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا) معتذرين (يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا) بالتشديد والتخفيف: عطفوا (رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ) يعرضون عن ذلك (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ. سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ) استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل (أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ) لأصحابهم من الأنصار (لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) من المهاجرين (حَتَّى يَنْفَضُّوا) يتفرقوا عنه (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالرزق فهو الرازق للمهاجرين وغيرهم (وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ. يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا) أى من غزوة بنى المصطلق (إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ) عنوا به أنفسهم (مِنْهَا الْأَذَلَّ) عنوا به المؤمنين (ولله

(قوله كأنهم خشب مسندة) الجملة حالية من الضمير فى قولهم أو مستأنفة (قوله فى ترك التفهم) هذا بيان لوجه الشبه والمعنى أنهم يشبهون الأخشاب المسندة إلى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والنظر (قوله بسكون الشين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يحسبون كل صيحة عليهم) أى إنهم من سوء ظنهم ورعب قلوبهم يظنون كل نداء فى العسكر من إنشاد ضالة أو مناداة أحد صاعقة عليهم وأنهم يرادون بذلك فمقتضى كلام المفسر أن عليهم مفعول ثان ليحسبون وقوله هم العدو جملة مستأنفة (قوله لما فى قلوبهم من الرعب) متعلق بيحسبون (قوله أن ينزل فيهم) متعلق بالرعب. والمعنى لما فى قلوبهم من الرعب من أن ينزل فيهم قرآن يكون سببا لإباحة دمائهم (قوله فاحذرهم) مرتب على قوله هم العدو (قوله قاتلهم الله) إخبار بهلاكهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (قوله أهلكهم) وقيل معناه لعنهم وأبعدهم عن رحمته (قوله بعد قيام البرهان) أى على حقيقة الإيمان (قوله وإذا قيل لهم تعالوا الخ) روى «أنه لما نزل القرآن بفضيحتهم وكذبهم أتاهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا: ويحكم افتضحتم وأهلكتم أنفسكم فائتوا رسول الله وتوبوا إليه من النفاق واسألوه أن يستغفر لكم، فلووا رءوسهم» أى حركوها إعراضا وإباء، وروى «أن ابن أبى لوى رأسه وقال لهم: قد أشرتم علىّ بالإيمان فآمنت، وبإعطاء زكاة مالى ففعلت، ولم يبق إلا أن تأمرونى بالسجود لمحمد، فنزل - وإذا قيل لهم تعالوا - الخ، فلم يلبث ابن أبى إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات منافقا» (قوله بالتشديد والتخفيف) قراءتان سبعيتان (قوله ورأيتهم يصدون) رأى بصرية وجملة يصدون حال من الهاء وقوله وهم مستكبرون حال من الواو فى يصدون (قوله سواء عليهم الخ) هذا تيئيس من إيمانهم أى إن استغفارك وعدمه سواء فهم لايؤمنون لسبق الشقاوة لهم (قوله استغنى) أى فى التوصل للنطق بالساكن (قوله بهمزة الاستفهام) أشار بذلك إلى أن قراءة العامة بفتح الهمزة من غير مد وهى فى الأصل همزة الاستفهام والآن همزة التسوية (قوله الفاسقين) أى الكافرين الذين سبق فى علم الله كفرهم (قوله هم الذين يقولون الخ) استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم (قوله من الأنصار) أى المخلصين فى الإيمان وصحبتهم للمنافقين بحسب ظاهر الحال (قوله على من عند رسول الله) الظاهر أنه حكاية ماقالوه بعينه لأنهم منافقون يقرون برسالته ظاهرا ويحتمل أنهم عبروا بغير هذه العبارة فغيرها الله إجلالا لنبيه صلى الله عليه وسلم (قوله حتى ينفضوا) أى لأجل أن يتفرقوا بأن يذهب كل واحد منهم إلى أهله وشغله بالمعاش (قوله ولله خزائن السموات والأرض) الجملة حالية أى قالوا ماذكر والحال أن الرزق بيده تعالى لابأيديهم فالمعطى المانع هو الله تعالى، وإذا سد باب يفتح الله عشرة (قوله لايفقهون) أى لايفهمون أن لله خزائن السموات والأرض (قوله يقولون لئن رجعنا الخ) حكاية لبعض قبائحهم التى قالوها (قوله من غزوة بنى المصطلق) وكانت فى السنة الرابعة وقيل فى الثالثة، وسببها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبى ضرار وهو أبو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم، فلما

صلى الله عليه وسلم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فوقع القتال ، فهزم الله بنى المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم وكان سبيهم سبعمائة ، فلما أخذ النبىّ جويرية من السبى لنفسه أعتقها وتزوّجها ، فقال المسلمون : صار بنو المصطلق أصهار رسول الله فأطلقوا ما بأيديهم من السبى إكراما لرسول الله » ولهذا قالت عائشة رضى الله عنها : وما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية ، ولقد أعتق بتزويج رسول الله لها مائة أهل بيت من بنى المصطلق (قوله ولله العزّة) الجملة حالية أى قالوا ما ذكر والحال أن العزّة لله الخ وعزّة الله قهره وغلبته لأعدائه وعزّة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها وعزّة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم (قوله ولكنّ المنافقين لايعلمون) ختم هذه الآية بلا يعلمون وما قبلها بلا يفقهون لأن الأوّل متصل بقوله - ولله خزائن السموات والأرض - وفى معرفتها غموض يحتاج إلى فقه فناسب نفى الفقه وهذا متصل بقوله ولله العزة الخ وفى معرفته غموض زائد يحتاج إلى علم فناسب نفى العلم عنهم (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) نهى للمؤمنين عن التشبه بالمنافقين فى الاغترار بالأموال والأولاد (قوله الصلوات الخمس) هذا قول الضحاك ، وقال الحسن عن جميع الفرائض ، وقيل عن الحج والزكاة ، وقيل عن قراءة القرآن ، وقيل عن سائر الأذكار وهو الأتمّ (قوله فأولئك هم الخاسرون) أى لايثارهم الفانى على الباقى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم » (قوله مما رزقناكم) من تبعيضية وفى التبعيض باسناد الرزق منه تعالى إلى نفسه ترغيب فى الامتثال حيث كان الرزق له تعالى بالحقيقة ومع ذلك اكتفى منهم ببعضه

(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ) الغلبة (وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ) تشغلكم (أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) الصلوات الخمس (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنْفِقُوا) فى الزكاة (مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا) بمعنى هلا ، أولا زائدة ولو للتمنى (أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ) بإدغام التاء فى الأصل فى الصاد : أتصدق بالزكاة (وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) بأن أحج، قال ابن عباس رضى الله عنهما : ماقصر أحد فى الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء .

(قوله من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى أماراته ومقدماته (قوله فيقول ربّ) معطوف على أن يأتى مسبب عنه (قوله بمعنى هلا) أى إن معناها التحضيض وتختص بما لفظه ماض وهو فى تأويل المضارع كما هنا واللائق هنا أن تكون بمعنى العرض الذى هو الطلب بلين ورفق لاستحالة معنى التحضيض هنا الذى هو الطلب بحث وإزعاج (قوله ولو للتمنى) أى والتقدير على هذا ليتك أخرتنى إلى أجل قريب (قوله إلى أجل قريب) أى زمن قليل فأستدرك فيه ما فاتنى (قوله بالزكاة) أى وبكل حق واجب كالديون وحقوق العباد (قوله وأكن من الصالحين) يرسم بدون واو كما فى خط المصحف وأما فى اللفظ ففيه قراءتان سبعيتان إثبات الواو والنصب بالعطف على فأصدق المنصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية فى جواب العرض أو التمنى وحذف الواو والجزم بالعطف على محل فأصدق لملاحظة جزمها فى جواب الطلب أى إن أخرتنى أصدق وأكن (قوله عند الموت) أى رؤية أماراته كما تقدّم (قوله ولن يؤخر الله نفسا) جملة مستأنفة جواب عن سؤال مقدّر تقديره هل يؤخر هذا المتمنى فقال ولن يؤخر الله نفسا الخ وهو نكرة فى سياق النفى تعم (قوله بالياء والتاء) أى فالياء لمناسبة قوله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون والتاء المثناة فوق لمناسبة قوله ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم .

تتمة : استنبط بعضهم من هذه الآية عمر النبى صلى الله عليه وسلم لأن السورة تمام ثلاث وستين وعقبت بالتغابن الذى هو ظهور الغبن بوفاته صلى الله عليه وسلم وهو من المعانى الاشارية .

[سورة التغابن مكية] أي إلا قوله - يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم - إلى آخر السورة لأنها نزلت بالمدينة باتفاق المفسرين وهذا قول ابن عباس وغيره (قوله أو مدنية) وهو قول الأكثر (قوله فاللام زائدة) أي أو للتعليل كما تقدم (قوله له الملك وله الحمد) قدم الجار والمجرور فيهما لافادة حصر الملك والحمد فيه سبحانه وتعالى حقيقة، وأما نسبة الملك والحمد لغيره تعالى فبطريق المجاز (قوله وهو على كل شيء قدير) كالدليل لما قبله (قوله هو الذى خلقكم) أى تعلقت إرادته بخلقكم أزلا وقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن: أى بحسب تعلق قدرته وإرادته فما قدّر أزلا من كفر وإيمان لابد وأن يموت الشخص عليه لما فى الحديث «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» واعلم أن القسمة رباعية: شخص كتب سعيدا فى الأزل ويظهر مؤمنا ويموت عليه، وشخص كتب شقيا فى الأزل فيعيش كافرا ويموت كذلك، وشخص كتب سعيدا فى الأزل فيعيش كافرا ويختم له بالإيمان، وهذه الثلاثة كثيرة الوقوع وشخص يعيش مؤمنا (٢٠٠) ويختم له بالكفر وذلك أندر من الكبريت الأحمر. وبالجملة فالخاتمة تظهر السابقة لأن ما قدر فى الأزل لا يتغير ولا يبدل (قوله ثم يميتهم ويعيدهم) فيه التفات من الخطاب للغيبة، وإلا فمقتضى الظاهر أن يقول ثم يميتكم ويعيدكم (قوله بالحق) أى الحكمة البالغة لاعبثا (قوله إذ جعل شكل الآدمى أحسن الأشكال) أى فجعل رأسه لأعلى ورجليه لأسفل وذراعيه فى جنبيه وجعله منتصب القامة. إن قلت قد يوجد كثير من الناس مشوّه الخلق. أجيب بأن التشويه بالنسبة لأبناء جنسه لا بالنسبة لصور البهائم مثلا إذ لو قابلت بين الصورة المشوّهة وبين صورة الغزال لرأيت صورة البشر المشوّهة أحسن (قوله يعلم ما فى السموات والأرض الخ) الحكمة فى عدم تكرير الموصول هنا وقد كرره فى قوله يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وفى قوله ويعلم ما تسرّون وما تعلنون أن تسبيح ما فى السموات مغاير لتسبيح ما فى الأرض، وكذا ما يسرونه مغاير لما يعلنونه لأن المقصود منه تخويف المكلفين لا ثبوت إحاطة العلم فكرر الموصول لذلك ولما كان المقصود من قوله يعلم ما فى السموات والأرض ثبوت إحاطة العلم بذلك لم يكرر الموصول (قوله ألم يأتكم) استفهام توبيخ أو تقرير (قوله فذاقوا) عطف على كفروا عطف مسبب على سبب (قوله أى عذاب الدنيا) أى والآخرة فاسم الاشارة عائد على ما ذكر (قوله فقالوا أبشر) عطف على كانت، والمعنى قال كل فريق من المذكورين فى حق رسولهم الذى أتاهم أبشر يهدينا وبهذا المعنى صح الجمع فى قوله أبشر يهدوننا وإلا فمقتضى الظاهر أن يقول يهدينا (قوله فكفروا) الفاء سببية، والمعنى كفروا بسبب هذا القول (قوله واستغنى الله) أى ظهر غناه عن إيمانهم لأنه لا ينفعه كما أن كفرهم لا يضره فكل من الكفر والايمان واقع بإرادة الله تعالى وهو المستغنى عن كل ما سواه فلا يسئل عما يفعل.

(سورة التغابن)

مكية أو مدنية، ثمان عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى ينزهه فاللام زائدة، وأتى بما دون من تغليبا للأكثر (لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) فى أصل الخلقة ثم يميتهم ويعيدهم على ذلك (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) إذ جعل شكل الآدمى أحسن الأشكال (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ. يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها من الأسرار والمعتقدات (أَلَمْ يَأْتِكُمْ) يا كفار مكة (نَبَأُ) خبر (الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) عقوبة كفرهم فى الدنيا (وَلَهُمْ) فى الآخرة (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (ذَٰلِكَ) أى عذاب الدنيا (بِأَنَّهُ) ضمير الشأن (كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) الحجج الظاهرات على الإيمان (فَقَالُوا أَبَشَرٌ) أريد به الجنس (يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا) عن الإيمان (وَاسْتَغْنَى اللَّهُ) عن إيمانهم (وَاللَّهُ غَنِيٌّ) عن خلقه (حَمِيدٌ) محمود فى أفعاله.

(زعم

(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ) مخففة واسمها محذوف، أى أنهم (لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ) القرآن (الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) اذكر (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ) يوم القيامة (ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) يغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم فى الجنة لو آمنوا (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ) وفى قراءة بالنون فى الفعلين (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) هى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بقضائه (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ) فى قوله إن المصيبة بقضائه (يَهْدِ قَلْبَهُ) للصبر عليها (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) البين (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) أن تطيعوهم فى التخلف عن الخير كالجهاد والهجرة فإن سبب نزول الآية الإطاعة فى ذلك،

(قوله زعم الذين كفروا الخ) الزعم ادّعاء العلم كذبا وهو يتعدى إلى مفعولين لجملة أن لن يبعثوا سادة مسدهما والمراد بهم أهل مكة (قوله مخففة) أى لاناصبة لئلا يتوالى ناصبان (قوله قل بلى) أى تبعثون لأن بلى يجاب بها النفى فيصير إثباتا فهى متضمنة للجواب وإنما أعاده توصلا لتوكيده بالقسم وعطف ما بعده عليه (قوله وذلك) أى المذكور من البعث والحساب (قوله فآمنوا بالله ورسوله) خطاب لكفار مكة والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر: أى إذا كان الأمر كذلك فآمنوا الخ (قوله القرآن) أى لأنه ظاهر فى نفسه مظهر لغيره (قوله ليوم الجمع) سمى بذلك لأن الله يجمع فيه بين الأولين والآخرين من الانس والجن وجميع أهل السماء والأرض (قوله يغبن المؤمنون الخ) أشار بذلك إلى أن التفاعل ليس على بابه فان الكفار إذا أخذوا منازل المؤمنين فى النار لو ماتوا كفارا ليس بغبن للمؤمنين بل هو سرور لهم، وما قاله المفسر مأخوذ من حديث «مامن عبد يدخل الجنة إلا رأى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا، وما من عبد يدخل النار إلا رأى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة» (قوله لو آمنوا) بيان للاضافة فى قوله منازلهم وأهليهم (قوله ومن يؤمن بالله الخ) كالبيان لوجه التغابن وتفصيل له، لأن فى ذلك ذكر منازل السعداء والأشقياء (قوله بالنون فى الفعلين) أى نكفر وندخل وعلى هذه القراءة ففيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله ذلك) أى المذكور من تكفير السيئات وإدخال الجنات (قوله ما أصاب) مفعوله محذوف: أى أحدا ومن مصيبة فاعل بزيادة من (قوله ومن يؤمن بالله) أى إيمانا خاصا وهو التصديق بأن كل شىء بقضاء وقدر (قوله فى قوله) أى فى قول القائل إن المصيبة بقضاء الله، والمعنى يكن قلبه مطمئنا مصدقا بهذا القول لامجرد قوله إنا لله وإنا إليه راجعون باللسان فلا يعطى به فضيلة الصبر على المصيبة (قوله يهد قلبه) أى للثبات والاسترجاع عند نزولها (قوله وأطيعوا الله) أى فى جميع الأوقات ولا تشغلكم المصائب عن الطاعة (قوله فان توليتم) شرط حذف جوابه تقديره فلا ضرر ولا بأس على رسولنا وقوله: فانما على رسولنا الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله الله لا إله إلا هو) مبتدأ وخبر وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون تحريض وحث للنبى على التوكل على الله والالتجاء إليه وفيه تعليم للأمة ذلك (قوله يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم الخ) أى بعضهم، والمراد بالأزواج مايشمل الذكور فكما أن الرجل تكون زوجته عدوا له كذلك المرأة يكون زوجها عدوا لها (قوله عدوا لكم) أى يشغلكم عن طاعة الله (قوله أن تطيعوهم) أشار بذلك إلى تقدير مضاف أى فاحذروا طاعتهم (قوله فان سبب نزول الآية الخ) علة لقوله كالجهاد والهجرة: أى فسبب نزول الآية أن رجالا أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يهاجروا إلى النبى، فمنعهم أزواجهم وأولادهم وقالوا: صبرنا على إسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم، فأطاعوهم وتركوا الهجرة. وقيل نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى كان ذا أهل وولد فأراد أن يغزو فبكوا إليه ورققوه وقالوا له إلى من تدعنا؟ فرق عليهم وأقام عن الغزو، وهذا معنى قول المفسر

كالجهاد والهجرة والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل فى ذلك جميع أنواع الطاعات. فلا يطيع الأزواج ولا الأولاد فى التكاسل عن أى طاعة كانت بل حقوق الله مقدمة على كل حق (قوله وإن تعفوا الخ) أى تتركوا عقابهم بترك الانفاق عليهم ، وذلك أنه من تخلف عن الهجرة والجهاد بسبب منع أهله وأولاده قد تنبه بعد ذلك فرأى غيره من الصحابة قد سبقه للخير ، فندم وعزم على عقاب أهله وأولاده بترك الانفاق عليهم فأنزل : وإن تعفوا الخ (قوله فى تثبيطهم) أى شغلهم إياكم وتكسيلهم لكم (قوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة) أى ابتلاء واختبار من الله لكم وهو أعلم بما فى نفوسكم منكم لكن ليظهر فى عالم الشهادة من يشغله ذلك عن الحق فيكون عليه نقمة ممن لا يشغله فيكون عليه نعمة ، وقدم المال لأن فتنته أشد ، ويكفى فى فتنته قصة ثعلبة بن حاطب النازل فيه قوله تعالى - ومنهم من عاهد الله - الآية. قال الحسن أدخل من التى للتبعيض فى قوله - إن من أزواجكم - الخ لأنهم كلهم ليسوا بأعداء بل البعض منهم ولم يدخلها فى قوله - إنما أموالكم - الخ لأنهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما ، فمن رجع إلى الله تعالى ولم يلتفت إلى ماله وولده وجاهد نفسه فقد فاز ، ومن تقبع الشغل بالمال والولد وافتتن بهما فقد هلك (قوله أجر عظيم) وهو الجنة (قوله ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته) أى ومعناها أن يطاع فلا يعصى

وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر ، ولذلك لما نزلت الآية قالت الصحابة : ومن يعرف قدر الله فيتقيه حق تقاته، وضايق بعضهم نفسه فى العبادة حتى تورمت قدماه من طول القيام فخفف الله عنهم ، فنزلت - فاتقوا الله ما استطعتم - وما قاله المفسر أحد قولين ، وقيل إنها ليست ناسخة بل مبينة لها فآية: اتقوا الله حق تقاته مجملة ، وآية: فاتقوا الله ما استطعتم مفصلة لها غير أن الاستطاعة مختلفة باختلاف الأشخاص فكل يبذل وسعه وطاقته فى طاعة ربه وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، فليست الاستطاعة فى الناس سواء ، وبالجملة فالتكاليف بهذه الآية لا بآية: اتقوا الله حق تقاته سواء قلنا إنها منسوخة أو محكمة (قوله خبر يكن) أو مفعول لفعل محذوف تقديره يؤتكم خيرا وهو الأولى لأن حذف كان واسمها مع بقاء الخبر إنما يكثر بعد إن ولو (قوله جواب الأمر) أى وهو قوله وأنفقوا (قوله ومن يوق شح نفسه) الشح كراهة فعل الخير والمعروف وينشأ عنه البخل والامساك (قوله إن تقرضوا الله قرضا حسنا) سماه قرضا ترغيبا فى الصدقة حيث جعلها الله قرضا له مع أن العبد إنما يقرض نفسه لأن النفع عائد عليه ، وفيه تنزل من الله تعالى لعباده حيث أعطاهم المال وأمرهم بالانفاق منه وسمى إنفاقهم قرضا له ، فمن إحسانه عليك خلق ونسب إليك ، وهذا الخطاب يعم الأغنياء والفقراء ، فالأغنياء مخاطبون بالاقراض فى بذل أموالهم وأنفسهم ، والفقراء مخاطبون بالاقراض فى بذل أنفسهم فهو تعليم لهم الاخلاص فى أعمالهم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله مجاز على الطاعة) أى بالكثير على القليل (قوله حليم فى العقاب على المعصية) أى فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه (قوله السر) أى ما فى القلوب وقوله والعلانية : أى ما أظهره الانسان (قوله العزيز) أى الغالب على أمره (قوله الحكيم فى صنعه) أى الذى يضع الشىء فى محله .

(وَإِنْ تَعْفُوا) عنهم فى تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم (وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) لكم شاغلة عن أمور الآخرة (وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فلا تفوتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) ناسخة لقوله : اتقوا الله حق تقاته (وَاسْمَعُوا) ما أمرتم به سماع قبول (وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا) فى الطاعة (خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ) خبر يكن مقدرة جواب الأمر (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بأن تتصدقوا عن طيب قلب (يُضَاعِفْهُ لَكُمْ) وفى قراءة يضعفه بالتشديد بالواحدة عشرا إلى سبعمائة وأكثر (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) مايشاء (وَاللَّهُ شَكُورٌ) مجاز على الطاعة (حَلِيمٌ) فى العقاب على المعصية (عَالِمُ الْغَيْبِ) السر (وَالشَّهَادَةِ) العلانية (الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه .

(سورة

[سورة الطلاق مدنية] (قوله ثلاث عشرة آية) هذا أحد أقوال في عدد آياتها ، وقيل اثنتا عشرة ، وقيل إحدى عشرة (قوله المراد وأمته) أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف الواو مع ماعطفت على حد : سرابيل تقيكم الحرّ ، وإنما اقتصر على خطاب النبيّ لأنه الرئيس الكامل وفي بعض النسخ المراد أمته أي أن لفظ النبيّ أطلق وأريد به أمته مجازا (قوله بقرينة مابعده) أي وهو الجمع في قوله طلقتم وفي قوله فطلقوهنّ (قوله أوقل لهم) هذا احتمال ثان في توجيه الخطاب وحصله أن المخاطب حقيقة هو النبيّ وحده ولكن حذف منه الأمر كأنه قال ياأيها النبيّ قل لأمتك الخ وفي الحقيقة يؤخذ من المفسر ثلاث احتمالات على اختلاف النسخ وبقي احتمال رابع وهو أن الخطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم أولا وآخرا بلفظ الجمع تعظيما وتفخيما ، وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة رضي الله عنها فأتت أهلها فأنزل الله تعالى عليه : ياأيها النبيّ إذا طلقتم النساء فطلقوهنّ لعدّتهنّ ، وقيل له راجعها فإنها صوّامة قوّامة وهي من أزواجك في الجنة ، وورد «تزوّجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش» وورد «لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله عزوجل لايحب الذواقين ولا الذواقات» وورد «ماحلف بالطلاق ولااستحلف به إلا منافق» (قوله أردتم الطلاق) دفع بذلك مايقال إن قوله : فطلقوهن تحصيل للحاصل والمراد بالنساء المدخول بهن ذوات الأقراء ، أما غير المدخول بهن فلاعدة عليهن بالكلية ، وأما ذوات الأشهر والحوامل فسيأتين (قوله لعدتهن) اللام للتوقيت كهي في قوله : أقم الصلاة لدلوك الشمس ، والمعنى طلقوهن في وقت يصلح فيه ابتداء عدتهن وهو ما أشار له بقوله بأن يكون الخ (قوله في طهر) أي وأما في الحيض فهو حرام بدليل أن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده وهو واقع لأن النهي إذا كان لأمر خارج لايستلزم الفساد وهنا كذلك لأن علة النهي تطويل العدة عليها (قوله لم تمس فيه) أي لم توطأ وهذا القيد لمنع الريبة فإنه ربما يحصل من ذلك الوطء حمل فتنتقل من الحيض لوضع الحمل وربما حاضت الحامل فحصل اللبس ، وحكم الطلاق في الطهر الذي مس فيه الكراهة عند مالك والحرمة عند الشافعي ولكن تحتسب به من العدة ولايجبر على الرجعة فيه (قوله رواه الشيخان) فقد رويا عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياأيها النبيّ إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهنّ (قوله احفظوها) أي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق ، والخطاب للأزواج ويدخل الزوجات فيه أيضا لأن الزوج يحصي العدة ليراجع وينفق ويتزوّج بأخت المطلقة ونحو ذلك وهي لتحل للأزواج ونحو ذلك (قوله لتراجعوا) أي وتنفقوا وتسكنوا (قوله لاتخرجوهنّ من بيوتهنّ الخ) المراد المساكن التي وقع الفراق فيها وهي بيوت الأزواج وأضيفت إليهنّ لاختصاصها بهنّ من حيث السكنى ، وجمع بين النهيين إشارة إلى أن الزوج لو أذن لها في الخروج لايجوز لها الخروج لأن العدة حق لله تعالى فلا يسقط بتراضيهما (قوله إلا أن يأتين الخ) الجملة حالية من فاعل لايخرجن ومفعول لاتخرجوهن ، والمعنى لايخرجن ولا تخرجوهن في حال من الحالات إلا في حال كونهن آتيات بفاحشة مبينة (قوله زنا) وقيل الفاحشة أن تبذو على أهل زوجها فيحل إخراجها لسوء خلقها (قوله بفتح الياء وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي بينت أوهي بينة) لف ونشر مرتب .

(سورة الطلاق)

مدنية ، ثلاث عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) المراد وأمّته بقرينة ما بعده أو قل لهم (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) أي أردتم الطلاق (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) لأولها ، بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه لتفسيره صلى الله عليه وسلم بذلك رواه الشيخان (وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ) احفظوها لتراجعوا قبل فراغها (وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ) أطيعوه في أمره ونهيه (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ) منها حتى تنقضي عدتهن (إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ) زنا (مُبَيَّنَةٍ) بفتح الياء وكسرها : أي بينت ، أو هي بينة فيخرجن لإقامة الحد عليهن ،

(قوله وتلك المذكورات) أى من قوله : فطلقوهنّ لعدّتهن الخ (قوله فقد ظلم نفسه) أى عرّضها للعقاب ، وقيل المراد بظلم نفسه الضرر الدنيوى الذى يلحقه بسبب تعديه ولايمكنه تداركه بدليل قوله : لاتدرى لعل الله الخ و إرادة العموم أولى (قوله لاتدرى لعل الله الخ) استئناف مسوق لتعليل ماتضمنته الجملة الشرطية ، والمراد بالأمر الذى يحدثه الله أن يقلب قلبه عما فعله بأن يرغب فى الرجعة و يندم على الطلاق والمقصود منه التحريض على طلاق الواحدة أوالثنتين وعدم ضررالزوجة بالفراق ليكون فى فسحة إذا غير الله الأحوال (قوله مراجعة) أى بأن يقلب قلبه من بغضها إلى حبها ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن عزمة الطلاق إلى الندم عليه ، و بالجملة فالذى ينبغى للعاقل إذا أراد الفراق أن يكون بالمعروف لأنه لايدرى مايخلقه الله فى قلبه بعد ذلك ، فاذا كان فراقه بالمعروف وحوّل الله الحال سهل له بعد ذلك الرجوع (قوله فاذا بلغن أجلهن) أى المطلقات طلاقا رجعيا المدخول بهن (قوله قاربن انقضاء عدتهن) أى فالكلام على سبيل المجاز (قوله فأمسكوهن بمعروف) أى بحسن عشرة و إنفاق وتحمل أذى وغير ذلك (قوله بأن تراجعوهنّ) تصوير للإمساك (قوله ولاتضاروهنّ بالمراجعة) بيان للمعروف فى الإمساك ، والمعنى أنه إذا أراد إمساكها راجعها لقصد بقاء الزوجية لالقصد ضررها ، والأوضح أن يقول فلاتضاروهن عندالفراق بأن تتكلموا فى حقهنّ ونحوذلك ، وأمامضارتهنّ بالإمساك فقد علم نفيها من قوله تعالى : فأمسكوهن بمعروف (قوله وأشهدوا ذوى عدل) أى صاحبى عدالة (قوله على الرجعة) أى لتظهر ثمرتها بعد ذلك فى الإرث إذا ماتت أومات وفيما إذا ادّعى الرجعة بعد (٢٠٤) انقضاء العـدة وأنكرت (قوله أوالفراق) أى الطلاق لتظهر ثمرة الاشهاد بعد ذلك إذا ادّعت عليه الطلاق وأنكر وهذا الاشهاد مندوب عند مالك وأبى حنيفة والشافعى فى أحد قوليه والآخر أنه واجب عند الرجعة مندوب عند الفراق (قوله وأقيموا الشهادة لله) أى لوجهه ولاتراعوا المشهود له ولا المشهود عليه ، و إنما حثّ على أداء الشهادة لما فيه من العسر على الشهود لأنه ربما يؤدى وفى

(وَتِلْكَ) المذكورات (حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ) الطلاق (أَمْرًا) مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) قاربن انقضاء عدتهن (فَأَمْسِكُوهُنَّ) بأن تراجعوهن (بِمَعْرُوفٍ) من غير ضرار (أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) اتركوهن حتى تنقضى عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة (وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) على الرجعة أو الفراق (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلهِ) لا للمشهود عليه أوله (ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) من كرب الدنيا والآخرة (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) يخطر بباله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) أى فى أموره (فَهُوَ حَسْبُهُ) كافيه (إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ) مراده ،

إلى أن يترك الشاهد مهماته وما فيه من عسر لقاء الحاكم الذى يؤدّى عنده وربما بعد مكانه وكان للشاهد عوائق (قوله ذلكم) أى المذكورمن أوّل السورة إلى هنا (قوله يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى وأما من لم يكن متصفا بذلك فهو لقساوة قلبه لايوعظ لأنه لم ينتفع به (قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا الخ) هذه الجملة اعتراضية فى أثناء الأحكام المتعلقة بالنساء إشارة إلى أنه لايصبرعلى تلك الأحكام ولايعمل بها إلاأهل التقوى والأحسن أن يراد من هذه العموم لاخصوص التقوى فى أمر النساء ، قال أكثرالمفسرين نزلت هذه الآية فى عوف بن مالك الأشجعى أسرالمشركون ابنا له يسمى سالما فأتى عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكى إليه الفاقة وقال إن العدوّ أسر ابنى وجزعت الأم فما تأمرنى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وآمرك و إياها أن تستكثرا من قول لاحول ولاقوة إلابالله العلىّ العظيم ، فعاد إلى بيته وقال لامرأته إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى و إياك أن نستكثرمن قول لاحول ولاقوة إلابالله العلىّ العظيم فقالت نعم ماأمرنا به فجعلا يقولان ففغل العدوّ عن ابنه فساق غنمهم وهى أربعة آلاف شاة واستاق من إبلهم خمسين بعيرا كما فى رواية وجاء بها إلىالمدينة فقال أبوه للنبىّ صلى الله عليه وسلم أيحل لى أن آكل مما أتى به ابنى فقال نعم ونزلت الآية (قوله ومن يتوكل على الله فهوحسبه) أى من فوّض أمره إليه كفاه ماأهمه والأخذ فىالأسباب لاينافى التوكل لأنه مأمور به لـكن لايستمدعلى تلك الأسباب (قوله إنّ الله بالغ أمره) أى فلابد من إنفاذ مراده حصل من الشخص توكل أم لا لـكن من توكل يكفرعنه سيئاته و يعظم له أجرا .

(قوله وفى قراءة بالاضافة) أى وهى سبعية أيضا (قوله قد جعل الله لكل شئ قدرا) أى تقديرا لايتعداه ولو اجتمعت جميع الخلائق على أن يتعدوه لايقدرون، وهذه الآية تستعمل لدفع كرب الدنيا والآخرة لما ورد فى الحديث « إنى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم - ومن يتق الله يجعل له مخرجا - فما يزال يقرؤها و يعيدها وورد أيضا «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لايحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها » ومعنى انقطع إلى الله أنه إذا اتقى وآثر الحلال والصبر على أهله فانه يفتح الله عليه إن كان ذا ضيق و يرزقه من حيث لايحتسب وورد أيضا «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب» [لطيفة] ذكر الأجهورى فى فضائل رمضان حكاية مناسبة للمقام ، وهى أن قوما ركبوا البحر فسمعوا هاتفا يقول من يعطينى عشرة آلاف دينار حتى أعلمه كلمة إذا أصابه غم أو أشرف على هلاك فقالها انكشف ذلك عنه فقام من أهل المركب رجل معه عشرة آلاف دينار فصاح أيها الهاتف أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وعلمنى فقال ارم بالمال فى البحر فرمى به فسمع الهاتف يقول إذا أصابك هم أو أشرفت على هلاك فاقرأ: ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لايحتسب إلى آخر الآية فقال جميع من فى المركب للرجل لقد ضيعت مالك فقال كلا إن هذه لعظة ما أشك فى نفعها، قال فلما كان بعد أيام كسر بهم المركب فلم ينج منهم غير ذلك الرجل فانه وقع على لوح وطرحه البحر على جزيرة قال فصعدت أمشى فيها فاذا بقصر منيف فدخلته فاذا فيه كل ما يكون فى البحر من الجواهر وغيرها و إذا بامرأة لم أر قط أحسن منها فقلت لها من أنت وأى شئ تعملين ههنا قالت أنا بنت فلان التاجر بالبصرة ، وكان أبى عظيم التجارة وكان لايصبر عنى ساعة فسافر بى معه فى البحر فانكسر مركبنا فاختطفت حتى حصلت فى هذه الجزيرة ، فخرج إلى شيطان من البحر فتلاعب بى سبعة أيام من غير أن يطأنى إلا أنه يلامسنى ويؤذينى ويتلاعب بى ثم ينظر إلى ثم ينزل فى البحر سبعة أيام وهذا يوم موافاته فاتق الله فى نفسك واخرج قبل موافاته و إلا أتى عليك، فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة

وفى قراءة بالإضافة (قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ) كرخاء وشدة (قَدْرًا) ميقاتا (وَاللَّائِي) بهمزة وياء وبلا ياء فى الموضعين (يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ) بمعنى الحيض (مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ) شككتم فى عدتهن (فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ) لصغرهن ،

فقالت قد والله جاء وسيهلكك، فلما قرب منى وكاد يغشانى قرأت الآية فاذا هو خر كقطعة جبل إلا أنه رماد محترق، فقالت المرأة هلك والله وكفيت أمره من أنت ياهذا الذى منّ الله علىّ بك؟ فقمت أنا وهى فانتخبنا ذلك الجوهر حتى حملنا كل ما فيه من نفيس وفاخر ولزمنا الساحل نهارنا فاذا كان الليل رجعنا إلى القصر قال وكان فيه كل مايؤكل فقلت لها من أين لك هذا قالت وجدته ههنا فلما كان بعد أيام رأينا مركبا بعيدا فلوحنا إليه فدخل فحملنا فسرنا يسيرا إلى البصرة فوصفت لى منزل أهلها فأتيتهم فقالوا من هذا فقلت رسول فلانة بنت فلان فارتفعت الناعية فقالوا ياهذا لقد جددت علينا مصابنا فقلت اخرجوا فخرجوا فأخذتهم حتى أتيت بهم إلى ابنتهم فكادوا يموتون فرحا وسألوها عن خبرها فقصته عليهم وسألتهم أن يزوجونى بها ففعلوا وجعلنا ذلك الجوهر رأس مال بينى و بينها ، وأنا اليوم أيسر أهل البصرة ، وهؤلاء أولادى منها انتهى (قوله واللائى يئسن الخ) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى - والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء - قال خلاد بن النعمان يارسول الله فما عدة التى لم تحض وعدة التى انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت واللاء اسم موصول مبتدأ و يئسن صلته ، وقوله من نسائكم حال من الضمير فى يئسن ، والشرط وجوابه خبره ، أو قوله فعدتهن خبره وجواب الشرط محذوف تقديره فاعلموا أنها ثلاثة أشهر والشرط وجوابه المقدر معترض بين المبتدإ وخبره والأول أحسن (قوله يئسن) أى وأول سن اليأس ستون سنة وما بين الخمسين والستين يسئل النساء فان جزمن بأنه حيض أو شككن فحيض و إلا فليس بحيض وما قبل الخمسين حيض قطعا (قوله شككتم فى عدتهن) أى جهلتم قدرها والقيد لبيان الواقع فلا مفهوم له بل عدتها ما ذكر سواء علموا أو جهلوا لكن الواقع فى نفس الأمر أن السائلين كانوا جاهلين بقدرها (قوله واللائى لم يحضن لصغرهن) أى عدم بلوغهن أوان الحيض كبنت تسع ومثل الصغيرة من لم تر الحيض أصلا وتسميها النساء البغلة، وأما معتادة الحيض وتأخر حيضها بلا سبب أو بسبب مرض أو استحيضت ولم تميز فانها تمكث عند مالك سنة بيضاء وتحل للأزواج ، ثم إن احتاجت لعدة بعد ذلك

كانت كالآيسة والصغيرة ، وأما من تأخر حيضها لرضاع أو استحيضت وميزت أو كان حيضها يأتى بعد سنة أو سنتين إلى خمس فلا تعتد إلا بالحيض فإن زادت عادتها عن خمس فالذى لأبى الحسن على المدونة أنها تعتد بسنة بيضاء من أول الأمر وقيل بثلاثة أشهر كالآيسة والصغيرة فليحفظ هذا المقام (قوله فعدتهن ثلاثة أشهر) أشار بذلك إلى أن قوله واللائى مبتدأ وجملة لم يحضن صلته والخبر محذوف قدره المفسر جملة والأولى تقديره مفردا بأن يقول مثلهن أو كذلك (قوله والمسئلتان) أى مسئلة الآيسة ومسئلة الصغيرة (قوله فى غير المتوفى عنهن) أى لما هنا مخصوص بآية البقرة (قوله وأولات الأحمال) مبتدأ وأجلهن مبتدأ ثان وأن يضعن خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول والأحمال جمع حمل بفتح الحاء كصحب وأصحاب اسم لما كان فى البطن أو على رأس الشجر وبالكسر اسم لما كان على ظهر أو رأس (قوله أو متوفى عنهن أزواجهن) أشار بذلك إلى بقاء عموم وأولات الأحمال فهو مخصص لآية يتربصن بأنفسهن أى ما لم يكن حوامل . وحاصل الفقه فى هذا المقام أن النساء قسمان مطلقات ومتوفى عنهن وفى كل إما حرائر أو إماء فعدة الحرة المدخول بها المطلقة ذات الحيض ثلاثة قروء واليائسة والصغيرة ثلاثة أشهر والأمة المدخول بها المطلقة ذات الحيض قرءان فإن كن حوامل فوضع الحمل حرة أو أمة وعدة المتوفى عنها إن كانت حرة أربعة أشهر وعشر مطلقا مدخولا بها أولا والأمة شهران وخمس ليال والحوامل وضع الحمل وانظر تفاصيل ذلك فى الفروع (قوله المذكور

فى العدة) أى فى تفاصيلها (قوله أنزله) أى بينه ووضحه

فعدتهن ثلاثة أشهر والمسئلتان فى غير المتوفى عنهن أزواجهن ، أما هن فعدتهن ما فى آية يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ) انقضاء عدتهن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن (أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) فى الدنيا والآخرة (ذَٰلِكَ) المذكور فى العدة (أَمْرُ اللَّهِ) حكمه (أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا . أَسْكِنُوهُنَّ) أى المطلقات (مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ) أى بعض مساكنكم (مِنْ وُجْدِكُمْ) أى سعتكم عطف بيان أو بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف : أى أمكنة سعتكم لا مادونها (وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) المساكن فيحتجن إلى الخروج أو النفقة فيفتدين منكم (وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ) أولادكم منهن (فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) على الإرضاع (وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ) وبينهن (بِمَعْرُوفٍ) بجميل فى حق الأولاد بالتوافق ،

على

(قوله ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته الخ) كرر التقوى لعلمه سبحانه وتعالى بأن النساء ناقصات عقل ودين فلا يصبر على أمورهن إلا أهل التقوى (قوله أسكنوهن الخ) هذا وما بعده بيان لما تتوقف عليه التقوى (قوله أى المطلقات) أخذ هذا التقييد من السياق وإلا فكل مفارقة يجب لها السكنى سواء كان فراقها بطلاق أو موت وإنما التفصيل فى النفقة (قوله أى بعض مساكنكم) أشار بذلك إلى أن من للتبعيض وهو أحد وجهين والثانى أنها لابتداء الغاية . والمعنى تسببوا إلى إسكانهن من الوجه الذى تسكنون أنفسكم فيه (قوله من وجدكم) بضم الواو باتفاق القراء وإن كان يجوز فيه التثليث لغة يقال وجد فى المال وجدا بضم الواو وفتحها وكسرها وجدة أيضا بالكسر أى استغنى (قوله بإعادة الجار) ظاهره أنه راجع للبيان والبدل وليس مناسبا لأن عطف البيان لم يعهد فيه تكرار العامل فالأولى رجوعه للبدلية (قوله لا مادونها) أى لا المساكن التى دون أمكنة سعتكم لنفاستها وارتفاع سعرها وإنما تكاليفه بالأئق بها على قدر سعته (قوله ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) أى بأن تفعلوا معهن فعلا يوجب خروجهن من المساكن (قوله فيفتدين) أى المطلقات حيث كن رجعيات فيلجئهن الأمر إلى كونها تفتدى منه ليبتها وتخلص منه (قوله وإن كن أولات حمل) أى وإن كن المطلقات الرجعيات أو البائنات ، وأما الحوامل المتوفى عنهن فلا نفقة لهن لاستغنائهن بالميراث (قوله فإن أرضعن لكم) هذا الحكم مفروض فى المطلقات كما هو مقتضاه ، وأما الزوجة فعند مالك يلزمها الارضاع بنفسها إن كان بها لبان وكان شأنها ذلك وأما مثل بنات الملوك فلا يلزمهن الارضاع وعند الشافعى لا يلزم الزوجة الارضاع مطلقا (قوله وائتمروا) أى ليأمر بعضكم بعضا بالمعروف .

(قوله على أجر معلوم) أى أجرة معلومة على قدر وسعه وحاله (قوله فسترضع له أخرى) فيه معاتبة الأم على ترك الارضاع
للعى فان امتنع الأب من دفع الأجرة للأم وتركت الأم الولد من غير إرضاع بنفسها فليطلب له الأب مرضعة أخرى ويجبر
على ذلك لئلا يضيع الولد فقوله فسترضع الخ خبر بمعنى الأمر والضمير فى له للأب بدليل فان أرضعن لكم والمفعول محذوف
للعلم به أى فسترضع الولد لوالده امرأة أخرى (قوله لينفق على المطلقات) أى اللاتى لم يرضعن وقوله والمرضعات أى المطلقات
وهذا التقييد أخذه من السياق وإلا فالزوجة كذلك . واعلم أن المطلقة طلاقا رجعيا لها النفقة باجماع المذاهب وأما بائنا
فلا نفقة لها عند مالك والشافعي وعند أبى حنيفة لها النفقة وكل هذا مالم تكن حاملا وإلا فلها النفقة باجماع وللمرضع أجرة
الرضاع باجماع أيضا كما يقضى بالسكنى للجميع باجماع (قوله من سعته) الكلام على حذف مضاف ومن بمعنى على أى على قدر
سعته، والمعنى أنه يجب على الأزواج النفقة على المطلقات والمرضعات والأزواج بقدر طاقته فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط
مد ونصف والمعسر مد هذا مذهب الشافعى ومذهب مالك يفرض لها قوت وإدام وكسوة ومسكن بقدر

على أجر معلوم على الإرضاع (وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ) تضايقتم فى الإرضاع فامتنع الأب من الأجرة
والأم من فعله (فَسَتُرْضِعُ لَهُ) للأب (أُخْرَى) ولا تكره الأم على إرضاعه (لِيُنْفِقْ)
على المطلقات والمرضعات (ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ) ضيق (عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ
مِمَّا آتَاهُ) أعطاه (اللَّهُ) على قدره (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ
بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) وقد جعله بالفتوح (وَكَأَيِّنْ) هى كاف الجر دخلت على أى بمعنى كم
(مِنْ قَرْيَةٍ) أى وكثير من القرى (عَتَتْ) عصت يعنى أهلها (عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا)
فى الآخرة وإن لم تجئ لتحقق وقوعها (حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا) بسكون
الكاف وضمها فظيعا وهو عذاب النار (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) عقوبته (وَكَانَ عَاقِبَةُ
أَمْرِهَا خُسْرًا) خسارا وهلاكا (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) تكرير الوعيد توكيد (فَاتَّقُوا
اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (الَّذِينَ آمَنُوا) نعت للمنادى أو بيان له (قَدْ أَنْزَلَ
اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) هو القرآن (رَسُولًا) أى محمدا صلى الله عليه وسلم منصوب بفعل
مقدر: أى وأرسل (يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ) بفتح الياء وكسرها كما تقدم (لِيُخْرِجَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) بعد مجىء الذكر والرسول (مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر الذى
كانوا عليه (إِلَى النُّورِ) الإيمان الذى قام بهم بعد الكفر (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ)

وسعه وحاله (قوله على قدره) أى فلا يكلف فوق طاقته (قوله سيجعل الله بعد عسر يسرا) فى هذا بشارة للفقراء: أى فلا تقنطوا بل عن قريب يحول الله حالكم إلى الغنى وفى الحديث «لن يغلب عسر يسرين» (قوله وقد جعله بالفتوح) أى فقد صدق الله وعده حيث فتح عليهم جزيرة العرب وفارس والروم حتى صاروا أغنى الناس، ولا خصوصية للصحابة بذلك بل العبرة بالعموم (قوله وكأين) مبتدأ ومن قرية تمييز لها وقوله عتت خبر (قوله بمعنى كم) أى فصار
المجموع بمعنى كم (قوله عتت) ضمنه معنى عرضت أو خرجت فعداه بعن (قوله يعنى أهلها) أى فأطلق لفظ القرية وأريد
أهلها مجازا من باب تسمية الحال باسم المحل (قوله لتحقق وقوعها) جواب عما يقال إن الحساب وما بعده إنما يحصل فى الآخرة
فما وجه التعبير بالماضى فأجاب بأنه عبر بالماضى لتحقق وقوعه (قوله حسابا شديدا) أى بالمناقشة والاستقصاء (قوله فظيعا)
أى شنيعا قبيحا (قوله تكرير الوعيد) أى المذكور فى الجمل الأربع، وهى قوله: فحاسبناها وعذبناها فذاقت وبال أمرها
وكان عاقبة أمرها خسرا (قوله أو بيان له) أى عطف بيان (قوله منصوب بفعل مقدر) هذا أحسن احتمالات تسع ذكرها
المفسرون، وقوله أى محمدا هو أحد أقوال ثلاثة فى تفسير الرسول وهو أحسنها، وقيل هو جبريل، وقيل هو القرآن
نفسه (قوله يتلوا عليكم) نعت لرسولا (قوله مبينات) حال من آيات (قوله كما تقدم) أى فى قوله بفاحشة مبينة من أن
المفتوح من المتعدى والمكسور من اللازم: أى بينها الله أو هى بينة فى نفسها (قوله ليخرج) متعلق بيتلوا فالضمير راجع
لمحمد صلى الله عليه وسلم أو متعلق بأنزل فالضمير عائد على الله تعالى وكل صحيح .

(قوله وفى قراءة بالنون) أى وهى سبعية أيضا (قوله خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود (قوله قد أحسن الله رزقا) أى عظيما عجيبا والجملة حال ثانية أو حال من الضمير فى خالدين فتكون متداخلة (قوله ومن الأرض مثلهن) عامة القراء على نصب مثلهن ووجهه أنه معطوف على سبع سموات أومفعول لمحذوف تقديره وخلق مثلهن من الأرض وقرئ شذوذا بالرفع على الابتداء والجار والمجرور خبره مقدم عليه (قوله يعنى سبع أرضين) اعلم أن العلماء أجمعوا على أن السموات سبع طباق بعضها فوق بعض. وأما الأرضون فالجمهور على أنها سبع كالسموات بعضها فوق بعض وفى كل أرض سكان من خلق الله وعليه فدعوة الاسلام مختصة بأهل الأرض العليا لأنه الثابت والمنقول ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم ولا أحد ممن بعده نزل إلى الأرض الثانية ولا غيرها من باقى الأرضين و بلغهم الدعوة وهل جعل الله لما تحت الأرض العليا ضوءا آخر غير الشمس والقمر أو يستمدون الضوء منهما؟ قولان للعلماء، وقيل إنها طباق ملزوقة بعضها ببعض وقيل ليست طباقا بل منبسطة تفرق بينها البحار وتظل الجميع السماء والأول هو الأصح (قوله ينزل به جبريل) أى بالوحى بمعنى التصريف، والمعنى أن أمر الله وقضاءه يجرى و ينزل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة فهو سبحانه وتعالى متصرف فى كل ذرة منها، وأما إن أريد بالوحى وحى التكاليف بالأحكام فالمراد بقوله بينهن: أى بين السموات السبع والأراضى السبع فيكون فوق الأرض وتحت السموات (قوله متعلق بمحذوف) أى على أنه علة له والمعنى حكمة إعلامه لكم بهذا الخلق صيرورتكم علماء بأن الله على كل شئ قدير الخ (قوله على كل شئ) أى من غير هذا العالم بحيث يمكن أن يخلق خلقا آخر أبدع من هذا العالم وهذا كله بالنظر للإمكان العقلى فلا يخالف ما نقل عن الغزالى من قوله ليس فى الامكان أبدع مما كان لأن معناه تعلق علم الله فى الأزل بأنه لا يخلق عالما غير هذا العالم فمن حيث تعلق العلم بعدمه صار غير ممكن لأنه لو وقع لانقلب العلم جهلا فهى استحالة عرضية وهناك أجوبة أخر ذكرناها فى كتابة الجوهرة حيث

وفى قراءة بالنون (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) هو رزق الجنة التى لاينقطع نعيمها (اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) يعنى سبع أرضين (يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ) الوحى (بَيْنَهُنَّ) بين السموات والأرض ينزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة (لِتَعْلَمُوا) متعلق بمحذوف أى أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل (أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)

(سورة التحريم)

مدنية، اثنتا عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) من أمتك مارية القبطية لما واقعها فى بيت حفصة وكانت غائبة فجاءت وشق عليها كون ذلك فى بيتها وعلى فراشها

[سورة التحريم] وتسمى سورة النبى صلى الله عليه وسلم (قوله مدنية) أى كما هو قول الجميع (قوله يا أيها النبى لم تحرم الخ) هذا الخطاب مشعر بأنه صلى الله عليه وسلم على غاية من التفخيم والتعظيم حيث عاتبه على إتعاب نفسه والتضييق عليها من أجل مرضاة أزواجه كأن الله تعالى يقول له لاتتعب نفسك فى مرضاة أزواجك بل أرح نفسك ولاتتعبها وأزواجك يسعين فى مرضاتك فان سعين فى مرضاتك سعدن و إلافلا (قوله من أمتك مارية القبطية) هذا قول أكثر المفسرين. ومحصله أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله فى زيارة أبويها فأذن لها فلما خرجت أرسل إلى جاريته مارية القبطية التى أهداها له المقوقس ملك مصر، فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها، فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج النبى ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى، فقال لها ما يبكيك فقالت إنما أذنت لى من أجل ذلك أدخلت أمتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى على فراشى أما رأيت لى حرمة وحقا فقال أليست هى جاريتى قد أحلها الله لى وهى حرام على ألتمس بذلك رضاك ولا تخبرى بهذا امرأة منهن، فلما خرج قرعت حفصة الجدار الذى بينها و بين عائشة، فقالت ألا أبشرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية و إن الله قد أراحنا منها وأخبرتها بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم، وقيل إن الذى حرمه

على نفسه هو شرب العسل وهو ما في الصحيحين لما روي عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلواء والعسل وكان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو من كل واحدة منهن ، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس ، فسألت عن ذلك ، فقيل لي أهدت إليها امرأة من قومها عكة عسل ، فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة ، فقلت والله لنحتالن له ، فذكرت ذلك لسودة وقلت لها إذا دخل عليك ودنا منك فقولي له يارسول الله أكلت مغافير بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء جمع مغفور بالضم كعصفور : أي صمغا حلوا له رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون في الحجاز له رائحة كرائحة الخمر فإنه سيقول لك لا ، فقولي له وما هذه الريح ؟ وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه الريح الكريه ، فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل ، فقولي له أكلت نحله العرفط حتى صار فيه : أي في العسل ذلك الريح الكريه ، وإذا دخل علي فسأقول له ذلك وقولي أنت ياصفية ذلك ، فلما دخل على سودة قالت له مثل ما علمتها عائشة وأجابها بما تقدم ، فلما دخل على صفية قالت له مثل ذلك ، فلما دخل على عائشة قالت له مثل ذلك ، فلما كان اليوم الآخر ودخل على حفصة قالت له يارسول الله ألا أسقيك منه ؟ قال لاحاجة لي به ، قالت إن سودة تقول سبحان الله لقد حرمناه منه ، فقال لها اسكتي» اه (قوله حيث قلت) ظرف لقوله لم تحرم أو تعليل له (قوله تبتغي مرضات أزواجك) حال من فاعل تحرم ، والمعنى لاينبغي لك أن تشتغل بما يرضي (٢٠٩) الخلق بل اللائق أن أزواجك

حيث قلت حرام علي (تَبْتَغِي) بتحريمها (مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ) أي رضاهن (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) غفر لك هذا التحريم (قَدْ فَرَضَ اللَّهُ) شرع (لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ) بتحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة ، ومن الأيمان تحريم الأمة وهل كفر صلى الله عليه وسلم ؟ قال مقاتل: أعتق رقبة في تحريم مارية. وقال الحسن: لم يكفر لأنه صلى الله عليه وسلم مغفور له (وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ) ناصركم (وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . وَ) اذكر (إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ) هي حفصة (حَدِيثًا) هو تحريم مارية وقال لها لاتفشيه (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ) عائشة ظنا منها أن لاحرج في ذلك (وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ) أطلعه (عَلَيْهِ) على المنبأ به (عَرَّفَ بَعْضَهُ) لحفصة (وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) تكرما منه (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) أي الله (إِنْ تَتُوبَا) أي حفصة وعائشة (إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) مالت إلى تحريم مارية ،

وسائر الخلق تسعى في مرضاتك (قوله أي رضاهن) مصدر مضاف لفاعله أو مفعوله (قوله شرع) أي فالمراد بالفرض الشرع والمعنى بين وأظهر وجعل لكم تحلة أيمانكم والضمير عائد عليه وعلى أمته (قوله تحلة أيمانكم) مصدر حلل ككرم تكرمة فأصله تحللة فأدغم (قوله تحليلها بالكفارة الخ) أشار إلى أن التحلة تحليل اليمين فكأنه عقد وتحله بالكفارة (قوله ومن الأيمان تحريم الأمة) أي بقوله أنت علي حرام فتجب به كفارة يمين عند الشافعي وعند مالك التحريم في غير الزوجة لغو لايلزم به شيء ما لم يقصد به في الأمة عتقها وإلا فيلزمه عتقها ؛ وأما التحريم في الزوجة فعند الشافعي إن نوى به الطلاق وقع وإلا فيلزمه كفارة يمين وعند مالك يلزمه به الطلاق الثلاث إن كان مدخولا بها وواحدة في غير المدخول بها وإن لم ينو به حل العصمة (قوله قال مقاتل الخ) أي وبه أخذ الشافعي (قوله وقال الحسن لم يكفر الخ) أي وبه أخذ مالك والأصل عدم الخصوصية إلا لدليل (قوله والله مولاكم) أي متولي أموركم (قوله حديثا) أي ليس من الأحكام البلاغية (قوله وهو تحريم مارية) أي وأسر إليها أيضا أن أباها عمر وأبا عائشة أبا بكر يكونان خليفتين على الأمة بعده (قوله فلما نبأت به عائشة) قدره إشارة إلى أنه يتعدى إلى مفعولين الأول بنفسه والثاني بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف المفعول الأول للدلالة عليه (قوله ظنا منها) أي فهو باجتهاد منها فهي مأجورة فيه (قوله أطلعه عليه) أي على لسان جبريل فأخبره بأن الخبر قد أفشي (قوله على المنبأ به) أي وهو تحريم مارية ، والمناسب أن يقول على أنها قد أنبأت به (قوله عرّف بعضه) أي وهو تحريم مارية أو العسل (قوله وأعرض عن بعض) أي وهو أن أباها وأبا بكر يكونان خليفتين بعده ، وإنما أعرض عن ذلك البعض خوفا من أن ينتشر في الناس فربما أثاره بعض المنافقين حسدا (قوله تكرما منه) أي وحياء وحسن عشرة (قوله قالت من أنبأك هذا) أي وقد ظنت أن عائشة هي التي أخبرته .

(قوله أى سركما ذلك مع كراهة النبى له) أى رغبة الأمر الذى يكرهه النبى صلى الله عليه وسلم زيغ وميل عن الحق (قوله وجواب الشرط محذوف) أى فقوله فقد صغت قلوبكما تعليل للشرط ، والمعنى إن تتوبا إلى الله من أجل ميل قلوبكما تقبلا (قوله ولم يعبر به) أى فيقول قلباكما (قوله فيما هو كالكلمة الواحدة)أى لأن بين المضاف والمضاف إليه علقة وارتباطا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله فان الله هو مولاه) تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلايعدم ناصرا فان الله الخ (قوله فصل) أى ضمير فصل لامحل له من الاعراب (قوله وصالح المؤمنين) اسم جنس لاجمع ولذلك يكتب من غير واو بعد الحاء ويصح أن يكون جمعا بالواو والنون حذفت النون للاضافة وكتب بدون واو اعتبارا بلفظه لأن الواو ساقطة لالتقاء الساكنين نحو سندع الزبانية (قوله معطوف على محل اسم إن) أى قبل دخول الناسخ وهذا على بعض مذاهب النحويين ويجوز أن يكون جبريل مبتدأ ومابعده عطف عليه وظهير خبر الجميع (قوله والملائكة بعد ذلك ظهير) أخبر بالمفرد عن الجمع لأن فعيلا يستوى فيه الواحد وغيره . إن قلت إن نصرة الله هى الكفاية العظمى وما الحكمة فى ضم ما بعدها إليها . قلت تطييبا لقلوب المؤمنين وتوقيرا لجانب الرسول (قوله عسى ربه إن طلقكن الخ) سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما أشاعت حفصة ما أسرها به اغتم صلى الله عليه وسلم وحلف أن لايدخل عليهن شهرا مؤاخذة لهن ، ومكث الشهر فى بيت مارية ، فلما مضت تسع وعشرون ليلة بدأ بعائشة فدخل عليها ، فقالت له إنك أقسمت على شهر و إنك دخلت فى تسع وعشرين ليلة ، فقال لها هذا الشهر تسع وعشرون ليلة

ولما بلغ عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وشاع عند الناس أنه طلقهن أتاه فوجده فى مشربة . قال عمر : فدخلت على حفصة وهى تبكى ، فقلت أطلقكن رسول الله ؟ قالت لاأدرى هاهوذا معتزل فى هذه المشربة ، فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت فسلمت عليه فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر فى جنبه فقلت يارسول الله أطلقت نساءك ؟ فرفع رأسه إلىّ وقال لا ، فقلت الله أكبر لو رأيتنا يارسول الله وكنا معشر قريش ولم نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، فما زال يلاطفه بالكلام حتى تبسم وقال له يارسول الله لايشق عليك من أمر النساء ، فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبوبكر والمؤمنون معك . قال عمر وقلما تكلمت بكلام إلا رجوت الله يصدق قولى الذى أقوله ، فنزلت هذه الآية وآية ـ و إن تظاهرا عليه ـ الخ فاستأذن عمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه ، فأذن له فقام على باب المسجد ونادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله نساءه . قالت عائشة ثم بعد هذه القضية نزلت آية التخيير فبدأ بى فاخترته ، ثم خيرهن فاخترنه وآية التخيير هى قوله تعالى ـ يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها إلى قوله : عظيما ـ (قوله إن طلقكن) أى جميعا فلاينافى أنه وقع منه طلاق لحفصة طلقة واحدة وأمر بمراجعتها فطلاقه لها كالعدم فالتعليق إنما هو على تطليق الجميع مع عدم المراجعة والتبديل للكل لكونه مرتبا على تطليق الكل (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله خيرا منكن) أى بأن يطردكن ويأتى له بنساء أخر خير منكن إذ قدرة الله صالحة لرفع أقوام ووضع آخرين فلا يقال كيف تكون المبدلات خيرا منهن مع أنه لم يكن على وجه الأرض نساء خيرا منهن لأننا نقول قدرة الله صالحة لذلك إن حصل المعلق عليه وهو لم يحصل (قوله خبر عسى) أى جملة أن يبدله (قوله والجملة جواب الشرط) أى جملة عسى واسمها وخبرها . إن قلت إن هذه الجملة فعلها جامد والجملة إذا كانت كذلك ووقعت جواب شرط وجب اقترانها بالفاء فالمناسب أن تجعل دليل جواب

أى سرّ كما ذلك مع كراهة النبى صلى الله عليه وآله وسلم له وذلك ذنب ، وجواب الشرط محذوف: أى تقبلا ، وأطلق قلوب على قلبين ولم يعبر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة (وَإِنْ تَظَّاهَرَا) بإدغام التاء الثانية فى الأصل فى الظاء وفى قراءة بدونها : تتعاونا (عَلَيْهِ) أى النبى فيما يكرهه (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ) فصل (مَوْلَاهُ) ناصره (وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) أبو بكر وعمر رضى الله عنهما معطوف على محل اسم إن فيكونون ناصريه (وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ) بعد نصر الله والمذكورين (ظَهِيرٌ) ظهراء : أعوان له فى نصره عليكما (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ) أى طلق النبى أزواجه (أَنْ يُبَدِّلَهُ) بالتشديد والتخفيف (أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ) خبر عسى ، والجملة جواب الشرط ،

محذوف (قوله ولم يقع التبديل) جواب عما يقال إن الترجي في كلام الله للتحقيق مع أنه لم يحصل هنا . فأجاب بأنه معلق على شرط وهو التطليق للكل ولم يطلقهن . وأجيب أيضا بأن عسى هنا للتخويف (قوله تائبات) أي راجعات عن الزلات والهفوات (قوله عابدات) أي خاضعات متذللات (قوله صائمات) هذا قول ابن عباس وسمي الصائم سائحا لأن السائح لازاد معه فلا يزال ممسكا إلى أن يجد مايطعمه فكذلك الصائم يمسك إلى أن يجيء وقت إفطاره (قوله أو مهاجرات) هذا قول الحسن (قوله ثيبات وأبكارا) أي بعضهن كذا و بعضهن كذا ودخلت الواو بين الوصفين لتغايرهما دون سائر الصفات والثيب من ثاب يثوب : أي رجع سميت بذلك لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام معها أو إلى غيره إن فارقها أو لأنها رجعت إلى بيت أبويها والأبكار جمع بكر وهي العذراء ، سميت بكرا لأنها على أول حالتها التي خلقت بها ، فمدح الثيبات من حيث إنها أكثر تجربة وعقلا وأسرع حبلا ، والبكر من حيث إنها أطهر وأطيب وأكثر مداعبة (قوله قوا أنفسكم) أي اجعلوا لها وقاية بفعل الطاعات واجتناب المعاصي وقوا أمر من الوقاية فوزنه عوا لأن فاءه حذفت لوقوعها في المضارع بين ياء وكسرة والأمر محمول عليه وحذفت اللام حملا له على المجزوم فأصله اوقيوا فحذفت الواو التي هي فاء الكلمة حملا على المضارع وحذفت همزة الوصل استغناء عنها لزوال الساكن الذي جيء به لأجله واستثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء وضم ماقبل الواو لتصح (قوله وأهليكم) أي مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم ، والمراد بالأهل النساء والأولاد وما ألحق بهما (قوله وقودها) أي ماتوقد به (قوله كأصنامهم) مثال للحجارة التي توقد النار بها (قوله منها) حال من الأصنام والضمير للحجارة (قوله عليها ملائكة) أي يتولى أمرها وتعذيب أهلها (قوله من غلظ القلب) أي قسوته فلا يرحمون أحدا لأنهم خلقوا من الغضب وحبب إليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم الطعام والشراب ، وقيل غلاظ الابدان لما روي « مابين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب » (قوله شداد في البطش) أي فقد روي أن من جملة قوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فتدفع الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم (قوله بدل من لفظ الجلالة) أي بدل اشتمال كأنه قال لايعصون أمره وفيه إشارة إلى أن مامصدرية (قوله و يفعلون مايؤمرون) أي به (قوله تأكيد) جواب عما يقال إن الجملة الأولى هي عين الجملة الثانية فلم كررها ، فأجاب بأنه كررها للتأكيد . وأجيب أيضا بأن مفاد الجملة الأولى أنهم لايقع منهم عصيان لأمر الله ولامخالفة ومفاد الجملة الثانية أن قضاء الله نافذ على أيديهم لايعوقهم عنه عائق بخلاف أهل طاعة الله في الدنيا قد يتخلف ما أمروا به لعجز أو نسيان مثلا فتغايرا بهذا الاعتبار (قوله والآية تخويف للمؤمنين) أي الخالصين وهو جواب عما يقال : إن هذا خطاب للمشركين فلأي شيء خوطب به المؤمنون ؟ فأجاب بأنه على سبيل التخويف للمؤمنين الخالصين والمنافقين الذين هم مؤمنون ظاهرا (قوله يقال لهم ذلك) أي ياأيها الذين كفروا الخ (قوله أي لأنه لاينفعكم) أي لأنه يوم الجزاء لايوم الاعتذار إذ قد فات زمنه (قوله أي جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف في قوله : ما كنتم تعملون (قوله يا أيها الذين آمنوا) أي اتصفوا بالإيمان (قوله بفتح النون) أي على أنه صيغة مبالغة كالشكور صفة لتوبة أي بلغت الغاية في الخلوص وقوله وضمها : أي فهو مصدر يقال نصح نصحا ونصوحا كشكر شكرا وشكورا وصفت به التوبة مبالغة على حد زيد عدل والقراءتان سبعيتان وقوله صادقة راجع لكل من القراءتين .

ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط (مُسْلِمَاتٍ) مقرات بالإسلام (مُؤْمِنَاتٍ) مخلصات (قَانِتَاتٍ) مطيعات (تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ) صائمات أو مهاجرات (ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ) بالحمل على طاعة الله (نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ) الكفار (وَالْحِجَارَةُ) كأصنامهم منها ، يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه (عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ) خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتي في المدثر (غِلَاظٌ) من غلظ القلب (شِدَادٌ) في البطش (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ) بدل من لفظ الجلالة : أي لا يعصون أمر الله (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) تأكيد ، والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد وللمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ) يقال لهم ذلك عند دخولهم النار : أي لأنه لاينفعكم (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أي جزاءه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً) بفتح النون وضمها : صادقة ،

بأن لا يعاد إلى الذنب ولا يراد العود إليه (عَسَى رَبُّكُمْ) ترجية تقع (أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ) بساتين (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ) بإدخال النار (النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أمامهم (وَ) يكون (بِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ) مستأنف (رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا) إلى الجنة، والمنافقون يطفأ نورهم (وَاغْفِرْ لَنَا) ربنا (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ) بالسيف (وَالْمُنَافِقِينَ) باللسان والحجة (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) بالانتهار والمقت (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) هي (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا) في الدين إذ كفرتا، وكانت امرأة نوح ــ واسمها واهلة ــ تقول لقومه إنه مجنون، وامرأة لوط ــ واسمها واعلة ــ تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلا بإيقاد النار ونهارا بالتدخين (فَلَمْ يُغْنِيَا) أي نوح ولوط (عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئًا) وقيل)

(قوله بأن لا يعاد إلى الذنب الخ) هذا أحد ثلاثة وعشرين قولا في تفسير التوبة النصوح كلها ترجع إلى ما استجمعت الشروط. واعلم أن التوبة مما لا يتعلق به حق لآدمي لها شروط ثلاثة: أن يقلع عن المعصية في الحال وأن يندم على ما فعله، وأن يعزم على أنه لا يعود، وإن كانت متعلقة بحق آدمي فيزاد على هذه الثلاثة رد المظالم إلى أهلها إن أمكن وإلا فيكفي استسماحهم وهي واجبة من كل ذنب كان كبيرة أو صغيرة بإجماع لما ورد «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة» وفي رواية «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» وورد «أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في التوبة (قوله ترجية تقع) أشار بذلك إلى أن هذا الترجي واجب الوقوع على القاعدة المتقدمة أن كل ترج من الله في القرآن واقع لكونه بمنزلة التحقيق وترجية كتزكية (قوله يوم لا يخزي الله النبي) إما منصوب بيدخلكم أو باذكر مقدرا (قوله والذين آمنوا) إما معطوف على النبي فالوقف على قوله معه ويكون قوله نورهم يسعى مستأنفا أو حالا أو مبتدأ خبره جملة نورهم يسعى (قوله ويكون بأيمانهم) قدره دفعا لما يتوهم من تسليط يسعى على الأيمان أنه وإن كان في جهتها إلا أنه بعيد عنها فأفاد أنه كما يكون في جهة الأيمان يكون قريبا منها وتقدم ذلك في سورة الحديد (قوله والمنافقون يطفأ نورهم) عطف سبب: أي أن سبب قول المؤمنين ماذكر أنهم يرون للمنافقين يتقد لهم نور في نظير إقرارهم بكلمة التوحيد فاذا مشوا طفئ فيمشون في ظلمة فيقعون في النار فاذا رأى المؤمنون هذه الحال سألوا الله دوامها حتى يوصلهم إلى الجنة والجنة لا ظلام فيها. إن قلت كيف يخافون من طفء نورهم مع أنهم آمنون لا يحزنهم الفزع الأكبر؟ أجيب بأن دعاءهم ليس من خوف ذلك بل تلذذا وطلبا لما هو حاصل لهم من الرحمة (قوله والمنافقين باللسان والحجة) إنما خصهم بذلك لأنه صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بقتالهم بالسيف لأنهم مسلمون ظاهرا والإسلام يقي من قتال السيف وإنما أمر بفضيحتهم وإخراجهم من مجلسه كما تقدم ذلك (قوله واغلظ عليهم) أي شدد عليهم في الخطاب ولا تعاملهم باللين (قوله بالانتهار) أي الزجر، وقوله والمقت: أي البغض والطرد (قوله ضرب الله مثلا) لما كان لبعض الكفار قرابة بالمسلمين ربما توهموا أنها تنفعهم وكان لبعض المسلمين قرابة بالكفار وربما توهموا أنها تضرهم ضرب الله لكل مثلا، وضرب بمعنى جعل فمثلا مفعول ثان مقدم، وقوله امرأة نوح الخ: أي حالهما مفعول أول أخر عنه ليتصل به ما هو تفسير وشرح لهما، والمعنى جعل الله حال هاتين المرأتين مشابها لحال هؤلاء الكفرة فالكفار اتصلوا بالنبي والمؤمنين ولم ينفعهم الاتصال بدون الإيمان والمرأتان كذلك (قوله امرأت نوح) ترسم امرأة في هذه المواضع الثلاثة وابنت بالتاء المجرورة وفي الوقف عليها خلاف بين القراء فبعضهم يقف بالتاء وبعضهم بالهاء (قوله كانتا تحت عبدين) أظهر في مقام الإضمار لتشريفهما بهذه النسبة والوصف بالصلاح (قوله فخانتاهما في الدين) أي لا في الزنا لما ورد عن ابن عباس أنه ما زنت امرأة نبي قط (قوله إذ كفرتا) تعليل لقوله فخانتاهما (قوله واسمها واهلة) بتقديم الهاء على اللام وقيل بالعكس، وقوله واعلة بتقديم العين على اللام وقيل بالعكس (قوله فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) أي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما عند الله عن زوجتيهما لما كفرتا من عذاب الله شيئا تنبيها بذلك على أن العذاب يدفع بالطاعة والامتثال لا بمجرد الصحبة (قوله شيئا) أي من الإغناء فهو مفعول مطلق أو مفعول به

(قوله وقيل لهما) التعبير بالماضي لتحقق الوقوع والقائل خزنة النار (قوله امرأت فرعون) أي جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في أن وصلة الكفرة لا تضر مع الإيمان (قوله آمنت بموسى) أي لما غلب السحرة وتبين لها أنه على الحق فأبدلها الله بسبب ذلك الإيمان أن جعلها في الآخرة زوجة خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وكذا زوجه الله في الجنة مريم بنت عمران لما ورد «أنه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي في الموت فقال لها: ياخديجة إذا لقيت ضراتك فأقرئيهن مني السلام، فقالت يارسول الله وهل تزوجت قبلي؟ قال لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وكلثوم أخت موسى، فقالت يارسول الله بالرفاء والبنين» وفي الحديث «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» (قوله واسمها آسية) بالمد وكسر السين، قيل إنها عمة موسى فتكون إسرائيلية، وقيل ابنة عم فرعون فتكون من العمالقة (قوله بأن أوتد يديها الخ) أي دق لها أربعة أوتاد في الأرض وشبحها فيها كل عضو بحبل (قوله وألقى على صدرها رحى الخ) في القصة أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة: قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فأبصرت البيت من مرمرة بيضاء وانتزعت روحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألما (قوله واستقبل بها الشمس) أي جعلها مواجهة للشمس وهو معطوف على قوله أوتد يديها وليس متأخرا عن إلقاء الرحى لأن إلقاء الرحى كان في آخر الأمر لما أيس من رجوعها عن الإيمان فالواو لا تقتضي ترتيبا (قوله ابن لي عندك) أي قريبا من رحمتك فالعندية عندية مكانة لا مكان (قوله وتعذيبه) عطف تفسير لعمله (قوله عطف على امرأت فرعون) أي فهي من جملة المثل الثاني، فمثل حال المؤمنين بامرأتين كما مثل حال الكفار بامرأتين (قوله حفظته) أي عن الرجال فلم يصل إليها أحد بنكاح ولا بزنا (قوله أي جبريل) تفسير لروحنا (قوله حيث نفخ الخ) بين به أن الإسناد في نفخنا من حيث إنه الخالق والموجد والإسناد لجبريل من حيث المباشرة (قوله بخلق الله) بيان لحقيقة الإسناد (قوله فعله) أي فعل جبريل وهو النفخ، وقوله الواصل إلى فرجها: أي بواسطة كونه في جيب القميص (قوله فحملت بعيسى) أي عقب النفخ فالنفخ والحمل والوضع في ساعة واحدة كما تقدم في سورة مريم (قوله وكتبه المنزلة) أي في زمانها كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم (قوله وكانت من القانتين) أي معدودة منهم وفيه إشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين (قوله أي من القوم المطيعين) أي وهم رهطها وعشيرتها لأنها من أهل بيت صالحين من أعقاب هارون أخي موسى عليهما السلام.

[سورة الملك] وتسمى أيضا الواقية والمنجية والمانعة لأنها تقي صاحبها وتنجيه من عذاب القبر والقيامة، وتسمى أيضا المجادلة لأنها تجادل عن صاحبها في القبر، وورد في فضلها أحاديث كثيرة: منها قوله صلى الله عليه وسلم «إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل يوم القيامة فأخرجته من النار وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك» ومنها «إذا وضع الميت في قبره يؤتى من قبل رجليه فتقول رجلاه ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس

وَقِيلَ) لهما (ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) من كفار قوم نوح وقوم لوط (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ) آمنت بموسى، واسمها آسية، فعذبها فرعون بأن أوتد يديها ورجليها وألقى على صدرها رحى عظيمة واستقبل بها الشمس فكانت إذا تفرق عنها من وكل بها ظللتها الملائكة (إِذْ قَالَتْ) في حال التعذيب (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) فكشف لها فرأته فسهل عليها التعذيب (وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) وتعذيبه (وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أهل دينه فقبض الله روحها. وقال ابن كيسان: رفعت إلى الجنة حية فهي تأكل وتشرب (وَمَرْيَمَ) عطف على امرأت فرعون (ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) حفظته (فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها بخلق الله تعالى فعله الواصل إلى فرجها فحملت بعيسى (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا) شرائعه (وَكُتُبِهِ) المنزلة (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) أي من القوم المطيعين.

(سورة الملك)

مكية، ثلاثون آية

لكم عليه سبيل لأنه كان يقرأ في سورة الملك ، ثم قال هي المانعة من عذاب الله وهي في التوراة سورة الملك من قرأ بها في ليلة فقد أكثر وأطنب » أي من الخير ، ومنها « وددت أن تبارك الملك في قلب كل مؤمن » (قوله تنزه عن صفات المحدثين) أي تعاظم بجلاله وجماله عن أوصاف المخلوقات أزلا وأبدا (قوله السلطان) أي الاستيلاء والتمكن التام من سائر الموجودات فيتصرف فيها كيف شاء ، والأوضح للمفسر أن يفسر اليد بالقدرة والملك بالمملوكات و إلا فإبقاء كلامه على ظاهره فيه ركة لا تخفى إذ يصير المعنى تبارك الذي بتصرفه التصرف ولا معنى له (قوله وهو على كل شيء قدير) تذييل لما قبله قصد به إفادة أن قدرته تعالى ليست قاصرة على تغيير الأحوال بل عامة التعلق بها بإيجاد الأعيان المتصرف فيها وتغييرها من حال إلى حال (قوله الذي خلق الموت الخ) شروع في تفاصيل بعض آثار القدرة . واعلم أنه اختلف في الموت والحياة ، فحكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل أن الموت والحياة جسمان ، فالموت في هيئة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه إلا مات ، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء وهي التي كان جبريل عليه السلام والأنبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء ولا يجد ريحها إلا حيي ولا تطأ على شيء إلا حيي وهي التي أخذ السامري من أثرها ترابا فألقاه على العجل فحيي ، فعلى هذا الحياة والموت أمران وجوديان وتقابلهما من تقابل الضدين ، وقيل الموت عدم الحياة فتقابلهما من تقابل العدم والملكة (قوله في الدنيا) أي وهو القاطع للحياة الدنيوية ، وقوله والحياة في الآخرة : أي وهي حياة البعث ، ولكن هذا القول لا يناسب ترتب الابتلاء عليه في قوله ليبلوكم لأن الابتلاء إنما يترتب على حياة الدنيا (قوله أوهما في الدنيا) أي فالمراد بالموت عدم الحياة السابق على الوجود ، والمراد بالحياة الحياة

الدنيوية (قوله وهي ما به الإحساس) تفسير للحياة على كل من القولين ، وقوله ما به الاحساس : أي فتكون صفة وجودية يلزمها الحس والحركة (قوله أو عدمها) أي عدم الحياة أعم من أن يكون سابقا عليها أو متأخرا عنها (قوله قولان) أي في تعريف الموت (قوله والخلق على الثاني) أي على القول الثاني في تعريف الموت وهو أنه عدم الحياة (قوله بمعنى التقدير) أي وهو يتعلق بالموجودات والمعدومات لأنه تعلق الإرادة والعلم الأزليان ، وأما على الأول فيتعلق به الخلق حقيقة لأنه أمر وجودي (قوله ليبلوكم) أي يعاملكم معاملة المبتلي والمختبر فاندفع ما قد يتوهم من ظاهر الآية أن علمه تعالى يتجدد بتجدد المعلومات (قوله أيكم أحسن عملا) أيكم مبتدأ وأحسن خبره وعملا تمييز والجملة في محل نصب مفعول ثان ليبلوكم و إنما علق يبلو عن المفعول الثاني لما فيه من معنى العلم فأجرى مجراه (قوله أطوع لله) هذا أحد تفاسير في قوله أحسن عملا ، وقيل أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله ، وقيل أحسن عملا أخلصه وأصوبه فالخالص إذا كان لله والصواب إذا كان على السنة ، وقيل غير ذلك (قوله الذي خلق سبع سموات) أي فالأولى من موج مكفوف ، والثانية من مرمرة بيضاء ، والثالثة من حديد ، والرابعة من نحاس أصفر ، والخامسة من فضة ، والسادسة من ذهب ، والسابعة من ياقوتة حمراء ، وبين السابعة والحجب صحارى من نور وهذا على بعض الروايات (قوله طباقا) إما جمع طبقة أو طبق أو مصدر طابق ، فالوصف به على الأول ظاهر وعلى الثاني مبالغة (قوله بعضها فوق بعض من غير مماسة) وكلها علوية لاغير وهذا مذهب أهل السنة ، وقال أهل الهيئة : إن الأرض كروية والسماء الدنيا محيطة بها إحاطة قشر البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالجميع وهكذا فالعرش محيط بالكل والأرض بالنسبة لسماء الدنيا كحلقة ملقاة في فلاة ، وسماء الدنيا بالنسبة للثانية كحلقة ملقاة في فلاة وهكذا ، واعتقاد ما قاله أهل الهيئة لا يضر وليس في الشرع ما يخالفه (قوله ما ترى في خلق الرحمن) خطاب للنبي عليه السلام أو لكل من يصلح للخطاب و إضافة خلق للرحمن من إضافة المصدر إلى فاعله والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله لهن أو لغيرهن .

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . تَبَارَكَ) تنزه عن صفات المحدثين (الَّذِي بِيَدِهِ) في تصرفه (الْمُلْكُ) السلطان والقدرة (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ) في الدنيا (وَالْحَيَاةَ) في الآخرة أو هما في الدنيا . فالنطفة تعرض لها الحياة، وهي ما به الإحساس والموت ضدها أو عدمها قولان والخلق على الثاني بمعنى التقدير (لِيَبْلُوَكُمْ) ليختبركم في الحياة (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) أطوع لله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) في انتقامه ممن عصاه (الْغَفُورُ) لمن تاب إليه (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقًا) بعضها فوق بعض من غير مماسة (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ) لهن أو لغيرهن

(من

(قوله من تفاوت) بألف بين الفاء والواو وبدونها مع تشديد الواو قراءتان سبعيتان ولغتان بمعنى واحد (قوله وعدم تناسب) أى اختلاف يخالف ماتعلقت به القدرة والارادة بل خلقه تعالى مستقيم متناسب على حسب تعلق قدرته وإرادته بخلاف صنع العبد فقد يأتى على خلاف مايريده (قوله فارجع البصر) أى إن أردت العيان بعد الاخبار فارجع فهو مرتب على قوله ماترى (قوله هل ترى من فطور) بادغام لام هل فى التاء وإظهارها قراءتان سبعيتان هنا وفى الحاقة (قوله صدوع وشقوق) أى فلا يطرأ على السماء مادامت الدنيا صدوع ولا شقوق لعدم تعلق إرادته بذلك فليست كبنيان الخلائق يتصدع وينشق بطول الزمان مع كون صانعه لايريد ذلك (قوله كرة بعد كرة) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد من قوله كرتين حقيقة التثنية بل التكثير بدليل قوله ينقلب إليك البصر الخ وانقلاب البصر خاسئا حسيرا لايتأتى بنظرتين ولا ثلاث فهو كقولهم لبيك وسعديك (قوله ينقلب) العامة على جزمه فى جواب الأمر وقرئ برفعه إما على أنه حال مقدرة أو مستأنف حذفت منه الفاء والأصل فينقلب (قوله ذليلا) أى خاضعا صاغرا متباعدا (قوله منقطع) أى بالغ الغاية فى الاعياء والتعب (قوله ولقد زينا السماء الدنيا الخ) شروع فى ذكر أدلة أخرى على توحيده سبحانه وتعالى وتمام قدرته وإرادته (قوله القربى إلى الأرض) أى التى هى أقرب إلى الأرض من باقى السموات فقربى صيغة تفضيل كما تقول هند فضلى النساء ولا يخالف ماتقدم من أن الكواكب ثابتة فى العرش أو الكرسى لأن السماء شفافة لاتحجب ماوراءها فتزيين السماء الدنيا بالكواكب لايقتضى أنها ثابتة فيها وهذا فى غير الكواكب السبعة التى أشار لها بعضهم بقوله :

زحل شرى مريخه من شمسه ... فتزاهرت لعطارد الأقمار

فانها مفرقة على السموات السبع فى كل سماء كوكب منها فزحل فى السابعة والمشترى فى السادسة والمريخ فى الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانيـة والقمر فى سماء الدنيا (قوله بنجوم) أشار بذلك إلى أنه أطلق المصابيح وأراد النجوم فهو مجاز وإلا فحقيقة المصباح السراج (قوله رجوما) جمع رجم مصدر أطلق على المرجوم به ولذا قال المفسر مراجم أى أمورا يرجم بها (قوله إذا استرقوا السمع) أى أرادوا استراقه (قوله بأن ينفصل شهاب الخ) جواب عما يقال إن الله تعالى جعل الكواكب زينة للسماء وذلك يقتضى ثبوتها وبقاءها فيها وجعلها رجوما يقتضى زوالها وانفصالها عنها فكيف الجمع بين الحالتين فأجاب بأنه ليس المراد أنهم يرمون بأجرام الكواكب بل بما ينفصل منها من الشهب وذلك كمثل القبس الذى يؤخذ من النار وهى على حالها (قوله أو يخبله) من الخبل بسكون الباء وهو الفساد فى العقل أو فى البدن (قوله لا أن الكوكب يزول عن مكانه) أى ففى الكلام حذف مضاف والتقدير وجعلنا شهبها رجوما الخ (قوله وأعتدنا) أى هيأنا وأحضرنا (قوله لهم) أى للشياطين (قوله عذاب السعير) أى فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (قوله وللذين كفروا) خبر مقدم وعذاب جهنم مبتدأ مؤخر. والمعنى لمن كفر من الانس والجن عذاب جهنم الخ (قوله إذا ألقوا فيها) معمول لسمعوا والجملة مستأنفة وقوله لها متعلق بمحذوف حال من شهيقا لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله صوتا منكرا) أى فتشهق جهنم عند إلقاء الكفار فيها كشهقة البغل للشعير وهذا ماعليه ابن عباس وقيل الشهيق من الكفار عند إلقائهم فيها وعليه فالكلام على حذف مضاف أى سمعوا لأهلها (قوله وقرئ تميز) أى شذوذا (قوله غضبا على الكفار) أى من أجل غضب سيدها وخالقها فتأتى يوم القيامة تقاد

(مِنْ تَفَاوُتٍ) تباين وعدم تناسب (فَارْجِعِ الْبَصَرَ) أعده إلى السماء (هَلْ تَرَى) فيها (مِنْ فُطُورٍ) صدوع وشقوق (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) كرة بعد كرة (يَنْقَلِبْ) يرجع (إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا) ذليلا لعدم إدراك خلل (وَهُوَ حَسِيرٌ) منقطع عن رؤية خلل (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا) القربى إلى الأرض (بِمَصَابِيحَ) بنجوم (وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا) مراجم (لِلشَّيَاطِينِ) إذا استرقوا السمع بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجنى أو يخبله لا أن الكوكب يزول عن مكانه (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) النار الموقدة (وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) هى (إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا) صوتا منكرا كصوت الحمار (وَهِيَ تَفُورُ) تغلى (تَكَادُ تَمَيَّزُ) وقرئ تتميز على الأصل: تنقطع (مِنَ الْغَيْظِ) غضبا على الكفار (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ) جماعة منهم

إلى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يقودونها به وهي من شدة الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الأزمة جميعها وتحطم على أهل المحشر فلا يردّها عنهم إلا النبيّ صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فترجع مع أن لكل ملك من القوة مالو أمر أن يقلع الأرض وماعليها من الجبال ويصعد بها في الجو لفعل من غير كلفة (قوله سألهم) أى سأل الفوج والجمع باعتبار معناه (قوله ألم يأتكم نذير) مفعول ثان لسأل . والمعنى سألهم عن جواب هذا الاستفهام (قوله قالوا بلى الخ) إنما جمعوا بين حرف الجواب والجملة المستفادة منه تأكيدا وتحسرا وندما على تفريطهم (قوله قد جاءنا نذير) هذا من كلام الفوج ، ومن المعلوم أن كل فوج له نذير يخصه (قوله فكذبنا) أى فتسبب عن مجيئه أننا كذبناه فيما جاء به من عند الله تعالى (قوله إلا في ضلال كبير) أى بعيد عن الحق (قوله يحتمل أن يكون) أى قوله إن أنتم الخ (قوله من كلام الملائكة) أى وعليه فقوله: إن أنتم إلا في ضلال كبير أى في الدنيا (قوله وأن يكون من كلام الكفار) أى من تمام كلام الكفار للنذر وهذا الاحتمال استظهره جمهور المفسرين (قوله وقالوا لو كنا نسمع الخ) أى زيادة في توبيخ أنفسهم (قوله ما كنا في أصحاب السعير) أى في عدادهم وهم الشياطين (قوله فسحقا) إما مفعول به أى

(سألهم خزنتها) سؤال توبيخ (ألم يأتكم نذير) رسول ينذركم عذاب الله تعالى (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن) ما (أنتم إلا في ضلال كبير) يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب وأن يكون من كلام الكفار للنذر (وقالوا لو كنا نسمع) أى سماع تفهم (أو نعقل) أى عقل تفكر (ما كنا في أصحاب السعير . فاعترفوا) حيث لا ينفع الاعتراف (بذنبهم) وهو تكذيب النذر (فسحقا) بسكون الحاء وضمها (لأصحاب السعير) فبعداً لهم عن رحمة الله (إن الذين يخشون ربهم) يخافونه (بالغيب) في غيبتهم عن أعين الناس فيطيعونه سراً فيكون علانية أولى (لهم مغفرة وأجر كبير) أى الجنة (وأسروا) أيها الناس (قولكم أو اجهروا به إنه) تعالى (عليم بذات الصدور) بما فيها فكيف بما نطقتم به ، وسبب نزول ذلك أن المشركين قال بعضهم لبعض أسروا قولكم لا يسمعكم إله محمد (ألا يعلم من خلق) ما تسرون أى أينتفي علمه بذلك (وهو اللطيف) في علمه (الخبير) فيه ؟لا (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا) سهلة للمشي فيها ،

ألزمهم الله سحقا أو مصدر عامله محذوف تقديره سحقهم الله سحقا فناب المصدر عن عامله والسحق البعد يقال سحق الشيء بالضم بوزن بعد فهو سحيق أى بعيد وأسحقه الله أبعده (قوله بسكون الحاء وضمها) أى فهما سبعيتان (قوله في غيبتهم عن أعين الناس) أشار بذلك إلى أن قوله بالغيب حال من الواو في يخشون والباء بمعنى في والمعنى يخشى الله في حال غيبته عن الناس بحيث يطيع ربه ولم يطلع عليه أحد وإذا كان ذلك في حال سره واختفائه عن الناس فعلانيته أولى لأن العادة أن الإنسان يستتر في المعصية عن أعين الناس وإن لم يخف الله (قوله لهم مغفرة) أى لذنوبهم (قوله وأجر كبير) أى لا يعلم قدره غير الله تعالى (قوله بما فيها) أى من الخواطر التي لا يتكلم بها (قوله فكيف بما نطقتم به) هذا من تمام الاستدلال على تساوي السر والجهر بالنسبة إلى علمه تعالى (قوله قال بعضهم لبعض) أى وذلك أنهم كانوا يتكلمون في شأن النبي بما لا يليق فأخبره جبريل بذلك فأخبرهم النبي به فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم الخ (قوله لا يسمعكم) مجزوم في جواب الأمر (قوله من خلق) من فاعل يعلم وقوله ما تسرون تنازعه كل من يعلم وخلق، والمعنى إذا كان خالقا للسر الذي هو من جملة مخلوقاته لزم أن يكون عالما به فكيف يدعون أنه لا علم له به (قوله أى أينتفي علمه الخ) أشار به إلى أن همزة الاستفهام داخلة على لا النافية (قوله وهو اللطيف الخبير) الجملة حالية وقوله لا أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري فهو نفي للنفي، فالمقصود إثبات إحاطة علمه بجميع الأشياء ظاهرها وخافيها (قوله هو الذي جعل لكم الأرض الخ) هذا من جملة أدلة توحيده وباهر قدرته وامتنانه على عباده (قوله ذلولا) أى مذللة منقادة لما تريدون منها من مشي عليها وزرع حبوب وغرس أشجار وغير ذلك (قوله سهلة للمشي فيها) أى بأن ثبتها بالجبال وجعلها من طين إذ لو جعلها من حديد أو ذهب أو رصاص لكانت تسخن جدا في الصيف وتبرد جدا في الشتاء فلا يستطاع المشي عليها . (فامشوا

(قوله فامشوا) أمر إباحة (قوله جوانبها) هذا أحد تفاسير لمناكب ، وقيل المناكب الجبال ، وقيل الأطراف ، وقيل الفجاج ه
فائدة : حكى قتادة عن أبى الجلد أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنا عشر ألفا وللروم ثمانية آلاف وللفرس ثلاثة آلاف والعرب ألف اه والظاهر أن المراد بها الأرض المعمورة ببنى آدم غير يأجوج ومأجوج لما تقدم لنا أن كورة الأرض خمسمائة عام (قوله المخلوق لأجلكم) أى لانتفاعكم به ، فحكمة خلق الأرزاق انتفاعهم بها (قوله وإليه النشور) أى الاخراج من القبور (قوله للجزاء) أى على أعمالكم (قوله وإدخال ألف بينها) أى بين الهمزة الثانية بقسميها وهما التحقيق والتسهيل ففى كلامه التنبيه على خمس قراآت سبعيات اثنتان فى التحقيق ومثلها فى التسهيل والخامسة الابدال (قوله من فى السماء سلطانه) أشار بذلك لجواب ورد على ظاهر الآية وحاصله أن الآية توهم أن الله تعالى فى مكان وهو السماء . فأجاب رضى الله عنه بأن الكلام على حذف مضاف للضمير المستكن فى الظرف ، والأصل من ثبت واستقر فى السماء هو أى سلطانه وقدرته أى محل سلطانه وهو العالم العلوى وخصه بالذكر وإن كان سلطانه فى العالم السفلى أيضا لأنه أعجب وأغرب فالتخويف به أشد (قوله أن يخسف الخ) أى بعد أن جعلها ذلولا تمشون فيها وتأكلون من رزقه

(فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) جوانبها (وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) المخلوق لأجلكم (وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) من القبور للجزاء (أَأَمِنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينها وبين الأخرى وتركه وإبدالها ألفا (مَنْ فِي السَّمَاءِ) سلطانه وقدرته (أَنْ يَخْسِفَ) بدل من مَن (بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) تتحرك بكم وترتفع فوقكم (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ) بدل من مَن (عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) ريحا ترميكم بالحصباء (فَسَتَعْلَمُونَ) عند معاينة العذاب (كَيْفَ نَذِيرِ) إنذارى بالعذاب : أى أنه حق (وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إنكارى عليهم بالتكذيب عند إهلاكهم : أى إنه حق (أَوَلَمْ يَرَوْا) ينظروا (إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ) فى الهواء (صَافَّاتٍ) باسطات أجنحتهن (وَيَقْبِضْنَ) أجنحتهن بعد البسط : أى وقابضات (مَا يُمْسِكُهُنَّ) عن الوقوع فى حال البسط والقبض (إِلَّا الرَّحْمَٰنُ) بقدرته (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) المعنى ألم يستدلوا بثبوت الطير فى الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ماتقدم وغيره من العذاب ؟ (أَمَّنْ) مبتدأ (هَٰذَا) خبره (الَّذِي) بدل من هذا (هُوَ جُنْدٌ) :

(قوله بدل من من) أى بدل اشتمال (قوله تتحرك بكم) أى فيقال مار تحرك وجاء وذهب (قوله أم أمنتم) إضراب وانتقال من تهديد إلى آخر (قوله من فى السماء) أى سلطانه وقدرته (قوله بدل من من) أى بدل اشتمال أيضا (قوله ريحا ترميكم الخ) هذا أحد تفاسير للحاصب ، وقيل هو الحجارة من السماء ، وقيل سحاب فيها حجارة (قوله عند معاينة العذاب) أى فى الآخرة أو عند خروج أرواحهم (قوله أى أنه حق) أى الانذار واقع ونافذ مقتضاه (قوله ولقد كذب الذين من قبلهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم أى فلا تحزن على تكذيبهم لك فقد سبقهم غيرهم بالتكذيب لأنبيائهم (قوله عند إهلاكهم) أى موتهم أو تعذيبهم فى الآخرة (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه ، والمعنى أغفلوا ولم يروا (قوله إلى الطير) يجمع على طيور وأطيار ، ومفرد الطير طائر فطيور وأطيار جمع الجمع (قوله صافات) حال ومفعوله محذوف قدره بقوله أجنحتهن وكذا قوله : ويقبضن (قوله أى وقابضات) أشار بذلك إلى أن الفعل مؤول باسم الفاعل معطوف على صافات والحكمة فى تعبيره ثانيا بالفعل ولم يقل وقابضات أن الأصل فى الطيران صف الأجنحة والقبض طارئ عليه فعبر عن الأصل باسم الفاعل وعن الطارئ بالفعل الذى شأنه الحدوث (قوله مايمسكهن إلا الرحمن) عبر بالرحمن إشارة إلى أنه من جلائل النعم وهذه الجملة مستأنفة (قوله إنه بكل شئ بصير) أى فيعلم الأشياء الدقيقة الغريبة فيدبرها على مقتضى مايريد (قوله أمن هذا الذى الخ) سبب نزول هذه الآية ومابعدها أن الكفار كانوا يمتنعون من الايمان ويعاندون رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمدين على شيئين : قوتهم بالأموال والعدد ، واعتقادهم أن أصنامهم توصل إليهم الخيرات وتدفع عنهم المضرات فأبطل الله الأول بقوله : أمن هذا الذى هو

جند لكم الخ وأبطل الثانى بقوله : أمن هـذا الذى يرزقكم الخ وأم هنا منقطعة تفسر ببل وحدها لدخولها على من الاستفهامية ولا يصح تفسيرها ببل والهمزة لئلا يدخل الاستفهام على مثله (قوله أعوان) أشار بذلك إلى أن جند لفظه مفرد ومعناه جمع (قوله يدفع عنكم عذابه) تفسير لقوله : ينصركم (قوله إن الكافرون إلا فى غرور) اعتراض مقرر لما قبله والالتفات عن الخطاب للغيبة إيذان بالاعراض عنهم والاظهار فى موضع الاضمار لذمهم بالكفر (قوله أمن هذا الذى يرزقكم) تكتب أم موصولة بمن فتكون ميما واحدة متصلة بالنون وكذا يقال فيما تقدم (قوله إن أمسك رزقه) أى أسباب رزقه التى ينشأ عنها (قوله أى المطر) أى والنبات وغير ذلك كباقى الأسباب (قوله بل لجوا الخ) إضراب انتقالى مبنى على مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل إنهم لم يتأثروا بتلك المواعظ ولم يذعنوا بل لجوا الخ (قوله أفمن يمشى مكبا الخ) هذا مثل ضرب به الله للمؤمن والكافر توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأنهما (قوله مكبا) اسم فاعل من أكب اللازم المطاوع لكب فكب من غير همز متعد يقال كبه الله ، وأما أكب فهو لازم يقال أكب أى سقط وهـذا على خلاف القاعدة المشهورة من أن الهمزة إذا دخلت على اللازم تصيره متعديا وهنا دخلت على المتعدى فصيرته لازما (قوله واقعا على وجهه)

أعوان (لَكُمْ) صلة الذى (يَنْصُرُكُمْ) صفة جند (مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ) أى غيره يدفع عنكم عذابه : أى لاناصر لكم (إِنِ) ما (الْكَافِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ) غرهم الشيطان بأن العذاب لاينزل بهم (أَمَّنْ هٰذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ) الرحمن (رِزْقَهُ) أى المطر عنكم ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله : أى فمن يرزقكم أى لارازق لكم غيره (بَلْ لَجُّوا) تمادوا (فِى عُتُوٍّ) تكبر (وَنُفُورٍ) تباعد عن الحق (أَفَمَنْ يَمْشِى مُكِبًّا) واقعا (عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِى سَوِيًّا) معتدلا (عَلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) وخبر من الثانية محذوف دل عليه خبر الأولى أى أهدى والمثل فى المؤمن والكافر : أى أيهما على هدى (قُلْ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ) خلقكم (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) ما مزيدة والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدا على هذه النعم (قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ) خلقكم (فِى الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) للحساب (وَيَقُولُونَ) للمؤمنين (مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ) وعد الحشر (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه (قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ) بمجيئه (عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الإنذار ، (فلما

أى لكونه أعمى ماشيا على غير طريق فهو معرض للهلاك (قوله أهـدى) أى متصف بالهـدى فأفعل التفضيل ليس على بابه كما يشير له المفسر بقوله أى أيهما على هدى (قوله وخبر من الثانيـة الخ) لاحاجة له بل من الثانية معطوفة على الأولى عطف مفردات والخبر قوله أهدى وأفرد لأن العطف بأم وهى لأحـد الشيئين (قوله والمثل فى المؤمن والكافر) أى فلا يستوى الأعمى الماشى على غير طريق والبصير الماشى فى الطريق المعتدلة لأن الأول معرض للهلاك والتلف بخلاف الثانى فتسوية الكفار لهما سخافة عقل وعدم تدبر والمذكور فى الآية هو المشبه به والمشبه محذوف لدلالة السياق عليه (قوله قل هو الذى أنشأكم) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم بأن يذكرهم بنعم الله تعالى عليهم ليرجعوا إليه فى أمورهم ولا يعوّلوا على غيره (قوله وجعل لكم السمع) أى لتسمعوا آيات الله وتتعظوا بها (قوله والأبصار) أى لتنظروا بها إلى مصنوعاته الدالة على انفراده بالخلق والتدبير (قوله والأفئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتبصرونه من الآيات العظيمة (قوله قليلا ماتشكرون) قليلا صفة مصدر محذوف أى شكرا قليلا ، والشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ماخلق لأجله ، فصرف النعم فى غير مصارفها كفر لها (قوله مامزيدة) أى لتأكيد القلة وهى على بابها بالنسبة للمؤمن ، أو بمعنى العدم بالنسبة للكافر (قوله قل هو الذى ذرأكم) أى أنشأكم وبثكم ونشركم (قوله وإليه تحشرون) أى تجمعون وتضمون للحساب (قوله ويقولون) أى استهزاء وتكذيبا (قوله إن كنتم صادقين) قصدوا بهذا الخطاب النبى والمؤمنين لأنهم مشاركون له فى الوعد وتلاوة الآيات وجواب الشرط محذوف أى فبينوا وقته (قوله بمجيئه) أى بوقت إتيانه (قوله بين الانذار) أى بسبب اقامة الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة .

(قوله فلما رأوه زلفة) مرتب على محذوف تقديره وقد أتاهم الموعود به فرأوه فلما رأوه الخ (قوله أى العذاب بعد الحشر) أى وهو العذاب فى الآخرة وهذا قول جمهور المفسرين فى مرجع الضمير فى رأوه وقيل هو عذاب بدر وقيل هو علمهم الشيء (قوله زلفة) اسم مصدر لأزلف ومصدره الازلاف (قوله قريبا) حال من مفعول رأوه (قوله سيئت) مبنى للمفعول والأصل ساء العذاب وجوههم، وأظهر فى مقام الاضمار تقبيحا وتسجيلا بوصف الكفر (قوله أى قال الخزنة لهم) أى توبيخا وتقريعا (قوله تدعون) من الدعوى ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله أنكم لاتبعثون والباء فى به سببية والمعنى فلما رأوا عذاب الآخرة قريبا منهم اسودّت وجوههم وقال لهم الخزنة هذا العذاب الذى كنتم بسبب إنذاركم وتخويفكم به ادعيتم عدم البعث وأنكرتم البعث (قوله وهذه حكاية حال الخ) اسم الاشارة عائد على قوله : فلما رأوه (قوله قل أرأيتم إن أهلكنى الله الخ) أرأيتم بمعنى أخبرونى تنصب مفعولين سدت الجملة الشرطية مسدهما، والمعنى قل لهم يامحمد وكانوا يتمنون موته صلى الله عليه وسلم إن أماتنى الله ومن معى من المؤمنين بعذابه أو رحمنا فلا فائدة لكم فى ذلك ولا نفع يعود عليكم لأنه لامجير لكم من عذاب الله تعالى (قوله كما تقصدون) حذف منه إحدى التاءين أى تتقصدون

وتنتظرون قال تعالى حكاية عنهم

(فَلَمَّا رَأَوْهُ) أى العذاب بعد الحشر (زُلْفَةً) قريبا (سِيئَتْ) اسودّت (وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَقِيلَ) أى قال الخزنة لهم (هٰذَا) أى العذاب (الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ) بإنذاره (تَدَّعُونَ) أنكم لاتبعثون ، وهذه حكاية حال تأتى عبر عنها بطريق المضى لتحقق وقوعها (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ اللهُ وَمَنْ مَعِىَ) من المؤمنين بعقابه كما تقصدون (أَوْ رَحِمَنَا) فلم يعذبنا (فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) أى لامجير لهم منه (قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ) بالتاء والياء عند معاينة العذاب (مَنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) بيّن أنحن أم أنتم أم هم (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) غائرا فى الأرض (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) جار تناله الأيدى والدلاء كمائكم : أى لايأتيكم به إلا الله تعالى فكيف تنكرون أن يبعثكم ؟ ويستحب أن يقول القارئ عقب معين: الله رب العالمين كما ورد فى الحديث، وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتى به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينه وعمى ، نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته .

أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون (قوله أى لامجير لهم منه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى ووضع الظاهر موضع الضمر تسجيلا عليهم بالكفر (قوله قل هو الرحمن) أى الذى أدعوكم إلى عبادته وطاعته (قوله آمنا به وعليه توكلنا) الحكمة فى تأخير مفعول آمنا وتقديم مفعول توكلنا أن الأول وقع فى معرض الرد على الكافرين فكأنه قال آمنا ولم نكفر كما كفرتم والثانى قدم مفعوله لافادة الحصر كأنه قال لا نتوكل على ماتوكلتم عليه من أموال ورجال وغير ذلك بل نقصر توكلنا على خالقنا (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله عند معاينة العذاب) أى فى الآخرة (قوله أنحن) أشار به إلى أن من استفهامية مبتدأ وهو ضمير فصل وجملة الظرف خبر المبتدإ والجملة بتمامها سدت مسد المفعولين لعلم المعلقة عن العمل بالاستفهام (قوله أم أنتم) راجع لقراءة الخطاب، وقوله أم هم راجع لقراءة الغيبة فالكلام على التوزيع (قوله إن أصبح ماؤكم) أى الكائن فى أيديكم ،وكان ماؤهم من بئر زمزم و بئر ميمون (قوله غائرا) أشار بذلك إلى أن المصدر مؤول باسم الفاعل (قوله معين) أصله معيون بوزن مفعول كمبيع نقلت ضمة الياء إلى العين قبلها فالتقى ساكنان الياء والواو حذفت الواو وكسرت العين لتصح الياء (قوله أى لايأتيكم به إلا الله) أى فلم تشركون به من لايقدر على أن يأتيكم به (قوله أن يقول القارئ) أى ولو فى الصلاة (قوله وعمى) عطف تفسير (قوله من الجراءة على الله) يقال اجترأ على القول بالهمز: أسرع بالهجوم عليه من غير توقف والاسم الجرأة بوزن غرفة وجراءة بوزن كراهة كما قال المفسر ويؤخذ منه أن العبد يؤاخذ بالكفر ولو على سبيل المزاح .

[سورة ن] وتسمى سورة القلم (قوله مكية) أى فى قول الجمهور والقول الآخر أن بعضها مكى و بعضها مدنى (قوله ن) يقرأ بفك الادغام من واو القسم و بادغامه وهما قراءتان سبعيتان وهو بسكون النون عند السبعة وقرئ شذوذا بالفتح والكسر والضم (قوله أحد حروف الهجاء) غرضه بهذه العبارة الرد على المخالف لأن منهم من قال إنه اسم مقتطع من اسمه الرحمن أو النصير أو الناصر أو النور فهو كسائر حروف الهجاء التى افتتح بها كثير من السور فهو من التشابه وقيل إنه الحوت الذى على ظهره الأرض وعليه فحرف القسم مقدر تقديره ونون والقلم . قال أصحاب السير والأخبار : لما خلق الله الأرض وفتقها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط إلى الأرض حتى دخل الأرضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقرت عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ومنخاراه فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر وإذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه: فتكن فى صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة فقيل كل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كونى فكانت

(سورة ن)

مكية ، اثنتان وخمسون آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ . نٓ) أحد حروف الهجاء ، الله أعلم بمراده به (وَالْقَلَمِ) الذى كتب به الكائنات فى اللوح المحفوظ (وَمَا يَسْطُرُونَ) أى الملائكة من الخير والصلاح (مَا أَنْتَ) يا محمد (بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) أى انتفى الجنون عنك بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها ، وهذا رد لقولهم إنه مجنون (وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ) مقطوع (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ) دين (عَظِيمٍ).

(قوله الذى كتب به الكائنات الخ) هذا أحد قولين والآخر أن المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به فى السماء والأرض قال تعالى وربك الأكرم الذى علم بالقلم لأن القلم نعمة كاللسان، عن ابن عباس: أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب قال ما أكتب قال اكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة ، وهو من نور طوله كما بين السماء والأرض (قوله أى الملائكة) يصح أن يراد بهم الملائكة الذين ينسخون المقادير من اللوح المحفوظ وأن يراد بهم الحفظة الذين يكتبون عمل الانسان فأقسم أولا بالقلم ثم بسطر الملائكة على ثلاثة أشياء : نفى الجنون عنه وثبوت الأجر له وكونه على خلق عظيم ، فالمقسم به شيئان أو ثلاثة بزيادة نون على أن المراد به الحوت (قوله ما أنت بنعمة ربك الخ) جواب القسم والباء فى بنعمة ربك سببية وفى بمجنون زائدة ومجنون خبر ما (قوله وهذا رد لقولهم مجنون) أى كما حكاه الله عنهم فى قوله: وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون (قوله وإن لك لأجرا غير ممنون) أى بل هو دائم جار مستمر لا ينقطع فهو صلى الله عليه وسلم دائما يترقى فى الكمالات فمقامه بعد وفاته أعظم منه فى حال حياته ومقامه فى الآخرة أعلى من مقامه فى الدنيا (قوله وإنك لعلى خلق عظيم) قال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين أحب إلىّ ولا أرضى عندى منه وهو دين الاسلام ، وقال الحسن هو آداب القرآن بدليل أن عائشة لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ولذا قال قتادة هو ما كان يأتمر به من أوامر الله وينتهى عنه من نهى الله تعالى . والمعنى إنك على الخلق الذى أمرك الله به فى القرآن وهذا أعظم مدح له صلى الله عليه وسلم ولذا قال العارف البوصيرى رضى الله عنه :

فهو الذى تم معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

(قوله فستبصر ويبصرون) أى فستعلم ويعلمون فى الدنيا بظهور عاقبة أمرك واستيلائك عليهم بالقتل والنهب ، ويوم القيامة حين يتميز الحق من الباطل (قوله بأيكم المفتون) بأيكم خبر مقدم والمفتون مبتدأ مؤخر والجملة فى محل نصب تنازعها كل من تبصر ويبصرون أعمل الثانى وأضمر فى الأول وحذف لأنه فضلة وليس قوله بأيكم متعلقا بيبصرون لأنه معلق بالاستفهام عن العمل (قوله مصدر كالمفعول) أى جاء على صيغة مفعول كالمعقول والميسور (قوله إن ربك الخ) تعليل لما قبله وتأكيد للوعد والوعيد (قوله له) أى للسبيل (قوله وأعلم بمعنى عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه وإلا لاقتضى مشاركة الحادث للقديم وهو باطل (قوله فلا تطع المكذبين) مرتب على ماتقدم من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ماتقدم من أول السورة (قوله تلين لهم) أى بترك نهيهم عن الشرك أو بأن توافقهم فيه أحيانا وقوله يلينون لك أى يتركون ماهم عليه من الطعن ويوافقونك . والمعنى تمنوا لو تترك بعض ما أنت عليه مما لايرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض مالا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك (قوله وهو معطوف الخ) أى فهو من جملة التمنى وحينئذ فيكون المتمنى شيئين ثانيهما مسبب عن الأول (قوله قدر قبله بعد الفاءهم) أى فيكون الجواب جملة اسمية لامحل لها من الاعراب وهذا جواب عما يقال حيث جعل قوله فيدهنون جواب التمنى والفاء سببية فمقتضاه حذف النون للناصب . فأجاب بأن الفاء داخلة على مبتدإ مقدر وجملة تدهنون خبره والجملة جواب التمنى (قوله

ولا تطع كل حلاف الخ) هذه

فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) مصدر كالمعقول : أى الفتون بمعنى الجنون : أى أبك أم بهم (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) له ، وأعلم بمعنى عالم (فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ . وَدُّوا) تمنوا (لَوْ) مصدرية (تُدْهِنُ) تلين لهم (فَيُدْهِنُونَ) يلينون لك وهو معطوف على تدهن وإن جعل جواب التمنى المفهوم من ودوا قدر قبله بعد الفاء هم (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ) كثير الحلف بالباطل (مَهِينٍ) حقير (هَمَّازٍ) عياب : أى مغتاب (مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) بخيل بالمال عن الحقوق (مُعْتَدٍ) ظالم (أَثِيمٍ) آثم (عُتُلٍّ) غليظ جاف (بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ) دعى فى قريش ، وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة ، قال ابن عباس : لانعلم أن الله وصف أحداً بما وصفه به ،

الأوصاف من هنا إلى قوله سنسمه على الخرطوم نزلت فى الوليد بن المغيرة وعليه جمهور المفسرين واقتصر عليه المفسر وقيل فى الأسود بن عبد يغوث وقيل فى الأخنس بن شريق وقيل فى أبى جهل ابن هشام (قوله كثير الحلف بالباطل) تفسير مراد أخذا له من قوله المكذبين ومن سياق الذم وإلا فالحلاف كثير الحلف بحق أو باطل (قوله حقير) أى فى رأيه وتدبيره عند الله تعالى فلا ينافى أنه كان معظما فى قومه (قوله عياب) أى كثير العيب للناس بمعنى أنه يعيبهم فى حضورهم وغيبتهم وقوله أى المغتاب المناسب كما فى بعض النسخ أن يقول أو مغتاب فيكون تفسيرا ثانيا من الغيبة وهى ذكرك أخاك بما يكره وقيل الهماز الذى يهمز الناس بيده ويضربهم (قوله بنميم) متعلق بمشاء والنميم مصدر كالنميمة أو اسم جنس للنميمة (قوله مناع للخير) أى من نفسه وغيره (قوله عن الحقوق) أى الواجبة والمندوبة (قوله ظالم) أى يتعدى الحق (قوله أثيم) أى فاجر يتعاطى الاثم (قوله غليظ) أى فى الطبع أو الجسم وقوله جاف أى قاسى القلب ، وقيل العتل الذى يعتل الناس أى يحملهم ويجرهم إلى ما يكرهون من حبس وضرب ومنه خذوه فاعتلوه (قوله بعد ذلك) أى ماذكر من الأوصاف السابقة وهى ثمانية وبعد هنا كثم التى هى للتراخى فى الرتبة . والمعنى أن هذا الوصف وهو زنيم متأخر فى الرتبة والشناعة عن الصفات السابقة أى هو أشنع منها وأقبح (قوله زنيم) الزنمة فى الأصل شئ يكون للمعز فى أذنها كالقرط فأطلق على المستلحق فى قوم ليس منهم فكأنه فيهم زنمة (قوله ادعاه أبوه) أى وهو المغيرة . والمعنى تبناه ونسبه لنفسه بعد أن كان لايعرف له أب (قوله بعد ثمانى عشرة سنة) أى من ولادته ولما نزلت الآية قال لأمه إن محمدا وصفنى بتسع صفات أعرفها غير التاسع منها فان لم تصدقينى الخبر ضربت عنقك فقالت له إن أباك عنين فخفت على المال فمكنت الراعى من نفسى فأنت منه فلم يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية وإنما ذم بذلك لأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الولد لماروى فى الحديث «لايدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده» وورد «إن أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة

في صورة القردة والخنازير» وورد «لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فإذا فشا فيهم ولد الزنا أوشك أن يعمهم الله بعذابه» وقال عكرمة: إذا كثر ولد الزنا قحط المطر (قوله من العيوب) بيان لما (قوله أن كان ذا مال الخ) سيأتي في الدر الكلام على ماله وبنيه (قوله وهو متعلق بما دل عليه الخ) أي وقد بينه بقوله أي كذب بها ولا يصح أن يكون معمولا لفعل الشرط لأن إذا تضاف للجملة بعدها والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف ولا يصح أن يكون معمولا لجواب الشرط لأن ما بعد أداة الشرط لا يعمل فيما قبلها (قوله قال أساطير) جمع أسطورة كأكاذيب جمع أكذوبة وزنا ومعنى (قوله بما ذكر) أي من المال والبنين (قوله وفي قراءة) أي سبعية أأن بهمزتين مفتوحتين الأولى همزة الاستفهام التوبيخي والثانية همزة أن المصدرية واللام مقدرة. والمعنى أكذب بها لأن كان ذا مال وبنين أي لا ينبغي ولا يليق ذلك منه لأن المال والبنين من النعم فكان ينبغي مقابلتهما بالشكر وقراءة الاستفهام فيها التحقيق من غير ألف والتسهيل مع إدخال ألف بينهما وتركه (قوله على الخرطوم) عبر به استهزاء بهذا اللعين لأن الخرطوم أنف السباع وغالب ما يستعمل في أنف الفيل والخنزير (قوله فخطم أنفه) أي جرح أنف هذا اللعين يوم بدر فبقي أثر الجرح في أنفه بقية عمره (قوله إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) هي بستان باليمن يقال له الصروان دون صنعاء بفرسخين وكان صاحبه ينادي الفقراء وقت الجذاذ ويترك لهم ما أخطأ المنجل من الزرع أو ألقته الريح أو بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخل وكان يجتمع لهم من ذلك شيء كثير فلما مات ورثه بنوه وكانوا ثلاثة وشحوا بذلك وقالوا إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن ذوو عيال فحلفوا على أن يجذوه قبل الشمس حتى لا تأتي الفقراء إلا بعد فراغهم وكانت قصتهم بعد عيسى ابن مريم بزمن يسير (قوله بالقحط) أي وهو احتباس المطر الذي دعا به صلى الله عليه وسلم عليهم حتى أكلوا الجيفة (قوله كما بلونا أصحاب الجنة) الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أو بمعنى الذي (قوله إذ أقسموا) إذ تعليلية متعلقة ببلونا والمراد معظمهم وإلا فالأوسط نهاهم عن ذلك وقال لهم اصنعوا من الإحسان ما كان يصنعه أبوكم (قوله يقطعون) أي فالصرم القطع والانصرام الانقطاع (قوله مصبحين) حال من فاعل ليصرمنها وهو من أصبح التامة أي داخلين في الصباح (قوله فلا يعطونهم) معطوف على النفي والذا رفع لا على المنفي لفساد المعنى (قوله ما كان أبوهم) أي القدر الذي كان أبوهم الخ وتقدم بيانه (قوله بمشيئة الله تعالى) أي لا يقولون في يمينهم إن شاء الله وقيل لا يستثنون شيئا للمساكين (قوله والجملة مستأنفة) أي وجوز بعضهم الحالية وهي أظهر في المعنى وإنما عدل المفسر عنه لأن المضارع المنفي بلا كالمثبت في أنه لا يقع حالا مقرونا بالواو إلا بإضمار مبتدأ وفيه كلفة (قوله وهم نائمون) الجملة حالية (قوله كالليل) سمي الليل صريما لانصرامه وانفصاله من النهار كما يسمى النهار صريما أيضا لانفصاله من الليل (قوله فتنادوا) معطوف على أقسموا وما بينهما اعتراض (قوله مصبحين) حال (قوله أن اغدوا) أي بكروا وقت الغدو وعداه بعلى لتضمنه معنى أقبلوا (قوله تفسير لتنادوا) أي فأن بمعنى أي (قوله دل عليه ما قبله) أي وتقديره فاغدوا (قوله فانطلقوا) معطوف على فتنادوا وقوله وهم يتخافتون حال

من العيوب فألحق به عاراً لا يفارقه أبداً وتعلق بزنيم الظرف قبله (أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ) أي لأن وهو متعلق بما دل عليه (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا) القرآن (قَالَ) هي (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أي كذب بها لإنعامنا عليه بما ذكر، وفي قراءة أأن بهمزتين مفتوحتين (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) سنجعل على أنفه علامة يعير بها ما عاش فخطم أنفه بالسيف يوم بدر (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع (كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) البستان (إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا) يقطعون ثمرتها (مُصْبِحِينَ) وقت الصباح كي لا يشعر بهم المساكين فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها (وَلَا يَسْتَثْنُونَ) في يمينهم بمشيئة الله تعالى والجملة مستأنفة: أي وشأنهم ذلك (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ) نار أحرقتها ليلا (وَهُمْ نَائِمُونَ. فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ) كالليل الشديد الظلمة: أي سوداء (فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ. أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ) غلتكم تفسير لتنادوا، أو أن مصدرية أي بأن (إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ) مريدين القطع وجواب الشرط دل عليه ما قبله (فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ) يتسارون، (أن

(قوله أن لايدخلنها الخ) أصل الكلام أن لا تدخلوها مسكينا فأوقع النهى على دخول المساكين لأنه أبلغ لأن دخولهم أعم من أن يكون بادخالهم أو بدونه (قوله وغدوا) أى ساروا إليها غدوة وقوله قادرين خبر غدوا إن كان بمعنى أصبح الناقصة وإن كانت تامة يكون منصوبا على الحال (قوله على حرد) الحرد فيه أقوال كثيرة أشهرها ماقاله المفسر. ومنها أن معناه الغضب ومنها السنة التى قل مطرها (قوله فى ظنهم) أى وأما فى الواقع فليس كذلك لهلاك الثمر عليهم ليلا (قوله قالوا إنا لضالون) أى قالوا ذلك فى بادى الرأى (قوله لما علموها) أى بعد التأمل والتفتيش (قوله بمنعنا) الباء سببية (قوله خيرهم) أى رأيا وعقلا ونفسا أنكر عليهم بقوله ألم أقل لكم الخ ومفعوله محذوف : أى ألم أقل لكم إن مافعلتموه لايرضى به الله (قوله هلا تسبحون الله) أى تستغفرونه وتتوبون إليه من حيث عزمكم (قوله قالوا سبحان ربنا) أى فامتثلوا وتابوا (قوله يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا على ماصدر منهم سابقا (قوله هلا كنا) أى إن لم يعف عنا ربنا فقد حضر هلا كنا (قوله عسى ربنا) رجوع منهم إلى الرجاء فى رحمة الله بعد التوبة (قوله بالتخفيف والتشديد) قراءتان سبعيتان (قوله روى أنهم بدلوا الخ) أى فأمر الله جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر بالزاى والغين المعجمتين بلدة بالشام ، بها عين غور ماؤها علامة خروج الدجال . ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها . قال

(أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ) تفسير لما قبله، أو أن مصدرية :أى بأن (وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ) منع للفقراء (قَادِرِينَ) عليه فى ظنهم (فَلَمَّا رَأَوْهَا) سوداء محترقة (قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ) عنها أى ليست هذه ثم قالوا لما علموها (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) ثمرتها بمنعنا الفقراء منها (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) خيرهم (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا) هلا (تُسَبِّحُونَ) الله تائبين (قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بمنع الفقراء حقهم (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ . قَالُوا يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا (إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ . عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا) بالتشديد والتخفيف (خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ) ليقبل توبتنا ويرد علينا خيرا من جنتنا ، روى أنهم أبدلوا خيرا منها (كَذَلِكَ) أى مثل العذاب لهؤلاء (الْعَذَابُ) لمن خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) عذابها ما خالفوا أمرنا . ونزل لما قالوا إن بعثنا نعطى أفضل منكم (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ . أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) .

ابن مسعود إن القوم أخلصوا وعلم الله منهم الصدق فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحدا ، وقال اليمانى أبو خالد دخلت تلك الجنة فرأيت منها كل العنقود كالرجل القائم الأسود (قوله كذلك) خبر مقدم والعذاب مبتدأ مؤخر (قوله أى مثل العذاب لهؤلاء) أى الذى بلونا به أصحاب الجنة من إهلاك ما كان عندهم يحصل لأهل مكة قال ابن عباس هذا مثل لأهل مكة حين خرجوا إلى بدر وحلفوا ليقتلون محمدا وأصحابه ويرجعون إلى مكة ويطوفون بالبيت ويشربون الخمر وتضرب القينات على رءوسهم فأخلف الله ظنهم فقتلوا وأسروا وانهزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا وضاعت صفقتهم وفيه تلطف بأهل مكة حيث ضرب لهم المثل بأهل الجنة كما لا يخفى (قوله ونزل لما قالوا الخ) ظاهره أن قولهم سبب لنزول إن للمتقين الخ وليس كذلك بل الآية سبب لقولهم المذكور فلما صدر منهم ذلك القول أنزل ردا عليهم أفنجعل المسلمين الخ. قال مقاتل لما نزل إن للمتقين الخ قال كفار مكة للمسلمين إن الله فضلنا عليكم فى الآخرة فان لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة فأجابهم الله تعالى بقوله أفنجعل المسلمين الخ (قوله جنات النعيم) أضيفت إلى النعيم لأنه ليس فيها إلا النعيم الخالص الذى لايشوبه كدر ولا نقص كجنات الدنيا (قوله أفنجعل المسلمين كالمجرمين) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين ، وفى العبارة قلب والأصل أفنجعل المجرمين كالمسلمين لأنهم جعلوا أنفسهم كالمسلمين بل أفضل فحينئذ يكون الانكار متوجها لجعلهم المذكور وقد وبخوا باستفهامات سبعة تنتهى لقوله أم لهم شركاء : أولها أفنجعل المسلمين ، ثانيها مالكم، ثالثها كيف تحكمون، رابعها أم لكم كتاب الخ، خامسها أم لكم أيمان الخ ، سادسها سلهم أيهم الخ، سابعها أم لهم شركاء الخ .

(قوله أي تابعين لهم في العطاء) المناسب أن يقول أي مساوين لهم في العطاء. بقي أن الآية إنما دلت على نفي المساواة مع أن المشركين ادعوا الأفضلية فلم تحصل الموافقة . أجيب بأنها دلت على نفي الأفضلية بالأولى لأنه إذا انتفت المساواة فالأفضلية أولى (قوله مالكم) مبتدأ وخبر. والمعنى : أي شيء ثبت واستقر لكم من هذه الأحكام البعيدة عن الصواب (قوله كيف تحكمون) جملة أخرى فالوقف على لكم استفيد من هذه الجملة السؤال عن كيفية الحكم هل هو عن عقل أولا (قوله أم لكم كتاب) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة فبل للاضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام التوبيخي التقريعي وكذا يقال فيما يأتي (قوله إن لكم فيه لما تخيرون) لكم خبر إن مقدم وما اسمها مؤخر واللام للتوكيد وهذه الجملة هي المدروسة في الكتاب فهي في المعنى مفعول لتدرسون وكسرت همزة إن لوقوع اللام المعلقة للفعل عن العمل بعدها قال ابن مالك :

وكسروا من بعد فعل علقا ... باللام كاعلم إنه لذو تقى

(قوله تختارون) أي تشتهون وتطلبون (قوله عهود) أي مؤكدة بالأيمان لأن العهد كلام مؤكد بالقسم (قوله بالغة) بالرفع في قراءة العامة نعت لأيمان وقرئ شذوذا بالنصب على الحال إما من أيمان أو من الضمير في علينا (قوله متعلق معنى بعلينا) أي متصل به وليس المراد التعلق الصناعي فانه مختص بالفعل أو مافيه رائحة الفعل أو بالمقدر في الظرف : أي هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة (٢٢٤) لا تخرج عن عهدتنا إلا يومئذ إذا حكمنا لكم (قوله وفي هذا الكلام) أي

أي تابعين لهم في العطاء (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الفاسد (أَمْ) أي بل أ(لَكُمْ كِتَابٌ) منزل (فِيهِ تَدْرُسُونَ) أي تقرءون (إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ) تختارون (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ) عهود (عَلَيْنَا بَالِغَةٌ) واثقة (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) متعلق معنى بعلينا وفي هذا الكلام معنى القسم: أي أقسمنا لكم وجوابه (إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ) به لأنفسكم (سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ) الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين (زَعِيمٌ) كفيل لهم (أَمْ لَهُمْ) أي عندهم (شُرَكَاءُ) موافقون لهم في هذا القول يكفلون لهم به فإن كان كذلك (فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ) الكافلين لهم به (إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) اذكر (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء ، يقال كشفت الحرب عن ساق : إذا اشتد الأمر فيها ،

قوله أم لكم أيمان الخ (قوله أي أقسمنا لكم) مفعوله محذوف أي أقسمنا لكم أيمانا موثقة (قوله سلهم أيهم بذلك الخ) سلهم ينصب مفعولين الأول الضمير المتصل والثاني جملة أيهم وأي مبتدأ وزعيم خبره ، وبذلك متعلق بزعيم (قوله أم لهم شركاء) لهم خبر مقدم وشركاء مبتدأ مؤخر وهذه الجملة معطوفة معنى على جملة أيهم بذلك زعيم . واختلف في الشركاء فقيل المراد بهم ناس غير يشاركونهم في القول المذكور وقيل المراد بها الأصنام وكلام المفسر محتمل لهما (قوله يكفلون لهم به) أي بصحته ونفوذه (قوله إن كانوا صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه (قوله اذكر) أشار بذلك إلى أن يوم معمول لمحذوف والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها وهذا أحد قولين والآخر أن الظرف متعلق بيأتوا والمعنى فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم تنفعهم وتشفع لهم (قوله هو عبارة الخ) أي هذا التركيب وهو يكشف عن ساق كناية عن الشدة فأصل هذا الكلام يقال لمن شمر عن ساقه عند العمل الشاق ويقال إذا اشتد الأمر في الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية ، فقال إذا خفي عليكم شيء من القرآن فاتبعوه في الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر:

سن لنا قومك ضرب الأعناق ... وقامت الحرب بنا على ساق

وقال الآخر :

ألا رب ساهي الطرف من آل مازن ... إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل المراد الحقيقة وعليه فاختلف . فقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل يكشف لهم الحجاب فيرون الله تعالى . ففي مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أن ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم . قال هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ؟ قالوا لا يارسول الله . قال فما تضارون في رؤية الله تعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد

غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار حتى لا يبقى إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر وغير أهل الكتاب ، فتدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله ، فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردّون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ؛ ثم يدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم ماذا تبغون ؟ فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى لا يبقى إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر أتاهم الله فى أدنى صورة من التى رأوه فيها . قال فماذا تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد . قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم و بينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون نعم فيكشف عن ساق ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحوّل فى صورته التى رأوه فيها أوّل مرة ، فقال أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا ، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحلّ الشفاعة ، و يقولون : اللهم سلم سلم ، قالوا يارسول الله ، وما الجسر ؟ قال دحض مزلقة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشدّ من شدّة لله فى استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين هم فى النار ، فيقولون : ربنا كانوا يصومون معنا و يصلون و يحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقه و إلى ركبته ، ثم يقولون ربنا ما بقى فيها **(٢٢٥)** أحد ممن أمرتنا به ، فيقال لهم ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير

... ...

فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون : ياربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا به أحدا ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون : ياربنا لم نذر فيها خيرا ، وكان أبو سعيد يقول : إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم ـ إنّ الله لا يظلم مثقال ذرة و إن تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما ـ فيقول الله : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصفر أو أخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض . قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين ، فيقول لكم عندى ما هو أفضل من هذا ؟ فيقولون : ربنا أىّ شىء أفضل من هذا ؟ فيقول رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبدا » .

تنبيه : قوله فى الحديث أتاهم الله فى أدنى صورة رأوه فيها الخ هو من المتشابه يجرى فيه مذهب السلف والخلف ، فالسلف يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد أن لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع اعتقادنا أن الله تعالى ليس كمثله شىء ، والخلف يؤوّلون الإتيان إما بالرؤية لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته أو بإتيان ملك فيقول أنا ربكم على سبيل الامتحان وهذا آخر امتحان المؤمنين ومعنى الصورة الصفة فمعنى فى أدنى صورة الخ فى غير الصفة التى يعرفونه بها فى الدنيا . وقولهم فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ، أى فارقنا الناس من أجل توحيدك حال كوننا مع المفارقة أفقر من أنفسنا عند صحبتهم فهو إخبار منهم بمزيد صبرهم على المشاق لأجل الله ، وقولهم نعوذ بالله منك إنما استعاذوا منه

لكونهم رأوا صفات المخلوق وقوله فيكشف عن ساق معناه كشف الحزن و إزالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الأهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم بالصفة التي يعرفونها فيخرّون سجدا وهذه الرؤية غير الرؤية التي هي في الجنة لكرامة أوليائه و إنما هذه الرؤية امتحان لعباده ، وقوله وقد تحوّل في صورته التي رأوه فيها أوّل مرة معناه أنه تحجب عنهم بالصفة التي رأوه فيها أوّل مرة وقوله ثم يضرب الجسر معناه الصراط وتحلّ الشفاعة بكسر الحاء وضمها معناه تقع و يؤذن فيها وقوله دحض مزلقة أي طريق تزلق فيه الأقدام ولا تثبت وقوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف الشيء والكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي يعلق بها اللحم والحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب ومعنى الحبر اليقين ومعنى قبض قبضة أي جمع جماعة وقوله قد عادوا حمما أي صاروا فحما وقوله في أفواه الجنة جمع فوهة وهي أوّل النهر وقوله فيخرجون كاللؤلؤ أي في الصفاء وقوله في رقابهم الخواتيم قيل معناه أنهم يعلقون أشياء من ذهب أو غير ذلك مما يعرفون بها والله أعلم (قوله و يدعون) أي الكفار (قوله امتحانا لإيمانهم) أي لا تكليفا بالسجود لأنها ليست دار تكليف (قوله طبقا واحدا) أي عظما واحدا (قوله أبصارهم) فاعل بخاشعة ونسب الخشوع والذلّ إليها لأن ما في القلب يعرف في العين ، وفي ذلك المقام يسجد المؤمنون شكرا لله تعالى على ما أعطوه من النعم فيرفعون رءوسهم من السجود ووجوههم أضوأ من الشمس ، ووجوه الكافرين والمنافقين سوداء مظلمة (قوله ترهقهم) حال أخرى (قوله وقد كانوا يدعون) أي دعوة تكليف والجملة حالية وكذا قوله وهم سالمون (قوله بأن لا يصلوا)

(وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ) امتحانا لإيمانهم (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) تصير ظهورهم طبقا واحدا (خَاشِعَةً) حال من ضمير يدعون : أي ذليلة (أَبْصَارُهُمْ) لايرفعونها (تَرْهَقُهُمْ) تغشاهم (ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ) في الدنيا (إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) فلا يأتون به بأن لا يصلوا (فَذَرْنِي) دعني (وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ) القرآن (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ) نأخذهم قليلا قليلا (مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ) أمهلهم (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) شديد لايطاق (أَمْ) بل أ (تَسْأَلُهُمْ) على تبليغ الرسالة (أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ) مما يعطونكه (مُثْقَلُونَ) فلا يؤمنون لذلك (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ) أي اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب (فَهُمْ يَكْتُبُونَ) منه مايقولون ،

أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود الثاني هو الصلاة ، واتفق المفسرون على أن المراد بالسجود الأول حقيقته (قوله فذرني) تسلية له صلى الله عليه وسلم وتخويف للكافرين ، والمعنى اترك أمر المكذبين إليّ أكفك ذلك (قوله ومن يكذب) في محل نصب إما معطوف على الياء في ذرني او مفعول معه والاول أرجح . قال ابن مالك :

والعطف إن يمكن بلا ضعف أحق   والنصب مختار لدى ضعف النسق

(قوله سنستدرجهم) استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد إجمالا من قوله ذرني الخ (قوله فأخذهم قليلا قليلا) أي فالاستدراج الأخذ بالتدريج شيئا فشيئا ، والمعنى لما أنعمنا عليهم اعتقدوا أن ذلك الإنعام تفضيل لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم (قوله وأملي لهم) عطف على سنستدرجهم عطف تفسير (قوله إنّ كيدي متين) الكيد في الأصل الاحتيال وهو أن تفعل ما فيه نفع ظاهرا وتريد به الضرّ و إنما سمي إنعامه عليهم استدراجا بالكيد لأنه في صورته فما وقع لهم من سعة الأرزاق وطول الأعمار وعافية الأبدان إحسان ونفع ظاهري فقط ، والمقصود به معاقبتهم وتعذيبهم على ذلك ووصف الكيد بالمتانة إشارة إلى أنه لا يتأتى إفلات المستدرجين مما أراده بهم بخلاف كيد المخلوق فتارة يقع وتارة لايتمكن منه (قوله أم تسألهم أجرا) هو في المعنى مرتبط بقوله سابقا أم لهم شركاء الخ ، والمعنى أم تلتمس منهم ثوابا على ما تدعوهم إليه من الإيمان بالله تعالى (قوله مثقلون) أي مكلفون حملا ثقيلا (قوله فلا يؤمنون لذلك) أي لسؤال الأجر المترتب عليه الغرم وهو ثقيل على النفس لأن شأن النفس أن تستثقل مايطلب منها (قوله أي اللوح الخ) هذا قول ابن عباس وقيل الغيب هو علم ما غاب عنهم (قوله مايقولون) أي مايحكمون به ويستغنون به عن علمك .

(فاصبر

(قوله فاصبر لحكم ربك الخ) نزلت هذه الآية بأحد حين فرّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإغراء المنافقين فأراد أن يدعو على الذين انهزموا ، وقيل نزلت حين ضاق صدره من أهل مكة فخرج يدعو ثقيفا فأغروا به سفهاءهم وصاروا يضربونه بالحجارة حتى أدموا قدمه الشريف فأراد أن يدعو عليهم ، فعلى الأول تكون مدنية وعلى الثانى تكون مكية (قوله إذ نادى) منصوب بمضاف محذوف والتقدير ولا يكن حالك كحاله فى وقت ندائه (قوله وهو مكظوم) الجملة حال من ضمير نادى (قوله مملوء غما) أى من أجل خوفه من الله تعالى حيث خرج من غير إذن فظن أن الله آخذه بذلك ، وقيل معنى مكظوم محبوس ، ومنه قولهم فلان يكظم غيظه أى يحبس غضبه (قوله نعمة) اختلف فى المراد بها فقيل الرحمة وهو الذى اختاره المفسر ، وقيل هى العصمة ، وقيل نداؤه بقوله : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين (قوله بالأرض الفضاء) أى الخالية من النبات والأشجار والجبال (قوله وهو مذموم) أى مؤاخذ بذنبه والجملة حال من نائب فاعل نبذ وهو محط النفى المستفاد من لولا (قوله لكنه رحم الخ) أشار بذلك إلى أن لولا حرف امتناع لوجود والممتنع الذم والمعنى امتنع ذمه لسبق العصمة له فاجتباه ربه وجعله من الصالحين فيونس لم تحصل منه معصية أبدا لا صغيرة ولا كبيرة وإنما خروجه من بينهم باجتهاد منه وعتابه من الله من باب حسنات الأبرار سيئات المقرّبين وتقدم

ذلك مفصلا (قوله فاجتباه ربه) عطف على مقدر ، والمعنى فأدركته نعمة من ربه فاجتباه (قوله بالنبوة) هذا مبنى على أنه وقت هذه الواقعة لم يكن نبيا وإنما نبئ بعدها وهو أحد قولين والآخر أنه إن كان نبيا ، ومعنى اجتباه اختاره واصطفاه ورقاه مرتبة أعلى من التى كان فيها (قوله فجعله من الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح

قال ابن عباس : ردّ الله عليه الوحى وشفعه فى نفسه وفى قومه وقبل توبته وجعله من الصالحين بأن أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون فهداهم الله بسبب صبره (قوله وإن يكاد) إن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن (قوله بضم الياء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان فالضم من أزلق والفتح من زلق (قوله بأبصارهم) الباء إما للتعدية أو السببية (قوله أى ينظرون إليك نظرا شديدا) أى فليس المراد أنهم يصيبونه بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وإنما المراد أنهم ينظرون إليه نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء وهذا ما مشى المفسر عليه ، وقيل أرادوا أن يصيبوه بالعين ، فنظر إليه قوم من قريش المجربة إصابتهم فعصمه الله وحماه من أعينهم فلم تؤثر فيه فنزلت ، وذكر العلماء أن العين كانت فى بنى أسد من العرب وكان إذا أراد أحد منهم أن يصيب أحدا فى نفسه أو ماله جوّع نفسه ثلاثة أيام متوالية ثم يتعرّض للعيون أو ماله فيقول ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكبر ولا أحسن ، فيهلك المعيون هو وماله ، وهذه الآية تنفع كتابة وقراءة للمعيون فلا تضرّه العين (قوله لما سمعوا الذكر) ظرف ليزلقونك (قوله حسدا) أى وبغضا وتنفيرا عنه (قوله وما هو إلا ذكر للعالمين) الجملة حالية من فاعل يقولون مفيدة لبطلان قولهم وتعجيب السامعين حيث جعلوا عظة العالمين وتذكرهم سببا لجنون من أتى به ، وهذا دليل على سخافة عقلهم وسوء رأيهم ، لأن هذا القرآن لا يدركه إلا من كان كامل العقل فكيف نزل على قلبه ! .

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) فيهم بما يشاء (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) فى الضجر والعجلة وهو يونس عليه السلام (إِذْ نَادَى) دعا ربه (وَهُوَ مَكْظُومٌ) مملوء غما فى بطن الحوت (لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ) أدركه (نِعْمَةٌ) رحمة (مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ) من بطن الحوت (بِالْعَرَاءِ) بالأرض الفضاء (وَهُوَ مَذْمُومٌ) لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ) بالنبوة (فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) الأنبياء (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ) بضم الياء وفتحها (بِأَبْصَارِهِمْ) أى ينظرون إليك نظرا شديدا يكاد أن يصرعك ويسقطك عن مكانك (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) القرآن (وَيَقُولُونَ) حسدا (إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) بسبب القرآن الذى جاء به (وَمَا هُوَ) أى القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) موعظة (لِلْعَالَمِينَ) الجن والإنس لا يحدث بسببه جنون .

[سورة الحاقة مكية] أى بالإجماع (قوله الحاقة) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله القيامة (قوله التى يحق) من باب ضرب ورد أى يثبت و يتحقق فاسناد التحقيق للزمان مجاز عقلى على حد ليل قائم فالمراد بها الزمان الذى يتحقق فيه ما أنكر فى الدنيا من البعث وغيره فيصير محسوسا معاينا (قوله أو المظهرة لذلك) أى لما أنكر فى الدنيا وأشار بهذا المعنى إلى أن الحاقة اسم فاعل أى المحققة والمظهرة وهو إسناد مجازى أيضا وهذا معنيان للحاقة من جملة معان كثيرة كلها متلازمة (قوله تعظيم لشأنها) أى فالمقصود من الاستفهام تفخيم شأنها وتعظيم قدرها كأنه قال أىّ شئ هو لاتحيط به العبارة ولاتحصره الاشارة فالمقام للاضمار ووضع الظاهر موضعه لتأكيد هولها وتفظيعه كقوله : فغشيهم من اليمّ ماغشيهم (قوله وهما مبتدأ وخبر الخ) أى أن الحاقة مبتدأ أول وما مبتدأ ثان والحاقة خبر الثانى وهو وخبره خبر الأول والرابط إعادة المبتدإ بلفظه (قوله وماأدراك الخ) ما استفهامية وهو للانكار أى إنك لاعلم لك بكنهها وشدة عظمها (قوله زيادة تعظيم) أى أن حكمة تكرار الاستفهام زيادة تعظيم لها وتهويل لشأنها (قوله وما بعدها) أى وهو جملة أدراك (قوله فى محل المفعول الثانى) المناسب أن يقول والثالث لأن أدرى بالهمز يتعدى لثلاثة لأنه بمعنى أعلم (قوله (٢٢٨) كذبت ثمود) استئناف مسوق لبيان بعض أحوال الحاقة وثمود قوم صالح

(ســـورة الحاقة)

مكية ، إحدى أو اثنتان وخمسون آية

(بِسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . الْحَاقَّةُ) القيامة التى يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء أو المظهرة لذلك (مَا الْحَاقَّةُ) تعظيم لشأنها، وهومبتدأ وخبر خبر الحاقة (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا الْحَاقَّةُ) زيادة تعظيم لشأنها فما الأولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها فى محل المفعول الثانى لأدرى (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ) القيامة لأنها تقرع القلوب بأهوالها (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) بالصيحة المجاوزة للحد فى الشدة (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) شديدة الصوت (عَاتِيَةٍ) قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم (سَخَّرَهَا) أرسلها بالقهر (عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ) أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوّال وكانت فى عجز الشتاء (حُسُومًا) متتابعات شبهت بتتابع فعل الحاسم فى إعادة الكى على الداء كرّة بعد أخرى حتى ينحسم ،

وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز (قوله وعاد) هم قوم هود وكانت منازلهم بالأحقاف وهو رمل بين عمان وحضرموت باليمن (قوله لأنها تقرع القلوب) أى تؤثر فيها خوفا وفزعا (قوله فأما ثمود) تفصيل لما حصل لهم فى الدنيا من العذاب بسبب تكذيبهم بالقيامة (قوله بالصيحة) أى صيحة جبريل . واعلم أن مانزل بثمود يسمى فى القرآن بأربعة أسماء فى الأعراف بالرجفة وفى هود بالصيحة وفى حم السجدة بالصاعقة وفى هذه السورة بالطاغية فالمراد بالرجفة الزلزلة لتزلزل الأرض بهم (1) عند صيحة جبريل عليهم والصاعقة لصعقهم أى موتهم بها والطاغيـة لخروجها عن الحد ، وماذكره المفسر أحد تفاسير للطاغية وعليه فالباء للآلة ، وقيـل الطاغية مصدر كالكاذبة والعافية ، والمعنى أهلكوا بطغيانهم وكفرهم وعليه فالباء سببية ، وقيل الطاغية عاقر ناقة صالح ، والمعنى أهلكوا بسبب مافعله طاغيتهم من عقر الناقة ، وانما أهلكوا جميعا وان كان الفاعل واحدا لأنهم علموا بفعله ورضوا به (قوله المجاوزة للحد) أى لحد الصيحات من الهول والشدة (قوله قوية شديدة على عاد الخ) هذا أحد قولين فى تفسير عاتية والآخر أن المراد عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولاوزن لما فى الحديث « ماأرسل الله سفة من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من ماء إلا بمكيال إلايوم عاد و يوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل وأن الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل » (قوله أرسلها) أى سلطها (قوله أولها من صبح يوم الأربعاء) أى وآخرها غروب شمس يوم الأربعاء التالى للأربعاء الأول وكان الشهر كاملا فكان آخرها هو اليوم الأخير منه (قوله حسوما) نعت لسبع ليال وثمانية أيام أوحال من مفعول سخرها أى ذات حسوم والحسم فى الأصل تتابع الكى على الداء حتى تنقطع مادته أطلق عن قيده وأريد منه مطلق تتابع عذاب فقول المفسر متتابعات فيه إشارة إلى أنه مجاز مرسل علاقته التقييد ثم الاطلاق

(فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى) مطروحين هالكين (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ) أصول (نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) ساقطة فارغة (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) صفة نفس مقدرة أو التاء للمبالغة أى باق ؟ لا (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ) أتباعه وفى قراءة بفتح القاف وسكون الباء أى من تقدمه من الأمم الكافرة (وَالْمُؤْتَفِكَاتُ) أى أهلها وهى قرى قوم لوط (بِالْخَاطِئَةِ) بالفعلات ذات الخطإ (فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ) أى لوطا وغيره (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً) زائدة فى الشدة على غيرها (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ) علا فوق كل شىء من الجبال وغيرها زمن الطوفان (حَمَلْنَاكُمْ) يعنى آباءكم إذ أنتم فى أصلابهم (فِي الْجَارِيَةِ) السفينة التى عملها نوح ونجا هو ومن كان معه فيها وغرق الباقون (لِنَجْعَلَهَا) أى هذه الفعلة وهى إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين (لَكُمْ تَذْكِرَةً) عظة (وَتَعِيَهَا) ولتحفظها (أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) حافظة لما تسمع (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) للفصل بين الخلائق وهى الثانية (وَحُمِلَتِ) رفعت (الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا) دقتا (دَكَّةً وَاحِدَةً . فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ)

(قوله فترى القوم) أى على فرض حضورك واقعتهم (قوله صرعى) حال جمع صريع كقتلى وقتيل والضمير فى فيها عائد على الأيام والليالى أو البيوت أو الريح (قوله أصول نخل) أى بلا رءوس فكانت الريح تقطع رءوسهم كما تقطع رءوس النخل (قوله فارغة) أى من الحشو، لما روى من أن الريح كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما فى أجوافهم من الحشو من أدبارهم (قوله من باقية) من زائدة فى المفعول (قوله لا) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى . قال ابن جرير مكثوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء فى العذاب بالريح فلما أمسوا فى اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فألقتهم فى البحر (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله والمؤتفكات) أى المنقلبات وهى التى اقتلعها جبريل على جناحه ورفعها قرب السماء ثم قلبها (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أنه على حذف مضاف على حد واسئل القرية (قوله وهى قرى قوم لوط) وكانت خمسة : صنعه وصعره وعمره ودوما وسذوم وهى أعظمها (قوله ذات الخطأ) أشار بذلك إلى أن الخاطئة صيغة نسب كتامر ولابن (قوله فعصوا) أى فرعون ومن قبله والمؤتفكات (قوله رسول ربهم) المراد بالرسول الجنس ، وقوله وغيره المراد بالغير خصوص موسى على قراءة كسر القاف وموسى ومن قبله من الرسل على قراءة فتحها (قوله على غيرها) أى من عذاب الأمم (قوله علا فوق كل شىء من الجبال الخ) أى فزاد على أعلى جبل خمسة عشر ذراعا (قوله زمن الطوفان) المناسب أن يقول زمن نوح (قوله يعنى آباءكم) جواب عما يقال إن المخاطبين لم يدركوا حمل السفينة فكيف يمتن الله عليهم به . فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف أى آباءكم وقوله إذ أنتم الخ ظاهره أنه تعليل لما أجاب به وليس كذلك بل هو جواب آخر وحاصله أن الكلام باق على ظاهره ويراد حملناكم حال كونكم فى أصلاب آبائكم الذين حملوا وهم أولاد نوح سام وحام ويافث (قوله أى هذه الفعلة) هذا أحد قولين فى مرجع الضمير فى نجعلها وقيل عائد على السفينة ، والمعنى لنجعل السفينة تذكرة وعظة لهذه الأمة ، فبقيت منها بقية حتى أدركها أوائلهم (قوله وتعيها) بكسر العين باتفاق السبعة وهو منصوب عطفا على نجعل وماضيه وعى وأصل تعى توعى حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها (قوله حافظة لما تسمع) إسناد الحفظ للأذن مجاز وحقه أن يسند لصاحبها والمعنى شأنها أن تحفظ ما ينبغى حفظه من الأقوال والأفعال وتعمل بمقتضاه (قوله فإذا نفخ فى الصور الخ) لما ذكر الله تعالى القيامة وأهوالها إجمالا بقوله : الحاقة الخ اشتاقت النفس لتفصيل ذلك ففصل الله تعالى بعضه بقوله : فإذا نفخ الخ وإذا شرطية وجوابها قوله : فيومئذ وقعت الواقعة وقيل قوله : يومئذ تعرضون (قوله نفخة) نائب الفاعل وواحدة نعت مؤكد لأن نفخة مصدر مختص دال على الوحدة فيصح إقامته مقام الفاعل والممنوع إقامة المبهم نحو ضرب ضرب ولم يؤنث الفعل وهو نفخ لأن التأنيث مجازى ولوجود الفصل (قوله وهى الثانية) هذا هو الصحيح كما روى عن ابن عباس لأن الثانية هى التى يعقبها الحساب والجزاء وقيل هى الأولى (قوله وحملت الأرض والجبال) أى رفعتها الملائكة أو الرياح أو القدرة بعد خروج الناس من القبور (قوله دقتا) أى فتتا وصارتا كثيبا مهيلا وهباء منثورا (قوله دكة واحدة) بالنصب على المصدرية باتفاق السبعة وإنما لم يرفع بالنيابة لوجود الضمير بخلافه فى نفخ فلم يوجد ضمير فأنيب نفخة مناب الفاعل فرفع باتفاق السبعة (قوله فيومئذ) التنوين

عوض عن جملتين محذوفتين وهما نفخ وحملت (قوله قامت القيامة) أى حصلت ووجدت (قوله وانشقت السماء) أى انصدعت وتفطرت من هول ذلك اليوم (قوله ضعيفة) أى ليس فيها تماسك ولا صلابة، فتصير بمنزلة الصوف المنفوش (قوله على أرجائها) أى أطرافها لينتظروا أمر الله لهم لينزلوا فيحيطوا بالأرض ومن عليها (قوله فوقهم) حال من العرش والضمير عائد على الملائكة الواقفين على الأرجاء (قوله ثمانية من الملائكة أو من صفوفهم) هذان قولان من جملة أقوال خمسة. ثالثها ثمانية آلاف. رابعها ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة. خامسها ثمانية أجزاء من عشرة أجزاء ورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام قال «إن حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الأوعال» أى تيوس الجبل «من أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء» (قوله يومئذ تعرضون) أى تسئلون وتحاسبون، وعبر بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لينظر فى أمرهم فيختار منهم للصلح للتقريب والاكرام والمفسد للابعاد والتعذيب. وروى أن فى القيامة ثلاث عرضات عرضتان للاعتذار والتوبيخ والثالثة فيها تنتشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه ويأخذ الهالك كتابه بشماله (قوله لاتخفى منكم خافية) حال من الواو فى تعرضون، والمعنى لايخفى على الله من سرائركم التى كنتم تخفونها فى الدنيا وتظنون أنه لايطلع عليها بل يذكركم بجميعها حتى تعلموها علما ضروريا (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان

(قوله فأما من أوتى كتابه الخ) تفصيل لأحوال الناس عند العرض

قامت القيامة (وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) ضعيفة (وَالْمَلَكُ) يعنى الملائكة (عَلَى أَرْجَائِهَا) جوانب السماء (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ) أى الملائكة المذكورين (يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) من الملائكة أو من صفوفهم (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ) للحساب (لَا تَخْفَى) بالتاء والياء (مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) من السرائر (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ) خطابا لجماعته لما سر به (هَاؤُمُ) خذوا (اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ) تنازع فيه هاؤم واقرءوا (إِنِّي ظَنَنْتُ) تيقنت (أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) مرضية (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا) ثمارها (دَانِيَةٌ) قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع فيقال لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا) حال: أى متهنئين (بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) الماضية فى الدنيا (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ. وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ. يَا لَيْتَهَا)

(قوله خطابا لجماعته) أى أهله وأقربائه ومن حوله وإنما أحب إظهار ذلك سرورا وفرحا لكونه من الناجين (قوله هاؤم) لها استعمالان تكون اسم فعل وتكون بلفظ واحد للمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وتكون فعلا وتلحقها العلامات ومعناها على كل من الاستعمالين خذ ولغة القرآن أنها اسم فعل والهمزة بعدها بدل من كاف الخطاب والميم علامة الجمع (قوله كتابيه) اى أصله كتابى دخلت هاء السكت لتظهر فتحة الياء وكذا فى الباقى (قوله تنازع فيه الخ) أى فأعمل الثانى عند البصريين والأول عند الكوفيين وأضمر فى الآخر وحذف لأنه فضلة (قوله إنى ظننت تيقنت) أى فالمراد بالظن اليقين وقال ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى إشارة إلى أنه نجا بسبب خوفه من يوم الحساب وذلك أنه تيقن أن الله يحاسبه فعمل للآخرة فحقق الله رجاءه وأمن خوفه (قوله مرضية) أشار بذلك إلى أن صيغة فاعل بمعنى مفعول أى يرضى بها صاحبها ولايسخطها، لما ورد أنهم يعيشون فلايموتون أبدا ويصحون فلايمرضون أبدا وينعمون فلايرون بأسا أبدا (قوله فى جنة عالية) أى مرتفعة المكان والدرجات والأبنية والأشجار (قوله قطوفها) جمع قطف بكسر القاف أى المقطوف وهو مايجتنيه الجانى من الثمار (قوله كلوا واشربوا) أى يقال لهم ذلك والأمر للامتنان (قوله أى متهنئين) أى بذلك الأكل الطيب اللذيذ الشهى البعيد عن كل أذى السالم من كل آفة وقذر فلا بول ولا غائط ولا بصاق ولا مخاط ولا صداع ولا ثقل (قوله بما أسلفتم) الباء سببية وما مصدرية أو اسم موصول (قوله الماضية فى الدنيا) وقيل هى أيام الصيام، والمعنى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله (قوله وأما من أوتى كتابه الخ) جرت عادة الله تعالى فى كتابه حيث ذكر أحوال السعداء يذكر إثر ذلك أحوال الأشقياء (قوله فيقول) أى لما يرى من سوء عاقبته التى رآها (قوله ولم أدر ماحسابيه) ما استفهامية مبتدأ وحسابيه خبرها والجملة سدت مسد مفعولى أدر والاستفهام للتعظيم والتهويل، والمعنى ولم أدر عظم حسابى وشدته.

(قوله أى الموتة فى الدنيا) المعنى ياليت الموتة فى الدنيا كانت القاطعة لحياتى ولم أبعث بعد ذلك أصلا (قوله ما أغنى عنى) ما نافية والمفعول محذوف ، والمعنى لم يغن عنى مالى شيئا ، أو استفهامية للتوبيخ : أى أى شئ أغنى ما كان لى من اليسار الذى منعت منه حق الفقراء وتكبرت به على عباد الله (قوله ماليه) يحتمل أن ما اسم موصول فاعل أغنى والجار والمجرور صلة ما و يحتمل أن مالى كلمة واحدة بمعنى المال فاعل أغنى مضاف لياء المتكلم (قوله قوتى وحجتى) أشار المفسر بذلك إلى أن فى السلطان تفسيرين أحدهما القوة التى كانت له فى الدنيا والثانى الحجة التى كان يحتج بها على الناس (قوله وهاء كتابيه الخ) هاء مبتدأ وللسكت خبر أول وقوله تثبت خبر ثان (قوله تثبت وقفا) أى على القاعدة فى هاء السكت (قوله ووصلا) هذا مخالف لقاعدة هاء السكت ولما كان مخالفا أجاب بجوابين : الأول قوله إتباعا للمصحف أى فلما كانت ثابتة فيه ثبتت فى النطق ولو فى الأصل إتباعا للرسم . الثانى قوله والنقل أى و إتباعا للنقل عن النبى عليه الصلاة والسلام فقد ثبت عنه ثبوتها وصلا فليس لحنا لأن ما خرج عن القواعد لا يكون لحنا إلا إذا لم يثبت وهذا قد ثبت عن النبى ونقل إلينا بالتواتر (قوله ومنهم) أى القراء السبعة وهو حمزة والعشرة وهو يعقوب (قوله خذوه) معمول لقول مقدر جواب عن سؤال مقدر تقديره ما يفعل به بعد ذلك فقيل يقال الخ (قوله خطاب لخزنة جهنم) أى زبانيتها وسيأتى فى المدثر أن عدتهم تسعة عشر قيل ملكا وقيل صفا وقيل صنفا (قوله ثم الجحيم) الترتيب فى الزمان والرتبة فان إدخاله فى النار بعد غله وكذا إدخاله فى السلسلة بعد إدخاله النار وكل واحد أشد مما قبله (قوله صلوه) أى كرروا غمسه فى النار كالشاة التى تصلى أى تشوى على النار مرة بعد مرة (قوله ذرعها سبعون ذراعا بذراع الملك) هذا قول ابن عباس قال فتدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد ما بين مكة والكوفة وقيل سبعون ذراعا كل ذراع سبعون ذراعا وقيل ليس المراد بالعدد حقيقته

أى الموتة فى الدنيا (كَانَتِ الْقَاضِيَةَ) القاطعة لحياتى بأن لا أبعث (مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ . هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ) قوتى وحجتى ، وهاء كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت وقفا ووصلا إتباعا للمصحف الإمام والنقل ، ومنهم من حذفها وصلا (خُذُوهُ) خطاب لخزنة جهنم (فَغُلُّوهُ) اجمعوا يديه إلى عنقه فى الغل (ثُمَّ الْجَحِيمَ) النار المحرقة (صَلُّوهُ) أدخلوه (ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا) بذراع الملك (فَاسْلُكُوهُ) أى أدخلوه فيها بعد إدخاله النار ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم (إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ . وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ . فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ) قريب ينتفع به (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ) صديد أهل النار أو شجر فيها (لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ) الكافرون (فَلَا) زائدة (أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ) :

بل هو كناية عن عظمها وطولها . قال كعب : لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها أجارنا الله منها وأشار سبحانه إلى ضيقها على ما تحيط به من بدنه بتفسيره بالسلك ، فقال فاسلكوه : أى أدخلوه بحيث يكون كأنه السلك الذى يدخل فى ثقب الخرز لاحاطتها بعنقه وبجميع أجزائه (قوله إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل على طريق الاستئناف كأنه قيل ما باله يعذب هذا العذاب الشديد . فأجيب بذلك ولعل وجه التخصيص لهذين الأمرين بالذكر أن الكفر أقبح الأشياء والبخل مع قسوة القلب يليه (قوله ولا يحض) أى لا يحث ولا يحرض نفسه ولا غيره وقوله على طعام المسكين أى إطعامه (قوله فليس له اليوم ههنا الخ) أى فى الآخرة وحميم وما عطف عليه اسم ليس وخبرها الظرف قبله . فان قلت ما التوفيق بين ما هنا و بين قوله فى محل آخر : إلا من ضريع ، وفى موضع آخر : إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، وفى موضع آخر : أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار . قلنا لا منافاة إذ جميع ذلك طعام لهم ، فالحصر إضافى والنفى بالحصر طعام فيه نفع (قوله صديد أهل النار) هو ما يجرى من الجراح إذا غسلت (قوله أو شجر فيها) أى إذا أكلوه يغسل بطونهم أى يخرج ما فيها من الحشو (قوله إلا الخاطئون) العامة يهمزون الخاطئون وهو اسم فاعل من خطئ يخطأ إذا فعل غير الصواب متعمدا والمخطئ من يفعله غير متعمد (قوله زائدة) أى والمعنى أقسم لكم يا عبادى بما تشاهدون من المخلوقات و بما لا تشاهدون الخ وإنما أقسم بالمخلوقات لعظمها وشرفها بعظم خالقها وموجدها فالقسم بالمخلوقات لا من حيث ذاتها بل من حيث إنها آثار عظمته ومظهر صفاته سبحانه وتعالى والنهى عن القسم بغير الله خاص بالمخلوق أما هو سبحانه فله أن يقسم بما شاء على ما شاء وما ذكره المفسر أحد قولين

والآخر أنها أصلية ، والمعنى أن هذا الأمر لظهوره ووضوحه غنى عن القسم والأول أوضح وأوجه (قوله من المخلوقات) بيان لما (قوله أي بكل مخلوق) تفسير لمجموع قوله بما تبصرون وما لا تبصرون (قوله إنه لقول رسول كريم) هذا هو المحلوف عليه وكذا قوله وما هو بقول شاعر وما بعده ، والمراد بالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وكرمه اجتماع الكمالات فيه فهو أكرم الخلق على الإطلاق ، وقيل المراد به جبريل عليه السلام ، ويؤيده قوله في سورة التكوير إنه لقول رسول كريم وكرمه كونه رئيس العالم العلوي (قوله أي قاله رسالة الخ) جواب عما يقال إن القرآن قول الله تعالى وكلامه فكيف يقال إنه لقول رسول كريم فأجاب بأنه قوله على سبيل التبليغ . والحاصل أنه ينسب لله من حيث إيجاده ولجبريل من حيث تلقيه عن الله ولمحمد من حيث تلقيه عن جبريل (قوله وما هو بقول شاعر الخ) إنما عبر بالإيمان في جانب نفي الشعر والتذكر في جانب نفي الكهانة لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر ظاهر لا ينكره إلا معاند كافر بخلاف مغايرته للكهانة فإنها متوقفة على التذكر والتدبر في أحواله صلى الله عليه وسلم الدالة على أنه ليس بكاهن (قوله قليلا ما تؤمنون) أي تؤمنون بشيء قليل مما جاء به مما يوافق طبعكم وهذا ما درج عليه . (٢٣٢) المفسر ، وقيل أراد بالقلة نفي إيمانهم أصلا لأن الإيمان بشيء دون شيء كلا إيمان

من المخلوقات (وَمَا لَا تُبْصِرُونَ) منها : أي بكل مخلوق (إِنَّهُ) أي القرآن (لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) أي قاله رسالة عن الله تعالى (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ . وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) بالتاء والياء في الفعلين وما زائدة مؤكدة، والمعنى أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكروها مما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم من الخير والصلة والعفاف فلم تغن عنهم شيئا ، بل هو (تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَلَوْ تَقَوَّلَ) أي النبي (عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ) بأن قال عنا ما لم نقله (لَأَخَذْنَا) لنلنا (مِنْهُ) عقابا (بِالْيَمِينِ) بالقوة والقدرة (ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) نياط القلب ، وهو عرق متصل به إذا انقطع مات صاحبه (فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ) هو اسم ما ، ومن زائدة لتأكيد النفي ، ومنكم حال من أحد (عَنْهُ حَاجِزِينَ) مانعين خبر ما وجمع لأن أحدا في سياق النفي بمعنى الجمع وضميره عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: أي لا مانع لنا عنه من حيث العقاب (وَإِنَّهُ) أي القرآن (لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ . وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ) أيها الناس (مُكَذِّبِينَ) بالقرآن ومصدقين (وَإِنَّهُ) أي القرآن (لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) إذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به (وَإِنَّهُ) :

وذلك كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلا (قوله بالتاء والياء) أي فهما سبعيتان فالأولى لمناسبة تبصرون والثانية التفات عن الخطاب إلى الغيبة (قوله وما زائدة مؤكدة) أي لمعنى القلة وقليلا صفة لمصدر محذوف في الموضعين أي إيمانا قليلا وتذكرا قليلا (قوله مما أتى به النبي) من للتبعيض في محل الحال من أشياء ، والمعنى حال كون تلك الأشياء اليسيرة بعض ما أتى به النبي ، وقوله من الخير بيان للأشياء اليسيرة التي هي بعض ما أتى به النبي فكان المناسب أي للمفسر أن يقدمه على قوله مما أتى به النبي والمراد بالخير الصدقة وبالصلة صلة الأرحام وبالعفاف الكف عن الزنا وإنما آمنوا بهذه الأشياء لموافقتها طباعهم (قوله ولو تقول علينا) أي تكلف التقول (قوله بعض الأقاويل) إما جمع أقوال وهو جمع قول أو جمع أقوولة كأعاجيب جمع أعجوبة فعلى الأول أقاويل جمع الجمع وعلى الثاني جمع فقط ، والمعنى لو نسب إلينا قولا لم نقله أو لم نأذن له في قوله لأخذنا الخ (قوله لنلنا) فسر الأخذ بالنيل لتعديته بالجار وعليه فمن والباء غير زائدتين ، والمعنى لنلنا منه بالقوة والقدرة فاليمين كناية عن القوة والغلبة وأل عوض عن المضاف إليه : أي بيمين الله ويصح أن يراد باليمين الجارحة والباء زائدة ، والمعنى لأخذنا منه يمينه كما يفعل بالمقتول صبرا يؤخذ بيمينه ويضرب بالسيف في عنقه مواجهة (قوله وهو عرق متصل به الخ) هذا قول ابن عباس والجمهور ، وقيل الوتين هو القلب ومراقه وما يليه ، وقيل هو عرق بين العنق والحلقوم، وقيل هو كناية عن إماتته ، والمعنى لو كذب علينا لأمتناه فكان كمن قطع وتينه (قوله عنه) أي عن عقابه فهو على حذف مضاف (قوله حاجزين) مفعوله محذوف : أي حاجزين لنا (قوله وإنه لتذكرة) هذا وما بعده معطوف على جواب القسم فهو من جملة المقسم عليه (قوله للمتقين) خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون به (قوله أن منكم مكذبين) أي فنمهلهم ثم بعد بعثهم نجازيهم على تكذيبهم وقوله ومصدقين أشار

بذلك إلى أن فى الآية حذف الواو مع ماعطفت (قوله أى اليقين الحق) أشار بذلك إلى أنه من إضافة الصفة للموصوف ، والمعنى من تمسك به وعمل بمقتضاه صار من أهل حق اليقين (قوله زائدة) أى لفظ باسم زائد ، والمعنى نزّه ربك العظيم واشكره على ما أعطاك من النعم العظيمة ولا تلتفت لهم ولا لكيدهم .

[سورة المعارج] وتسمى سورة سأل سائل (قوله مكية) أى إجماعا (قوله سأل) بالهمز والألف قراءتان سبعيتان فالهمز هو الأصل من السؤال وهو الدعاء وأما قراءة الألف فيحتمل أنها بمعنى قراءة الهمزة غير أنه خفف بقلب الهمزة ألفا والألف منقلبة عن واو كخاف يخاف والواو منقلبة عن الهمزة أو من السيلان فالألف منقلبة عن ياء ، والمعنى سال سائل : أى واد فى جهنم وأما سائل فبالهمز لاغير لأن العين إذا أعلت فى الفعل تعل فى اسم الفاعل أيضا وقد أعلت بالقلب همزة كقائل وبائع وخائف . واعلم أن مادّة السؤال تتعدّى لمفعولين يجوز الاقتصار على أحدهما ويجوز تعديته بحرف الجرّ وحينئذ فيكون التقدير هنا سأل سائل الله أو النبى عذابا واقعا (قوله دعا داع) أشار بذلك إلى أن سأل من السؤال وهو الدعاء ولما ضمن معناه تعدّى تعديته ويصح أن الباء زائدة للتوكيد كقوله تعالى - وهزى إليك بجذع النخلة - ويصح أن الباء بمعنى عن (قوله واقع للكافرين) أى سيقع وعبر بذلك إشارة لتحقق وقوعه إما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فإن النضر قتل يوم بدر صبرا وإما فى الآخرة وهو النار (قوله للكافرين) اللام للتعليل والتقدير نازل من أجل الكافرين أو بمعنى على : أى واقع على الكافرين

أى القرآن (لَحَقُّ الْيَقِينِ) أى لليقين الحق (فَسَبِّحْ) نزه (بِاسْمِ) زائدة (رَبِّكَ الْعَظِيمِ) سبحانه .

(سورة المعارج)

مكية ، أربع وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . سَأَلَ سَائِلٌ) دعا داع (بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ) هو النضر بن الحرث قال اللهم إن كان هذا هو الحق الآية (مِنَ اللَّهِ) متصل بواقع (ذِي الْمَعَارِجِ) مصاعد الملائكة وهى السموات (تَعْرُجُ) بالتاء والياء (الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ) جبريل (إِلَيْهِ) إلى مهبط أمره من السماء (فِي يَوْمٍ) متعلق بمحذوف : أى يقع العذاب بهم فى يوم القيامة (كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) بالنسبة إلى الكافر لما يلقى فيه من الشدائد . وأما المؤمن فيكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا ،

(قوله ليس له دافع) إما نعت آخر لعذاب أو حال منه أو مستأنف (قوله هو النضر بن الحرث) هذا قول ابن عباس ، وقيل هو الحرث بن النعمان ، وذلك أنه لما بلغه قول النبى صلى الله عليه وسلم « ياعلىّ من كنت مولاه فعلىّ مولاه » ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح ، ثم قال يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك وأن نحج فقبلناه منك وأن نصوم شهر رمضان فى كلّ عام فقبلناه منك ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك علينا أفهذا شىء منك أم من الله تعالى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى لا إله إلا هو ماهو إلا من الله ، فولى الحارث وهو يقول اللهم إن كان مايقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فوالله ماوصل إلى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت » وقيل هو أبوجهل ، وقيل جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سأل العذاب على كفار قومه (قوله قال اللهم الخ) أى استهزاء وإيهاما أنه على بصيرة حيث جزم ببطلانه (قوله متصل بواقع) أى متعلق به وعليه فجملة ليس له دافع معترضة بين العامل والمعمول إن جعلت مستأنفة وأما إن جعلت صفة لعذاب فليست اعتراضية (قوله ذى المعارج) أى صاحبها وخالقها فليس لغيره مدخل فيها (قوله مصاعد الملائكة) أشار بذلك إلى أن العروج بمعنى الصعود والمعارج جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود وما مشى عليه المفسر أحد أقوال ، وقيل المراد معارج المؤمنين فى دار الثواب وهى الجنة ، وقيل معارج الأعمال الصالحة فإنها تتفاوت بحسب الإخلاص والآداب ونحو ذلك (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جبريل) أشار بذلك إلى أن عطف الروح على ماقبله عطف خاص على عام (قوله إلى مهبط أمره) بكسر الباء بوزن مسجد وهو جواب عن سؤال مقدّر تقديره إن ظاهر الآية يقتضى أن الله تعالى فى مكان والملائكة يصعدون إليه فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف : أى إلى محل هبوط أمره وهو السماء (قوله متعلق بمحذوف) أى دلّ عليه واقع (قوله لما يلقى فيه من الشدائد) أشار بذلك إلى أن الكلام من باب التمثيل والتخييل فليس المراد

كما جاء فى الحديث (فَاصْبِرْ) هذا قبل أن يؤمر بالقتال (صَبْرًا جَمِيلاً) أى لاجزع فيه (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ) أى العذاب (بَعِيدًا) غير واقع (وَنَرَاهُ قَرِيبًا) واقعا لامحالة (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ) متعلق بمحذوف : أى يقع (كَالْمُهْلِ) كذائب الفضة (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) كالصوف فى الخفة والطيران بالريح (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا) قريب قريبه لاشتغال كل بحاله (يُبَصَّرُونَهُمْ) أى يبصر الأحماء بعضهم بعضا و يتعارفون ولا يتكلمون والجملة مستأنفة (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ) يتمنى الكافر (لَوْ) بمعنى أن (يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ) بكسر الميم وفتحها (بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ) زوجته (وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ) عشيرته لفصله منها (الَّتِي تُؤْوِيهِ) تضمه (وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ) ذلك الافتداء عطف على يفتدى (كَلَّا) رد لما يوده (إِنَّهَا) أى النار (لَظَى) اسم لجهنم ، لأنها تتلظى : أى تتلهب على الكفار (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) جمع شواة ، وهى جلدة الرأس (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) عن الإيمان بأن تقول إلىّ إلىّ (وَجَمَعَ) المال (فَأَوْعَى) أمسكه فى وعائه ولم يؤد حق الله منه (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) حال مقدرة وتفسيره (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا) :

حقيقة العدد بل المراد أنه يطول على الكافر لما يلقى فيه من الشدائد فتارة يمثل بالألف و بالخمسين ألفا كناية عن عظم الشدائد أو يقال يمثل بالخمسين ألفا فى حق قوم من الكفار والألف فى حق قوم آخرين منهم وحينئذ فلامنافاة بين ماهنا وآية السجدة ، وقيل خمسون ألفا حقيقة لما ورد «أن مواطن الحساب خمسون موطنا يحبس الكافر فى كل موطن ألفا» (قوله كما جاء فى الحديث) أى وهو مارواه أبو سعيد الخدرى «أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال : والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا» (قوله فاصبر) مفرع على قوله سأل سائل لأنه سأل على سبيل الاستهزاء ، والمعنى اصبر على استهزاء قومك ولا تضجر منه فهو تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله هذا قبل أن يؤمر الخ) أى فهو منسوخ بآية القتال (قوله إنهم يرونه) أى يعتقدونه (قوله ونراه) أى نعلمه والنون للتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى (قوله متعلق بمحذوف) أى دال عليه واقع (قوله كذائب الفضة) وقيل المهل دردى الزيت (قوله كالصوف) أى مطلقا، وقيل بقيد كونه أحمر أومصبوغا ألوانا وهذه الأقوال فى معنى العهن فى اللغة (قوله ولايسأل حميم الخ) القراء السبعة على بناء يسئل

للفاعل وحميما مفعول أول والثانى محذوف تقديره شفاعة ، وقرأ أبو جعفر من العشرة ببنائه للمفعول وحميم نائب الفاعل وحميما إمامفعول ثان على حذف مضاف : أى إحضاره أو منصوب على نزع الخافض أى عن حميم (قوله يبصرونهم) جمع الضميرين نظرا لمعنى الحميمين لأنهما نكرتان فى سياق النفى يعمان سائر الأقارب (قوله والجملة مستأنفة) أى استئنافا بيانيا واقعا فى جواب سؤال مقدر نشأ من قوله ولا يسأل حميم حميما تقديره إن عدم السؤال ربما يكون لعدم رؤيته ، فأجاب بأنهم يعرفون بعضهم و ينظرون إلى بعضهم غير أن كل أحد مشغول بحاله فلا يمكنه وقت السؤال لذلك (قوله بمعنى أن) أى المصدرية فلاجواب لها بل ينسبك منها ومما بعدها مصدر مفعول ليود : أى يود افتداءه (قوله بكسر الميم) أى على الاعراب ، وقوله وفتحها : أى على البناء والقراءتان سبعيتان والتنوين عوض عن جمل متعددة ، والمعنى يوم إذ تكون السماء كالمهل الخ (قوله لفصله منها) أى فهى فعيلة بمعنى مفعولة : أى مفصول منها والفصيلة ، قيل الآباء الأقربون ، وقيل الفخذ ، وقيل العشيرة (قوله تضمه) أى فى النسب وعند الشدة (قوله كلا) يحتمل أن تكون هنا بمعنى حقا فالكلام تم عند قوله ثم ينجيه ويحتمل أن تكون بمعنى لاالنافية فالكلام تم عليها (قوله أى النار) إنما أعاد الضمير عليها و إن لم يتقدم لها ذكر لدلالة لفظ العذاب عليها (قوله لظى) خبر إن ونزاعة خبر ثان (قوله اسم لجهنم) أى منقول إذ هو فى الأصل اللهب جعل علما عليها ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث (قوله جمع شواة) أى كنوى و نواة (قوله وهى جلدة الرأس) أى وقيل هو جلد الإنسان ومعناه قلاعة للجلد وكلما قلعت عادت (قوله بأن تقول إلىّ إلىّ) أى ثم تلتقطهم التقاط الطائر للحب (قوله إن الإنسان) أل فيه للجنس : أى حقيقة الإنسان وجنسه والأصل فيه وسمى بذلك إما لأنسه بنفسه وجنسه أو لنسيانه حقوق ربه (قوله حال مقدرة) أى لأنه ليس متصفا بذلك وقت خلقه ولا وقت ولادته (قوله وتفسيره) أى الهلوع وهو مستند اللغويين فى قولهم : الهلع فحش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشح بالمال

(قوله وقت مس الشر) أشار بذلك إلى أن إذا معمولة لجزوعا وكذا ما بعده ونصب جزوعا ومنوعا إما حالان من ضمير هلوعا أو خبران لكان المحذوفة أي إذا مسه الشر كان جزوعا وإذا مسه الخير كان منوعا أو نعتان لهلوعا (قوله أي المال) أي وغيره من جميع ما أنعم الله به عليه بأن لا يصرفه في طاعة ربه (قوله إلا المصلين) استثناء من الانسان وتقدم أن المراد به الجنس فالاستثناء متصل (قوله أي المؤمنين) فسر المصلين بالمؤمنين لأن الصلاة الشرعية تستلزم الايمان وليكون لقوله الذين هم على صلاتهم دائمون معنى وإلا كان ضائعا . واعلم أنه ذكر الصلاة ثلاثا فأراد بها أولا الايمان وثانيا المداومة عليها ولو قضاء وثالثا المحافظة عليها في خصوص أوقاتها (قوله مواظبون) أي لا يتركونها أداء ولا قضاء بل يفعلونها ولو خارج الوقت فهذا راجع للصلاة في نفسها وما يأتي راجع لوصفها (قوله فيحرم) أي لكونه يظن غنيا على حد يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف (قوله والذين يصدقون بيوم الدين) أي يؤمنون به ويجزمون بحصوله فيستعدون له بالأعمال الصالحة (قوله غير مأمون) أي لا ينبغي لأحد أن يأمنه وإن بلغ في الطاعة ما بلغ فالمطلوب من الشخص أن يغلب في حال صحته الخوف وفي حال مرضه الرجاء (قوله لفروجهم حافظون) أي

عن المحرمات (قوله من الاماء) بيان لما ولشبههن بغير العاقل عبر عنهن بما التي لغير العاقل (قوله فمن ابتغى وراء ذلك) أي طلب الاستمتاع بغير النكاح وملك اليمين (قوله المتجاوزون الحلال إلى الحرام) دخل في هذا حرمة وطء الذكور والبهائم والزنا (قوله وفي قراءة بالافراد) أي وهي سبعية أيضا (قوله المأخوذ عليهم في ذلك) أي فيما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا فالعهد إما من الله أو من المخلوق فالواجب حفظه وعدم تضييعه (قوله وفي قراءة بالجمع) أي وهي سبعية أيضا (قوله ولا يكتمونها) أي بل يؤدونها ولو كانت تنفع العدو وتضر الحبيب فلا يخافون في الله لومة لائم (قوله بأدائها في أوقاتها) أشار بذلك للفرق بين قوله فيما سبق دائمون وقوله هنا يحافظون وحكمة تكرار ذكر الصلاة الاشارة إلى أنها أعظم من غيرها لأنها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين (قوله فمال الذين كفروا) ما مبتدأ والذين كفروا خبره ، والمعنى أي شيء ثبت لهم وحملهم على نظرهم إليك والتفرق (قوله قبلك) حال وكذا قوله مهطعين وعن اليمين وعن الشمال ، فالأربعة أحوال من الموصول (قوله أي مديمي النظر) أي أو مسرعين فالإهطاع إدامة النظر أو الاسراع (قوله عزين) جمع عزة وهي الجماعة ، واختلفوا في لام عزة فقيل هي واو من عزوته أعزوه أي نسبته وقيل هي ياء فيقال عزيته أعزيه وقيل هي هاء فأصله عزهة وعلى كل حذفت وعوض عنها تاء التأنيث وهو مما ألحق بجمع المذكر السالم في إعرابه لكونه اسما ثلاثيا حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث (قوله قال تعالى) أي ردا عليهم هذه المقالة (قوله جنة نعيم) أضيفت له لأنه ليس فيها غيره .

وقت مس الشر (وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) وقت مس الخير ، أي المال لحق الله منه (إِلَّا الْمُصَلِّينَ) أي المؤمنين (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) مواظبون (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ) هو الزكاة (لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) المتعفف عن السؤال فيحرم (وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) الجزاء (وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) خائفون (إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ) نزوله (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) من الإماء (فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) المتجاوزون الحلال إلى الحرام (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ) وفي قراءة بالإفراد ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا (وَعَهْدِهِمْ) المأخوذ عليهم في ذلك (رَاعُونَ) حافظون (وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ) وفي قراءة بالجمع (قَائِمُونَ) يقيمونها ولا يكتمونها (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) بأدائها في أوقاتها (أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ . فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ) نحوك (مُهْطِعِينَ) حال أي مديمي النظر (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ) منك (عِزِينَ) حال أيضا : أي جماعات حلقا حلقا يقولون استهزاء بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم ، قال تعالى (أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ . كَلَّا) ردع لهم عن طمعهم في الجنة (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ) كغيرهم (مِمَّا يَعْلَمُونَ) .

(قوله من نطف) أى ثم من علق ثم من مضغ ، والمعنى المقصود من هذه الآية أنهم مخلوقون من نطفة وهى لاتناسب عالم القدس لاستقذارها فمن لم يستكمل بالإيمان والطاعة ولم يتخلق بالأخلاق الملكية لم يستعد لدخولها ، ومن هذا المعنى قول الشاعر :

ياخادم الجسم كم تشقى بخدمته أتطلب الربح مما فيه خسران
انهض إلى الروح واستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

(قوله إنا لقادرون) جواب القسم (قوله على أن نبدل خيرا منهم) أى بأن نخلق خلقا غيرهم أو نحوّل أوصافهم فيكونوا أشدّ بطشا فى الدنيا وأكثر أموالا وأولادا وأعلى قدرا وأكثر حشما وخدما وجاها فيكونوا عندك على قلب واحد فى سماع قولك وتعظيمك والسعى فى مرضاتك بدل فعل هؤلاء من الاستهزاء والتصفيق وكل مايغضبك وقد فعل سبحانه وتعالى ماذكر من الأوصاف بالمهاجرين والأنصار والتابعين فأعطاهم أموال الجبارين و بلادهم وصاروا ملوك الدنيا والآخرة (قوله وما نحن بمسبوقين) هذا من جملة المقسم عليه (قوله فذرهم) مفرع على قوله وما نحن بمسبوقين أى إذا تبين لك أننا غير عاجزين عنهم فدعهم فيما هم فيه من الأباطيل ولا تلتفت لهم ففيه تهديد لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله يلقوا) أشار بذلك إلى أن التفاعل ليس على بابه (قوله يومهم الذى يوعدون) هو يوم كشف الغطاء وأوله عند الغرغرة وآخره النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين فى داره وهذه الآية منسوخة بآية السيف (قوله يوم يخرجون) بدل من يومهم بدل بعض من كل (قوله سراعا) حال من فاعل يخرجون (قوله إلى نصب) متعلق بيوفضون (قوله وفى قراءة بضم الحرفين) أى وهى سبعية أيضا فالأولى مفرد بمعنى العلم المنصوب الذى يسرع له الشخص عند الشدائد ، وقيل هو شبكة الصائد يسرع إليها خوف انفلات الصيد والثانية بمعنى الصنم المنصوب للعبادة وقرئ شذوذا بفتحتين و بضم وسكون (قوله يسرعون) أى يسعون ويستبقون (قوله خاشعة) حال إما من فاعل يوفضون أو يخرجون وأبصارهم فاعل بخاشعة (قوله ترهقهم ذلة) إما مستأنفة أو حال من فاعل يوفضون والمعنى يغشاهم الذل جزاء لتعززهم فى الدنيا عن الحق (قوله الذى كانوا يوعدون) أى فى الدنيا أن لهم فيه العذاب وهذا هو العذاب الذى طلبوه أوّل السورة فقد ردّ عجزها لصدرها (قوله ومابعده) أى الذى هو لفظ يوم وأما الموصول وصلته فهو صفة للخبر .

[سورة نوح] (قوله ثمان) بكسر النون وضمها وأصله على كل ثمانى حذفت الياء إما اعتباطا كيد ودم فهو بضم النون والاعراب عليها أو لعلة تصريفية كقاض فهو بكسر النون والاعراب على الياء المحذوفة (قوله إنا أرسلنا نوحا) أى على رأس الأربعين كما قال ابن عباس ،وقيل أرسل وهو ابن ثلثمائة وخمسين ،وقيل أرسل وهو ابن خمسين سنة ، وعاش فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فهو أطول الناس عمرا ولا يرد شعيب لأن ماجاء فى عمره رواية آحاد .ونوح أول رسول أرسل بالنهى عن الشرك لأن الشرك إنما حدث فى زمنه وأما قبله فلم يعرفوا عبادة غير الله حتى يؤمروا بتركها

من نطف فلا يطمع بذلك فى الجنة و إنما يطمع فيها بالتقوى (فلا) لا زائدة (أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) للشمس والقمر وسائر الكواكب (إِنَّا لَقَادِرُونَ . عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ) نأتى بدلهم (خَيْراً مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) بعاجزين عن ذلك (فَذَرْهُمْ) اتركهم (يَخُوضُوا) فى باطلهم (وَيَلْعَبُوا) فى دنياهم (حَتَّى يُلَاقُوا) يلقوا (يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ) فيه العذاب (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور (سِرَاعاً) إلى المحشر (كَأَنَّهُمْ إِلَى نَصْبٍ) وفى قراءة بضم الحرفين : شىء منصوب كعلم أو راية (يُوفِضُونَ) يسرعون (خَاشِعَةً) ذليلة (أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ) تغشاهم (ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ) ذلك مبتدأ وما بعده الخبر ، ومعناه يوم القيامة .

(سورة نوح)

مكية، ثمان أو تسع وعشرون آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً

إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ) أى بإنذار (قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ) إن لم يؤمنوا (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم فى الدنيا والآخرة (قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بيّن الإنذار (أَنِ) أى بأن أقول لكم (اُعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) من زائدة فإن الإسلام يغفر به ما قبله أو تبعيضية لاخراج حقوق العباد (وَيُؤَخِّرْكُمْ) بلا عذاب (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) أجل الموت (إِنَّ أَجَلَ اللهِ) بعذابكم إن لم تؤمنوا (إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ذلك لآمنتم (قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً) أى دائما متصلا (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِى إِلاَّ فِرَاراً) عن الإيمان (وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) لئلا يسمعوا كلامى (وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) غطوا رءوسهم بها لئلا ينظرونى (وَأَصَرُّوا) على كفرهم (وَاسْتَكْبَرُوا) تكبروا عن الإيمان (اسْتِكْبَاراً . ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً) أى بإعلاء صوتى (ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنْتُ لَهُمْ) صوتى (وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ) الكلام (إِسْرَاراً فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) من الشرك (إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ) المطر وكانوا قد منعوه (عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً) كثير الدرور (وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ)

(قوله إلى قومه) المراد بهم جميع أهل الأرض (قوله أى بإنذار) أشار بذلك إلى أنّ أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لأن الارسال فيه معنى القول دون حروفه (قوله فى الدنيا والآخرة) أى وهو الطوفان وعذاب النار (قوله بيّن الانذار) أى واضحه (قوله أى بأن أقول لكم الخ) أشار بذلك إلى أن أن تفسيرية ويصح كونها مصدرية كالسابقة فيصح فى كل منهما الوجهان (قوله يغفر لكم) مجزوم فى جواب الأوامر الثلاثة (قوله من زائدة) أى على رأى الأخفش القائل بأنه لايشترط فى زيادتها تقدّم نفى وكون مدخولها نكرة (قوله فان الاسلام الخ) تعليل لما قبله ، والمعنى أن الاسلام يغفر به ماتقدّمه من الذنوب ولو حقوق العباد فلا يؤاخذ بها فى الآخرة (قوله لإخراج حقوق العباد) أى فانها لاتغفر بالاسلام أى فيطالب الكافر إذا أسلم بالحدود وبالأموال التى ظلم فيها والديون المستقرة فى ذمته (قوله بلا عذاب) جواب عن سؤال مقدر كيف قال ـ ويؤخركم إلى أجل مسمى ـ مع أنه قال فى الآية الأخرى ـ ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ـ فالجواب أن المراد بالأجل هنا أوّلا وثانيا العذاب وهو معلق على ترك الايمان وفى الآية الأخرى انتهاء العمر وهو لايتقدّم ولا يتأخر آمنوا أم لم يؤمنوا (قوله مسمى) أى معلوم عند الله لايزيد ولاينقص (قوله إنّ أجل الله) أضاف لأجل له سبحانه لأنه هو الذى أثبته وقد يضاف إلى القوم كما فى قوله إذا جاء أجلهم لأنه مضروب لهم (قوله لآمنتم) أشار بذلك إلى أن لو شرطية (قوله فلم يزدهم دعائى) بفتح الياء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله إلا فرارا) مفعول ثان ليزدهم وهو استثناء من محذوف والتقدير فلم يزدهم دعائى شيئا من أحوالهم التى كانوا عليها إلا فرارا أى بعدا وإعراضا عن الايمان (قوله وإنى كلما دعوتهم) كلما معمول لجعلوا والجملة خبر إن ومعمول دعوتهم محذوف والتقدير إلى الايمان بك لأجل مغفرتك (قوله لئلا ينظرونى) أى فكرهوا النظر إلىّ من فرط كراهتهم دعوتى فقد خالفوه باطنا بالاصرار والاستكبار وظاهرا بتعطيل الأسماع والأبصار ولا أقبح من هذه المخالفة (قوله جهارا) إما نعت مصدر محذوف أى دعاء جهارا أو حال على حدّ زيد عدل ، والمعنى أنه فعل عليه السلام كما يفعل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ابتدأ أولا بالأهون ثم ترقى للأشدّ فالأشدّ فافتتح بالسر فلما لم يفد ثنى بالجهر فلما لم يفد ثلث بالجمع بين السر والجهر ، وثم للدلالة على تباعد الأحوال (قوله استغفروا ربكم) أى اطلبوا منه محو ذنوبكم بأن تؤمنوا به وتتقوه فليس المراد بالاستغفار مجرد قول أستغفر الله فمن لازم الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا . عن الحسن أن رجلا شكا إليه الجدب فقال : استغفر الله ، وشكا إليه آخر الفقر ، وشكا إليه آخر قلة النسل ، وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار ، فقال له الربيع بن صبيح : أتاك رجال يشكون إليك أبوابا ويسئلونك أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية (قوله وكانوا قد منعوه) أى لما كذبوا نوحا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة ، فهلكت أموالهم ومواشيهم ، فقال لهم نوح استغفروا ربكم الخ (قوله مدرارا) حال من السماء ولم يؤنث لأن مفعالا يستوى فيه المذكر والمؤنث .

بساتين (وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً) جارية (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً) أى تأملون وقار الله إياكم بأن تؤمنوا (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً) جمع طور، وهو الحال فطوراً نطفة وطوراً علقة إلى تمام خلق الإنسان والنظر فى خلقه يوجب الإيمان بخالقه (أَلَمْ تَرَوْا) تنظروا (كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً) بعضها فوق بعض (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ) أى فى مجموعهن الصادق بالسماء الدنيا (نُوراً . وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً) مصباحا مضيئاً وهو أقوى من نور القمر (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ) خلقكم (مِنَ الْأَرْضِ) إذ خلق أباكم آدم منها (نَبَاتاً . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا) مقبورين (وَيُخْرِجُكُمْ) للبعث (إِخْرَاجاً . وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً) مبسوطة (لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً) طرقا (فِجَاجاً) واسعة (قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا) أى السفلة والفقراء (مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ) وهم الرؤساء المنعم عليهم بذلك وولد بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما والأول قيل جمع ولد بفتحهما كخشب وخشب وقيل بمعناه كبخل وبخل (إِلَّا خَسَاراً) طغيانا وكفراً (وَمَكَرُوا) أى الرؤساء (مَكْراً كُبَّاراً) عظيما جداً بأن كذبوا نوحا وآذوه ومن اتبعه ،

(قوله بساتين) أشار بذلك إلى أن المراد جنات الدنيا وكرر فعل الجعل ولم يقل يجعل لكم جنات وأنهارا لتغاير المعمولين فان الجنات مما لهم فيها مدخل بخلاف الأنهار ، ولذا قال يمددكم بأموال وبنين - ولم يقل يجعل لتغاير المعمول (قوله مالكم) مبتدأ وخبر ، والمعنى أى شىء ثبت لكم وقوله لاترجون جملة حالية من الكاف وقوله وقارا أى توقيرا من الله لكم واللام بمعنى من والمعنى أى شىء ثبت لكم لاتؤملون الله فى كونه يوقركم ويعظمكم بل المطلوب منكم أن ترجو وقار الله إياكم بأن تؤمنوا به فالمقصود الحث على الإيمان والطاعة الموجبين لرجاء ثواب الله لأن الرجاء تعلق القلب بمرغوب فيه يحصل فى المستقبل مع الأخذ فى الأسباب وهو لايكون إلا بالإيمان والطاعة (قوله وقد خلقكم) الجملة حالية من فاعل ترجون وأطوارا حال مؤولة بمشتق أى منتقلين من حال إلى حال (قوله والنظر) أى التأمل (قوله فى خلقه) أى الانسان ، والمعنى أن التأمل فى أحوال الانسان من أسباب الايمان بالله تعالى (قوله تنظروا) أى نظر اعتبار وتفكر (قوله كيف خلق الله الخ) هذه الجملة سدت مسد مفعولى تروا (قوله بعضها فوق بعض) أى من غير مماسة بل بين كل واحدة والأخرى خمسمائة عام وسمك الواحدة منهن خمسمائة عام (قوله أى فى مجموعهن) دفع بذلك مايقال إن القمر لم يكن إلا فى خصوص سماء الدنيا فما معنى إضافته إلى الكل فأجاب بما ذكر وفيه أن المجموع لابدّ فيه من تعدد أفراد وهنا ليس كذلك فالأحسن الجواب بأن السموات شفافة فيرى الكل كأنه سماء واحدة ومافى واحدة كأنه فى الكل (قوله وجعل الشمس) أى فيهن حذف من الثانى لدلالة الأول عليه . واعلم أن القمر فى سماء الدنيا اتفاقا واختلف فى الشمس فقيل فى السماء الرابعة ، وقيل فى الخامسة ، وقيل فى الشتاء فى الرابعة ، وفى الصيف فى السابعة ووجههما مما يلى السماء وقفاهما مما يلى الأرض (قوله سراجا) أى مثل السراج فى كونها تزيل ظلمة الليل كما يزيلها السراج (قوله وهو أقوى من نور القمر) . إن قلت إن القمر أقوى من المصباح بالمشاهدة لعمومه بالمشارق والمغارب وانتشاره . أجيب بأن الضمير عائد على الضوء المفهوم من مضيئا أو يقال إن المصباح فى محل انتشاره أقوى من القمر وإن كان أوسع امتدادا منه لأن الإنسان يمكنه قراءة الخط فى المصباح دون القمر فلا يقرؤه إلا القليل من الناس (قوله خلقكم) أى أنشأكم منها فالإنبات استعارة للخلق (قوله إذ خلق أباكم آدم منها) أى أو باعتبار النطفة فان أصلها وهو الغذاء من الأرض (قوله نباتا) مصدر لأنبت على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر (قوله مقبورين) حال (قوله مبسوطة) أى لامسنمة فتتعب من عليها (قوله فجاجا) جمع فج وهو الطريق الواسع ، وقيل هو المسلك بين الجبلين (قوله قال نوح) أى بعد يأسه من إيمانهم وصبره المدة الطويلة عليهم وهذا مقدمة لدعائه عليهم (قوله إنهم عصونى) أى وعصيانى عصيان لك يارب (قوله وبفتحهما) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله ومكروا) معطوف على صلة من كأنه قال واتبعوا من مكروا وجمع الضمير نظرا لمعنى من وأفرد فى قوله يزده باعتبار لفظها (قوله كبارا) بضم الكاف وتشديد الباء وهى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالضم والتخفيف وهى صيغة مبالغة أيضا بمعنى المشدد والكسر والتخفيف جمع كبير .

(وقالوا)

(قوله وقالوا) عطف على الصلة أيضا (قوله ولا تذرن ودا) عطف خاص على عام (قوله بفتح الواو وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ولا يغوث و يعوق) بغير تنوين فى قراءة العامة ومنع الصرف إن كانا عربيين للعلمية ووزن الفعل و إن كانا أعجميين فللعلمية والعجمة وقرئ شذوذا بالصرف للتناسب لأن ماقبلهما مصروف وما بعدهما مصروف (قوله و يعوق ونسرا) لم يذكر النفى مع هذين لكثرة التكرار وعدم اللبس (قوله هى أسماء أصنام) أى كانوا يعبدونها وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم ولذا خصوها بالذكر . وأصلها كما قال عروة بن الزبير أنه كان لآدم خمس بنين ود وسواع و يغوث و يعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان أنا أصور لكم مثله إذا نظرتم إليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره فى المسجد من صفر ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم فلما تقادم الزمان تركت الناس عبادة الله فقال لهم الشيطان مالكم لاتعبدون شيئا قالوا وما نعبد قال آلهتكم وآلهة آبائكم ألا ترون أنها فى مصلاكم فعبدوها من دون الله تعالى حتى بعث الله نوحا عليه السلام فقالوا لاتذرن آلهتكم الآية (قوله وقد أضلوا) معمول لقول مقدر أى وقال قد أضلوا فهو معطوف على قوله:قال نوح رب إنهم عصونى (قوله دعا عليهم لما أوحى إليه الخ) جواب عما يقال إنه مبعوث لهدايتهم فكيف ساغ له الدعاء عليهم بالضلال . فأجاب بأنه لما يئس من إيمانهم بإخبار الله له بأنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ساغ له الدعاء عليهم (قوله ماصلة) أى ومن تعليلية (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله فأدخلوا نارا) أى فى الدنيا عقب الاغراق فكانوا يغرقون من جانب ويحترقون فى الماء من جانب بقدرة الله تعالى وهذا ما أفاده المفسر ويحتمل أن المراد بها نار الآخرة وهو من التعبير بالماضى عن المستقبل لتحقق الوقوع

(وَقَالُوا) للسفلة (لاتذرُنّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تذَرُنّ وَدًّا) بفتح الواو وضمها (وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) هى أسماء أصنام (وَقَدْ أَضَلُّوا) بها (كَثِيراً) من الناس بأن أمروهم بعبادتها (وَلاَ تَزِدِ الظالِمِينَ إلاَّ ضَلاَلاً) عطفاً على قد أضلوا ، دعا عليهم لما أوحى إليه : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (مِمَّا) ماصلة (خَطَايَاهُمْ) وفى قراءة خطيئاتهم بالهمز (أُغْرِقُوا) بالطوفان (فَأُدْخِلُوا نَاراً) عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء (فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ)أى غير (أَللهِ أَنْصَارًا) يمنعونَ عنهم العذاب (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَتَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) أى نازل دار والمعنى أحداً (إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً) من يفجر ويكفر ، قال ذلك لما تقدم من الإيحاء إليه (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ) وكانا مؤمنين (وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ) منزلى أو مسجدى (مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) إلى يوم القيامة (وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلاَّ تَبَاراً) هلاكا فأهلكوا .

(قوله وقال نوح رب الخ) عطف على قوله قال نوح رب وما بينهما اعتراض مبين لسبب استحقاقهم العذاب (قوله أى نازل دار) هذا معنى الديار فى اللغة والمراد صاحب دار سواء كان نازلا بها أم لا فهو مرادف لأحد فديار من الأسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما بالدار ديار (قوله من يفجر الخ) أشار بذلك إلى أن فيه مجاز الأول لأنهم لم يفجروا وقت الولادة بل بعدها (قوله قال كذلك) أى قوله لاتذر الخ وأما قوله ولا يلدوا الخ فعلمه بالتجربة لكونه عاش فيهم زمانا طويلا فعرف طباعهم وأحوالهم فكان الرجل ينطلق إليه بابنه ويقول له احذر هذا فانه كذاب و إن أبى حذرنى منه فيموت الكبير و ينشأ الصغير على ذلك (قوله وكانا مؤمنين) أى واسم أبيه لمك بفتحتين أو بفتح فسكون ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء والواو وسكون الشين وكسر اللام ابن أخنوخ وهو إدريس واسم أمه شمخا بوزن سكرى بنت أنوش (قوله منزلى أو مسجدى) أى أو سفينتى (قوله مؤمنا) حال (قوله إلى يوم القيامة) أى من مبدإ الدنيا إلى يوم القيامة (قوله إلا تبارا) مفعول ثان لتزد والاستثناء مفرغ وفعله تبر من باب قتل وتعب و يتعدى بالتضعيف فيقال تبره والاسم التبار (قوله فأهلكوا) أى وغرقت معهم صبيانهم على القول بأنهم لم يعقموا ومواشيهم لكن لاعلى وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب الكافرين قال عليه الصلاة والسلام «يهلكون مهلكا واحدا و يصدرون مصادر شتى» ، وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب ، وماقيل فى صبيان قوم نوح يقال فى صبيان كل أمة هلكت والله أعلم .

[سورة الجن] أى التى ذكرت فيها قصة إيمان الجن برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن رسالته عامة للانس والجن . والجن أجسام نارية هوائية لها قدرة على التشكلات بالصور الشريفة والخسيسة وتحكم عليهم الصورة ، وبهذا ظهر الفرق بينهم و بين الملائكة ، لأن الملائكة أجسام نورانية لها قدرة على التشكلات بالصور غير الخسيسة ولا تحكم عليهم الصورة . واختلف فى الجن : فقيل هم ذرية إبليس غير أن المتمرد منهم يسمى شيطانا كما أن الانس أولاد آدم ، وقيل إن الجن ولد الجان والشياطين ولد إبليس يموتون مع إبليس عند النفخة والراجح الأول فمن آمن من الجن فقد انقطعت نسبته من أبيه والتحق بآدم ومن كفر من الانس فقد انقطعت نسبته من أبيه والتحق بإبليس (قوله أى أخبرت بالوحى) أى أخبرنى جبريل وظاهر الآية أن النبى لم يشعر بهم ولا باستماعهم و إنما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته و به قيل ، والصحيح أنه رآهم وعلم بهم . ويجاب عن الآية بأن مصب الايحاء قصة الجن مع قومهم حين رجعوا إليهم بعد استماعهم القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله أنه استمع) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر نائب فاعل أوحى والتقدير أوحى إلىّ استماع (قوله نفر من الجن) النفر الجماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة . واختلف فى عددهم ، فقيل كانوا تسعة ، وقيل سبعة (قوله جن نصيبين) قرية باليمن بالصرف على الأصل وعدمه للعلمية والعجمة (قوله فى صلاة الصبح) وذلك أنه سار النبى صلى الله عليه وسلم فى جملة من أصحابه قاصدين سوق عكاظ وهو سوق معروف بقرب مكة كانت العرب تقصده فى كل سنة مرة فى الجاهلية وأول الاسلام وكان فى ذلك الوقت قد حيل بين الشياطين و بين خبر السماء فقال بعضهم لبعض ماذاك إلا من شىء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها لتنظروا ما الذى حال بيننا و بين السماء حتى منعنا بالشهب فانطلق جماعة منهم فمروا بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو يصلى الصبح يقرأ فيها سورة الرحمن وقيل اقرأ باسم ربك وكان ببطن نخل قاصدين سوق عكاظ فلما سمعوا القرآن قالوا هذا الذى حال بيننا و بين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا ياقومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا الخ (قوله بين مكة والطائف) بينه و بين مكة مسيرة ليلة (قوله فى فصاحته) فى بمعنى من فهو بدل مما قبله أو هى سببية (قوله وغزارة معانيه) أى كثرتها (قوله وغير ذلك) كالاخبار بالمغيبات (قوله ولن نشرك بربنا أحدا) هذا يدل على أنهم كانوا مشركين ، وروى أنهم كانوا يهودا ، وقيل إن منهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين (قوله وفى الموضعين بعده) أى وهما وأنه كان يقول وأنه كان رجال واسم كان ضمير الشان والجملة بعدها خبرها وهى واسمها وخبرها خبر أن (قوله جدّ ربنا) الجد يطلق على معان منها العظمة وهى المرادة هنا ومنها الغنى والحظ ومنه «ولا ينفع ذا الجد منك الجد» ومنها أبو الأب وأما الجد بالكسر فهو السرعة فى الشىء ضد التأنى (قوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) هذه الجملة مفسرة لما قبلها (قوله وأنا ظننا الخ) اعتذار من هؤلاء النفر عما صدر منهم قبل الايمان من الشرك و إيضاحه أنهم يقولون إنا ظننا واعتقدنا أن أحدا لا يكذب على الله وأن ما قاله سفهاؤنا من نسبة الصاحبة والولد إليه حق وصدق فلما سمعنا القرآن أسلمنا وعلمنا أنه كذب .

(سورة الجن)

مكية ، ثمان وعشرون آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . قُلْ) يا محمد للناس (أُوحِيَ إِلَيَّ) أى أخبرت بالوحى من الله تعالى (أَنَّهُ) الضمير للشأن (اسْتَمَعَ) لقراءتى (نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) جن نصيبين وذلك فى صلاة الصبح ببطن نخل موضع بين مكة والطائف وهم الذين ذكروا فى قوله تعالى : و إذ صرفنا إليك نفراً من الجن الآية (فَقَالُوا) لقومهم لما رجعوا إليهم (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) يتعجب منه فى فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) الإيمان والصواب (فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ) بعد اليوم (بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَإِنَّهُ) الضمير للشأن فيه وفى الموضعين بعده (تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) تنزه جلاله وعظمته عما نسب إليه (مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً) زوجة (وَلَا وَلَدًا . وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا) جاهلنا (عَلَى اللهِ شَطَطًا) غلوًا فى الكذب بوصفه بالصاحبة والولد (وَإِنَّا ظَنَنَّا أَنْ) مخففة ،

(قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن مضمر والجملة المنفية خبرها (قوله كذبا) نعت مصدر محذوف أى قولا كذبا (قوله بوصفه بذلك) أى بالصاحبة والولد (قوله حتى تبينا كذبهم) أى ظهرلنا (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذه المقالة والتى بعدها من كلامه تعالى مذكورتان فى خلال كلام الجن المحكى عنهم وهوأحد قولين وقيل إنهما أيضا من كلام الجن (قوله كان رجال) أى فى الجاهلية (قوله حين ينزلون الخ) أى وذلك أن العرب كانوا إذا نزلوا واديا عبثت بهم الجن فى بعض الأحيان لأنهم كانوا لايتحصنون بذكر الله وليس لهم دين صحيح فحملهم ذلك على أن يستجيروا بعظمائهم فكان الرجل يقول عند نزوله أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه فيبيت فى أمن وجوار منهم حتى يصبح فلا يرى إلا خيرا وربما هدوه إلى الطريق وردوا عليه ضالته وأول من تعوذ بالجن قوم من اليمن من بنى حنيفة ثم فشا فى العرب فلما جاء الاسلام صار التعوذ بالله لا بالجن (قوله فزادوهم) الواوعبارة عن رجال الانس والهاء عبارة عن رجال الجن (قوله فقالوا) أى الجن المستعاذ بهم (قوله سدنا الجن) بضم السين أى حصلت لنا السيادة على الجن غيرنا لقهرنا إياهم وسدنا الانس الذين استعاذوا بنا وهذه المقالة بسبب الطغيان (قوله أن لن يبعث الله أحدا) هذه الجملة سادة مسد مفعولى الظن والمسئلة

من باب التنازع أعمل الثانى وأضمر فى الأول وحذف (قوله رمنا) أى قصدنا وطلبنا (قوله فوجدناها ملئت الخ) الضمير مفعول أول لوجد وجملة ملئت مفعول ثان لها وحرسا تمييز جمع حارس كخدم وخادم (قوله وشهبا) جمع شهاب ككتب وكتاب (قوله نجوما محرقة) المناسب أن يقول شعلا منفصلة من نار الكواكب لأن الشهاب شعلة من نار تنفصل من الكواكب وتقدم ذلك عن المفسر (قوله وذلك) أى امتلاؤها

مخففة: أى أنه (لَن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا) بوصفه بذلك حتى تبيّنا كذبهم بذلك قال تعالى (وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ) يستعيذون (بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ) حين ينزلون فى سفرهم بمخوف فيقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه (فَزَادُوهُمْ) بعوذهم بهم (رَهَقًا) طغيانا فقالوا سدنا الجن والإنس (وَأَنَّهُمْ) أى الجن (ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ) يا إنس (أَن) مخففة: أى أنه (لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا) بعد موته قال الجن (وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ) رُمنا استراق السمع منها (فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا) من الملائكة (شَدِيدًا وَشُهُبًا) نجوما محرقة وذلك لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم (وَأَنَّا كُنَّا) أى قبل مبعثه (نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ) أى نستمع (فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا) أى أرصد له ليرمى به (وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ) بعدم استراق السمع (بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) خيرا (وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ) بعد استماع القرآن (وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ) أى قوم غير صالحين (كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا) فرقا مختلفين مسلمين وكافرين ،

بالحرس والشهب (قوله مقاعد للسمع) أى لأجل الاستماع (قوله الآن) ظرف حالى والمراد الاستقبال . والحاصل أن الشياطين كانوا أولا يسترقون السمع فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات بغير شهب فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها بالشهب فلما بعث ازداد تساقط الشهب حتى ملأ الفضاء وصارت لاتخطئهم فمنعوا من الصعود بالكلية لكن مازالوا يتوجهون إلى الصعود فتعاجلهم الشهب (قوله رصدا) صفة لشهابا وهو بمعنى اسم المفعول أى مرصودا له (قوله أشرّ أريد الخ) قيل القائل ذلك إبليس وقيل الجن فيما بينهم قبل أن يستمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى لاندرى أشرّ أريد بمن فى الأرض بارسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا فالشر والرشد على هذا الايمان والكفر (قوله ومنا دون ذلك) منا خبر مقدم ودون مبتدأ مؤخر إما بمعنى غير وفتح لاضافته لغير متمكن أو صفة لمحذوف تقديره ومنا فريق دون ذلك وحذف الموصوف مع من التبعيضية كثير ومن ذلك قولهم منا ظعن ومنا أقام أى منا فريق ظعن الخ (قوله أى قوم غير صالحين) أى غير مسلمين (قوله كنا طرائق) أى ذوى مذاهب مختلفة وأديان متفرقة (قوله قددا) جمع قدة بالكسر وهى فى الأصل الطريق والسيرة فاستعمالها فى الفرق مجاز ،

(قوله وأنا ظننا) أى علمنا وتيقنا (قوله فى الأرض) حال وكذا قوله: هربا (قوله بتقدير هو) أى بعد الفاء فهو جملة اسمية ولولا ذلك لحذفت الفاء وجزم جوابا للشرط (قوله وأنا منا المسلمون) أى وأنا بعد سماعنا القرآن مختلفون فمنا من أسلم ومنا من كفر (قوله الجائرون) أى فالقاسط الجائر، وأما المقسط فهو من أقسط بمعنى عدل وأعاد هاتين الجملتين مع ذكرهما أولا ليصرح بمجازاة المسلم وضده (قوله فكانوا لجهنم حطبا) إن قلت الجن مخلوقون من النار فكيف يعذبون بها؟ أجيب بأنهم وإن خلقوا منها لكن هم ضعاف والنار قوية وقوىّ النار يأكل ضعيفها (قوله وأنا وأنهم وأنه) مبتدأ وقوله فى اثنى عشر موضعا خبر أول وقوله بكسر الهمزة خبر ثان وقوله هى مبتدأ وأنه تعالى الخ خبر والجملة اعتراضية لبيان الاثنى عشر وقوله وأنا: أى فى ثمان مواضع، وأنا ظننا وأنا لمسنا الخ وقوله وأنهم أى فى موضع واحد وأنهم ظنوا وقوله وأنه أى فى ثلاثة مواضع: وأنه تعالى، وأنه كان يقول، وأنه كان رجال، فصح قوله فى اثنى عشر موضعا وقوله وأنه تعالى أى هى أولها وآخرها وأنا منا المسلمون وما بينهما أى بين الأول والآخر وهو عشرة مواضع، وقبل هذه الاثنى عشر موضعان: أحدهما بالفتح لاغير أنه استمع نفر. وثانيهما بالكسر لاغير إنا سمعنا قرآنا عجبا وبعدها موضعان أحدهما بالفتح لاغير: وأن المساجد لله. وثانيهما فيه الوجهان: وأنه لما قام عبد الله فالجملة ستة عشر علم تفصيلها فتدبر (قوله بما يوجه به) أى بأن يؤول

(وَإِنَّا ظَنَنَّا أَنْ) مخففة: أى أنه (لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا) أى لا نفوته كائنين فى الأرض أو هاربين منها إلى السماء (وَإِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى) القرآن (آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ) بتقدير هو بعد الفاء (بَخْسًا) نقصا من حسناته (وَلَا رَهَقًا) ظلما بالزيادة فى سيآته (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) الجائرون بكفرهم (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) قصدوا هداية (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) وقودا، و إنا و إنهم و إنه فى اثنى عشر موضعا هى: وأنه تعالى وأنا منا المسلمون وما بينهما بكسر الهمزة استئنافا و بفتحها بما يوجه به قال تعالى فى كفار مكة (وَأَنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وأنهم وهو معطوف على أنه استمع (لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) أى طريقة الإسلام (لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) كثيرا من السماء، وذلك بعد مارفع المطر عنهم سبع سنين (لِنَفْتِنَهُمْ) لنختبرهم (فِيهِ) فنعلم كيف شكرهم علم ظهور (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) القرآن (نَسْلُكْهُ) بالنون والياء،

ندخله

بمصدر أو يعطف على المصدر (قوله قال تعالى فى كفار مكة) أشار بذلك إلى أن وأن لو استقاموا إلى آخره ليس متعلقا بالجن بل هو من جملة الموحى به (قوله وهو معطوف على أنه استمع) أى والتقدير أوحى إلىّ استماع نفر وكونهم لو استقاموا الخ (قوله لو استقاموا على الطريقة) أى لو آمن هؤلاء الكفار لبسطنا لهم الرزق ووسعنا عليهم فى الدنيا زيادة على ما يحصل لهم فى الآخرة من النعيم الدائم فيحوزون عزّ الدنيا والآخرة والعامة على كسر واو لو على الأصل وقرئ شذوذا بضمها تشبيها بواو الضمير (قوله أى طريقة الاسلام) أى بالعمل بها وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات (قوله لأسقيناهم الخ) ليس المراد خصوص السقيا بل المراد التوسعة عليهم فى الدنيا وبسط الرزق، وإنما اقتصر على ذكر الماء لأن الخير والرزق كله فى الماء فهو أصل الأرزاق. قال عمر رضى الله عنه: أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة (قوله غدقا) بفتحتين فى السبع وقرئ شذوذا بفتح الغين وكسر الدال وهو مصدر غدق من باب تعب، يقال غدقت عينه تغدق: أى هطل دمعها وغدقت العين غدقا كثر ماؤها (قوله وذلك) اسم الاشارة عائد على معلوم من السياق والتقدير ونزول الآية كان بعد مارفع الخ (قوله لنفتنهم فيه) أى الماء وفى للسببية (قوله علم ظهور) أى للخلائق وإلا فهو تعالى لا يخفى عليه شئ فالمعنى ليظهر لهم متعلق علمنا، وفى الآية معنى إشارى للصوفية وهو أن العباد لو حصلت منهم الاستقامة على الطريقة بالانهماك فى مرضات الله تعالى لملأ الله قلوبهم بالأسرار والمعارف والمحبة الشبيهة بالماء فى كونها حياة الأرواح كما أن الماء حياة الأجسام فيحصل لهم بسبب ذلك الفتنة فيه بأن يسكروا ويطربوا ويدهشوا ويخرجوا عن الأهل والأوطان فالاستقامة سبب للرزق الظاهرى والباطنى (قوله بالنون والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان.

(قوله ندخله) أشار بذلك إلى أنه ضمن نسلك معنى ندخل فعداه للمفعول الثانى بنفسه (قوله صعدا) مصدر صعد بكسر العين كفرح وصف به العذاب على تأويله باسم الفاعل (قوله شاقا) هـذا تفسير باللازم و إلا فمعنى الصعود العلو والارتفاع (قوله وأنّ المساجد لله) هو من جملة الموحى به أى وأوحى إلىّ كون المساجد مختصة بالله . واختلف فى المراد بالمساجد فقيل هى جمع مسجد بكسر الجيم وهو موضع السجود فالمراد بها جميع البقاع ، لأن الأرض جعلت كلها مسجدا لهذه الأمة ، وقيل جمع مسجد بالفتح وهو الأعضاء الواردة فى الحديث : الجبهة والأنف والركبتان واليدان والقدمان ، والمعنى أن هـذه الاعضاء نعم أنعم الله بها عليك فلا تسجد لغير الله فتجحد نعمة الله ، وقيل المراد بها الأماكن المبنية للعبادة و إضافة المساجد إلى الله تعالى للتشريف والتكريم وقد تنسب لغيره على سبيل التعريف كما فى الحديث « صلاة فى مسجدى هـذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » (قوله فلا تدعوا مع الله أحدا) أى لاتعبدوا غير الله فهو توبيخ للمشركين فى عبادتهم الأصنام ، وقيل المراد أفردوا المساجد بذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا لما فى الحديث « من نشد ضالة فى المسجد فقولوا لاردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا » ، وفى الحديث أيضا « كان إذا دخـل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ، اللهم أنا عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور فأسألك برحمتك أن تفك رقبتى من النـار ، واذا خرج من المسجد قدم رجـله اليسرى وقال اللهم صب علىّ الخير صبا ولا تنزع عنى صالح ما أعطيتنى أبدا ولا تجعـل معيشتى كدا واجعل لى فى الأرض جـدا » أى غنى (قوله وأنه لما قام عبدالله الخ) سياق هـذه الآية إنما يظهر فى المرة الثانيـة وهى التى كانت فى الحجون وكان معـه فيها ابن مسعود وكان الجن إذ ذاك اثنى عشر ألفا ، وقيـل سبعين ألفا و بايع جميعهم وفرغوا من بيعته عنـد انشقاق الفجر ، ووصفه الله بالعبودية زيادة فى تشريفه وتكريمه (قوله ببطن نخل) المناسب أن يقول بحجون مكة وهى المرة الثانية ، وأما الأولى التى هى ببطن نخل فكانوا سبعة أوتسعة فلايتأتى قوله : كادوا يكونون عليه لبدا (قوله بكسر اللام وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جمع لبدة) أى بكسر اللام كسدرة وسدر على قراءة الكسر أوضمها كغرفة وغرف على قراءة الضم (قوله قال إنما أدعوا ربى الخ) سبب نزولها أن كفار قريش قالوا له : إنك جئت بأمر عظيم وقـد عاديت الناس كلهم فارجع عن هـذا ونحن نجيرك وننصرك (قوله وفى قراءة قل) أى وهى سبعية أيضا وعليها فى الكلام التفات من الغيبـة للخطاب (قوله إلها) قدّره إشارة إلى أن أدعوا بمعنى أعتقد فتتعدى لمفعولين ولو فسرها بأعبد لاستغنى عن هـذا التقدير (قوله غيا) أشار بذلك إلى أن المراد بالضر الغىّ فأطلق المسبب وأريد السبب فان الضر سببه الغى فهو مجاز مرسل وكذا يقال فى قوله : ولارشدا (قوله قل إنى لن يجيرنى الخ) بيان لعجزه عن شئون نفسه بعد بيان عجزه عن شئون غـيره (قوله استثناء من مفعول أملك) أى من مجموع الأمرين وهما قوله ضرا ورشـدا بعـد تأويلهما بشيئا كأنه قال لا أملك لـكم شـيئا إلا بلاغا فهواستثناء متصل ، وجملة : قل إنى لن يجيرنى الخ معترضة بين المستثنى والمستثنى منه آتى بها لتأكيد نفى الاستطاعة .

ندخله (عَذَابًا صَعَدًا) شاقا (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ) مواضع الصلاة (لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا) فيها (مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) بأن تشركوا كما كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم و بيعهم أشركوا (وَأَنَّهُ) بالفتح والكسر استئنافا والضمير للشأن (لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ) محمد النبى صلى الله عليه وسلم (يَدْعُوهُ) يعبده ببطن نخل (كَادُوا) أى الجن المستمعون لقراءته (يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) بكسر اللام وضمها جمع لبدة كاللبد فى ركوب بعضهم بعضاً ازدحاما حرصاً على سماع القرآن (قَالَ) مجيباً للكفار فى قولهم ارجع عما أنت فيه وفى قراءة قل (إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي) إلها (وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا. قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا) غيا (وَلَا رَشَدًا) خيراً (قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ) من عذابه إن عصيته (أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ) أى غيره (مُلْتَحَدًا) ملتجأ (إِلَّا بَلَاغًا) استثناء من مفعول أملك : أى لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم (مِنَ اللَّهِ) أى عنه (وَرِسَالَاتِهِ) ،

(قوله عطف على بلاغا) أى كأنه قال لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالة ، والمعنى إلا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا وأن أبلغ رسالاته أي أحكامه التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان (قوله في التوحيد) أخذ ذلك من قوله : خالدين فيها أبدا ، لأن الخلود قرينة كون المراد بالعاصي الكافر (قوله فأن له نار جهنم) العامة على كسر إن لوقوعها بعد فاء الجزاء وقرئ شذوذا بفتحها على أنها مع ما في حيزها في تأويل مصدر خبر لمحذوف والتقدير فجزاؤه أن له نار جهنم (قوله في له) أى حال من الهاء المجرورة باللام (قوله فسيعلمون) جواب إذا والسين لمجرد التأكيد لا للاستقبال لأن وقت رؤية العذاب يحصل العلم المذكور (قوله من أضعف ناصرا) من إما استفهامية مبتدأ وأضعف خبره أو موصولة وأضعف خبر لمحذوف أى هو أضعف والجملة صلة الموصول وناصرا وعددا تمييزان محولان عن المبتدإ على حد : أنا أكثر منك مالا (قوله أو أنا) الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا التوزيع تكلف لا داعي له بل يصلح كل من المعنيين لكل من القولين (قوله فقال بعضهم) هو النضر بن الحارث وقال هذا استهزاء به صلى الله عليه وسلم وإنكارا للعذاب (قوله

عطف على بلاغا ، ومابين المستثنى منه والاستثناء اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) في التوحيد فلم يؤمن (فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ) حال من ضمير مَن في له رعاية لمعناها وهي حال مقدّرة ، والمعنى يدخلونها مقدرا خلودهم (فِيهَا أَبَدًا حَتَّى إِذَا رَأَوْا) حتى ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها أي لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا (مَا يُوعَدُونَ) من العذاب (فَسَيَعْلَمُونَ) عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة (مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا) أعوانا أهم أم المؤمنون على القول الأول أو أنا أم هم على الثاني فقال بعضهم متى هذا الوعد فنزل (قُلْ إِنْ) أي ما (أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ) به من العذاب (أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا) غاية وأجلا لا يعلمه إلا هو (عَالِمُ الْغَيْبِ) ماغاب به عن العباد (فَلَا يُظْهِرُ) يطلع (عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) من الناس (إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ) مع اطلاعه على ماشاء منه معجزة له (يَسْلُكُ) يجعل ويسير (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) أي الرسول (وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) ملائكة يحفظونه حتى يبلغه في جملة الوحي (لِيَعْلَمَ) الله علم ظهور (أَنْ) مخففة من الثقيلة أي أنه (قَدْ أَبْلَغُوا) أي الرسل (رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ) روعي بجمع الضمير معنى مَن ،

(وأحاط

قريب) مبتدأ وما توعدون فاعل سدّ مسدّ الخبر وما موصولة وعائدها محذوف أو مصدرية (قوله من العذاب) بيان لما (قوله لا يعلمه إلا هو) صفة لأجلا (قوله عالم الغيب) بالرفع في قراءة العامة على أنه بدل من ربى أو خبر لمحذوف وقرئ شذوذا بالنصب على المدح وقرئ شذوذا علم الغيب فعلا ماضيا ناصبا للغيب (قوله ماغاب به) المناسب حذف قوله به (قوله فلا يظهر على غيبه أحدا) أى إظهارا تاما كاملا يستحيل تخلفه فليس في الآية مايدل على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف ، ولكن اطلاع الأنبياء على الغيب أقوى من اطلاع الأولياء لأن اطلاع الأنبياء يكون بالوحي وهو معصوم من كل نقص بخلاف اطلاع الأولياء فعصمة الأنبياء واجبة وعصمة الأولياء جائزة (قوله إلا من ارتضى) أى إلا رسولا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه فإنه يظهره على مايشاء من غيبه (قوله فإنه يسلك الخ) تقرير وتحقيق للإظهار المستفاد من الاستثناء كأنه قال إلا من ارتضى من رسول فإنه إذا أراد إظهاره على غيبه جعل له ملائكة من جميع جهاته يحرسونه من تعرّض الشياطين له (قوله ملائكة يحفظونه) أى من الجن . قال قتادة وغيره : كان الله سبحانه وتعالى إذا بعث رسولا أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين عنه فإذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فيحذره وإذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك (قوله ليعلم الله الخ) متعلق بيسلك غاية له وقوله علم ظهور دفع به ماقد يتوهم من قوله يعلم أن العلم متجدد . فأجاب بأن المعنى ليظهر متعلق علمه (قوله رسالات ربهم) أى كما هي محفوظة من الزيادة والنقصان (قوله معنى من) أى في قوله من ارتضى .

(قوله وأحاط بما لديهم) الضمير عائد على الرسل والملائكة ، والمعنى أحاط علمه بما عند الرسل والملائكة (قوله وأحصى كل شىء عددا) أى من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار وجميع الأشياء جليلها وحقيرها وهذا كالتعليل لقوله وأحاط بما لديهم .

[سورة المزمل مكية] أى وهو قول الجمهور لأنها أول مانزل بعد آية اقرأ وقوله أو إلاقوله الخ هذا قول الثعلبي وعليه فهو ناسخ لأول السورة وليس فى القرآن سورة نسخ آخرها أولها سواها ولم ينزل آخرها عقب أولها بل بينهما مدة أكثر ماقيل فيها عشر سنين (قوله ياأيها المزمل) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم . واختلف فى معنى المزمل فقيل المتلفف بثيابه وهو مامشى عليه المفسر وقيل المزمل بالنبوة والمدثر بالرسالة وقيل المزمل بالقرآن وقيل معناه يأيها الذى زمل هذا الأمر أى حمله . واعلم أن هذا الوصف أثبته العلماء من جملة أسمائه صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح وخالف فى ذلك السهيلى محتجا بأنه اسم مشتق من حاله التى كان عليها حين الخطاب ، ورد بأن هذا لايضر فى التسمية وأيضا فأسماؤه صلى الله عليه وسلم توقيفية وقد ورد نداؤه به فى القرآن وحينئذ فيجوز لنا أن نطلقه عليه (قوله أدغمت التاء فى الزاى) أى بعد قلبها زايا (قوله حين مجىء الوحى) أى جبريل فى ابتداء الرسالة بعد أن جاءه باقرأ باسم ربك . وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحى فى غار حراء رجع إلى خديجة زوجته يرجف فؤاده فقال زملونى زملونى لقد خشيت على نفسى أى من عدم القيام بحقه لهيبته وجلاله فقالت له

(وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ) عطف على مقدر : أى فعلم ذلك (وَأَحْصَى كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا) تمييز وهو محول عن المفعول ، والأصل أحصى عدد كل شىء .

(ســــورة المزمل)

مكية ، أو إلاقوله : إن ربك يعلم إلى آخرها فمدنى ، تسع عشرة أو عشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . يَٰأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) النبى وأصله المتزمل أدغمت التاء فى الزاى : أى المتلفف بثيابه حين مجىء الوحى له خوفا منه لهيبته (قُمِ اللَّيْلَ) صل (إِلَّا قَلِيلًا . نِصْفَهُ) بدل من قليلا وقلته بالنظر إلى الكل (أَوِ انْقُصْ مِنْهُ) من النصف (قَلِيلًا) إلى الثلث (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) إلى الثلثين ، وأو للتخيير (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ) تثبت فى تلاوته (تَرْتِيلًا . إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا) قرآنا (ثَقِيلًا) مهيبا ، أو شديدا لما فيه من التكاليف (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) ،

خديجة وكانت وزيرة صدق رضى الله عنها كلا والله مايخزيك الله أبدا إنك تصل الرحم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق (قوله قم الليل) العامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين وقرئ شذوذا بضمها وفتحها والليل ظرف للقيام على طريقة البصريين أو مفعول به على طريقة الكوفيين والأمر للوجوب. واختلف فيه ، فقيل كان واجبا عليه وعلى أمته، وقيل كان واجبا عليه وعلى جميع الأنبياء قبله ، وقيل خاص به صلى الله عليه وسلم ثم نسخ النعيين بآخر السورة ثم نسخ بالصلوات الخمس (قوله صل) أى فالمعنى قم للصلاة والعبادة (قوله وقلته الخ) جواب عما يقال إن النصف مساو للنصف الآخر لاقليل فأجاب بأنه يوصف بالقلة بالنظر لكل الليل لابالنظر للنصف الآخر (قوله إلى الثلث) أى انقص من النصف الذى تنامه فمعناه قم ثلثى الليل وقوله إلى الثلثين : أى زد على النصف الذى تنامه حتى تبلغ الثلثين فمعناه قم ثلث الليل فتحصل أن المعنى قم نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه فهو من الواجب المخير (قوله ورتل القرآن) أى فى أثناء قيامك . والمعنى اقرأه بترتيل وتؤدة وسكينة ووقار (قوله إنا سنلقى الخ) هذه الجملة معترضة بين الأمر بقيام الليل وتعليله بقوله إن ناشئة الليل وفى الحقيقة هذه الجملة أيضا تصلح أن تكون علة للأمر بقيام الليل كأنه قال قم الليل لتتهيأ لتحمل القول الثقيل الذى سننزله عليك (قوله مهيبا) أى عظيما جليلا . واختلف فى معنى كونه ثقيلا ، فقال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال مجاهد حلاله وحرامه ، وقال محمد ابن كعب ثقيل على المنافقين لأنه يهتك أسرارهم و يبطل أديانهم ، وقيل ثقيل بمعنى كريم ، وقيل ثقيل لايحمله إلاقلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وأجمع من هذا أن معناه كثير الفوائد والمعانى لايدركه عقل واحد فهو كالبحر المحيط الذى لاينقص بالاغتراف لجميع العلماء المتقدمين والمتأخرين يغترفون منه .

قال البوصيرى : لها معان كموج البحر فى مدد ... وفوق جوهره فى الحسن والقيم

فلا تعد ولا تحصى عجائبها ... ولا تسام من الاكثار بالسأم

ومامشى عليه المفسر من أن المراد بالقول القرآن هو أحد أقوال ، وقيل إن المراد به الوحى لما فى الحديث «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت صدرها على الأرض فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه » وقالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه و إن جبينه ليتفصد عرقا ، وقيل القول الثقيل هو قول لا إله إلا الله لما ورد أنها خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان (قوله القيام بعد النوم) أشار بذلك إلى أن ناشئة مصدر نشأ إذا قام ونهض كالعاقبة والعافية ويصح أن تكون صفة لمحذوف : أى أن النفس الناشئة بالليل أى القائمة فيه أشد وطأ الخ (قوله وطأ) تمييز أى من جهة المواطأة أى الموافقة فيها (قوله موافقة السمع للقلب) أى أن هذا الوقت توافق الحواس القلب فكل ماوقع فى الحواس وعاه القلب لخلو القلب عن الشواغل فلا مفهوم لقول المفسر السمع ، وفى وطأ قراءتان سبعيتان كسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف وفتح الواو وسكون الطاء بعدها همزة ومعناها ما قاله المفسر (قوله أبين قولا) أى أصوب قراءة وأصح قولا من النهار لسكون الأصوات (قوله سبحا طويلا) السبح مصدر سبح استعير من السباحة فى الماء للتصرف فى الأشغال (قوله لا تفرغ فيه الخ) أى فعليك بها فى الليل الذى هو محل الفراغ وفرغ من باب دخل

القيام بعد النوم (هِيَ أَشَدُّ وَطْأً) موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن (وَأَقْوَمُ قِيلاً) أبين قولا (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً) تصرفا فى أشغالك لاتفرغ فيه لتلاوة القرآن (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ) أى قل بسم الله الرحمن الرحيم فى ابتداء قراءتك (وَتَبَتَّلْ) انقطع (إِلَيْهِ) فى العبادة (تَبْتِيلاً) مصدر بتل جيء به رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتل ، هو (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً) موكولا له أمورك (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) أى كفار مكة من أذاهم (وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً) لاجزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم (وَذَرْنِي) اتركنى (وَالْمُكَذِّبِينَ) عطف على المفعول أو مفعول معه ، والمعنى أنا كافيكهم وهم صناديد قريش (أُولِي النَّعْمَةِ) التنعم (وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً) من الزمن فقتلوا بعد يسير منه ببدر ،

(قوله أى قل بسم الله الرحمن الرحيم الخ) تبع فى ذلك السهيلى ، وقال جمهور المفسرين إن قوله واذكر اسم ربك عام بعد خاص والمعنى دم عليه ليلا ونهارا على أى وجه كان من تسبيح وتحميد وتهليل ونحو ذلك (قوله انقطع إليه فى العبادة) أى أخلص العبادة لوجهه (قوله مصدر بتل) أى كعلم تعليما على حد قول ابن مالك : (إن

وغير ذى ثلاثة مقيس ... مصدره كقدس التقديس

وهذا اشارة لسؤال حاصله أن هذا المصدر ليس لهذا الفعل و إنما هو مصدر لفعل آخر : أجاب عنه بجوابين الأول قوله جيء به لرعاية الفواصل والثانى قوله وهو ملزوم التبتل . و إيضاحه أن التبتيل الذى هو مصدر بتل كقدس أطلق وأريد التبتل الذى هو مصدر تبتل كتكرم لكونه لازما له ومن مادته (قوله هو رب المشرق) أشار بذلك إلى أن قوله رب المشرق بالرفع خبر لمحذوف ويصح قراءته بالجر بدل من ربك والقراءتان سبعيتان (قوله فاتخذه وكيلا) نتيجة ماقبله والمعنى حيث علمت أنه مالك المشرق والمغرب ولا إله غيره فاعتمد عليه وفوض أمورك إليه (قوله واصبر على مايقولون) هذا شروع فى بيان كيفية معاملته للخلق إثر بيان كيفية معاملته للخالق (قوله واهجرهم هجرا جميلا) أى بأن تذرهم ولا تكافئهم بأفعالهم فالهجر الجميل هو الترك مع عدم الايذاء (قوله وهذا قبل الأمر بقتالهم) أى فهو منسوخ بآية القتال (قوله وذرنى والمكذبين) أى فلا تشفع لهم ولا تحل بينى وبينهم بل اتركنى أنتقم منهم وهذا من مزيد تعظيم الله له صلى الله عليه وسلم و إجلال قدره (قوله أولى النعمة) نعت للمكذبين والنعمة بالفتح التنعم و بالكسر الشئ المنعم به و بالضم السرور (قوله ومهلهم قليلا) أى بلغهم حتى أنى ممهل لهم زمنا قليلا وهو إلى خروجك من مكة فلما خرج صلى الله عليه وسلم منها سلط الله عليهم السنين المجدبة وهو العذاب العام ثم قتل صناديدهم ببدر وهو العذاب الخاص .

(قوله إن لدينا أنكالا الخ) هذا وعيد لهم بعذاب الآخرة إثر الوعيد بعذاب الدنيا (قوله جمع نكل) أى وهو القيد ، وقيل الغل (قوله وهو الزقوم) تقدم فى الدخان أنه شجر مرّ من أخبث الشجر (قوله أو الضريع) سيأتى للمفسر فى الغاشية أنه نوع من الشوك لاترعاه دابة لخبثه (قوله أو الغسلين) تقدم فى الحاقة أنه صديد أهل النار (قوله لايخرج ولاينزل) تفسير لقوله ينغص به فكان المناسب ذكره بلصقه (قوله يوم ترجف الخ) ظرف منصوب بما تعلق به قوله لدينا ، والتقدير استقرّ لهم عندنا ماذكر يوم ترجف الخ (قوله تزلزل) أصله تتزلزل حذفت منه إحدى التاءين (قوله وكانت الجبال) أى وتكون فعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله وحذفت الواو) أى عند سيبويه وإنما كانت أولى بالحذف لأنها زائدة ولذا اختاره المفسر وقال الكسائى : إن المحذوف الياء لأن القاعدة أن الذى يحذف لالتقاء الساكنين هو الأول (قوله يا أهل مكة) أى ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب (قوله كما أرسلنا إلى فرعون الخ) خص موسى وفرعون بالذكر لأن قصتهما

(إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا) قيوداً ثقالا جمع نكل بكسر النون (وَجَحِيمًا) ناراً محرقة (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ) ينغص به فى الحلق ، وهو الزقوم أو الضريع ، أو الغسلين ، أو شوك من نار لايخرج ولا ينزل (وَعَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما زيادة على ما ذكر لمن كذب النبى صلى الله عليه وسلم (يَوْمَ تَرْجُفُ) تزلزل (الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا) رملا مجتمعاً (مَهِيلًا) سائلا بعد اجتماعه وهو من هال يهيل وأصله مهيول استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الهاء وحذفت الواو ثانى الساكنين لزيادتها وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ) يا أهل مكة (رَسُولًا) هو محمد صلى الله عليه وسلم (شَاهِدًا عَلَيْكُمْ) يوم القيامة بما يصدر منكم من العصيان (كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا) هو موسى عليه الصلاة والسلام (فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا) شديداً (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ) فى الدنيا (يَوْمًا) مفعول تتقون ، أى عذابه: أى بأىّ حصن تتحصنون من عذاب يوم (يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) جمع أشيب لشدة هوله وهو يوم القيامة والأصل فى شين شيباً الضم وكسرت لمجانسة الياء ويقال فى اليوم الشديد يوم يشيب نواصى الأطفال وهو مجاز ، ويجوز أن يكون المراد فى الآية الحقيقة (السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ) ذات انفطار : أى انشقاق (بِهِ) بذلك اليوم لشدته (كَانَ وَعْدُهُ) تعالى بمجىء ذلك اليوم (مَفْعُولًا) أى هو كائن لا محالة (إِنَّ هَٰذِهِ) الآيات المخوفة (تَذْكِرَةٌ) عظة للخلق (فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) طريقاً .

مشهورة عند أهل مكة (قوله فعصى فرعون الرسول) أل للعهد الذكرى لأنه تقدم ذكره فى قوله رسولا والقاعدة أن النكرة إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى (قوله شديدا) هذا قول ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل: أى شديد ، وقيل الوبيل الثقيل الغليظ ، وقيل المهلك (قوله فكيف تتقون إن كفرتم) أى لاسبيل لكم إلى الوقاية من عذاب ذلك اليوم إن وقع الكفر منكم فى الدنيا (قوله يجعل الولدان الخ) هذه الجملة صفة ليوما والضمير فى يجعل إما عائد على الله أو على اليوم مبالغة أى أن نفس اليوم يجعل الولدان شيبا (قوله وهو مجاز) أى لفظ الشيب مجاز : أى كناية عن شدة الهول (قوله ويجوز الخ) أى فيكون الشيب على حقيقته ولامانع منه . ثم إن فى كلام المفسر إجمالا وإيضاحه أن يقال إن كون الشيب على حقيقته مبنى على أن المراد باليوم آخر أوقات الدنيا ، وهو عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا وكونه مجازا مبنى على أن المراد باليوم النفخة الثانية لأن القيامة ليس فيها شيب (قوله السماء منفطر به) صفة ثانية ليوما (قوله ذات انفطار) جواب عما يقال لم لم تؤنث الصفة فيقال منفطرة ؟ فأجاب بأن هذه صيغة نسبة : أى ذات انفطار . ويجاب أيضا بأن السماء تذكر باعتبار أنها سقف . قال تعالى ـ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ـ (قوله به) الباء بمعنى فى (قوله كان وعده تعالى) أشار به إلى أن إضافة وعد للضمير من إضافة المصدر لفاعله وهو الله تعالى (قوله إن هذه الآيات) أى القرآنية وهى قوله إن لدينا الخ ويصح أن يكون اسم الإشارة عائدا على السورة بتمامها (قوله فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) من شرطية وشاء فعل الشرط ومفعوله محذوف أى النجاة وجملة اتخذ إلى ربه سبيلا جواب الشرط ويصح أن يكون جملة شاء اتخذ إلى ربه سبيلا فعل الشرط وجوابه محذوف تقديره فليفعل .

(قوله بالإيمان والطاعة) أشار بذلك إلى أن المراد باتخاذ السبيل التقرب إلى الله تعالى بامتثال مأموراته واجتناب منهياته (قوله إن ربك يعلم الخ) شروع في بيان الناسخ لقوله قم الليل الخ ومحله قوله فتاب عليكم وما قبله توطئة وتمهيد له (قوله أقل من ثلثي الليل الخ) إن قلت إن الأقلية باعتبار الثلثين والنصف ظاهرة ولا تظهر بالنسبة للثلث لأنهم غير مأمورين بالنقص عنه بل هم مخيرون كما تقدم بين قيام الثلثين والنصف والثلث وهذا على قراءة الجر وقد يجاب بأن معنى قوله أدنى التقريب : أي يعلم أنك تقوم كما أمرك أقرب من ثلثي الليل الخ وعبر بالأدنى لأنها أمور ظنية تخمينية لا تحقيقية وهم مكلفون بالظن لا التحقيق والتحرير بالدقيقة (قوله وبالنصب) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله عطف على أدنى) أي فهو معمول لتقوم ، والمعنى تقوم نصفه تارة وثلثه تارة أخرى (قوله وقيامه) مبتدأ ، وقوله نحو ما أمر به خبره أي مثله فقوله هنا أدنى من ثلثي الليل المراد به الثلثان على سبيل التقريب وهو المذكور أولا بقوله ـ أو انقص منه قليلا ـ ، وقوله ونصفه المراد به النصف تقريبا وهو المذكور أولا بقوله ـ قم الليل إلا قليلا نصفه ـ وقوله وثلثه المراد به الثلث تقريبا وهو المذكور أولا بقوله أو زد عليه ولا يحتاج لقولنا تقريبا إلا على قراءة الجر وأما قراءة النصب فظاهرة (قوله وجاز) أي العطف على ضمير الرفع المتصل من غير (٢٤٨) تأكيد بالضمير المنفصل ، وقوله للفصل : أي بغير الضمير على حد قول ابن مالك : أو فاصل ما (قوله وقيام طائفة) مبتدأ وقوله للتأسي به خبره ، وقوله كذلك : أي ثلثين ونصفا وثلثا (قوله ومنهم من كان لا يدري الخ) بيان للطائفة الأخرى التي لم تتأس به فافترقت الصحابة فرقتين فرقة تأست به في قيام الثلثين والنصف والثلث وفرقة شددوا على أنفسهم فأحيوا الجميع (قوله سنة) أي على القول بأن السورة كلها مكية ، وقوله أو أكثر : أي ستة عشر

بالإيمان والطاعة (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى) أقل (مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ) بالجر عطف على ثلثي وبالنصب عطف على أدنى ، وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة (وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ) عطف على ضمير تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل ، وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به ، ومنهم من كان لا يدري كم صلى من الليل وكم بقي منه فكان يقوم الليل كله احتياطا فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر فخفف عنهم ، قال تعالى (وَاللَّهُ يُقَدِّرُ) يحصي (اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف : أي أنه (لَنْ تُحْصُوهُ) أي الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه إلا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) رجع بكم إلى التخفيف (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) في الصلاة ، بأن تصلوا ما تيسر (عَلِمَ أَنْ) مخففة من الثقيلة : أي أنه (سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ) يسافرون (يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها (وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ، (فاقرءوا

شهرا على القول بأنها مكية أيضا أو عشر سنين على القول بأن قوله إن ربك يعلم الخ مدني (قوله فخفف عنهم) أي عن الطائفتين من الصحابة (قوله أي الليل) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على الليل لأنه المحدث عنه من أول السورة (قوله رجع بكم إلى التخفيف) أي فالمراد التوبة اللغوية لا التوبة من الذنوب لكونهم لم يفعلوا ذنبا (قوله فاقرءوا ما تيسر من القرآن) بيان للناسخ فنسخ التقدير بالأجزاء الثلاثة إلى جزء مطلق من الليل (قوله في الصلاة) بيان لمعنى القراءة في الأصل (قوله بأن تصلوا) أشار بذلك إلى أن المراد بالقراءة الصلاة من إطلاق الجزء على الكل (قوله ما تيسر) أي ولو ركعتين (قوله علم أن سيكون الخ) استئناف مبين لحكمة أخرى للترخيص والتخفيف (قوله مخففة من الثقيلة) أي واسمها ضمير الشأن وجملة سيكون خبرها ومرضى اسم يكون ومنكم خبرها (قوله وآخرون يضربون في الأرض الخ) سوى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال لنفقته على نفسه وعياله إشارة إلى أن كسب المال بمنزلة الجهاد لما ورد في الحديث «ما من جالب يجلب طعاما من بلد إلى بلد فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله » وقال ابن مسعود : أيما رجل جلب شيئا من مدينة من مدائن الإسلام صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء وقرأ ـ وآخرون يضربون في الأرض ـ الآية (قوله وغيرها)

أى كطلب العلم وصلة الرحم (قوله فاقرءوا ماتيسر منه) إنما كرره تأكيدا ولكونه قرنه بحكم أخرى غير الأولى (قوله ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس) أى فى حق الأمة اتفاقا . وأما هو صلى الله عليه وسلم فقال مالك لم ينسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم بل بقى وجوب التهجد عليه لكن فى خصوص الحضر . وقال الشافعى : نسخ فى حقه أيضا . إن قلت إن وجوب الصلوات الخمس لاينافى وجوب قيام الليل وشرط الناسخ أن يكون حكمه منافيا للحكم المنسوخ ، فالحق أن النسخ بالحديث وهو «أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أعرابيا بأن الله افترض عليه خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فقال الأعرابى هل على غيرها يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم لا إلا أن تطوع» فقوله لا نفى وجوب أى صلاة كانت غير الخمس (قوله وماتقدموا لأنفسكم) ماشرطية وتجدوه جواب الشرط ومن خير بيان لما وعند الله ظرف لتجدوه وخيرا مفعول ثان لتجدوه (قوله مما خلفتم) أى وراءكم . إن قلت إن الذى خلفه وراءه ميراث لغيره فلا خير فيه له فالأحسن أن يقول مما أنفقتم على أنفسكم فى العاجل (قوله وهو فصل) أى ضمير فصل (قوله ومابعده الخ) أشار بذلك لسؤال حاصله أن ضمير الفصل لايقع إلا بين معرفتين وهنا وقع بين معرفة ونكرة . فأجاب بقوله يشبهها ، وقوله لامتناعه من التعريف : أى لأنه اسم تفضيل وهو لايجوز دخول أل عليه إذا كان معه من لفظا أو تقديرا وهنا من مقدرة كأنه قال هو معرفة لولا المانع وهو كونه مقرونا بمن (قوله واستغفروا الله) أى اطلبوا مغفرته فى جميع أحوالكم فان الانسان لايخلو من تفريط يوجب حجبه عن بركات الدنيا والآخرة ولا يزيل ذلك الحجاب إلا الاستغفار كما قال تعالى – فقلت استغفروا ربكم – الآيات ، وكما قال تعالى – ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض – وفى الحديث « إن العبد ليحرم الخير بالذنب يصيبه » .

(فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) كما تقدم (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) المفروضة (وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ) بأن تنفقوا ماسوى المفروض من المال فى سبيل الخير (قَرْضًا حَسَنًا) عن طيب قلب (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا) مما خلفتم وهو فصل ومابعده وإن لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف (وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) للمؤمنين .

(سورة المدثر)

مكية ، خمس وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) النبى صلى الله عليه وسلم وأصله المتدثر أدغمت التاء فى الدال : أى المتلفف بثيابه عند نزول الوحى عليه (قُمْ فَأَنْذِرْ) خوف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) عظم عن إشراك المشركين ،

[سورة المدثر مكية] أى بالاجماع (قوله يا أيها المدثر) وقع خلاف طويل فى أول ما نزل من القرآن ، والصحيح أن أول ما نزل على الإطلاق اقرأ باسم ربك إلى مالم يعلم ، وأول ما نزل بعد فترة الوحى يا أيها المدثر إلى فاهجر . والحاصل أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فى غار حراء فنزل جبريل بآية اقرأ كما فى حديث البخارى فذهب بها يرجف فؤاده فقال لخديجة زملونى فنزل عليه – يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا – ثم فتر الوحى فحزن صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال ويريد أن يرمى بنفسه فنودى وهو بغار حراء يامحمد إنك رسول الله قال : فنظرت عن يمينى و يسارى فلم أر شيئا فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض : يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال – يا أيها المدثر – والتدثر لبس الدثار وهو الثوب الذى فوق الشعار والشعار مايلى الجسد (قوله أدغمت التاء) أى بعد قلبها دالا وتسكينها (قوله أى المتلفف بثيابه) أى من الرعب الذى حصل له من رؤية الملك ، وقيل المتدثر بالنبوة والمعارف الالهية (قوله قم فأنذر) إنما اقتصر على الإنذار وإن كان مبعوثا بالتبشير أيضا لأنه فى ذلك الوقت لم يكن أحد يصلح للتبشير إلا ماقل جدا فلما اتسع الإسلام نزل عليه – إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا – (قوله وربك فكبر) أى خص ربك بالتكبير والتعظيم ظاهرا و باطنا والفاء فى هذا وما بعده لإفادة معنى الشرط كأنه قال مهما يكن من شىء فكبر ، والمعنى اعتقد أن ربك منزه عن كل نقص متصف بكل كمال .

(قوله وثيابك فطهر عن النجاسة) أى لأن طهارة الثياب شرط فى صحة الصلاة لاتصح إلا بها وهى الأولى والأحب فى غير الصلاة لأن المؤمن طاهر طيب لا يليق منه أن يحمل خبيثا ففى هذا ردة على المشركين فإنهم كانوا لايصونون ثيابهم عن النجاسات فأمره الله تعالى أن يخالفهم فى ذلك (قوله أو قصرها) أى لأن تطويل الثياب شأنه إصابة النجاسة فعبر بالملزوم عن اللازم وتقصير الثياب مطلوب لما فى الحديث « إزار المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولاجناح عليه فيما بينه و بين الكعبين وما كان على أسفل من ذلك ففى النار » فمن السفه أن يطيل الرجل ثيابه ثم يتكلف رفعها بيديه ، وورد « من جرّ إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ، قال أبو بكر يارسول الله إن أحد شقى إزارى يسترخى إلا أنى أتعهد ذلك منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء » فيؤخذ من ذلك أن تطويل الثياب بقصد الخيلاء حرام ، وأما من غير قصد بل لمجرد عادة أهل بلده مثلا فهو مكروه إن كان يتحفظ من النجاسة وما ذكره المفسر أحد أقوال فى تفسير الآية ، وقيل المراد طهر نفسك من الصفات المذمومة كالعجب والكبر والرياء ونحو ذلك ، مأخوذ من قولهم فلان طاهر الثياب والذيل إذا أرادوا وصفه بالنقاء من أدناس الأخلاق ، ومن ذلك قول عكرمة : لا تلبسها على معصية ولا على غدر ، وقال الحسن : خلقك فحسن ، وقال سعيد بن جبير : قلبك و بيتك فطهر ، وقال مجاهد : عملك فأصلح ، وقيل المراد بالثياب الأهل : أى طهرهم عن الخطايا بالموعظة والتأديب ، والعرب تسمى الأهل ثوبا ولباسا و إزارا . قال تعالى ــ هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ ــ والآية صالحة لجميع تلك المعانى (قوله والرجز) بضم الراء وكسرها سبعيتان والزاى منقلبة عن السين ومعناها واحد (قوله أى دم على هجره) دفع بذلك مايقال

(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) عن النجاسة ، أو قصرها خلاف جر العرب ثيابهم خيلاء فربما أصابتها نجاسة (وَالرُّجْزَ) فسره النبى صلى الله عليه وسلم بالأوثان (فَاهْجُرْ) أى دم على هجره (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) بالرفع حال : أى لاتعط شيئا لتطلب أكثر منه ، وهذا خاص به صلى الله عليه وسلم لأنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) على الأوامر والنواهى (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) نفخ فى الصور ، وهو القرن النفخة الثانية (فَذَٰلِكَ) أى وقت النقر (يَوْمَئِذٍ) بدل مما قبله المبتدأ و بنى لاضافته إلى غير متمكن وخبر المبتدإ (يَوْمٌ عَسِيرٌ) والعامل فى إذا مادلت عليه الجملة : أى اشتد الأمر ،

ظاهر الآية يقتضى أنه كان متلبسا بعبادة الأوثان وليس كذلك (قوله ولا تمنن) المنّ هنا الإنعام ، والمعنى لا تعط شيئا مستكثرا له ، وقوله حال أى من فاعل تمنن (قوله لاتعط شيئا لتطلب أكثر منه) أى فالاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض بأن يهب شيئا و يطمع أن يعوض من الموهوب له أكثر من الشىء الموهوب (على وقيل المعنى لاتعط شيئا مستكثرا له : أى رائيا ماتعطيه كثيرا بل عدّه قليلا لقوله تعالى ــ قل متاع الدنيا قليل ــ وقال البوصيرى :

مستقل دنياك أن ينسب الإمـسـاك منها إليـه والإعطاء

وقوله أكثر منه : أى ولا مساويا ولا أقل فالمراد النهى عن طلب العوض مطلقا ليكون عطاؤه صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس إليه ، وحكمة تخصيصه بذلك أنه عليه الصلاة والسلام خليفة الله الأعظم فى خلقه دنيا وأخرى يقسم عليهم من خزائن الله تعالى فجميع مايبذله لعباده بالنسبة لما عند الله قليل فلا يليق أن يراه كثيرا ولا أن يطلب عوضا من الفقراء وهو خليفة عن الغنى المطلق فتدبر (قوله وهذا) أى النهى ، وقوله خاص به : أى وأما أمته فليس حراما فى حقهم (قوله فاذا نقر فى الناقور) من النقر وهو القرع الذى هو سبب الصوت فأطلق السبب وأريد المسبب وهو التصويت ، والمعنى إذا صوت إسرافيل فى الصور (قوله وهو القرن) أى وهو مستطيل سعة فمه كما بين السماء والأرض وفيه ثقب بعدد الأرواح كلها وتجمع فى تلك الثقب فيخرج بالنفخة الثانية من كل ثقبة روح إلى الجسد الذى نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى (قوله أى وقت النقر) أى الذى هو معنى إذا (قوله بدل مما قبله) أى وهو اسم الإشارة ، وقوله المبتدأ بيان لما وقوله و بنى : أى لفظ يوم ، وقوله إلى غير متمكن : أى وهو إذ وتنوينها عوض عن الجملة : أى يوم إذ نقر فى الناقور ، وقوله وخبر المبتدإ يوم عسير : أى لفظ يوم ، وقوله عسير صفة أولى له وغير يسير صفة ثانية (قوله مادلت عليه الجملة) أى جملة الجزاء وهى قوله فذلك يومئذ يوم عسير فقد دلت على جملة فعلية فعلها عامل فى إذا فالناصب لها مدلول جوابها لاجوابها نفسه

(عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين أى فى عسره (ذَرْنِي) اتركنى (وَمَنْ خَلَقْتُ) عطف على المفعول أو مفعول معه (وَحِيدًا) حال من مَن أو من ضميره المحذوف من خلقت أى منفرداً بلا أهل ولا مال هو الوليد بن المغيرة المخزومى (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) واسعاً متصلا من الزروع والضروع والتجارة (وَبَنِينَ) عشرة أو أكثر (شُهُودًا) يشهدون المحافل وتسمع شهادتهم (وَمَهَّدْتُ) بسطت (لَهُ) فى العيش والعمر والولد (تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا) لا أزيده على ذلك (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا) أى القرآن (عَنِيدًا) معاندًا (سَأُرْهِقُهُ) أكلفه (صَعُودًا) مشقة من العذاب أو جبلا من نار يصعد فيه ثم يهوى أبدًا (إِنَّهُ فَكَّرَ) فيما يقول فى القرآن الذى سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم (وَقَدَّرَ) فى نفسه ذلك ؛

(قوله على الكافرين) متعلق بعسير وقوله فيه دلالة أى فى التقييد بهذا الجار والمجرور دلالة على أنه يسير على المؤمنين وتحليله إلى جواب مافائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه ففيه زيادة وعيد وغيظ للكافرين وبشرى وتسلية للمؤمنين (قوله ذرنى) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وفيه مزيد إجلال وتعظيم له و إشعار بأن رحمته صلى الله عليه وسلم غالبة على غضبه (قوله على المفعول) أى وهو الياء فى ذرنى (قوله أومفعول معه) أى فالواو للمعية (قوله أو من ضميره المحذوف) أى عائده المحذوف من خلقت أى خلقته و يحتمل أنه حال من التاء فى خلقت أى خلقته وحدى لم يشاركنى فى خلقه أحد والأول أقرب (قوله هو الوليد بن المغيرة المخزومى) أى الذى تقدمت بعض أوصافه فى سورة نٓ (قوله وجعلت له) عطف على خلقت (قوله مالا ممدودا) اختلف فى مبلغه فقيل ألف دينار وقيل ستة آلاف وقيل تسعة آلاف مثقال فضة (قوله من الزروع) أى فكان له بستان بالطائف لاتنقطع ثماره شتاء ولا صيفا (قوله والضروع) أى المواشى (قوله عشرة) أى من الذكور وقد عد الخازن منهم سبعة وهم الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس وقوله أو أكثر قيل اثنا عشر وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر وعلى كل فقد أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد (قوله شهودا) جمع شاهد بمعنى حاضر (قوله يشهدون المحافل) أى مجامع الناس لوجاهتهم بين الناس أو المراد الحضور مع أبيهم لعدم احتياجهم للسفر فهو كناية عن كثرة النعم والخدم (قوله وتسمع شهادتهم) أى كلامهم (قوله ومهدت له تمهيدا) التمهيد فى الأصل التسوية والتهيئة أطلق وأريد به بسط المال والجاه (قوله بسطت له فى العيش والعمر والولد) أى حتى لقب ريحانة قريش والوحيد (قوله ثم يطمع) عطف على جعلت ومهدت (قوله لا أزيده) أى بل أنقصه فقد ورد أنه بعد نزول هذه الآية مازال فى نقصان ماله وولده حتى هلك فقيرا بخدشة سهم أصابته فى رجله ، قال البوصيرى :

واصاب الوليد خدشة سهم ... قصرت عنها الحية الرقطاء

(قوله إنه كان لآياتنا عنيدا) تعليل للردع المستفاد من قوله كلا (قوله معاندا) العناد ينشأ من كبر فى النفس أو يبس فى الطبع أو شراسة فى الأخلاق أو خبل فى العقل (قوله يصعد فيه) أى سبعين عاما كلما وضع يده عليه ذابت فاذا رفعها عادت و إذا وضع رجله ذابت و إذا رفعها عادت (قوله ثم يهوى) أى سبعين عاما (قوله أبدا) راجع لكل من الصعود والهوى (قوله إنه فكر) أى ردد فكره فيما يطعن به فى القرآن وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه حمٓ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم إلى قوله إليه المصير قام فى المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبى صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد بن المغيرة حتى أتى مجلس قومه من بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام البشر ولا من كلام الجن إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر و إن أسفله لمغدق و إنه يعلو ولا يعلى عليه ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقام أبو جهل وقال أنا أكفيكموه فانطلق فقعد إلى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالى أراك حزينا يا ابن أخى قال ومايمنعنى أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وأنك داخل على ابن أبى كبشة وابن أبى قحافة تسأل من فضل طعامهم ، فغضب الوليد وقال ألم تعلم أنى من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يختنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون

أنه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن ؟ فقالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط ؟ قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا اللهم لا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه وقدّر ثم قال ما هذا إلا سحر يؤثر (قوله فقتل) أي في الدنيا (قوله ثم قتل) أي فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى فهي في هذه المواضع للتراخي وكيف منصوبة على الحال من الضمير في قدر وهي للاستفهام والمقصود منه توبيخه والتعجب من تقديره (قوله في وجوه قومه) أي نظر بعين الغضب من أجل الأمر الذي قالوه فيه وقوله أو فيما يقدح به أي في القرآن فالنظر على هذا بمعنى التأمل فيكون تأكيدا لقوله إنه فكر وقدر (قوله ثم عبس) يقال عبس عبسا وعبوسا أي قطب وجهه والعبس يطلق على ما يبس في أذناب الإبل من البعر والبول ، وقوله و بسر يقال بسر يبسر بسرا و بسورا إذا قبض بين عينيه كراهية للشيء واسود وجهه منه يقال وجهه وجه باسر : أي منقبض مسود ، فالبسور غاية في العبوس (قوله والكلوح) مرادف للقبض (قوله واستكبر) عطف سبب (قوله إلا سحر) أي أمور تخييلية لا حقائق لها وهي لدقتها تخفى أسبابها ، وقوله ينقل عن السحرة أي كمسيلمة وأهل بابل (قوله إن هذا إلا قول البشر) نتيجة حصره في السحر (قوله سأصليه سقر) بدل من قوله سأرهقه صعودا ثم إن كان المراد بالصعود المشقة فالبدل واضح و إن كان صعود الجبل والهبوط فهو بدل اشتمال فتدبر (قوله

(فَقُتِلَ) لعن وعذب (كَيْفَ قَدَّرَ) على أي حال كان تقديره (ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ) في وجوه قومه أو فيما يقدح به فيه (ثُمَّ عَبَسَ) قبض وجهه وكلحه ضيقا بما يقول (وَبَسَرَ) زاد في القبض والكلوح (ثُمَّ أَدْبَرَ) عن الإيمان (وَاسْتَكْبَرَ) تكبر عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم (فَقَالَ) فيما جاء به (إِنْ) ما (هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ) ينقل عن السحرة (إِنْ) ما (هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) كما قالوا إنما يعلمه بشر (سَأُصْلِيهِ) أدخله (سَقَرَ) جهنم (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ) تعظيم لشأنها (لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ) شيئا من لحم ولا عصب إلا أهلكته ثم يعود كما كان (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) محرقة لظاهر الجلد (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) ملكا خزنتها ، قال بعض الكفار وكان قويا شديد البأس أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين ، قال تعالى (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) أي فلا يطاقون كما يتوهمون (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ) ذلك ، (إلا

ماسقر) ما مبتدأ وسقر خبره والجملة سدت مسد المفعول الثاني لأدرى (قوله تعظيم لشأنها) أي نظير ما تقدم في سورة الحاقة (قوله لا تبقي ولا تذر) حال وفيها معنى التعظيم والجملتان بمعنى واحد والعطف للتوكيد هذا ما يقتضيه صنيع المفسر (قوله لواحة للبشر) خبر مبتدإ محذوف وقوله محرقة لظاهر الجلد أي فالمراد بالبشر الجلد و يطلق البشر على الناس جميعا ومعنى لواحة تظهر لهم وتلوح قبل أن يسقطوا فيها ولكن المعنى الأول أقرب (قوله عليها تسعة عشر ملكا) أي وهم مالك ومعه ثمانية عشر ، وقيل تسعة عشر نقيبا وقيل تسعة عشر ألف ملك والقول الثاني موافق لقوله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو . وفي القرطبي قلت والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء ، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» اهـ وقد ورد في صفة الخزنة أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي أي قرون البقر وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا مرة واحدة فيرميهم حيث شاء من جهنم وفي رواية «إن لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار و يرمي الجبل عليهم» (قوله خزنتها) أي يتولون أمرها و يتسلطون على أهلها ولا يتألمون منها بل هم فيها كخزنة الجنة في الجنة (قوله قال بعض الكفار) هو أبو الأشد بن كلدة بن خلف الجمحي قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم محمد يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم فقال أبو الأشد أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني أنتم اثنين

(إِلَّا فِتْنَةً) ضلالا (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) بأن يقولوا لم كانوا تسعة عشر (لِيَسْتَيْقِنَ) ليستبين (الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أى اليهود صدق النبى صلى الله عليه وسلم فى كونهم تسعة عشر الموافق لما فى كتابهم (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا) من أهل الكتاب (إِيمَانًا) تصديقا لموافقة ما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم لما فى كتابهم (وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) من غيرهم فى عدد الملائكة (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) شك بالمدينة (وَالْكَافِرُونَ) بمكة (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا) العدد (مَثَلًا) سموه لغرابته بذلك وأعرب حالا (كَذَٰلِكَ) أى مثل إضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه (يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ) أى الملائكة فى قوتهم وأعوانهم (إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ) أى سقر (إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ. كَلَّا) استفتاح بمعنى ألا (وَالْقَمَرِ. وَاللَّيْلِ إِذَا) بفتح الذال (دَبَرَ) جاء بعد النهار، وفى قراءة إذ أدبر بسكون الذال بعدها همزة أى مضى (وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ) ظهر (إِنَّهَا) أى سقر (لَإِحْدَى الْكُبَرِ) البلايا العظام (نَذِيرًا) حال من إحدى وذكر لأنها بمعنى العذاب (لِلْبَشَرِ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ) بدل من البشر (أَنْ يَتَقَدَّمَ) إلى الخير أو الجنة بالإيمان (أَوْ يَتَأَخَّرَ) إلى الشر أو النار بالكفر (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) مرهونة مأخوذة بعملها فى النار (إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) وهم المؤمنون فناجون منها،

وفى رواية أنه قال: أنا أمشى بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبى الأيمن وتسعة بمنكبى الأيسر فى النار ونمضى فندخل الجنة فأنزل الله تعالى ـ وماجعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ـ (قوله إلا فتنة) مفعول ثان لجعل على حذف مضاف أى إلا سبب فتنة وقوله للذين صفة لفتنة وإنما صار هذا العدد فتنة لهم من وجهين: الأول أن الكفار يستهزئون ويقولون لم لا يكونون أزيد من ذلك. والثانى أن هذا العدد القليل كيف يتولى تعذيب أكثر العالم من الجن والانس من أول ماخلق الله إلى قيام الساعة (قوله ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) متعلق بجعلنا الثانى، والمعنى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم (قوله من غيرهم) أى غير اليهود فحصل التغاير فالمراد بالذين أوتوا الكتاب والمؤمنون أولا اليهود والمراد بالذين أوتوا الكتاب ثانيا هم النصارى والمؤمنون المذكورون بعدهم من غير اليهود بل من هذه الأمة، فاندفع مايقال إن فى الآية تكرارا (قوله بالمدينة) حال من الذين أى حال كونهم بالمدينة وهذا من الله إخبار بما سيقع، لأن السورة نزلت قبل الهجرة بمكة (قوله ماذا الخ) ما اسم استفهام مبتدأ وذا موصول خبره وأراد الله صلة الموصول ومثلا حال والمعنى ما الذى أراده الله بهذا حال كونه مثلا لاحقيقته لغرابته لأن هذا العدد أمر غريب لم تسعه عقولنا (قوله أى مثل إضلال) أشار به إلى أن الكاف فى محل نصب نعت لمصدر محذوف: أى يضل إضلالا مثل ذلك (قوله وهدى مصدقه) بوزن رمى بفتح أوله وسكون ثانيه أو بضم أوله وفتح ثانيه (قوله وما يعلم جنود ربك إلا هو) هذا جواب لأبى جهل حين قال: مالمحمد أعوان إلا تسعة عشر (قوله أى سقر) أعاد الضمير على سقر ويجوز أن يعود على الآيات المذكورة فيها (قوله إلا ذكرى للبشر) أى يتذكرون ويعلمون كمال قدرته تعالى (قوله استفتاح بمعنى ألا) أى فأتى بها تعظيما للقسم عليه وحينئذ فالوقف على ماقبلها، وقيل إنها حرف ردع وزجر وعليه فيوقف عليها (قوله بفتح الذال) أى فاذا ظرف لما يستقبل ودبر فعل ماض بوزن ضرب وقوله وفى قراءة الخ أى فاذ ظرف لما مضى من الزمان وأدبر بوزن أكرم والقراءتان سبعيتان والرسم محتمل لكل منهما إذ الصورة الخطية لا تختلف وقرئ شذوذا إذا أدبر بالفين. واختلفوا هل دبر وأدبر بمعنى واحد أو دبر معناه جاء وأدبر بمعنى مضى وهو الذى مشى عليه المفسر (قوله إنها لاحدى الكبر) جواب القسم (قوله حال من إحدى) هذا أحد احتمالات كثيرة نحو أحد عشر وهو أظهرها (قوله لمن شاء منكم الخ) هذا وعيد وتهديد نظير قوله ـ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ـ (قوله كل نفس) أى مؤمنة أو كافرة عاصية أو غير عاصية فالاستثناء متصل (قوله رهينة) أى على الدوام بالنسبة للكفار وعلى وجه الانقطاع بالنسبة لعصاة المؤمنين (قوله مأخوذة بعملها) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والكسب بمعنى العمل (قوله إلا أصحاب اليمين) قدعلمت أن الاستثناء متصل وأهل اليمين يعم العصاة وغيرهم لأن الكل ناجون من الرهينة إما ابتداء ودواما وإما دواما.

كائنون (فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ) بينهم (عَنِ الْمُجْرِمِينَ) وحالهم ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار (مَاسَلَكَكُمْ)أدخلكم (فِي سَقَرَ . قَالُوالَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ. وَكُنَّا نَخُوضُ) في الباطل (مَعَ الْخَائِضِينَ. وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) البعث والجزاء (حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ) الموت (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) من الملائكة والأنبياء والصالحين ، والمعنى لاشفاعة لهم (فَمَا) مبتدأ (لَهُمْ) خبره متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه (عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ)حال من الضمير ، والمعنى أى شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ(كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ) وحشية (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) أسد : أى هربت منه أشد الهرب (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) أى من الله تعالى باتباع النبي كما قالوا : لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه (كَلَّا) ردع عما أرادوه (بَلْ لايَخَافُونَ الْآخِرَةَ) أى عذابها (كَلَّا) استفتاح (إِنَّهُ) أى القرآن (تَذْكِرَةٌ) عظة (فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ) قرأه فاتعظ به (وَمَا يَذْكُرُونَ) بالياء والتاء (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) ،

(قوله كائنون في جنات) أشار بذلك إلى أن قوله في جنات متعلق بمحذوف خبر عن مبتدإ مقدر : أى هم وهذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر والتقدير ماشأنهم وحالهم . (قوله يتساءلون) أى يسأل بعضهم بعضا ، وقوله عن المجرمين : أى الكافرين والكلام على حذف مضاف أى عن حالهم (قوله ويقولون لهم) أى للمجرمين وهذا القول خطاب أهل الجنة لأهل النار وهو غير السؤال المتقدم فيما بينهم . والحاصل أن أهل الجنة حين يستقرون فيها وينادى المنادى ياأهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت يسأل بعضهم بعضا عن معارفهم المجرمين الذين خلدوا في النار ثم يكشف لهم عنهم فيخاطبونهم بقولهم ــ ماسلككم في سقر ــ (قوله ماسلككم الخ) الاستفهام للتوبيخ والتعجب من حالهم (قوله ولم نك نطعم المسكين) أى نعطيه مايجب علينا إعطاؤه كزكاة ونحوها (قوله وكنا نخوض مع الخائضين) أى في القرآن فنقول فيه ، إنه لسحر وشعر وكهانة وغير ذلك من الأباطيل التى كانوا يخوضون فيها (قوله وكنا نكذب بيوم الدين) تخصيص بعد تعميم لأن الخوض في الأباطيل عام شامل لتكذيب يوم الدين وغيره ، وفي هذه الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة فيعذبون عليها زيادة على عذاب الكفر (قوله حتى أتانا اليقين) غاية في الأمور الأربعة (قوله والمعنى لاشفاعة لهم) أى فالنفي مسلط على القيد والمقيد معا ، وهذا خلاف القاعدة من أن النفي إذا دخل على مقيد تسلط على القيد فقط فهنا ليس المراد أنه توجد شفاعة لكنها غير نافعة بل المراد لاتوجد شفاعة أصلا (قوله انتقل ضميره) أى الضمير الذى كان مستكنا في المحذوف وقوله إليه أى إلى هذا الخبر الذى هو الجار والمجرور لأن القاعدة أن الجار والمجرور إذا وقع خبرا حذف متعلقه وجوبا وانتقل ضميره إليه وسمى حينئذ ظرفا أو جارا ومجرورا مستقرا لاستقرار الضمير فيه (قوله حال من الضمير) أى المجرور باللام (قوله كأنهم حمر) حال من الضمير في معرضين فهى حال متداخلة

صو

(قوله مستنفرة) بكسر الفاء وفتحها سبعيتان أى نافرة بنفسها من أجل الأسد أو نفرها الأسد فقوله وحشية ليس تفسيرا لمستنفرة فكان المناسب تقديمه عليه (قوله أسد) وقيل القسورة الجماعة الذين يصطادونها (قوله بل يريد كل امرئ الخ) إضراب انتقالى عن محذوف كأنه قيل لاسبب لهم في الاعراض بل يريد الخ . وسبب نزول الآية أن أباجهل وجماعة من قريش قالوا : يامحمد لن نؤمن لك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك ؛ وكانوا يقولون إن كان محمد صادقا ليصبحن عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته من النار (قوله منهم) أى من كفار قريش (قوله منشرة) أى طرية لم تطو بل تأتينا وقت كتابتها يقرؤها كل من رآها (قوله بل لايخافون الآخرة) إضراب انتقالى لبيان سبب تعنتهم واقتراحهم إذ لوخافوا الآخرة لما تعنتوا بل كانوا يكتفون بأى دليل ويؤمنون (قوله استفتاح) أى أو ردع وزجر (قوله فمن شاء ذكره) من شرطية وشاء شرطها وذكره جوابها (قوله بالياء والتاء) أى فهما سبعيتان (قوله إلا أن يشاء الله) أى لايحصل منكم ذكر إلا في حال مشيئة الله له أى إرادته لأن ما أراده يقع ولابد وفيه تسلية للنبي حيث ينظر للحقيقة وأن توحيدهم ليس بحولهم وقوتهم . قال بعض العارفين عن لسان الحضرة :

(قوله هو أهل التقوى) أى حقيق بأن تمتثل عباده أوامره وتجتنب نواهيه (قوله وأهل المغفرة) أى هو جدير بأن يغفر لمن اتقاه . ورد فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية « يقول الله تعالى أنا أهل أن أتقى ، فمن اتقى أن يشرك بى غيرى فأنا أهل أن أغفر له » .

[سورة القيامة مكية] أى بالاجماع وكذا قوله أربعون آية (قوله زائدة فى الموضعين) أى لتأكيد القسم ففيه دليل على أن لا تزاد كثيرا فى الكلام سواء كان فى أوله أو وسطه خلافا لمن يقول إنها تزاد فى وسط الكلام لافى أوله ، وقيل إن لانافية لكلام تقدمها أتى بها ردا على منكرى البعث كأنه قال ليس الأمر كما زعموا أقسم الخ كقولك لا والله (قوله التى تلوم نفسها) أى فى الدنيا لما شهدت من حقيقتها وهى العدم وعظيم حق الله عليها ، فالعبد وإن قطع نفسه إربا فى عبادة الله وطاعته لا يفى بحق الله عليه لأن الفانى لايقدر على القيام بحق الباقى . واعلم أن الصوفية

هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى) بأن يتقى (وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) بأن يغفر لمن اتقاه .

(ســـورة القيامة)

مكية ، أربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . لَا) زائدة فى الموضعين (أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) التى تلوم نفسها وإن اجتهدت فى الإحسان ، وجواب القسم محذوف : أى لتبعثن دل عليه (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ) أى الكافر (أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ) للبعث والإحياء (بَلَىٰ) نجمعها (قَادِرِينَ) مع جمعها (عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) وهو الأصابع : أى نعيد عظامها كما كانت مع صغرها فكيف بالكبيرة (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ) اللام زائدة ونصبه بأن مقدرة : أى أن يكذب (أَمَامَهُ) أى يوم القيامة دل عليه (يَسْأَلُ أَيَّانَ) متى (يَوْمُ الْقِيَامَةِ) سؤال استهزاء وتكذيب (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ) بكسر الراء وفتحها دهش وتحير لما رأى مما كان يكذب به (وَخَسَفَ الْقَمَرُ) أظلم وذهب ضوؤه (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) فطلعا من المغرب ، أو ذهب ضوؤها ،

قسموا النفس إلى سبعة أقسام الأول الأمارة وهى نفوس الكفار ومن حذا حذوهم لاتأمر بخير أصلا ومع ذلك راضية بأفعالها مستحسنة لها . الثانى اللوامة وهى التى تلوم صاحبها ولو كان مجتهدا فى الطاعة وهذا مبدأ الخير وأصل الترقى . الثالث الملهمة وهى التى ألهمت فجورها وتقواها . الرابع المطمئنة وهى التى اطمأنت بالله وسكنت تحت مقاديره . الخامس الراضية وهى التى رضيت عن الله فى جميع حالاتها . السادس المرضية وهى التى جوزيت بالرضا من الله لأن من رضى له الرضا . السابع الكاملة وهى غاية المراتب وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومآخذ الجميع من القرآن فالأمارة من قوله تعالى ـ إن النفس لأمارة بالسوء ـ واللوامة من هذه الآية ، والملهمة من قوله تعالى ـ فألهمها فجورها وتقواها ـ والمطمئنة ومابعدها من قوله تعالى ـ ياأيتها النفس المطمئنة ـ الآية (قوله أيحسب الانسان) استفهام توبيخ وتقريع (قوله ألن نجمع) أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولن وما فى حيزها خبرها وجملة أن واسمها وخبرها سادة مسد مفعولى حسب وليس بين الهمزة واللام نون فى الرسم بل تكتب الهمزة موصولة باللام (قوله بلى) جواب لما بعد النفى (قوله قادرين) حال من فاعل الفعل المقدر الذى دل عليه بلى والتقدير نجمعها حال كوننا قادرين (قوله بنانه) اسم جمع أو جمع لبنانة (قوله وهو الأصابع) أى أطرافها فالبنان أطراف الأصابع (قوله كما كانت) أى فى الدنيا (قوله بل يريد الانسان) إضراب انتقالى (قوله ونصبه بأن مقدرة) أى والمصدر المنسبك منه ومن أن مفعول يريد (قوله أمامه) منصوب على نزع الخافض أى بأمامه والمعنى يريد الانسان دوام التكذيب بيوم القيامة (قوله يسأل أيان) هذه الجملة إما بدل من الجملة قبلها أو مستأنفة بيان لها وأيان خبر مقدم ويوم القيامة مبتدأ مؤخر (قوله بكسر الراء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان ولتان معناهما التحير والدهشة ، وقيل برق بالكسر تحير وبالفتح لمع من شدة شخوصه فقوله دهش وتحير تفسير للقراءتين

وذلك فى يوم القيامة (يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ) الفرار (كَلَّا) ردع عن طلب الفرار (لَا وَزَرَ) لاملجأ يتحصن به (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) مستقر الخلائق فيحاسبون ويجازون (يُنَبَّؤُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) بأول عمله وآخره (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) شاهدة تنطق جوارحه بعمله والهاء للمبالغة فلا بد من جزائه (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) جمع معذرة على غير قياس : أى لو جاء بكل معذرة ماقبلت منه . قال تعالى لنبيه (لَا تُحَرِّكْ بِهِ) بالقرآن قبل فراغ جبريل منه (لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) خوف أن يتفلت منك (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ) فى صدرك (وَقُرْآنَهُ) قراءتك إياه . أى جريانه على لسانك (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ) عليك بقراءة جبريل (فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) استمع قراءته فكان صلى الله عليه وسلم يستمع ثم يقرؤه (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) بالتفهيم لك ، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها (كَلَّا) استفتاح بمعنى ألا (بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) الدنيا بالياء والتاء فى الفعلين (وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ) فلا يعملون لها (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ) أى فى يوم القيامة (نَاضِرَةٌ) حسنة مضيئة (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) أى يرون الله سبحانه وتعالى فى الآخرة (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ) كالحة شديدة العبوس (تَظُنُّ) توقن (أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) داهية عظيمة تكسر فقار الظهر (كَلَّا) بمعنى ألا (إِذَا بَلَغَتِ) النفس (التَّرَاقِيَ) عظام الحلق (وَقِيلَ) قال من حوله :

(من

(قوله وذلك فى يوم القيامة) إن قلت إن طلوع الشمس والقمر من مغربهما ليس فى يوم القيامة بل قبله بمائة وعشرين سنة . أجيب بأن المراد بيوم القيامة مايشمل وقت مقدماته من الأمور العظام (قوله يقول الانسان) جواب إذا (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جمل متعددة والتقدير يوم إذ برق البصر الخ (قوله أين المفر) أى من الله أو من النار احتمالان (قوله إلى ربك يومئذ) أى يوم إذ كانت هذه الأمور المذكورة والجار والمجرور خبر مقدم والمستقر مبتدأ مؤخر (قوله بل الانسان) مبتدأ و بصيرة خبر وعلى نفسه متعلق ببصيرة وتأنيث الخبر باعتبار أن المراد بالانسان جوارحه أو أن الهاء للمبالغة كما قال المفسر، والمعنى أنه لايحتاج إلى شاهد غير جوارحه بل هى تكفى فى الشهادة عليه (قوله ولو ألقى معاذيره) الجملة حالية من الضمير فى بصيرة ولو شرطية قدر المفسر جوابها بقوله ماقبلت منه (قوله على غير قياس) أى وقياسه معاذر بدون ياء (قوله أى لو جاء بكل معذرة الخ) أشار بذلك إلى أن فى الكلام استعارة تبعية حيث شبه المجىء بالعذر بالقاء الدلو فى البئر للاستقاء به واشتق من الالقاء ألقى بمعنى جاء (قوله قبل فراغ جبريل منه) أى من إلقائه عليك (قوله لتعجل به) أى بقراءته وحفظه (قوله إن علينا) تعليل للنهى عن العجلة (قوله قراءتك إياه) أشار بذلك إلى أن قوله قرآنه مصدر مضاف لمفعوله (قوله بقراءة جبريل) أشار بذلك إلى أن قوله فاذا قرأناه من قبيل إسناد ماهو للأمور للآمر (قوله بالتفهيم) أى تفهيم ماأشكل عليك من معانيه (قوله والمناسبة بين هذه الآية) أى قوله : لا تحرك به لسانك ، والمراد بالآية الجنس إذ المذكور ثلاث آيات (قوله وماقبلها) أى وهو قوله : أيحسب الانسان إلى قوله معاذيره (قوله تضمنت الاعراض الخ) أى لأنها فى منكر البعث وهو كافر معرض عن القرآن، ومن المعلوم أن الضد أقرب خطورا بالبال (قوله بل يحبون العاجلة) الضمير للانسان المذكور فى قوله : أيحسب الانسان وجمع الضمير لأن المراد بالانسان الجنس (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وجوه يومئذ ناضرة) وجوه مبتدأ وناضرة خبره و يومئذ ظرف لناضرة وسوّغ الابتداء بالنكرة وقوعها فى معرض التفصيل وناظرة خبر ثان و إلى ربها متعلق بناظرة (قوله أى فى يوم القيامة) تفسير لمعنى الظرفية والتنوين فى يومئذ عوض عن جملة أى يوم إذ تقوم القيامة (قوله فقار الظهر) بفتح الفاء مايتصل من عظام الصلب من الكاهل إلى العجب (قوله إذا بلغت النفس) أى مؤمنة أوكافرة، والمعنى أخذت فى النزع وقت الموت (قوله التراقى) جمع ترقوة (قوله عظام الحلق) أضافها إليه لقربها منه و إلا فالتراقى العظام المكتنفة لثغرة النحر يمينا وشمالا ولكل إنسان ترقوتان .

(مَنْ رَاقٍ) يرقيه ليشفى (وَظَنَّ) أيقن من بلغت نفسه ذلك (أَنَّهُ الْفِرَاقُ) فراق الدنيا (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) أى إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت أو التفت شدّة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) أى السوق وهذا يدل على العامل فى إذا ، المعنى إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها (فَلَا صَدَّقَ) الإنسان (وَلَا صَلَّى) أى لم يصدّق ولم يصلّ (وَلَٰكِنْ كَذَّبَ) بالقرآن (وَتَوَلَّى) عن الإيمان (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ) يتبختر فى مشيته إعجابا (أَوْلَىٰ لَكَ) فيه التفات عن الغيبة والكلمة اسم فعل واللام للتبيين أى وليك ماتكره (فَأَوْلَىٰ) أى فهو أولى بك من غيرك (ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ) تأكيد (أَيَحْسَبُ) يظن (الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) هملا لايكلف بالشرائع : أى لايحسب ذلك (أَلَمْ يَكُ) أى كان (نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ) بالياء والتاء تصبّ فى الرحم (ثُمَّ كَانَ) المنى (عَلَقَةً فَخَلَقَ) الله منها الإنسان (فَسَوَّىٰ) عدّل أعضاءه (فَجَعَلَ مِنْهُ) من المنىّ الذى صار علقة : أى قطعة دم ، ثم مضغة : أى قطعة لحم (الزَّوْجَيْنِ) النوعين (الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ) يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر تارة (أَلَيْسَ ذَٰلِكَ) الفعّال لهذه الأشياء (بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ) قال صلى الله عليه وسلم : بلى.

(قوله من راق) مبتدأ وخبر ، والجملة قائمة مقام الفاعل وراق اسم فاعل من رقى يرقى بالفتح فى الماضى وبالكسر فى المضارع من الرقية وهى كلام يرقى به المريض ليشفى وهو مامشى عليه المفسر ، وقيل إنه من رقى يرقى بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع من الرقىّ وهو الصعود : أى إن ملك الموت يخاطب أعوانه يقول من يصعد بهذه النفس ويحتمل أن أعوانه يقولون له من يرقى بهذه النفس أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (قوله أيقن) سمى اليقين ظنا لأن الانسان مادامت روحه متعلقة ببدنه فإنه يطمع فى الحياة لشدة حبه لها (قوله أنه) أى النازل به (قوله والتفت) أى التصقت ساق الانسان عند موته بالأخرى . قال قتادة : أما رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجليه بالأخرى . وقال سعيد بن المسيب : هما ساقا الانسان إذا التفتا فى الكفن . وقال زيد بن أسلم : التفت ساق الميت بساق الكفن ، وكل صحيح (قوله أو التفت شدة فراق الدنيا الخ) أى فالمراد بالساق الشدتان لأن الساق يطلق على الشدة ، وهذا المعنى ظاهر فى الكافر لأنه ينتقل من سكرات الموت إلى عذاب القبر (قوله وهذا يدل على العامل فى إذا) أى الذى هو جوابها وقد بينه بقوله تساق إلى حكم ربها (قوله فلاصدّق) معطوف على قوله : أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ، وصدّق من التصديق كما يشير له المفسر أى فلاصدّق بالقرآن والنبىّ وقوله : ولاصلى أى الصلاة الشرعية فهو ذم بترك العقائد والفروع ولما كان عدم التصديق يصدق بالشك والسكوت والتكذيب استدرك على عمومه وبين أن المراد منه خصوص التكذيب فقال : ولكن كذب وتولى (قوله ثم ذهب إلى أهله) حكاية عما كان يتعلق به هذا الكافر فى دنياه وجملة يتمطى حالية من فاعل ذهب ، وفى معناه قولان أحدهما أنه من المطا الذى هو الظهر ، والمعنى يمد مطاه اى ظهره ويلويه تبخترا فى مشيه ، والثانى أن اصله يتمطط من تمطط اى تمدد ومعناه انه يتمدد فى مشيته تبخترا والمعنيان متقاربان (قوله والكلمة اسم فعل) أى مبنية على السكون لامحل لها من الاعراب والفاعل ضمير يعود على مايفهم من السياق وهذه الكلمة تستعمل فى الدعاء بالمكروه وقوله للتبيين أى تبيين المفعول فهى زائدة داخلة على المفعول على حد سقيا لك وقوله أى وليك بيان لمعنى الفعل الذى سمى . (قوله فهو أولى بك) أى فالكلمة الثانية أفعل تفضيل فدلت الأولى على الدعاء عليه بقرب المكروه منه والثانية على الدعاء عليه بأن يكون أولى به من غيره . هذا ماسلكه المفسر وهو حسن (قوله أى لايحسب ذلك) أى لاينبغى ولايليق منه هذا الحسبان (قوله ألم يك نطفة) استدلال على قوله : قادرين على أن نسوّى بنانه ، والاستفهام للتقرير (قوله يمنى) فائدته بعد قوله : منىّ الاشارة إلى حقارة حاله كأنه قيل إنه مخلوق من المنىّ الذى يجرى مجرى البول (قوله النوعين) أى لاخصوص الفردين فقد تحمل المرأة بذكرين وأنثى أو بالعكس (قوله قال صلى الله عليه وسلم بلى) روى «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال سبحانك اللهم بلى» . وقال ابن عباس : من قرأ سبح اسم ربك الأعلى إماما كان أو غيره فليقل سبحان ربى الأعلى ، ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة إلى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى إماما كان أو غيره

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله» .

[سورة الانسان] وتسمى سورة هل أتى وسورة الأمشاج وسورة الدهر ومناسبة هذه السورة لما قبلها أن كلا منهما فيه دليل على البعث (قوله مكية) أي على قول جماعة وقوله أومدنية هو قول الجمهور (قوله قد أتى) أي فليست هل للاستفهام لأنه محال عليه تعالى، وقيل إنها للاستفهام التقريري ، والمعنى أتقرون بأنه أتى على الانسان حين من الدهر وجوابه نعم فالمقصود إلزام الخصم المنكر للبعث كأنه قال القادر على إيجاد الانسان من العدم قادر على إعادته وهو بهذا المعنى صحيح أيضا ففي الآية تقريران (قوله على الانسان) فسره هنا بآدم وفيما يأتي بالجنس وفيه أن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عينا إلا أن يجاب بأن القاعدة أغلبية أو يقدر مضاف في قوله خلقنا الانسان : أي ذريته والاضافة تأتي لأدنى ملابسة (قوله أربعون سنة) أي مرت عليه قبل أن تنفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف . روى أن آدم خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة ثم من صلصال فأقام أربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح ، إذا علمت ذلك فقول المفسر أربعون سنة أي باعتبار كونه طينا وإلا فقد مر عليه مائة وعشرون سنة لم يكن شيئا مذكورا . إن قلت إن مقتضى الآية أنه يسمى

إنسانا في حال كونه طينا مع أنه في ذلك الوقت لم يكن شيئا مذكورا. أجيب

(سورة الإنسان)

مكية أو مدنية ، إحدى وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . هَلْ) قد (أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ) آدم (حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) أربعون سنة (لَمْ يَكُن) فيه (شَيْئًا مَّذْكُورًا) كان فيه مصوراً من طين لا يذكر ، أو المراد بالإنسان الجنس وبالحين مدّة الحمل (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ) الجنس (مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) أخلاط :أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين (نَّبْتَلِيهِ) نختبره بالتكليف ، والجملة مستأنفة أو حال مقدّرة : أي مريدين ابتلاءه حين تأهله (فَجَعَلْنَاهُ) بسبب ذلك (سَمِيعًا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) بينا له طريق الهدى ببعث الرسل (إِمَّا شَاكِرًا) أي مؤمناً (وَإِمَّا كَفُورًا) حالان ،

بأن التسمية باعتبار ما آل إليه نظير إني أراني أعصر خمرا (قوله أو المراد بالانسان الجنس) أي الصادق بآدم وأولاده وقوله و بالحين مدة الحمل أي ما يشمل مدة الحمل بالنسبة للذرية والمائة والعشرين بالنسبة لآدم لأن الحين هو المدة المحدودة كثيرة أو قليلة (قوله من نطفة) هي في الأصل الماء القليل في الوعاء و يطلق على الماء الصافي قل أو كثر ، سمي به مني الرجل والمرأة من ليسارتهما ووضعهما في الرحم (قوله أمشاج) جمع مشج بفتحتين أومشج بكسر فسكون أومشيج بفتح فكسر كشريف ، والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وكل منهما مختلف الأجزاء متباين الأوصاف في الرقة والثخن، فماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له و إن سبق ماء الرجل كان الولد ذكرا وعكسه أنثى و إن استويا فخنثى مشكل . وقال ابن عباس يختلط ماء الرجل بماء المرأة فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة (قوله أخلاط) جمعه باعتبار تعدد الأوصاف في الماءين كما علمت (قوله أي مريدين ابتلاءه) جواب عما يقال إن الابتلاء بمعنى الاختبار بالتكاليف إنما يكون بعد جعله سميعا بصيرا لا قبله . فأجاب بأنه حال مقدرة مؤولة بقوله مريدين ابتلاءه وإرادة الابتلاء سبب لجعله سميعا بصيرا وجعله سميعا بصيرا سبب للابتلاء بالفعل فلم يكن في الآية تقديم ولا تأخير (قوله فجعلناه بسبب ذلك) أي بسبب إرادتنا ابتلاءه (قوله سميعا بصيرا) أي عظيم السمع والبصر وخصهما بالذكر لأنهما أنفع الحواس وقدم السمع لأنه أنفع في المخاطبات ولأن الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية ولأن البصر يعم البصيرة وهي تتضمن الجميع فيكون من ذكر العام بعد الخاص (قوله إنا هديناه السبيل) تعليل لقوله نبتليه، والمراد بالهداية الدلالة (قوله ببعث الرسل) أي جنسه الصادق بآدم و بمن بعده من الرسل إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وإما كفورا) لم يقل كافرا مشاكلة لشاكرا إنما مراعاة لرءوس الآي أو لأن الشاكر قليل والكافر كثير فعبر في جانب الكفر بصيغة المبالغة .

(قوله من المفعول) أى وهو الهاء فى هديناه (قوله إنا أعتدنا للكافرين الخ) لف ونشر مشوش فهذه الآية راجعة لقوله وإما كفورا ، وقوله إن الأبرار الخ راجع لقوله إما شاكرا (قوله سلاسل) إما بمنع الصرف كمساجد أو بالصرف لمناسبة قوله وأغلالا فهما قراءتان سبعيتان (قوله وأغلالا فى أعناقهم) أى فتجمع أيديهم إلى أعناقهم (قوله إن الأبرار الخ) لما ذكر حال الكفار وجزاءهم فى الآخرة أتبعه بجزاء الشاكرين وأطنب فيه ترغيبا لهم (قوله جمع بر) أى كرب وأرباب وقوله أوبار : أى كشاهد وأشهاد (قوله وهم المطيعون) أى المؤمنون الصادقون فى إيمانهم و إن اقترفوا الذنوب فكل من كان ليس مستوجبا للخلود فى النار فهو من الأبرار لذكرهم فى مقابلة الفجار فى قوله تعالى - إن الأبرار لفى نعيم و إن الفجار لفى جحيم - وهذا تعريف لمطلق الأبرار فلا ينافى قولهم البر هو الذى لايؤذى الذر أو الذى يؤدى حق الله و يوفى بالنذر أو غير ذلك فانه تعريف للأبرار الكاملين كما هنا (قوله وهى فيه) أى فان لم تكن فيه فهو إناء (قوله والمراد من خمر) دفع بذلك مايقال إن الضمير فى قوله مزاجها عائد على الكأس مع أن الكافور لايمزج بالكأس بل بما فيه . فأجاب المفسر بأن المراد بالكأس الخمر نفسه من باب تسمية الحال باسم المحل (قوله كافورا) إن قلت إن الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به . أجيب بأن المراد أنه كالكافور فى بياضه وطيب ريحه و برودته (قوله بدل من كافورا) أى على حذف مضاف أى ماء عين لأن العين اسم لمنبع الماء وهو لايبدل من الماء وماذكره المفسر أحد احتمالات

من المفعول : أى بينا له فى حال شكره أو كفره المقدرة ، وإما لتفصيل الأحوال (إِنَّا أَعْتَدْنَا) هيأنا (لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ) يسحبون بها فى النار (وَأَغْلَالًا) فى أعناقهم تشد فيها السلاسل (وَسَعِيرًا) نارا مسعرة : أى مهيجة يعذبون بها (إِنَّ الْأَبْرَارَ) جمع برّ أو بارّ وهم المطيعون (يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ) هو إناء شرب الخمر وهى فيه ، والمراد من خمر تسمية للحالّ باسم المحل ومن للتبعيض (كَانَ مِزَاجُهَا) ما تمزج به (كَافُورًا . عَيْنًا) بدل من كافورا فيها رائحته (يَشْرَبُ بِهَا) منها (عِبَادُ اللَّهِ) أولياؤه (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) يقودونها حيث شاءوا من منازلهم (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) فى طاعة الله (وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) منتشرا (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) أى الطعام وشهوتهم له (مِسْكِينًا) فقيرا (وَيَتِيمًا) لا أب له (وَأَسِيرًا) ،

فى وجه نصب عينا ويصح أنه مفعول يشربون وقوله من كأس حال لأنه نعت نكرة قدم عليها والأصل يشربون عينا من كأس : أى خمر ممزوج بالكافور وهو أسهلها (قوله يشرب بها عبادالله) الجملة صفة لعينا وقوله منها إشارة إلى أن الباء بمعنى من الابتدائية أى يبتدئون الشرب من العين (قوله أولياؤه) أى وهم المؤمنون (قوله يقودونها) أى فهى سهلة لاتمتنع عليهم ، ورد أن الرجل منهم يمشى فى بيوته و يصعد إلى قصوره و بيده قضيب يشير به إلى الماء فيجرى معه حيثما دار فى منازله على الأرض المستوية و يتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره (قوله يوفون بالنذر) هذا بيان لأعمالهم التى استوجبوا بها هذا النعيم الدائم ، والمراد بالنذر العهد : أى يوفون بالعهد الذى أوجبه الله عليهم أو الذى التزموه مع الله ومع عباده من صلاة وزكاة وأمر بمعروف ونهى عن منكر وغير ذلك (قوله ويخافون يوما) أشار بذلك إلى أن حسن بواطنهم كظواهرهم (قوله كان شره) أى شدائده من تشقق السموات وتناثر الكواكب وتكوير الشمس والقمر وغير ذلك من الأهوال والشدائد التى تقع فى ذلك اليوم (قوله منتشرا) أى ، وأما المستطيل باللام فمعناه الممتد ، ومن هنا يقال الفجر فجران مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ومستطير وهو الصادق لانتشاره فى الأفق (قوله ويطعمون الطعام الخ) نزلت فى على بن أبى طالب وأهل بيته وذلك أنه أجر نفسه ليلة ليسقى نخلا بشىء من شعير حتى أصبح وقبض الشعير وطحنوا ثلثه فجعلوا منه شيئا ليأكلوه يقال له الحريرة فلما تم نضجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام ، ثم صنع الثلث الثانى فلما تم نضجه أتى يتيم فأطعموه ، ثم الثالث فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه وطووا يومهم ذلك (قوله على حبه) مصدر مضاف للمفعول وعلى بمعنى مع : أى مع حبه وشهوته ففيه إشارة إلى النفس ويصح رجوع الضمير لله : أى على حب الله : أى لوجهه وابتغاء رضوانه والأول أبلغ فى المدح (قوله مسكينا ويتيما وأسيرا) خص الثلاثة لأنهم من العواجز المعدمين الكسب .

(قوله يعنى المحبوس بحق) أى وأولى المحبوس بباطل (قوله فيه علة الاطعام) اى بيان سببه (قوله وهل تكلموا بذلك) أى ليطمئن الفقير بذلك لأنه قد يقول فى نفسه إنه يطعمنى ويريد أن يخدمنى مثلا (قوله قولان) رجح سعيد بن جبير ومجاهد الثانى (قوله إنا نخاف من ربنا) أى فلذلك نطعمكم ولا نريد منكم جزاء فهو تعليل لقوله إنما نطعمكم الخ (قوله عبوسا) إسناد العبوس لليوم مجاز عقلى والمراد أهله من إسناد الشىء إلى زمانه كنهاره صائم (قوله فى ذلك) أى العبوس (قوله فوقاهم الله) الفاء سببية أى فبسبب خوفهم دفع الله عنهم شر ذلك اليوم وشدته ، وذكر القرطبى فى تذكرته حديثا فى بيان ماينجى المؤمن من أهوال يوم القيامة وهو ماروى عن عبد الرحمن بن سمرة قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقال : إنى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه برّ والديه فردّه عنه ، ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله تعالى فخلصه من بينهم ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ، ورأيت رجلا من أمتى والنبيون قعود حلقا حلقا كلما دنا لحلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده إلى جنبى ، ورأيت رجلا من أمتى بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه فى النور ، ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت: يامعشر المؤمنين كلموه فانه كان واصلا للرحم فكلموه وصافحوه ، ورأيت رجلا من أمتى يتقى وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه ، ورأيت رجلا من أمتى قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله ، ورأيت رجلا من أمتى قد أهوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها فى يمينه ، ورأيت رجلا من أمتى قد خفّ ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه ، ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلا من أمتى هوى فى النار فجاءته دموعه التى كان بكاها من خشية الله فى الدنيا فاستخرجته من النار ، ورأيت رجلا من أمتى قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فى ريح عاصف فجاءه حسن الظن بالله تعالى فسكن رعدته ومضى ، ورأيت رجلا من أمتى على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته علىّ فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط ، ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فأغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب كلها وأدخلته الجنة » قلت : هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة تنجى من أهوال خاصة والله أعلم . وروى الطبرانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة » (قوله نضرة) أى بدل العبوس (قوله وسرورا) أى فرحا فى قلوبهم بدل الحزن (قوله بصبرهم عن المعصية) أى بترك فعلها ، وكذا على الطاعة بفعلها ، وعلى المصيبة بالاسترجاع وعدم الشكوى فأقسام الصبر ثلاثة ، وإنما اقتصر المفسر على الصبر عن المعصية لأنه يستلزم القسمين الآخرين فمن صبر عن المعصية فقد أدام الطاعة ولم يشك مولاه .

حال

يعنى المحبوس بحق ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ لطلب ثوابه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ شكراً فيه علة الإطعام ، وهل تكلموا بذلك أو علمه الله منهم فأثنى عليهم به ؟ قولان ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ تكلح الوجوه فيه : أى كريه المنظر لشدته ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ شديداً فى ذلك ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ حسناً وإضاءة فى وجوههم ﴿وَسُرُورًا . وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم عن المعصية ﴿جَنَّةً﴾ أدخلوها ﴿وَحَرِيرًا﴾ ألبسوه ﴿مُّتَّكِئِينَ﴾ ،

(قوله حال من مرفوع أدخلوها) أى ويصح أن يكون حالا من مفعول جزاهم (قوله فى الحجال) واحده حجلة بتحتيل وهى المسماة بالناموسية (قوله حال ثانية) أى من المقدّر المذكور أو من المفعول (قوله أى لاحرّا ولا بردا) أى فهى معتدلة الهواء (قوله وقيل الزمهرير القمر) أى لأجل مقابلة قوله شمسا (قوله من غير شمس ولا قمر) أى بل بنور العرش وهو أقوى من نور الشمس والقمر (قوله عطف على محل لايرون) أى أوعطف على متكئين (قوله شجرها) أشار بذلك إلى أن المراد بالظلال الشجرنفسه فدفع بذلك مايقال إن الظل إنما يوجد حيث تقوم الشمس ولا شمس فى الجنة (قوله وذللت) عطف على دانية وجعلت فعلية إشارة إلى أن التذليل متجدّد بخلاف التظليل فدائم ولذا أتى فيه بجملة اسمية (قوله أدنيت ثمارها) اى سهل تناولها تسهيلا عظيما لكل أحد (قوله ويطاف عليهم الخ) هذا من جملة بيان وصف مشار بهم و بنى الفعل للمجهول هنا لأن المقصود بيان المطاف به لابيان الطائف وفاعل الطواف الولدان المذكورون بعد فى قوله و يطوف عليهم ولدان ولما كان المقصود منها بيان وصف الطائف بناه للفاعل (قوله بآنية) أصله أأنية بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة أبدلت الثانية ألفا والجار والمجرور نائب الفاعل (قوله من فضة) بيان للآنية (قوله وأكواب) عطف خاص على عام (قوله أقداح بلا عرى) أى فيسهل الشرب منه من كل موضع فلايحتاج لادراته (قوله كانت قواريرا) جمع قارورة وهى ما أقر فيه الشراب ونحوه من كل إناء رقيق صاف، وقيل هوخاص بالزجاج وكرر لفظ قوارير توطئة للنعت بقوله من فضة فجمعت صفاء الزجاج و بريقه و بياض الفضة ولينها. قال ابن عباس : ليس فى الدنيا شيء مما فى الجنة إلا الأسماء إذ الذى فى لجنة أشرف وأعلى. واعلم أن القراء السبعة فى هاتين الكلمتين على خمس مراتب : إحداها تنوينهما معا والوقف عليهما بالألف. الثانية عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما. الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالألف. الرابعة تنوين الأول والوقف عليه بالألف والثانى بدون تنوين ولايوقف عليه بالالف. الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الأول بالالف وعلى الثانى بدونها والتنوين للتناسب نظير ماتقدّم فى سلاسل وعدم التنوين لمجيئه على صيغة منتهى الجموع (قوله على قدر رىّ الشاربين) أى شهوتهم إذ لاعطش فى الجنة والرى بكسر الراء وفتحها كفاية الشارب (قوله وذلك ألذّ الشراب) أى لكونه لايزيد على الحاجة فيستقذر الزائد ولا ينقص فيحتاج لمثله ثانيا وهـذا هو النعيم (قوله بدل من زنجبيلا) أى ويصح أن يكون مفعول يسقون وقوله كأسا منصوب على نزع الخافض أى من كأس كما تقدّم نظيره (قوله تسمى) أى تلك العين لسهولة إساغتها ولذة طعمها (قوله سلسبيلا) هو ما كان فى غاية السلاسة وهى سهولة الانحدار فى الحلق زيدت الباء فى الكلمة حتى صارت خماسية وقال مقاتل وابن حبان سميت سلسبيلا لأنها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان. قال البغوى : شراب الجنة فى برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع (قوله يعنى أن ماءها كالزنجبيل) أى فهو مماثل له فى الاسم فجميع مافى الجنة من الأشجار والقصور والمأكول والمشروب والملبوس والثمار لايشبه مافى الدنيا إلا فى مجرد الاسم لكن الله تعالى يرغب الناس بذكر أحسن شيء وألذه مما يعرفونه فى الدنيا لأجل أن يسعوا فيما يوصلهم الى هذا النعيم المقيم (قوله ولدان) بكسر الواو باتفاق السبعة وهم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين على التحقيق، وقيل هم أولاد المؤمنين الصغار ورد بأنهم يلحقون بآبائهم تأنسا وسرورا بهم، وقيل هم أولاد الكفار.

حال من مرفوع أدخلوها المقدر (فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ) السرر فى الحجال (لَا يَرَوْنَ) لايجدون حال ثانية (فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) أى لاحرّا ولا بردا، وقيل الزمهرير القمر فهى مضيئة من غير شمس ولا قمر (وَدَانِيَةً) قريبة عطف على محل لايرون أى غير رائين (عَلَيْهِمْ) منهم (ظِلَالُهَا) شجرها (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا) أدنيت ثمارها فينالها القائم والقاعد والمضطجع (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ) فيها (بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ) أقداح بلا عرى (كَانَتْ قَوَارِيرًا. قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) أى أنها من فضة يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج (قَدَّرُوهَا) أى الطائفون (تَقْدِيرًا) على قدر رىّ الشاربين من غير زيادة ولا نقص وذلك ألذ الشراب (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا) أى خمرا (كَانَ مِزَاجُهَا) ماتمزج به (زَنْجَبِيلًا عَيْنًا) بدل من زنجبيلا (فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) يعنى أن ماءها كالزنجبيل الذى تستلذ به العرب سهل المساغ فى الحلق (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) بصفة الولدان،

(قوله لايشيبون) أى بعدم وجود الشعر لهم (قوله وهو أحسن منه فى غير ذلك) جواب عما يقال ما الحكمة فى تشبيههم باللؤلؤ المنثور دون المنظوم . فأجاب بأنه لحسنهم وانتشارهم فى الخدمة شبههم باللؤلؤ المنثور (قوله وإذا رأيت) الخطاب للنبى أو لكل من يدخل الجنة (قوله رأيت نعيما) أى مايتنعم به من مأكل ومشرب وملبس ومركب وغير ذلك (قوله واسعا لاغاية له) أى فى الطول ولا فى العرض لما فى الحديث «أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه ومن الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم ولبس التيجان على رءوسهم كما تكون على رءوس الملوك وأعظمهم منزلة من ينظر إلى وجه ربه كل يوم» (قوله عاليهم) بفتح الياء وضم الهاء وقوله وفى قراءة أى سبعية أيضا (قوله وهو خبر للمبتدإ بعده) أى وهو ثياب ويصح العكس وهو كون عاليهم مبتدأ وثياب خبره (قوله ثياب سندس) الإضافة على معنى من والسندس مارق من الحرير (قوله عكس ماذكر) أى وهو جر خضر ورفع إستبرق فجر خضر على الوصفية لسندس لأنه اسم جنس ووصفه بالجمع جائز ورفع إستبرق عطف على ثياب على حذف مضاف أى وثياب إستبرق فالقراآت أربع سبعيات رفع خضر واستبرق وجرهما ورفع الأول وجر الثانى وعكسه وأما سندس فمجرور لا غير لإضافة ثياب إليه (قوله وحلوا) عبر بالماضى إشارة لتحقق وقوعه (قوله وفى موضع آخر الخ) أى فقال فى سورة الحج وفاطر ـ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ـ (قوله للإيذان) أى للاعلام وقوله معا أى فيجمع فى يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ وقوله ومفرقا أى فتارة يلبسون الذهب فقط وتارة يلبسون الفضة فقط وتارة يلبسون اللؤلؤ فقط على حسب مايشتهون .

لايشيبون (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ) لحسنهم وانتشارهم فى الخدمة (لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا) من سلكه أو من صدفه وهو أحسن منه فى غير ذلك (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ) أى وجدت الرؤية منك فى الجنة (رَأَيْتَ) جواب إذا (نَعِيمًا) لايوصف (وَمُلْكًا كَبِيرًا) واسعا لاغاية له (عَالِيَهُمْ) فوقهم فنصبه على الظرفية وهو خبر المبتدإ بعده، وفى قراءة بسكون الياء مبتدأ وما بعده خبره والضمير المتصل به للمعطوف عليهم (ثِيَابُ سُنْدُسٍ) حرير (خُضْرٌ) بالرفع (وَإِسْتَبْرَقٍ) بالجر ماغلظ من الديباج فهو البطائن والسندس الظهائر وفى قراءة عكس ماذكر فيهما، وفى أخرى برفعهما، وفى أخرى بجرهما (وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) وفى موضع آخر من ذهب للإيذان بأنهم يحلون من النوعين معا ومفرقا (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) مبالغة فى طهارته ونظافته بخلاف خمر الدنيا (إِنَّ هَٰذَا) النعيم (كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا . إِنَّا نَحْنُ) تأكيد لاسم إن أو فصل (نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا) خبر إن أى فصلناه ولم ننزله جملة واحدة (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) عليك بتبليغ رسالته (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ) أى الكفار (آثِمًا أَوْ كَفُورًا) أى عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة ،

قالا

(قوله وسقاهم ربهم) أسند الاسقاء لنفسه إشارة لعلو منزلتهم ورفعة قدرهم وإلى أن الشراب الطهور نوع آخر يفوق على ماتقدم (قوله شرابا طهورا) أى من الأقذار لم تمسه الأيدى ولم تدنسه الأرجل كخمر الدنيا (قوله إن هذا الخ) أى يقال لهم ذلك بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها لمزيد الأنس والسرور (قوله مشكورا) أى مقبولا مرضيا (قوله تأكيد لاسم إن) أى ويصح أن يعرب مبتدأ ونزلنا خبره والجملة خبر إن (قوله خبر إن) أى سواء جعلنا نحن تأكيدا أو فصلا (قوله أى فصلناه الخ) أى لحكمة بالغة وهى كما فى الفرقان: لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا، والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وأن ماأنزل عليه ليس بشعر ولا كهانة (قوله فاصبر لحكم ربك) مشى المفسر على أن المراد بالحكم التكاليف بتبليغ الرسالة وعليه فالآية محكمة، وقيل إن المراد بالحكم القضاء . والمعنى اصبر على أذى المشركين الذى حتمه الله فى الأزل فلا مفر لك منه حتى يفرج الله عنك وعليه فالآية منسوخة (قوله أى عتبة بن ربيعة الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بالآثم عتبة لأنه كان متعاطيا لأنواع الفسوق متظاهرا بها، وأن المراد بالكفور الوليد فانه كان متظاهرا بالكفر داعيا إليه وبهذا ظهر التخصيص لكل وإن كان كل منهما آثما وكفورا .

قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الأمر ، ويجوز أن يراد كل آثم وكافر : أى لاتطع أحدهما أيا كان فيما دعاك إليه من إثم أو كفر (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ) فى الصلاة (بُكْرَةً وَأَصِيلاً) يعنى الفجر والظهر والعصر (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ) يعنى المغرب والعشاء (وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً) صل التطوع فيه كما تقدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) الدنيا (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً) شديداً أى يوم القيامة لا يعملون له (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا) قوينا (أَسْرَهُمْ) أعضاءهم ومفاصلهم (وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا) جعلنا (أَمْثَالَهُمْ) فى الخلقة بدلاً منهم بأن نهلكهم (تَبْدِيلاً) تأكيد ووقعت إذا موقع إن نحو « إن يشأ يذهبكم » لأنه تعالى لم يشأ ذلك ، وإذا لما يقع (إِنَّ هَٰذِهِ) السورة (تَذْكِرَةٌ) عظة للخلق (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً) طريقاً بالطاعة (وَمَا تَشَاءُونَ) بالتاء والياء اتخاذ السبيل بالطاعة (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) ذلك (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) فى فعله (يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) جنته وهم المؤمنون (وَالظَّالِمِينَ) ناصبه فعل مقدر أى أوعد يفسره (أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلماً ، وهم الكافرون .

(سورة المرسلات)

مكية ، خمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) :

(قوله قالا للنبي ارجع الخ) حاصله أنهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت صنعت ما صنعت لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الأمر فقال عتبة أنا أزوجك ابنتي وأسوقها إليك من غير مهر ، وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الأمر فنزلت الآية (قوله أى لاتطع أحدهما الخ) أى والنهى عن طاعتهما معا معلوم بالأولى فأو أبلغ من الواو لأنها لنفى الأحد الدائر (قوله فى الصلاة) أشار بذلك إلى أن المراد بالذكر الصلاة ، والمعنى دم على الصلاة (قوله والظهر والعصر) إطلاق الأصيل على العصر ظاهر وعلى الظهر باعتبار آخر وقتها وإلا فالزوال وما يقرب منه لايسمى أصيلا (قوله ومن الليل) من تبعيضية ، والمعنى صل له بعض الليل وقوله فاسجد له الفاء دالة على شرط مقدر تقديره مهما يكن من شئ فصل من الليل الخ وفيه زيادة حث على صلاة الليل (قوله إنّ هؤلاء يحبون العاجلة الخ) علة لما قبله من النهى والأمر ، والمعنى لا تطعهم واشتغل بما أمرك الله به من العبادة لأن هؤلاء تركوا الآخرة واشتغلوا بالدنيا فاترك أنت الدنيا واشتغل بالآخرة (قوله وراءهم) حال من يوما مقدم عليه لأنه نعت نكرة قدم عليها ووراء إما باق على معناه نظير فنبذوه وراء ظهورهم كناية عن كونهم لايعبأون به ولا يعملون له أو مستعار لقدام (قوله يوما ثقيلا) مفعول يذرون ووصفه بالثقيل مجاز إذ الثقل من صفات الأعيان لا المعانى (قوله قوينا أسرهم) أى ربطنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب (قوله أمثالهم) مفعول أول والثانى محذوف بينه بقوله بدلا منهم (قوله ووقعت إذا الخ) جواب عما يقال إن إذا تفيد التحقيق مع أنه تعالى لم يشأ ذلك فكان المقام لإن التى تفيد الاحتمال . فأجاب بأنه استعمل إذا موضع إن مجازا (قوله عظة للخلق) أى لأن فى تدبرها وتذكرها تنبيها للغافلين وفوائد للطالبين المقبلين بكليتهم على الله تعالى (قوله فمن شاء اتخذ الخ) أى فالطريق واضح والحق ظاهر فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله إلا أن يشاء الله)منصوب على الظرفية ، والمعنى إلا وقت مشيئة الله تعالى ففيه تسلية بالرجوع إلى الحقيقة (قوله أوعد) وهذا المقدر يلاقى المذكور فى المعنى فهو على حد زيدا مررت به .

[سورة المرسلات] وفى نسخة سورة والمرسلات وهذه السورة نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ، قال ابن مسعود ونحن معه نسير حتى أوينا إلى غار بمنى فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه وفاه رطب بها إذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم ، والغار المذكور مشهور فى منى يسمى غار المرسلات (قوله والمرسلات عرفا الخ) اعلم أن الله تعالى أقسم بصفات خمسة موصوفها محذوف فقدره بعضهم الرياح فى الكل وبعضهم قدره الملائكة فى الكل وبعضهم غايره

لجعله تارة الرياح وتارة الملائكة وأما ماذكره المفسر فلم يعرج عليه المفسرون وهو حسن وحاصل صنيعه أنه جعل الصفات الثلاثة الأول لموصوف واحد وهو الرياح والرابعة لموصوف ثان وهو الآيات والخامسة لموصوف ثالث وهو الملائكة (قوله أى الرياح) أى رياح العذاب ليغاير قوله والناشرات (قوله ونصبه على الحال) أى من الضمير فى المرسلات،والمعنى حال كونها مشابهة لعرف الفرس من حيث تتابعها وتلاحقها فالعرف بالضم شعرعنق الفرس والمعرفة كرملة موضع العرف من الفرس (قوله فالعاصفات) من العصف وهو الشدة فهو مرتب على قوله المرسلات الذى هو ريح العذاب (قوله تنشر المطر) أى تفرقه حيث شاء الله تعالى (قوله أو الرسل) هذا تفسير ثان للملقيات (قوله أى للاعذار الخ) أشار بذلك إلى أن عذرا أو نذرا مفعولان لأجله والمعلل بهما هوالملقيات والمراد بالاعذار إزالة أعذار الخلائق و بالانذار التخويف (قوله وفى قراءة بضم ذال نذرا) أى وهما سبعيتان وقوله وقرئ هذه القراءة ليعقوب من العشرة.والحاصل أن الضم فى عذرا ونذرا على أنهما جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار أو بمعنى العاذر أو المنذر والسكون على أنهما مصدران (قوله إنما توعدون الخ) جواب القسم وما بمعنى الذى والعائد محذوف أى إن الذى توعدونه

(قوله فاذا النجوم طمست) النجوم مرفوعة بفعل محذوف يفسره مابعده من باب الاشتغال (قوله وسيرت) أى بعد التفتيت (قوله أقتت) أى جعل لهم وقت للقضاء بينهم و بين أممهم وهو يوم القيامة (قوله بالواو) أى على الأصل لأنه من الوقت وقوله و بالهمز أى لأن الواو لما ضمت قلبت همزة وهما سبعيتان (قوله لأى يوم) متعلق بأجلت والجملة مستأنفة أو مقولة لقول محذوف أى يقال لأى يوم الخ والقول منصوب على الحال من مرفوع أقتت فيهلهم وقوله ليوم الفصل بدل من أى يوم باعادة العامل والاستفهام للتهويل والتعظيم

أى الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضاً ونصبه على الحال (فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً) الرياح الشديدة (وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً) الرياح تنشر المطر (فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً) أى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً) أى الملائكة تنزل بالوحى إلى الأنبياء أو الرسل يلقون الوحى إلى الأمم (عُذْراً أَوْ نُذْراً) أى للاعذار والإنذار من الله تعالى وفى قراءة بضم ذال نذراً وقرئ بضم ذال عذراً (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) أى كفار مكة من البعث والعذاب (لَوَاقِعٌ) كائن لا محالة (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ) محى نورها (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) شقت (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ) فتتت وسيرت (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) بالواو والهمز بدلا منها : أى جمعت لوقت (لِأَيِّ يَوْمٍ) ليوم عظيم (أُجِّلَتْ) للشهادة على أممهم بالتبليغ (لِيَوْمِ الْفَصْلِ) بين الخلق و يؤخذ منه جواب إذا:أى وقع الفصل بين الخلائق (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ) تهويل لشأنه (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) هذا وعيد لهم (أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ) بتكذيبهم : أى أهلكناهم (ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ) ممن كذبوا ككفار مكة ،

(قوله و يؤخذ منه) أى من قوله ليوم الفصل وقوله جواب إذا أى المحذوف والتقدير وقع الفصل (قوله وما أدراك) ما استفهامية مبتدأ وجملة أدراك خبرها والكاف مفعول أول وقوله مايوم الفصل جملة من مبتدإ وخبر سادة مسد المفعول الثانى والاستفهام الأول للاستبعاد والانكار والثانى للتعظيم والتهويل (قوله ويل يومئذ للمكذبين) ويل مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء وللمكذبين خبره ويومئذ ظرف لويل وكررت هذه الجملة فى هذه السورة عشر مرات لمزيد الترغيب والترهيب،والمراد بالويل قيل العذاب والخزى وقيل واد فى جهنم فيه ألوان العذاب لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال «عرضت على جهنم فلم أر فيها واديا أعظم من الويل» وقيل إنه مجمع مايسيل من قيح أهل النار وصديدهم (قوله ألم نهلك الأولين) الاستفهام تقريرى وهو طلب الاقرار بما بعد النفى والمراد بالأولين الأمم السابقة من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود والمراد بالآخرين كفار أمة محمد (قوله أى أهلكناهم) أفاد بذلك أن الاستفهام داخل على نفى ونفى النفى إثبات نظير ألم نشرح لك صدرك (قوله ثم نتبعهم الآخرين) العامة على رفع العين استئنافا أو معطوفا على جملة ألم نهلك الأولين وليس معطوفا على الفعل والاستفهام مسلط عليه لأنه يقتضى أن المعنى أهلكنا الأولين ثم أتبعناهم الآخرين فى الهلاك وليس كذلك لأن هلاك الآخرين لم يحصل حينئذ

فنهلكهم (كَذَٰلِكَ) مثل فعلنا بالمكذبين (نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) بكل من أجرم فيما يستقبل فنهلكهم (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) تأكيد (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) ضعيف وهو المنى (فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) حريز وهو الرحم (إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ) وهو وقت الولادة (فَقَدَرْنَا) على ذلك (فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) نحن (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا) مصدر كفت بمعنى ضم : أى ضامة (أَحْيَاءً) على ظهرها (وَأَمْوَاتًا) فى بطنها (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ) جبالا مرتفعات (وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا) عذبا (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) ويقال للمكذبين يوم القيامة (انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ) من العذاب (تُكَذِّبُونَ . انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) هو دخان جهنم إذا ارتفع افترق ثلاث فرق لعظمته (لَا ظَلِيلٍ) كنين يظلهم من حر ذلك اليوم (وَلَا يُغْنِي) يرد عنهم شيئا (مِنَ اللَّهَبِ) النار (إِنَّهَا) أى النار (تَرْمِي بِشَرَرٍ) هو ما تطاير منها (كَالْقَصْرِ) من البناء فى عظمه وارتفاعه (كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ) جمع جمالة جمع جمل وفى قراءة جمالة (صُفْرٌ) فى هيئتها ولونها وفى الحديث «شرار النار أسود كالقير» والعرب تسمى سود الإبل صفرا لشوب سوادها بصفرة فقيل صفر فى الآية بمعنى سود لما ذكر، وقيل لا والشرر جمع شررة، والشرار جمع شرارة، والقير القار (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . هَٰذَا) أى يوم القيامة (يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ) فيه بشىء (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ) فى العذر (فَيَعْتَذِرُونَ) عطف على يؤذن ،

وقرئ شذوذا بتسكين العين إما تخفيفا والجملة مستأنفة أو معطوفة على المجذوم ويكون المراد بالأولين قوم نوح وعاد وثمود وبالآخرين قوم شعيب ولوط وموسى وحينئذ فالمراد بالمجرمين كفار أمة محمد عليه الصلاة والسلام (قوله فنهلكهم) أى فى الدنيا كوقعة بدر (قوله ألم نخلقكم الخ) هذا تذكير من الله تعالى للكفار بعظيم إنعامه عليهم وبقدرته على ابتداء خلقهم والقادر على الابتداء قادر على الاعادة ففيها رد على منكرى البعث (قوله حريز) أى يحفظ فيه المنى من الفساد (قوله إلى قدر معلوم) أى مقدار معلوم من الوقت قدره تعالى للولادة (قوله فقدرنا) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان فالتشديد من التقدير والتخفيف من القدرة (قوله على ذلك) أى الخلق والتصوير (قوله كفاتا) مفعول ثان لنجعل (قوله مصدر كفت) المناسب أن يقول اسم مكان لأن كفت من باب ضرب فمصدره الكفت فالمعنى ألم نجعل الأرض موضع كفت أى جمع وضم (قوله أحياء وأمواتا) أى تضمهم فى دورهم ومنازلهم فى حال الحياة وتضمهم فى بطنها فى قبورهم حال الموت ثم هى إما راضية عليه فتضمه ضمة الأم الشفوق أو غير راضية فتضمه ضمة تختلف بها أضلاعه (قوله جبالا مرتفعات) أى لولاها لتحركت بأهلها (قوله ماء فراتا) أى من العيون والأنهار فتشربون منه أنتم ودوابكم وتسقون منه زرعكم (قوله من العذاب) بيان لما (قوله انطلقوا إلى ظل) توكيد لانطلقوا الأول (قوله ذى ثلاث شعب) أى فرق: شعبة فوق الكافر، وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره ، ففيه إشارة لعظم الدخان لأن شأن الدخان العظيم إذا ارتفع يصير ثلاث شعب ، وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش (قوله لاظليل) صفة لظل ولا متوسطة بين الصفة والموصوف لافادة النفى وهذا تهكم بهم ورد لما أوهمه لفظ الظل من الراحة (قوله كنين) أى ساتر (قوله بشرر) هكذا براءين من غير ألف بينهما وهى قراءة العامة وقرئ شذوذا بألف بين الراءين مع كسر الشين وفتحها فالشرر جمع شررة والشرار بكسر الشين جمع شررة أيضا كرقبة ورقاب وبفتح الشين جمع شرارة وهى كل ما تطاير من النار متفرقا (قوله كأنه) أى الشرر فشبهه أولا بالقصر فى العظم والكبر وثانيا بالجمال فى اللون والكثرة والتتابع (قوله وفى قراءة) أى سبعية أيضا (قوله فى هيئتها الخ) بيان لوجه الشبه (قوله لشوب سوادها) أى اختلاطه (قوله فقيل الخ) تفريع على الحديث وصنيع العرب (قوله وقيل لا) أى ليس صفر بمعنى سود بل هو باق على حقيقته (قوله القار) أى الزفت (قوله أى يوم القيامة) أى المدلول عليه بقوله انطلقوا إلى ظل الخ (قوله لاينطقون) أى فى بعض المواقف

وفى بعضها يتكلمون ويعتذرون، فلامنافاة بين ماهنا وبين قوله يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ونحوه (قوله من غير تسبب عنه) جواب عما يقال إن العطف بالفاء أو الواو على النفى يقتضى نصب المعطوف فلم رفع فى الآية؟ وإيضاحه أن محل نصبه إذا كان متسببا عن النفى نحو: لايقضى عليهم فيموتوا، وأما إذا لم يكن متسببا كما هنا لأن النفى متوجه للمعطوف والمعطوف عليه فانه يرفع (قوله هذا يوم الفصل) أى بين المحق والمبطل (قوله والأولين) إما عطف على الكاف فى جمعناكم أو مفعول معه وهذه الجملة مقولة لقول محذوف أى يقال لهم هذا يوم الفصل (قوله حيلة) تسميتها كيدا تهكم بهم (قوله فكيدون) أى فاحتالوا لأنفسكم وقاوونى فلم تجدوا مفرا (قوله إن المتقين الخ) ذكر فى سورة هل أتى على الانسان أحوال الكفار فى الآخرة على سبيل الاختصار وأطنب فى أحوال المؤمنين عكس مافعل هنا ليحصل التعادل بين السورتين (قوله أى تكاثف أشجار) من إضافة الصفة للموصوف (قوله وعيون نابعة من الماء) أى ومن العسل واللبن والخمر كما فى آية القتال (قوله مما يشتهون) راجع للعيون والفواكه (قوله بحسب شهواتهم) أى فمتى اشتهوا فاكهة وجدوها حاضرة فليست فاكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما فى أنواع فاكهة الدنيا

قال تعالى: أكلها دائم وظلها (قوله ويقال لهم) أى من قبل الله أو القائل لهم الملائكة إكراما لهم (قوله كما جزينا المتقين) أى بالظلال والعيون والفواكه نجزى المحسنين إن قلت لامغايرة بين المتقين والمحسنين ففيه تشبيه الشئ بنفسه. والجواب أن يراد بالمتقين الكاملون فى الطاعة وبالمحسنين من عندهم أصل الايمان ويصير المعنى إن هذا الجزاء كما هو ثابت للكاملين فى الطاعة ثابت لمن كان عنده أصل الايمان فالمماثلة فى الأوصاف التى ذكرت فى تلك الآية لافى المراتب والدرجات فتدبر (قوله من الزمان) أى فقليلا (سورة

منصوب على الظرفية (قوله وغايته إلى الموت) أى فهو مدة العمر قال بعض العلماء: التمتع فى الدنيا من أفعال الكافرين، والسعى لها من أفعال الظالمين، والاطمئنان إليها من أفعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والأخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين، والاعراض عنها من أفعال الزاهدين، وأهل الحقيقة أجل خطرا من أن يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها (قوله وإذا قيل لهم) أى لهؤلاء المجرمين أى من أى قائل كان (قوله صلوا) أى فسميت الصلاة باسم جزئها وهو الركوع وخص هذا الجزء لأنه يقال على الخضوع والطاعة (قوله فبأى حديث) متعلق بيؤمنون قال الرازى: إنه تعالى لما بالغ فى زجر الكفار من أول السورة إلى آخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين أنهم إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل العظيمة مع وضوحها لايؤمنون بغيرها. قال البوصيرى فى همزيته:

وإذا البينات لم تغن شيئا ... فالتماس الهدى بهن عناء

(قوله لاشتماله على الاعجاز) أى فقد ورد أن معجزات المصطفى مائة ألف وسبعون ألفا فى القرآن منها مائة ألف والسبعون من غيره وهذا التعليل لاينتج ماقاله المفسر من عدم الامكان إذ يجوز أن يؤمنوا بغيره مع عدم إعجازه ويكذبوا بالقرآن المعجز فلو

من غير تسبب عنه فهو داخل فى حيز النفى أى لا إذن فلا اعتذار (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ) أيها المكذبون من هذه الأمة (وَالْأَوَّلِينَ) من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعا (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ) حيلة فى دفع العذاب عنكم (فَكِيدُونِ) فافعلوها (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ) أى تكاثف أشجار إذ لاشمس يظل من حرها (وَعُيُونٍ) نابعة من الماء (وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ) فيه إعلام بأن المأكل والمشرب فى الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب مايجد الناس فى الأغلب، ويقال لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا) حال أى متهنئين (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من الطاعات (إِنَّا كَذَٰلِكَ) كما جزينا المتقين (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. كُلُوا وَتَمَتَّعُوا) خطاب للكفار فى الدنيا (قَلِيلًا) من الزمان وغايته إلى الموت وفى هذا تهديد لهم (إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا) صلوا (لَا يَرْكَعُونَ) لايصلون (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ) أى القرآن (يُؤْمِنُونَ) أى لايمكن إيمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله على الإعجاز الذى لم يشتمل عليه غيره

قال فى التعليل لأن القرآن مصدق للكتب القديمة موافق لما فى أصول الدين فيلزم من تكذيبه تكذيب غيره من الكتب لأن مافى غيره موجود فيه فلا يمكن الايمان بغيره مع تكذيبه لكان أولى .

[سورة التساؤل] وتسمى سورة النبأ العظيم وسورة عم وسورة عم يتساءلون (قوله عم) عن حرف جر وما استفهامية فى محل جر حذفت ألفها للقاعدة المقررة التى أشار لها ابن مالك بقوله :

وما فى الاستفهام إن جرت حذف ألفها وأولها الها إن تقف

ووقف البزى بهاء السكت جريا على القاعدة ، ونقل عن ابن كثير إثبات الهاء فى الوصل أيضا إجراء له مجرى الوقف وقرئ شذوذا بإثبات الألف والجار والمجرور متعلق بيتساءلون وقوله عن النبأ عطف بيان . وسبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما بعث جعل المشركون يتساءلون بينهم فيقولون ما الذى أتى به ويتجادلون فيما بعث به ، ومناسبتها لما قبلها أنه لما قال فبأى حديث بعده يؤمنون أى بعد القرآن فكانوا يتجادلون فيه و يتساءلون عنه فقال عم يتساءلون (قوله

(سـورة النبأ)

مكية ، إحدى وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . عَمَّ) عن أىّ شىء (يَتَسَاءَلُونَ) يسأل بعض قريش بعضاً (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) بيان لذلك الشىء ، والاستفهام لتفخيمه وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من القرآن المشتمل على البعث وغيره (الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) فالمؤمنون يثبتونه والكافرون ينكرونه (كَلَّا) ردع (سَيَعْلَمُونَ) ما يحل بهم على إنكارهم له (ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) تأكيد وجىء فيه بثم للايذان بأن الوعيد الثانى أشد من الأول ، ثم أومأ تعالى إلى القدرة على البعث فقال (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا) فراشاً كالمهد (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) تثبت بها الأرض كما تثبت الخيام بالأوتاد والاستفهام للتقرير (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا) ذكوراً وإناثا (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا) راحة لأبدانكم (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) ساتراً بسواده (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) وقتاً للمعايش (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا) سبع سموات (شِدَادًا) جمع شديدة : أى قوية محكمة لايؤثر فيها مرور الزمان (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا) منيراً (وَهَّاجًا) وقاداً ،

بيان لذلك الشىء) أى المعبرعنه بما الاستفهامية والمراد بالبيان عطف البيان (قوله والاستفهام لتفخيمه) أى فليس استفهاما حقيقيا بل هو كناية عن تفخيم الأمر وتعظيمه (قوله الذى) صفة للنبأ وهم مبتدأ ومختلفون خبره وفيه متعلق بمختلفون والجملة صلة الذى وقوله فالمؤمنون الخ أشار بذلك إلى أن الضمير فى هم عائد على مايشمل المؤمنين والكفار وجعل الواو فى يتساءلون محمولة على الكفار ليس بواضح لأنه يلزم عليه تشتيت الضمائر فالمناسب أن يسوى بين الضميرين بأن يجعلهما عائدين على الكفار واختلافهم فيه من حيث إن بعضهم يقول فيه شعر و بعضهم يقول فيه كهانة وغيرذلك (قوله ردع) أى فيه معنى الوعيد والتهديد (قوله مايحل بهم) مفعول يعلمون ، والمعنى ماينزل بهم عند النزع أو فى القيامة لكشف الغطاء عنهم فى ذلك الوقت وحل يحل بالكسر والضم فى المضارع بمعنى نزل (قوله تأكيد) أى لفظى وقيل عطف نسق فيه معنى التأكيد (قوله للايذان بأن الوعيد الثانى الخ) أى فتغايرا بهذا الاعتبار ، ومن هنا قيل أن الأول عند النزع والثانى فى القيامة وقيل الأول للبعث والثانى للجزاء (قوله ثم أومأ تعالى) أى أشار إلى الأدلة الدالة عليها وذكر منها تسعة ووجه الدلالة أن يقال إنه تعالى حيث كان قادرا على هذه الأشياء فهو قادر على البعث (قوله ألم نجعل الأرض مهادا) الأرض مفعول أول ومهادا مفعول ثان إن جعلت بمعنى التصيير و إن جعلت بمعنى الخلق فيكون مهادا حالا وكذا يقال فى قوله أوتادا وما بعده (قوله كالمهد) أى للصبى وهو مايفرش له لينام عليه (قوله للتقرير) أى بما بعد النفى (قوله سباتا) بالضم كغراب النوم الثقيل وأصله الراحة وفعله سبت كقتل (قوله ساترا بسواده) أى ظلمته ففيه تشبيه بليغ بحذف الأداة أى كاللباس بجامع الستر فى كل (قوله وقتا للمعايش) أى تتصرفون فيه فى حوائجكم (قوله وهاجا)

أى مضيئا (قوله يعنى الشمس) أى لأنها كوكب نهارى ينسخ ضوؤه ظلمة الليل (قوله التى حان لها أن تمطر) أى جاء وقت إمطارها المقدر لها (قوله الجارية) المراد بها مطلق الأنثى (قوله صبابا) أى بشدة وقوة (قوله حبا ونباتا) أى فالمراد مايقتات به وما يعلف به من التبن والحشيش (قوله جمع لفيف) وقيل جمع لف بكسر اللام وقيل لاواحد له (قوله إن يوم الفصل الخ) كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماوقت البعث الذى أثبت بالأدلة المتقدمة فقال إن يوم الفصل وأكده بان لتردد الكفار فيه (قوله ميقاتا) أى فى علمه وقضائه (قوله وقتا للثواب والعقاب) أشار بذلك إلى أن الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ماوعد الله به من الثواب والعقاب (قوله يوم ينفخ فى الصور) أى النفخة الثانية (قوله جماعات مختلفة) روى عن معاذ بن جبل قلت «يارسول الله أرأيت قول الله تعالى: يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يامعاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عينيه باكيا ثم قال: يحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى مترددون وبعضهم صم بكم عمى فهم لايعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من النار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جلاليب سابغة من القطران

لاصقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعنى النمام وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس وأما المنكسون رءوسهم ووجوههم فأكلة الربا وأما العمى فهم من يجورون فى الحكم وأما الصم البكم فهم الذين يعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعالهم، وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران، وأما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس إلى السلطان، وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات ويمنعون حق الله من أموالهم، وأما الذين يلبسون الجلاليب فأهل الكبر والفخر والخيلاء (قوله وفتحت السماء) عطف على قوله فتأتون وعبر بالماضى لتحقق الوقوع (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله شققت) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالفتح ماعرف من فتح الأبواب بل هو التشقق لموافقة قوله: إذا السماء انشقت إذا السماء انفطرت. وخير مافسرته بالوارد (قوله لنزول الملائكة) أى لأنهم يموتون بالنفخة الأولى ويحيون بين النفختين وينزلون جميعا يحيطون بأطراف الأرض وجهاتها يسوقون الناس إلى المحشر (قوله وسيرت الجبال) أى فى الهواء بعد تفتيتها (قوله هباء) المناسب إبقاء السراب على ظاهره ويكون المعنى على التشبيه أى فكانت مثل السراب من حيث إن المرئى خلاف الواقع فكما يرى السراب كأنه ماء كذلك الجبال ترى كأنها جبال وليست كذلك فى الواقع لقوله تعالى: وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وإلا فتفسير السراب بالهباء لم يوجد فى اللغة (قوله راصدة أو مرصدة) أشار بذلك إلى أن مرصادا من رصدت الشىء أرصده إذا ترقبته فهى راصدة للكفار مترقبة لهم أو مرصدة بمعنى معدة ومهيأة لهم يقال أرصدت له أعددت له (قوله أحقابا) ظرف للابثين (قوله لانهاية لها) أى لمجموعها وإن كان كل منها متناهيا وإنما قال لانهاية لها ليوافق قوله تعالى: خالدين فيها أبدا.

يعنى الشمس (وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) السحابات التى حان لها أن تمطر كالمعصر الجارية التى دنت من الحيض (مَاءً ثَجَّاجًا) صبابا (لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا) كالحنطة (وَنَبَاتًا) كالتين (وَجَنَّاتٍ) بساتين (أَلْفَافًا) ملتفة جمع لفيف كشريف وأشراف (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) بين الخلائق (كَانَ مِيقَاتًا) وقتا للثواب والعقاب (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) القرن بدل من يوم الفصل أو بيان له والنافخ إسرافيل (فَتَأْتُونَ) من قبوركم إلى الموقف (أَفْوَاجًا) جماعات مختلفة (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ) بالتشديد والتخفيف شققت لنزول الملائكة (فَكَانَتْ أَبْوَابًا) ذات أبواب (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ) ذهب بها عن أماكنها (فَكَانَتْ سَرَابًا) هباء أى مثله فى خفة سيرها (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) راصدة أو مرصدة (لِلطَّاغِينَ) الكافرين فلا يتجاوزونها (مَآبًا) مرجعا لهم فيدخلونها (لَابِثِينَ) حال مقدرة أى مقدراً لبثهم (فِيهَا أَحْقَابًا) دهوراً لا نهاية لها،

جمع حقب بضم أوله (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا) نوما ، فإنهم لايذوقونه (وَلَا شَرَابًا) مايشرب تلذذا (إِلَّا) لكن (حَمِيمًا) ماء حارا فى غاية الحرارة (وَغَسَّاقًا) بالتخفيف والتشديد : ما يسيل من صديد أهل النار ، فإنهم يذوقونه ، جوزوا بذلك (جَزَاءً وِفَاقًا) موافقا لعملهم ، فلا ذنب أعظم من الكفر ، ولا عذاب أعظم من النار (إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ) يخافون (حِسَابًا) لإنكارهم البعث (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (كِذَّابًا) تكذيبا (وَكُلَّ شَيْءٍ) من الأعمال (أَحْصَيْنَاهُ) ضبطناه (كِتَابًا) كتبا فى اللوح المحفوظ لنجازى عليه ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن (فَذُوقُوا) أى فيقال لهم فى الآخرة عند وقوع العذاب عليهم ذوقوا جزاءكم (فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا) فوق عذابكم (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) مكان فوز فى الجنة (حَدَائِقَ) بساتين بدل من مفازا ، أو بيان له (وَأَعْنَابًا) عطف على مفازا (وَكَوَاعِبَ) جوارى تكعبت ثديهن جمع كاعب (أَتْرَابًا) على سن واحد جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء (وَكَأْسًا دِهَاقًا) خمرا مالئة محالها ، وفى القتال وأنهار من خمر (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا) أى الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال (لَغْوًا) باطلا من القول (وَلَا كِذَّابًا) بالتخفيف: أى كذبا، وبالتشديد: أى تكذيبا من واحد لغيره، بخلاف مايقع فى الدنيا عند شرب الخمر،

(قوله بضم أوله) أى وسكون ثانيه هو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة وعن الحسن قال : إن الله تعالى لم يجعل لأهل النار مدة بل قال - لابثين فيها أحقابا - فوالله ماهو إلا أنه إذا مضى حقب دخل حقب إلى الأبد وليس للأحقاب عدة إلا الخلود ، وعن ابن مسعود قال: لوعلم أهل النار أنهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا (قوله نوما) سمى النوم بردا لأنه يبرد صاحبه ، ألا ترى أن العطشان إذا نام سكن عطشه وهى لغة هذيل ، وقال ابن عباس : البرد برد الشراب ، وقال الزجاج : أى لايذوقون فيها برد ريح ولا ظل ولا نوم فجعل البرد برد كل شئ له راحة ، فأما الزمهرير فهو برد عذاب لاراحة فيه (قوله لكن حميما) قضية كلامه أن الاستثناء منقطع و يجوز أن يكون متصلا من عموم قوله ولا شرابا ، والأحسن أنه بدل من شرابا لأن الاستثناء من كلام غير موجب (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جزاء وفاقا) منصوب على المصدرية لمحذوف قدره المفسر بقوله جوزوا بذلك الخ (قوله موافقا لعملهم) أشار بذلك إلى أن وفاقا صفة لجزاء بتأويله باسم الفاعل (قوله إنهم كانوا) تعليل لقوله جزاء وفاقا (قوله كذابا) بالتشديد باتفاق السبعة (قوله وكل شئ) منصوب على الاشتغال : أى وأحصينا كل شئ أحصيناه (قوله كتبا) أشار بذلك إلى أن كتابا مصدر من معنى الاحصاء على حد جلست قعودا والمعنى كتابا إحصاء (قوله فى اللوح المحفوظ) وقيل فى صحف الحفظة على بنى آدم (قوله ومن ذلك) أى كل شئ (قوله فذوقوا) أمر إهانة وتحقير والجملة معمولة لمقدر كما أشار له المفسر (قوله فلن نزيدكم إلا عذابا) قيل هذه أشد آية فى القرآن على أهل النار كلما استغاثوا بنوع من العذاب أغيثوا بأشد منه (قوله إن للمتقين مفازا) مقابل قوله - إن للطاغين مآبا - والمراد بالمتقين من اتقى الشرك بأن لم يموتوا كفارا (قوله مكان فوز) أشار بذلك إلى أن مفازا مصدر ميمى بمعنى المكان ويصح أن يكون بمعنى الحدث : أى نجاة وظفرا بالمقصود (قوله بدل من مفازا) أى بدل بعض من كل (قوله عطف على مفازا) المناسب عطفه على حدائق عطف خاص على عام لمزيد شرف الأعناب (قوله تكعبت) أى استدارت مع ارتفاع يسير كالكعب (قوله ثديهن) بضم الثلثة وكسر الدال المهملة وتشديد الياء التحتية جمع ثدى (قوله على سن واحد) أى فلا اختلاف بينهن فى الشكل ولا فى العمر لئلا يحصل الحزن إن وجد التخالف ولا حزن فى الجنة (قوله خمرا مالئة محالها) فسر الكأس بالخمر والدهاق بالممتلئة والمناسب إبقاء الكأس على ظاهرها وتفسير الدهاق بالممتلئة لما فى القاموس دهق الكأس ملأها ، وفى المختار أدهق الكأس ملأها وكأس دهاق : أى ممتلئة (قوله لايسمعون) حال من المتقين (قوله وغيرها) الضمير عائد على الشرب واكتسب التأنيث من المضاف إليه وهو الخمر لأنها تذكر وتؤنث وفى بعض النسخ وغيره وهى ظاهرة (قوله بالتخفيف) أى بوزن كتاب مصدر كذب ككتب ، وقوله وبالتشديد : أى فهو مصدر كذب المشدد قراءتان سبعيتان هنا لعدم التصريح بفعله ، وأما قوله وكذبوا بآياتنا كذابا فهو بالتشديد باتفاق السبعة لوجود التصريح

بالفعل للشدّد (قوله جزاء من ربك) أي بمقتضى وعده الحسن لأهل الطاعة وهذا من مزيد الإكرام لأهل الجنة كما يقول الشخص الكريم إذا بالغ فى إكرام ضيفه هذا من فضلك وإحسانك مثلا وإلا فأىّ حق للمخلوق على خالقه (قوله بدل من جزاء) أى بدل كل من كلّ (قوله حسابا) صفة لعطاء وهو إما مصدر أقيم مقام الوصف أو باق على مصدريته مبالغة أو على حذف مضاف: أي ذو كفاية على حد زيد عدل (قوله بالجر) أى جر رب على أنه بدل من ربك، وقوله والرفع: أى على أنه خبر مبتدإ محذوف: أى هو رب (قوله كذلك) أى بالجر والرفع فالجر على أنه بدل من رب الأول أوصفة للثانى والرفع على أنه خبر مبتدإ محذوف والجملة مستأنفة، وقوله وبرفعه أى الرحمن على أنه خبر لمحذوف فالقراءات ثلاث سبعيات رفعهما وجرهما ورفع الرحمن مع جر رب (قوله أى الخلق) أى من أهل السموات والأرض لغلبة الجلال فى ذلك اليوم فلا يقدر أحد على خطابه تعالى فى دفع بلاء ولا فى رفع عذاب (قوله منه) من ابتدائية متعلقة بلا يملكون أو بخطابا (قوله أو جند الله) ذكر المفسر فى معنى الروح قولين من جملة أقوال ثمانية فقوله جند الله: أى جند من جنود الله ليسوا

(جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ) أى جزاهم الله بذلك جزاء (عَطَاءً) بدل من جزاء (حِسَابًا) أى كثيرا، من قولهم أعطانى فأحسبنى: أى أكثر علىّ حتى قلت حسبى (رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالجر والرفع (وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ) كذلك وبرفعه مع جر رب (لَا يَمْلِكُونَ) أى الخلق (مِنْهُ) تعالى (خِطَابًا) أى لايقدر أحد أن يخاطبه خوفا منه (يَوْمَ) ظرف للايملكون (يَقُومُ الرُّوحُ) جبريل أو جند الله (وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا) حال: أى مصطفين (لَا يَتَكَلَّمُونَ) أى الخلق (إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ) فى الكلام (وَقَالَ) قولا (صَوَابًا) من المؤمنين والملائكة، كأن يشفعوا لمن ارتضى (ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ) الثابت وقوعه وهو يوم القيامة (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا) مرجعا أى رجع إلى الله بطاعته ليسلم من العذاب فيه (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ) أى كفار مكة (عَذَابًا قَرِيبًا) أى عذاب يوم القيامة الآتى، وكل آت قريب (يَوْمَ) ظرف لعذابا بصفته (يَنْظُرُ الْمَرْءُ) كل امرئ (مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) من خير وشر (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا) حرف تنبيه (لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) يعنى فلا أعذب، يقول ذلك عند مايقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: كونى ترابا.

ملائكة لهم رءوس وأيد وأرجل يأكلون الطعام على صورة بنى آدم كالناس وليسوا بناس. ثالثها أنه ملك ليس بعد العرش أعظم منه فى السماء الرابعة يسبح الله تعالى كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا فيجىء يوم القيامة وحده صفا. رابعها أنهم أشراف الملائكة. خامسها أنهم بنو آدم. سادسها أرواح بنى آدم تقوم صفا بين النفختين قبل أن تردّ إلى الأجساد. سابعها القرآن لقوله تعالى ـ وكذلك أوحينا إليك روحا ـ. ثامنها أنهم الحفظة على الملائكة (قوله لايتكلمون الخ) تأكيد لقوله: لا يملكون، والمعنى أن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله إذا لم يقدروا أن يشفعوا إلا بإذنه فكيف يملك غيرهم (قوله فمن شاء) مفعوله محذوف دل عليه قوله ـ اتخذ إلى ربه مآبا ـ ومن شرطية وجوابها قوله اتخذ الخ أو محذوف تقديره فعل (قوله إلى ربه) أى إلى ثوابه وهو متعلق بمآبا (قوله كل امرئ) أى مسلما أو كافرا وأخذ العموم من أل الاستغراقية والنظر بمعنى الرؤية، والمعنى يرى كل ما قدمه من خير وشر ثابتا فى صحيفته وخص اليدين بالذكر لأن أكثر الأفعال تزاول بهما (قوله يقول ذلك عند مايقول الله للبهائم الخ) هذا أحد احتمالات ثلاث. ثانيها أن يتمنى أن لو كان ترابا فى الدنيا فلم يخلق إنسانا ولم يكلف. ثالثها أن يتمنى أن لو كان ترابا فى يوم القيامة فلم يبعث ولم يحاسب (قوله بعد الاقتصاص من بعضها لبعض) أى فيقتص للجماء من القرناء إظهارا للعدل، وأما الجنّ فهم مكلفون كالإنس يثابون ويعاقبون فالمؤمن يدخل الجنة والكافر يدخل النار على الصحيح.

(سورة والنازعات)

مكية ، ست وأربعون آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . وَالنَّازِعَاتِ) الملائكة تنزع أرواح الكفار (غَرْقًا) نزعا بشدة (وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا) الملائكة تنشط أرواح المؤمنين : أى تسلها برفق (وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا) الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى : أى تنزل (فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا) الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) الملائكة تدبر أمر الدنيا : أى تنزل بتدبيره ، وجواب هذه الأقسام محذوف : أى لتبعثن يا كفار مكة ، وهو عامل فى (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) النفخة الأولى ، بها يرجف كل شيء : أى يتزلزل ، فوصفت بما يحدث منها (تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ) النفخة الثانية ، و بينهما أربعون سنة والجملة حال من الراجفة ، فاليوم واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) خائفة قلقة (أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) ذليلة لهول ما ترى :

[سورة والنازعات] وفى بعض النسخ سورة النازعات بغير واو (قوله والنازعات الخ) اعلم أن الله تعالى أقسم بخمسة أقسام موصوفها محذوف، فاختلف المفسرون فى تقدير الموصوف فى الأربعة الأول فبعضهم قدره الملائكة و بعضهم قدره النجوم ، وأما الخامس فالمراد بهم الملائكة بالاجماع والتأنيث فى الأوصاف ظاهر إن كان المراد النجوم و إن كان الملائكة فالتأنيث باعتبار الطائفة كأنه قال والطائفة النازعات ، ومشى المفسر على أن المراد بها الملائكة وهو ظاهر (قوله الملائكة تنزع أرواح الكفار الخ) قال ابن مسعود : إن ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل (قوله غرقا) إما مصدر على حذف الزوائد بمعنى إغراقا فهو ملاق لعامله فى المعنى كقمت وقوفا، أو حال : أى ذوات إغراق يقال أغرق فى الشيء إذا بلغ أقصى غايته (قوله نزعا بشدة) أى لما ورد أن كل نزعة أعظم من سبعين ألف ضربة بالسيف و يرى أن السموات السبع انطبقت على الأرض وهو بينهما (قوله تنشط أرواح المؤمنين) بفتح أوله وكسر ثالثه من باب ضرب يقال نشط فى عمله خف وأسرع فيه وأنشطت البعير من عقاله أطلقته ونشطا وما بعده مصادر مؤكدة لعواملها. والسبب فى شدة نزع أرواح الكفار وسهولة نزع أرواح المؤمنين أن كلا يرى قبل الموت

مقعده الذى أعد له فالمؤمن تزداد فرحا وشوقا فلا يشاهد ألما ولا يحس به والكافر تأبى روحه الخروج لمزيد الحزن والكرب الذى تجده عند رؤية مقعدها فى النار فتنزع كرها بشدة فيجدها الكافر (قوله والسابحات) أى الملائكة النازلين برفق ولطافة كالسابح فى الماء وكالفرس الجواد إذا أسرع فى جريه لقبض الأرواح فملائكة الرحمة تذهب للمؤمن وملائكة العذاب تذهب للكافر فقول المفسر بأمره تعالى محمول على أمر خاص وهو قبض الأرواح كما علمت لترتب قوله فالسابقات عليه وأما التدبير العام فيأتى فى قوله فالمدبرات أمرا (قوله تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة : أى و بأرواح الكفار إلى النار ففى الكلام اكتفاء ، وحينئذ فتلك الأوصاف الأربعة للملائكة التى تقبض الأرواح (قوله الملائكة تدبر أمر الدنيا) أى وهم جبريل وميكائيل و إسرافيل وعزرائيل ، فجبريل موكل بالرياح والجنود وميكائيل موكل بالقطر والنبات وعزرائيل موكل بقبض الأرواح و إسرافيل موكل بالصور (قوله أى تنزل بتدبيره) أشار بذلك إلى أن إسناد التدبير إلى الملائكة مجاز والمدبر حقيقة هو الله تعالى فهم أسباب عادية مظهر للتدبير (قوله لتبعثن يا كفار مكة) خصهم و إن كان البعث عاما للمسلم والكافر لأن القسم إنما يكون للمنكر والمسلم مصدق بمجرد الاخبار فلا يحتاج للاقسام (قوله بها يرجف كل شيء) أى فهذا وجه تسميتها راجفة (قوله تتبعها الرادفة) سميت بذلك لأنها تردفها وتأتى بعدها ولا شيء بينهما (قوله فاليوم واسع الخ) جواب عما يقال إن وقت الراجفة موت لا بعث فكيف يجعل ظرفا لتبعثن المقدر . و إيضاح جوابه أن البعث يحصل فى الوقت الذى يجمع النفختين إذ هو متسع فكأنه قال تبعثن وقت حصول النفخة الأولى المتبوعة بالنفخة الثانية (قوله للبعث) اى المقدر جوابا للقسم (قوله قلوب) مبتدأ و يومئذ ظرف لواجفة وواجفة صفة لقلوب وهو المسوغ للابتداء بالنكرة وأبصارها مبتدأ ثان وخاشعة خبره والجملة خبر الأول (قوله أبصارها) أى أبصار أصحاب القلوب .

(قوله يقولون) حكاية لحالهم فى الدنيا وهو استبعاد منهم (قوله و إدخال ألف بينهما) أى وتركه فالقراءات أربع سبعيات(1) فى كل من الموضعين (قوله فى الحافرة) متعلق بمردودون (قوله إلى الحياة) أشار بذلك إلى أن فى بمعنى إلى وأن الحافرة بمعنى الحياة (قوله والحافرة اسم لأول الأمر) أى والأصل فيها أن الانسان إذا رجع فى طريقه أثرت قدماه فيها حفرا فهو مثل لمن يرد من حيث جاء (قوله أئذا كنا عظاما) العامل فى إذا محذوف يدل عليه مردودون، والمعنى أئذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث والاستفهام لتأكيد الانكار (قوله نخرة) من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالى الأجوف الذى تمر به الريح فيسمع له نخير أى تصويت (قوله قالوا تلك الخ) حكاية لكفر آخر مفرع على كفرهم السابق وتلك مبتدأ مشار بها للرجعة والرد فى الحافرة وكرة خبرها وخاسرة صفة أى ذات خسران، والمعنى إن كان رجوعنا إلى القيامة حقا كما تقول فتلك الرجعة رجعة خاسرة لعدم عملنا لها (قوله إذا) حرف جواب وجزاء عند الجمهور دائما وقيل قد لا تكون جوابا (قوله ذات خسران) أى أو المراد خسران أصحابها (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا من كلامه تعالى ردا عليهم (قوله نفخة) سميت زجرة لأنها صيحة لا يمكن التخلف عنها (قوله فاذا هم بالساهرة) جواب شرط محذوف قدره بقوله فاذا نفخت وسميت ساهرة لأنه لا نوم عليها من أجل الخوف والحزن (قوله بوجه الأرض) وقيل أرض من فضة يخلقها الله تعالى ، وقيل جبل بالشام يمده الله تعالى يوم القيامة لحشر الناس عليه ، وقيل غير ذلك (قوله أحياء) خبر عن هم وقوله بالساهرة متعلق بأحياء ولو قال فاذاهم أحياء بالساهرة لكان أولى (قوله هل أتاك الخ) المقصود منه تسليته صلى الله عليه وسلم وتحذير قومه من مخالفته فيحصل لهم ما حصل لفرعون كأن الله تعالى يقول لنبيه اصبر كما صبر موسى فان قومك وإن بلغوا فى الكفر مهما بلغوا لم يصلوا فى العتو كفرعون وقد انتقم الله منه مع شدة بأسه وكثرة جنوده، وهل بمعنى قد إن ثبت أنه أتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام وأما إذا لم يكن أتاه قبل ذلك فالاستفهام لحمل المخاطب على طلب الاخبار (قوله عامل فى إذ ناداه) أى فاذ معمول لحديث لا لأتاك لاختلاف الوقت (قوله المقدس) أى المطهر حيث شرفه الله تعالى بانزال النبوة فيه على موسى (قوله اسم الوادى) أى وسمى طوى لطى الشدائد عن بنى إسرائيل وجمع الخيرات لموسى وهو واد بالطور بين أيلة ومصر (قوله بالتنوين وتركه) أى فالتنوين باعتبار المكان وكونه نكرة وتركه باعتبار البقعة وكونه معرفة وهما قراءتان سبعيتان (قوله فقال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله اذهب إلى فرعون معمول لقول محذوف ويصح أن يكون على حذف أن التفسيرية أو المصدرية (قوله إلى فرعون) كان طوله أربعة أشبار ولحيته أطول منه وكانت خضراء فاتخذ القبقاب ليمشى عليه خوفا من أن يمشى على لحيته وهو أول من اتخذه (قوله إنه طغى) تعليل للأمر (قوله تجاوز الحد فى الكفر) أى بتكبره على الله واستعباد خلقه (قوله فقل هل لك الخ) أمر الله تعالى موسى عليه السلام بأن يقول له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى فخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليجره إلى الهدى باللطف والرفق .

(يَقُولُونَ) أى أرباب القلوب والأبصار استهزاء و إنكاراً للبعث (أءِنَّا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية و إدخال ألف بينهما على الوجهين فى الموضعين (لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ) أى أنرد بعد الموت إلى الحياة ؟ والحافرة اسم لأول الأمر ومنه رجع فلان فى حافرته إذا رجع من حيث جاء (أءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً) وفى قراءة ناخرة : بالية مفتتة نحيا (قَالُوا تِلْكَ) أى رجعتنا إلى الحياة (إِذًا) إن صحت (كَرَّةٌ) رجعة (خَاسِرَةٌ) ذات خسران قال تعالى (فَإِنَّمَا هِىَ) أى الرادفة التى يعقبها البعث (زَجْرَةٌ) نفخة (وَاحِدَةٌ) فإذا نفخت (فَإِذَا هُمْ) أى كل الخلائق (بِالسَّاهِرَةِ) بوجه الأرض أحياء بعد ما كانوا ببطنها أمواتاً (هَلْ أَتَيكَ) يا محمد (حَدِيثُ مُوسَى) عامل فى (إِذْ نَادَيهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) اسم الوادى بالتنوين وتركه فقال (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) تجاوز الحد فى الكفر (فَقُلْ هَلْ لَكَ) : أدعوك

(1) (قول المحشى فالقراءات أربع الخ) هكذا فى بعض النسخ وهى موافقة لما فى حاشية العلامة الجمل وفى بعضها قوله و إدخال ألف بينهما : أى وتركه فالقراءات أربع سبعيات فى الموضع الأول ، وأما الثانى ففيه التسهيل بوجهيه والتحقيق مع عدم الادخال فتلك ثلاث خلافا لما يوهمه المفسر

(قوله أدعوك الخ) هذا حل معنى لا حل إعراب ، وإعرابه أن هل لك خبر مبتدإ محذوف وإلى أن تزكى متعلق بذلك المبتدإ والتقدير هل ثبت لك سبيل وميل إلى التزكية (قوله وفى قراءة بتشديد الزاى) أى سبعية أيضا وقوله بإدغام التاء الثانية : أى على التشديد وأما على التخفيف ففيه حذف إحدى التاءين (قوله وأهديك) معطوف على تزكى وقوله أدلك على معرفته بالبرهان الخ إشارة إلى أن الدلالة على المعرفة تحصل بعد التطهر من الشرك فهى واجبة وجوب الفروع، وأما التطهر بالدخول فى الاسلام فمن وجوب الأصول (قوله فتخشى) جعل الخشية غاية للهدى لأنها ملاك الأمور إذ هى خوف مع تعظيم فمن خشى ربه أتى منه كل خير فالخشية أعظم من الخوف . واعلم أن أوائل العلم بالله الخشية من الله ثم الاجلال ثم الهيبة ثم الفناء عما سواه (قوله فأراه الآية الكبرى) عطف على محذوف تقديره فذهب إليه وقال له ما ذكر فطلب منه آية فأراه الخ والضمير المستتر فيه عائد على موسى والبارز عائد على فرعون وهو المفعول الأول والثانى قوله الآية والكبرى صفة للآية (قوله أو العصا) هذا هو التحقيق إذ كل ما فى اليد حاصل فى العصا وتزيد أمورا أخر فغاية ما فى اليد انقلاب لونها ولاشك أن العصا لما انقلبت حية لابد وأن يتغير لونها وتزيد القوة الشديدة وابتلاعها أشياء كثيرة وكونها تصير حيوانا ثم تصير جمادا وغير ذلك إذ كل واحد من هذه الوجوه معجز ، ولا يصح أن يراد بالآية الكبرى مجموع معجزاته لأن ما ظهر على يده من بقية الآيات إنما كان بعد ما غلبت السحرة (قوله فكذب فرعون موسى) أى فى كون ما آتى به من عند الله (قوله وعصى) أى بعد ما رأى الآيات

ادعوك (إِلَى أَنْ تَزَكَّى) وفى قراءة بتشديد الزاى بإدغام التاء الثانية فى الأصل فيها : تتطهر من الشرك ، بأن تشهد أن لا إله إلا الله (وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ) أدلك على معرفته بالبرهان (فَتَخْشَى) فتخافه (فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى) من آياته التسع ، وهى اليد أو العصا (فَكَذَّبَ) فرعون موسى (وَعَصَى) الله تعالى (ثُمَّ أَدْبَرَ) عن الإيمان (يَسْعَى) فى الأرض بالفساد (فَحَشَرَ) جمع السحرة وجنده (فَنَادَى . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) لا رب فوقى (فَأَخَذَهُ اللَّهُ) أهلكه بالغرق (نَكَالَ) عقوبة (الآخِرَةِ) أى هذه الكلمة (وَالأُولَى) أى قوله قبلها : ما علمت لكم من إله غيرى ، وكان بينهما أربعون سنة (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) الله تعالى (أَأَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه : أى منكرو البعث (أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ) أشد خلقا (بَنَاهَا) بيان لكيفية خلقها (رَفَعَ سَمْكَهَا) تفسير لكيفية البناء أى جعل سمتها فى جهة العلو رفيعا ، وقيل سمكها سقفها (فَسَوَّاهَا)

(قوله ثم أدبر) أى تولى وأعرض عن الايمان (قوله يسعى) حال من الضمير فى أدبر (قوله جمع السحرة) أى للمعارضة وقوله وجنده أى للقتال وكان السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط والسبعون من بنى إسرائيل وتقدم فى الأعراف جملة أقوال فى عددهم وكانت عدة بنى إسرائيل ستمائة ألف وسبعين ألفا وعدة جيش فرعون ألف ألف وستمائة ألف (قوله فنادى) أى بنفسه أو بمناديه (قوله فقال أنا ربكم الأعلى) أى بعد ما قال له موسى ربى أرسلنى إليك فان آمنت بربك تكون أربعمائة سنة فى النعيم والسرور ثم تموت فتدخل الجنة ، فقال حتى أستشير هامان ، فاستشاره فقال أتصير عبدا بعد ما كنت ربا ؟ فعند ذلك جمع السحرة والجنود، فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال أنا ربكم الأعلى (قوله نكال) منصوب على أنه مصدر لأخذ ، والمعنى أخذه أخذ نكال أو مفعول لأجله : أى لأجل نكاله (قوله أى هذه الكلمة) أى وهى قوله: أنا ربكم الأعلى (قوله المذكور) أى من التكذيب والعصيان والادبار والحشر والنداء الواقع من فرعون (قوله لمن يخشى) أى لمن كان من شأنه الخشية وخصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك (قوله أأنتم) استفهام تقريع وتوبيخ لمنكرى البعث من أهل مكة (قوله بتحقيق الهمزتين) أى مع إدخال ألف وتركه فالقراءات خمس سبعيات التحقيق والتسهيل إما مع الألف أو تركها والابدال (قوله أم السماء) أى فمن قدر على خلقها مع عظمها يقدر على الاعادة وهو عطف على أأنتم فالوقف على السماء والابتداء بما بعدها (قوله أشد خلقا) أشار بذلك إلى أن قوله أم السماء مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله (قوله رفع سمكها) أى ثخنها وغلظها وهو الارتفاع الذى بين سطح السماء الأسفل وسطحها الأعلى وقدره خمسمائة عام (قوله أى جعل سمتها) أى مقدار ذهابها فى سمت العلو فالمراد بالسمت السمك (قوله وقيل سمكها سقفها) أى

فمعنى رفع سمكها على هذا جعلها مرفوعة عن الأرض

(قوله جعلها مستوية) أى ملساء ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض (قوله أظلمه) أى جعله مظلما بمغيب شمسها (قوله أبرز نور شمسها) المراد بنور الشمس النهار لوقوعه فى مقابلة الليـل فـكنى بالنور عن النهار وعبر عن النهار بالضحى لأنه أكمل أجزائه (قوله لأنه ظلها) أى لأنه أوّل مايظهر عند الغروب من أفق السماء (قوله لأنها سراجها) أى الشمس سراج السماء وفيه أنه يقتضى أن ضوء الشمس يظهر فى السماء مع أن المقدم خلافه وهو أن نورها إنما يظهر فى الأرض ونور السموات بنور العرش . او يجاب بأنه لايلزم من كونها موضع سراج لها أن يكون نورها به (قوله والأرض) منصوب على الاشتغال (قوله بعد ذلك) أى بأنى عام وقوله : دحاها يقال دحا يدحو دحوا ودحيا كدعا بسط ومد فهو من ذوات الواو والياء (قوله وكانت مخلوقة الخ) أى فلا معارضـة بين ماهنا وآية فصلت لأنه ابتدأ خلق الأرض غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحا الأرض (قوله وإطلاق المرعى عليه) أى على مايأكله الناس (قوله استعارة) أى مجاز فاستعمل المرعى فى مطلق المأكول للانسان وغيره من استعمال المقيد فى المطلق أوهو استعارة تصريحية حيث شبه أكل الناس برعى الدواب (قوله مفعول له لمقـدر) أى لفعل مقدر وقوله أومصدر أى تمتيعا كالسلام بمعنى التسليم وهو لفعل مقدر أيضا تقديره متعناكم بها تمتيعا

جعلها مستوية بلا عيب (وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا) أظلمه (وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا) أبرز نور شمسها وأضيف إليها الليل لأنه ظلها ، والشمس لأنها سراجها (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا) بسطها ، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو (أَخْرَجَ) حال بإضمار قد : أى مخرجا (مِنْهَا مَاءَهَا) بتفجير عيونها (وَمَرْعَاهَا) ماترعاه النعم من الشجر والعشب ومايأكله الناس من الأقوات والثمار وإطلاق المرعى عليه استعارة (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) أثبتها على وجه الأرض لتسكن (مَتَاعًا) مفعول له لمقدر : أى فعل ذلك متعة أومصدر: أى تمتيعاً (لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) جمع نعم ، وهى الإبل والبقر والغنم (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ) النفخة الثانية (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ) بدل من إذا (مَا سَعَىٰ) فى الدنيا من خير وشر (وَبُرِّزَتِ) أظهرت (الْجَحِيمُ) النار المحرقة (لِمَنْ يَرَىٰ) لكل راء ، وجواب إذا (فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ) كفر (وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) باتباع الشهوات (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) مأواه (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) قيامه بين يديه (وَنَهَى النَّفْسَ) الأمارة (عَنِ الْهَوَىٰ) المردى باتباع الشهوات (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) .

(قوله ولأنعامكم) خص الأنعام لشرفها وإلا فهو متاع لسائر دواب الأرض (قوله فاذا جاءت الطامة الكبرى) الفاء فاء الفصيحة أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره إذا علمت ماتقدم الخ وقوله : الطامة الكبرى أى الداهية التى تعلو على الدواهى فهى أعظم من كل عظيم ، وخص ماهنا بالطامة الكبرى موافقة لقوله قبل : فأراه الآية الكبرى بخلاف مافى عبس فانه لم يتقدمه شىء من ذلك فخصت بالصاخة وهى الصوت الشديد الواقع بعد الداهية الكبرى . وحاصل

فناسب جعل الطم للسابقة والصخ للاحقة (قوله بدل من إذا) أى بدل كل أو بعض (قوله وبرزت) عطف على جاءت والعامة على بنائه للمفعول مشددا ولمن يرى بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومعناه يبصر وهو مثل فى الأمر المنكشف الذى لايخفى على أحد (قوله لكل راء) أى من كل من له عين و بصر من المؤمنين والكفار لكن الناجى لاينصرف بصره إليها فلايراها بالفعل والكافر هى مأواه (قوله وجواب إذا فأما من طغى الخ) فيه نوع تساهل لأن قوله : فأما من طغى الخ بيان لحال الناس فى الدنيا وقوله : فاذا جاءت الطامة الخ بيان لحالهم فى الآخرة فالأولى ماسلكه غيره من أن الجواب محذوف يدل عليه التفصيل المذكور تقديره دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة (قوله باتباع الشهوات) أى المحرمات (قوله مأواه) أى فأل عوض عن الضمير العائد على من طغى (قوله وأما من خاف مقام ربه) مقابل قوله فأما من طغى الخ . واعلم أن الخوف من الله تعالى مرتبتان مرتبة العامة وهى الخوف من العذاب ومرتبة الخاصة وهى الخوف من جلال الله تعالى والآية صادقة بهما وأضيف المقام لله تعالى وإن كان وصفا للعبد من حيث كونه بين يديه ومقامه لحسابه (قوله الأمارة) قيد بها لأنها هى تكون مذمومة الهوى ، وأماغيرها فهواها محمود لما فى الحديث «لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به» (قوله المردى) أى المهلك وقوله باتباع الشهوات متعلق بالمردى والباء سببية

وحاصل الجواب فالعاصى فى النار والمطيع فى الجنة (يَسْئَلُونَكَ) أى كفار مكة (عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) متى وقوعها وقيامها (فِيمَ) فى أى شىء (أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا) أى ليس عندك علمها حتى تذكرها (إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا) منتهى علمها لا يعلمه غيره (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ) إنما ينفع إنذارك (مَنْ يَخْشَاهَا) يخافها (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا) فى قبورهم (إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) أى عشية يوم أو بكرته وصح إضافة الضحى إلى العشية لما بينهما من الملابسة إذ هما طرفا النهار ، وحسن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة .

(سورة عبس)

مكية ، اثنتان وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . عَبَسَ) النبى : كلح وجهه (وَتَوَلَّى) أعرض لأجل (أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى) عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش الذى هو حريص على إسلامهم ، ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك ،

(قوله وحاصل الجواب الخ) أشار بهذا إلى أن أما لمجرد التأكيد وليست للتفصيل لعدم تقدم مقتضيه وصار المعنى فالعاصى فى النار الخ وفيه أنه يحوج لتكلف فالأحسن ماقدمناه من أن الجواب محذوف والآية دليل عليه (قوله أيان مرساها) تفسير لسؤالهم (قوله فيم أنت) فيم خبر مقدم وأنت مبتدأ مؤخر وقوله : من ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر والاستفهام إنكارى والمعنى ماأنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شىء فليس لك علم بها حتى تخبرهم به ، وهذا قبل إعلامه بوقتها ، فلاينافى أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع مغيبات الدنيا والآخرة ، ولكن أمر بكتم أشياء منها كما تقدم التنبيه عليه غير مرة (قوله إنما أنت منذر من يخشاها) أى أنك مرسل بالإنذار لمن يخافها وهولايتوقف على علم المنذر بوقت قيامها ، وخص من يخشى بالذكر لأنه المنتفع بها وقد أشار له المفسر بقوله إنما ينفع إنذارك (قوله يخافها) أى يخاف هولها (قوله كأنهم) أى كفار قريش (قوله إلا عشية) هى من الزوال إلى غروب الشمس وقوله : أوضحاها أى ضحى عشية من العشايا وهى البكرة إلى الزوال ، والمراد ساعة من نهار من أوله أو آخره لاعشية بتمامها أوضحوة بتمامها (قوله أى عشية يوم الخ) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه (قوله وصح إضافة الضحى الخ) جواب عن سؤال مقدر تقديره العشية لاضحى لها وإنما الضحى لليوم فما وجه إضافة الضحى لضمير العشية فأجاب بأنهما لما كانتا من يوم واحد كانت بينهما ملابسة فصح إضافة إحداهما للأخرى (قوله وقوع الكلمة فاصلة) أى رأس آية تناسب رءوس الآى قبلها .

[سورة عبس]

وتسمى سورة السفرة وسورة الأعمى (قوله عبس وتولى الخ) إنما أتى بضمير الغيبة تلطفا به صلى الله عليه وسلم وإجلالا له لما فى المشافهة بتاء الخطاب مما لايخفى من الشدة والصعوبة ، وهذا نظير تقديم العفو على العتاب فى قوله : عفا الله عنك لم أذنت لهم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم الخ ، وناهيك بذلك محبة وشرفا ، ومن ذلك قول عائشة رضى الله عنها : ماأرى ربك إلا يسارع فى هواك فسيئات المحبوب حسنات . قال أبو الحسن الشاذلى : واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت (قوله كلح) بالتخفيف من باب خضع ووجهه فاعل (قوله أن جاءه الأعمى) تنازعه كل من عبس وتولى أعمل الأول على مذهب الكوفيين أو الثانى على مذهب البصريين وأضمر فى المهمل وحذف (قوله عبد الله) أى ابن شريح ابن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى اشتهر بأم أبيه أم مكتوم واسمها عاتكة بنت عامر المخزومى أسلم قديما بمكة وكان ابن خالة خديجة بنت خويلد واستخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة فى غزواته قتل شهيدا بالقادسية قال أنس بن مالك رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء (قوله فقطعه عما هو مشغول به) ماواقعة على القول بدليل قوله ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش ، ففيه إطلاق ماعلى العاقل وهو مذهب سيبويه (قوله الذى هو حريص على إسلامهم) نعت لأشراف قريش وكان المناسب التعبير بالذين .

(قوله فناداه) أى وكرر ذلك وقوله مما علمك الله أى وهو القرآن والإسلام . و إيضاح ماقاله المفسر أن الأعمى جاءه وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبوجهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الاسلام رجاء أن يسلم أولئك الأشراف الذين كان يخاطبهم فيتأيد بهم الإسلام و يسلم باسلامهم أتباعهم فتعلو كلمة الله تعالى فقال يارسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لايعلم فتشاغل النبىّ صلى الله عليه وسلم بالقوم ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما اتبعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله هذه الآيات . إن قلت إن ابن أم مكتوم أعطاه الله من السمع مايغنى عن البصر فهو و إن لم ير القوم لكنه لشدة سمعه كان يسمع مخاطبة النبىّ معهم وحينئذ فيكون إقدامه على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إيذاء له فيكون معصية فكيف يعاتب عليه صلى الله عليه وسلم وكيف يقول المفسر ولم يدر الأعمى الخ . أجيب بأن عدم علمه لعله من أجل دهشته بقدومه على رسول الله ولاشك أن جلاله صلى الله عليه وسلم وجماله يدهش العقول ولاسيما بالمحب المشتاق الراغب فى التعليم ، وعتابه صلى الله عليه وسلم بالنظر لما علمه الله من طردهم عن رحمته لابالنظر لظاهر شرعه و إلا فهو صلى الله عليه وسلم لم يفعل مكروها ولا خلاف الأولى

فناداه علمنى مما علمك الله ، فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم إلى بيته فعوتب فى ذلك بما نزل فى هذه السورة ، فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء : مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له رداءه (وَمَا يُدْرِيكَ) يعلمك (لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الزاى : أى يتطهر من الذنوب بما يسمع منك (أَوْ يَذَّكَّرُ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الذال : أى يتعظ (فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى) العظة المسموعة منك ، وفى قراءة بنصب تنفعه جواب الترجى (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى) بالمال (فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى) وفى قراءة بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية فى الأصل فيها : تقبل وتتعرض (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى) يؤمن (وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى) حال من فاعل جاء (وَهُوَ يَخْشَى) الله حال من فاعل يسعى وهو الأعمى (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) فيه حذف التاء الأخرى فى الأصل : أى تتشاغل (كَلَّا) لا تفعل مثل ذلك (إِنَّهَا) أى السورة أو الآيات (تَذْكِرَةٌ) عظة للخلق (فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ) حفظ ذلك فاتعظ به (فِي صُحُفٍ) خبر ثان لإنها ،

إذ الأهم مقدّم على المهم و إنما ذلك من باب : حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله و يبسط له رداءه) أى و يقول له هل لك من حاجة (قوله ومايدريك) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب وما استفهامية مبتدأ وجملة يدريك خبره والكاف مفعول أول وجملة قوله : لعله يزكى سادة مسد المفعول الثانى (قوله أى يتطهر من الذنوب) أى لامن الشرك لأنه أسلم قديما بمكة (قوله اويذكر) عطف على يزكى وما

(قوله فتنفعه) بالرفع عطف على : أويذكر (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أما من استغنى) أى عما عندك من الايمان والقرآن والعلوم (قوله فأنت له تصدّى) الجار والمجرور متعلق بتصدى قدم عليه رعاية للفاصلة . وأصل تصدّى تصدد أبدلت الدال الثانية حرف علة (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله تقبل) أى بالاصغاء إلى كلامه (قوله وماعليك الخ) مانافية وعليك خبر مبتدإ محذوف وقوله : ألايزكى متعلق بالمبتدإ المحذوف والتقدير ليس عليك بأس فى عدم تزكيته (قوله وأما من جاءك يسعى) أى يسرع ويمشى فى طلب الخير (قوله وهوالأعمى) تفسير لمن (قوله أى تتشاغل) أى بدعاء قريش إلى الاسلام ، وهذا الشغل و إن كان واجبا عليه إلا أنه عوتب نظرا للحقيقة كما علمت (قوله لاتفعل مثل ذلك) روى « أنه ماعبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولاتصدّى لغنىّ » (قوله ذكره) أى التذكرة وذكر الضمير لأن التذكرة بمعنى التذكر والوعظ (قوله فى صحف) أى مثبتة فى صحف مع الملائكة منقولة من اللوح المحفوظ . قال المفسرون : إن القرآن أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر أملاه جبريل على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه كله وبقيت تلك الصحف عندهم فصار جبريل ينزل منها بالآية والآيتين على النبىّ عليه الصلاة والسلام حتى استكمل إنزال القرآن فى ثلاث وعشرين سنة .

(قوله وماقبله اعتراض) أى بين الخبرين (قوله سفرة) جمع سافر ككتبة وكاتب وزنا ومعنى (قوله كرام) أى مكرمين معظمين عند الله (قوله لعن الكافر) أى طرد عن رحمة الله وفيه إشارة إلى أن المراد بالانسان الكافر لا كل إنسان وقوله ما أكفره تعجب من إفراط كفره مع كثرة إحسان الله عليه، وفى الآية إشكال من وجهين: الأول أن قوله قتل الانسان يوهم الدعاء وهو إنما يكون من العاجز فكيف يليق ذلك بالقادر على كل شىء. الثانى أن التعجب استعظام أمر خفى سببه، وهذا المعنى محال على الله تعالى إذ هو العالم بالأشياء إجمالا وتفصيلا. أجيب بأن هذا الكلام جار على أساليب العرب لبيان استحقاقه لأعظم العقاب حيث أتى بأعظم القبائح كقولهم إذا تعجبوا من شىء قاتله الله ماأخبثه وأجيب أيضا بأن الأول ليس دعاء بل هو إخبار من الله بأنه طرده عن رحمته. والثانى أنه ليس تعجبا بل استفهام توبيخ وعليه درج المفسر فهما تقريران (قوله أى ماحمله على الكفر) أى أى شىء دعاه إليه (قوله استفهام تقرير) أى وتحقير لحقارة النطفة التى هى أصله ولذا قال بعضهم: مالابن آدم والفخر أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو بينهما حامل للعذرة (قوله ثم بينه) أى الشىء المخلوق هو منه (قوله فقدره) أى قدر أطواره وهو تفصيل لما أجمل فى قوله من نطفة خلقه (قوله ثم السبيل) منصوب على الاشتغال بفعل يفسره المذكور ولم يقل ثم سبيله بالاضافة إلى ضميره إشعارا بأنه سبيل عام (قوله أى

لطريق خروجه من بطن أمه)

وما قبله اعتراض (مُكَرَّمَةٍ) عند الله (مَرْفُوعَةٍ) فى السماء (مُطَهَّرَةٍ) منزهة عن مس الشياطين (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ (كِرَامٍ بَرَرَةٍ) مطيعين لله تعالى وهم الملائكة (قُتِلَ الْإِنْسَانُ) لعن الكافر (مَا أَكْفَرَهُ) استفهام توبيخ: أى ماحمله على الكفر (مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) استفهام تقرير، ثم بينه فقال (مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ) علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه (ثُمَّ السَّبِيلَ) أى طريق خروجه من بطن أمه (يَسَّرَهُ. ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ) جعله فى قبر يستره (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ) للبعث (كَلَّا) حقا (لَمَّا يَقْضِ) لم يفعل (مَا أَمَرَهُ) به ربه (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ) نظر اعتبار (إِلَى طَعَامِهِ) كيف قدر ودبر له (أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ) من السحاب (صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ) بالنبات (شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا) كالحنطة والشعير (وَعِنَبًا وَقَضْبًا) هو القت الرطب (وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا) بساتين كثيرة الأشجار (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) ماترعاه البهائم، وقيل التبن (مَتَاعًا) متعة أو تمتيعا كما تقدم فى السورة قبلها (لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)،

قال بعضهم: إن رأس المولود فى بطن أمه من فوق ورجليه من تحت فهو فى بطن أمه على الانتصاب فاذا جاء وقت خروجه انقلب بالهام من الله تعالى (قوله ثم أماته الخ) عد الاماتة من النعم باعتبار أنها وصلة فى الجملة للحياة الأبدية والنعيم الدائم (قوله فأقبره) أى أمر بقبره، يقال قبر الميت إذا دفنه بيده وأقبره إذا أمر غيره به فالقابر هو الدفن باليد والمقبر هو الله تعالى لامره به (قوله جعله فى قبر يستره) أى ولم يجعل ممن يلقى للطيور والسباع إكراما له (قوله ثم إذا شاء) مفعول المشيئة محذوف والتقدير إذا شاء إنشاره أنشره (قوله حقا) أى فتكون متعلقة بما بعدها أى حقا لم يفعل ماأمره به ربه وحينئذ فلا يحسن الوقف على كلا ويصح أن تكون حرف ردع وزجر للانسان عما هو عليه من التكبر والتجبر وقوله لما يقض بيان لسبب الردع والزجر (قوله لما يقض) أى لم يفعل الانسان من أول مدة تكليفه إلى حين إقباره مافرضه الله عليه (قوله ماأمره به ربه) أشار بذلك إلى أن ما موصولة بمعنى الذى والعائد محذوف والضمير عائد على الانسان المتقدم ذكره وهو الكافر (قوله فلينظر الانسان الخ) بيان لتعداد النعم المتعلقة بحياته فى الدنيا إثر بيان النعم المتعلقة بإيجاده (قوله من السحاب) أى بعد نزوله من السماء (قوله ثم شققنا الأرض بالنبات) أى الذى هو أضعف الأشياء (قوله وعنبا) عطف على حبا (قوله هو القت الرطب) أى علف الدواب الرطب وسمى قضبا لأنه يقضب أى يقطع مرة بعد أخرى (قوله غلبا) جمع أغلب وغلباء كأحمر وحمراء (قوله كثيرة الأشجار) أى فاسناد الغلب لها مجاز إذ هو وصف للأشجار (قوله وفاكهة) إما عطف على عنبا من عطف العام على الخاص أو على حدائق فهو عطف خاص على عام (قوله وأبا) إمامن أبه إذا أمه وقصده لأنه يقصد للرعى أو أب لكذا إذا تهيأ لأنه متهيئ للرعى (قوله ماترعاه البهائم) أى رطبا أو يابسا فهو أعم من القضب (قوله وقيل التبن) أى وعليه فالمغايرة بينه وبين القضب ظاهرة (قوله متعة أو تمتيعا) أشار

بذلك إلى آن مدما يصح أن يكون مفعولا لأجله أومفعولا مطلقا عامله محذوف تقديره فعل ذلك متاعا أوسمكم تمتيعا (قوله تقدم فيها أيضا) أى وهو تفسير النعم بأنها البقر والابل والغنم وتقدم لنا أنه خصها لشرفها (قوله فاذا جاءت الصاخة) شروع فى بيان أحوال معادهم إثر بيان مبدإ خلقهم ومعاشهم والصاخة الداهية التى تصخ آذان الخلائق أى تصمها لشدة وقعتها وصفت بذلك مجازا لأن الناس يصخون منها (قوله يوم يفر المرء من أخيه الخ) أى وسبب هروبه إما حذرا من مطالبتهم له بحقوقهم فالأخ يقول لم تواسنى بمالك والأبوان يقولان قصرت فى برنا والصاحبة تقول لم توفنى حقى والبنون يقولون ماعلمتنا وما أرشدتنا أولما يتبين له من عجزهم وعدم نفعهم له أو لكثرة شغل الانسان بنفسه فيدهش عن غيره وكل واقع (قوله بدل من إذا) أى بدل كل أو بعض والعائد محذوف أى يفر فيه (قوله لكل امرىء) جملة مستأنفة لبيان سبب الفرار (قوله أى اشتغل الخ) بيان لجواب إذا المحذوفة (قوله وجوه) مبتدأ سوغ الابتداء به وقوعه فى معرض التفصيل ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به وهذا بيان لمآل الخلائق وانقسامهم إلى أشقياء وسعداء بعد وقوعهم فى الداهية العظمة (قوله مضيئة) إما من قيام الليل أو من آثار الوضوء أومن طول ما اغبرت فى سبيل الله وكل صحيح (قوله فرحة) أى بما رأته من كرامة الله ورضوانه (قوله ظلمة وسواد) هذا قول ابن عباس وقيل القترة والغبرة معناهما واحد وهو الغبار لكن القترة ما ارتفع منه إلى السماء والغبرة ما انحط إلى الأرض (قوله الكفرة الفجرة) جمع كافروفاجروهو الكاذب على الله تعالى لجمع الله تعالى إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الكفر إلى الفجور .

تقدم فيها أيضا (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ) النفخة الثانية (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ) زوجته (وَبَنِيهِ) يوم بدل من إذا وجوابها دل عليه (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) حال يشغله عن شأن غيره أى اشتغل كل واحد بنفسه (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ) مضيئة (ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ) فرحة وهم المؤمنون (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ) غبار (تَرْهَقُهَا) تغشاها (قَتَرَةٌ) ظلمة وسواد (أُولَئِكَ) أهل هذه الحالة (هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ) أى الجامعون بين الكفر والفجور .

(سـورة التكوير)

مكية ، تسع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) لففت وذهب بنورها (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) انقضت وتساقطت على الأرض (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا (وَإِذَا الْعِشَارُ) النوق الحوامل (عُطِّلَتْ) :

[سورة التكوير] مناسبتها لما قبلها أن كلا فيه ذكر أهوال القيامة وفى الحديث «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت و إذا السماء انفطرت و إذا السماء انشقت» (قوله إذا الشمس كورت الخ) الأرجح عند جمهور النحاة أن الاسم المرفوع الواقع بعد إن الشرطية مرفوع بفعل محذوف يفسره المذكور ويمنع أن يكون مرفوعا بالابتداء لأن أدوات الشرط لا يليها إلا الأفعال لفظا أو تقديرا وأجاز الأخفش والكوفيون إيلاءها الاسم فيرفع الاسم مبتدأ وما بعده خبر و إذا فى المواضع الاثنى عشر شرطية جوابها قوله علمت نفس ولا يجوز الوقف اختيارا قبل الجواب (قوله لففت) المناسب أن يقول لفت والمعنى لف بعضها ببعض ورمى بها فى البحر ثم يرسل الله عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا (قوله بنورها) أى ضوئها (قوله سيرت) أى فى الهواء بعد تفتيتها (قوله فصارت هباء) أى بعد صيرورتها كالصوف المندوف فأولا تفتت ثم تصير كالصوف المندوف (قوله و إذا العشار) جمع عشراء كالنفاس جمع نفساء وهى التى أتى على حملها عشرة أشهر إلى أن تضع وخصها بالذكر لأنها أغلى ما يكون عند أهلها وأنفس أموالهم لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم «مر فى أصحابه بعشار من النوق فغض بصره فقيل له هذه أنفس أموالنا فلم لا تنظر إليها فقال قد نهانى الله عن ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك» الآية و إذا كان هذا حالهم مع أنفس أموالهم فالهم غيره أولى و إلى هذا يشير المفسر بقوله ولم يكن مال أعجب

تركت

إليهم منها (قوله تركت بلا راع) أى مهملة ، وقوله أو بلا حلب بفتح اللام مصدر حلب يحلب بالضم ويقال بالسكون من باب قتل (قوله وإذا الوحوش) أى دواب البر ، وقوله جمعت : أى من كل ناحية (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أوقدت فصارت نارا) هذا أحد أقوال فى تفسير التسجير ، وقيل سجرت ملئت من الماء ، وقيل اختلط عذبها بمالحها حتى صارت بحرا واحدا ، وقيل يبست ، ويمكن الجمع بين تلك الأقوال فأولا يفيض بعضها لبعض ثم تيبس ثم تقلب نارا، ثم ماتقدم من الآيات الست يجوز أن يكون مقدمة للنفخة الأولى فالأحياء يشاهدون ذلك لما روى عن أبى بن كعب قال « ست آيات من قبل يوم القيامة بينا الناس فى أسواقهم ذهب ضوء الشمس و بدت النجوم فتحيروا ودهشوا فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واحترقت فصارت هباء منثورا ففزع الإنس إلى الجن والجن إلى الانس واختلطت الدواب و الوحوش والهوام والطير وماج بعضها فى بعض فذلك قوله تعالى — وإذا الوحوش حشرت — ثم قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا إلى البحار فإذا نار تتأجج فبينما هم كذلك انصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى و إلى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأماتتهم » ويجوز أن يكون فى النفخة الثانية و يقال فى تعطيل العشار يحتمل أنه كناية عن شدة الهول حتى لايلتفت الشخص إلى أنفس أمواله أوتبعث معطلة بلا راع أو لايلتفت لها صاحبها لأن البهائم تحشر للقصاص من بعضها لبعض ، وأما الست الباقية فتحصل بالنفخة الثانية اتفاقا (قوله قرنت بأجسادها) أى ردت الأرواح إلى أجسادها فالتزويج على هذا جعل الشىء زوجا والنفوس بمعنى الأرواح ، وقيل قرن كل امرىء بشيعته فاليهودى يضم لليهود ، والنصرانى للنصارى وهكذا ، وقيل قرن الرجل الصالح بالرجل الصالح فى الجنة والرجل السوء بالرجل السوء فى النار ، وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت الكفار بالشياطين وكذلك المنافقون وفى الحقيقة يحصل كل (قوله الجارية) المراد بها مطلق الأنثى، وقوله والحاجة: أى

تركت بلا راع، أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر ولم يكن مال أعجب إليهم منها (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) جمعت من بعد البعث ليقتص لبعض من بعض ثم تصير ترابا (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِرَتْ) بالتخفيف والتشديد : أوقدت فصارت نارا (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قرنت بأجسادها (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ) الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة (سُئِلَتْ) تبكيتا لقاتلها (بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) وقرئ بكسر التاء حكاية لما تخاطب به ، وجوابها أن تقول قتلت بلا ذنب (وَإِذَا الصُّحُفُ) صحف الأعمال (نُشِرَتْ) بالتخفيف والتشديد فتحت و بسطت (وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ) نزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة (وَإِذَا الْجَحِيمُ) النار (سُعِّرَتْ) ،

الفقر فكان الرجل فى الجاهلية إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم فى البادية و إذا أراد قتلها تركها حتى إذا كانت بنت ست سنين يقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فيذهب بها إلى البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها و يهيل عليها التراب حتى تستوى بالأرض وقال ابن عباس : كانت الحامل إذا قربت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس تلك الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة و إذا ولدت ولدا أبقته (قوله تبكيتا لقاتلها) جواب عما يقال مامعنى سؤال الموءودة مع أن مقتضى الظاهر سؤال القاتل عن قتله إياها ، فأجاب بأن سؤالها هى لافتضاح القاتل وتبكيته ولا يلزم من السؤال تعذيب القاتل لأنه يقال إن كان القاتل من أهل الفترة فلا يعذب و إنما يرضى الله المقتولة بإحسانه وإن كان ممن بلغته الدعوة فهو آثم يعذب على القتل إن لم يغفر له الله تعالى (قوله وقرئ بكسر التاء) أى الثانية على أنها تاء المؤنثة المخاطبة والفعل مبنى للمفعول وهذه القراءة شاذة وقرئ شذوذا أيضا بيناء سئل للفاعل مع قتلت بضم التاء للمتكلم و بسكونها على التأنيث فالقراءات الشاذة ثلاث (قوله صحف الأعمال) أى فإنها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب (قوله بالتخفيف والتشديد) سبعيتان (قوله فتحت و بسطت) أى بعد أن كانت مطوية (قوله نزعت عن أماكنها) أى أزيلت عنه فالكشط القلع عن شدة التزاق والقشط لغة فيه وبها قرئ شذوذا فالسماء تنزع عن أماكنها كما ينزع الغطاء عن الشىء ، وقيل تطوى كما يطوى السجل .

(قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما سبعيتان (قوله أججت) أي أوقدت للكفار (قوله قربت لأهلها ليدخلوها) أي هيئت وأحضرت لهم وسهل طريقها لا أنها تزول عن موضعها (قوله أول السورة) أي الواقعة في أولها ، وقوله وماعطف عليها : أي وهو أحد عشر (قوله علمت نفس) إن قلت إن نفس نكرة في سياق الإثبات وهي لاتعم . أجيب بجوابين : الأول أن العموم استفيد من قرينة المقام والسياق . الثاني أن وقوعها في سياق الشرط كوقوعها في سياق النفي فتعم أيضا ، ومعنى العلم بما أحضرت أنها تشاهد أعمالها مكتوبة في الصحف (قوله وهو) أي وقت حصول هذه الأمور (قوله هي النجوم الخ) أي السيارة غير الشمس والقمر (قوله أي ترجع في مجراها) أي من آخر الفلك القهقرى إلى أوله وخصها بالذكر لأنها تستقبل الشمس فتحبس بالنهار وتظهر بالليل وتخفى وقت غروبها عن البصر (قوله إذ كر راجعا) هو العامل في بينا ، وقوله إلى أوله : أي البرج (قوله في كناسها) أي محل اختفائها من كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر (قوله والصبح إذا تنفس) مناسبته لما قبله ظاهرة لأنه إن كان المراد إقباله فهو أول الليل وهذا أول النهار وإن كان المراد إدباره فهذا مجاوره (قوله إذا تنفس) التنفس في الأصل خروج النفس من الجوف وصف به الصبح من حيث إنه إذا أقبل ظهر روح ونسيم فجعل نفسا له (قوله ذي قوة) أي فكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وأنه أبصر ابليس يكلم عيسى عليه السلام فنفحه بجناحه نفحة ألقاه إلى أقصى جبل خلف الهند ، وأنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين ، وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ثم يصعد في أسرع من رد الطرف (قوله ذي مكانة) أي إكرام وتشريف (قوله متعلق به عند) أي فهو حال من مكين وأصله وصف فلما قدم نصب حالا ، وقوله ثم ظرف مكان للبعيد والعامل فيه مطاع (قوله أي تطيعه الملائكة) تفسير لقوله مطاع ، وقوله في السموات تفسير لقوله ثم (قوله عطف على إنه الخ) أي فهو من جملة المقسم عليه بالأقسام السابقة وفي الحقيقة ذكر جبريل بالأوصاف المذكورة توطئة لذكر محمد صلى الله عليه وسلم لأن المقصود منه رد قولهم : إنما يعلمه بشر ، أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضائل جبريل ومحمد خلافا للزمخشري الزاعم أن تلك الآية تشهد بتفضيل جبريل على محمد بل إذا أمعنت النظر وجدت إجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام دال على بلوغ الغاية في تعظيم محمد حيث جعل السفير بينه وبين الله هذا الملك الموصوف بتلك الصفات ، وفضل المصطفى مصرح به في هذا الكتاب وفي سائر الكتب السماوية كالشمس في رابعة النهار هذا زبدة ما أفاده الأئمة في هذا المقام (قوله ولقد رآه) معطوف على قوله ــ إنه لقول رسول كريم ــ أيضا فهو من جملة المقسم عليه ، وهذه الرؤية كانت في غار حراء حين رآه على كرسيه بين السماء والأرض في صورته الأصلية وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فوعده بحراء ثم أنجز له الوعد ، وتقدم بسطه في قوله تعالى ــ فاستوى وهو بالأفق الأعلى ــ الخ .

بالتخفيف والتشديد : أججت (وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) قربت لأهلها ليدخلوها ، وجواب إذا أول السورة وما عطف عليها (عَلِمَتْ نَفْسٌ) أي كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (مَا أَحْضَرَتْ) من خير وشر (فَلَا أُقْسِمُ) لا زائدة (بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ) هي النجوم الخمسة : زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد تخنس بضم النون : أي ترجع في مجراها وراءها بينما ترى النجم في آخر البرج إذ كر راجعا إلى أوله وتكنس بكسر النون تدخل في كناسها : أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) أقبل بظلامه أو أدبر (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) امتد حتى يصير نهارا بينا (إِنَّهُ) أي القرآن (لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) على الله تعالى ، وهو جبريل أضيف إليه لنزوله به (ذِي قُوَّةٍ) أي شديد القوى (عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ) أي الله تعالى (مَكِينٍ) ذي مكانة متعلق به عند (مُطَاعٍ ثَمَّ) أي تطيعه الملائكة في السموات (أَمِينٍ) على الوحي (وَمَا صَاحِبُكُمْ) محمد صلى الله عليه وسلم عطف على إنه إلى آخر المقسم عليه (بِمَجْنُونٍ) كما زعمتم (وَلَقَدْ رَآهُ) رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته التي خلق عليها (بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) البين ، وهو الأعلى بناحية المشرق ، (وما

(قوله على الغيب) متعلق بظنين (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى ببخيل) أى فلا يبخل به عليكم بل يخبركم له على طبق ما أمر ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانا (قوله وماهو بقول شيطان الخ) نفى لقولهم إنه كهانة وسحر (قوله فأين تذهبون) أين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون كما قال المفسر فأى طريق تسلكون حيث نسبتموه للجنون أو الكهانة أو السحر أو الشعر وهو برىء من ذلك كله كما تقول لمن ترك الطريق الجادّة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب (قوله أن يستقيم) أى فالطريق واضح فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله وماتشاءون) رجوع للحقيقة وإعلام بأن العبد مختار فى الظاهر مجبور فى الباطن على ما يريده الله منه .

[سورة الانفطار] مناسبتها لما قبلها وما بعدها ظاهرة لأن كلا متعلق بيوم القيامة (قوله إذا السماء انفطرت الخ) اعلم أن المراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا. وذلك أن السماء كالسقف والأرض كالبناء ومن أراد تخريب دار فانه يبدأ أولا بتخريب السقف ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب ثم بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الأرض من البحار ثم بعد ذلك تخرب الأرض التى فيها الأموات (قوله انشقت) أى لنزول الملائكة (قوله انقضت وتساقطت) أى فالانتثار استعارة لازالة الكواكب فشبهت بجواهر قطع سلكها وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الانتثار فاثباته تخييل على طريق الاستعارة المكنية (قوله فجرت) العامة على قراءته مبنيا للمفعول مشددا وقرىء شذوذا بالبناء للفاعل وللمفعول مع التخفيف (قوله فتح بعضها فى بعض) أى لزوال البرزخ الحاجز (قوله بعثرت) يرادفه فى معناه بحثر بالحاء فهما مركبان من البعث والبحث مضموما إليهما راء (قوله قلب ترابها) أى الذى أهيل على الموتى وقت الدفن وصار ما كان فى باطن الأرض ظاهرا على وجهها (قوله علمت نفس) أى علما تفصيليا وإلا فالعلم الإجمالى حصل لهم عند الموت حين يرى كل مقعده من الجنة أو النار . واعلم أن الإنسان يعلم ما قدمه من خير وشر عند موته علما إجماليا فيعلم أنه من أهل السعادة أو الشقاوة فاذا بعث وقرأ صحيفته علم ذلك تفصيلا (قوله يا أيها الإنسان الكافر) هذا أحد قولين ، والآخر أن المراد بالإنسان ما يشمل الكافر والمؤمن المنهمك فى المعاصى (قوله ماغرك بربك الكريم) ما استفهامية ، والمعنى أى شىء خدعك وجرأك على عصيان الكريم الذى من حقه عليك أن تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه ولا تغتر بحلمه وكرمه . إن قلت كونه كريما يقتضى أنه يغتر الانسان بكرمه لأنه جواد وهو يستوى عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب فهذا يقتضى الاغترار به فكيف جعله هنا مانعا منه . أجيب بأن الآية واردة

(وَمَا هُوَ) أى محمد صلى الله عليه وسلم (عَلَى الْغَيْبِ) ماغاب من الوحى وخبر السماء (بِظَنِينٍ) بمتهم، وفى قراءة بالضاد، أى ببخيل فينتقص شيئاً منه (وَمَا هُوَ) أى القرآن (بِقَوْلِ شَيْطَانٍ) مسترق السمع (رَجِيمٍ) مرجوم (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) فأى طريق تسلكون فى إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه (إِنْ) ما (هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ) عظة (لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ) بدل من العالمين بإعادة الجار (أَنْ يَسْتَقِيمَ) باتباع الحق (وَمَا تَشَاءُونَ) الاستقامة على الحق (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) الخلائق استقامتكم عليه .

(سورة الانفطار)

مكية ، تسع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) انشقت (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ) انقضت وتساقطت (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) فتح بعضها فى بعض فصارت بحراً واحداً واختلط العذب بالملح (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) قلب ترابها و بعث موتاها، وجواب إذا وما عطف عليها (عَلِمَتْ نَفْسٌ) أى كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (مَا قَدَّمَتْ) من الأعمال (وَ) ما (أَخَّرَتْ) منها فلم تعمله (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ) الكافر (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) ،

تهديد الكافر والعاصى حيث أنم عليه بتلك النعم وكلفه بشكرها وأوعد من كفر بالعذاب الدائم فلم يقم بشكرها فتضمنت مخالفته لستخفافه بالنعمة و بأوامر المنعم ونواهيه فليس فى الآية مايقتضى الاغترار كما تزعمه الحشوية حيث يقولون : إنما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرنى كرم الكريم ، فى الحديث « لما تلا هذه الآية قال غره جهله » ، وقال عمر غره حمقه وجهله ، وقال الحسن غره» والله شيطانه الخبيث (قوله حتى عصيته) أى بالكفر وجحد الرسل و إنكار ما أتوا به (قوله الذى خلقك) أى أوجدك من العدم (قوله فسوّاك) أى جعل أعضاءك سليمة مستوية تامة المنافع (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما سبعيتان فالتسوية ترجع إلى عدم النقصان فى الأعضاء والتعديل يرجع إلى نفى العوج والقبح (قوله فى أى صورة) متعلق بركبك وشاء صفة لصورة ، والمعنى ركبك فى أىّ صورة من الصور التى اقتضتها مشيئته من طول وقصر وذكورة وأنوثة (قوله بل تكذبون) إضراب انتقالى إلى بيان ماهو السبب الأصلى فى اغترارهم كأنه قال : إنكم لاتستقيمون على ماتوجبه نعمى عليكم و إرشادى لكم بل تكذبون (قوله و إن عليكم لحافظين) الخطاب و إن كان مشافهة إلا أن الآية عامة بالاجماع لجميع المكلفين والجملة حالية من الواو فى تكذبون (قوله من الملائكة) أى فكلّ واحد من الآدميين له ملكان ملك عن يمينه يكتب الحسنات وآخر عن يساره يكتب السيئات ، وقيل إثنان بالليل واثنان بالنهار ، واختلفوا فى الكفار ، فقيل ليس عليهم حفظة لأن أمرهم ظاهر وعملهم واحد ، وقيل عليهم حفظة لظاهر هذه الآية . إن قلت فأىّ شىء يكتب الذى على يمينه مع أنه لاحسنة له؟. أجيب بأن الذى عن شماله يكتب باذن صاحب اليمين فيكون شاهدا على ذلك ، فالمراد بالحفظة هنا حفظة الأعمال الكاتبون لها وأما حفظة البدن فهم المذكورون فى قوله تعالى ـ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ـ (سورة

وفى هذه الآية دليل على أن الشاهد لايشهد إلا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون (قوله إن الأبرار لفى نعيم) شروع فى بيان ما يكتبون لأجله كأنه قيل يكتبون الأعمال ليجازى الأبرار بالنعيم الخ (قوله و إن الفجار لفى جحيم) أل فى الفجار للعهد الذكرى أى المتقدم ذكرهم فى قوله بل تكذبون بالدين (قوله يصلونها) الجملة مستأنفة أو حالية من الضمير فى خبر إن (قوله الجزاء) أى الذى كانوا يكذبون به (قوله وما أدراك) ما اسم استفهام مبتدأ وجملة أدراك خبره والكاف مفعول أول وجملة مايوم الدين من المبتدإ والخبر سادة مسد المفعول الثانى والاستفهام الأول للانكار والثانى للتعظيم والتهويل والمعنى وأى شىء أدراك عظم يوم الدين وشدة هوله أى لاعلم لك به إلا باعلام منا (قوله يوم) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان فالرفع على أنه خبر لمحذوف : أى هو يوم والنصب على أنه مفعول لفعل محذوف وقرىء شذوذا برفعه منونا لقطعه عن الاضافة والجملة بعده نعت له (قوله شيئا من المنفعة) جواب عما يقال إن بعض الناس المقبولين يملكون الشفاعة لغيرهم فالجواب أن المنفى ثبوت الملك بالاستقلال والشفاعة ليست كذلك بل لاتكون إلا باذن خاص (قوله والأمر يومئذ لله) أى ظاهرا و باطنا فلا تصرف لغيره فيه أصلا (قوله بخلاف الدنيا) أى فالعبيد متصرفون فيها وينسب لهم الملك والأمر والنهى ظاهرا .

حتى عصيته (الَّذِى خَلَقَكَ) بعد أن لم تكن (فَسَوَّاكَ) جعلك مستوى الخلقة سالم الأعضاء (فَعَدَلَكَ) بالتخفيف والتشديد : جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أو رجل أطول من الأخرى (فِى أَىِّ صُورَةٍ مَا) زائدة (شَاءَ رَكَّبَكَ . كَلَّا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى (بَلْ تُكَذِّبُونَ) أى كفار مكة (بِالدِّينِ) بالجزاء على الأعمال (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ) من الملائكة لأعمالكم (كِرَامًا) على الله (كَاتِبِينَ) لها (يَعْلَمُونَ مَاتَفْعَلُونَ) جميعه (إِنَّ الْأَبْرَارَ) المؤمنين الصادقين فى إيمانهم (لَفِى نَعِيمٍ) جنة (وَإِنَّ الْفُجَّارَ) الكفار (لَفِى جَحِيمٍ) نار محرقة (يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها و يقاسون حرها (يَوْمَ الدِّينِ) الجزاء (وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ) بمخرجين (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَايَوْمُ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَايَوْمُ الدِّينِ) تعظيم لشأنه (يَوْمُ) بالرفع أى هو يوم (لَاتَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا) من المنفعة (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) لا أمر لغيره فيه أى لم يمكن أحدا من التوسط فيه بخلاف الدنيا .

[سورة التطفيف] وتسمى سورة المطففين (قوله مكية أو مدنية) أو لحكاية الخلاف ، فالأول قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل فى أحد قوليه . والثانى قول الحسن وابن عباس وعكرمة ومقاتل فى قوله الآخر ، وهذان قولان من أربعة أقوال : ثالثها أنها نزلت بين مكة والمدينة . رابعها كلها مدنية إلا قوله ــ إن الذين أجرموا ــ إلى آخر السورة فمكى ، والمشهور أنها مدنية لما روى عن ابن عباس قال : لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله تعالى ــ ويل للمطففين ــ فأحسنوا الكيل بعد ذلك ، قال الفراء فهم أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا . وروى عنه أيضا قال : هى أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة نزل بالمدينة وكان هذا فيهم ، كانوا إذا اشتروا استوفوا بكيل راجح وإذا باعوا بخسوا المكيال والميزان ، فلما نزلت هذه السورة انتهوا فهم أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا . وقال جماعة نزلت فى رجل يعرف بأبى جهينة واسمه عمرو كان له صاعان يأخذ بواحد ويعطى بآخر . ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر حال السعداء والأشقياء فيما قبلها ذكر هنا ما أعد لبعض العصاة ، وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية وهى التطفيف الذى لا يكاد يغنى أحدهما ويفقر الآخر ، ثم ذكر فيها ما أعد للكفار عموما وللطيعين عموما (قوله ويل) مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء وللمطففين خبره وهذا على أنه كلمة عذاب وأما على أنه اسم للوادى فهو معرفة ويجوز نصبه فى غير هذا الموضع ويختار فيما إذا كان مضافا أو معرفا (قوله كلمة عذاب) أى معلمة بشدة عذابهم فى الآخرة فهو دعاء عليهم بالهلاك وقوله أو واد فى جهنم : أى يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره فهما قولان ويمكن الجمع بأن الويل له إطلاقان (قوله للمطففين) جمع

(ســــورة التطفيف)

مكية أو مدنية ، ست وثلاثون آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . وَيْلٌ) كلمة عذاب ، أو واد فى جهنم (لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى) أى من (النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) الكيل (وَإِذَا كَالُوهُمْ) أى كالوا لهم (أَوْ وَزَنُوهُمْ) أى وزنوا لهم (يُخْسِرُونَ) ينقصون الكيل أو الوزن (أَلَا) استفهام توبيخ (يَظُنُّ) يتيقن (أُولٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) أى فيه وهو يوم القيامة (يَوْمَ) بدل من محل ليوم ،

مطفف وهو الذى يأخذ فى كيل أو وزن شيئا قليلا ومنه قولهم دون الطفيف أى الشىء التافه لقلته وهذا الوعيد يلحق كل من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع إلى غيره ناقصا قليلا أو كثيرا لكن إن لم يتب منه فإن تاب قبلت توبته ، ومن فعل ذلك وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر ، وذلك لأن عامة الخلق محتاجون إلى المعاملات وهى مبنية على أمر الكيل والوزن والذرع ، فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن . قال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول : اتق الله وأوف الكيل والوزن فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق ، فيكون عرقهم على قدر تفاوتهم فى التطفيف ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما . وفى الحديث الصحيح « خمس بخمس : ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة : أى الزنا إلا فشا فيهم الموت ، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين من القحط ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر » (قوله على الناس) متعلق باكتالوا وعلى بمعنى من كما قال المفسر ؛ ويصح أن يكون متعلقا بيستوفون قدم لإفادة الاختصاص ، والمعنى يستوفون على الناس خاصة ، وأما لأنفسهم فيستوفون لها (قوله يستوفون) أى يزيدون على حقهم وليس المراد يستوفون حقهم فقط إذ ليس فى ذلك نهى (قوله أى كالوا لهم) أشار بذلك إلى أن ضميرهم فى محل نصب مفعول لكالوا تعدى إليه الفعل بنفسه بعد حذف اللام وليس ضمير رفع مؤكدا للواو (قوله أو وزنوهم) حذفه مما تقدم لدلالة هذا عليه (قوله يخسرون) جواب إذا (قوله استفهام توبيخ) أى فلا نافية دخل عليها همزة الاستفهام فألا هنا ليست استفتاحية بل هى همزة الاستفهام دخلت على لا النافية فأفادت التوبيخ والإنكار (قوله ألا يظن أولئك الخ) أشار المفسر إلى أن الظن بمعنى اليقين : أى لا يوقن أولئك إذ لو أيقنوا ما نقصوا فى الكيل والوزن ، وقيل الظن بمعنى التردد والمعنى إن كانوا لا يستيقنون بالبعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا ويأخذوا بالأحوط ولولئك إشارة للمطففين أتى بها نظرا إلى بعدهم

فناصبه مبعوثون (يَقُومُ النَّاسُ) من قبورهم (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) الخلائق لأجل أمره وحسابه وجزائه (كَلَّا) حقا (إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ) أى كتب أعمال الكفار (لَفِي سِجِّينٍ) قيل هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة ، وقيل هو مكان أسفل الأرض السابعة ، وهو محل إبليس وجنوده (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ) ما كتاب سجين (كِتَابٌ مَرْقُومٌ) مختوم (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) الجزاء ، بدل أو بيان للمكذبين (وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ) متجاوز الحد (أَثِيمٍ) صيغة مبالغة (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا) القرآن (قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) الحكايات التى سطرت قديما جمع أسطورة بالضم أو إسطار بالكسر (كَلَّا) ردع وزجر لقولهم ذلك (بَلْ رَانَ) غلب (عَلَى قُلُوبِهِمْ) فغشيها (مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من المعاصى فهو كالصدإ (كَلَّا) حقا (إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (لَمَحْجُوبُونَ) فلا يرونه (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ) لداخلو النار المحرقة (ثُمَّ يُقَالُ) لهم (هَذَا) أى العذاب (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . كَلَّا) حقا (إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ) أى كتب أعمال المؤمنين الصادقين فى إيمانهم (لَفِي عِلِّيِّينَ) ،

عن مرتبة الأبرار وعدهم من الأشرار (قوله فناصبه مبعوثون) أى مقدّرا لأن البدل على نية تكرار العامل (قوله حقا) أى فكلا كلام مستأنف فالوقف على ماقبلها ، وقيل إنها كلمة ردع وزجر ، والمعنى ليس الأمر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان ، فعلى هذا يكون الوقف عليها (قوله الفجار) أظهر فى مقام الإضمار تسجيلا عليهم بهذا الوصف الشنيع (قوله أى كتب أعمال الكفار) أشار بذلك إلى أن كتاب بمعنى كتب والكلام على حذف مضاف ، وبذلك اندفع ما يلزم من ظرفية الشىء فى نفسه (قوله لفى سجين) اختلف فى نونه فقيل أصلية مشتق من السجن وهو الحبس وقيل بدل من اللام مشتق من السجل وهو الكتاب (قوله قيل هو كتاب جامع) أى دوّن الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الثقلين موضوع تحت الأرض السابعة فى مكان مظلم موحش هو مسكن إبليس وذرّيته يذهبون إليه ليستوفوا جزاء أعمالهم (قوله وقيل هو مكان الخ) أى فهو اسم موضع وعليه فقوله الآتى وما أدراك ماسجين على حذف مضاف والتقدير ما كتاب سجين كما ذكره المفسر والاضافة على معنى فى وقد يجمع بأن سجين اسم الكتاب والموضع معا (قوله وهو محل إبليس) أى وفيه أرواح الكفار (قوله وما أدراك) ما اسم استفهام مبتدأ وأدراك خبره وما سجين مبتدأ وخبر والجملة سادة مسد المفعول الثانى والاستفهام الأول للانكار والثانى للتفخيم والتعظيم (قوله مرقوم) بيان للكتاب المذكور فى قوله إن كتاب الفجار، والمعنى أن هذا الكتاب مكتوب فيه أعمالهم مثبتة كالرقم فى الثوب لاينسى ولا يمحى وقيل الرقم الختم بلغة حمير وعليه مشى المفسر ، والمعنى أن هذا الكتاب مرقوم بعلامة يعرف أنه كافر (قوله أو بيان) أى أونعت (قوله ردع وزجر) أى للمعتدى الأثيم عن ذلك القول الباطل فهى حرف ، وقال الحسن إن كلا بمعنى حقا (قوله بل ران) أى أحاط وغطى قيل كتغطية الغيم السماء ورد « أن المؤمن إذا أذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وإذا زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذى ذكره الله تعالى فى كتابه المبين» . وقال أبو معاذ الرين أن يسودّ القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والاقفال أشدّ من الطبع وهو أن يقفل على القلب قال تعالى – أم على قلوب أقفالها (قوله حقا) وقيل حرف ردع وزجر أى ليس الأمر كما يقولون بل إنهم عن ربهم الخ (قوله فلا يرونه) هذا هو الصحيح وقيل يرونه ثم يحجبون حسرة وندامة (قوله ثم إنهم لصالوا الجحيم) ثم للتراخى فى الرتبة فان صلى الجحيم أشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة (قوله ثم يقال لهم) أى من طرف الخزنة على سبيل التقريع والتوبيخ (قوله الذى كنتم به تكذبون) أى فى الدنيا (قوله كلا إن كتاب الأبرار) بيان لمحل كتاب الأبرار وما أعدّ لهم من النعيم الدائم إثر بيان محلّ كتاب الفجار وما أعد لهم من العذاب الدائم (قوله حقا) وقيل حرف ردع وزجر فتحصل أن فى كلّ واحدة من الأربعة الواقعة فى هذه السورة قولين (قوله لفى عليين) اسم مفرد على صيغة الجمع لاواحد له من لفظه ، سمى بذلك إما لأنه سبب العلو إلى أعالى الدرجات فى الجنة وإما لأنه مرفوع فى السماء السابعة لما ورد مرفوعا « عليين فى السماء السابعة تحت العرش » .

(قوله قيل هو كتاب الخ) أي فهو علم على ديوان الخير الذي دوّن فيه كل عمل صالح للثقلين . ورد إن الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقبلونه فإذا انتهوا به إلى ماشاء الله من سلطانه أوحى إليهم أنتم حفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه و إنه أخلص عمله فاجعلوه في عليين وقد غفرت له و إنها لتصعد بعمل العبد فتزكيه فإذا انتهوا به إلى ماشاء الله أوحى إليهم أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على قلبه و إنه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين» قال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه . وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش اليمنى . وقال بعض أهل المعنى هو علو بعد علو وشرف بعد شرف (قوله من الملائكة) ظاهره أن الملائكة تكتب أعمالهم ويثابون عليها وانظر في ذلك (قوله وقيل هو مكان الخ) قد يجمع بأن عليين اسم لكل من الكتاب والمكان (قوله ما كتاب عليين) هذا التقدير إنما يحتاج له على القول الثاني في تفسير عليين لا على الأول (قوله مختوم) وقيل الرقم الكتابة والمعنى مكتوب فيه إن فلانا آمن من النار (قوله يشهده المقربون) أي يحضرونه و يحفظونه ويشهدون بما فيه (قوله إن الأبرار لفي نعيم) شروع في بيان عاقبة أمرهم إثر بيان حال كتابهم على سنن مامر في شأن الفجار (قوله السرر في الحجال) جمع حجلة بفتحتين بيت مربع من الثياب الفاخرة يرخى على السرير يسمى في العرف الناموسية (قوله ينظرون) الجملة حالية من الضمير في خبر إن أو مستأنفة وقوله على الأرائك متعلق بينظرون (قوله تعرف في وجوههم الخ) أي إنك إذا رأيتهم تعرف أنهم أهل النعمة

قيل هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين ، وقيل هو مكان في السماء السابعة تحت العرش (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا عِلِّيُّونَ) ما كتاب عليين ، هو (كِتَابٌ مَرْقُومٌ) مختوم (يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) من الملائكة (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) جنة (عَلَى الْأَرَائِكِ) السرر في الحجال (يَنْظُرُونَ) ما أعطوا من النعيم (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) بهجة التنعم وحسنه (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ) خمر خالصة من الدنس (مَخْتُومٍ) على إنائها لا يفك ختمه إلا هم (خِتَامُهُ مِسْكٌ) أي آخر شربه يفوح منه رائحة المسك (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله (وَمِزَاجُهُ) أي ما يمزج به (مِنْ تَسْنِيمٍ) فسر بقوله (عَيْنًا) فنصبه بأمدح مقدرا (يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) أي منها ، أو ضمن يشرب معنى يلتذ (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) كأبي جهل ونحوه (كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) كعمار و بلال ،

لما ترى في وجوههم من الحسن والبياض وفي قلوبهم من السرور والفرح والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل من تصح منه المعرفة وهذه قراءة العامة وقرأ أبو جعفر بالتاء مبنيا للمفعول ونضرة بالرفع نائب فاعل وقرئ بالياء مبنيا للمفعول أيضا مع رفع نضرة نظرا إلى أن التأنيث مجازي (قوله بهجة التنعم الخ) أي لعدم ما يكدره من الأمراض والعلل وخوف الزوال وغير ذلك (قوله خالصة من الدنس) أي الكدر قال تعالى : لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (قوله مختوم على إنائها) أي لشرفها ونفاستها إن قلت قد قال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم: وأنهار من خمر والنهر لا ختم فيه فكيف طريق الجمع بين الآيتين . أجيب بأن هذه الأواني غير خمر الأنهار (قوله ختامه مسك) صفة ثانية لرحيق وفي قراءة سبعية أيضا خاتمه بتاء مفتوحة بعد الألف بيان لجنس الخاتم وقرئ شذوذا بكسر التاء والمعنى خاتم رائحته مسك (قوله يفوح منه رائحة المسك) أي أن رائحة المسك تظهر في آخر الشراب فوجه التخصيص أن في العادة يمل آخر الشراب في الدنيا فأفاد أن آخر الشراب يفوح منه رائحة المسك فلا يمل منه (قوله وفي ذلك) إشارة للرحيق وما بعده أو إلى ما ذكر من أحوال الأبرار (قوله المتنافسون) أي الذين شأنهم المنافسة بكثرة الأعمال الصالحة والنيات الخالصة لعلو همتهم وطهارة نفوسهم . قال تعالى : لمثل هذا فليعمل العاملون (قوله من تسنيم) اسم للعين سميت بذلك لما روى أنها تجري في الهواء مسنمة فتصب في أواني أهل الجنة على مقدار الحاجة فإذا امتلأت أمسكت فالمقربون يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة (قوله أو ضمن الخ) أشار بذلك إلى أن التضمين إما في الحرف أو في الفعل (قوله إن الذين أجرموا الخ) لما ذكر الله تعالى كرامة الأبرار في الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا تسلية للمؤمنين وتقوية لقلوبهم (قوله كأبي جهل ونحوه) أي وهو الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من أهل مكة .

(قوله ونحوهما) أي كخباب وصهيب، وأصحابهم من فقراء المؤمنين (قوله رجعوا) أي من مجالسهم (قوله انقلبوا فاكهين) أي متلذذين برفعتهم ومكانتهم الموصلة إلى الاستسخار بغيرهم ففي الحديث «إن الدين بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر» وفي رواية «يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة» وفي أخرى «العالم فيهم أنتن من جيفة حمار» والله المستعان (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله معجبين) راجع للقراءتين أي متلذذين بذكرهم المؤمنين وبالضحك (قوله وإذا رأوهم) الضمير المرفوع عائد على المجرمين والمنصوب عائد على المؤمنين أي إذا رأى المجرمون المؤمنين نسبوهم إلى الضلال (قوله لإيمانهم بمحمد الخ) أي فهم يرون أنهم على هدى والمؤمنون على ضلال حيث تركوا النعيم الحاضر بسبب شيء غائب لا يرونه (قوله وما أرسلوا عليهم حافظين) حال من الواو في قالوا أي قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم وأعمالهم (قوله حتى يردوهم إلى مصالحهم) أي بل أمروا بإصلاح أنفسهم لا بإصلاح المؤمنين (قوله فاليوم) منصوب بيضحكون الواقع خبرا عن المبتدإ ولا يضر تقدمه على المبتدإ لأمن اللبس وذلك أن الظرف المبهم لا يصح وقوعه خبرا عن المبتدإ بخلاف في الدار زيد قام فلا يجوز تقديم الجار والمجرور على المبتدإ لصلاحيته

ونحوهما (يَضْحَكُونَ) استهزاء بهم (وَإِذَا مَرُّوا) أي المؤمنون (بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ) أي يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء (وَإِذَا انْقَلَبُوا) رجعوا (إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَاكِهِينَ) وفي قراءة فكهين : معجبين بذكرهم المؤمنين (وَإِذَا رَأَوْهُمْ) رأوا المؤمنين (قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ) لإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى (وَمَا أُرْسِلُوا) أي الكفار (عَلَيْهِمْ) على المؤمنين (حَافِظِينَ) لهم أو لأعمالهم حتى يردوهم إلى مصالحهم (فَالْيَوْمَ) أي يوم القيامة (الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ . عَلَى الْأَرَائِكِ) في الجنة (يَنْظُرُونَ) من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم في الدنيا (هَلْ ثُوِّبَ) جوزي (الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ؟ نعم .

(سورة الانشقاق)

مكية ، ثلاث أو خمس وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ . وَأَذِنَتْ) سمعت وأطاعت في الانشقاق (لِرَبِّهَا ، وحقت)

للخبرية (قوله ينظرون) حال من ضمير يضحكون (قوله من منازلهم) قال كعب : لأهل الجنة كوى ينظرون منها إلى أهل النار، وقيل حصن شفاف بينهم يرون منه حالهم، وفي سبب هذا الضحك وجوه : منها أن الكفار كانوا في ترفه ونعيم فيضحكون من المؤمنين بسبب ما هم فيه من البؤس والضر وفي الآخرة ينعكس الحال فيكون المؤمنون في النعيم والكفار في الجحيم ، ومنها أنه يقال لأهل النار وهم فيها أخرجوا وتفتح لهم أبوابها فإذا رأوها وقد فتحت أبوابها أقبلوا إليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون إليهم فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم يفعل ذلك بهم مرارا ، ومنها أنهم إذا دخلوا الجنة وأجلسوا على الأرائك ينظرون إلى الكفار كيف يعذبون في النار ويرفعون أصواتهم بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا فهذا سبب ضحكهم (قوله هل ثوب الكفار الخ) يحتمل أنه مقول قول محذوف والتقدير يقول الله لأهل الجنة أو يقول بعض المؤمنين لبعض هل ثوب الخ ويحتمل أنه متعلق بينظرون والمعنى ينظرون هل جوزي الكفار فمحلها نصب إما بالقول المحذوف أو بينظرون وقوله جوزي إشارة إلى أن التثويب بمعنى الجزاء وهو يكون في الخير والشر والمراد هنا الثاني وقوله نعم جواب الاستفهام على كل .

[سورة الانشقاق] (قوله إذا السماء انشقت) أي انصدعت بغمام يخرج منها وهو البياض في جوانب السماء لتنزل الملائكة قال تعالى : ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (قوله وأذنت لربها) أي انقادت لأمره (قوله سمعت وأطاعت) أي فشبه حال السماء في انقيادها بتأثير قدرة الله تعالى حيث أراد انشقاقها بانقياد المستمع المطيع لأمره وذلك أن السموات لما طلبت

مراد الله وتعلقت إرادته بانشقاقها سلمت وفوضت أمرها ولم تنازع في ذلك (قوله وحقت) بالبناء للمفعول والفاعل في الأصل محذوف وهو الله تعالى وكذا المفعول والأصل وحق الله عليها استماعها فحذف الفاعل ثم المفعول وأسند الفعل إلى ضمير السموات. والمعنى وحق لها استماعها لعلمها بأن مراد الله نافذ فهي أهل لأن تسمع وتطيع قال تعالى: قالتا أتينا طائعين (قوله وإذا الأرض مدت) أي بسطت ودكت جبالها (قوله كما يمد الأديم) أي وهو الجلد لأنه إذا مد زال كل انثناء فيه وامتد واستوى (قوله ولم يبق عليها بناء ولا جبل) أي فيزاد في سعتها لوقوف الخلائق عليها للحساب حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه لكثرة الخلائق فيها وظاهر الآية أن الأرض تمد مع بقائها وليس كذلك بل تبدل بأرض أخرى بدليل آية يوم تبدل الأرض غير الأرض (قوله من الموتى) أي والكنوز والمعادن والزروع (قوله وتخلت) أي خلا جوفها فلم يبق في بطنها شيء (قوله وأذنت لربها وحقت) ليس تكرارا لأن هذا في الأرض وما تقدم في السموات (قوله وأطاعت في ذلك) أي الالقاء والتخلي (قوله دل عليه ما بعده) أي وهو قوله فملاقيه (قوله تقديره لقي الانسان الخ) قدره غيره علمت نفس وهو أحسن لأنه تقدم في التكوير والانفطار. وخير ما فسرته بالوارد (قوله يأيها

وَحُقَّتْ) أي حق لها أن تسمع وتطيع (وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ) زيد في سعتها كما يمد الأديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل (وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا) من الموتى إلى ظاهرها (وَتَخَلَّتْ) عنه (وَأَذِنَتْ) سمعت وأطاعت في ذلك (لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب إذا وما عطف عليها محذوف دل عليه ما بعده تقديره لقي الإنسان عمله (يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ) جاهد في عملك (إِلَى) لقاء (رَبِّكَ) وهو الموت (كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) أي ملاق عملك المذكور من خير أو شر يوم القيامة (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ) كتاب عمله (بِيَمِينِهِ) هو المؤمن (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) هو عرض عمله عليه كما فسر في حديث الصحيحين وفيه «من نوقش الحساب هلك» وبعد العرض يتجاوز عنه (وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ) في الجنة (مَسْرُورًا) بذلك (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ) هو الكافر تغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فيأخذ بها كتابه (فَسَوْفَ يَدْعُو) عند رؤيته ما فيه (ثُبُورًا) ينادي هلاكه بقوله يا ثبوراه (وَيَصْلَى سَعِيرًا) يدخل النار الشديدة وفي قراءة بضم الياء وفتح الصاد واللام المشددة (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ) عشيرته في الدنيا (مَسْرُورًا) بطرا باتباعه لهواه (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أي أنه (لَنْ يَحُورَ) :

الانسان الخ) يحتمل أن المراد به الجنس وبه قال سعيد وقتادة ويحتمل أنه معين وهو الأسود بن عبد الأسد وقيل أبي بن خلف وقيل جميع الكفار (قوله إنك كادح) الكدح العمل والكسب والسعي (قوله إلى ربك) إلى حرف غاية والمعنى كدحك في الخير أو الشر ينتهي بلقاء ربك وهو الموت (قوله فملاقيه) إما معطوف على كادح أو خبر مبتدإ محذوف أي فأنت ملاقيه والجملة معطوفة على جملة إنك كادح (قوله أي ملاق عملك) أشار بذلك إلى أن الضمير في ملاقيه عائد على الكدح الذي هو بمعنى العمل والكلام على حذف مضاف أي ملاق حسابه وجزاءه ويصح أن يكون عائدا على الله تعالى والمعنى ملاق ربه فلا مفر له منه (قوله هو المؤمن) أي ولو عاصيا مستحقا للنار (قوله هو عرض عمله عليه) أي بأن تعرض أعماله ويعرف أن الطاعة منها هذه وأن المعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه (قوله كما فسر في حديث الصحيحين) أي وهو ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حوسب عذب قالت عائشة فقلت أوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا؟ فقال إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك، وفي رواية: عذب» (قوله وينقلب) أي يرجع بنفسه (قوله إلى أهله) أي من الآدميات والحور العين وأصوله وفروعه (قوله وراء ظهره) منصوب بنزع الخافض (قوله تغل يمناه الخ) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية وأما من أوتي كتابه بشماله (قوله ينادي هلاكه) أي يتمناه إذ نداء ما لا يعقل هو تمنيه (قوله بطرا) أي فخرا ورياء فأبدله الله بذلك حزنا وغما لا ينقطع أبدا (قوله إنه ظن) أي تيقن وعلم (قوله مخففة من الثقيلة) أي ولا يصح أن تكون مصدرية لما يلزم عليه من دخول الناصب على مثله والجملة سادة مسد مفعولي ظن.

(قوله يرجع إلى ربه) أى فالحور الرجوع والتردد فى الأمر وبابه قال ودخل (قوله بلى) جواب النفى وقوله : إن ربه الخ جواب قسم مقدر فهو بمنزلة التعليل للجملة المستفادة من بلى (قوله فلا أقسم) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر أى إذا عرفت هذا فلا أقسم الخ (قوله بالشفق) أى وهو اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس وهو الحمرة التى تكون عند ذلك ، سمى شفقا لرقته ومنه الشفقة على الانسان وهى رقة القلب عليه (قوله وماوسق) ماموصول اسمى أونكرة موصوفة أومصدريه (قوله جمع مادخل عليه) أى ضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام (قوله وغيرها) أى كالأشجار والبحار فانه إذا دخل الليل انضم وسكن (قوله وذلك فى الليالى البيض) أى وهى ليلة الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر (قوله لتركبن) جواب القسم بضم الباء خطاب للجمع و بفتحها خطاب للواحد قراءتان سبعيتان (قوله طبقا) مفعول به أوحال (قوله بعد حال) صفة لطبق أشار بذلك إلى أن عن بمعنى بعد (قوله وهوالموت ثم الحياة الخ) هذا قول ابن عباس وقال

يرجع إلى ربه (بَلَى) يرجع إليه (إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا) عالما برجوعه إليه (فَلَا أُقْسِمُ) لا زائدة (بِالشَّفَقِ) هو الحمرة فى الأفق بعد غروب الشمس (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) جمع ما دخل عليه من الدواب وغيرها (وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) اجتمع وتم نوره وذلك فى الليالى البيض (لَتَرْكَبُنَّ) أيها الناس أصله تركبونن حذفت نون الرفع لتوالى الأمثال والواو لالتقاء الساكنين (طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) حالا بعد حال وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة (فَمَا لَهُمْ) أى الكفار (لَا يُؤْمِنُونَ) أى أى مانع لهم من الإيمان أو أى حجة لهم فى تركه مع وجود براهينه (وَ) مالهم (إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ) يخضعون بأن يؤمنوا به لإعجازه (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ) بالبعث وغيره (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ) يجمعون فى صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء (فَبَشِّرْهُمْ) أخبرهم (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم (إِلَّا) لكن (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) غير مقطوع ولا منقوص ولا يمن به عليهم .

(سورة البروج)

مكية، ثنتان وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) الكواكب، اثنا عشر برجا تقدمت فى الفرقان ،

عكرمة رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ ، وقيل المعنى لتركبن سنن من قبلكم وأحوالهم (قوله فمالهم) الفاء لترتيب مابعدها من الانكار والتعجيب على ماقبلها من أحوال يوم القيامة وأهواله الموجبة للايمان لظهور الحجة لأن ما أقسم به من التغيرات العلوية والسفلية يدل على خالق عظيم القدرة يبعد ممن له عقل عدم الايمان به والانقياد له (قوله وإذا قرئ عليهم القرآن) أى من أى قارئ وهذا شرط وجوابه لايسجدون وهذه الجملة الشرطية فى محل نصب على الحال معطوفة على الحال السابقة وهى قوله لايؤمنون (قوله يخضعون) اى فالمراد بالسجود (واليوم اللغوى لاالعرفى وهذا أحد قولين والآخر أن المراد به السجود الحقيقى الذى هو سجود التلاوة وقد اختلفت الأئمة فى ذلك (قوله فى صحفهم) الأوضح أن يقول فى صدورهم لأن الوعى معناه لغة الحفظ (قوله لكن الذين آمنوا الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن ماقبل إلا فى الكفار لاغير (قوله لهم أجر غير ممنون) استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء .

[سورة البروج] حكمة نزول هذه السورة تثبيت المؤمنين على إيمانهم وصبرهم على أذى الكفار بتذكيرهم بما جرى لمن تقدمهم (قوله ذات البروج) أى صاحبة الطرق والمنازل التى تسير فيها الكواكب السبعة ، سميت بروجا لظهورها لأن البرج فى الأصل الأمر الظاهر من التبرج ثم صار حقيقة عرفية للقصر العالى لظهوره (قوله تقدمت فى الفرقان) نصه هناك : تبارك الذى جعل فى السماء بروجا اثنى عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت، وهى منازل الكواكب السبعة السيارة : المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان ، وعطارد وله الجوزاء

والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشترى وله القوس والحوت، وزحل وله الجدى والدلو اهـ (قوله واليوم الموعود) أى الموعود به ففيه الحذف والإيصال (قوله يوم الجمعة) خص مع أن باقى الزمان يشهد كذلك لاختصاصه بمزية وهى كونه فيه ساعة إجابة واجتماع الناس (قوله كذا فسرت الثلاثة فى الحديث) أى وهو ماروى «اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة» أخرجه الترمذى. واختلف فى تفسير الشاهد والمشهود على أقوال كثيرة: منها ماذكره فى الحديث، ومنها الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة، ومنها الشاهد هو الله والمشهود يوم القيامة، ومنها الشاهد هم الأنبياء والمشهود عليهم هم الأمم، ومنها الشاهد أعضاء الانسان والمشهود عليه هو ابن آدم، ومنها غير ذلك. والأحسن أن يراد ماهو أعم ولذلك نكرهما ليعم كل شاهد ومشهود (قوله محذوف صدره) أى لأن المشهور عن النحاة أن الماضى المثبت المتصرف الذى لم يتقدم معموله إذا وقع جوابا للقسم تلزمه اللام وقد ولايجوز الاقتصار على أحدهما إلا عند طول الكلام أو فى ضرورة (قوله تقديره لقد قتل الخ) أى وعليه فالجملة خبرية والأصل فيها الدعاء (قوله الشق فى الأرض) أى فالأخدود مفرد وجمعه أخاديد (قوله بدل اشتمال منه) أى لأن الأخدود مشتمل على النار (قوله ماتوقد به) أى فالوقود بالفتح الاسم وأما بالضم فهو المصدر (قوله إذ هم عليها قعود) ظرف لقتل، والمعنى حين حرقوا بالنار قاعدين عليها فى مكان مشرف عليها من حافات الأخدود (قوله شهود) أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحدا لم يقصر فيما أمر به فهو من الشهادة بمعنى تأدية الخبر، أو المراد شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين فهو من الشهادة بمعنى (٢٨٩) الحضور وعليه اقتصر المفسر

(وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) يوم القيامة (وَشَاهِدٍ) يوم الجمعة (وَمَشْهُودٍ) يوم عرفة كذا فسرت الثلاثة فى الحديث فالأول موعود به والثانى شاهد بالعمل فيه والثالث تشهده الناس والملائكة وجواب القسم محذوف صدره تقديره لقد (قُتِلَ) لعن (أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) الشق فى الأرض (النَّارِ) بدل اشتمال منه (ذَاتِ الْوَقُودِ) ماتوقد به (إِذْ هُمْ عَلَيْهَا) أى حولها على جانب الأخدود على الكراسى (قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ) بالله من تعذيبهم بالإلقاء فى النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم (شُهُودٌ) حضور، روى «أن الله أنجى المؤمنين الملقين فى النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار إلى من ثم فأحرقتهم»،

(قوله روى أن الله أنجى المؤمنين الخ) أى وكانوا سبعة وسبعين وهؤلاء لم يرجعوا عن دينهم والذين رجعوا عشرة أو أحد عشر وقوله إلى من ثم: أى إلى من هم قعود على الأخدود ولم يرد نص بتعيينهم. واعلم أنه اختلف المفسرون فى أصحاب الأخدود، فروى عن صهيب «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إنى قد كبرت فابعث إلى غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه وكان فى طريقه إذا سلك إليه راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فاذا أتى الساحر ضربه وإذا رجع من الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى واذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر، فأخذ حجرا ثم قال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه حتى يمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أى بنى أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوى الناس بسائر الأدواء، فسمع به جليس الملك وكان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال ماههنا لك أجمع إن أنت شفيتنى قال إنى لاأشفى أحدا إنما يشفى الله عزوجل فان آمنت بالله دعوت الله عزوجل فشفاك فآمن بالله فشفاه الله عزوجل، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربى قال ولك رب غيرى قال الله ربى وربك، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام، فجىء بالغلام فقال له الملك أى بنى قد بلغ من سحرك ماتبرئ الأكمه والأبرص وتفعل كذا وكذا فقال إنى لاأشفى أحدا إنما يشفى الله عزوجل، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجىء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه

فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه
فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه ، فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله تعالى ، فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به ، قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم تأخذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل : بسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني . فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا ، فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود فخدت بأفواه السكك وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأقحموه ، ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام يا أماه اصبري فإنك على الحق » . وروى عن مقاتل : كانت الأخاديد ثلاثة واحدة بنجران باليمن وأخرى بالشام وأخرى بفارس حرق أصحابها بالنار ، أما التي بالشام والتي بفارس فلم ينزل الله فيهما قرآنا وأنزل في التي كانت

(وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ) في ملكه (الْحَمِيدِ) المحمود (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) أي ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) بالإحراق (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ) بكفرهم (وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) أي عذاب إحراقهم المؤمنين في الآخرة ، وقيل في الدنيا بأن خرجت النار فأحرقتهم كما تقدم (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ،

بنجران ، وذلك أن رجلا مسلما ممن يقرأ الانجيل آجر نفسه في عمل وجعل يقرأ الانجيل فرأت بنت المستأجر النور يعني من قراءة الانجيل فذكرت لأبيها فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والاسلام فتابعه على دينه هو وسبعة وثمانون إنسانا ما بين رجل وامرأة ذلك وهذا بعد ما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء وقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة فسمع ذلك رجل اسمه يوسف ابن ذي نواس فخدّ لهم في الأرض وأوقد لهم فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى أن يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه . وروى أن امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها يا أماه إني أرى أمامك نارا لا تطفأ يعني نار جهنم إن لم تقعي في هذه النار ، فلما سمعت ذلك قذفا جميعا أنفسهما في النار فجعلهما الله في الجنة فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعين إنسانا ، وروى غير ذلك (قوله وما نقموا منهم الخ) أي ما عابوا منهم إلا إيمانهم وإنما عبر بالمستقبل مع أن الايمان وقع منهم في الماضي لأن تعذيبهم والانكار ليس للايمان الذي وجد منهم في الماضي بل لدوامهم عليه في المستقبل إذ لو كفروا في المستقبل لما عذبوا على ما مضى فكأنه قال إلا أن يستمروا على إيمانهم (قوله الذي له ملك السموات والأرض) بيان لكونه العزيز الحميد (قوله والله على كل شيء شهيد) فيه وعد ووعيد (قوله إن الذين فتنوا المؤمنين الخ) أي حرقوهم بالنار يقال فتنت فلانا إذا حرقته (قوله ثم لم يتوبوا) أي لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على أنهم إن تابوا وآمنوا قبلهم وأخرجهم من هذا الوعيد والتعبير بثم إشارة إلى أن التوبة مقبولة ولو طال الزمان ما لم تحصل الغرغرة (قوله فلهم عذاب جهنم) هو خبر إن الذين فتنوا ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدأ من الشرط (قوله عذاب الحريق) من إضافة المسبب للسبب أي عذاب سببه إحراق المؤمنين (قوله إن الذين آمنوا) لما ذكر وعيد الكفار أتبعه بذكر ما أعد للمؤمنين (قوله تجري من تحتها) أي من تحت قصورها وغرفها يتلذذون ببردها في نظير الحر الذي صبروا عليه في الدنيا ويزول عنهم برؤية ذلك مع خضرة الجنان جميع المضار والأحزان

(قوله ذلك الفوز الكبير) اسم الاشارة عائد على ماذكر من حيازتهم للجنات وعبر بالاشارة المفيدة للبعد لعلو درجتهم فى الفضل والشرف (قوله إن بطش ربك لشديد) البطش الأخذ بعنف فاذا وصف بالشدة كان متضاعفا جدا وهو انتقامه وتعذيبه للكفرة (قوله بحسب إرادته) رد بذلك على الفلاسفة القائلين بأنه واجب بالذات كيف، وقد قال تعالى فعال لما يريد (قوله إنه هو يبدئ ويعيد) أى ومن كان قادرا على ذلك كان بطشه فى غاية الشدة (قوله وهو الغفور) أى الماحى لذنوب المؤمنين وإن لم يتوبوا لأن الآية مذكورة فى معرض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا أتم فالحمل عليه أولى (قوله التودد إلى أوليائه بالكرامة) أشار بذلك إلى أن فعولا بمعنى فاعل ويصح أن يكون بمعنى مفعول أى يوده عباده ويحبونه (قوله المجيد بالرفع) أى وبالجر قراءتان سبعيتان فالرفع على أنه نعت للغفور والجر على أنه نعت للعرش ومجده علوه وعظمه (قوله فعال لما يريد) أتى بصيغة فعال إشارة للكثرة وختم به الصفات لكونه كالنتيجة لما والمعنى يفعل مايريد ولايعترض عليه ولا يغلبه غالب فيدخل أولياءه الجنة لايمنعه مانع ويدخل أعداءه النار لاينصرهم منه ناصر، وفى هذه الآية دليل على أن

ذلك الفوز الكبير. إنَّ بطشَ ربِّكَ بالكفار (لشديدٌ) بحسب إرادته (إنه هو يُبدئُ) الخلق (ويُعيدُ) فلا يعجزه ما يريد (وهو الغفورُ) للمذنبين المؤمنين (الودودُ) المتودد إلى أوليائه بالكرامة (ذو العرشِ) خالقه ومالكه (المجيدُ) بالرفع المستحق لكمال صفات العلو (فعّالٌ لما يُريدُ) لا يعجزه شىء (هل أتاكَ) يا محمد (حديثُ الجنودِ. فرعونَ وثمودَ) بدل من الجنود واستغنى بذكر فرعون عن أتباعه، وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم وهذا تنبيه لمن كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم والقرآن ليتعظوا (بلِ الذينَ كفروا فى تكذيبٍ) بما ذكر (واللهُ من ورائهم محيطٌ) لا عاصم لهم منه (بل هو قرآنٌ مجيدٌ) عظيم (فى لوحٍ) هو فى الهواء فوق السماء السابعة (محفوظٍ) بالجر من الشياطين ومن تغيير شىء منه، طوله ما بين السماء والأرض وعرضه مابين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء قاله ابن عباس رضى الله عنهما.

(سورة الطارق)

مكية، سبع عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم. والسماءِ والطارقِ)،

جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ولا يجب عليه شىء لأن أفعاله بحسب إرادته (قوله هل أتاك الخ) يصح أن تكون هل بمعنى قد إن كان سبق له إتيان أو طلب الاخبار إن لم يكن أتاه كما تقدم (قوله بدل من الجنود) أى على حذف مضاف أى جنود فرعون وهو بدل كل من كل أو المراد بفرعون هو وقومه واكتفى بذكره عنهم لأنهم أتباعه وعليه اقتصر المفسر وخص فرعون وثمود بالذكر لشهرتهما عند العرب (قوله وحديثهم أنهم الخ) أى فهو ماصدر عنهم من التمادى فى الكفر والضلال وماحل بهم من العذاب (قوله بل الذين كفروا) أى من قومك وهو إضراب انتقالى للأشد كأنه قيل ليس حال هؤلاء بأعجب من حال قومك فانهم مع علمهم بما حل بهم لم ينزجروا (قوله فى تكذيب بما ذكر) أى النبى والقرآن (قوله والله من ورائهم محيط) أى هم فى قبضة قدرته وتصريفه كالشىء المحاط به الذى لايجد مخلصا ولا مفرا فيجازيهم بأعمالهم (قوله بل هو قرآن مجيد) إضراب عن شدة تكذيبهم وعدم كفهم عنه إلى وصف القرآن بما ذكر إشارة إلى أنه لاريب ولاشك فيه ولايصل إليه تكذيب هؤلاء (قوله فوق السماء السابعة) أى معلق بالعرش (قوله بالجر) أى والرفع فهما سبعيتان، فالجر على أنه نعت للوح والرفع على أنه نعت للقرآن (قوله طوله مابين السماء الخ) أى وهو عن يمين العرش مكتوب فى صدره لاإله إلا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله جنته (قوله وهو من درة بيضاء) أى وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه النور وكتابته نور معقود بالعرش، وأصله فى حجر ملك.

[سورة الطارق] (قوله والسماء والطارق الخ) قد كثر منه تعالى فى كتابه المجيد ذكر السماء والشمس والقمر والنجوم لأن

أحوالها فى أشكالها وسيرها ومطالعها ومغار بها عجيبة دالة على انفراد صانعها بالكمالات لأن الصنعة تدل على الصانع قال بعضهم :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

(قوله أصله كل آت الخ) أى ثم توسع فيه فسمى به كل ماظهر بالليل كائنا ما كان ثم توسع به فسمى به كل ماظهر مطلقا ليلا أو نهارا ومنه حديث «أعوذ بك من شر طارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يارحمن» والطارق مأخوذ من الطرق وهو الدق سمى به الآتى ليلا لاحتياجه إلى طرق الباب غالبا ومنه المطرقة بالكسر وهى مايطرق به الحديد (قوله وما أدراك) الاستفهام للانكار وقوله ما الطارق الاستفهام للتعظيم والتفخيم (قوله النجم) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو . واعلم أنه تعالى أقسم أولا بما يشترك فيه النجم وغيره وهو الطارق ثم أتى بالاستفهام عنه تفخيما وتعظيما ثم فسره بالنجم إزالة لذلك الابهام الحاصل بالاستفهام (قوله الثريا أو كل نجم) هذان قولان من ثلاثة ثالثها أن المراد به زحل ومحله فى السماء السابعة لايسكنها غيره من النجوم فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ، ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يصعد (قوله وجواب القسم الخ) أى وما بينهما اعتراض جىء به تفخيما للمقسم به (قوله فهى مزيدة) أى وكل مبتدأ وعليها خبر مقدم وحافظ مبتدأ مؤخر والجملة خبر كل (قوله واسمها محذوف) فيه نظر بل هى مهملة لاعمل لهـا لأن لام الفرق يؤتى به عند (٢٩٢) الاهمال لاعند الاعمال كما قال ابن مالك :

أصله كل آتٍ ليلا ، ومنه النجوم لطلوعها ليلا (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا الطَّارِقُ) مبتدأ وخبر فى محل المفعول الثانى لأدرى ، وما بعد ما الأولى خبرها ، وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده هو (النَّجْمُ) أى الثريا، أو كل نجم (الثَّاقِبُ) المضىء لثقبه الظلام بضوئه وجواب القسم (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ) بتخفيف ما فهى مزيدة و إن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى إنه واللام فارقة و بتشديدها فإن نافية ولما بمعنى إلا ، والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشر (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ) نظر اعتبار (مِمَّ خُلِقَ) من أى شىء ؟ جوابه (خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ) ذى اندفاق من الرجل والمرأة فى رحمها (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ) للرجل (وَالتَّرَائِبِ) للمرأة وهى عظام الصدر (إِنَّهُ) تعالى (عَلَى رَجْعِهِ) بعث الإنسان بعد موته (لَقَادِرٌ) فإذا اعتبر أصله علم أن القادر على ذلك قادر على بعثه ،

(يوم

وخففت إن فقل العمل وتلزم اللام إذا ما تهمل

(قوله واللام فارقة) أى بين المخففة والنافية (قوله و بتشديدها) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله والحافظ من الملائكة الخ) يحتمل أن يراد الحفظ من العاهات والآفات وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار لكل آدمى فإن كان مؤمنا وكل الله به مائة وستين ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين ، أو حفظ الأعمال وهما رقيب وعتيد وعليه درج المفسر ، وقيل المراد بالحافظ الله تعالى فتحصل أن الحافظ قيل الكاتب أو مطلق الملائكة الحفظة أو الله تعالى والأحسن أن يراد ماهو أعم (قوله فلينظر الانسان الخ) لما ذكر تعالى أن كل نفس عليها حافظ أتبع ذلك بوصية الانسان بالنظر فى أول نشأته والأمر للايجاب (قوله ممّ خلق) الجار والمجرور متعلق بخلق والجملة فى محل نصب بقوله فلينظر المعلق عنها بالاستفهام (قوله ذى اندفاق) أى انصباب وأشار بذلك إلى أن دافق صيغة نسب كلابن وتامر فالمعنى خلق من ماء متدفق أومدفوق (قوله فى رحمها) متعلق بدافق (قوله من بين الصلب) أى وهو عظام الظهر و بين زائدة لأن بين إنما تضاف لمتعدد وهنا ليس كذلك إلا أن يقال المراد من بين أجزاء الصلب الخ (قوله والترائب للمرأة) وقال الحسن المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل وصلب المرأة وترائب المرأة (قوله وهى عظام الصدر) أى وهى محل القلادة وهذا أحد أقوال ، وقيل الترائب مابين ثدييها ، وقيل الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر، وقال القرطبى إن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يتجمع فى الأنثيين ولا يعارضه قوله تعالى: يخرج من بين الصلب والترائب لأنه ينزل من الدماغ إلى الصلب ثم يجتمع فى الأنثيين (قوله إنه على رجعه لقادر) نتيجة النظر المذكور لأن الأمر بالنظر إنما هو لأجل التفكر فى الميعاد والمبعث (قوله بعث الانسان الخ) هذا هو الصحيح اللائق بمعنى الآية بدليل مابعده

وفى الآية تفاسير أخر منها أن الضمير يعود على الانسان والمعنى إنه على رجع الانسان لحالة النطفية لقادر بأن يرده من الشيوخة للشبوبة ومنها للصبا ومنه إلى كونه حملا إلى مضغة إلى علقة إلى نطفة ومنها أن الضمير عائد على الماء الدافق والمعنى إنه على رجع الماء للصلب والترائب بعد انفصاله للرحم وصيرورته ولدا لقادر (قوله يوم تبلى السرائر) ظرف لرجعه لا للقادر لأنه تعالى قادر فى جميع الأوقات لاتختص قدرته بوقت دون وقت (قوله ضمائر القلوب) أى ما أخفى فيها وقيل السرائر فرائض الأعمال كالصلاة والصوم والوضوء والغسل من الجنابة فانها سرائر بين الله و بين العبد ولو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت من الجنابة ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها فيبيض وجه المؤدى و يسود وجه المضيع (قوله فما له من قوة) أى فى نفسه وقوله ولا ناصر أى من غيره (قوله المطر) هذا أحد أقوال ، وقيل الرجع الأحوال التى تجيء وتذهب كالليل والنهار والأمطار والفصول من الشتاء وما فيه من برد ونحوه والصيف وما فيه من حر ونحوه ، وقيل المراد ذات النفع وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها بأعمال العباد (قوله الشق عن النبات) وقيل ذات الحرث لأنه يصدعها وقيل ذات الطريق التى تصدعها المشاة ، وقيل غير ذلك . واعلم أنه تعالى كما جعل كيفية خلق الحيوان دليلا على معرفة المبدإ

(يَوْمَ تُبْلَى) تختبر وتكشف (السَّرَائِرُ) ضمائر القلوب فى العقائد والنيات (فَمَا لَهُ) لمنكر البعث (مِنْ قُوَّةٍ) يمتنع بها من العذاب (وَلَا نَاصِرٍ) يدفعه عنه (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) المطر لعوده كل حين (وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) الشق عن النبات (إِنَّهُ) أى القرآن (لَقَوْلٌ فَصْلٌ) يفصل بين الحق والباطل (وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) باللعب والباطل (إِنَّهُمْ) أى الكفار (يَكِيدُونَ كَيْدًا) يعملون المكايد للنبى صلى الله عليه وسلم (وَأَكِيدُ كَيْدًا) أستدرجهم من حيث لا يعلمون (فَمَهِّلِ) يا محمد (الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ) تأكيد حسنه مخالفة اللفظ أى أنظرهم (رُوَيْدًا) قليلا وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل مصغر رودا أو إروادا على الترخيم وقد أخذهم الله تعالى ببدر ونسخ الإمهال بآية السيف : أى بالأمر بالقتال والجهاد .

(سورة الأعلى)

مكية ، تسع عشرة آية

والمعاد ذكر فى هذا القسم كيفية خلقه النبات فقوله والسماء ذات الرجع أى هى كالأب والأرض ذات الصدع هى كالأم تتولد من بينهما النعم العظيمة التى ينتفع بها مادامت الدنيا (قوله إنه لقول فصل) جواب القسم الذى هو والسماء الخ والمراد بالفصل الحكم الذى ينفصل به الحق من الباطل (قوله وما هو بالهزل) أى بل هو جد كله فالواجب أن يكون مهابا فى الصدور معظما فى القلوب كيف وهو خطاب رب العالمين لعباده فالاصغاء إليه والاستماع له والائتمار بأوامره والانتهاء بنواهيه فرض (قوله إنهم يكيدون كيدا) اختلف فيها فقيل هى إلقاء الشبهات كقولهم : إن هى إلاحياتنا الدنيا ، من يحيى العظام وهى رميم ونحو ذلك، وقيل قصد قتله صلى الله عليه وسلم والأحسن أن يراد ماهو أعم (قوله وأكيد كيدا) أى أجازيهم على كيدهم وسمى الجزاء كيدا مشاكلة وقيل المعنى أعاملهم معاملة ذى الكيد بأن أمدهم ظاهرا بالنعم استدراجا لهم وعليه اقتصر المفسر (قوله فمهل الكافرين) أى لاتستعجلهم بالانتقام منهم ولا بالدعاء عليهم (قوله مخالفة اللفظ) أى من حيث إن الأول مسند للظاهر مع التضعيف والثانى مسند للضمير مع الهمز (قوله على الترخيم) راجع لقوله أو إروادا أى تصغير ترخيم وهو حذف الزوائد . واعلم أن رويدا يستعمل مصدرا بدلا من اللفظ بفعله فيضاف تارة كقوله فضرب الرقاب ولا يضاف أخرى نحو رويدا زيدا و يقع حالا نحو ساروا رويدا أى متمهلين ونعتا لمصدر محذوف نحو ساروا رويدا أى سيرا رويدا (قوله ونسخ الامهال بآية السيف) أى على أن المعنى اترك الكافرين ولا تتعرض لهم واصبر على أذاهم

[سورة الأعلى مكية] أى فى قول الجمهور وقال الضحاك مدنية وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات وفى الحديث «سئلت عائشة بأى شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان يقرأ فى الأولى بسبح اسم ربك الأعلى، وفى الثانية بقل يا أيها الكافرون، وفى الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين» ومن جملة فوائدها أن الاكثار من تلاوتها يورث الحفظ

(قوله سبح اسم ربك) الأمر وإن كان للنبي إلا أن المراد منه العموم لأن الأصل عدم الخصوصية إلا لدليل (قوله أى نزه ربك) أى اعتقد أنه منزه عن كل مالايليق به فى ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه فتنزيه الذات اعتقاد أنها ليست كالذوات فلا توصف إلجوهرية ولا بالعرضية ولا بالكبر ولا بالصغر ولا بغير ذلك من أوصاف الحدوث ، وتنزيه الصفات اعتقاد أنها ليست حادثة ولا متناهية ولا ناقصة ، وتنزيه الأفعال اعتقاد أنه تعالى ليست أفعاله كأفعال المخلوقين ، وتنزيه الأسماء عدم ذكره بالأسماء التى توهم نقصا بوجه من الوجوه ، وتنزيه الأحكام عدم الأغراض فيها فتكليفنا لأنفسنا لا لنفع يعود عليه (قوله ولفظ اسم زائد) ليس بمتعين بل كما تنزه الذات ينزه الاسم أيضا عن أن يسمى به غيره ومن جملة تنزيه الاسم أن لايذكر فى مواضع الأقذار بأن يذكر على وجه التعظيم والتفخيم فى المواضع الطاهرة الفاخرة ومن جملة تنزيه الاسم استحضارك عظمة للمسمى عند ذكره (قوله الأعلى) من العلو وهو الارتفاع بمعنى القهر والغلبة والسلطنة فهو علو مكانة لا مكان (قوله صفة لربك) أى فهو مجرور بكسرة مقدرة على الألف وهذه الصفة جارية مجرى التعليل كأنه قال : سبح اسم ربك لكونه مرتفع المكانة منزها عن النقائص أزلا وأبدا ولا يصح أن يكون صفة لاسم منصوب بالفتحة المقدرة مع جعل الذى خلق الخ صفة لربك لما يلزم عليه من الفصل بين الصفة والموصوف بصفة غيره نظير قولك جاءنى غلام هند العاقل الحسنة وهو ممتنع فان جعل الموصول نعتا مقطوعا جاز (قوله الذى خلق فسوى) جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل الاشتغال بالتسبيح إنما يكون بعد معرفة المولى فما الدليل على وجوده فأجاب بما ذكر ومفعول خلق محذوف أى كل شىء

(قوله متناسب الأجزاء الخ) أى فجعله معتدل القامة تام المنافع (قوله والذى قدر) مفعوله محذوف قدره بقوله ما شاء : أى من أنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وغير ذلك من أحوالها (قوله فهدى) أى أرشد ماقدره لمصالحه فهدى الانسان ودله على سبيل الخير والشر وهدى الأنعام لمراعيها وجميع الدواب لمعاشها ومصالحها (قوله والذى أخرج المرعى) اى مايرعى كالحشيش ونحوه (قوله غثاء) بضم الغين والمد من باب قعد وهذا مثل ضربه الله للكفار بذهاب الدنيا بعد نضارتها (قوله أحوى) نعت لغثاء وهو مايشير له المفسر ، وقوله أسود باليا: أى بعد وصفه بالغثاء يكون أسود باليا كما هو العادة فى الزرع الجاف إذا تقادم و يطلق الأحوى على الأسود الذى يضرب إلى الخضرة أو لأخضر الذى يضرب إلى السواد وعليه فيكون حالا من المرعى والأصل أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء والفاء لمجرد الترتيب والمعنى فمضت مدة فجعله الخ إذ لا يصير غثاء عقب إخراجه بل بعده بمدة (قوله سنقرئك فلاتنسى) بيان لهداية الله تعالى الخاصة رسوله إثر بيان هدايته العامة لجميع الخلق ، وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين : الأول الاخبار من الله تعالى بما يحصل فى المستقبل . الثانى كونه يحفظ هذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار ولاينساه أبدا (قوله فلا تنسى ما تقرؤه) أى منسوخا أوغيره ليظهر كون الاستثناء متصلا ، وقوله : إلا ماشاء الله استثناء مفرغ (قوله بنسخ تلاوته وحكمه) الباء سببية ، والمعنى أن نسخ تلاوته وحكمه معا سبب فى جواز نسيانك له ، وأما مانسخت تلاوته فقط أوحكمه فقط فلا ينساه للاحتياج إلى تبليغ حكمه وتلاوته (قوله فكأنه قيل الخ) أى فهو نظير قوله ـ إن علينا جمعه وقرآنه ـ (قوله إنه يعلم الجهر الخ) تعليل لما قبله جىء به تسلية له صلى الله عليه وسلم كأنه قيل لاتخش ضياع ما ألقى عليك فانه تعالى يعلم الجهر ومايخفى ومنه ما ألقى عليك فيثبت فى فؤادك ما ينفع وصنيع المفسر يقتضى أنه تعليل لمحذوف قدره بقوله فلا تتعب نفسك (قوله ومايخفى) ما اسم موصول وعائده محذوف ولا يصح أن تكون مصدرية لئلا يلزم خلو الفعل عن فاعل ولا يقال يجعل ضميرا لأنا نقول يمنع منه عدم وجود

(بسم الله الرحمن الرحيم . سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ) أى نزه ربك عما يليق به ولفظ اسم زائد (الْأَعْلَى) صفة لربك (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) مخلوقه جعله متناسب الأجزاء غير متفاوت (وَالَّذِي قَدَّرَ) ماشاء (فَهَدَى) إلى ماقدره من خير وشر (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى) أنبت العشب (فَجَعَلَهُ) بعد الخضرة (غُثَاءً) جافا هشيما (أَحْوَى) أسود يابسا (سَنُقْرِئُكَ) القرآن (فَلَا تَنْسَى) ما تقرؤه (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان فكأنه قيل له لاتعجل بها إنك لاتنسى فلا تتعب نفسك بالجهر بها (إِنَّهُ) تعالى (يَعْلَمُ الْجَهْرَ) من القول والفعل (وَمَا يَخْفَى) منهما ،

(ونيسرك

ما يعود عليه (قوله ونيسرك لليسرى) عطف على نقرئك وما بينهما اعتراض جيء به للتعليل ، والمعنى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية وغير ذلك ، ولذا ورد « ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما » وورد « بعثت بالحنيفية السمحاء » وحكمة إسناد التيسير لذاته ولم يقل ونيسر اليسرى لك الإيذان بقوة تمكنه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك جبلة له صلى الله عليه وسلم فبين طبعه ودينه موافقة في اليسر والسهولة (قوله الشريعة السهلة) أي الطريقة اليسرى في حفظ الوحي والتدين (قوله إن نفعت الذكرى) إن قلت هو صلى الله عليه وسلم مأمور بأن يذكرهم سواء نفعتهم الذكرى أم لم تنفعهم ليكون حجة لهم أو عليهم. أجيب بأن في الآية اكتفاء : أي ولم تنفع على حد سرابيل تقيكم الحر : أي والبرد ويؤيده قوله - سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى - فتدبر (قوله سيذكر من يخشى) أي من خلق الله في قلبه الخشية وهذا وعد من الله تعالى بأن من يخشى يحصل له الاتعاظ وينتفع به والوعد لا يتخلف (قوله هي نار الآخرة الخ) هذا قول الحسن ويدل له ما ورد « ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » وقيل يكون في الآخرة نيران ودركات متفاضلة فالكافر يصلى أعظم النيران ، وقيل النار الكبرى هي السفلى . قال تعالى - إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار - (قوله فيستريح) جواب عما يقال

لا واسطة بين الحياة والموت فكيف وصف الله الأشقى بأنه لا يموت فيها ولا يحيا ، فأجاب بأن المعنى لا يموت موتا فيستريح به ولا يحيا حياة ينتفع بها (قوله مكبرا) أي تكبيرة الاحرام التي هي أحد أجزاء الصلاة (قوله وذلك من أمور الآخرة) تمهيد لارتباط هذه الآية بما بعدها فقوله بل تؤثرون الخ إضراب عن مقدر يستدعيه المقام (قوله بالتحتانية) أي وعليه فالضمير راجع للأشقى

(وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى) للشريعة السهلة وهي الإسلام (فَذَكِّرْ) عظ بالقرآن (إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى) من تذكر المذكور في : سيذكر ، يعني وإن لم تنفع ونفعها لبعض وعدم النفع لبعض آخر (سَيَذَّكَّرُ) بها (مَنْ يَخْشَى) يخاف الله تعالى كآية فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (وَيَتَجَنَّبُهَا) أي الذكرى أي يتركها جانبا لا يلتفت إليها (الْأَشْقَى) بمعنى الشقي أي الكافر (الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى) هي نار الآخرة ، والصغرى هي نار الدنيا (ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا) فيستريح (وَلَا يَحْيَى) حياة هنيئة (قَدْ أَفْلَحَ) فاز (مَنْ تَزَكَّى) تطهر بالإيمان (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ) مكبرا (فَصَلَّى) الصلوات الخمس وذلك من أمور الآخرة ، وكفار مكة معرضون عنها (بَلْ يُؤْثِرُونَ) بالتحتانية والفوقانية (الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) على الآخرة (وَالْآخِرَةُ) المشتملة على الجنة (خَيْرٌ وَأَبْقَى . إِنَّ هَذَا) أي إفلاح من تزكى وكون الآخرة خيرا (لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى) أي المنزلة قبل القرآن (صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) وهي عشر صحف لإبراهيم ، والتوراة لموسى .

وقوله والفوقانية : وعليه فهو التفات والخطاب إما للكفار فقط أو لعموم الناس والقراءتان سبعيتان (قوله خير وأبقى) أي لاشتمالها على السعادة الجسمانية والروحانية ولذاتها غير مخلوطة بالآلام وهي دائمة باقية والدنيا ليست كذلك (قوله أي إفلاح من تزكى الخ) أي فالإشارة إلى قوله - قد أفلح من تزكى - إلى قوله - وأبقى - وما ذكر في الصحف الأولى بالمعنى لا بهذا اللفظ والشرائع المتقدمة متفقة على ما في هذه الآيات ، ورد عن أبي ذر قال « دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للمسجد تحية ، فقلت وما تحيته يارسول الله ؟ قال ركعتان تركعهما ، قلت يارسول الله هل أنزل الله عليك شيئا مما كان في صحف إبراهيم وموسى ؟ قال يا أباذر اقرأ - قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - قلت يارسول الله فما كانت صحف موسى ؟ قال كانت عبرا كلها : عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها عجبت لمن أيقن بالقدر ثم يغضب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل » وعن أبي ذر أيضا قال « قلت يارسول الله فما كانت صحف إبراهيم قال كانت أمثالا كلها : أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها ولو كانت من فم كافر » وكان فيها أمثال : وعلى العاقل أن يكون له ساعة يناجي فيها ربه وساعة يفكر فيها

فى صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها لحاجته من للطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون طامعا إلا فى ثلاث: تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة فى غير محرّم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلافى مايعنيه ، قال قلت فما كانت صحف موسى ؟ قال كانت عبرا » إلى آخره ، وقوله ومرمة لمعاش : أى إصلاح له .

[سورة الغاشية مكية] أى بالاجماع (قوله هل أتاك) أشار المفسر إلى أن هل بمعنى قد ، وقوله أتاك : أى فى هذه السورة فالماضى إخبار عما وقع له فى الحال و يصح أن يراد بالاستفهام التعجيب والتشويق إلى استماع حديثها المذكور بقوله ـ وجوه يومئذ ـ الخ (قوله الغاشية) من الغشاء وهو الغطاء ومنه الغشاوة وهى شئ يغطى العين (قوله وجوه يومئذ الخ) استئناف واقع فى جواب سؤال مقدّر تقديره وماحديث الغاشية ووجوه مبتدأ سوغ الابتداء به وقوعه فى معرض التفصيل وخاشعة خبره وعاملة ناصبة خبران آخران (قوله يومئذ) أى يوم إذ غشيت فالتنوين عوض عن جملة . إن قلت إنه لم يتقدّمها جملة تصلح أن يكون التنوين عوضا عنها . أجيب بأنه تقدمها لفظ الغاشية وهو فى معنى الجملة لأن أل موصولة باسم الفاعل فكأنه قال التى غشيت فالتنوين عوض عن هذه الجملة التى انحل لفظ الغاشية إليها (قوله عبر بها عن الذوات) أى فهو مجاز مرسل من التعبير عن الكلّ بالجزء وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء ولأنه يظهر عليه ذلك أوّلا (قوله بالسلاسل والأغلال) أى بسبب جرّ السلاسل وحمل الأغلال وكذلك يخوضون فى النار خوض الإبل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلال النار قال تعالى ـ إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ـ وهذا جزاء لما ارتكبوه من إراحة أبدانهم فى اللذات والشهوات. قال سعيد بن جبير: تكبرت فى الدنيا عن طاعة الله تعالى فأعملها الله تعالى وأنصبها فى النار بجر السلاسل الثقال وحمل الأغلال والوقوف حفاة عراة فى العرصات فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (قوله بضم التاء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان والضمير للوجوه على كل (قوله نارا حامية) أى لأنه أوقد عليها مدة طويلة ، فى الحديث «أحمى عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت فهى سوداء مظلمة » (قوله آنية) أى بلغت أناها فى الحرارة ، والمعنى انتهى حرها (قوله ليس لهم طعام إلا من ضريع) قال أبو الدرداء والحسن : إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع وهو ذو غصة فيغصون به فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية لاهنيئة ولامريئة فاذا أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى ـ و إن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ، وقوله تعالى ـ وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ـ إن قلت كيف حصر الطعام هنا فى الضريع مع أنه فى الحاقة قال ـ ولا طعام إلا من غسلين ـ ؟. أجيب بأن العذاب ألوان والمعذبون أنواع فمنهم من يكون طعامه الزقوم ومنهم من يكون طعامه الضريع ومنهم من يكون طعامه الغسلين وهكذا (قوله لايسمن ولايغنى من جوع) كل منهما صفة لضريع، والمعنى لايحصل السمن لآكله ولايدفع عنه جوعا (قوله حسنة) أى ذات بهجة وحسن ، وقيل متنعمة والجمع حاصل فهى حسنة ومتنعمة (قوله لسعيها راضية) اللام بمعنى الباء متعلقة براضية الواقعة خبرا ثانيا عن الوجوه والمعنى أنهم راضون بأعمالهم لما رأوا من الجزاء عليها (قوله حسا) أى لأن الجنة درجات على عدد آى القرآن بعضها أعلى من بعض فبين الدرجتين مثل ما بين السماء والأرض ، وقوله ومعنى: أى وهو (لا

(سورة الغاشية)

مكية ، ست وعشرون آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . هَلْ) قد (أَتٰيكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) القيامة لأنها تغشى الخلائق بأهوالها (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ) عبر بها عن الذوات فى الموضعين (خَاشِعَةٌ) ذليلة (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ) ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال (تَصْلَى) بضم التاء وفتحها (نَارًا حَامِيَةً . تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) شديدة الحرارة (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ) هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه (لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ) حسنة (لِسَعْيِهَا) فى الدنيا بالطاعة (رَاضِيَةٌ) فى الآخرة لما رأت ثوابه (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) حسا ومعنى ،

الصرف والرفعة (قوله بالياء والتاء) أى ولكن الفعل على الياء مبنى للمفعول لاغير وعلى التاء فهو مبنى للفاعل والمفعول فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله لاغية) صفة للجماعة أى جماعة لاغية و يصح أن يكون مصدرا كالعاقبة والعافية كقوله: لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما (قوله فيها عين جارية) أى على وجه الأرض من غير أخدود لاينقطع جريها أبدا والمراد بالعين الجنس الصادق بالأنهار المتقدم ذكرها فى سورة محمد عليه السلام (قوله فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة فى السماء ما لم يجىء أهلها ، فاذا أراد أن يجلس عليها صاحبها تواضعت حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى مواضعها (قوله وأكواب) جمع كوب (قوله لاعرى لها) أى ولا خرطوم (قوله معدة لشربهم) أى فكلما أرادوا الشرب وجدوها مملوءة بالشراب و يصح أن المراد موضوعة بين أيديهم يتلذذون بالنظر إليها و يصح أن المراد موضوعة عن حد الكبر فهى متوسطة وحينئذ فيكون نظير قوله تعالى ـ قدروها تقديرا ـ (قوله ونمارق) جمع نمرقة بضم النون والراء وكسرهما لغتان (قوله وسائد) جمع وسادة وهى المعروفة بالمخدة (قوله مصفوفة) أى فوق الطنافس (قوله وزرابى) جمع زربية بتثليث الزاى (قوله طنافس) جمع طنفسة بتثليث الفاء والطاء ففيه تسع لغات صفة لبسط وتسمى أيضا السجادة فلها ثلاثة أسماء سجادة وطنفسة وزربية (قوله أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت) استئناف مقرر لما مضى من حديث الغاشية والهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعموا فلا ينظرون وهو استفهام إنكارى توبيخى وخصت الابل لكثرة منافعها

(لَا يُسْمَعُ) بالياء والتاء (فِيهَا لَاغِيَةٌ) أى نفس ذات لغو أى هذيان من الكلام (فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ) بالماء بمعنى عيون (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) ذاتا وقدرا ومحلا (وَأَكْوَابٌ) أقداح لاعرى لها (مَوْضُوعَةٌ) على حافات العيون معدة لشربهم (وَنَمَارِقُ) وسائد (مَصْفُوفَةٌ) بعضها بجنب بعض يستند إليها (وَزَرَابِيُّ) بسط طنافس لها خمل (مَبْثُوثَةٌ) مبسوطة (أَفَلَا يَنْظُرُونَ) أى كفار مكة نظر اعتبار (إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) أى بسطت فيستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته ، وصدرت بالابل لأنهم أشد ملابسة لها من غيرها وقوله سطحت ظاهر فى أن الأرض سطح وعليه علماء الشرع ، لا كرة كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنا من أركان الشرع (فَذَكِّرْ) هم نعم الله ودلائل توحيده (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ .

كأكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها وركوبها والتنقل عليها إلى البلاد البعيدة وعيشها بأى نبات أكلته كالشجر والشوك وصبرها على العطش عشرة أيام فأكثر وطواعيتها لكل من قادها ولو صغيرا ونهوضها وهى باركة بالأحمال الثقيلة ولا تؤذى من وطئته برجلها وتتأثر بالصوت الحسن مع غلظ أكبادها ولا شىء من الحيوانات جمع هذه الأشياء غيرها ولكونها أفضل ماعند العرب جعلوها دية القتل والابل اسم جمع لا واحد له من لفظه وإنما له واحد من معناه كبعير وناقة وجمل (قوله كيف خلقت) كيف منصوب بخلقت على الحال والجملة بدل اشتمال من الابل فهى فى محل جر (قوله كيف رفعت) أى فوق الأرض من غير عمد (قوله كيف نصبت) أى على وجه الأرض نصبا ثابتا راسخا لايتزلزل (قوله فيستدلون بها الخ) الحكمة فى تخصيص هذه الأشياء بالذكر أن القرآن نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا فى الأودية والبرارى منفردين عن الناس والانسان إذا انفرد أقبل على التفكر فأول مايقع بصره على البعير الذى هو راكبه فيرى منظرا عجيبا ، وإن نظر إلى فوق لم ير غير السماء ، وإن نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال ، وإن نظر إلى تحت لم ير غير الأرض فكأنه تعالى أمره بالنظر وقت الخلوة والانفراد ولا يحمله الكبر على ترك النظر (قوله وصدرت) أى هذه الأربعة (قوله وإن لم ينقض) أى ماقاله أهل الهيئة من قواعدهم التى ذكروها وقوله ركنا : أى قاعدة من قواعد الشرع فلا يضر فى العقيدة لأن علماء الهيئة قالوا إن الأرض كرة بطبعها وحقيقتها كالبيضة فالسموات السبع محيطة بالأرض من كل جانب ، والعرش محيط بالجميع لكن الله تعالى أخرج الأرض عن طبعها بفضله وكرمه بتسطيح بعضها لاقامة الحيوانات عليها رحمة بهم (قوله فذكر) مفرع على ماتقدم من ذكر دلائل التوحيد (قوله إنما أنت مذكر) تعليل للأمر بالتذكير .

لست عليهم بمصيطر) وفى قراءة بالصاد بدل السين أى بمسلط ، وهذا قبل الأمر بالجهاد (إلا) لكن (من تولى) أعرض عن الإيمان (وكفر) بالقرآن (فيعذبه الله العذاب الأكبر) عذاب الآخرة والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر (إن إلينا إيابهم) رجوعهم بعد الموت (ثم إن علينا حسابهم) جزاءهم لا نتركه أبداً .

(سورة والفجر)

مكية أو مدنية ، ثلاثون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . والفجر) أى فجر كل يوم (وليال عشر) أى عشر ذى الحجة (والشفع) الزوج (والوتر) بفتح الواو وكسرها لغتان : الفرد (والليل إذا يسر) مقبلا ومدبرا (هل فى ذلك) القسم (قسم لذى حجر) عقل ، وجواب القسم محذوف أى لتعذبن يا كفار مكة (ألم تر) تعلم يا محمد (كيف فعل ربك بعاد ،

إرم)

(قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى بمسلط) هذا تفسير للقراءتين (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) أى فهو منسوخ بآية السيف (قوله لكن من تولى الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع والاستدراك لدفع توهم أنهم متروكون فى الآخرة كالدنيا وذلك أنه أمر بعدم التعرض لهم فى مبدإ الأمر فربما يتوهم أنهم فى الآخرة كذلك فأفاد أنه وإن أمهلهم فى الدنيا لا يغفلهم من العذاب فى الآخرة (قوله إن إلينا إيابهم) تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر (قوله ثم إن علينا حسابهم) أى بمقتضى وعيدنا لا وجوبا علينا وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان فان الترتيب الزمانى بين إيابهم وحسابهم لا بين كون إيابهم إليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما أمران مستمران وجمع الضمير فى إيابهم وحسابهم باعتبار معنى من .

[سورة والفجر مكية] أى فى قول الجمهور (قوله أو مدنية) أى فى قول على بن أبى طلحة (قوله أى فجر كل يوم) هذا أحد أقوال كثيرة فى تفسير الفجر وهو قول على وابن الزبير وابن عباس ، أو فجر أول يوم من المحرم منه تنفجر السنة أو فجر يوم النحر لأن فيه أكثر مناسك الحج وفيه القربات ، أو فجر ذى الحجة لأنه قرن به الليالى العشر (قوله أى عشر ذى الحجة) أى وإنما نكرت لأنها أفضل ليالى السنة وما ذكره المفسر أحد أقوال ، وقيل هى العشر الأواخر من رمضان ، وقيل العشر الأول من المحرم

(قوله والشفع والوتر) قال مجاهد ومسروق الشفع الخلق كله قال تعالى - ومن كل شىء خلقنا زوجين - الكفر والإيمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والأرض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والإنس . والوتر هو الله تعالى قل هو الله أحد وقيل الشفع تضاد صفات المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والوتر انفراد صفات الله تعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت ، وقيل الوتر يوم عرفة لأنه تاسع والشفع يوم النحر لأنه عاشر ، وقيل غير ذلك (قوله بفتح الواو وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان (قوله والليل) قسم خامس بعد ما أقسم بالليالى العشر على الخصوص أقسم بالليل على العموم ، وقيل ليلة المزدلفة خاصة ، وقيل ليلة القدر لسريان البركة فيهما (قوله إذا يسر) إذا معمول لمحذوف هو فعل القسم والمعنى أقسم بالليل وقت سراه (قوله مقبلا) أى بادبار النهار ، وقوله ومدبرا : أى باقبال النهار وفيه إشارة إلى أن إسناد السرى لليل حقيقة ، وقال غيره إن اسناد السرى له مجاز عقلى من الاسناد للزمان والمعنى يسرى فيه وكل صحيح (قوله هل فى ذلك الخ) استفهام تقريرى لفخامة شأن الأمور المقسم بها واسم الاشارة عائد على الأمور المقسم بها (قوله القسم) أى الحلف وأل جنسية صادقة بالمذكور من الأقسام وهى خمسة وكذا يقال فى قوله وجواب القسم الخ (قوله عقل) سمى حجرا لأنه يحجر صاحبه ويمنعه عن القبائح (قوله وجواب القسم محذوف) وقيل هو قوله تعالى - إن ربك لبالمرصاد - وقيل غير ذلك (قوله ألم تر الخ) شروع فى بيان أحوال الأمم الماضية وذكر منهم عادا وثمود وفرعون لأن أخبارهم كانت معلومة عندهم والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل أحد .

إرم) هي عاد الأولى فإرم عطف بيان أو بدل ومنع الصرف للعلمية والتأنيث (ذَاتِ الْعِمَادِ) أي الطول كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) في بطشهم وقوتهم (وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا) قطعوا (الصَّخْرَ) جمع صخرة واتخذوها بيوتا (بِالْوَادِ):

(قوله إرم) هو في الأصل اسم جد عاد، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام سميت القبيلة باسم جدهم عاد وعاش ألف سنة ومائتي سنة ورزق من صلبه أربعة آلاف ولد وتزوج ألف امرأة ومات كافرا (قوله أي الطوال) هذا أحد أقوال، وقيل إن المراد به الأبنية المرتفعة على العمد فكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور، وقيل ذات العماد ذات القوة والشدة قال تعالى - من أشد منا قوة - وقيل غير ذلك (قوله كان طول الطويل الخ) نحوه قول السكازروني طول الطويل منهم خمسمائة ذراع والقصير ثلثمائة ذراع بذراع نفسه ورد ذلك ابن العربي بقوله هو باطل لأن في الصحيح «إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعا في الهواء فلم يزل الخلق ينقصون إلى الآن» اهـ. وقال قتادة إن طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعا (قوله التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا من أشد منا قوة. وقيل هي مدينة بناها شداد بن عاد. وحاصل قصتها أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا العباد والبلاد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها ودعته نفسه إلى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت فبينما هو يسير في صحارى عدن إذ وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة، فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن إبله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الأحمر، فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها وإذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت وإذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير أحدا هاله ذلك ثم نظر إلى الأزقة فاذا في تلك الأزقة أشجار مثمرة وتحت تلك الأشجار أنهار يجرى ماؤها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فأرسل إليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار، فلما أتاه قال له يا أبا اسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة؟ قال نعم هي إرم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدوهم بما في بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون في الأرض ليجدوا أرضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال وإذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الأرض التي أمر الملك أن نبني فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليماني وأقاموا في بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة، فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعني سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون في كل قصر وزير من وزرائي ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يتهيئوا للنقلة إلى إرم ذات العماد، وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين، ثم ساروا إليها، فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد. ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبيه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب إبل له، ثم التفت فأبصر عبد الله بن قلابة، فقال هذا والله ذلك الرجل وهذه المدينة تزعم العامة أنها دائرة في الدنيا وهو من الخرافات بل هي في مكانها غير أن الله تعالى يعمي الخلق عنها فلم يهتد لها إلا من وعده بها (قوله في بطشهم) متعلق بمثلها والضمير عائد على القبيلة باعتبار أهلها (قوله والذين جابوا الصخر) صفة لثمود والباء في بالوادي بمعنى في وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة (قوله واتخذوها بيوتا) قيل أول من نحت من الجبال والصخور والرخام ثمود، وروى أنهم بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة، وقيل سبعة آلاف كلها من الحجارة.

وادى القرى (وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ) كان يتد أربعة أوتاد يشد إليها يدى ورجلى من يعذبه (الَّذِينَ طَغَوْا) تجبروا (فِى الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) القتل وغيره (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ) نوع (عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شىء ليجاريهم عليها (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ) الكافر (إِذَا مَا ابْتَلَاهُ) اختبره (رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ) بالمال وغيره (وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ . وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ) ضيق (عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ. كَلَّا) ردع: أى ليس الإكرام بالغنى والإهانة بالفقر وإنما هو بالطاعة والمعصية وكفار مكة لا يتنبهون لذلك (بَلْ لَا يُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) لايحسنون إليه مع غناهم أولا يعطونه حقه من الميراث (وَلَا يَحُضُّونَ) أنفسهم ولا غيرهم (عَلَى طَعَامِ) أى إطعام (الْمِسْكِينِ . وَيَأْكُلُونَ التُّرَاثَ) الميراث ،

(قوله وادى القرى) موضع بقرب المدينة من جهة الشام (قوله كان يتد أربعة أوتاد الخ) أى يدقها للمعذب ويشده بها مطروحا على الأرض ثم يعذبه بما يريد من ضرب وإحراق وغيرهما (قوله الذين طغوا) إما مجرور صفة للمذكورين أو منصوب أو مرفوع على الذم (قوله نوع عذاب) فسره بذلك لقول الفراء سوط العذاب كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب، والمعنى أنزل على كل نوعا من العذاب فأهلكت عاد بالريح وثمود بالصيحة وفرعون بالغرق (قوله إن ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله إعلاما بأن كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب (قوله يرصد أعمال العباد) أشار بذلك إلى أن فى الكلام استعارة تمثيلية شبه حفظه تعالى لأعمال عباده ومجازاته عليها بحال من قعد على الطريق مترصدا لمن يسلكها ليأخذه فيوقع به ما يريد واستعير اسم المشبه به للمشبه (قوله فأما الانسان) أما هنا لمجرد التأكيد لا للتأكيد مع التفصيل لعدم تقدم مقتضيه وهو مرتبط بقوله إن ربك لبالمرصاد فكأنه قيل إن الله لايرضى من عباده إلا الطاعة والاخلاص لما فى الحديث «إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» فأما الانسان فلا يلتفت لذلك لكونه مطبوعا على خلافه وإنما يلتفت للعاجل وما قررناه سالم من الدسيسة الاعتزالية الواقعة فى كلام الزمخشرى حيث نفى عن الله إرادة المعاصى والقبائح، ونص عبارته : فان قلت بم اتصل قوله فأما الانسان؟ قلت بقوله إن ربك لبالمرصاد فكأنه قيل إن الله لايريد من الانسان إلا الطاعة فأما الانسان فلا يريد ذلك ولايهمه إلا العاجلة اهـ فتدبر (قوله إذا ما ابتلاه ربه الخ) إعلم أن كلا من بسط الرزق وتقتيره ابتلاء لأنه يختبر حال العبد فى الحالين فاذا بسط له الرزق فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة (قوله اختبره) أى عامله معاملة المختبر (قوله بالمال وغيره) أى كالجاه والولد (قوله ونعمه) أى جعله متلذذا بتلك النعم (قوله فيقول ربى أكرمن) أى فضلنى وأحسن إلىّ (كلا

(قوله وأما إذا ما ابتلاه) ما زائدة لوقوعها بعد إذا وكذا يقال فى الأولى (قوله فقدر) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان. إن قلت مقتضى المقابلة أن يقول فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه. أجيب بأن البسط إكرام من الله لعبده وليس ضده إهانة بل ترك للكرامة، فاذا أهدى لك إنسان هدية فقد أكرمك بها وإذا لم يهد إليك فلم يحصل منه إكرام ولا إهانة، وأيضا فيه إشارة إلى أن تقتير الرزق لايلزم منه أن يكون دليلا على إهانة بل قد يكون دليلا على المحبة والتكريم لما ورد «أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» فقول العبد ربى أهاننى من قصوره وغفلته وإلا فالمطلوب منه أن يرضى ويسلم (قوله فيقول ربى أهانن) أى لم يحسن إلىّ ولم يفضلنى وفى ياء أهاننى وأكرمنى خلاف بين القراء فبعضهم يثبتها وصلا ووقفا وبعضهم يحذفهما فى الحالين وبعضهم يثبتهما وصلا ويحذفهما وقفا (قوله ردع) أى عن الشيئين بدليل قوله أى ليس الاكرام الخ (قوله وكفار مكة الخ) توطئة للدخول على قوله بل لا يكرمون الخ وقوله لذلك أى لكون الاكرام بالطاعة والاهانة بالكفر والمعاصى وكثير من جهلة المؤمنين يعتقدون هذا الاعتقاد وهو غلط وغرور (قوله بل لا يكرمون اليتيم) إضراب من قبيح إلى أقبح منه ترقيا فى ذمهم (قوله ولا يحضون) أى يحثون ومفعوله محذوف قدره بقوله أنفسهم ولا غيرهم (قوله أى إطعام) أشار بذلك إلى أن الطعام مصدر بمعنى الاطعام وفيه إيماء إلى أن إكرام اليتيم والحث على إطعام المساكين من أعظم الخصال فضيلة (قوله ويأكلون التراث) التاء فيه مبدلة من الواو لأنه من الوراثة كما فى تجاه وتكاءة .

(قوله أكلا لما) أي جمعا ، فاللام الجمع يقال لممت الشيء جمعته ومنه لم الله شعثه أي جمع ماتفرق من أموره (قوله أي شديدا) صفة لموصوف محذوف أي جمعا شديدا (قوله اللم نصيب النساء الخ) أي فانهم كانوا لايورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم أو يأكلون ماجمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك . إن قلت إن السورة مكية وآية المواريث مدنية ولا يعلم الحل والحرمة إلا من الشرع . أجيب بأن حكم الارث كان معلوما لهم من بقايا شريعة إسماعيل فهو ثابت عندهم بطريق عادتهم (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا وقرئ في السبع أيضا تحاضون وأصله تتحاضون حذفت إحدى التاءين : أي لايحض بعضكم بعضا (قوله ردع لهم عن ذلك) أي عن جمع المال وحبه وعدم إكرام اليتيم (قوله إذا دكت الأرض) أي حصل رجها وزلزلتها لتسويتها (قوله دكا دكا) ليس تأكيدا بل التكرار للدلالة على الاستيعاب كقولك رتبته بابا بابا : أي بابا بعد باب ، وكذا يقال هنا دكا بعد دك حتى تزول الجبال وتستوي الأرض (قوله أي أمره) دفع بذلك ما يقال إن المجيء يقتضي الانتقال وهو على الله محال . فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف : أي حصل أمره وظهر سلطان قهره وتجليه على عباده (قوله صفا صفا) أي صفا بعد صف . لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الخلائق إذا جمعوا في صعيد واحد الأولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله بملائكة سماء الدنيا أن يتولوهم ؟ فيأخذ كل واحد منهم إنسانا وشخصا من المبعوثين إنسا وجنا ووحشا وطيرا وحولوهم إلى الأرض الثانية : أي التي تبدل وهي أرض بيضاء من فضة نورانية ، وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات ثم إن الله تعالى يأمر بملائكة السماء الثانية فيحدقون بهم حلقة واحدة وإذاهم مثلهم عشرين مرة ، ثم تنزل ملائكة

السماء الثالثة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فاذاهم مثلهم ثلاثين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فيكونون أكثر منهم بأربعين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ، ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستين مرة ، ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعين مرة ، والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام ويخوض الناس في العرق على أنواع مختلفة إلى الأذقان وإلى الصدور وإلى الحقوين وإلى الركبتين ، ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد في الحمام ، ومنهم من تصيبه البلة بكسر الموحدة وتشديد اللام كالعاطش إذا شرب الماء ، وكيف لايكون القلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رءوسهم حتى لو مد أحدهم يده لنالها وتضاعف حرها سبعين مرة . وقال بعض السلف : لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لاحترقت الأرض وذاب الصخر ونشفت الأنهار ، فبينما الخلائق يموجون في تلك الأرض البيضاء التي ذكرها الله حيث يقول: يوم تبدل الأرض غير الأرض إذ جيء بجهنم الخ (قوله وجيء يومئذ بجهنم) يومئذ منصوب بجيء وبجهنم قائم مقام الفاعل (قوله كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك) أي يجرونها حتى تقف عن يسار العرش . قال أبو سعيد الخدري : لما نزل وجيء يومئذ بجهنم تغير لون رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على أصحابه ثم قال أقرأني جبريل ـ كلا إذا دكت الأرض دكا دكا ـ الآية وجيء يومئذ بجهنم . قال علي رضي الله عنه قلت يارسول الله كيف يجاء بها ؟ قال يؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام يقود كل زمام سبعون ألف ملك فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ثم تعرض لي جهنم فتقول مالي ولك يامحمد إن الله قدحرم لحمك علي فلا يبقى أحد إلا قال نفسي نفسي إلا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه يقول يارب أمتي أمتي (قوله لها زفير) أي صوت شديد (قوله وتغيظ) أي غليان كغليان صدر الغضبان (قوله بدل من إذا) أي والعامل فيها تتذكر الذي هو الجواب وهذا مذهب

(أَكْلًا لَمًّا) أي شديدا اللم نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبهم منه أو مع مالهم (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) أي كثيرا فلا ينفقونه وفي قراءة بالفوقانية في الأفعال الأربعة (كَلَّا) ردع لهم عن ذلك (إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) زلزلت حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم (وَجَاءَ رَبُّكَ) أي أمره (وَالْمَلَكُ) أي الملائكة (صَفًّا صَفًّا) حال : أي مصطفين أوذوي صفوف كثيرة (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك لها زفير وتغيظ (يَوْمَئِذٍ) بدل من إذا وجوابها (يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ) أي الكافر مافرط فيه ،

سيبويه، وقال غيره البدل على نية تكرار العامل فالعامل في البدل محذوف نظير عامل المبدل منه (قوله وأنى) اسم استفهام خبر مقدم والذكرى مبتدأ مؤخر وله متعلق بما تعلق به الظرف (قوله استفهام بمعنى النفي) أي فهو إنكاري (قوله للتنبيه) أي والتحسر (قوله الخير والإيمان) أشار بذلك إلى أن مفعول قدمت محذوف (قوله لحياتي) اللام إما للتعليل أي لأجل حياتي هذه الكائنة في الآخرة أو بمعنى وقت والمراد بالحياة الحياة الدنيوية وقد أشار لهما المفسر (قوله بكسر الدال) وقوله بكسر الثاء أي فأحد فاعل فيهما (قوله أي لا يكله إلى غيره) أي لا يأمر غيره بمباشرته والمراد بالغير غير الملائكة فلا ينافي أنه تعالى يكله إلى ملائكة العذاب لأنهم يباشرونه بإذن الله وأمره لهم ويحتمل أن المعنى لا يعذب أحد من خلق الله تعذيباً مثل تعذيب الله هذا الكافر ولا يوثق أحد من خلق الله إيثاقاً مثل إيثاق الله لهذا الكافر وكل صحيح (قوله ولا يوثق وثاقه أحد) أي لا يشد ولا يربط بالسلاسل والأغلال أحد مثل ربطه وشده (قوله وفي قراءة بفتح الدال والثاء) أي وهما سبعيتان وأحد على هذه القراءة نائب الفاعل فيهما الذي هو الله تعالى أو الزبانية المتولون العذاب بأمره تعالى (قوله مثل تعذيبه) مصدر مضاف للمفعول وهو الكافر (قوله يا أيتها النفس المطمئنة) لما ذكر حال من كانت همته الدنيا ذكر حال من اطمأنت نفسه بالله فسلم إليه أمره واتكل عليه (قوله الآمنة) أي التي لا يستفزها خوف ولا حزن (قوله وهي المؤمنة) هذا قول ابن عباس. وقال الحسن المؤمنة الموقنة. وعن مجاهد أيضاً الراضية بقضاء الله التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها. وقال ابن عطاء: العارفة التي لا تصبر عنه طرفة عين، وقيل المطمئنة بذكر الله، وقيل غير ذلك في الحقيقة كل من تلك المعاني صحيح لأنه متى ثبت لها الإيمان عند الموت تحققت بذلك الخطاب فكلام المفسر من جوامع الكلم (قوله ارجعي إلى ربك) هو خبر في المعنى وإن كان أمراً في الظاهر (قوله عند الموت) قال عبد الله ابن عمر إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عز وجل إليه ملكين وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجي أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا بملك إلا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعاً عرضه وسبعون ذراعاً طوله وينبذ فيه الروح والريحان، فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وإن لم يكن جعل له نور مثل نور الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه، وإذا توفي الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من كساء أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن، فيقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى جهنم وعذاب أليم وربك عليك غضبان اهـ وما ذكره المفسر من أن النداء عند الموت أحد قولين، والآخر أنه عند البعث، ومعنى قوله ارجعي إلى ربك أي صاحبك وهو الجسد فيأمر الله تعالى الأرواح أن ترجع إلى الأجساد وبه قال عكرمة وعطاء والضحاك (قوله فادخلي في عبادي) الإضافة للتشريف وإلا فالكل عباده (قوله وادخلي جنتي معهم) أي الصالحين لتفوزي بالنعيم المقيم، ولأهل الإشارات تفاسير منها أن الله يناديها في الدنيا بهذا النداء حيث اتصفت بتلك الصفات يقول لها: يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك بفنائك عما سواه راضية بأحكامه مرضية له بأوصافك، فادخلي في عبادي الصالحين: أي فكوني معدودة فيهم ومحسوبة منهم وادخلي جنة شهودي في الدنيا ما دمت فيها وهي الجنة المعجلة، ويقال لها ذلك أيضاً عند البعث على التفسير المتقدم ويراد حينئذ بالجنة جنة الخلود

(وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) استفهام بمعنى النفي: أي لا ينفعه تذكره ذلك (يَقُولُ) مع تذكره (يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي قَدَّمْتُ) الخير والإيمان (لِحَيَاتِي) الطيبة في الآخرة أو وقت حياتي في الدنيا (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ) بكسر الذال (عَذَابَهُ) أي الله (أَحَدٌ) لذي لا يكله إلى غيره (وَ) كذا (لَا يُوثِقُ) بكسر الثاء (وَثَاقَهُ أَحَدٌ) وفي قراءة بفتح الذال والثاء فضمير عذابه ووثاقه للكافر، والمعنى لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل إيثاقه (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) الآمنة، وهي المؤمنة (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ) يقال لها ذلك عند الموت: أي ارجعي إلى أمره وإرادته (رَاضِيَةً) بالثواب (مَرْضِيَّةً) عند الله بعملك: أي جامعة بين الوصفين وهما حالان، ويقال لها في القيامة (فَادْخُلِي فِي) جملة (عِبَادِي) الصالحين (وَادْخُلِي جَنَّتِي) معهم.

وفسروا بذلك قوله تعالى : ولمن خاف مقام ربه جنتان . أي جنة الشهود في الدنيا التي قال فيها العارف ابن الفارض رحمه الله :

أنلنا مع الأحباب رؤيتك التي   إليها قلوب الأولياء تسارع

وجنة الخلود في العقبى وهذا النداء الواقع في الدنيا يسمعه العارفون إما في المنام أو بالإلهام وتقدم تقسيم النفس ومأخذ كل قسم في سورة القيامة .

[سورة البلد مكية] أي بالإجماع (قوله زائدة) هذا أحد احتمالين والآخر أنها نافية لكلام تقدمها وتقدم ذلك (قوله مكة) أي لأنها مهبط الرحمات يجبى إليها ثمرات كل شيء جعلها الله حرما آمنا ومثابة للناس وجعل فيها قبلة أهل الدنيا بأسرها وحرّم فيها الصيد وجعل البيت المعمور بإزائه وغير ذلك من فضائلها ، فلما استجمعت تلك المزايا والفضائل أقسم الله تعالى بها (قوله وأنت حلّ بهذا البلد) جملة حالية جيء بها تسلية له صلى الله عليه وسلم وتعجيلا لمسرته حيث وعده فتح مكة في المستقبل وعبر عنه بالحال لتحقق الوقوع على حد : إنك ميت وإنهم ميتون ، وقد أنجز الله له ذلك فعند مانزع المغفر عنه يوم الفتح جاء رجل فقال يارسول الله ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتلوه فقتله الزبير ، وخص هذا الحال لأن مكة وإن كانت عظيمة في نفسها إلا أنها في تلك الحالة أعظم لانتقال أهلها من الظلمات إلى النور ، وفيه إشارة إلى عظم قدر المصطفى وشرف البقاع به فمكة زادها الله تشريفا بقدومه عليها وهو حلال (قوله فالجملة اعتراض) أي لاتعلق لها بما قبلها ولا بما بعدها قصد بها الاخبار بما سيكون والأحسن جعلها حالية كما علمت لأنه يستفاد منها (٣٠٣) تشريف مكة في تلك الحالة

(سورة البلد)

مكية ، عشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . لَا) زائدة (أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ) مكة (وَأَنْتَ) يا محمد (حِلٌّ) حلال (بِهَٰذَا الْبَلَدِ) بأن يحل لك فتقاتل فيه وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح فالجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه (وَوَالِدٍ) أي آدم (وَمَا وَلَدَ) أي ذريته ، وما بمعنى مَن (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) أي الجنس (فِي كَبَدٍ) نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة (أَيَحْسَبُ) أيظن (الْإِنْسَانُ) قوى قريش وهو أبو الأشد بن كلدة ،

المستلزم زيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم وإكرامه وتعظيمه حيث أحلّ له مالم يحلّ لأحد قبله ولا بعده (قوله ووالد وماولد) أقسم الله بهم لأنهم أعجب خلقه لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الأنبياء والصلحاء ولاسيما أمر الملائكة بالسجود لآدم وتعليمه جميع الاسماء ومامشى عليه المفسر من أن المراد بما ولد ذريته يستفاد منه العموم للصالح والطالح ، وقيل هو قسم بآدم والصالحين من ذريته ، وأما الطالحون فكأنهم ليسوا من أولاده (قوله لقد خلقنا الانسان) هذا هو المقسم عليه (قوله في كبد) بفتحتين المشقة من المكابدة للشيء وهي تحمل المشاق في فعله ، وفي الآية إشارة إلى أنها قد أحاطت به إحاطة الظرف بالمظروف (قوله يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة) وذلك لأنه أول مايكابد قطع سرته ثم إذا قمط قماطا وشدّ عليه يكابد الضيق والتعب ، ثم يكابد الارتضاع ولوفاته لضاع ، ثم يكابد نبت أسنانه وتحريك لسانه ، ثم يكابد الفطام الذي هو أشدّ من اللطام ، ثم يكابد الختان والأوجاع والأحزان ، ثم يكابد تأنيب المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والأستاذ وهيبته ، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه والتزويج ، ثم يكابد شغل الأولاد والخدم والأجناد وملاحظتهم ، ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم ومصائب يكثر تعدادها ونوائب يطول إيرادها من صداع الرأس ووجع الأضراس ورمد العين وغم الدين ، ويكابد محنا في المال والنفس مثل الضرب والحبس ، ولايمضي عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة ويكابد مشقة ، ثم الموت بعد ذلك كله ، ثم سؤال الملكين وضغطة القبر وظلمته ، ثم البعث والعرض على الله تعالى إلى أن يستقر به القرار إما في جنة وإما في نار ، هكذا قرره العلماء (قوله وهو أبو الأشد) بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة وهو بالإفراد في كثير من النسخ تبعا لكثير من المفسرين ، وفي بعض النسخ الأشدين بصيغة التثنية تبعا لبعض المفسرين ولينظر وجهها واسمه أسيد بن كلدة .

(قوله بقوته) الباء سببية ومن قوته أنه كان يجعل الأديم العكاظي تحت قدميه ويقول من أزالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه (قوله أن لن يقدر عليه) أي على بعثه ومجازاته (قوله يقول) أي افتخارا (قوله على عداوة محمد) على بمعنى في (قوله لبدا) بضم اللام وكسرها مع فتح الباء قراءتان سبعيتان جمع لبدة وهو ماتلبد والمراد به الكثرة (قوله أيحسب أن لم يره أحد) استفهام إنكاري (قوله ليس مما يتكثر به) أي يفتخر بكثرته لأنه أنفقه فيما يغضب الله (قوله ألم نجعل له عينين) أي يبصر بهما المرئيات شققناهما له وهو في ظلمة الرحم وقدرنا بياضهما وسوادهما وأودعناهما البصر على كيفية يعجز الخلق عن إدراكها (قوله ولسانا) أي يترجم به عما في ضميره (قوله وشفتين) أي يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك، وفي الحديث «يقول الله تعالى يا ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وإن نازعك بصرك إلى بعض ماحرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وإن نازعك فرجك إلى بعض ماحرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق» (قوله طريقي الخير والشر) وصف مكان الخير بالرفعة والنجدية ظاهر بخلاف الشر فإنه هبوط من ذروة الفطرة إلى حضيض الشقوة ففيه تغليب، والمعنى بينا له أن طريق الخير ينجي وطريق الشر يردي، وسلوك الأول ممدوح والثاني مذموم، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وقال عكرمة النجدان الثديان أي لأنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه (قوله فهلا) أشار بذلك إلى أن لا بمعنى هلا للتحضيض وهو أحد احتمالين والآخر أنها باقية على أصلها للنفي أي لم يشكر على تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة. إن قلت لم أفردت لا مع أنها إذا دخلت على ماض تكرر كقوله تعالى: فلا صدق ولا صلى. أجيب بأنها مكررة في المعنى كأنه قال فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا

بقوته (أَنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) والله قادر عليه (يَقُولُ أَهْلَكْتُ) على عداوة محمد (مَالاً لُبَدًا) كثيرا بعضه على بعض (أَيَحْسَبُ أَنْ) أي أنه (لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ) فيما أنفقه فيعلم قدره والله عالم بقدره وأنه ليس مما يتكثر به ومجازيه على فعله السيء (أَلَمْ نَجْعَلْ) استفهام تقرير أي جعلنا (لَهُ عَيْنَيْنِ. وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ. وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) بينا له طريقي الخير والشر (فَلَا) فهلا (اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) جاوزها (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا الْعَقَبَةُ) التي يقتحمها تعظيم لشأنها والجملة اعتراض وبين سبب جوازها بقوله (فَكُّ رَقَبَةٍ) من الرق بأن أعتقها (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) مجاعة (يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ) قرابة (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) أي لصوق بالتراب لفقره وفي قراءة بدل الفعلين مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقبة وينون الثاني فيقدر قبل العقبة اقتحام والقراءة المذكورة بيانه،

(ثم

(قوله اقتحم العقبة) هي في الأصل الطريق الصعب في الجبل واقتحامها مجاوزتها ثم أطلق على مجاهدة النفس في فعل الطاعات وترك المحرمات، والمراد باقتحامها فعلها وتحصيلها والتلبس بها، إذا علمت ذلك فقول المفسر جاوزها تفسير لاقتحام العقبة لكن باعتبار الأصل وليس مرادا هنا فلو قال أي تلبس بها ودخلها لكان واضحا، أو يقال المراد بالعقبة الطريق التي توصل إلى الجنة فإنه ورد أن بين العبد والجنة سبع عقبات، والمراد باقتحامها مجاوزتها بفعل الطاعات في الدنيا، فمعنى قول المفسر جاوزها: أي فعل أسباب المجاوزة (قوله والجملة اعتراض) أي لبيان العقبة (قوله بأن أعتقها) أي مباشرة وهو ظاهر أو تسببا كشراء القريب (قوله ذي مسغبة) مصدر ميمي بوزن مفعلة من سغب يسغب من باب فرح: جاع، وقيد الاطعام بذلك الوقت لأن إخراج المال فيه أثقل على النفس (قوله ذا مقربة) قيد اليتيم بكونه قريبا لأنه يجتمع حينئذ في الاطعام جهة الصلة والصدقة (قوله أي لصوق بالتراب) أي فهو كناية عن الافتقار (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله مضاف الأول لرقبة) أي من إضافة المصدر إلى مفعوله (قوله فيقدر قبل العقبة) إنما احتيج إلى تقدير هذا المضاف ليطابق المفسر المفسر وذلك لأن المفسر بكسر السين مصدر والمفسر بفتحها وهو العقبة غير مصدر فلو لم يقدر المضاف لكان المصدر وهو فك مفسرا لاسم العين وهي العقبة وذلك غير جائز، وأما القراءة الأولى فالفعل فيها بدل من قوله: اقتحم فلا احتياج لتقدير مضاف.

(قوله ثم كان من الذين آمنوا) آتى بثم إشارة لبعد رتبة الإيمان وعلوها عن رتبة العتق والصدقة (قوله وثم للترتيب الذكرى) أى لأن الايمان هو السابق ولايصح عمل إلا به (قوله بالصبر على الطاعة الخ) أى وعلى ماأصابه من المحن والشدائد (قوله أولئك) مبتدأ وقوله أصحاب الميمنة خبره وأتى باسم الاشارة تنكر بما لهم بأنهم حاضرون عنده فى مقام قربه وكرامته وذكرهم بما يشار به للبعيد تعظيما لهم وإشارة لعلو درجاتهم وارتفاعها (قوله أصحاب الميمنة) أى الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم أولان منزلتهم عن يمين العرش (قوله هم أصحاب المشأمة) ذكرهم بضمير الغيبة إشارة إلى أنهم غائبون عن حضرة قدسه وكرامة أنسه (قوله الشمال) أى لأنهم يأخذون كتبهم بشمالهم ، أولأن منزلتهم عن الشمال (قوله عليهم نار) خبر ثان أومستأنف (قوله بالهمز والواو) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان ، يقال آصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته (قوله مطبقة) أى عليهم تفسير لكل من القراءتين ، والمعنى لايخرجون منها أبدا ولايدخلها روح وريحان .

[سورة والشمس مكية] أقسم الله سبحانه وتعالى بسبعة أشياء إظهارا لعظمة قدرته وانفراده بالألوهية وإشارة إلى كثرة مصالح تلك لأشياء وعموم نفعها (قوله وضحاها) أى وهو وقت ارتفاعها . (٣٠٥) والحاصل أن الضحوة ارتفاع النهار

(ثُمَّ كَانَ) عطف على اقتحم وثم للترتيب الذكرى والمعنى كان وقت الاقتحام (مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا) أوصى بعضهم بعضاً (بِالصَّبْرِ) على الطاعة وعن المعصية (وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) الرحمة على الخلق (أُولَٰئِكَ) الموصوفون بهذه الصفات (أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) اليمين (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) الشمال (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ) بالهمزة والواو بدله : مطبقة .

(سورة والشمس)

مكية ، خمس عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) ضوءها (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) تبعها طالعاً عند غروبها (وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا) بارتفاعه (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا) يغطيها بظلمته وإذا فى الثلاثة لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) بسطها (وَنَفْسٍ) بمعنى نفوس (وَمَا سَوَّاهَا) فى الخلقة ،

والضحى بالضم والقصر فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف (قوله ضوءها) هو أحد أقوال ثلاثة ، وقيل هو النهار كله ، وثالثها هو حر الشمس . وحكمة القسم بذلك أن العالم فى وقت غيبة الشمس عنهم كالأموات فاذا ظهر أثر الصبح صارت الأموات أحياء وتكاملت الحياة وقت الضحوة ، وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها (قوله تبعها) أى ظهر ضوؤه وسلطانه بعد غروبها وخلفها فى انتشار الضياء فلاينافى أنه قد يوجد مصاحبا لها كالليلة الخامسة من الشهر مثلا (قوله طالعا عند غروبها) حال من ضمير تبعها ، والمراد ظهوره بعد غيبتها فى أى وقت من الليل فيشمل أول الشهر وأوسطه وآخره (قوله والنهار إذا جلاها) الضمير المستتر المرفوع إما عائد على النهار أو على الله تعالى والبارز المنصوب إما للشمس أو للظلمة ، والمعنى أظهرها أوكشفها (قوله والليل إذا يغشاها) آتى به مضارعا ولم يقل غشيها مراعاة للفواصل أو إشارة لدوام القسم بهذا الأمر واستمراره شيئا بعد شئ فلم يلتزم فيه صيغة الماضى وأتى به متوسطا إشارة إلى أن ماقبله وما بعده محمول عليه (قوله يغطيها بظلمته) أى فيزيل ضوءها فالنهار يجليها ويظهرها والليل يغطيها ويسترها (قوله لمجرد الظرفية) من إضافة الصفة للموصوف أى الظرفية المجردة عن الشرطية (قوله والعامل فيها فعل القسم) استشكل بأنه يلزم عليه اختلاف العامل والمعمول فى الزمان وذلك لأن فعل القسم إنشاء وزمانه الحال وإذا للاستقبال ، وحينئذ فلايصح عمله فى إذا . أجيب بأن فعل القسم يدل على الحال ما لم يكن مقرونا بظرف يفيد الاستقبال كاذا وإلا فيكون للاستقبال تبعا لمعموله (قوله بسطها) أى على الماء (قوله بمعنى نفوس) أشار بذلك إلى أن التنكير للتكثير (قوله وماسواها فى الخلقة) أى عدلها على هذا القانون المحكم والتركيب المتقن .

(قوله وما فى الثلاثة مصدرية) أى و بناء السماء الخ وحينئذ فالكلام إما على حذف مضاف : أى ورب البناء والطحو والتسوية أو القسم بتلك الأشياء لعظمتها وجلالة قدرها كما تقدم فى القسم بالشمس ونحوه (قوله أو بمعنى من) أى ومن بناها الخ وبه استدل من يجوز وقوعها على آحاد أولى العلم لأن المراد به الله تعالى (قوله فألهمها فجورها وتقواها) الإلهام فى الأصل إلقاء شىء فى القلب بطريق الفيض ينشرح له الصدر ويطمئن ثم أطلق هنا على مطلق التبيين (قوله طريق الخير والشر) لف ونشر مشوش (قوله حذفت منه اللام لطول الكلام) لأن الماضى المثبت المتصرف الذى لم يتقدم معموله عليه إذا وقع جوابا للقسم تلزمه اللام وقد ويجوز الاقتصار على أحدهما عند طول الكلام أو للضرورة (قوله من زكاها الخ) الفاعل ضمير من فى الموضعين ، وقيل ضمير عائد على الله تعالى والتقدير من زكاها الله بالطاعة وقد خاب من دساها الله بالمعصية (قوله وقد خاب من دساها) كرر قد إشارة لمزيد الاعتناء بمضمونها (قوله وأصله دسسها) مأخوذ من التدسيس وهو الاخفاء والمعنى أخمدها وأخفاها بالكفر والمعصية لأن العاصى تذل النواصى (قوله كذبت ثمود) مناسبتها لما قبلها أنه لما أقسم بتلك الأقسام المذكورة على فلاح المطيع وخيبة العاصى ذكر فى تلك القصة المطيع وهو صالح عليه السلام والعاصى وهو قومه (قوله بسبب طغيانها) أشار بذلك إلى أن الباء سببية (قوله إذ انبعث) مطاوع بعث تقول بعثت فلانا على الأمر فانبعث له والباعث لهم على ذلك التكذيب والطغيان (قوله واسمه قدار) أى بوزن غراب ابن سالف وهوأشقى الأولين وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا، وفى الحديث «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلىّ بن أبى طالب : أتدرى من أشقى الأولين ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال عاقر الناقة ، قال أتدرى من أشقى الآخرين ؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال قاتلك» (قوله برضاهم) قال قتادة بلغنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم (قوله فقال لهم) أى بسبب الانبعاث ، والمعنى أنه لما عرف منهم العزم على عقرها قال لهم ماذكر (قوله ناقة الله) الإضافة للتشريف من حيث إنها دالة على توحيد الله بسبب ما فيها من الأمور الغريبة المخالفة للعادة التى لا تمكن من غيره تعالى (قوله أى ذروها) أشار بذلك إلى أن ناقة منصوب على التحذير والكلام على حذف مضاف : أى ذروا عقرها واحذروا سقياها (قوله شربها) بضم الشين وكسرها اسمان و بفتحها مصدر شرب ، والمعنى ومشروبها (قوله ولهم يوم) أى يشربون فيه هم ومواشيهم (قوله فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه (قوله فى قوله ذلك عن الله) دفع بذلك ما يقال إن تحذيرهم من الناقة وسقياها إنشاء والتكذيب من معارض الاخبار ، فأجاب المفسر بأن تكذيبه من حيث نقله عن الله فهو خبر (قوله المرتب عليه نزول العذاب بهم) وذلك أن صالحا قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام ، قالوا وما العلامة على ذلك العذاب ؟ قال تصبحون فى اليوم الأول وكان هو الأربعاء وجوهكم مصفرة ، وفى اليوم الثانى وهو الخميس وجوهكم محمرة ، وفى الثالث وهو الجمعة وجوهكم مسودة ، وفى الرابع وهو السبت يأتيكم العذاب ، فحصل ذلك وتقدم بسطه (قوله فعقروها) أى عقرها قدار فى رجليها فأوقعها فذبحوها واقتسموا لحمها (قوله ماء شربها) أى الماء الذى كانت تشربه (قوله فدمدم أطبق عليهم الخ) أى فهو مأخوذ من الدمدمة وهى إطباق الشىء على الشىء يقال دمدم عليه القبر أطبقه ، والمعنى أهلكهم (قوله فلم يفلت منهم أحد) أى إلا من آمن مع صالح وهم أربعة آلاف .

وما فى الثلاثة مصدرية ، أو بمعنى مَن (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) بيّن لها طريق الخير والشر ، وأخر التقوى رعاية لرءوس الآى ، وجواب القسم (قَدْ أَفْلَحَ) حذفت منه اللام لطول الكلام (مَنْ زَكَّاهَا) طهرها من الذنوب (وَقَدْ خَابَ) خسر (مَنْ دَسَّاهَا) أخفاها بالمعصية وأصله دسسها أبدلت السين الثانية ألفا تخفيفا (كَذَّبَتْ ثَمُودُ) رسولها صالحا (بِطَغْوَاهَا) بسبب طغيانها (إِذِ انْبَعَثَ) أسرع (أَشْقَاهَا) واسمه قدار إلى عقر الناقة برضاهم (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ) صالح (نَاقَةَ اللَّهِ) أى ذروها (وَسُقْيَاهَا) شربها فى يومها وكان لها يوم ولهم يوم (فَكَذَّبُوهُ) فى قوله ذلك عن الله المرتب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه (فَعَقَرُوهَا) قتلوها ليسلم لهم ماء شربها (فَدَمْدَمَ) أطبق (عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ) العذاب (بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا) أى الدمدمة عليهم ، أى عمهم بها فلم يفلت منهم أحد ،

(ولا)

(قوله بالواو والفاء) أى فهما سبعيتان أما الواو فإما للحال أو مستأنفة والفاء للتعقيب (قوله تبعتها) أى عاقبة هلكتهم كما تخاف الملوك عاقبة ماتفعله فهو استعارة تمثيلية لإهانتهم و إذلالهم ويجوز عود الضمير على الرسول : أى أنه لايخاف عاقبة إنذاره لهم لعصمته بالله تعالى ، وقيل الضمير يرجع للعاقر فهو زيادة فى التقبيح عليه .

[سورة الليل مكية] هذه السورة نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى أمية بن خلف ، فالصديق بلغ الغاية فى الإيمان والصدق والكرم ، وأمية بلغ الغاية فى الكفر والكذب والبخل والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله والليل إذا يغشى) أقسم به تعالى لكونه جليلا عظيما تسكن الخلق فيه عن التحرك و يغشاهم النوم الذى هو راحة لأبدانهم (قوله كل مابين السماء والأرض) أشار به إلى أن مفعول يغشى محذوف تقديره كل مابين السماء والأرض ، وقيل تقديره النهار أو الشمس وكل صحيح (قوله والنهار إذا تجلى) أقسم به لأنه مظهر جمال الله إذ به ينكشف ما كان مستورا بظلمة الليل وفيه تتحرك الناس لمعايشهم والطيور من أوكارها والهوام من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لعدمت الراحة فكانت المصلحة فى تعاقبهما (قوله لمجرد الظرفية) أى الظرفية المجردة عن الشرط (قوله والعامل فيها فعل القسم) أى المقدر ويأتى هنا ماتقدم من الاشكال والجواب (قوله بمعنى من) أى فهى اسم موصول ويكون تعالى أقسم بنفسه : أى والقادر على خلق الذكر والأنثى (قوله أو مصدرية) أى وخلق الله الذكر والأنثى أى تعلقت قدرته بخلقهما

(وَلَا) بالواو والفاء (يَخَافُ) تعالى (عُقْبَـٰهَا) تبعتها .

(سورة الليل)

مكية ، إحدى وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ) بظلمته كل ما بين السماء والأرض (وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ) تكشف وظهر و إذا فى الموضعين لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم (وَمَا) بمعنى مَن أو مصدرية (خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ) آدم وحواء ، أو كل ذكر وكل أنثى والخنثى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرا ولا أنثى (إِنَّ سَعْيَكُمْ) عملكم (لَشَتَّىٰ) مختلف ، فعامل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ) حق الله (وَاتَّقَىٰ) الله (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ) أى بلا إله إلا الله فى الموضعين (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ) للجنة (وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ) بحق الله ،

(قوله آدم وحواء) أى فتكون أل للعهد (قوله أو كل ذكر وكل أنثى) أى من جميع المخلوقات فأل للاستغراق ، وقيل كل ذكر وكل أنثى من الآدميين فتكون أل استغراقية استغراقا عرفيا (قوله والخنثى المشكل) مبتدأ وقوله عندنا ظرف لقوله المشكل ، وقوله ذكر الخ خبر وقوله عند الله ظرف لقوله ذكر الخ وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره لم يدخل الخنثى المشكل فى عموم الذكر ولا فى عموم الأنثى فأجاب بما ذكر (قوله فيحنث بتكليمه) أى لأن الله تعالى لم يخلق من ذوى الأرواح من ليس ذكرا ولا أنثى والخنثى إنما هو مشكل بالنسبة إلينا خلافا لمن قال هو نوع ثالث ويرده قوله تعالى ــ يهب لمن يشاء إناثا ــ الآية (قوله إن سعيكم لشتى) جواب القسم وسعيكم مصدر مضاف يفيد العموم فهو جمع فى المعنى و إن كان لفظه مفردا ولذا أخبر عنه بالجمع وهو شتى فهو بمعنى مساعيكم (قوله مختلف) أى متباعد الأبعاض لأنه منقسم إلى ضلال وهدى والضلال أنواع والهدى أنواع ويصح أن المعنى مختلف الجزاء فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار (قوله فأما من أعطى) تفصيل لتلك المساعى المختلفة وتبيين لأحكامها (قوله حق الله الخ) أشار بذلك إلى أن مفعول أعطى واتقى محذوفان لإفادة العموم فيشمل إعطاء حقوق الله فى المال بانفاقه فى وجوه البر والنفس ببذلها فى طاعة الله تعالى وتقوى الله تعالى هى امتثال مأموراته واجتناب منهياته (قوله أى بلا إله إلا الله) أى مع محمد رسول الله ، وقيل المراد بالحسنى الجنة لقوله تعالى ــ الذين أحسنوا الحسنى ــ ومعنى تصديقه بها إيمانه بالبعث والجزاء (قوله فسنيسره لليسرى) التنفيس ليس مرادا لأن التيسير حاصل فى الحال وإنما الاتيان بالسين لتحسين الكلام وترقيقه (قوله الجنة) أى لما ورد « مامن نفس منفوسة إلا كتب الله مكانها من الجنة أو النار ، فقال القوم يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فانه ميسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فانه ميسر

لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ ـ فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى ـ » وقيل معنى اليسرى أسباب الخير والصلاح (قوله واستغنى عن ثوابه) أى تكبرا وعنادا (قوله بالحسنى) أى بالتوحيد أو الجنة (قوله نهيئه) دفع بذلك مايقال إن العسرى لاتيسير فيها . فأجاب بأن المراد بالتيسير التهيئة وهى كما تكون فى اليسر تكون فى العسر ، والمعنى نجرى على يديه عملا يوصله إلى النار (قوله ومايغنى عنه ماله) متعلق بالشق الثانى ، والمعنى إذا هيأناه لعمل النار سقط فيها وهلك ولاينفعه ماله الذى بخل به وتركه لورثته (قوله إذا تردّى) أى سقط (قوله إن علينا للهدى) أى بمقتضى حكمتنا وتعلق قدرتنا و إلا فلا يجب على الله تعالى شىء (قوله لتبيين طريق الهدى الخ) دفع بذلك مايقال إن فى الآية اكتفاء والتقدير إن علينا للهدى والضلال أى تبيين كل منهما و إيضاح جواب المفسر أن المراد بالهدى التبيين ومعموله محذوف والتقدير إن علينا لتبيين طريق الحق من طريق الباطل (قوله فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ) أى فهذه الآية بمعنى قوله تعالى ـ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (قوله تلظى) مرفوع بضمة مقدّرة على الألف للتعذر صفة لنارا (قوله وقرئ) أى شذوذا (قوله لايصلاها) مضارع صلى بكسر اللام والمصدر صليا بضم فكسر مع تشديد الياء (قوله وهذا الحصر مؤوّل) أى مصروف عن ظاهره وقصد المفسر بهذا الكلام الردّ على المرجئة القائلين لايضرّ مع الإيمان ذنب مستدلين بظاهر هذه الآية حيث حصر دخول النار فى الكفار فمقتضاها أن المؤمن لايدخلها ولو فعل الكبائر ، ووجه الرد أن الآية محمولة على الدخول المؤبد فلا ينافى أن عصاة المؤمنين يدخلونها ثم يخرجون منها بالشفاعة ، إذا علمت ذلك تعلم أن كلام المفسر لايلاقى كلام المرجئة فكان عليه أن يقول مؤول بحمل الصلى على التأبيد والخلود وأما قوله لقوله تعالى ـ ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ـ فلا مدخل له فى رد كلام المرجئة إلا أن يقال له مدخل من حيث مفهومه إذ مفهومه لمن يشاء أن من لم يشإ الغفران له لم يغفر له بل يدخله فقال النار (قوله يتزكى) بدل من يؤتى أو حال من فاعله ومشى المفسر على الثانى حيث قال متزكيا (قوله وهذا نزل فى الصديق) الاشارة لقوله وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى (قوله لما اشترى بلالا) أى من سيده وهو أمية بن خلف وكان الصديق رضى الله عنه يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له أبوه أى بنى لوكنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهرى أريد فنزلت الآية. ورد «أنه كان بلال لبعض بنى جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك أحد أحد فمرّ النبى صلى الله عليه وسلم فقال: أحد ينجيك يعنى الله تعالى ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر إن بلالا يعذب فى الله ، فعرف أبو بكر الذى يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى إلى أمية بن خلف فقال له الاتتقى الله فى هذا المسكين ؟ قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى ، فى رواية أنه فداه برطل من ذهب، وفى رواية أنه قال له عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو على دينك فأعطاه له وأخذ بلالا فأعتقه» وقال سعيد بن المسيب : بلغنى أن أمية بن خلف قال لأبى بكر فى بلال حين قال له أتبيعه ؟ قال نعم أبيعه بنسطاس عبد لأبى بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له

(وَٱسْتَغْنَىٰ) عن ثوابه (وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ. فَسَنُيَسِّرُهُ) نهيئه (لِلْعُسْرَىٰ) للنار (وَمَا) نافية (يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ) فى النار (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ) لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال ليمتثل أمرنا بسلوك الأول ونهينا عن ارتكاب الثانى (وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ) أى الدنيا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ (فَأَنذَرْتُكُمْ) خوّفتكم يا أهل مكة (نَارًا تَلَظَّىٰ) بحذف إحدى التاءين من الأصل ، وقرئ بثبوتها : أى تتوقد (لَا يَصْلَىٰهَآ) يدخلها (إِلَّا ٱلْأَشْقَى) بمعنى الشقى (ٱلَّذِى كَذَّبَ) النبى (وَتَوَلَّىٰ) عن الإيمان وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى : ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، فيكون المراد الصلى المؤبد (وَسَيُجَنَّبُهَا) يبعد عنها (ٱلْأَتْقَى) بمعنى التقى (ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ) متزكيا به عند الله تعالى ، بأن يخرجه لله تعالى لارياء ولا سمعة فيكون زاكيا عند الله تعالى. وهذا نزل فى الصدّيق رضى الله تعالى عنه لما اشترى بلالا المعذب على إيمانه وأعتقه ،

فأبى فأبغضه أبو بكر فلما قال أمية أبيعكه بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به وكان قد أعتق قبله ست رقاب: وهم عامر ابن فهيرة شهد بدرا وأحداً وقتل يوم بئرمعونة شهيدا وأعتق أم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت كذبوا وبيت الله ماتضر اللات والعزى وما ينفعان فرد الله تعالى عليها بصرها ، وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة لبنى عبد الدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما يحتطبان لها وهى تقول لهما والله لاأعتقكما أبدا ، فقال أبو بكر كلا يا أم فلان ، فقالت كلاأنت أفسدتهمافأعتقهما ، قال فبكم ؟ قالت بكذاوكذا . قال قد أخذتهما وهما حرتان ، ومر بجارية من بنى المرسل وهى تعذب فابتاعها فأعتقها ، وفى ذلك يقول عمار بن ياسر :

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه عتيقا وأخزى فاكها وأبا جهل
عشية هما فى بلال بسوءة ولم يحذرا مايحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الأنام وقوله شهدت بأن الله ربى على مهل
فان تقتلونى تقتلونى ولم أكن لأشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيارب إبراهيم والعبد يونس وموسى وعيسى نجنى ثم لاتمل
لمن ظل يهوى الغى من آل غالب على غير حق كان منه ولا عدل

(قوله فقال الكفار الخ) المناسب أن يقول ولماقال الكفار إنمافعل ذلك الخ نزل قوله تعالى - وما لأحد - الخ (قوله إنما فعل) أى أبو بكر ، وقوله ذلك : أى شراء بلال وإعتاقه وقوله ليد كانت له : أى نعمة كانت لبلال عند أبى بكر بأن صنع مع أبى بكر معروفا فأحب أبو بكر مكافأته بمافعله معه وقوله فنزل أى تكذيبا للكفار (قوله وما لأحد عنده) أى عند أبى بكر لامن

فقال الكفار إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزل (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا) لكن فعل ذلك (ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى) أى طلب ثواب الله (وَلَسَوْفَ يَرْضَى) بما يعطاه من الثواب فى الجنة ، والآية تشمل من فعل مثل فعله رضى الله تعالى عنه فيبعد عن النار ويثاب .

(سورة والضحى)

مكية ، إحدى عشرة آية

ولما نزلت كبّر صلى الله عليه وسلم آخرها فسن التكبير آخرها ، وروى الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها ، وهو الله أكبر ،

بلال ولاغيره (قوله تجزى) صفة لنعمة : أى يجزى الإنسان بها وأتى به مضارعا مبنيا للمفعول رعاية للفواصل (قوله لكن فعل ذلك الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن ابتغاء وجه ربه ليس من جنس النعمة وهومنصوب على أنه مفعول لأجله (قوله ولسوف يرضى) جواب قسم مقدر : أى والله لسوف يرضى وهو وعد من الكريم تعالى لأبى بكر بنيل جميع ماتمناه على أبلغ رجه وأجله والعامة على بناء يرضى للفاعل وقرئ شذوذا ببنائه للمفعول أى يرضيه الله : أى يعطيه حتى يرضى .

[سورة والضحى مكية] (قوله كبر) أى قال الله أكبر أولا إله إلا الله والله أكبر أولا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد وحكمة تكبيره تذكره عظمة نعمة الله تعالى عليه فشكر ربه على ذلك ولم تشغله النعم عن المنعم (قوله فسن التكبير آخرها) أى أخذا من فعله عليه الصلاة والسلام ومن أمره . واعلم أنه اختلف هل التكبير لأول السورة أولخاتمتها فعلى الأول يكبر بين الليل والضحى وفى أول الناس ولا يكبر فى آخرها وعلى الثانى لا يكبر أول الضحى ويكبر آخر الناس ومنشأ الخلاف أنه كان تكبيره صلى الله عليه وسلم آخر قراءة جبريل وأول قراءته هو صلى الله عليه وسلم . واعلم أيضا أنه يتأتى على القولين المذكورين حال وصل السورة بما بعدها ثمانية أوجه يمتنع منها وجه واحد وهو وصل آخر السورة بالتكبير بالبسملة مع الوقف عليها لئلا يتوهم أن البسملة لآخر السورة والسبعة الباقية جائزة اثنان منها على تقدير أن يكون التكبير لآخر السورة وهما وصل التكبير بآخر السورة التى بعدها والوقف عليه مع وصل البسملة بأول السورة التى بعدها ووصله بآخر السورة والوقف عليه وعلى البسملة فيتقف على كل منهما وقفا مستقلا واثنان منها على تقدير أن يكون لأولها وهما قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة مع الوقف عليها ثم الابتداء بأول السورة وقطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة مع وصلها بأول

السورة ، وثلاثة محتملة للتقديرين وهي وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة وبأول السورة التي بعدها وقطعه عن آخر السورة وعن البسملة مع وصل البسملة بأول السورة وقطعه عن آخر السورة وعن البسملة وقطع البسملة عن أول السورة وهذه الأوجه السبعة تجرى من آخر الضحى إلى آخر الفلق . وأما بين الليل والضحى فيجوز خمسة أوجه فقط الاثنان على تقدير كونه لأول السورة والثلاثة المحتملة وبين الناس والفاتحة يجوز خمسة أيضا الاثنان على تقدير كونه لآخر السور والثلاثة المحتملة (قوله أولا إله إلا الله) هذه هي النسخة الصحيحة وفي بعض النسخ ولا إله إلا الله بالواو وهي بمعنى أو فأفاد المفسر روايتين وبقيت رواية ثالثة وهي الجمع بين التهليل والتكبير والتحميد وعليها العمل (قوله والضحى الخ) قدم الضحى هنا على الليل وفي السورة التي قبلها قدم الليل وذلك لأن في كل مزية تقتضي تقديمه ، فقدم هذا تارة والآخر أخرى فالليل به السكون والهدو ومحل الخلوات والعطايا الربانية والنهار به النور والسعي في المصالح واجتماع الناس أو لأن السورة المتقدمة سورة أبي بكر وهو قد سبق له الكفر فقدم فيها الليل وهذه سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهو محض نور فقدم فيها الضحى . إن قلت ما الحكمة في ذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته . أجيب بأن في ذلك إشارة إلى أن ساعة من النهار توازي جميع الليل كما أن محمدا يوازي جميع الخلق وأيضا الضحى وقت سرور والليل وقت وحشة ففيه إشارة إلى أن سرور الدنيا أقل من شرورها (قوله أو كله) أي وعليه ففيه مجاز من إطلاق الجزء على الكل (قوله إذا سجى) إذا لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم المقدر كما تقدم نظيره (قوله غطى بظلامه) أي كل شيء (قوله أو سكن) إسناد السكون له مجاز عقلي والمعنى سكن أهله من من إسناد الشيء لزمانه (قوله ماودعك) بالتشديد في قراءة العامة من التوديع وهو في الأصل مفارقة المحبوب مع التألم أطلق وأريد منه مطلق الترك بدليل القراءة

الشاذة بالتخفيف من الودع وهو الترك (قوله وماقلى) مضارعه من باب ضرب وقتل (قوله نزل هذا الخ) اختلف في سبب نزول هذه الآية على أربعة أقوال: الأول ماروى أنه صلى الله عليه وسلم اشتكى ليلتين أو ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبي لهب وقالت يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا فنزلت. الثاني أنه أبطأ الوحي حتى شق عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو وأنزل عليه الآية. الثالث ماروى أن خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحي فقال صلى الله عليه وسلم «ياخولة ماحدث في بيتي إن جبريل لا يأتيني قالت خولة فكنست فأهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال ياخولة دثريني فلما نزل جبريل عليه سأله النبي عن التأخر فقال أماعلمت أنا لاندخل بيتا فيه كلب ولا صورة. الرابع ماروى أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف فقال صلى الله عليه وسلم سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحي إلى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وأخبره بما سئل عنه ونزلت هذه الآية (قوله خمسة عشر يوما) هذا قول ابن عباس وقال ابن جريج اثنى عشر يوما وقال مقاتل أربعون يوما وروى أنه لما جاءه جبريل قال له ماجئت حتى اشتقت إليك فقال جبريل إني كنت إليك أشوق ولكني عبد مأمور وأنزل عليه وما نتنزل إلا بأمر ربك (قوله وللآخرة) اللام للابتداء مؤكدة لمضمون الجملة (قوله خير لك) إنما قيد بقوله لك لأنها ليست خيرا لكل أحد بل الناس على أربعة أقسام: منهم من له الخير في الدارين وهم أهل الطاعة الأغنياء، ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء، ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الآخرة وهم الكفرة الأغنياء ومنهم من له صورة شر في الدنيا وخير في الآخرة وهم الفقراء المؤمنون . قال بعض أهل الاشارات في الآية إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم دائما يترقى في الكمالات إلى غير نهاية فمقامه في المستقبل أعلى منه في الماضي ، وهكذا ويدل لذلك أيضا قوله في الحديث «إني ليغان على قلبي فأستغفر الله

أو لا إله إلا الله والله أكبر (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالضُّحَى) أي أول النهار أو كله (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) غطى بظلامه أو سكن (مَا وَدَّعَكَ) تركك يا محمد (رَبُّكَ وَمَا قَلَى) أبغضك ، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوما إن ربه ودعه وقلاه (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ) لما فيها من الكرامات لك (مِنَ الْأُولَى) الدنيا ، (ولسوف

فى اليوم سبعين مرة » فاستغفاره لكونه ارتقى مقاما أعلى من الأول ، فرأى أن الذى انتقل منه بالنسبة للذى انتقل إليه ذنبا (قوله ولسوف يعطيك ربك فى الآخرة) للناسب أن تبقى الآية على عمومها لأن إعطاءه حتى يرضى ليس قاصرا على الآخرة بل عام فى الدنيا والآخرة فهو وعد شامل لما أعطاه له من كمال النفس وظهور الأمر و إعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعلم كنهه سواه تعالى وقيل عطاؤه هو الشفاعة وقيل يعطيك ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك وفيها مايليق بها والحق التعميم بما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى (قوله وواحد من أمتى) أى الموحدين فالمراد أمة الاجابة وقد أشار لذلك بعض العارفين بقوله :

قرأنا فى الضحى ولسوف يعطى ... فسر قلوبنا ذاك العطاء
وحاشا يارسول الله ترضى ... وفينا من يعذب أو يساء

(قوله ألم يجدك يتيما الخ) القصد من هذا تسليته صلى الله عليه وسلم ليزداد شكرا وصبرا والوجود بمعنى العلم فيتيما مفعول ثان والكاف مفعوله الأول (قوله استفهام تقريرى) أى بما بعد النفى (قوله بفقد أبيك) مصدر مضاف لمفعوله (قوله قبل ولادتك) أى بعد حمله بشهرين وقيل قبل ولادته بشهرين ، وقوله أو بعدها أى وعليه فقيل بشهرين وقيل بسبعة وقيل بتسعة أشهر وقيل بثمانية وعشرين شهرا والصحيح الأول وكانت وفاته بالمدينة الشريفة ودفن فى دار التابعة وقيل دفن بالأبواء قرية من أعمال الفرع وتوفيت أمه وهو ابن أربع سنين وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وقيل تسع وقيل اثنتى عشرة سنة وشهر وعشرة أيام وكانت وفاتها بالأبواء وقيل بالحجون ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب لأنه كان شقيق أبيه ، « وورد أنه لما مات أبواه قالت الملائكة بقى نبيك يتيما فقال الله تعالى: أنا له كافل» وسئل بعض العلماء لم يتم صلى الله عليه وسلم فقال لئلا يكون لمخلوق عليه منة فيتمه صلى الله عليه وسلم كمال ولذا قال البوصيرى:

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة ... فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ) فى الآخرة من الخيرات عطاء جزيلا (فَتَرْضَى) به ، فقال صلى الله عليه وسلم : إذن لا أرضى وواحد من أمتى فى النار ، إلى هنا تم جواب القسم بمثبتين بعد منفيين (أَلَمْ يَجِدْكَ) استفهام تقرير أى وجدك (يَتِيماً) بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها (فَآوَى) بأن ضمك إلى عمك أبى طالب (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ) عما أنت عليه الآن من الشريعة (فَهَدَى) أى هداك إليها (وَوَجَدَكَ

(قوله فآوى) العامة على قراءته بألف بعد الهمزة رباعيا من آواه يؤويه وأصله أأوى بهمزتين الاولى مفتوحة والثانية ساكنة أبدلت الثانية ألفا ومصدره الايواء كالاكرام وهو متعد باتفاق وقرئ شذوذا بغير ألف ثلاثيا كرمى ومصدره إواء بوزن كتاب وأوى بوزن فعول بالضم واوى بوزن ضرب وهو يستعمل لازما ومتعديا (قوله بأن ضمك إلى عمك أبى طالب) أى بعد وفاة جدك عبدالمطلب وقيل هو من قولهم درة يتيمة ، والمعنى ألم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك إليه وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته (قوله ووجدك ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة) أى وجدك خاليا من الشريعة فهداك بانزالها إليك والمراد بضلاله كونه من غير شريعة وليس المراد به الانحراف عن الحق لكونه مستحيلا عليه قبل النبوة و بعدها فهذا كقوله تعالى : ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وما ذكره المفسر أحد أقوال فى تفسير الآية وقيل الضلال بمعنى الغفلة قال تعالى و إن كنت من قبله لمن الغافلين وهو قريب من الأول وقيل وجدك ضالا أى فى قوم ضلال فهداهم الله تعالى بك وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها ، وقيل ناسيا شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فذكرت وقيل وجدك طالبا للقبلة فهداك إليها قال تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء الآية فيكون الضلال بمعنى الطلب والحب قال تعالى إنك لفى ضلالك القديم أى محبتك ،وقيل إن حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيئا لك يابطحاء مكة اليوم يرد الله اليك النور والبهاء والجمال قالت فوضعته لأصلح شأنى فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم أره فقلت يامعشر الناس أين الصبى فقالوا لم نر شيئا فصحت واحمداه فاذا شيخ فان يتوكأ على عصاه فقال اذهبى إلى الصنم الأعظم فان شاء أن يرده إليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل رأسه ، وقال يارب لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم أن ابنها قد ضل فرده إن شئت فانكب على وجهه وتساقطت الأصنام وقالت إليك عنا أيها الشيخ فهلاكنا على يد محمد فألقى الشيخ عصاه وارتعد وقال إن لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل فانحشرت قريش

إلى عبد المطلب وطلبوه فى جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع إلى الله تعالى أن يرده فسمعوا مناديا ينادى من السماء معاشر الناس لاتضجوا فإن لمحمد ربا لايخذله ولايضيعه وإن محمدا بوادى تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبى صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالأغصان وبالورق ، وفى رواية مازال عبد المطلب يردد البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو يقول ألا تدرى ماذا جرى من ابنك فقال عبد المطلب ولم فقال إنى أنخت الناقة وأركبته خلفى فأبت الناقة أن تقوم فلما أركبته أمامى قامت الناقة قال ابن عباس رده الله تعالى إلى جده بيد عدوه كما فعل بموسى عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقيل إنه عليه السلام خرج مع عمه أبى طالب فى قافلة ميسرة عند خديجة ، فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة ناقة فجاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة ورده إلى القافلة (قوله عائلا) هذه قراءة العامة يقال عال زيد أى افتقر وأعال كثرت عياله وقرئ شذوذا عيلا بكسر الياء المشددة (قوله بما قنعك به) أى بما رضاك به وقوله من الغنيمة أى وإن كانت لم تحصل إلا بعد نزول هذه السورة لكن لما كان الجهاد معلوم الوقوع كان كالواقع، وقيل أغناك بمال خديجة وتربية أبى طالب ولما اختل ذلك أغناه بمال أبى بكر ولما اختل ذلك أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم لما روى «جعل رزقى تحت ظل سيفى ورمحى» (قوله وغيرها) أى كمال خديجة ومال أبى بكر وباعانة الأنصار

حين الهجرة (قوله عن كثرة العرض) بفتحتين المال وفى الحديث «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه» (قوله فأما اليتيم) منصوب بتقهر وهذا مفرع على قوله ألم يجدك يتيما فآوى فالمعنى اصنع من عبادى كما صنعت معك (قوله بأخذ ماله) أى كما كانت العرب تفعل فى أموال

عَائِلاً) فقيراً (فَأَغْنَى) أغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها وفى الحديث «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) بأخذ ماله أو غير ذلك (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) تزجره لفقره (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ) عليك بالنبوة وغيرها (فَحَدِّثْ) أخبر ، وحذف ضميره صلى الله عليه وسلم فى بعض الأفعال رعاية للفواصل .

(سورة ألم نشرح)

مكية ، ثمان آيات

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . أَلَمْ نَشْرَحْ) استفهام تقرير ، أى

اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال «خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ، ثم قال بأصبعيه أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وهو يشير بأصبعيه» (قوله أو غير ذلك) أى كاذلاله واحتقاره (قوله وأما السائل) منصوب بتنهر والمعنى إما أن تطعمه أوترده برفق ، وقيل المراد بالسائل مايشمل طالب العلم فيكرمه وينصفه ولا يعبس فى وجهه ولا يتلقاه بمكروه وهذا العموم أولى وهو مفرع على قوله ووجدك عائلا فأغنى ، والمعنى أغن عبادى وأعطهم كما أغنيتك وأعطيتك (قوله وأما بنعمة ربك الخ) هذا عام وإنما أخر حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل لأنهما محتاجان والله هو الغنى وتقديم المحتاج أولى ولأن المقصود من جميع الطاعات استغراق القلب فى ذكر الله تعالى وشكره فختمت به للعموم (قوله فحدث) أى بالنعمة لأن التحدث بها هو شكرها والتحدث بالنعمة جائز لغيره صلى الله عليه وسلم إذا قصد به الشكر وأن يقتدى به غيره وأمن على نفسه الغرور والكبر قال الحسن ابن على رضى الله عنهما : إذا عملت خيرا فحدث به إخوانك ليقتدوا بك وورد «أن شخصا كان جالسا عنده صلى الله عليه وسلم فرآه رث الثياب فقال له ألك مال قال نعم فقال له إذا آتاك الله مالا فليرأثره عليك» وورد «إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده» وقوله بالنبوة وغيرها أى من العلوم والقرآن وسائر عطاياه التى لاتتناهى وقد فعل صلى الله عليه وسلم فحدث بما أعطاه ربه به من النعم فبلغ القرآن ونشر العلوم وأعطى حقوق ربه عز وجل (قوله فى بعض الأفعال) أى وهو فآوى فهدى فأغنى والأصل فآواك فهداك فأغناك [سورة ألم نشرح مكية] أى فى قول الجمهور وقال ابن عباس إنها مدنية (قوله استفهام تقرير) أى وهو حمل المخاطب على

على الاقرار بما بعد النفي لأن الاستفهام إذا دخل على منفي قرره فصار معناه قد شرحنا ولذلك عطف عليه الماضي وليس معناه الانشاء حتى يقال يلزم عليه عطف الخبر على الانشاء فيما لامحل له من الاعراب وهو مردود أو ضعيف بل المراد لازمه وهو الاخبار بشرح الصدر وما بعده فهذه السورة من جملة النعم التي أمر بالتحدث بها في السورة قبلها (قوله أى شرحنا) الشرح في الأصل بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم بسطته وشققته والمراد هنا توسعة الصدر بالنور الالهي ليسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فصار مهبط الرحمات ومنبع البركات (قوله بالنبوة وغيرها) روى «أن جبريل عليه السلام أتاه وهو عند مرضعته حليمة وهو ابن ثلاث سنين أو أربع فشق صدره وأخرج قلبه وغسله ونقاه وملأه علما وإيمانا ثم رده في صدره» وحكمة ذلك لينشأ على أكمل حال ولا يعبث كالأطفال وشق أيضا عند بلوغه عشر سنين ليأتي عليه البلوغ وهو على أجمل الأخلاق وأطيبها وعند البعثة ليتحمل القرآن والعلوم وليلة الاسراء ليتهيأ لملاقاة أهل الملإ الأعلى ومناجاة الحق جل جلاله ومشاهدته وتلقيه عنه فمرات الشق أربع زيادة في تنظيفه وتطهيره ليكون كاملا مكملا لايعلم قدره غير ربه والحكمة في قوله لك ولم يقل ألم نشرح صدرك التنبيه على أن منافع الرسالة عائدة عليه صلى الله عليه وسلم لا لغرض يعود عليه، تعالى الله عن الأغراض والعلل (قوله ووضعنا عنك وزرك) معطوف على مدلول الجملة السابقة كأنه قال قد شرحنا لك صدرك ووضعنا، وعنك متعلق بوضعنا وقدمه على المفعول الصريح تعجيلا للمسرة وتشويقا إلى المؤخر (قوله الذى أنقض ظهرك) الانقاض في الأصل الصوت الخفي الذى يسمع من الرحل فوق البعير من شدة الحمل والمراد لازمه وهو الثقل (قوله وهذا كقوله تعالى ليغفرلك الخ) أى فهو مصروف عن ظاهره فيجاب عنه بأجوبة: منها أن المراد وضعنا عنك وزر أمتك وإنما أضافها إليه لاشتغال قلبه بها قال تعالى ـ عزيز عليه ماعنتم ـ فأوزار أمته قبل إسلامهم موضوعة عنهم بالاسلام فلا يؤاخذون بها لأن الاسلام يجب ماقبله.

أى شرحنا (لَكَ) يامحمد (صَدْرَكَ) بالنبوة وغيرها (وَوَضَعْنَا) حططنا (عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِى أَنْقَضَ) اى أثقل (ظَهْرَكَ) وهذا كقوله تعالى: ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) بأن تذكر مع ذكرى فى الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ) الشدة (يُسْرًا) سهولة،

و بعد الاسلام توضع عنهم بالتوبة أو بشفاعته صلى الله عليه وسلم لمن مات مصرا، ومنها أن المراد وضعنا عنك أثقال النبوة والتبليغ وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان فى ابتداء البعثة يشق عليه الامر ويقول اخاف ان لا أقوم بحق الدعوة فوضعه الله عنه، ومنها أن المراد بالوزر خلاف الأولى فكان إذا ارتكبه وعاتبه الله عليه ثقل ذلك الأمر عليه وشق، وتسميته وزرا بالنسبة لمقامه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين كاذنه للمنافقين فى التخلف حين اعتذروا وأخذه الفداء من أسارى بدر ونحو ذلك، ومنها أن المراد بالوضع العصمة فالمعنى عصمناك من الوزر ابتداء وانتهاء فلم نقدر عليك وزرا أصلا وكل من هذه الأجوبة صحيح ولا مانع من حمل الآية على الجميع (قوله ورفعنا لك ذكرك) أى أعلناه فذكرناك فى الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك ولادين إلا ودينك يظهر عليه وأخذنا على الأنبياء العهد إن ظهرت وأحدهم حى ليؤمنن بك ولينصرنك وهم يأخذون على أممهم ذلك العهد كما تقدم فى قوله تعالى ـ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ـ الآية، وفى هذا المعنى، قال البوصيرى:

ما مضت فترة من الرسل إلا بشرت قومها بك الأنبياء

والحكمة فى زيادة لك ماسبق من أن رفع الذكر عائد ثمرته عليه لالغرض يعود عليه تعالى (قوله والخطبة) أى على المنابر وخطبة النكاح (قوله وغيرها) أى كيوم الفطر والأضحى ويوم عرفة وأيام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة ومشارق الأرض ومغاربها ولو أن رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شىء ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشىء وكان كافرا (قوله فإن مع العسر يسرا) مع بمعنى بعد وعبر بها إشارة إلى أن اليسر يجىء عقب العسر بسرعة كأنه مقارن له زيادة فى التسلية وتقوية القلوب وأل فى العسر الأول للجنس وفى الثانى للعهد الذكرى ولذلك ورد فى الحديث لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام «أبشروا قد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين» وورد «لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين» (قوله الشدة) أى المشاق التى تحصل للشخص فى الدنيا او الآخرة

وقوله مهولة أى تحصل له فى الدنيا أو الآخرة والتنكير فى يسرا للتفخيم والتعظيم (قوله إن مع العسر يسرا) جرت عادة العرب أنها إذا ذكرت اسما معرفا ثم أعادته كان الثانى هو الأول وإذا ذكرت اسما نكرة ثم أعادته كان الثانى غير الأول فجاء القرآن على أسلوبهم ففيه إشارة إلى أن اليسر غالب على العسر ووجه ذلك أن العسر الذى يصيب المؤمن فى الدنيا لابد له من يسر فى الدنيا ويسر فى الآخرة فيسر الدنيا ماذكره فى الآية الأولى ويسر الآخرة ماذكره فى الآية الثانية ومعلوم أن يسر الآخرة دائم أبدا غير زائل ففى غلبة العسر لليسرين إنما هو بالنسبة ليسر الدنيا وأما الآخرة فليس للمؤمن إلا اليسر فتدبر قال بعض الشعراء فى هذا المعنى :

فلا تيأس إذا أعسرت يوما ... فقد أيسرت فى دهر طويل
فلا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل
فإن العسر يتبعه يسار ... وقول الله أصدق كل قيل

(قوله فإذا فرغت من الصلاة الخ) ماذكره المفسر أحد أقوال ، وقيل إذا فرغت من دنياك فصل ، وقيل إذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل ، وقيل إذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك ، وقيل إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب استغفر لذنبك وللمؤمنين والحمل على العموم أولى قال عمر بن الخطاب : إنى أكره أن أرى أحدكم فارغا لا فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة وفى الحديث «إن الله يكره العبد البطال» (قوله وإلى ربك فارغب) أى اجعل رغبتك إلى ربك الذى أحسن إليك بفضائل النعم فى جميع أحوالك لا إلى أحد (٣١٤) سواه فالمطلوب من الشخص أن يرى ساعيا فى حسنة لمعاده أو درهم لمعاشه ويكون أكبر همه الآخرة .

(إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) والنبى صلى الله عليه وسلم قاسى من الكفار شدة ثم حصل له اليسر بنصره عليهم (فَإِذَا فَرَغْتَ) من الصلاة (فَانْصَبْ) اتعب فى الدعاء (وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) تضرع .

(سورة والتين)

مكية أو مدنية، ثمان آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) أى المأكولين ، أو جبلين بالشام ينبتان المأكولين (وَطُورِ سِينِينَ) الجبل

[فائدة] ذكر بعض الصالحين خواص لهذه السورة منها أن من كتبها فى إناء من زجاج ومحاها بماء ورد وشربها يزول عنه الهم والحزن وضيق الصدر وتكتب فى مطلق إناء وتمحى بماء وتشرب للحفظ والفهم ومن لازمها عقب الصلوات الخمس عشر مرات حصل له التيسير فى الرزق والتوفيق فى العبادة ، ولقضاء ما أهم العبد يصلى ركعتين ويجلس مستقبلا على طهارة ويقرؤها عدة حروفها مائة وثلاثة ثم يدعو بما أهمه يستجاب له إن شاء الله تعالى وهو مجرب صحيح .

[سورة والتين مكية] أى فى قول الجمهور وقوله أو مدنية أى فى قول ابن عباس وقتادة (قوله والتين والزيتون الخ) أقسم سبحانه وتعالى بأقسام أربعة على مقسم واحد تعظيما للمقسم به وغرابة المقسم عليه (قوله أى المأكولين) هو قول ابن عباس وخص التين لأنه فاكهة وغذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم . ومن خواصه أنه طعام لطيف سريع الانهضام لا يمكث فى المعدة يخرج رشحا ويلين الطبع ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما فى المثانة من الرمل وهو مرض يستولى على مقر البول فيحجز الماء عن الخروج بأجزاء دقيقة كالرمل يعسر معها البول ويتأذى به الانسان فاذا زاد صار حصاة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن ويقطع البواسير ويطول الشعر وهو أمان من الفالج ومن أكلها مناما نال مالا ورزقه الله أولادا وقد تستر آدم بورق التين حين خرج من الجنة وأما الزيتون فهو من شجرة مباركة فيه إدام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته فى أغلب البلاد ولا يحتاج إلى خدمة وتربية ويثبت فى الأرض ألوفا من السنين ومن رأى ورق الزيتون فى المنام استمسك بالعروة الوثقى (قوله أو جبلين بالشام) ماذكره المفسر قولان من أقوال كثيرة فى المراد بالتين والزيتون ، ومنها أن التين مسجد نوح عليه السلام الذى بنى على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس ، ومنها أن التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى ، ومنها أن التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ومنها غير ذلك .

(قوله الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى) أى وهو جبل عظيم فيه عيون وأشجار . إن قلت كيف ذلك مع قوله تعالى ـ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ـ المقتضى أنه دك ولم يبق له أثر . أجيب بأنه متسع والذى دك منه قطعة منه ، وتخصيصه لكونه مباركا تشرف بتكليم موسى ربه عليه (قوله ومعنى سينين المبارك) أى فهو من إضافة الموصوف لصفته وسينين يجوز أن يعرب بالحركات الثلاث على النون مع لزومه الياء فى أحواله كلها ويكون ممنوعا من الصرف للعلمية والعجمة لأنه علم على البقعة أو الأرض وأن يعرب كجمع المذكر السالم بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرا (قوله لأمن الناس فيها) أى فلا ينفر صيده ولا يقطع شجره (قوله الجنس) أى الماهية من حيث هى الشاملة للمؤمن والكافر (قوله فى أحسن تقويم) أى فى أعدل قامة وأحسن صورة يتناول مأكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والنطق والأدب (قوله فى بعض أفراده) أشار بذلك إلى أن فى الآية استخداما حيث ذكر الانسان أولا بمعنى وهو الجنس ثم أعاد الضمير عليه بمعنى آخر وهو الانسان بمعنى بعض أفراده (قوله أسفل سافلين) السافلون هم الصغار والزمنى والأطفال فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء لأنه لايستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وثقله على أهله وجيرانه (قوله كناية عن الهرم والضعف) أى فالمعنى

الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى ، ومعنى سينين المبارك أو الحسن بالأشجار المثمرة (وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) مكة لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاما (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) الجنس (فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) تعديل لصورته (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ) فى بعض أفراده (أَسْفَلَ سَافِلِينَ) كناية عن الهرم والضعف فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب ويكون له أجره لقوله تعالى (إِلَّا) أى لكن (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) غير مقطوع وفى الحديث «إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز عن العمل كتب له ما كان يعمل» (فَمَا يُكَذِّبُكَ) أيها الكافر (بَعْدُ) أى بعد ما ذكر من خلق الإنسان فى صورة ثم رده إلى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث (بِالدِّينِ) بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب أى ما يجعلك مكذبا بذلك ولا جاعل له (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) أى هو أقضى القاضين ، وحكمه بالجزاء من ذلك وفى الحديث «من قرأ والتين إلى آخرها فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»

ثم جعلناه ضعيفا هرما فهو بمعنى : ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ، ومن نعمره ننكسه فى الخلق ، وما ذكره المفسر أحد قولين فى المراد بالرد إلى أسفل سافلين والآخر أن المراد رددناه إلى النار لأنها دركات بعضها أسفل من بعض (قوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) مشى المفسر على أن الاستثناء منقطع وحينئذ فيكون المعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا يكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها إلى أيام الشيخوخة والهرم والضعف فإنه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذى كانوا يعملونه فى حال الشباب والصحة وأما على القول الآخر فالاستثناء متصل ويكون المعنى رددناه أسفل ممن سفل خلقا وتركيبا حسنا ومعنى وهم أهل النار إلا الذين آمنوا الخ فيكون بمعنى قوله تعالى ـ إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا ـ (قوله غير مقطوع) أى ولا يمن به عليهم (قوله من الكبر مايعجز) من تعليلية وما مفعول به واقعة على زمان ، والمعنى إذا بلغ المؤمن سبب الكبر زمانا يعجز فيه عن العمل ، وفى بعض النسخ ما يعجزه ، وحينئذ فيكون من الكبر بيان لما مقدما عليه ، والمعنى إذا بلغ المؤمن كبرا يعجزه عن العمل (قوله فما يكذبك الخ) الاستفهام إنكارى والخطاب للانسان الكافر بطريق الالتفات ، والمعنى فما الذى يحملك أيها الانسان على التكذيب بالبعث : أى أى سبب يحملك على التكذيب فى الكلام تعجب وتعجيب ، وذلك أنه تعالى لما قرر أنه خلق الانسان فى أحسن تقويم ثم رده إلى أرذل العمر دل على كمال قدرته على الانشاء والاعادة فسأل بعد ذلك عن تكذيب الانسان بالجزاء لأن ما يتعجب منه يخفى سببه وهذا ما مشى عليه المفسر ، وقيل إن ما بمعنى من والخطاب له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول الصادق المصدق بما جئت به من الحق بعد ظهور الدلائل القطعية على تصديقك (قوله وحكمه بالجزاء) مبتدأ وقوله من ذلك : أى من جملة قضائه خبره .

[سورة اقرأ] وفى نسخة سورة العلق وفى أخرى سورة القلم فأسماؤها ثلاثة (قوله أول مانزل من القرآن) أى ثم بعده ن والقلم ثم المزمل ثم المدثر هكذا قال الخازن ولكن المشهور عن غيره أن أول مانزل بعد اقرأ سورة المدثر. واختلف السلف فى ترتيب سور القرآن، والصحيح أن اختلافهم كان قبل عرض القرآن على جبريل فى المرة الأخيرة ومن يوم العرض المذكور رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن على ما هو عليه الآن. عن ابن وهب قال سمعت مالكا يقول: إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذكر ابن الأنبارى فى كتابه الرد أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا ثم فرقه على النبى صلى الله عليه وسلم فى عشرين سنة، وكانت السورة تنزل فى أمر يحدث والآية تنزل جوابا لمستخبر يسأل و يوقف جبريل النبى صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية، فانتظام السور كانتظام الآيات والحروف فكله عن رسول الله خاتم النبيين عن رب العالمين، فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات ولا حجة على أهل الحق فى تقديم البقرة على الأنعام، والأنعام نزلت قبل البقرة لأن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ عنه هذا الترتيب وهو كان يقول ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن، وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات انتهى. إن قلت حيث كان الجمع والترتيب من رسول الله فما معنى قولهم إن عثمان بن عفان جامع القرآن؟ فالجواب أن النبى صلى الله عليه وسلم روى عنه القرآن وترتيبه حفظا لاوضعا فى المصاحف وعثمان جمعه فى الصحف على طبق الحفظ المروى عن رسول الله، فان المحفوظ كان مفرقا فى صدور الرجال وفى صحائف غير كاملة فليفهم هذا المقام (قوله رواه البخارى) أى وعبارته عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء و يتحنث فيه الليالى ذوات العدد

(سورة اقرأ)

مكية، تسع عشرة آية

صدرها إلى مالم يعلم أول مانزل من القرآن وذلك بغار حراء رواه البخارى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. اقْرَأْ﴾ أوجد القراءة مبتدئا ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الذى

ثم يرجع إلى خديجة ويتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال - اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم - حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى، فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله لايخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن عم خديجة، وكان ممن تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى، فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى يا ليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودى و إن يدركنى يومك حيا أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا إلى أن يتردى من رءوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل، فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه فيرجع، فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة الجبل ليلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك (قوله مبتدئا باسم ربك) أى قل باسم الله ثم اقرأ مايوحى إليك فالباء متعلقة بمحذوف حال ومفعول اقرأ محذوف وقيل إن الباء مزيدة والتقدير اقرأ اسم ربك وعبر بالرب تلطفا به صلى الله عليه وسلم و إشارة إلى أنه تعالى كما ربى جسمه يربى

أمته وقرآنه . قال البوصيري في هذا المعنى : سور منه أشبهت صورا منـــا ومثل النظائر النظراء

وإضافة رب إلى كاف الخطاب للتشريف (قوله الذى خلق خلق الانسان) يجوز أن يكون الثانى توكيدا لفظيا نظير قام قام زيد ويجوز أن يكون تفسيرا للأول أبهمه ، ثم فسره تفخيما لخلق الانسان ويجوز أن يكون حذف المعمول من الأول تقديره خلق الخلائق كما قال المفسر وقوله خلق الانسان تخصيص له بالذكر لشرفه (قوله الجنس) أى الصادق بالذكر والأنثى (قوله جمع علقة) أى لأن كل واحد مأخوذ من علقة كما فى الآية الأخرى وأطلق الجمع على العلق تسمحا أو هو جمع لغوى وإلا فعلق اسم جنس جمعى (قوله من الدم الغليظ) أى الذى أصله المنى فأول الأطوار المنى ثم العلقة وهو الدم الغليظ المتجمد ثم المضغة إلى آخر ماذكر الله تعالى فى آية المؤمنون (قوله تأكيد للأول) هذا أحد قولين والآخر أنه تأسيس فالأول معناه اقرأ فى نفسك والثانى معناه اقرأ للتبليغ وتعليم الأمة (قوله الذى لايوازيه كريم) أى لايساويه فضلا عن أن يزيد عليه لأنه تعالى يعطى الشيء من غير عوض ولاغرض وليس ذلك لأحد غيره (قوله حال من ضمير اقرأ) أى فالمعنى اقرأ مايوحى إليك والحال أن ربك الأكرم لاينتظر منك عوضا ولا يخزلك فهو تطمين له صلى الله عليه وسلم حيث خشى على نفسه أن لايقوم بما أمره به ربه (قوله الذى علم) علم ينصب مفعولين وهما محذوفان هنا والتقدير علم الإنسان الخط بالقلم والمفسر قدر الثانى وسكت عن تقدير الأول اتكالا على قوله بعد علم الانسان (قوله الخط) أى الكتابة التى بها تعرف الأمور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع المعظمة لأن بها ضبطت العلوم ودوّنت الحكم وعرف أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين ولا الدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل إلا القلم والخط لكفى فيه (قوله

الذى خلق) الخلائق (خَلَقَ الإنسَانَ) الجنس (مِنْ عَلَقٍ) جمع علقة وهى القطعة اليسيرة من الدم الغليظ (اقْرَأْ) تأكيد للأول (وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ) الذى لايوازيه كريم حال من ضمير اقرأ (الَّذِى عَلَّمَ) الخط (بِالْقَلَمِ) وأول من خط به إدريس عليه السلام (عَلَّمَ الإنْسَانَ) الجنس (مَالَمْ يَعْلَمْ) قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها (كَلَّا) حقا (إنَّ الإنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ) أى نفسه (اسْتَغْنَى) بالمال . نزل فى أبى جهل ورأى علمية واستغنى مفعول ثان وأن رآه مفعول له (إنَّ إلَى رَبِّكَ) يا إنسان (الرُّجْعَى)

بالقلم) قال القرطبي الأقلام ثلاثة فى الأصل القلم الأول الذى خلقه الله تعالى بيده وأمره أن يكتب فى اللوح المحفوظ والثانى قلم الملائكة الذين يكتبون به المقادير والكوائن من اللوح المحفوظ والثالث أقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها إلى مآربهم . وعن عمر قال خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده ؛ ثم قال تعالى لسائر الحيوان كن فكان وهى : القلم والعرش وجنة عدن وآدم عليه السلام (قوله إدريس) وقيل آدم (قوله الجنس) هذا أحد أقوال وقيل المراد به آدم ومصدوق ما الأسماء كلها فهو نظير وعلم آدم الأسماء كلها ، وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله قبل تعليمه) متعلق بالنفى والمعنى علمه الشيء الذى انتفى علمه به قبل أن يعلمه (قوله من الهدى) بيان لما والمراد به الرشد والصواب فى القول والفعل (قوله حقا) هذا مذهب الكسائى ومن تبعه وعليه فكلا مرتبطة بما بعدها لأنه ليس قبلها شيء يقتضى الزجر والردع حتى تكون كلا ردعا له . وقال أبو حيان وصوّبه ابن هشام إنها بمعنى ألا الاستفتاحية لوجود كسر همزة إن بعدها ولو كانت بمعنى حقا لما كسرت إن بعدها لكونها واقعة موقع مفرد فتحصل أن كونها بمعنى حقا صحيح من جهة المعنى إلا أنه يبعده كسر إن فكان المناسب للمفسر أن يجعلها بمعنى ألا الاستفتاحية (قوله أى نفسه) أشار بذلك إلى أن فى رأى ضميرا عائدا على الانسان هو فاعل الرؤية والضمير البارز عائد عليه أيضا مفعوله ورأى هنا قلبية يجوز اتحاد الضميرين متصلين فيها فتقول رأيتنى وظننتنى وقوله استغنى مفعول ثان . والمعنى أن الانسان ليتحقق بالطغيان والكفر من أجل رؤيته نفسه مستغنيا عن الله تعالى (قوله نزل فى أبى جهل) أى والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ، فكل من اعتقد أنه غنى عن ربه طرفة عين فقد تحقق بالطغيان والكفر لأن كل مخلوق مفتقر لخالقه فى حركاته وسكناته (قوله مفعول له) أى لأجله (قوله ياإنسان) أشار بذلك إلى أن الضمير فى ربك عائد على الانسان المتقدم ذكره ففيه التفات من الغيبة للخطاب تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان كأنه قال لاتغتر باستغنائك فإن مرجعك إلى خالقك فكما أغناك هو قادر على إفقارك فلا تعتقد أنك غنى حقيقة ، فلو أعطى العبد الدنيا ومثلها معها وهو فقير إلى ربه فى كل طرفة عين .

أى الرجوع تخويف له فيجازى الطاغى بما يستحقه (أَرَأَيْتَ) فى مواضعها الثلاثة للتعجب (الَّذِى يَنْهَى) هو أبو جهل (عَبْدًا) هو النبى صلى الله عليه وسلم (إِذَا صَلَّى . أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ) أى المنهى (عَلَى الْهُدَى . أَوْ) للتقسيم (أَمَرَ بِالتَّقْوَى . أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ) أى الناهى النبى (وَتَوَلَّى) عن الإيمان (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) ماصدر منه أى يعلمه فيجازيه عليه ، أى اعجب منه يامخاطب من حيث نهيه عن الصلاة ومن حيث إن المنهى على الهدى آمر بالتقوى ومن حيث إن الناهى مكذب متولّ عن الإيمان (كَلَّا) ردع له (لَئِنْ) لام قسم (لَمْ يَنْتَهِ) عما هو عليه من الكفر (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) لنجرّن بناصيته إلى النار (نَاصِيَةٍ) بدل نكرة من معرفة (كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) وصفها بذلك مجاز والمراد صاحبها (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) أى أهل ناديه وهو المجلس ينتدى يتحدّث فيه القوم وكان قال النبى صلى الله عليه وسلم لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة :

لقد

(قوله أى الرجوع) أى من الغنى للفقر ومن العز للذل ومن القوّة للعجز ومن الحياة للممات فلامفرّ من الله (قوله للتعجب) أى التعجيب وهو إيقاع المخاطب فى العجب والخطاب قيل للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقيل لكل من يأتى منه الخطاب واعلم أن أرأيت هنا بمعنى أخبرنى فتتعدّى إلى مفعولين ثانيهما جملة استفهامية وقد ذكرت ثلاث مرات صرّح بعد الثالثة بجملة استفهامية فهى فى موضع المفعول الثانى لتلك الثالثة ومفعولها الأوّل محذوف وهو ضمير يعود على الذى ينهى عبدا وذكر مفعول الأولى الأوّل وهو الاسم الموصول ومفعولها الثانى محذوف وهو جملة استفهامية كالواقعة بعد الثالثة حذف لدلالة المذكور عليه ، وأما الثانيـة فمفعولاها محذوفان لدلالة المفعول الأول من الأول والمفعول الثانى من الثالثة عليـه فتحصل أنه حذف المفعول الثانى من الأولى والمفعولان من الثانية والأول من الثالثة لدلالة المذكور وليس من باب التنازع لأنه يقتضى إضمارا والجمل لاتضمر وإنما الاضمار فى المفردات وجواب الشرط الواقع فى حيز الثانية والثالثة محذوف دل عليـه الجملة الاستفهامية (قوله هو أبوجهل) وذلك أنه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ على رقبته ولأعفرنّ وجهه فى التراب ، قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته ، قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتق بيديه فقيـل له مالك ؟ قال إن بينى وبينه خنـدقا من نار وهؤلاء أجنحة فقال النبى صلى الله عليه وسـلم لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا (قوله عبـدا) لم يقل ينهاك تفخيما لشأنه وتعظيما لقـدره (قوله للتقسيم) المناسب أن يقول بمعنى الواو (قوله إن كذب وتولى) أى دام على التكذيب والتولى (قوله أى يعلمه) تفسير ليرى (قوله ردع له) أى لأبى جهل (قوله لنسفعا) يحتمل أن النون للمتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى أوله وملائـكته ، والسفع القبض على الشىء بشدة والنون فى نسفعا للتوكيد الخفيفة فيوقف عليها بالألف تشبيها لها بالتنوين وتـكتب ألفا اتباعا للوقف وقرىء شذوذا لنسفعن بالنون الثقيلة (قوله بالناصية) هى فى الأصل مقدم الرأس أوشعر المقـدم أطلق وأريد هنا الشخص بتمامه (قوله إلى النار) وقيل فى الدنيا يوم بدر لما ورد : أنه جاءه عبـد الله بن مسعود فوجده طريحا بين الجرحى وبه رمق فخاف أن يكون به قوّة فيؤذيه فوضع الرمح على منخريه من بعيد فطعنه ثم لم يقدر ابن مسعود على الرقى على صدره لضعفه وقصره فارتقى إليه بحيلة فلما رآه أبوجهل قال يارويعى الغنم لقد رقيت مرقى عاليا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولايعلى عليـه ، ثم قال لابن مسعود اقطع رأسى بسيفى هذا لأنه أحدّ وأقطع ، فلما قطع رأسه به لم يقدر على حمله فشق أذنه وجعل فيه خيطا وجرّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل بين يديه يضحك (قوله كاذبة) أى فى قولها وقوله خاطئة أى فى فعلها والخطأ ضد الصواب فى الدين وغيره ، والمراد هنا ارتـكاب خلاف الصواب عن قصـد لقول بعضهم الخاطىء المرتـكب خلاف الصواب عن عمد والمخطىء المرتـكب خلاف الصواب لاعن عمد (قوله أى أهـل ناديه) أشار بذلك إلى أن الـكلام على حذف مضاف لأن النادى هو المجلس الذى يتحدث فيه القوم والمجلس لايدعى فاحتيج لتقدير المضاف ، والمعنى فليدع عشيرته ليستنصر بهم (قوله لما انتهره) أى انتهر النبي صلى الله عليه وسلم أبا جهل وقوله حيث نهاه أى نهى أبوجهل النبىّ صلى الله عليه وسلم .

(قوله لقد علمت مابها) أى بمكة (قوله خيلا جردا) أى قصيرة الشعر وقوله مردا أى شبابا (قوله سندع الزبانية) واحدها زبنية بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه من الزبن وهو الدفع (قوله الغلاظ الشداد) أى وهم خزنة جهنم أرجلهم فى الأرض ورءوسهم فى السماء، سموا زبانية لأنهم يزبنون الكفار أى يدفعونهم فى جهنم (قوله صلّ) أى دم على الصلاة وعبر عنها بالسجود لأنه أفضل أركانها لما فى الحديث «أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد» (قوله واقترب منه) أى من الله ومامشى عليه المفسر من أن المراد بالسجود الصلاة هو المشهور عند جمهور الأئمة. وقال الشافعى: المراد بالسجود سجود التلاوة لما ورد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة «أنه قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إذا السماء انشقت وفى اقرأ باسم ربك سجدتين» فيسنّ السجود عند الشافعى فى هذين الموضعين، ومعنى اقترب تقرّب إلى ربك بطاعته وبالدعاء قال صلى الله عليه وسلم «أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فيه فقمن: أى حقيق أن يستجاب لكم» وكان صلى الله عليه وسلم يكثر فى سجوده البكاء والتضرع.

[سورة القدر مكية] (قوله أومدنية) هذا هو الأرجح، وحكى بعضهم أنها أول مانزل بالمدينة ولعله تكرر نزولها تنبيها على مزيد شرف ليلة القدر (قوله أوست آيات) أى بناء على أن قوله: تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم آية مستقلة (قوله إنا) يؤتى بان لتأكيد الحكم والرد على منكر أوشاك والمخاطبون فيهم ذلك فقد قالوا من تلقاء نفسه وقالوا أساطير الأولين وقالوا تنزلت به الشياطين، فردّ على جميع ذلك بذكر الانزال لا أنه مختلق ولا من أساطير الأولين.

لقد علمت مابها رجل أكثر ناديا منى لأملأن عليك هذا الوادى إن شئت خيلا جردا ورجالا مردا (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه، فى الحديث «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا» (كَلَّا) ردع له (لَا تُطِعْهُ) يا محمد فى ترك الصلاة (وَاسْجُدْ) صلّ لله (وَاقْتَرِبْ) منه بطاعته.

(سورة القدر)

مكية أو مدنية، خمس أو ست آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) أى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ

إن قلت إن المؤمنين يصدقون خبر المولى بلا تأكيد والكافرون يعاندون ولو تعدد التأكيد. أجيب بجوابين الأول بمنع أن الكافرين معاندون مع التأكيد فان عادتهم الانقياد للتأكيدات فربما حصل لهم هداية بسبب ذلك. الثانى على تسليم أنهم يعاندون مع التأكيد فلا نسلم حصر إن فى التأكيد بل قد يؤتى بها ترغيبا فى تلقى الخبر والتنبيه بعظيم قدره وشرف حكمه ونا يحتمل أنها للمتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى إشعارا بتعظيم المنزل والمنزل به ويحتمل أنها للمتكلم ومعه غيره فان الله أنزله وللملائكة لهم مدخلية فى إنزاله، والمعنى إنا وملائكة قدسنا أنزلناه على حد: إنّ الله وملائكته يصلون، والاسناد لله حقيقة إجماعا وللملائكة قيل كذلك وقيل مجاز وعليه فلا مانع من الجمع بين الحقيقة والمجاز، يقال بنى الأمير وعملته المدينة ولا يعترض بالجمع بين القديم والحادث فى ضمير واحد فانه حاصل فى ضمير يصلون: أليس الله بأحكم الحاكمين ونحوه، وأما قوله عليه السلام للخطيب بئس الخطيب لما قال من يطع الله ورسوله فقد اهتدى ومن يعصهما فقد غوى فلأن الخطب محل اطناب وقيل وقف على قوله ومن يعصهما قبل الجواب (قوله أنزلناه). إن قلت الإنزال وصف للأجسام والقرآن عرض لاجسم فكيف يوصف بالانزال؟. أجيب بجوابين: الأول أن الانزال بمعنى الإيحاء وفى الكلام استعارة تبعية حيث شبه الايحاء بالانزال واستعير الايحاء للانزال واشتق من الانزال أنزلنا بمعنى أوحينا. الثانى أن إسناد النزول إليه مجاز عقلى وحقه أن يسند لحامله فالتجوز إما فى الطرف أو الاسناد (قوله أى القرآن) أشار بذلك إلى أن الضمير فى أنزلناه عائد على القرآن. إن قلت إنه لم يتقدم له ذكر. أجيب بأنه اتكل على عظم قدره وشهرة أمره حتى لايحتاج للتصريح (قوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ الخ) أى ثم نزل به جبريل على النبيّ صلى الله عليه وسلم نجوما مفرقة فى مدة عشرين سنة أوثلاث وعشرين سنة، ومعنى إنزاله جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا أن جبريل أملاه على ملائكة سماء الدنيا فكتبوه فى صحف وكانت تلك

الصحف فى محل من تلك السماء يقال له بيت العزة (قوله إلى سماء الدنيا) أى إلى بيت العزة منها وماذكره المفسر من أن المراد إنزال القرآن جملة إلى سماء الدنيا أحد أقوال فى تفسير الآية ، وقيل المعنى ابتدأنا إنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة إن قلت إن البعثة على رأس الأربعين وميلاده كان فى ربيع فكيف يكون مبدأ الوحى فى رمضان فى ليلة القدر ؟ . أجيب بأنه ألغى الكسر أوجبر أوذلك بناء على أن ميلاده فى رمضان وقد قيل به أومبدأ الوحى المنام فى ربيع ومبدأ إنزال القرآن فى رمضان . وحكمة إنزاله من اللوح المحفوظ لى سماء الدنيا ثم إنزاله منها مفرقا ولم ينزله مفرقا من اللوح المحفوظ أن سماء الدنيا مشتركة بين العالم العلوى والسفلى فأنزاله إليها جملة فيه تعجيل لمسرته بنزول جميعه عليه وإنزاله منها مفرقا فيه تأنيس للقلوب وترويح للنفوس وتلطف به صلى الله عليه وسلم و بأمته فلم يفته نزوله جملة ولامفرقا (قوله الشرف والعظم) هذا أحد أقوال ، وقيل القدر بمعنى تقدير الأمور أى إظهارها فى دواوين الملأ الأعلى ، سميت بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها مايشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق وغير ذلك و يسلمه إلى مدبرات الأمور وهم الأربعة الرؤساء جبريل وميكائيل و إسرافيل وعزرائيل وقولنا أى إظهارها فى دواوين الملأ الأعلى يدفع ماأورد إن تقدير الامور أزلى . فان قلت إن تقدير الأمور ليلة النصف من شعبان يجاب بأن ابتداء التقدير ليلة النصف من شعبان وتسليمه للملائكة ليلة القدر ، وقيل القدر بمعنى الضيق من قوله: فقدر عليه رزقه فظن أن لن نقدر عليه لضيق الفضاء بازدحام مواكب الملائكة فيها (قوله ماليلة القدر) أى مامقدار شرفها وليس المراد ماحقيقتها فانها مدة مخصوصة من الزمن (قوله تعظيم لشأنها) أى تفخيم لأمرها . قال سفيان بن عيينة : إن كل مافى القرآن من قوله وماأدراك أعلم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ومافيه ومايدريك لم يعلمه به ، والمراد إعلام الله تعالى فى ذلك السياق نفسه فلاينافى أنه عليه السلام لم يخرج من الدنيا حتى أعلمه الله بكل ماخفى عنه مما يمكن البشر علمه ، وأما التسوية بين علم القديم والحادث فكفر (قوله خير من ألف شهر) أى وهى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر . واختلف فى حكمة ذكر العدد فقيل المقصود مطلق الكثرة ، وقيل إنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٢٠) رجل من بنى إسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله عزوجل

> إلى سماء الدنيا (فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) أى الشرف والعظم (وَمَا أَدْرٰيكَ) أعلمك يا محمد (مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) تعظم لشأنها وتعجيب منه (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)

ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لأمته فقال يارب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا فاعطاه الله ليلة القدر وهى من خصائص هذه الأمة ليس وهى باقية على الصحيح خلافا لمن قال برفعها مستدلا بحديث « خرجت لأعلمكم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت » ورد بأن الذى رفع تعيينها بدليل أن فى آخر الحديث نفسه : وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى العشر الأواخر إذ رفعها بالمرة لاخير فيه ولايتأتى معه التماس . إن قلت الرفع بسبب الملاحاة مقتضى أنه من شؤم الملاحاة فكيف يكون خيرا ؟ . قلت هو كالبلاء الحاصل بشؤم معصية بعض العصاة فاذا تلقى بالرضا والتسليم صار خيرا . إن قلت فما هو الذى فات بشؤم الملاحاة وماهو الخير الذى حصل قلت الفائت معرفة عينها حتى يحصل غاية الجد والاجتهاد فى خصوصها والخير الذى حصل هو الحرص على التماسها حتى يحيى ليالى كثيرة فى الجملة . قالوا أخفى الرب أمورا فى أمور لحكم : ليلة القدر فى الليالى لتحيا جميعها وساعة الاجابة فى الجمعة ليدعو فى جميعها والصلاة الوسطى فى الصلوات ليحافظ على الكل والاسم الاعظم فى أسمائه ليدعى بالجميع ورضاه فى طاعته ليحرص العبد على جميع الطاعات وغضبه فى معاصيه لينزجر عن الكل والولى فى المؤمنين ليحسن الظن بكل منهم ومجىء الساعة فى الأوقات للخوف منها دائما ، وأجل الانسان عنه ليكون دائما على أهبة ، فعلى هذا يحصل ثوابها لمن قامها ولو لم يعلمها ، نعم العالم بها أكمل ، هذا هو الأظهر . واختلفت المذاهب فيها فقال مالك إنها دائرة فى العام كله والغالب كونها فى رمضان والغالب كونها فى العشر الأواخر منه وقال أبوحنيفة والشافعى هى فى رمضان لاتنتقل منه والغالب كونها فى العشر الأواخر واشتهر عن أبى بن كعب وابن عباس وكثير أنها ليلة السابع والعشرين وهى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر التى أعز الله بها الدين وأنزل الله ملائكته فيها مددا للمسلمين وأيده بعضهم بطريق الاشارة بأن عدد كلمات السورة ثلاثون كأيام رمضان ، واتفق أن كلمة هى تمام سبعة وعشرين وطريق آخر فى الاشارة أن حروف ليلة القدر تسعة وقد ذكرت فى السورة ثلاث مرات وثلاثة فى تسعة بسبعة وعشرين . ونقل عن بعض أهل الكشف ضبطها بأول الشهر من أيام الأسبوع فعن أبى الحسن الشاذلى إن كان أوله الأحد فليلة تسع وعشرين أوالاثنين فاحدى وعشرين أو الثلاثا فسبع وعشرين

أو الأربعاء فتسعة عشر أو الخميس فخمس وعشرين أو الجمعة فسبعة عشر أو السبت فثلاث وعشرين . ومنها ماقاله بعضهم :

يا حب الاثنين والجمعة مواعيدك والحد والأربعا دي لتبعيدك بكالى السبت هي ياخميس عيدك كابد ثلاثا ليالي القدر مع سيدك

فإذا كان أول الشهر ، الاثنين أو الجمعة تكون ليلة إحدى وعشرين ورمزه ياحب بالجمل أو الأحد أو الأربعاء فتسع وعشرين ورمزه طي أو السبت فثلاث وعشرين رمز بكا أو الخميس فخمس وعشرين ورمزه هي أو الثلاثاء فسبع وعشرين ورمزه كابد والمشهور فى ألسنة علماء الحديث أن الغالب كونها فى العشر الأواخر وأنها فى الأوتار . قال سيدى أحمد زروق وغيره : لاتفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر ونحوه عن ابن العربى (قوله ليس فيها ليلة قدر) جواب عما يقال إن الألف شهر لابد فيها من ليلة قدر فيلزم عليه تفضيل الشيء على نفسه وغيره (قوله فالعمل الصالح فيها) أى من صلاة ودعاء وتسبيح وغير ذلك (قوله تنزل الملائكة) أصله تتنزل بتاءين حذفت إحداهما تخفيفا كما قال المفسر على حد قول ابن مالك :

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر فيه على تا كتبين العبر

والتاء فى ملائكة لتأنيث الجمع و إذا حذفت امتنع صرفه لصيغة منتهى الجموع وبه يلغز فيقال كلمة إذا حذف من آخرها حرف امتنع صرفها جمع ملك وأصله ملأك ووزنه فعأل فالهمزة زائدة ومادته تدل على الملك والقوة والسلطنة ، وقيل وزنه مفعل فالميم زائدة ، وقيل هو مقلوب وأصله مألك من الألوكة وهى الرسالة قلب قلبا مكانيا فصار ملأك وفى وزنه القولان المتقدمان وعلى كل فيقال سقطت الهمزة فصار ملك والملائكة أجسام نورانية لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة لهم قدرة على التشكلات بالصور غير الخسيسة لايعصون الله ما أمرهم و يفعلون مايؤمرون وعبر بتنزل إشارة إلى أنهم ينزلون طائفة بعد طائفة فينزل فوج ويصعد فوج ، روى «أنه إذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وجبريل عليه السلام ومعه أربعة ألوية فينصب لواء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولواء على ظهر بيت المقدس

ولواء على ظهر المسجد الحرام ولواء على ظهر طورسيناء ولا يدع بيتا فيه مؤمن أو مؤمنة إلا دخله وسلم عليه ويقول يامؤمن أو يامؤمنة السلام يقرئكم

ليس فيها ليلة قدر ، فالعمل الصالح فيها خير منه فى ألف شهر ليست فيها (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ) بحذف إحدى التاءين من الأصل (وَالرُّوحُ) أى جبريل (فِيهَا) فى الليلة (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) بأمره (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) قضاه الله فيها لتلك السنة إلى قابل ومن سببية بمعنى الباء (سَلَامٌ هِيَ)

السلام إلا على مدمن خمر وقاطع رحم وآكل لحم خنزير» وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون و يسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى » وروى « أن الملائكة فى تلك الليلة أكثر من عدد الحصى » (قوله والروح) إما مرفوع بالابتداء والجار بعده خبره أو بالفاعلية عطفا على الملائكة (قوله جبريل) هذا أحد أقوال فى تفسير الروح وعليه فعطف الروح على الملائكة عطف خاص لشرفه ، وقيل الروح نوع مخصوص منهم ، وقيل خلق آخر غير الملائكة ، وقيل أرواح بنى آدم ، وقيل عيسى مع الملائكة ، وقيل ملك عظيم الخلقة تحت العرش ورجلاه فى تخوم الأرض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفى كل رأس ألف وجه وفى كل وجه ألف فم وفى كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد ولكل لسان لغة لا تشبه لغة الآخر فإذا فتح أفواهه بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع سجدا مخافة أن يحرقهم نور أفواهه وإنما يسبح الله تعالى غدوة وعشية فينزل فى ليلة القدر لشرفها وعلو شأنها فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الأفواه كلها إلى طلوع الفجر (قوله فيها) إما متعلق بتنزل أو حال من الملائكة والروح ، وقوله بإذن ربهم إما متعلق بتنزل أو بمحذوف حال أيضا ، والمعنى تنزل الملائكة والروح فيها حال كونهم ملتبسين بإذن ربهم لامن تلقاء أنفسهم (قوله من كل أمر) يحتمل أن من بمعنى باء السببية وعليه درج المفسر ويصح أنها للتعليل متعلق بتنزل : أى تنزل من أجل كل أمر (قوله قضاه الله فيها) أى أراد إظهاره للملائكة هذا هو المراد بالقضاء فيها لا القضاء الأزلى (قوله لتلك السنة) أى مما هو منسوب لتلك السنة من أجل أمر الموت والأجل والرزق وغير ذلك (قوله إلى قابل) متعلق بمحذوف تقديره من تلك الليلة إلى مثلها من قابل (قوله سلام هى) يصح أن يكون ضمير هى عائدا على الملائكة وسلام بمعنى التسليم ، والمعنى أن الملائكة يسلمون على المؤمنين ويصح أن يعود على ليلة القدر وسلام أيضا بمعنى التسليم ، والمعنى أن الليلة ذات تسليم من الملائكة

على المؤمنين لوجل بعضهم بعضا و يصح على هذا الوجه أن يجعل سلام بمعنى سلامة : أى ليلة القدر ذات سلامة من كل شر . قال القرطبي : ليلة القدر سلامة وخير كلها لاشر فيها حتى مطلع الفجر . وقال الضحاك : لايقدر الله فى تلك الليلة إلا السلامة وفى سائر الليالى يقضى بالبلايا والسلامة ، وقيل هى ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان فى مؤمن أومؤمنة (قوله خبر مقدم) أى فيفيد الحصر : أى ماهى إلا سلام وجعلت عين السلام مبالغة على حد زيد عدل وماذكره المفسر هو المشهور وجوز الأخفش رفع سلام بالابتداء وهى بالفاعلية به لأنه لايشترط عنده اعتماد الوصف على نفى أواستفهام (قوله حتى مطلع الفجر) متعلق بتنزل وهو ظاهر أو بسلام وفيه أنه يلزم عليه الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي وهو المبتدأ على إعراب المفسر إلا أن يتوسع فى الجار ، وأما على إعراب الأخفش فلا إشكال (قوله بفتح اللام وكسرها) أى وهما سبعيتان وهل هما مصدران أو المفتوح مصدر والمكسور اسم مكان خلاف . [فائدة] ذكر العلماء لليلة القدر علامات منها قلة نبح الكلاب ونهيق الحمير وعذوبة الماء الملح ورؤية كل مخلوق ساجدا لله تعالى وسماع كل شىء يذكر الله بلسان المقال وكونها ليلة بلجة مضيئة مشرقة بالأنوار وطلوع الشمس يومها صافية نقية ليست بين قرنى الشيطان كيوم غيرها وأحسن مايدعى به فى تلك الليلة العفو والعافية كما ورد ، و ينبغى لمن شق عليه طول القيام أن يتخير ماورد فى قراءته كثرة الثواب كآية الكرسى ، فقد ورد أنها أفضل آية فى القرآن وكأواخر البقرة لماورد من قام بهما فى ليلة كفتاه ، وكسورة إذا زلزلت لماورد أنها تعدل نصف القرآن ، وكسورة الكافرون لماورد أنها تعدل ربع القرآن والإخلاص تعدل ثلثه ، ويس لما ورد أنها قلب القرآن وأنها لما قرئت له ويكثر من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل وأنواع الذكر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويدعو بما أحب لنفسه ولأحبابه أحياء وأمواتا ويتصدق بما تيسر له ويحفظ جوارحه عن المعاصى ويكفى فى قيامها صلاة العشاء والصبح فى جماعة ، وورد « من صلى المغرب والعشاء فى جماعة فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر » وورد « من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام شطر الليل فاذا صلى الصبح فى جماعة فكأنما قام شطره الآخر » وقد ورد « من قال لاإله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ثلاث مرات كان كمن أدرك ليلة القدر » فينبغى الاتيان بذلك كل ليلة .

خبر مقدم ومبتدأ (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) بفتح اللام وكسرها إلى وقت طلوعه ، جعلت سلاما لكثرة السلام فيها من الملائكة لاتمر بمؤمن ولا مؤمنة إلا سلمت عليه .

(سورة لم يكن)

مكية ، أو مدنية ، تسع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ) للبيان (أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ) أى عبدة الأصنام عطف على أهل (مُنْفَكِّينَ) خبر يكن ، أى

[سورة البينة] وتسمى سورة لم يكن وسورة المنفكين وسورة القيامة وسورة البرية (قوله مكية) هو قول ابن عباس وقوله أو مدنية هو قول الجمهور ومناسبتها لماقبلها أنه لماثبت إنزال القرآن أخبر تعالى أن الكفار لم يكونوا منفكين عماهم عليه حتى يأتيهم الرسول يتلو عليهم الصحف المطهرة التى ثبت إنزالها عليه وفيها تسلية له صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له لا تحزن على تفرقهم وكفرهم بل تسل بما أوحى إليك ، روى أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى بن كعب « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك ــ لم يكن الذين كفروا ــ فقال أبى وسمانى لك . قال النبى صلى الله عليه وسلم نعم فبكى أبى فقرأها صلى الله عليه وسلم » واستفيد من الحديث آداب : منها قراءة الأعلى على من دونه للتواضع ولا يأنف الكبير من قراءته على الصغير ، ومنها تخصيص سريع الحفظ بالإتقان بالعلم ، وفى ذلك فضيلة عظيمة لأبى حيث جعل موضع سر رسول الله ونظره إشعارا بأنه ثقة يصلح للتعليم والتعلم وأمر رسول الله من الله بأن يقرأ عليه (قوله من للبيان) أى فالذين كفروا هم أهل الكتاب والمشركون . إن قلت إن أهل الكتاب لم يكونوا جميعا كفارا قبل النبى بل بعضهم كان متمسكا بنبيهم وكتابهم والبعض كفار كمن غير و بدل ومقتضى المفسر أن جميعهم كفار وليس كذلك فالأحسن جعل من للتبعيض والواو فى والمشركين للمعية والمشركين مفعول معه والعامل فيه يكن (قوله منفكين) اسم فاعل من انفك الذى يعمل عمل كان واسمها ضمير مستكن فيها والخبر محذوف قدره المفسر بقوله عماهم عليه و يصح أنه تكون تامة فلا تحتاج لتقدير خبر (قوله خبر يكن) أى واسمها الاسم الموصول فهى ناقصة ، وقوله من أهل

الكتاب حال من فاعل كفروا ، والمعنى أن أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والمشركين وهم عبدة الأوثان من العرب كانوا يقولون قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لاتنفك عما نحن فيه من ديننا حتى يبعث النبي صلى الله عليه وسلم الذى هو فى التوراة والانجيل فلما بعث تفرّقوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر فحكى الله تعالى ما كانوا يقولون أولا وما فعلوه آخرا (قوله أى زائلين الخ) أشار بذلك إلى أن الانفكاك بمعنى الزوال ، والمعنى أنهم متعلقون بدينهم لايتركونه إلا عند مجىء محمد صلى الله عليه وسلم (قوله حتى تأتيهم البينة) غاية لعدم انفكاكهم عماهم عليه . والحاصل أن فى الآية تفسيرين الأول حمل ما كانوا عليه قبل مجىء النبي على شرعهم فى حق أهل الكتاب وعلى عبادة الأصنام فى حق المشركين ، فالمعنى لم يكن الفريقان منفكين عما كانوا عليه لم يفارقوه إلاوقت مجىء محمد فلما ظهر محمد تفرّقوا فمنهم من آمن به ومنهم من بقى على ما كان عليه ، وهذا المعنى ليس فيه مدح ولا ذم لهم . الثانى أن المرادبما كانوا عليه هو إيمانهم بمحمد إذاظهر ، والمعنى لم يكونوا منفكين عن العزم على الايمان بمحمد إذا ظهر : أى لم يفارقوه ولم يتركوه إلا بعد مجيئه صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا المعنى توبيخ لهم إذ كيف يؤمنون فى الغيب قبل مجيئه ويكفرون به لما جاء ورأوا أنواره ومعجزاته . إذاعلمت ذلك تعلم أن كلام المفسرأولا محتمل للمعنيين وآخرا معرج على المعنى الثانى (قوله بدل من البينة) أى بدل اشتمال ومن الله متعلق بمحذوف صفة لرسول أوحال من صحفا لكونه نعت نكرة قدم عليها (قوله هوالنبي محمد) وقيل جبريل (قوله مطهرة) أى مطهرا ما فيها وهو

أى زائلين عما هم عليه (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ) أتتهم (الْبَيِّنَةُ) أى الحجة الواضحة ، وهى محمد صلى الله عليه وسلم (رَسُولٌ مِنَ اللهِ) بدل من البينة ، وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم (يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً) من الباطل (فِيهَا كُتُبٌ) أحكام مكتوبة (قَيِّمَةٌ) مستقيمة : أى يتلو مضمون ذلك وهو القرآن فمنهم من آمن به ومنهم من كفر (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) فى الإيمان به صلى الله عليه وسلم (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ) أى هو صلى الله عليه وسلم أو القرآن الجائى به معجزة له ، وقبل مجيئه صلى الله عليه وسلم كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء فحسده من كفر به منهم (وَمَا أُمِرُوا) فى كتابيهم التوراة والإنجيل (إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ) أى أن يعبدوه فحذفت أن وزيدت اللام (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (حُنَفَاءَ) مستقيمين على دين إبراهيم ودين محمد إذا جاء فكيف كفروا به ؟ ،

القرآن (قوله من الباطل) أى فتطهير الصحف كناية عن كونها لايأتيها الباطل أصلا (قوله فيها كتب) أى مكتوبات فى قراطيس فالقرآن يجمع ثمرة كتب الله تعالى المتقدمة عليه والرسول وإن كان أميا لكنه لما تلا مثل مافى الصحف كان كالتالى لها فصحت نسبة تلاوة الصحف إليه وهو أمى لايقرأ ولا يكتب (قوله أى يتلو مضمون ذلك) أى مضمون المكتوب فى الصحف وهو القرآن لانفس المكتوب لأنه صلى الله عليه وسلم كان يتلو القرآن عن ظهرقلب ولم يكن يقرؤه من كتاب فتحصل أن المراد بالصحف القراطيس التى يكتب فيها القرآن والمراد بالكتب الأحكام المكتوبة فيها التى هى مدلول القرآن المكتوب لفظه ونقشه (قوله فمنهم من آمن) مفرع على محذوف والتقدير فلما أتتهم البينة فمنهم الخ (قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الخ) تصريح بما أفادته الغاية قبله وأفرد أهل الكتاب بالذكر بعد الجمع بينهم وبين المشركين إشارة لبشاعة حالهم لأنهم أشد جرما ويعلم غيرهم بالطريق الأولى وذلك لأنهم لما تفرقوا مع علمهم كانوا أسوأ حالا من الذين تفرقوا مع الجهل (قوله وما أمروا الخ) الجملة حالية مفيدة لقبح مافعلوه ، والمعنى تفرقوا بعد ماجاءتهم البينة والحال أنهم ما أمروا إلا بعبادة الله الخ (قوله وزيدت اللام) الأولى أن تجعل بمعنى الباء ، والمعنى وما أمروا إلا بأن يعبدوا الخ (قوله مخلصين) حال من ضمير يعبدوا والإخلاص هو صفاء القلب من الأغيار بأن يكون مقصوده بالعمل وجه الله تعالى (قوله حنفاء) حال ثانية ، والحنف فى الأصل الميل مطلقا ثم استعمل فى الميل إلى الخير ، وأما الميل إلى الشر فيسمى إلحادا ، والحنيف المطلق هوالذى يكون متبرئا عن أصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع الاعتقادات الباطلة وتوابع ذلك وهو مقام المتقين فاذا ترقى العبد منه إلى ترك الشبهات خوف الوقوع فى المحرمات فهو مقام الورعين فاذا زاد حتى ترك بعض المباحات خوف الوقوع فى الشبهات فهو مقام الأورع والزاهد فالآية جامعة لذلك كله .

(قوله ويقيموا الصلاة) عطف على يعبدوا الله وخص الصلاة والزكاة لشرفهما (قوله وذلك) اسم الاشارة عائد على المأمور به من العبادة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (قوله الملة القيمة) قدره إشارة إلى أن دين مضاف لمحذوف والقيمة صفة لذلك المحذوف دفعا لما يقال إن إضافة دين إلى القيمة من إضافة الموصوف إلى صفته وهي بمنزلة إضافة الشيء إلى نفسه وفيها خلاف (قوله إن الذين كفروا) شروع في بيان جزاء كل فريق ومقره (قوله في نار جهنم) خبر إن . والمعنى أنهم مشتركون في جنس العذاب لا في نوعه عذاب الكفار يختلف على حسب كفرهم (قوله حال مقدرة) أي من الضمير المستكن في الخبر (قوله من الله تعالى) متعلق بخلودهم ، والمعنى نحن ننتظر خلودهم بسبب اعتقادنا أن يخلدهم فيها فالتقدير منا والخلود القدر من الله تعالى (قوله شر البرية) أفعل تفضيل وذلك لأنهم أشر من قطاع الطريق لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق وأشر من الجهال لأن الكفر مع العلم أسوأ منه مع الجهل والبرية بالهمز في الموضعين وتشديد الياء سبعيتان (قوله جزاؤهم) مبتدأ وقوله عند ربهم حال وقوله جنات عدن خبره وهذا من مقابلة الجمع بالجمع فيقتضي القسمة على الآحاد فيكون لكل واحد جنة وأدنى جنة الواحد مثل الدنيا ومافيها عشر مرات كما أفاده بعض المفسرين (قوله تجري من تحتها الأنهار) أي الأربعة الخمر والماء والعسل واللبن (قوله خالدين فيها) عامله

محذوف : أي دخلوها وأعطوها وقوله أبدا ظرف زمان منصوب بخالدين ورضي الله عنهم يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون خبرا ثانيا وعبر هنا في أهل الجنة بأبدا ولم يذكرها في أهل النار لأن المقام مقام بسط وجمال فالاطناب فيه من البلاغة (قوله بطاعته) أي بسببها وهو مصدر مضاف لمفعوله أي طاعتهم إياه أي قبلها منهم وجازاهم عليها (قوله بثوابه) أي بسبب إثابته لهم فهو من إضافة المصدر لفاعله قال الجنيد : الرضا يكون على قدر قوة العلم والرسوخ في المعرفة ويصحب العبد في الدنيا والآخرة وليس كالخوف والرجاء والصبر والإشفاق وسائر الأحوال التي تزول عن العبد في الآخرة بل العبد يتنعم في الجنة بالرضا ويسأل الله تعالى حتى يقول لهم برضائي أحلكم داري : أي برضائي عنكم . وقال محمد بن الفضل الروح والراحة في الرضا واليقين والرضا باب الله الأعظم ومحل استرواح العابدين (قوله ذلك لمن خشي ربه) اسم الاشارة عائد على المذكور من تفصيل الجزاء الحسن

(وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ) الملة (الْقَيِّمَةِ) المستقيمة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة : أي مقدرا خلودهم فيها من الله تعالى (أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) الخليقة (جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بطاعته (وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابه (ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) خاف عقابه فانتهى عن معصيته تعالى .

(سورة الزلزلة)

مكية ، أو مدنية ، تسع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ) حركت لقيام الساعة (زِلْزَالَهَا) : تحريكها

[سورة الزلزلة مكية] أي في قول ابن مسعود وعطاء وجابر وقوله أو مدنية أي في قول ابن عباس وقتادة (قوله إذا زلزلت الأرض الخ) إذا ظرف لما يستقبل من الزمان جوابه تحدث وهو عامل النصب في إذا ولذا يقولون خافض لشرطه منصوب بجوابه وهذا هو التحقيق عند الجمهور (قوله حركت لقيام الساعة) هذا أحد قولين وهو أن الزلزلة المذكورة تكون عند النفخة الأولى ويشهد له قوله تعالى - إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت - الآية وعليه جمهور المفسرين والثاني أنها عند النفخة الثانية ويؤيده قوله بعد : تحدث أخبارها فإن شهادتها بما وقع عليها إنما هو بعد النفخة الثانية وكذلك انصراف الناس من القبور . وأما قوله وأخرجت الأرض أثقالها فمحتمل (قوله زلزالها) مصدر مضاف لفاعله وهو بالكسر في قراءة العامة وقرئ شذوذا بالفتح وهما مصدران بمعنى واحد وقيل المكسور مصدر والمفتوح اسم

(قوله تحريكها الشديد الخ) أى فلا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء (قوله وأخرجت الأرض) إظهار فى مقام الاضمار لزيادة التقرير (قوله أثقالها) جمع ثقل بالكسر كحمل وأحمال (قوله كنوزها وموتاها) المناسب أن يعبر بأو لأنهما قولان قيل المراد إخراج الأموات، وقيل المراد إخراج الكنوز والأول بعد النفخة الثانية والثانى فى زمن عيسى وما بعده وهما مفرعان على القولين المتقدمين فأعطى الله الأرض قوة على إخراج الأثقال كما أعطاها القوة على إخراج النبات اللطيف الطرى الذى هو أنعم من الحرير (قوله الكافر بالبعث) أى بخلاف المؤمن فانه يعترف بها ويقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (قوله إنكارا لتلك الحالة) المناسب أن يقول تعجبا من تلك الحالة لأنه وقت وقوع ذلك لا يسعه إنكار بل يتعجب من تلك الحالة الفظيعة (قوله بدل من إذا) أى والعامل فيه هو العامل فى المبدل منه وقيل غيره والتنوين عوض عن الجمل الثلاث المذكورة بعد إذا (قوله تحدث أخبارها) اختلف فى هذا التحديث فقيل هو كلام حقيقى بأن يخلق الله فيها حياة وإدراكا فتشهد بما عمل عليها من طاعة ومعصية وهو الظاهر وقيل هو مجاز عن إحداث الله فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان وحدث يتعدى إلى مفعولين الأول محذوف تقديره الناس والثانى قوله أخبارها (قوله أوحى لها) عداه باللام لمراعاة الفواصل والوحى إليها إما بالهام أو رسول من الملائكة (قوله بذلك) أى بالتحديث بأخبارها (قوله فى الحديث الخ) أشار بذلك إلى حديث جرير قال «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ـ يومئذ تحدث أخبارها ـ فقال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل على كذا وكذا»

تحريكها الشديد المناسب لعظمها (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها (وَقَالَ الْإِنْسَانُ) الكافر بالبعث (مَا لَهَا) إنكاراً لتلك الحالة (يَوْمَئِذٍ) بدل من إذا وجوابها (تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) تخبر بما عمل عليها من خير وشر (بِأَنَّ) بسبب أن (رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) أى أمرها بذلك، فى الحديث «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها» (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ) ينصرفون من موقف الحساب (أَشْتَاتًا) متفرقين، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذ ذات الشمال إلى النار (لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) أى جزاءها من الجنة أو النار (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) زنة نملة صغيرة،

رواه أحمد والترمذى وصححه الحاكم وغيره (قوله يومئذ) بدل من يومئذ قبله أو منصوب بيصدر (قوله من موقف الحساب) أى وقيل يرجعون من قبورهم إلى ربهم (قوله أشتاتا) حال من الناس جمع شتيت وقوله متفرقين أى على حسب وصفهم بالايمان وضده وتفاوتهم فى الأعمال فأهل الايمان على حدة وأهل الكفر على حدة فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار (قوله ليروا أعمالهم) متعلق بيصدر وهو من الرؤية البصرية يتعدى بالهمز إلى اثنين أولهما الواو التى هى نائب الفاعل وثانيهما أعمالهم (قوله فمن يعمل مثقال ذرة الخ) تفصيل للواو فى قوله ليروا أعمالهم قال مقاتل نزلت فى رجلين أحدهما كان يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول إنما وعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الآية لترغبهم فى القليل من الخير يعطونه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة» ولتحذرهم اليسير من الذنب، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «لعائشة إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا» وقال ابن مسعود: هذه الآية أحكم آية فى القرآن وأصدق. وقال كعب الأحبار: لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آيتان أحصتا ما فى التوراة والانجيل والزبور والصحف ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ إن قلت كيف عمم مع أن حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر. أجيب بأن المعنى يرى كل من المؤمن والكافر حسناته وسيئاته مكتوبة فى الصحف ولا يلزم من رؤيتها جزاؤه عليها لما ورد عن ابن عباس «ليس من مؤمن وكافر عمل خيرا كان أو شرا إلا أراه الله إياه فأما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فترد حسناته تحسرا ويعذب بسيئاته» وهذا يساعده النظم الكريم (قوله زنة نملة صغيرة) أى وكل مائة منها وزن حبة شعير وأربع ذرات وزن خردلة، وقال ابن عباس: إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها فكل واحدة مما لزق من التراب ذرة وفسر الذرة بعضهم بالهباءة التى ترى طائرة فى الشعاع الداخل من الكوة. وقيل الذرة جزء من ألف

وأربعة وعشرين جزءا من الشعيرة (قوله خيرا) تمييز مثقال وكذا شرا ويصح أنهما بدلان من مثقال ويره في الموضعين جواب الشرط مجزوم بحذف الألف وهي قراءة العامة وقرئ شذوذا بإثباتها ويكون مجزوما بحذف الحركة المقدرة على حد قول الشاعر :

إذا العجوز غضبت فطلق ... ولا ترضاها ولا تملق

وفي الهاء قراءتان سبعيتان إحداهما سكونها وقفا ووصلا في الحرفين والثانية بضمها وصلا وسكونها وقفا . [فائدة] ورد «أن من قرأ إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله» وورد عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم قال «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يأيها الكافرون تعدل ربع القرآن» .

[سورة والعاديات] وتسمى سورة العاديات بغير واو (قوله مكية) أي في قول ابن مسعود وغيره وقوله أومدنية أي في قول ابن عباس وغيره ويؤيده ما روي أنه عليه السلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت إعلاما له بما حصل منهم (قوله والعاديات الخ) أقسم سبحانه وتعالى بأقسام ثلاثة على أمور ثلاثة تعظيما للمقسم به وتشنيعا على المقسم عليه والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة (قوله الخيل تعدو في الغزو) أي تسرع في الكر على العدو وهو كناية عن مدح الغزاة وتعظيمهم (قوله وتضبح ضبحا) أشار بذلك إلى أن ضبحا منصوب بفعل محذوف وهذا الفعل

(خَيْرًا يَرَهُ) ير ثوابه (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ير جزاءه .

(سورة والعاديات)

مكية أو مدنية ، إحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَادِيَاتِ) الخيل تعدو في الغزو وتضبح (ضَبْحًا) هو صوت أجوافها إذا عدت (فَالْمُورِيَاتِ) الخيل توري النار (قَدْحًا) بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل (فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا) الخيل تغير على العدو وقت الصبح بإغارة أصحابها (فَأَثَرْنَ) هيجن (بِهِ) بمكان عدوهن أو بذلك الوقت (نَقْعًا) غبارا لشدة حركتهن (فَوَسَطْنَ بِهِ) بالنقع (جَمْعًا) من العدو ، أي صرن وسطه ،

حال من العاديات (قوله هو صوت أجوافها) أي صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو وليس بصهيل ولا حمحمة. وقال ابن عباس ليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من تعب أو فزع (قوله فالموريات) عطفه وما بعده بالفاء لأنه مرتب على العدو (قوله توري النار) أي تخرجها من الحجارة

إذا ضربتها بحوافرها يقال ورى الزند يري وريا من باب وعد فهو لازم وأوريت وعطف

رباعيا لازما ومتعديا وما في الآية من قبيل المتعدي بدليل تفسير المفسر (قوله قدحا) مفعول مطلق بفعل محذوف تقديره تقدح ولم يذكره المفسر اتكالا على ما قاله في ضبحا (قوله فالمغيرات) أسند الإغارة وهي مباغتة العدو للنهب أو القتل أو الأسر للخيل مجازا عقليا لمجاورتها لأصحابها وحقه أن يسند لهم (قوله وقت الصبح) أشار بذلك إلى أن صبحا منصوب على الظرفية والصبح هو الوقت المعتاد في الغارات يسيرون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون (قوله بمكان عدوهن الخ) أعاد الضمير على المكان وإن لم يتقدم له ذكر لأن العدو لابد له من مكان ، وقوله أو بذلك الوقت أي وقت الصبح فهما تفسيران وعلى كل فالباء من به بمعنى في (قوله فوسطن) أتى بالفاء في هذا والذين قبله للترتيب كل على ما قبله فإن توسط الجمع مترتب على الإثارة المتقدمة على الإغارة المترتبة على العدو (قوله بالنقع) أشار بذلك إلى أن ضمير به عائد على النقع والباء للملابسة والمعنى صرن وسط الجمع من الأعداء ملتبسات بالنقع (قوله أي صرن وسطه) أي الجمع ووسط بسكون السين إن صح حلول بين محله كما هنا وإلا فهو بالتحريك ويجوز على قلة إسكانها يقال جلست وسط القوم بالسكون ووسط الدار بالتحريك .

(قوله على الاسم) أى على كل من الأسماء الثلاثة بدليل قوله واللاتى عدون الخ وقوله لأنه أى الاسم وقوله فى تأويل الفعل أى لوقوعه صلة لأل وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله :

واعطف على اسم شبه فعل فعلا   وعكسا استعمل تجده سهلا

(قوله إن الانسان) هذا هو جواب القسم (قوله الكافر) هذا أحد وجهين والآخر أن المراد به الجنس ، والمعنى أن الانسان مجبول على ذلك إلا من عصمه الله من تلك الخصال (قوله لكفور) أى فيقال كند النعمة أى كفرها وبابه دخل ، وفى الحديث «الكنود الذى يأكل وحده ويمنع رفده أى عطاءه ويضرب عبده» وقال ذوالنون المصرى: الهلوع والكنود هو الذى إذا مسه الشر جزوع وإذا مسه الخير منوع وقيل هو الجهول لقدره ، وفى الحكم : من جهل قدره هتك ستره ، وقيل هو الحقود الحسود (قوله وإنه على ذلك) الضمير عائد على الانسان واسم الاشارة عائد على الكنود . والمعنى وإن الانسان على كنوده لشهيد والمراد شهادته فى الدنيا فان حاله وعمله يدلان على كنوده وكفره وهذا ماشى عليه المفسر وهو أحد احتمالين والآخر أن الضمير فى أنه عائد على الله تعالى ، والمعنى وإن الله تعالى لشهيد على كنود الانسان فيكون زيادة فى الوعيد (قوله بصنعه) أى بما صنعه وعمله فالباء سببية (قوله لحب الخير) متعلق بشديد قدم كالذى قبله رعاية للفواصل واللام للتقوية وحبه للمال يحمله على البخل وقيل للتعليل ومعنى شديد بخيل (قوله أفلا يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أيفعل مايفعل من القبائح فلا يعلم الخ والهمزة للانكار وعلم بمعنى عرف فتعدى لمفعول واحد وهو محذوف تقديره إنا نجازيه دل عليه قوله إن ربهم بهم يومئذ لخبير ، وقوله إذا بعثر ظرف للمفعول المحذوف ولا يصح أن يكون ظرفا للعلم لأن الانسان لايقصد منه العلم فى ذلك الوقت وإنما يراد العلم وهو فى الدنيا ولا لبعثر لأن المضاف إليه لايعمل فى المضاف ولا لقوله خبير لأن مابعد أن لايعمل فيما قبلها فتعين أن يكون ظرفا للمفعول المحذوف تأمل (قوله إذا بعثر مافى القبور) البعثرة بالعين والبحثرة بالحاء استخراج الشىء واستكشافه وعبر بما تغليبا لغير العاقل (قوله نظرا لمعنى الانسان) أى لأنه اسم جنس (قوله دلت على مفعول يعلم) أى المحذوف الذى هو عامل فى إذا والتنوين فى يومئذ عوض عن جملتين والتقدير يوم إذ بعثر مافى القبور وحصل فى الصدور وهو يوم القيامة (قوله وقت ماذكر) أى من البعثرة وتحصيل مافى الصدور وأشار بذلك إلى أن إذا ظرفية بمعنى وقت لاشرطية فلا جواب لها (قوله وتعلق خبير بيومئذ الخ) جواب عما يقال كيف قال ذلك مع أنه تعالى خبير بهم فى كل زمن فأجاب بأنه أطلق العلم وأراد المجازاة فمعنى قوله لخبير أنه يجازيهم ولا شك أن الجزاء مقيد بذلك اليوم نظير قوله تعالى - أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم أى يجازيهم .

وعطف الفعل على الاسم لأنه فى تأويل الفعل : أى واللاتى عدون فأورين فأغرن (إِنَّ الْإِنْسَانَ) الكافر (لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) لكفور يجحد نعمته تعالى (وَإِنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ) أى كنوده (لَشَهِيدٌ) يشهد على نفسه بصنعه (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ) أى المال (لَشَدِيدٌ) أى لشديد الحب له فيبخل به (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ) أثير وأخرج (مَا فِي الْقُبُورِ) من الموتى ، أى بعثوا (وَحُصِّلَ) بين وأفرز (مَا فِي الصُّدُورِ) القلوب من الكفر والإيمان (إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ) لعالم فيجازيهم على كفرهم أعيد الضمير جمعا نظرا لمعنى الإنسان ، وهذه الجملة دلت على مفعول يعلم : أى إنا نجازيه وقت ما ذكر ، وتعلق خبير بيومئذ ، وهو تعالى خبير دائما لأنه يوم المجازاة .

[سورة القارعة] مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر بعثرة القبور وختم السورة المتقدمة بقوله إن ربهم بهم يومئذ لخبير أتبعه بأحوال القيامة كأنه قيل وما ذاك اليوم فقيل هو القارعة (قوله ثمان آيات) هذا أحد أقوال وقيل عشر وقيل إحدى عشرة آية (قوله القارعة) هى فى الأصل الصوت الشديد سميت القيامة بذلك لأنها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وعليه درج المفسر وقيل لأن إسرافيل يقرع الصور بالنفخ، فاذا نفخ النفخة الأولى مات جميع الخلائق، وبالثانية يحيون (قوله التى تقرع القلوب) أى تفزعها ولا مفهوم للقلوب بل تؤثر فى الأجرام العظيمة فتؤثر فى السموات بالانشقاق وفى الأرض بالتبديل وفى الجبال بالدك والنسف وفى الكواكب بالانتثار وفى الشمس والقمر بالتكوير وغير ذلك (قوله تهويل لشأنها) أى وتأكيد لفظاعتها بكونها خارجة عن دائرة علم الخلائق وفى كلام المفسر إشارة إلى أن ما الاستفهامية فيها معنى التعظيم والتعجب (قوله وهما مبتدأ وخبر) المبتدأ هو ما الاستفهامية والخبر القارعة وقوله القارعة أى الأولى الواقعة مبتدأ والرابط إعادة المبتدإ بلفظه (قوله زيادة تهويل لها) أشار بذلك إلى أن الاستفهام الثانى وهو قوله ما القارعة للتهويل والتعظيم وأما الأول وهو وما أدراك فهو إنكارى، والمعنى أنت لاتعلم هول القارعة لشدته وفظاعته إلا بوحى منا فالمنفى علمه من غير وحى

(سورة القارعة)

مكية، ثمان آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم. القارعة) أى القيامة التى تقرع القلوب بأهوالها (ما القارعة) تهويل لشأنها وهما مبتدأ وخبر خبر القارعة (وما أدراك) أعلمك (ما القارعة) زيادة تهويل لها، وما الأولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها فى محل المفعول الثانى لأدرى (يوم) ناصبه دل عليه القارعة: أى تقرع (يكون الناس كالفراش المبثوث) كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم فى بعض للحيرة إلى أن يدعوا للحساب (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) كالصوف المندوف فى خفة سيرها حتى تستوى مع الأرض (فأما من ثقلت موازينه) بأن رجحت حسناته على سيئاته (فهو فى عيشة راضية) فى الجنة: أى ذات رضا بأن يرضاها أى مرضية له (وأما من خفت موازينه)،

(قوله فى محل المفعول الثانى لأدرى) أى والكاف مفعول أول (قوله دل عليه القارعة) أى ولا يصح أن يكون العامل فيه لفظ القارعة الأول للفصل بينهما بالخبر ولا الثانى ولا الثالث لعدم التئامه معه فى المعنى فتعين أن يكون عامله محذوفا دل عليه لفظ القارعة (قوله كالفراش المبثوث) أى ووجه الشبه الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير إلى النار والطيش الذى يلحقهم وركوب بعضهم بعضا ففى هذا التشبيه مبالغات شتى (قوله كغوغاء بأن

الجراد) الغوغاء الجراد الصغير بعد أن ينبت جناحه الذى ينتشر فى الأرض ولايدرى أين يتوجه وقيل هو شىء يشبه البعوض ولا يعض لضعفه ووجه الجمع بين ماهنا وبين آية كأنهم جراد منتشر أن أول حالهم كالفراش يقومون من قبورهم متحيرين لايدرون أين يتوجهون ثم لما يدعون للحساب يكونون كالجراد لأن لها وجها تقصده (قوله كالصوف المندوف) أى بعد أن تتفتت كالرمل السائل ثم بعد كونها كالعهن تصير هباء منبثا فمراتب الجبال ثلاثة تفتتها ثم صيرورتها كالعهن ثم صيرورتها هباء منبثا وقوله المندوف أى المضروب بالمندفة وهى الخشبة التى يطرق بها الوتر ليرق وإنما جمع بين حال الناس وحال الجبال تنبيها على أن تلك القارعة أثرت فى الجبال العظيمة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش مع كونها غير مكلفة فكيف حال الانسان الضعيف الذى هو مقصود بالتكليف والحساب (قوله فأما من ثقلت موازينه) تفصيل لأحوال الناس فى ذلك اليوم والمراد بالموازين الموزونات أى الأعمال التى توزن (قوله بأن رجحت حسناته الخ) أى وأولى إذا عدمت سيئاته ولم يوجد له إلا الحسنات (قوله فهو فى عيشة راضية) أى حياة طيبة وقوله فى الجنة تفسير باللازم (قوله أى ذات رضا) أشار بذلك إلى أن المراد عيشة منسوبة للرضا كلابن وتامر، ولذا فسرها بقوله: أى مرضية وفى نسخة أو مرضية فهو إشارة إلى أن الاسناد مجازى أى راض صاحبها بها فهو مجاز عقلى أو أطلق اسم الفاعل

وأراد اسم للمفعول فهو مجاز مرسل ، والمعنى أن من رجحت حسناته على سيئاته فهو في حياة طيبة في الجنة ورضا من الله تعالى عليه وهو مع ذلك راض بما أعطاه له ربه فرضي الله عنهم ورضوا عنه (قوله بأن رجحت سيئاته على حسناته) أي وأولى إذا عدمت حسناته رأسا . إن قلت إن ظاهر الآية يقتضي أن المؤمن العاصي إذازادت سيئاته على حسناته تكون أمه هاوية . وأجيب بأن ذلك لا يدل على خلوده فيها بل إن عامله ربه بالعدل أدخله النار بقدر ذنوبه ثم يخرج منها إلى الجنة فقوله : فأمه هاوية يعني ابتداء إن عامله بالعدل وهذا مادرج عليه المفسر ، وقيل المراد بخفة الموازين خلوها من الحسنات بالكلية وتلك موازين الكفار ، والمراد بثقل الموازين خلوها من السيئات بالكلية أو وجود سيئات قليلة لا توازي الحسنات . وبقي قسم ثالث وهو من استوت حسناته وسيئاته وحكمه أنه يحاسب حسابا يسيرا ويدخل الجنة . والحاصل أن من وجدت له حسنات فقط أو زادت على سيئاته فهو في الجنة بغير حساب ، ومن استوت حسناته وسيئاته فهو يحاسب حسابا يسيرا ويدخل الجنة ، ومن زادت سيئاته على حسناته فهو تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه بقدر جرمه ثم يدخل الجنة ومن وجدت له سيئات فقط وهو الكافر فمأواه النار خالدا فيها ، نسأل الله السلامة (قوله فمسكنه) عبر عن المسكن بالأم لأن أهله يأوون إليه كما يأوي الولد إلى أمه فتضمهم إليها كما تضم الأم الأولاد إليها ، وقيل المراد أم رأسه يعني أنهم يهوون في النار على رءوسهم وبه قال قتادة (قوله هاوية) سميت بذلك لغاية عمقها وبعد مهواها ، روى «أن أهل النار يهوون فيها سبعين خريفا» فتحصل أن المراد بالهاوية النار بجميع طباقها وتطلق على طبقة أسفل يعذب فيها المنافقون كمثل لظى (٣٢٩) والحطمة والهاوية وجهنم وبقية أسمائها تطلق عامة وخاصة وفي الآية احتباك حذف من الأول فأمه الجنة وذكر في عيشة راضية وحذف من هنا في عيشة ساخطة وذكر فأمه هاوية فحذف من كل نظير ما أثبته في الآخر (قوله ماهيه) مبتدأ وخبر والجملة سدت مسد المفعول الثاني لأدراك والكاف مفعوله الأول

بأن رجحت سيئاته على حسناته (فَأُمُّهُ) فمسكنه (هَاوِيَةٌ . وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ) أي ما هاوية هي (نَارٌ حَامِيَةٌ) شديدة الحرارة ، وهاء هيه للسكت تثبت وصلا ووقفا وفي قراءة تحذف وصلا .

(سورة التكاثر)

مكية ، ثمان آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلْهَاكُمُ) شغلكم عن طاعة الله (التَّكَاثُرُ) التفاخر بالأموال والأولاد والرجال (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) بأن متم فدفنتم فيها أو عددتم الموتى تكاثرا

(قوله هي نار) أشار بذلك إلى أن نار خبر لمحذوف (قوله وفي قراءة) أي وهما سبعيتان وقوله تحذف وصلا أي وتثبت وقفا .

[سورة التكاثر] أي السورة التي ذكر فيها ذم التكاثر ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر أهوال القيامة ذم اللاهين والمشتغلين عنها (قوله ألهاكم التكاثر) ألهى فعل ماض رباعي والكاف مفعول مقدم والتكاثر فاعل مؤخر فالهمزة من بنية الكلمة تثبت ولو في الدرج ، والمعنى شغلكم التباهي بكثرة الأموال عن عبادة ربكم والتكاثر تفاعل كالتجاذب وهو يكون بين اثنين ، لأن أحد الشخصين المتفاخرين يقول لصاحبه : أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ، وأل في التكاثر للعهد وهو التكاثر في الدنيا ولذاتها وعلاقتها المشغل عن حقوق لله تعالى (قوله عن طاعة الله) هي شاملة للواجبة والمندوبة (قوله والرجال) أي الانتساب إليهم كالأقرباء والأحباب (قوله حتى زرتم المقابر) حتى غاية للالهاء المذكور وهذا هو محط الذم وإلا فإن تاب من ذلك قبل موته قبل بكاء ، لم يحصل منه تكاثر (قوله بأن متم فدفنتم فيها) أي فيقال زار قبره إذا مات ودفن ، والمعنى ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك ، ولا يقال إن الزيارة تكون ساعة وتنقضي والميت يمكث في قبره ، لأنا نقول إن الموتى يرتحلون من القبور للحساب فكأن مدة مكثه في قبره زيارة له والمقابر جمع مقبرة بتثليث الباء وهي المحل الذي تدفن فيه الأموات (قوله أو عددتم الموتى) تفسير ثان للزيارة فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وعليه فزيارة المقابر كناية عن الانتقال من ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات تفاخرا ، وإنما كان تهكما لأن زيارة القبور شرعت لتذكر الموت ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر وهؤلاء

عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سببا لمزيد القساوة والاستغراق فى حب الدنيا والتفاخر فى الكثرة . فحاصل الوجهين راجع إلى أن المراد بالزيارة إما الانتقال إلى الموت أو الانتقال من ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات وتعدادهم والتفاخر بهم ومن ذلك مايفعله أهل زماننا من زخرفة النعوش والقبور ومايتبع ذلك مما هو مذموم شرعا وطبعا . وأما ذكر مكارم الأخلاق والطاعات فيجوز إن لم يكن على وجه العجب بل على سبيل التحدث بالنعم أو ليقتدى به (قوله ردع) مشى المفسر على أن كلا الأولى والثانية حرف ردع ، والثالثة بمعنى حقا ومشى غيره على التسوية بين الثلاثة فهى فيها إما للردع أو بمعنى حقا ، وقيل إنها فى الثلاثة بمعنى ألا الاستفتاحية (قوله عند النزع ثم فى القبر) لف ونشر مرتب فقوله عند النزع راجع لقوله سوف تعلمون الأول وقوله ثم فى القبر راجع للثانى وثم على بابها من المهلة وهذا قول على بن أبى طالب والحكمة فى حذف متعلق العلم من الأفعال الثلاثة أن الغرض هو الفعل لا متعلقه والعلم بمعنى المعرفة فيتعدى لمفعول واحد أشار له المفسر بقوله سوء عاقبة تفاخركم (قوله أى علما يقينا) أشار بذلك إلى أن إضافة العلم إلى اليقين من إضافة الموصوف إلى صفته ، والمعنى لو تعلمون مابين أيديكم علما يقينا ماشغلكم التكاثر عن طاعة الله تعالى (قوله عاقبة التفاخر) بيان لمفعول العلم وقوله ما اشتغلتم به جواب لو (قوله جواب قسم محذوف) أى ولا يصح أن يكون جوابا للو لأنه محقق الوقوع فلا يصح تعليقه . والرؤية هنا بصرية تتعدى إلى مفعول واحد (قوله وحذف منه لام الفعل) أى وهى الياء وقوله وعينه : أى وهو الهمزة لأن أصله ترأيون بوزن تفعلون نقلت حركة الهمزة للراء قبلها فسقطت الهمزة وتحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان

(كَلَّا) ردع (سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) سوء عاقبة تفاخركم عند النزع ثم فى القبر (كَلَّا) حقا (لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) أى علما يقينا عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) النار جواب قسم محذوف وحذف منه لام الفعل وعينه وألقى حركتها على الراء (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا) تأكيد (عَيْنَ الْيَقِينِ) مصدر لأن رأى وعاين بمعنى واحد (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ) حذفت منه نون الرفع لتوالى النونات وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (يَوْمَئِذٍ) يوم رؤيتها (عَنِ النَّعِيمِ) مايتلذذ به فى الدنيا : من الصحة ، والفراغ ، والأمن ، والمطعم ، والمشرب وغير ذلك .

حذفت الألف لالتقاء الساكنين ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة فحذفت نون الرفع لتوالى الأمثال وحركت الواو بالضمة لالتقاء الساكنين ولم تحذف لعدم الدليل الذى يدل عليها (قوله تأكيد) هذا أحد قولين والآخر أن الأول هو رؤية اللهب والثانى هو رؤية ذاتها وما فيها من أنواع العذاب (قوله عين اليقين) صفة (سورة لمصدر محذوف : أى لترونها رؤية هى عين اليقين ووصفت الرؤية التى هى سبب اليقين بكونها نفس اليقين مبالغة، والفرق بين علم اليقين وعين اليقين أن علم اليقين هو إدراك الشىء من غير مشاهدة، وعين اليقين هو العلم به مع المشاهدة. وأما حق اليقين فهو المشاهدة مع الملاصقة والممازجة ، وقد أخبر الله هنا بالأولين وأخبر بالثالث فى سورة الواقعة حيث قال ـ وأما إن كان من المكذبين الآية (قوله ثم لتسئلن) الأظهر أن الخطاب للكفار لأنهم هم المشتغلون بالدنيا والتفاخر بها وتهاونها عن طاعة الله تعالى وقيل هو عام فى حق المؤمن والكافر ، فعن أنس أنه قال « لما نزلت الآية قام رجل أعرابى محتاج فقال هل على من النعم شىء ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الظل والنعلان والماء البارد» . والأولى أن يقال السؤال يعم المؤمن والكافر لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لتركه الشكر وسؤال المؤمن تشريف وإظهار لفضله وتبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا والآخرة وثم على بابها من الترتيب المعنوى لأنهم يرون النار فى الموقف تحدق بهم ثم يذهبون للحساب فيسألون (قوله حذفت منه نون الرفع) أى فأصله تسئلون حذفت نون الرفع لتوالى النونات فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما وبقيت الضمة دليلا عليها (قوله عن النعيم) أى عن جميع أفراده وأنواعه فأل للاستغراق (قوله وغير ذلك) أى كظلال المساكن والأشجار والأخبية التى تقى من الحر والبرد والماء البارد وكحل العين ولبس الانسان ثوب أخيه وشبع البطن ولذة النوم والعافية ونحو ذلك مما لا يحصى عددا . روى الحاكم والبيهقى «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم؟ قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية؟ قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر » .

[سورة والعصر مكية] أي في قول ابن عباس والجمهور وقوله أو مدنية أي في قول قتادة ونقل عن ابن عباس أيضا (قوله ثلاث آيات) هذه السورة والكوثر أقصر سور القرآن وهما وإن كانتا من جهة الألفاظ قليلتين فمعناهما كثير لايقف عند حد (قوله والعصر) قسم من الله تعالى وجوابه قوله : إن الانسان لفي خسر (قوله الدهر الخ) هذا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرها المفسر في معنى العصر ووجه قسمه بالدهر أنه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر ونحو ذلك ، ولأن العمر لايقاوم بشيء فلو ضيعت ألف سنة فيما لايعني ثم ثبتت السعادة في اللمحة الأخيرة بقيت في الجنة أبد الآباد فكان أشرف الأشياء حياتك في تلك اللمحة ولأن الدهر والزمان من جملة أصول النعم ، وقوله أو مابعد الزوال إلى الغروب : أي ووجه القسم به أن فيه العجائب وأيضا يدرك للقصر فيما فاته أول النهار ، وقوله أو صلاة العصر : أي فأقسم بها لشرفها ولأنها الصلاة الوسطى في قول بدليل ما في مصحف عائشة وحفصة: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر ولما ورد « من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » وقيل العصر زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقسم بزمانه كما أقسم بمكانه في قوله : لاأقسم بهذا البلد و بعمره في قوله : لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ، ففيه تنبيه على أن عصره أفضل العصور و بلده أفضل البلاد وحياته أفضل من حياة غيره ، وقيل العصر زمانه وزمان أمته لأنه ختام العصور وأفضلها وفيه ظهور الساعة وعجائبها (قوله إن الانسان لفي خسر) مشى المفسر على أن المراد بالانسان الجنس الشامل للمسلم والكافر ، وذلك لأن الانسان لا ينفك عن خسران لأن الخسران هو تضييع العمر فان كل ساعة تمر من عمر الانسان إما أن تكون تلك الساعة في طاعة أومعصية

(سـورة والعصر)

مكية أو مدنية ، ثلاث آيات

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَصْرِ) الدهر ، أو ما بعد الزوال إلى الغروب ، أو صلاة العصر (إِنَّ الْإِنْسَانَ) الجنس (لَفِي خُسْرٍ) في تجارته (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فليسوا في خسران (وَتَوَاصَوْا) أوصى بعضهم بعضاً (بِالْحَقِّ) أي الإيمان (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) على الطاعة وعن المعصية .

فان كانت في معصية فهو الخسران البين و إن كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر عليه فكان فعل غير الأفضل تضييعا وخسرانا وأيضا ربح الانسان في طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ؛ فلما كانت الأسباب الداعية إلى الآخرة خفية والأسباب الداعية إلى حب الدنيا ظاهرة ولذا اشتغال الناس بحب الظاهر كانوا في خسار و بوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم فيما لم يخلقوا له وقوله : لفي خسر : أي غبن . وقيل هلكة . وقيل عقوبة . وقيل شر . وقيل نقص ، والمعنى متقارب ، وقيل المراد بالانسان الكافر بدليل استثناء المؤمنين بعد وخسرانه ظاهر (قوله إلا الذين آمنوا) الاستثناء متصل إن أريد بالانسان الجنس . وأما إن أريد به خصوص الكافر فهو منقطع لأن المؤمنين لم يدخلوا في عموم الخسران (قوله وعملوا الصالحات) أي امتثلوا المأمورات واجتنبوا المنهيات . واعلم أنه سبحانه وتعالى حكم بالخسران على جميع الناس إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة ، وهي الايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر . والحكمة في ذلك أن هذه الأمور اشتملت على مايخص الانسان في نفسه وهو الايمان والعمل الصالح وما يخص غيره وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر فاذا جمع ذلك فقد قام بحق الله وحق عباده (قوله أوصى بعضهم بعضا) أشار بذلك إلى أن تواصوا فعل ماض لا فعل أمر (قوله أي الايمان) أي وفروعه من الطاعات واتباع السلف الصالح والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ونحو ذلك (قوله وتواصوا بالصبر) كرر الفعل لاختلاف المفعولين ، والصبر و إن كان داخلا في عموم الحق إلا أنه أفرده بالذكر اعتناء بشأنه لما فيه من زيادة حبس النفس والرضا بأحكام الربوبية (قوله على الطاعة وعن المعصية) أي وعلى البلايا والمصائب وهذا ماذكره المفسر . وقيل المعنى إن الانسان إذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع حسا ومعنى إلا الذين آمنوا فان الله يكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم فانهم وإن ضعفت أجسامهم لاينقصون معنى وعلى هذا المعنى فتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى ــ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ــ .

[سورة الهمزة] مناسبتها لما قبلها أنه لما قال : إن الانسان لفى خسر بين فى هذه حال الخاسرين وما لهم (قوله كلمة عذاب) أى كلمة يطالب بها العذاب و يدعى بها وعلى هذا فتكون الجملة إنشائية سوّغ الابتداء به مع كونها نكرة قصد الدعاء عليهم بالهلكة . إن قلت كيف يدعو الله بذلك مع أنه هو المنشىء للأفعال كلها ؟ . أجيب بأنه طلب من نفسه إلحاق الويل لهم إظهارا لآثار غضبه كما يفعل الغضبان بمن غضب عليه وتقدم ذلك (قوله أو واد فى جهنم) أولتنويع الخلاف وعلى هذا فالجملة خبرية ويكون ويل حينئذ معرفة لكونه علما (قوله لكل همزة لمزة) الهمز فى الأصل الكسر واللمز الطعن الحسيان ثم خصا بالكسر لأعراض الناس والطعن فيهم والتاء فيهما للمبالغة فى الوصف واطرد بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل أى المكثر من الفعل واذا سكنت العين يكون لمبالغة المفعول ، يقال رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره ولعنة بسكون العين إذا كان ملعونا للناس والهمز كاللمز وزنا ومعنى و بابه ضرب . قال ابن عباس : هم المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون العيب للبرىء وقال صلى الله عليه وسلم « شر عباد الله المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب » وعلى هذا القول فاللمزة تأكيد للهمزة من باب التأكيد بالمرادف كقولهم حسن بسن وعفريت نفريت ، وقيل إن معناهما مختلف فقال مقاتل الهمزة الذى يعيبك فى الغيب واللمزة الذى يعيبك فى الوجه ، وقيل بالعكس ، وقيل الهمزة الذى يهمز الناس بيده و يضر بهم واللمزة الذى يلمزهم بلسانه و يعيبهم ، وقيل الهمز باللسان واللمز بالعين ، وقيل الهمزة الذى يؤذى جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذى يكسر عينه ويشير برأسه و يرمز بحاجبه ، وهذه الأقوال كلها ترجع إلى الطعن وإظهار العيب فيدخل فى ذلك من يحاكى الناس فى أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه (قوله وغيرهما) أى كالأخنس بن شريق والعاص بن وائل السهمى وجميل بن معمر والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

(سورة الهمزة)

مكية ، أو مدنية ، تسع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَيْلٌ) كلمة عذاب ، أو وادٍ فى جهنم (لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) أى كثير الهمز واللمز : أى الغيبة . نزلت فيمن كان يغتاب النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما (الَّذِى جَمَعَ) بالتخفيف والتشديد (مَالًا وَعَدَّدَهُ) أحصاه وجعله عدّة لحوادث الدهر (يَحْسَبُ) لجهله (أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) جعله خالداً لا يموت (كَلَّا) ردع (لَيُنْبَذَنَّ) جواب قسم محذوف : أى ليطرحن (فِى الْحُطَمَةِ) التى تحطم كل ما ألقى فيها (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا الْحُطَمَةُ . نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ) :

المسعرة

فهذا وعيد لمن يغتاب المسلمين ولاسيما العلماء والصلحاء ولكن يقال هو مخلد فى النار إن مات كافرا و إلا فهو تحت المشيئة (قوله الذى جمع مالا) بدل كل من كل (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما سبعيتان فقراءة التشديد تفيد التفانى والمبالغة فى الجمع بخلاف قراءة التخفيف ونكر مالا للتعظيم (قوله وعدّده) العامة على تشديد الدال الأولى وقرىء شذوذا بتخفيفها والضمير إما عائد على المال والتقدير جمع عدده أى أحصاه وعلمه أوعائد على نفسه ، والمعنى جمع مالا وجمع عدد نفسه من عشيرته وأقاربه وعلى هذين الوجهين فعدده اسم معطوف على مالا و يحتمل أن عدد فعل ماض بمعنى عدّه إلا أنه غير مدغم (قوله وجعله عدة) الواو بمعنى أو لأنهما تفسيران ، فعلى الأوّل هو مأخوذ من العد وعلى الثانى من العدة بمعنى الاستعداد إلا خار لحوادث الزمن (قوله يحسب أن ماله الخ) إما مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماباله يجمع المال و يهتم به أو حال من فاعل جمع (قوله أخلده) هو ماض معناه المضارع أى يظن لجهله أن ماله يوصله إلى رتبة الخلود فى الدنيا فيصير خالدا فيها ولا يموت أو يعمل من تشييد البنيان وغرس الأشجار وعمارة الأرض عمل من ظن أن ماله أبقاه حيا (قوله ردع) أى عن حسبانه المذكور فالمعنى ليس الأمر كما يظن أن المال أخلده ، وقيل إن كلا بمعنى حقا (قوله التى تحطم) أى تكسر فنى الحطمة مماثلة لعمله لفظا ومعنى لأنها بوزن همزة ولمزة (قوله وما أدراك) استفهام إنكارى بمعنى النفى أى لم تعلم قدر هولها وعظمه إلا بوحى من ربك (قوله نار الله) الاضافة للتفخيم والتعظيم .

(قوله المسعرة) بالتخفيف والتشديد أي المهيجة الشديدة اللهب التي لا تخمد أبدا (قوله التي تطلع على الأفئدة) أي تغشاها وتحيط بها ، وخص الأفئدة بالذكر لكونها ألطف ما في الجسد وأشده تألما بأدنى عذاب ، أولأنها محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة فهي منشأ الأعمال السيئة (قوله وألمها) أي القلوب ، والمعنى تألمها أشد من تألم غيرها من بقية البدن . ومن المعلوم أن الألم إذا وصل إلى الفؤاد مات صاحبه فهم في حال من يموت وهم لا يموتون ، قال تعالى : لا يموت فيها ولا يحيا ، قال محمد بن كعب : تأكل النار جميع ما في أجسادهم حتى إذا بلغت إلى الفؤاد خلقوا خلقا جديدا فترجع تأكلهم وهكذا (قوله بالهمز و بالواو) أي فهما سبعيتان (قوله بضم الحرفين و بفتحهما) أي فهما سبعيتان أيضا وقرئ شذوذا بضم فسكون وهو تخفيف للقراءة الأولى فعلى الضم يكون جمع عمود كرسول ورسل ، وقيل هو جمع عماد ككتاب وكتب وعلى الفتح يكون اسم جمع لعمود ، وقيل هو جمع له وفي بمعنى الباء : أي موصدة بعمد ممددة لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله يبعث إليهم ملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فتطبق عليهم بتلك الأطباق وتشد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم و ينسوهم الرحمن على عرشه : أي يحجبهم عن رحمته و يتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها و ينقطع الكلام فيكون كلامهم زفيرا وشهيقا فذلك قوله تعالى : إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة» ، وقيل إن النار داخل العمد وهم داخله و يطبق عليهم وعليه درج المفسر ، وقيل المعنى يعذبون بعمد وقيل العمد الأغلال في أعناقهم ، وقيل القيود في أرجلهم ، وقيل معنى عمد ممددة دهر مؤبد لا آخر له .

المسعرة (ٱلَّتِي تَطَّلِعُ) تشرف (عَلَى ٱلْأَفْئِدَةِ) القلوب فتحرقها ، وألمها أشد من ألم غيرها للطفها (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ) جمع الضمير رعاية لمعنى كل (مُؤْصَدَةٌ) بالهمز و بالواو بدله : مطبقة (فِي عُمُدٍ) بضم الحرفين و بفتحهما (مُمَدَّدَةٍ) صفة لما قبله فتكون النار داخلة العمد .

(سورة الفيل)

مكية ، خمس آيات

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . أَلَمْ تَرَ) استفهام تعجيب: أي اعجب (كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ) هو محمود ، وأصحابه أبرهة ملك اليمن وجيشه ، بنى بصنعاء ،

[سورة الفيل]

(قوله ألم تر) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والرؤية علمية لا بصرية لأنه لم يكن وقت الواقعة موجودا (قوله استفهام تعجيب) أي وتقرير ، والمعنى أقر بأنك علمت قصة الفيل وحذفت الألف من تر للجازم (قوله كيف فعل ربك) كيف معلقة للرؤية منصوبة على المصدرية بالفعل بعدها وربك فاعل والتقدير أي فعل فعله والجملة سدت مسد مفعولي تر ولا يصح نصبها على الحال من الفاعل لأنه يلزم وصفه تعالى بالكيفية وهو غير جائز (قوله هو محمود) أي وهو الذي برك وضربوه في رأسه وكان معه اثنا عشر فيلا ، وقيل ثمانية عشر ، وقيل ألف ، وأفرد الفيل إما موافقة لرءوس الآي أولكونه نسبهم إلى الفيل الأعظم الذي يقال له محمود (قوله أبرهة) بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الراء واسمه الأشرم ، سمي بذلك لأن أباه ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه وكان نصرانيا (قوله ملك اليمن) بدل من أبرهة وكان من قبل النجاشي ملك الحبشة وكان جيش أبرهة ستين ألفا وقوله وجيشه معطوف على أبرهة (قوله بنى بصنعاء كنيسة الخ) شروع في بيان قصة أصحاب الفيل . وحاصل تفصيلها على ما ذكره محمد بن إسحق عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس أن النجاشي ملك الحبشة وهو أصحمة جد النجاشي الذي آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم كان بعث أبرهة أميرا على اليمن فأقام به واستقامت له الكلمة هناك ثم إنه رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله عز وجل فحسد العرب على ذلك ثم بنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشي إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى أصرف إليها حج العرب ، فسمع به مالك بن كنانة فخرج لها ليلا فدخلها فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها ، فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ علي فقيل له صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت قد سمع بالذي قلت ، فحلف

أبرهة عنـد ذلك ليسيرن إلى الكعبة ثم يهدمها فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بفيله وكان فيلا يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به إليه ، فخرج أبرهة من الحبشة سائرا إلى مكة وخرج معه بالفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم ، فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذا نفر ، فقال لأبرهة يا أيها الملك استبقني فان بقائي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ، ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ، ومن اجتمع من قبائل اليمن فهزمهم وأخذ نفيلا فقال نفيل أيها الملك إني دليل بأرض العرب فاستبقاه وخرج معه يدله حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث في رجال من ثقيف ، فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك إنما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه أبارغال مولى لهم فخرج حتى إذا كان بالمغمس مات أبورغال وهو الذي يرجم قبره الآن وبعث أبرهة رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مسعود مقدمة خيله وأمره بالغارة على نعم الناس فجمع الأسود إليه أموال أصحاب الحرم وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير ، ثم إن أبرهة أرسل حناطة الحميري إلى أهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به إليه أخبره أني لم آت لقتال إنما جئت لأهدم هذا البيت ، فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب فقال له إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه وإنما جاء لهدم هذا البيت ، ثم الانصراف عنكم ، فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا يد أن ندفعه عما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت إبراهيم خليله عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله مالنا بدفعه قوة قال فانطلق معي إليه ، فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب ، فقال ياذا نفر هل عندك من غناء أي نفع فيما نزل بنا ؟ قال أنا رجل أسير لا آمن أن أقتل بكرة أوعشية ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل فانه لي صديق فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم حظوتك ومنزلتك عنده (٣٣٤) قال فأرسل إلى أنيس فأتاه فقال : إن هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل

. . . .

والوحوش في رؤوس الجبال ، وقد أصاب الملك له مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي أحب ماوصل إليه من الخير ، فدخل أنيس على أبرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة عظمه وأكرمه عن أن يجلس تحته وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سريره فجلس على بساطه وأجلس عبد المطلب بجنبه . ثم قال لترجمانه قل له ماحاجتك إلى الملك فقال له الترجمان ذلك ، فقال له عبد المطلب حاجتي إلى الملك أن يرد على مائتي بعير أصابها ، فقال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك . قال لم ؟ قال جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير غصبتها لك . قال عبد المطلب أنا رب هذه الإبل ولهذا البيت رب سيمنعه منك . قال ما كان ليمنعه مني قال فأنت وذاك ، فأمر بإبله فردت عليه ، فلما ردت الإبل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤوس الجبال خوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا وأتى عبد المطلب وأخذ حلقة الباب وجعل يدعو فلما فرغ من دعائه توجه في بعض تلك الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله في العظم والقوة . ويقال كانت الأفيال اثنى عشر فيلا فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه وقال له ابرك محمودا وارجع رشيدا فانك ببلد الله الحرام فبرك فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول في رأسه فأدخل محاجنه تحت مراقه ومرافقه ففزعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى قدامه ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم ، وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عز وجل طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره أكبر من العدسة وأقل من الحمصة فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب بتلك الحجارة أحدا إلا هلك وخرجوا هاربين لايهتدون إلى الطريق الذي جاءوا منه وصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله على أبرهة داء في جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة أتبعها

كنيسة ليصرف إليها الحجاج من مكة ، فأحدث رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بالعذرة احتقارا بها ، فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة ، فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدمها محمود فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ماقصه فى قوله (أَلَمْ يَجْعَلْ) أى جعل (كَيْدَهُمْ) فى هدم الكعبة (فِى تَضْلِيلٍ) خسار وهلاك (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) جماعات جماعات ، قيل لاواحد له كأساطير ، وقيل واحده أبول أو إبال أو إبيل كعجول ومفتاح وسكين (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) طين مطبوخ (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته : أى أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره مكتوب عليه اسمه وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل إلى الأرض . وكان هذا عام مولد النبى صلى الله عليه وسلم .

مكة من قيح ودم فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك ، وانفلت وزير أبرهة أبو يكسوم وطائره فوق رأسه حتى وقف بين يدى النجاشي فلما أخبره الخبر سقط عليه الحجر فمات بين يديه . وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا ، وأما الفيلة الأخر فشجعوا فرموا بالحصباء (قوله كنيسة) أى وكان قد بناها بالرخام الأبيض والأحمر والأسود والأصفر وحلاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر وأذل أهل اليمن فى بنائها ونقل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس وكان على فرسخ من موضعها ونصب فيها صلبانا من ذهب وفضة ومنابر من عاج وآبنوس وغيرذلك وكان بناؤها مرتفعا عاليا تسقط قلنسوة الناظر عن رأسه عند نظره إليها (قوله ليصرف إليها الحجاج) أى وقد صرفهم بالفعل وأمرهم بحجها فحجوها سنين وكانوا يحجون البيت فى هذه المدة أيضا كذا قيل (قوله فأحدث رجل) أى من العرب وهو مالك بن كنانة (قوله أرسل الله عليهم الخ) أى فرجعوا هاربين يتساقطون بكل طريق وكان هلاكهم قرب عرفة قبل دخول أرض الحرم على الصحيح ، وقيل بوادى محسر بين مزدلفة ومنى وأصيب أبرهة فى جسده بداء الجدرى فتساقطت أنامله وأصابعه وأعضاؤه وسال منه الصديد والقيح والدم ومامات حتى انشق قلبه (قوله ألم يجعل كيدهم) أى مكرهم وسماه كيدا لأن سببه حسد سكان الحرم وقصد صرف شرفهم له وهو خفى فسمى كيدا لذلك (قوله أى جعل) أشار بذلك إلى أن المضارع لحكاية الحال الماضية (قوله وأرسل عليهم) عطف على قوله (٣٣٥) يجعل والاستفهام مسلط عليه فالمعنى قد جعل وأرسل (قوله طيرا) الطير اسم جنس يذكر ويؤنث (قوله أبابيل) أى وكانت من جهة السماء لم ير قبلها ولا بعدها مثلها، ورد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إنها طير بين السماء والأرض تعشش وتفرخ». قال ابن عباس: كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب . وقال عكرمة : كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع ولم تر قبل ذلك ولابعده ، وقالت عائشة : إنها أشبه شئ بالخطاطيف ، وقيل بل كانت أشباه الوطاويط حمرا وسودا (قوله جماعات جماعات) أى بعضها إثر بعض (قوله قيل لاواحد له) أى من لفظه فيكون اسم جمع (قوله إبول) بكسر الهمزة وفتح الوحدة المشددة وسكون الواو كسنور (قوله طين مطبوخ) أى محرق كالآجر وكان طبخه بنار جهنم وهى من الحجارة التى أرسلت على قوم لوط وناسب إهلاكهم بالحجارة لأنهم أرادوا هدم الكعبة . قال ابن عباس: كان الحجر إذا وقع على أحدهم نفط جلده وكان ذلك أول الجدرى ولم يكن موجودا قبل ذلك اليوم ، وعنه أيضا أنه رأى من تلك الحجارة عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفارى (قوله كعصف) واحده عصفة وعصافة وعصيفة (قوله وداسته) صوابه وراثته : أى ألقته روثا ثم يبس وتفتت ولم يقل فجعلهم كروث استهجانا للفظ الروث (قوله مكتوب عليه اسمه) أى وإدراك الطائر أن هذا لفلان بخصوصه إما بمجرد إلهام أو بمعرفته ذلك من الكتابة والله أعلم بحقيقة الحال (قوله يخرق البيضة) أى التى فوق رأس الرجل من حديد ، وقوله والرجل: أى فيدخل من دماغه ويخرج من دبره ، وقوله والفيل : أى الذى هو راكبه وجميع الفيلة قد هلكت إلا كبيرها وهو محمود فانه نجا لما وقع منه من الفعل الجميل الذى لم يقع مثله من العقلاء ، ولذا قال البوصيرى :

كم رأينا ماليس يعقل قد ألـــهم ماليس يلهم العقلاء ... إذ أبى الفيل ما أتى صاحب الفيـــل ولم ينفع الحجا والذكاء

(قوله عام مولد النبى صلى الله عليه وسلم) أى قبل مولده بخمسين يوما على الصحيح وذلك ببركة النور المحمدى . إن قلت إنه

انتقل من عبد المطلب بل ومن عبد الله إلى أمه آمنة . أجيب بأنه وإن انتقل من جده وأبيه إلا أن بركته حاصلة وباقية فى حله كوعاء المسك إذا فرغ منه فإن رائحته تبقى ، وقيل كان عام الفيل قبل ولادته صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ، وقيل بثلاث وعشرين ، وقيل غير ذلك .

[سورة قريش] أى السورة التى ذكر فيها الامتنان على قريش وتذكيرهم بنعم الله عليهم ليوحدوه ويشكروه (قوله مكية) أى فى قول الجمهور وهو الأصح ، وقوله أومدنية : أى فى قول الضحاك والكلبى (قوله لإيلاف قريش) اختلف المفسرون فى هذه اللام فقيل هى متعلقة بقوله — فجعلهم كعصف مأكول — فى السورة قبلها كأنه قال أهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلتى الشتاء والصيف . قال الزمخشرى : وهو بمنزلة التضمين فى الشعر وهو أن يعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لايصح إلا به ، ولهذا جعل أبى بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما فى مصحفه ببسملة ورد هذا القول بأن الصحابة أجمعت على أنهما سورتان منفصلتان بينهما بسملة ، وقيل متعلقة بمحذوف تقديره فعل ذلك . أى إهلاك أصحاب الفيل لإيلاف قريش ، وقيل تقديره اعجبوا ، والمعنى اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ، وقيل متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف : أى ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة وإنما دخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط كأنه قال إن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لإيلافهم فإنها أظهر نعمة عليهم وعليه درج المفسر ، وقريش مشتق إما من التقرش وهو التجمع سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم . قال شاعرهم :

أبونا قريش كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

أومن التقريش، يقال قرش (٣٣٦) يقرش بمعنى فتش لكونهم كانوا يفتشون على ذوى الخلات ليسدوا خلاتهم .

(سـورة قريش)

مكية، أو مدنية أربع آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم . لإيلاف قريش . إيلافهم) تأكيد ، وهو مصدر آلف بالمد ، (رحلة

قال الشاعر :

أيها الشامت المقرش عنا ... عند عمرو فهل له إبقاء

وقال ابن عباس : سميت باسم دابة فى البحر يقال لها القرش تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى . قال الشاعر :

وقريش هى التى تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو فى لجة البحر ... على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك ... فيه لذى الجناحين ريشا
هكذا فى الكتاب حى قريش ... يأكلون البلاد أكلا كشيشا
ولهم آخر الزمان نبى ... يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الأرض خيلة ورجالا ... يحشرون المطى حشرا كميشا

وهو مصروف هنا إجماعا لكونه مرادا به الحى إذ لوأريد به القبيلة لامتنع صرفه . قال سيبويه : فى معد وثقيف وقريش وكنانة هذه للأحياء أكثر وإن جعلتها اسما للقبائل فهو جائز حسن . واختلف القراء فى قوله لإيلاف فبعضهم قرأ لإيلاف بإثبات الياء قبل اللام الثانية وبعضهم قرأ بحذفها ، وأجمع الكل على إثبات الياء فى الثانى وهو قوله : إيلافهم ، ومن غريب ما اتفق فى هذين الحرفين أن القراء اختلفوا فى سقوط الياء وثبوتها فى الأول مع اتفاق المصاحف على إثباتها خطا واتفقوا على إثبات الياء فى الثانى مع اتفاق المصاحف على سقوطها منه خطا فهو أدل دليل على أن القراءة سنة متبعة مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اتباعا لمجرد الخط (قوله تأكيد) أى لفظى ورحلة مفعول للأول ، وقيل بدل لأنه أطلق البدل منه وقيد البدل بالمفعول وهو رحلة (قوله وهو مصدر آلف بالمد) أى أن إيلاف الثانى وكذا الأول على قراءة إثبات الياء مصدر آلف بالمد كأكرم يقال آلفته أؤالفه إيلافا ، وأما على قراءة حذف الياء فهو مصدر لألف ثلاثيا ككتب كتابا .

(قوله رحلة الشتاء) مفعول به بالمصدر والمصدر مضاف لفاعله أى لأن ألفوا رحلة والأصل رحلتى الشتاء والصيف، وإنما أفرد لأمن اللبس. وأول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم، واتبع هاشما على ذلك إخوته فكان هاشم يؤالف إلى الشام وعبد شمس إلى الحبشة والمطلب إلى اليمن ونوفل إلى فارس وكانت تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بجاه هؤلاء الاخوة أى بأمانهم الذى أخذوه من ملك كل ناحية من هذه النواحى، والرحلة بالكسر اسم مصدر بمعنى الارتحال وهو الانتقال، وأما بالضم فهو الشئ الذى يرتحل إليه مكانا أو شخصا (قوله وهم ولد النضر بن كنانة) أى فكل من ولده النضر فهو قرشى دون من لم يلده النضر و إن ولده كنانة وهذا هو الصحيح، وقيل هم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فمن لم يلده فهر فليس بقرشى و إن ولده النضر. قال العراقى:

أما قريش فالأصح فهر ۞ جماعها والأكثرون النضر

فالحاصل أن بنى فهر قرشيون اتفاقا و بنو كنانة الذين لم يلدهم النضر ليسوا بقرشيين. واختلف فى بنى النضر و بنى مالك وفهر هو الجد الحادى عشر من أجداده صلى الله عليه وسلم والنضر هو الثالث عشر وذلك أنه صلى الله عليه وسلم محمد ابن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصىّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة إلى آخر النسب الشريف (قوله والفاء زائدة) أى ولهذا جاز تقديم معمول

(رِحْلَةَ الشِّتَاءِ) إلى اليمن (وَ) رحلة (الصَّيْفِ) إلى الشام فى كل عام يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذى هو فخرهم، وهم ولد النضر بن كنانة (فَلْيَعْبُدُوا) تعلق به لإيلاف والفاء زائدة (رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ. الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ) أى من أجله (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) أى من أجله، وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة وخافوا جيش الفيل.

(سورة الماعون)

مكية، أو مدنية أو نصفها ونصفها، ست أو سبع آيات

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) بالجزاء والحساب،

ما بعدها عليها وقيل إنها ليست زائدة بل هى واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لإيلافهم فانها أظهر نعمه عليهم (قوله أى من أجله) أشار بذلك إلى أن من تعليلية والكلام على حذف مضاف والتقدير أطعمهم من أجل إزالة الجوع عنهم وآمنهم من أجل إزالة الخوف عنهم، وقيل إن من بمعنى بدل ولا يحتاج لتقدير مضاف، والمعنى فأطعمهم بدل الجوع وآمنهم بدل الخوف نظير قوله تعالى: أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، وقيل من بمعنى بعد، وقيل فى معنى الآية أنهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال «اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنى يوسف» فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجهد والجوع فقالوا يامحمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخصبت البلاد وأخصب أهل مكة بعد القحط والجهد وهذا حجة من يقول إن السورة مدنية (قوله وخافوا جيش الفيل) أى وهذا وجه مناسبتها لما قبلها وذلك أنه بعد أن ذكر لهم أسباب خوفهم امتنّ عليهم بإزالتها كأنه قال قد أزلنا عنكم ما تكرهون من الخوف والجوع فالواجب عليكم أن تشكروا تلك النعم وتصرفوها فى مصارفها. وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام. وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم و بالاسلام وكل حاصل.

[سورة الماعون] وتسمى سورة الدين (قوله أو نصفها ونصفها) أى نصفها الأول نزل بمكة فى العاص بن وائل والثانى بالمدينة فى عبد الله بن أبىّ بن سلول المنافق، وعلى القول بأن جميعها مكى يكون توبيخا لكفار مكة كالعاص بن وائل وأضرابه، وتسميتهم مصلين باعتبار أنها مفروضة عليهم، وعلى القول بأنه مدنى يكون توبيخا للمنافقين الكاذبين فى المدينة كعبد الله ابن أبىّ وأضرابه وتكذيبهم بالدين باعتبار باطنهم والعبرة على كل بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالوعيد المذكور لمن اتصف بتلك الأوصاف.

(قوله أى هل عرفته) أشار بذلك إلى أن الرؤية بمعنى المعرفة فتنصب مفعولا واحدا وهو الاسم الموصول . وقيل إن الرؤية بصرية فتتعدى لمفعول واحد أيضا . وقيل إنها بمعنى أخبرنى فتتعدى لاثنين الأول الموصول والثانى محذوف تقديره من هو (قوله بتقدير هو بعد الفاء) أى فاسم الاشارة خبر لمحذوف تقديره هو والذى بدل أوعطف بيان على اسم الاشارة والجملة جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله إن لم تعرفه وقرنت بالفاء لأن الجملة اسمية (قوله الذى يدعّ اليتيم) كأبى جهل كان وصيا على يتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ويصح حمل الحق على الميراث لأنهم كانوا لايورّثون النساء ولا الصبيان ويقولون : إنما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام ، ودعّ بالتشديد من باب ردّ وقرئ شذوذا بالتخفيف أى يدعوه ليستخدمه قهرا (قوله أى إطعامه) أشار بذلك إلى أن الحض يتعلق بالمصدر الذى هو فعل الفاعل لابالشئ المطعوم (قوله نزلت فى العاص بن وائل) وقيل نزلت فى أبى جهل وقيل فى عمرو بن عائذ المخزومى وقيل فى عبد الله بن أبىّ ابن سلول وتقدم ذلك (قوله فويل للمصلين) ويل مبتدأ وللمصلين خبره والفاء سببية ، والمعنى أن الدعاء عليهم بالويل متسبب عن هذه الصفات الذميمة ووضع الظاهر وهوللمصلين موضع المضمر لأنهم مع التكذيب وما أضيف إليه ساهون عن الصلاة غيرمكترثين بها ، وهذا على أن السورة كلها إما مكى أومدنى وعلى القول بالتنصيف فالويل متعلق بالمصلين الموصوفين بكونهم عن صلاتهم ساهون ومابعده فلا ارتباط له بما قبله والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إن أردت معرفة جزاء أهل النفاق فى الصلاة وغيرها فويل الخ (قوله الذين) نعت للمصلين أو بدل أو بيان وكذا الموصول بعده (قوله عن صلاتهم) إنما عبر بعن دون فى لأن صلاة المؤمن لا تخلو عن السهو فيها فالمذموم السهو عنها بمعنى تركها والتفريط فيها لا السهو فيها لوقوعه من الأنبياء (قوله يؤخرونها عن أوقاتها) أى ولايفعلونها بعد ذلك ووجه تسميتهم مصلين مع أنهم تاركون لها أنها مفروضة عليهم فكانت جديرة بأن تضاف لهم فتحصل أن معنى ساهون تاركون لها رأسا

أى هل عرفته إن لم تعرفه (فَذَٰلِكَ) بتقدير هو بعد الفاء (الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ) أى يدفعه بعنف عن حقه (وَلَا يَحُضُّ) نفسه ولا غيره (عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ) إى إطعامه ، نزلت فى العاص ابن وائل أو الوليد بن المغيرة (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) غافلون يؤخرونها عن أوقاتها (الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ) فى الصلاة وغيرها (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) كالإبرة والفأس والقدر والقصعة .

أو إن حصلت منهم تكون رياء وسمعة . قال ابن عباس : هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ويصلونها فى العلانية إذا حضروا ، وأما من ترك الصلاة وهو مؤمن موحد فهو عاص عليه أن يتوب ويقضيها فان مات وهو مصرّ على تركها فهو تحت المشيئة ، وأما إن تاب وشرع فى القضاء فمات قبل تمامه فانه مغفور له (قوله الذين هم يراءون) أصله يرائيون كيقاتلون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما وضمت الهمزة لمناسبة الواو والمفاعلة باعتبار أن المرائى يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه ، والفرق بين المنافق والمرائى أن المنافق يبطن الكفر ويظهر الإيمان والمرائى يظهر الأعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه أنه من أهل الدين والصلاح ، أما من يظهر النوافل ليقتدى به وقلبه خالص مع الله فليس بمذموم (قوله فى الصلاة وغيرها) أى كالصدقة ونحوها من أنواع البرّ (قوله ويمنعون الماعون) منع يتعدى لمفعولين ثانيهما قوله الماعون وأولهما محذوف تقديره الناس حذف للعلم به والماعون فاعول من المعن وهوالشئ القليل يقال مال معن أى قليل أواسم مفعول من أعان يعين فأصله معوون دخله القلب المكانى فصار موعون تحركت الواو الأولى وانفتح ماقبلها قلبت ألفا وهواسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوها وعليه درج المفسر لما روى عن ابن عباس قال « كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر » ، وهذا أحد تفاسير للماعون ، وقيل هو الزكاة ، وقيل هو مالايحلّ منعه مثل الماء والملح والنار ، ويلحق بذلك البئر والتنور . وقيل هو المعروف كله الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم ففى هذه الآية زجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها نهاية البخل . قال العلماء : ويستحب أن يستكثر الرجل فى بيته مما يحتاج إليه الجيران فيبرهم ويتفضل عليهم ولايقتصر على الواجب .

[سورة الكوثر] وتسمى سورة النحر (قوله مكية) أى فى قول ابن عباس والكلبى ومقاتل والجمهور وقوله أو مدنية أى فى قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة والمشهور الأول ويؤيده سبب النزول وهو أن العاص بن وائل السهمى تلاقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد عند باب بنى سهم فتحدثا وناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد ، فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تتحدث معه فقال ذلك الأبتر يعنى به النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى ولده القاسم (قوله إنا أعطيناك) أى إنا بجلالنا وعظمة قدسنا فالاتيان بأنّ ونون العظمة للتأكيد ولزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم ، والمعنى قضينا به لك وخصصناك به وأنجزناه لك فى علمنا وتقديرنا الأزلى وإن لم تستول عليه وتتصرف فيه إلا فى القيامة فالعطاء ناجز والتمكن والاستيلاء مستقبل . إن قلت إنه عبر هنا بالماضى وفى الضحى بالمضارع حيث قال ولسوف يعطيك ربك فكيف الجمع بينهما . أجيب بأن مافى الضحى باعتبار التمكن والاستيلاء وذلك يحصل فى المستقبل فى يوم القيامة وما هنا باعتبار التقدير الأزلى (قوله الكوثر) فوعل من الكثرة وصف مبالغة فى البالغ الغاية فى الكثرة (قوله هو نهر فى الجنة) ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم «الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من الذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج» وقوله هو حوضه الصواب أن يقول أو هو حوضه لأنهما قولان مذكوران فى التفاسير من جملة ستة عشر قولا ويدل لهذا الثانى قول أنس «بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله ؟ قال أنزلت علىّ آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر ثم قال أتدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه

(ســـورة الكوثر)

مكية ، أو مدنية ، ثلاث آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ) يا محمد (الْكَوْثَرَ) هو نهر فى الجنة ، هو حوضه ترد عليه أمته ، أو الكوثر الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) :

ربى عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول يارب إنه من أمتى فيقول ماتدرى ما أحدث بعدك» وورد فى صفة الحوض أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم «حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا» زاد فى رواية «وزواياه سواء» ومنها غير ذلك الثالث أنه النبوة الرابع القرآن الخامس الاسلام السادس تيسير القرآن وتخفيف الشريعة السابع كثرة الأصحاب والأمة والأتباع الثامن رفعة الذكر التاسع نور فى قلبك دلك علىّ وقطعك عما سواى العاشر الشفاعة الحادى عشر المعجزات الثانى عشر لا إله إلا الله محمد رسول الله الثالث عشر الفقه فى الدين الرابع عشر الصلوات الخمس الخامس عشر العظيم من الأمر السادس عشر الخير الكثير الدنيوى والأخروى وكل من هذه الأقوال تحقق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفوق ذلك مما لايعلم غايته إلا الله تعالى، وزاد بعضهم فوق تلك الأقوال أنه الذرية الكثيرة المباركة وقد حقق الله ذلك فلا تجد ذرية لأحد من الخلق مثل ذرية المصطفى فى الكثرة ولا فى البركة إلى يوم القيامة ، واختلف فى الحوض هل هو بعد الصراط أو قبله وهل هو بعد الميزان أو قبله والصحيح أنه قبلهما لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيشربون منه شربة لايظمأون بعدها أبدا ، روى عن ابن عباس «أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدى رب العالمين هل فيه ماء ؟ قال : أى والذى نفسى بيده إن فيه لماء وإن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك بأيديهم عصىّ من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء» وهذا الطرد لا يكون بعد الصراط لأنه لا يسلم من الصراط إلا المؤمنين فلا وجود للكفار هناك حتى يذادوا لسقوطهم فى جهنم قبل ذلك (قوله ونحوها) أى من الحكمة وكثرة الأتباع والأمة وغير ذلك (قوله فصل لربك) كان مقتضى الظاهر أن يقول فصل لنا فانتقل إلى الاسم الظاهر لأنه يوجب عظمة ومهابة .

(قوله صلاة عيد النحر) هو قول عكرمة وعطاء وقتادة وهو يؤيد كون السورة مدنية . وقال سعيد بن جبير ومجاهد فصل الصلاة المفروضة بجمع مزدلفة وانحر البدن بمنى ، وقيل هو أمر بكل صلاة مفروضة أو نافلة وهو يؤيد كونها مكية (قوله وانحر نسكك) أى هداياك وضحاياك وهو فى الابل بمنزلة الذبح فى البقر والغنم ، فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم نحر من خالص ماله فى حجة الوداع صبيحة منى مائة بدنة سبعين بيده الكريمة وثلاثين بيد على وخص الصلاة والنحر بالذكر لأن الصلاة مجمع العبادات وعماد الدين والنحر فيه إطعام الطعام ولا شك أنه قيام بحقوق العباد ففى تلك الخصلتين القيام بحقوق الله وحقوق عباده (قوله إن شانئك) اسم فاعل شنئ من بابى سمع ومنع شنأ بفتح النون وسكونها (قوله هو الأبتر) يصح أن يكون هو مبتدأ والأبتر خبره والجملة خبر إن ويصح أن يكون ضمير فصل والأبتر خبر إن والأبتر فى الأصل الشئ المقطوع من بتره قطعه وحمار أبتر لاذنب له (قوله أو المنقطع العقب) أى النسل (قوله سمى النبى صلى الله عليه وسلم أبتر) أى حيث قال بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده ، فلما قال تلك المقالة نزلت السورة تسلية وتبشيرا له صلى الله عليه وسلم (قوله عند موت ابنه القاسم) هو أول أولاده صلى الله عليه وسلم عاش سنتين ، وقيل سبعة عشر شهرا ، وقيل بلغ ركوب الدابة ومات قبل البعثة ، وقيل بعدها وهو أول من مات من أولاده وهم سبعة القاسم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر وإبراهيم وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية وماتوا جميعا فى حياته إلا فاطمة فعاشت بعده زمنا يسيرا وماتت رضوان الله عليهم أجمعين وذريته صلى الله عليه وسلم الباقية إلى يوم القيامة من نسلها .

صلاة عيد النحر (وَٱنْحَرْ) نسكك (إِنَّ شَانِئَكَ) أى مبغضك (هُوَ ٱلْأَبْتَرُ) المنقطع عن كل خير أو المنقطع العقب ، نزلت فى العاص بن وائل سمى النبى صلى الله عليه وسلم أبتر عند موت ابنه القاسم .

(سورة الكافرون)

مكية ، أو مدنية ست آيات

نزلت لما قال رهط من المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ . لا اعبد)

[سورة الكافرون]

وتسمى سورة العابدة أى المخالفة فى العبادة والمعاندة فيها وسورة الاخلاص لأنها دالة على الاخلاص فى العبادة والدين كما أن قل هو الله أحد تسمى سورة الاخلاص لكن هذه دالة على الاخلاص فى الظاهر والباطن والصمدية دالة على إخلاص القلب من الشرك فمن عمل بهما واعتقدهما برئ ظاهره وباطنه من الكفر والنفاق ولذلك لا يجتمعان فى منافق ولا كافر ويقال لها وللاخلاص المقشقشتان أى المبرئتان . وورد فى فضلها أحاديث منها « أنها تعدل ثلث القرآن » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « قل يأيها الكافرون تعدل ربع القرآن » ومنها « أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال اقرأ عند منامك قل يأيها الكافرون فانها براءة من الشرك » ومنها قول ابن عباس « ليس فى القرآن أشد غيظا لابليس منها لأنها توحيد وبراءة من الشرك » وإنما زادت الاخلاص فى الثواب عنها لأنها مشتملة على صفات الرب تعالى صريحا مع دلالتها على الاخلاص فى التوحيد (قوله مكية) أى فى قول ابن مسعود والحسن وعكرمة وقوله أو مدنية : أى فى قول قتادة والضحاك (قوله نزلت لما قال رهط من المشركين الخ) حاصله كما قال ابن عباس أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن مطلب وأمية ابن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد ونشترك نحن وأنت فى أمرنا كله فإن كان الذى جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد أشركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وإن كان الذى بأيدينا خيرا مما بيدك كنت قد أشركتنا فى أمرنا وأخذت بحظك منه فأنزل الله عز وجل - قل يأيها الكافرون - إلى آخرها والرهط بسكون الهاء أفصح من فتحها جمع لا واحد له من لفظه يقال على مادون العشرة من الرجال ، وقيل مافوق العشرة إلى الأربعين (قوله الكافرون) هم جماعة من الكفار مخصوصون علم الله تعالى عدم إيمانهم أصلا .

(قوله لا أعبد ما تعبدون) اعلم أنه اختلف المفسرون فى هذه السورة هل فيها تكرار أولا فعلى الأول هو للتأكيد وفائدته قطع أطماع الكفار وتحقيق الأخبار بأنهم لايسلمون أبدا وعلى الثانى فكل جملة مقيدة بزمن غير الزمن الذى قيدت به الأخرى فدرج للفسر على أن النفى الأول محمول على الحال والثانى على الاستقبال ودرج غيره على العكس ومايصح أن تكون موصولة بمعنى الذى فان كان المراد بها الأصنام كما فى الأولى والثالثة فالأمر واضح لأنهم غير عقلاء وما لغير العاقل وأما الثانية والرابعة فاما أن تكون واقعة على الله تعالى وتكون دليلا لمن يجوز وقوعها على العالم أو تجعل مصدرية والتقدير ولا أنتم عابدون عبادتى : أى مثل عبادتى ويصح أن يكون جميعها مصدرية أو موصولة أو الأوليان موصولتان والأخريان مصدريتان فتحصل أن ما فى هذه السورة فيها أربعة أقوال : الأول أنها كلها بمعنى الذى . الثانى أنها كلها مصدرية . الثالث أن الأوليين بمعنى الذى والأخريين مصدريتان . الرابع أن الأولى والثالثة بمعنى الذى والثانية والرابعة مصدرية . إن قلت ما الحكمة فى التعبير فى جانبه صلى الله عليه وسلم بلفظ أعبد وفى جانبهم بلفظ عبدتم . أجيب بأنه صلى الله عليه وسلم وإن كان يعبد الله تعالى قبل البعثة إلا أنه لم يدع الناس إلا بعدها فلم يشتهر بها إلا حين الدعوة وأما هم فكانوا متلبسين قديما بعبادة الأصنام متظاهرين بها (قوله علم الله منهم أنهم لايؤمنون) جواب عن سؤال مقدر حاصله كيف يقنطهم من الايمان مع أنه مبعوث لهدايتهم وقد كان حريصا على إيمانهم . وحاصل الجواب أن هذا فى قوم علم الله أنهم لايؤمنون أبدا فأخبر نبيه بذلك لتظهر شقاوتهم (قوله و إطلاق ما على الله) أى فى الثانية والرابعة وأما فى الأولى والثالثة فهى واقعة على الأصنام (قوله على وجه المقابلة) أى المشاكلة وهذا مبنى على القول بأنه لايجوز وقوع ما على العالم وأما على مذهب من يجوّز ذلك فلا يحتاج للاعتذار بالمقابلة وكان المناسب للمفسر أن يقول و إطلاق ما على العالم فصيح وحسنه للمشاكلة (قوله لكم دينكم الخ) اتى بهاتين الجملتين المثبتتين بعد جمل منفية لأنه لما كان الأهم تباعده عليه السلام عن دينهم بدأ بالنفى سابقا ، فلما تحقق النفى رجع إلى خطابهم مهادنة لهم فهاتان الجملتان مؤكدتان لمجموع الجمل الأربعة (قوله ولى دين) بفتح الياء من لى و إسكانها سبعيتان (قوله وهذا قبل أن يؤمر بالحرب) الاشارة راجعة إلى الآية الأخيرة ، وقيل إلى جميع السورة وهذا مبنى على أن المراد بالدين العبادة والتدين ، وقيل إن المراد بالدين الجزاء أى لكم جزاء أعمالكم ولى جزاء أعمالى وعليه فلانسخ (قوله وقفا ووصلا) أى لأنها من ياءات الزوائد فيراعى فيه رسم المصحف وهى غير ثابتة فيه اكتفاء بالكسرة (قوله وأثبتها يعقوب) أى وهو من العشرة .

لا أَعْبُدُ) فى الحال (مَا تَعْبُدُونَ) من الأصنام (وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ) فى الحال (مَا أَعْبُدُ) وهو الله تعالى وحده (وَلاَ أَنَا عَابِدٌ) فى الاستقبال (مَا عَبَدْتُمْ . وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ) فى الاستقبال (مَا أَعْبُدُ) علم الله منهم أنهم لايؤمنون ، و إطلاق ما على الله على وجه المقابلة (لَكُمْ دِينُكُمْ) الشرك (وَلِيَ دِينِ) الإسلام ، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب وحذف ياء الإضافة السبعة وقفا ووصلا وأثبتها يعقوب فى الحالين .

(سورة النصر)

مدنية ، ثلاث آيات

[سورة النصر مدنية] أى بالاجماع وتسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا واتفق الصحابة على أن هذه السورة دلت على نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لوجوه: منها أنهم عرفوا ذلك حين خطب وقال : إن عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله ، فقال أبو بكر فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا ، ومنها أنه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس فى الدين أفواجا دل على حصول الكمال والتمام . قال الشاعر :

إذا تمّ أمر بدا نقصه   توقع زوالا إذا قيل تمّ

ومنها أنه تعالى أمره بالتسبيح والحمد والاستغفار واشتغاله بذلك يمنعه من اشتغاله بأمر الأمة فكان هذا كالتنبيه على أن أمر التبليغ قد تم وكمل وذلك يقتضى انقضاء الأجل إذ لو بقى بعد ذلك لكان كالمعزول من الرسالة وذلك غير جائز .

(قوله إذا جاء نصر الله) المجيء في الأصل اسم للوجود التابت إذا حضر والمراد حصل وتحقق ففيه استعارة تبعية حيث شبه حصول النصر عند حضور وقته بالمجيء ثم اشتق منه لفظ جاء بمعنى حصل وعبر بالمجيء إشعارا بأن الأمور متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها وأن ماقدر الله حصوله فهو كالحاصل بالفعل كأنه موجود حضر من غيبته و إذا ظرف لما يستقبل من الزمان منصوب بسبح الواقع جوابها وهي على بابها إن كانت السورة نزلت قبل الفتح فان كان النزول بعد الفتح فاذا بمعنى إذ متعلقة بمحذوف تقديره أكمل الله الأمر وأتم النعمة على العباد. إذا جاء نصرَ الله ونصر الله مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله نبيه (قوله والفتح) أل فيه عوض عن المضاف إليه عند الكوفيين : أي وفتحه أو العائد محذوف عند البصريين أي والفتح منه وعطفه على النصر عطف خاص على عام (قوله فتح مكة) أي التي حصل به أعظم فتوح الاسلام وأعزّ الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه واستبشر به أهل السماء ودخل الناس في دين الله أفواجا . وسببها أنه وقع الصلح بالحديبية على أنه صلى الله عليه وسلم لايتعرض لمن دخل في عقد قريش وأنهم لايتعرضون لمن دخل في عقده وكان ممن دخل في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو بكر وكانا متعاديين ، فخرج بعض بني بكر و بني خزاعة فاقتتلوا فأمدّ قريش بني بكر فخرج أو بعون من خزاعة إليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه و يستنصرونه ، فقام وهو يجر رداءه ويقول لانصرت إن لم أنصركم بما أنصر به نفسي ولما أحس أبو سفيان جاء إلى المدينة ليجدد العهد ويزيد في المدة ، فأبى صلى الله عليه وسلم فرجع فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه وأعلم الناس أنه سائر إلى مكة وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ، فتجهز الناس ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم عامدا إلى مكة لعشر مضين من رمضان وقيل لليلتين مضتا منه سنة ثمان من الهجرة فصام رسول الله والناس معه حتى إذا كان بالكديد أفطر وعقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل ، ثم مضى حتى نزل مر الظهران المسمى الآن بوادي فاطمة في عشرة آلاف ، وقيل اثني عشر ألفا من المسلمين ، ولم يتخلف من المهاجرين والأنصار عنه أحد ، فلما نزل به أمرهم أن يوقدوا عشرة آلاف نار كل نار على حدة ، فخرج أبو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام و بديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار ، وكان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق مهاجرا بعياله ، فلما رأى ذلك الأمر قال : والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة قبل أن يستأمنوه لهلكت قريش إلى آخر الدهر . قال العباس فركبت بغلة رسول الله البيضاء وخرجت لأجد حطابا أو ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة و إذا أنا بأبي سفيان فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال أبو الفضل ؟ فقلت نعم قال مالك فداك أبي وأمي ؟ قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله قد جاءكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال وما الحيلة ؟ قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فأستأمنه لك ؟ فأردفته ، ورجع صاحباه ، فخرجت أركض به بغلة رسول الله كلما مررت بنار من نيران المسلمين نظروا وقالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال من هذا ؟ وقام إلي ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : يا أبا سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتدّ نحو رسول الله ، وركضت البغلة فسبقته ، فلما وصلت النبي صلى الله عليه وسلم دخلت عليه ودخل عليه عمر ، فقال يارسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه . قال فقلت يارسول الله إني قد أجرته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به ياعباس إلى رحلك فاذا أصبحت فأتني به . قال فذهبت به إلى رحلي فبات عندي ، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ، فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ، قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك فما زال به حتى أسلم . قال العباس يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا. قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه عليه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله . قال ففعلت ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء ياعباس ؟ فأقول سليم ، فيقول مالي ولسليم ، ثم تمر القبيلة فيقول من هؤلاء فأقول مزينة ، فيقول مالي ولمزينة ، فلا تمر قبيلة إلا سألني عنها حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ) نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه (وَالْفَتْحُ) فتح مكة ،

(ورأيت

وفيها المهاجرون والأنصار لايرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال سبحان الله من هؤلاء ياعباس ؟ قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، فقال ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما قلت ويحك إنها النبوة قال فنعم إذا ، فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ فى المسجد بأعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لاقبل لكم به ؟ قالوا وكيف السبيل قال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، قالوا ويحك وما تغنى عنا دارك ، قال ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما وبايعاه ثم بعثهما رسول الله بين يديه إلى قريش يدعوانهم إلى الاسلام ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته بأعلى مكة ، وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من خزاعة وبنى سليم أن يدخلوا من أسفل مكة ، وقال لهم لاتقاتلوا إلا من قاتلكم ؟ وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس فقال سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة : أى الحرب اليوم تستحل الحرمة ، فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، فأمره على لسان على كرم الله وجهه أن يدفع الراية لابنه قيس وأخبر أبا سفيان أنه لم يأمر بقتل قريش وأن اليوم يوم المرحمة وأن الله يعز قريشا ، وخشى سعد أن ابنه يقع منه شئ أيضا فذكر للنبى ذلك صلى الله عليه وسلم فدفعها للزبير وكانت راية النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين مع الزبير أيضا فبعثه ومعه المهاجرون وخيلهم وأمره أن يدخل من أعلى مكة وأن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه ، وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبنى بكر والأحابيش بأسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك ، فقتل من المشركين اثناعشر رجلا أوثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين إلا ثلاثة وكان قد أمرهم النبى أن لايقاتلوا إلامن قاتلهم إلا نفرا سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد وعبد الله بن خطل كانا قدأسلما ثم ارتدا ، ومنهم قينتان كانتا تغنيان بهجاء النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن خطل ، ومنهم الحويرث

(وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ) أى الإسلام (أفواجا) جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد ، وذلك بعد فتح مكة جاء العرب من أقطار الأرض طائعين (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) أى متلبسا بحمده (وَاسْتَغْفِرْهُ) ،

ابن وهب ومقيس بن صبابة وأناس أخر ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن بالناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس فى المسجد ، فقال : لا إله إلا الله وحده لاشريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ثم قال : يامعشر قريش ماترون أنى فاعل فيكم ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، ثم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله أمكن منهم عنوة فبذلك سمى أهل مكة الطلقاء ، ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده ، فقال يارسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد أين عثمان بن طلحة فدعى له ، فقال هاك مفتاحك ياعثمان اليوم يوم وفاء وبر واجتمع الناس للبيعة ، فجلس إليهم رسول الله على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس ، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وقد أحدقت به الأنصار فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم به ، فقال ماذا قلتم . قالوا لاشئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ، ثم خرج إلى هوازن وثقيف (قوله يدخلون) نصب على الحال إن كانت رأى بصرية أو مفعول ثان إن كانت علمية (قوله أفواجا) حال من فاعل يدخلون وهو جمع فوج . والمعنى يدخلون زمرا زمرا من غير قتال وقوله جاءه العرب لامفهوم له بل وغيرهم (قوله فسبح بحمد ربك) أى قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما رأيت من عجيب إنعامه عليك (قوله واستغفره) أى سل الله الغفران وإنما أمر الله تعالى نبيه بالاستغفار مع أنه معصوم من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها ليترقى ويرجع إلى حضرة الحق فانه وإن كان مشغولا بهداية الخلق إلا أن مقام الصفوة والحضور والأنس أعلى وأجل فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ليزداد فى التواضع والافتقار وليكون ختام عمله التنزيه والاستغفار وفيه تشريع للأمة إذا طعن أحدهم فى السن فالغالب قرب أجله فليكثر من ذلك ليختم عمله به .

(قوله إنه كان توابا) أى ولم يزل فكان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها ومعنى كونه توابا أنه يكثر قبول التوبة وبهذا اندفع مايقال إن كان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها فى الماضى وإذا كان كذلك فلا يصح أن يكون علة للاستغفار فى الحال أو المستقبل (قوله وعلم بها أنه قد اقترب أجله) أى لقول مقاتل لما نزلت قرأها النبى صلى الله عليه وسلم على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبى وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبى صلى الله عليه وسلم مايبكيك ياعم قال نعيت إليك نفسك قال إنه كاقلت فعاش بعدها ستين يوما مارؤى فيها ضاحكا وقيل نزلت فى منى بعد أيام التشريق فى حجة الوداع فبكى عمر والعباس فقيل لهما هذا يوم فرح فقالا بل فيه نعى النبى صلى الله عليه وسلم أى إخبار بموته وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى فى حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى فعاش النبى صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فعاش بعدها إحدى وعشرين يوما وقيل سبعة أيام وقيل غير ذلك (قوله وتوفى صلى الله عليه وسلم سنة عشر) إن قلت إن سنة عشر حج فيها وتوفى فيها ولده إبراهيم فالصواب سنة إحدى عشرة . وأجيب بأن المراد على تمام عشر من الهجرة إلى المدينة وذلك لأن الهجرة كانت لاثنتى عشرة خلت من شهر ربيع الأول وكانت وفاته لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول فكانت وفاته صلى الله عليه وسلم على رأس العاشرة بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة وإن كانت لشهرين وشىء مضت من الحادية عشرة إذا اعتبر التاريخ من أول السنة الشرعية وهو المحرم فيصح أن يقال توفى سنة إحدى عشرة بالنظر لجعل التاريخ من المحرم وتوفى سنة عشر بالنظر لجعل التاريخ من يوم دخوله المدينة . [سورة تبت] وتسمى سورة أبى لهب (قوله مكية) أى بالاجماع (قوله لما دعا النبى) أى نادى (قوله قومه أى المؤمنين والكافرين وذلك أنه لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين خرج صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا

إنه كان توابا) وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة يكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه وعلم بها أنه قد اقترب أجله ، وكان فتح مكة فى رمضان سنة ثمان ، وتوفى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول سنة عشر .

(سورة تبت)

مكية ، خمس آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم) لما دعا النبى صلى الله عليه وسلم قومه وقال إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال عمه أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا ، نزل

فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا الذى يهتف قالوا محمد فاجتمعوا إليه فقال يابنى فلان يابنى فلان يابنى عبدمناف يابنى عبدالمطلب فاجتمعوا إليه فقال أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك ماجمعتنا إلا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة فلما سمعت امرأته مانزل فى زوجها وفيها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رضى الله عنه وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تر إلا أبا بكر فقالت يا أبا بكر إن صاحبك قد بلغنى أنه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله إنى لشاعرة :مذمما عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا ثم انصرفت ، فقال أبو بكر يارسول الله أما تراها رأتك قال مارأتنى لقد أخذ الله بصرها عنى وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه أى ذو ذمة وعهد صادق ، وقال صاحب الهمزية فى هذا المعنى :

وأعدت حمالة الحطب الفهر وجاءت كأنها الورقاء يوم جاءت غضبى تقول أفى مثلى من أحمد يقال الهجاء

فتولت وما رأته ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء

وقيل إن سبب نزولها ماحكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماذا أعطى إن آمنت بك يامحمد فقال كما يعطى المسلمون قال مالى عليهم فضل قال وأى شىء تبتغى قال تبا لهذا من دين أن أكون وهؤلاء سواء .

(تَبَّتْ) خسرت (يَدَا أَبِي لَهَبٍ) أى جملته ، وعبر عنها باليدين مجازا لأن أكثر الأفعال تزاول بهما وهذه الجملة دعاء (وَتَبَّ) خسر هو ؛ وهذه خبر كقولهم : أهلكه الله وقد هلك ، ولما خوّفه النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب فقال إن كان مايقول ابن أخى حقا فإنى أفتدى منه بمالى وولدى نزل (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) وكسبه أى ولده وأغنى بمعنى يغنى (سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ) أى تلهب وتوقد فهى مآل تكنيته لتلهب وجهه إشراقا وحمرة (وَامْرَأَتُهُ) عطف على ضمير يصلى سوّغه الفصل بالمفعول وصفته وهى أم جميل (حَمَّالَةُ) بالرفع والنصب (الْحَطَبِ) الشوك والسعدان تلقيه فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم (فِي جِيدِهَا) عنقها (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) أى ليف ، وهذه الجملة حال من حمالة الحطب الذى هو نعت لامرأته ، أو خبر مبتدإ مقدر .

(قوله تبت يدا أبى لهب) بفتح الهاء وسكونها سبعيتان ولغتان جيدتان واتفق القراء على فتح الهاء فى قوله ذات لهب والفرق أنها فاصلة فلو سكنت زال التشاكل (قوله وهذه خبر) أى إخبار بحصول التباب له الذى دعا به عليه فى الجملة الأولى ، وهذا أحد قولين وقيل إن كلا الجملتين دعاء وصرح بكنيته لقبح اسمه فان اسمه عبد العزى أو لأن الله تعالى أراد أن يحقق نسبته بأن يدخله النار (قوله ما أغنى عنه ماله) يصح أن تكون ما نافية أو استفهامية وعلى الثانى فهو فى محل نصب بأغنى والتقدير أى شىء أغنى قدم لكونه له صدر الكلام (قوله ماله) أى الموروث من آبائه (قوله وكسبه) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية ويصح أن تكون اسم موصول بمعنى الذى والعائد محذوف أى والذى كسبه (قوله أى ولده) وهو عتيبة بالتصغير وأما عتبة ومعتب فقد أسلما قال بعضهم :

كرهت عتيبة إذ أجرما وأحببت عتبة إذ أسلما
كذا معتب مسلم فاحترز وخف أن تسب فتى مسلما

ومات أبو لهب بداء يسمى العدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال. والعدسة قرحة تخرج بالبدن فتقتل صاحبها كانت العرب تهرب منها لزعمهم أنها تعدى (قوله سيصلى نارا) أى يحترق بها (قوله فهى مآل تكنيته) جواب عما يقال كيف ذكره بكنيته دون اسمه وهو عبد العزى مع أن ذلك إكرام واحترام . وإيضاحه أنه ذكره بكنيته لموافقة حاله لها فان مصيره إلى النار ذات اللهب أو لأن ذكره باسمه خلاف الواقع حقيقة لأنه عبد الله لا عبد العزى (قوله وهى أم جميل) أى وهى أخت أبى سفيان بن حرب وكانت عوراء وماتت مخنوقة بحبلها (قوله حمالة الحطب) إن قلت إنها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت إنها لشدة عداوتها للنبى صلى الله عليه وسلم لا تستعين فى ذلك بأحد بل تفعله بنفسها (قوله بالرفع) أى على أنه نعت لامرأته وقرأ عاصم حمالة بالنصب على الذم أو الحال من امرأته. والمعنى أنها تصلى النار حال كونها حمالة الحطب لما ورد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار كما كانت تحمل الحطب فى الدنيا (قوله والسعدان) هو نبت له شوك يشبه به حلمة الثدى وهو بوزن سرحان (قوله تلقيه) أى بالليل لقصد أذية النبى صلى الله عليه وسلم (قوله فى جيدها حبل من مسد) قيل إنها فى الدنيا كانت تحتطب فى حبل من ليف تجعله فى عنقها فبينما هى ذات يوم حاملة الحزمة قعدت على حجر لتستريح إذ أتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها خنقا بحبلها. وقيل هذا فى الآخرة: قال ابن عباس. هو سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها فى عنقها فتلت من حديد فتلا محكما اهـ ويكون المراد بالمسد الحديد فانه يطلق عليه أيضا كما يؤخذ من القاموس ولا مانع من الجمع (قوله أى ليف) قيل هو ليف المقل وهو شجر الدوم أيض مشهور. وقيل مطلق الليف (قوله وهذه الجملة) أى المركبة من المبتدإ الذى هو حبل ومن الخبر الذى هو فى جيدها (قوله أو خبر مبتدإ مقدر)

أى وتقديره المراة المذكورة فى جيدها حبل من مسد .

[سورة الاخلاص] مناسبتها لما قبلها أنه لما تقدم فى التى قبلها ذكر عداوة المشركين له صلى الله عليه وسلم ولاسيما أقرب الناس إليه وهو عمه أبولهب جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عبدة الأوثان تسلية له صلى الله عليه وسلم و إشعارا بأن من تعلق بالله لا يكله إلى غيره ولايعتريه حزن . ولهذه السورة أسماء كثيرة وزيادة الأسماء تدل على شرف المسمى أنهاها بعضهم إلى عشرين اسما . أولها الاخلاص . ثانيها التنزيل . ثالثها التجريد لأن من تعلق بها تجرد عن الأغيار . رابعها التوحيد لأنها دالة عليه . خامسها النجاة لنجاة قارئها من النار . سادسها الولاية لأن من تعلق بها أعطاه الله الولاية . سابعها النسبة لقولهم فى السؤال انسب لنا ربك . ثامنها المعرفة لأن من فهمها عرف الله تعالى . تاسعها الجمال لدلالتها على جمال الله أى اتصافه بالكمالات وتنزيهه عن النقائص . عاشرها المقشقشة أى المبرئة من الشرك والنفاق . الحادى عشر المعوذة أى المحصنة لقارئها من فتن الدنيا والآخرة . الثانى عشر الصمد لذكره فيها . الثالث عشر الأساس لأنها أصل الدين ، ولحديث «أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد» . الرابع عشر المانعة لأنها تمنع فتنة القبر وعذاب النار . الخامس عشر سورة المحتضر لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت . السادس عشر المنفرة لأن الشياطين تنفر عند قراءتها . السابع عشر سورة البراءة لأنها براءة من الشرك . الثامن عشر المذكرة لأنها تذكر العبد خالص التوحيد . التاسع عشر النور لأنها تنور القلب . العشرون سورة الانسان لأنه لاغنى له عنها . وقد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم «من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة، فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب عزوجل ياعبدى ادخل بيمينك الجنة» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفرت له ذنوب خمسين سنة» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى له قصر فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى له قصران فى الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى له ثلاثة قصور فى الجنة . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله إذن تكثر قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل وعن الجيران» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد مرة بورك عليه ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جميع جيرانه ومن قرأها اثنتى عشرة مرة بنى الله له اثنى عشر قصرا فى الجنة فان قرأها مائة مرة كفر الله عنه ذنوب خمسين سنة ماخلا الدماء والأموال فان قرأها مائتى مرة كفر الله عنه ذنوب مائة سنة فان قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه فى الجنة أو يرى له» . ومنها أنه شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر وضيق المعيشة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخلت البيت فسلم إن كان فيه أحد فان لم يكن فيه أحد فسلم على واقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة ففعل الرجل ذلك فأدر الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه» . ومنها أن من قرأها مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله ونادى مناد من قبل الله تعالى فى سمواته وفى أرضه ألا إن فلانا عتيق الله فمن كان له قبله بضاعة فليأخذها من الله عز وجل» فهى عتاقة من النار لكن بشرط أن لا يكون عليه حقوق للعباد أصلا أو عليه وهو عاجز عن أدائها، أما من قدر عليها فهو كالمستهزىء بربه لما ورد فى الحديث: ياداود قل للظلمة لايذكرونى فانهم إن ذكرونى ذكرتهم وذكرى لهم أن ألعنهم (قوله سئل صلى الله عليه وسلم) أى والسائل له قريش أوأحبار اليهود أوالنصارى حيث قالوا إن آلهتنا ثلثمائة وستون ولم تقض حوائجنا فكيف بواحد، أوصورة السؤال وماصفة ربك هل هو من نحاس أومن ذهب أوز برجد أوكيف هو قولان فى كيفية السؤال، وورد «أن ابن سلام لما سمع بخروج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب إليه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أنت ابن سلام عالم يثرب

(ســـورة الإخلاص)

مكية ، أومدنية ، أربع أو خمس آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) سئل صلى الله عليه وسلم عن ربه فنزل (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ،

قال ثم قال أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى أتجدنى فى التوراة قال انسب ربك فأرتج النبى صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام : قل هو الله أحد إلى آخرها فقرأها فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله يظهرك ويظهر دينك على الأديان وإنى لأجد صفتك فى كتاب الله التوراة : ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولاسخاب فى الأسواق ولاتجزى بالسيئة مثلها ولكن تعفو وتصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا لاإله إلا الله يفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا (قوله فالله خبر هو الخ) هذا مبنى على أن ضمير هو عائد على المسئول عنه فى كلام الكفار وقيل إنه ضمير الشأن يفسره الجملة بعده فالله مبتدأ وأحد خبره والجملة خبر هو وهمزة أحد بدل من واو لأنه من الوحدة أوليست مبدلة من شىء قولان وإثبات لفظ قل مع تنوين أحد هو قراءة العامة وقرىء شذوذا بحذف قل وقرىء أيضا قل هو الله الواحد وقرىء أيضا بحذف التنوين لالتقاء الساكنين. واعلم أن هذه الآية يؤخذ منها عقائد التوحيد وذلك لأن الله تعالى علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد ومن كان وجوده واجبا لزم اتصافه بسائر الكمالات كالقدرة والارادة والعلم والحياة وقوله أحد يدل على الصفات السلبية وهى القدم والبقاء والغنى المطلق والتنزه عن الشبيه والنظير والمثيل فى الذات والصفات والأفعال وبذلك انتفت الكموم الخمسة وهى الكم المتصل والمنفصل فى الذات والصفات والمنفصل فى الأفعال فالمتصل فى الذات والصفات هو التركيب والمنفصل فيهما هو الشبيه والنظير والمنفصل فى الأفعال هو الشبيه فيها وكل هذه منفية ومستحيلة عليه تعالى ، وأما المتصل فى الأفعال فهو ثابت لأن أفعال الله تعالى متعددة لانهاية لها. بقى شىء آخر وهو أن أحد يستعمل فى النفى ، وأما واحد فيستعمل فى الإثبات فلم ذكره فى الإثبات ؟ . أجيب بأن ذلك أغلبى وقد يستعمل كل فى كل والقرآن وارد بذلك فى غير آية

فالله خبر هو وأحد بدل منه ، أو خبر ثان (اللَّهُ الصَّمَدُ) مبتدأ وخبر ، أى المقصود فى الحوائج على الدوام (لَمْ يَلِدْ) لانتفاء مجانسته (وَلَمْ يُولَدْ) لانتفاء الحدوث عنه (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) أى مكافئا ومماثلا فله متعلق بكفوا ، وقدم عليه لأنه محط القصد بالنفى ، وأخر أحد وهو اسم يكن عن خبرها رعاية للفاصلة .

وآثر الأحد على الواحد لمراعاة الفواصل (قوله وأحد بدل) أى بدل نكرة من معرفة وهو جائز (قوله الله الصمد) نتيجة ماقبله ولذا ترك العطف وذلك لأنه حيث ثبت أنه متصف بالكمالات منزه عن النقائص فلايقصد غيره ولايعول إلا عليه (قوله أى المقصود فى الحوائج) هذا أحد أقوال فى معنى الصمد وهو المشهور ، وقيل هو الذى لاجوف له ، وقيل هو الدائم الباقى بعد فناء خلقه ، وقيل هو الذى ليس فوقه أحد ، وقيل غير ذلك ، وإنما عرف الصمد لعلمهم به ومعرفتهم إياه بخلاف أحديته وكرر لفظ الله إشعارا بأن من لم يتصف به لايستحق الألوهية (قوله لم يلد ولم يولد) رد على مشركى العرب القائلين الملائكة بنات الله واليهود القائلين عزير ابن الله والنصارى القائلين المسيح ابن الله وهذه الجملة نتيجة ماقبلها لأنه حيث ثبت أنه متصف بالكمالات منزه عن النقائص مقصود فى جميع الأمور فلم يكن علة فى غيره ولا غيره علة فيه وأتى بالعاطف فى الجملتين الأخيرتين دون ماعداهما لأنهما سيقتا لمعنى وهو نفى المماثلة عنه تعالى بوجوهها لأن المماثلة إما ولد أو والد أو نظير فلتغاير الأقسام أتى بالعطف لأنه يقتضى المغايرة وترك العاطف فى لم يلد لأنه مؤكد للصمدية لأن الغنى عن كل شىء المحتاج إليه كل ماسواه لايكون والدا ولامولودا ، فهذه الجمل الثلاث فى معنى جملة واحدة (قوله لانتفاء مجانسته) أى لغيره لأن الولد من جنس أبيه والله سبحانه وتعالى لايجانسه أحد لأنه واجب وغيره ممكن ولأن الولد يطلب إما لاعانة والده أو لتخلفه بعده والله تعالى غنى عن كل شىء ولايفنى (قوله لانتفاء الحدوث عنه) أى لأن كل مولود جسم ومحدث والله تعالى ليس كذلك (قوله ومماثلا) عطف تفسير واعلم أن الكفء يعم الشبيه والنظير والمثيل ، فالمثيل هو المشارك لك فى جميع صفاتك والشبيه هو المشارك فى غالبها والنظير هو المشارك فى أقلها والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك كله (قوله وقدم عليه) أى وكان الأصل أن يؤخر الظرف لكن قدم لأهميته اعتناء بنفى المكافأة عنه تعالى لأنه المقصود (قوله لأنه محط القصد بالنفى) أى فالقصد نفى المكافأة عن ذات الله تعالى فكان تقديمه أولى ، وهذه السورة الشريفة نفت أصول الكفر الثمانية : التركيب والعدد والنقص بمعنى الاحتياج والقلة بمعنى البساطة والعلة والمعلول والشبيه والنظير ، أما الكثرة والعدد فانتفاؤهما بقوله تعالى :

ـ قل هو الله أحد ـ والنقص والقلة بقوله ـ الله الصمد ـ والعلة والمعلول بقوله ـ لم يلد ولم يولد ـ والشبيه والنظير بقوله ـ ولم يكن له كفوا أحد ـ .

[سورة الفلق] مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما بين أمر الألوهيــة فى السورة قبلها بين هنا مايستعاذ منه بالله تعالى لأنه الملجأ سواه (قوله مكية) أى فى قول الحسن وعطاء وعكرمة وقوله أومدنية أى فى قول ابن عباس وقتادة وجماعة وهو الصحيح ويؤيده سبب النزول فانه كان بالمدينة ولم يظهر للقول بأنها مكية وجه . وورد فى فضل هذه السورة والتى بعدها أحاديث:منها قوله صلى الله عليه وسلم « لقد أنزلت على سورتان ماأنزل مثلهما وإنه لن يقرأ أحد سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعنى المعوذتين » وقوله : ماأنزل مثلهما أى فى التحصن والتعوذ ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « ياابن عابس ألا أخبرك بأفضل مما تعوذ به المتعوذون ؟ قلت بلى يارسول الله ، قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس » ومنها « أنه كان صــلى الله عليه وسلم يتعوذ من عين الجان ومن عين الإنس فلما نزلت سورتا المعوذتين أخذ بهما وترك ماسواهما » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه : «اقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاثا يكفك من كل شئ» وفى رواية « من قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاث مرات إذا أخــذ مضجعه فاذا قبض قبض شهيدا وإن عاش عاش مغفورا له » (قوله نزلت هذه السورة والتى بعدها الخ) أى باجماع الصحابة (قوله لما سحر لبيد) أى ابن الأعصم . وحاصــله أنه لما رجع رسول الله صــلى الله عليه وسلم من الحديبية فى ذى الحجة ودخل المحرم سنة سبع وفرغ من وقعة خيبر جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم وكان حليفا فى بنى زريق وكان ساحرا فقالوا أنت أسحرنا : أى أعلمنا بالسحر وقد سحرنا محمدا فلم يؤثر فيه سحرنا شيئا ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحره لنا سحرا يؤثر فيه فجعلوا له ثلاثة دنانير فأتى غلاما

(ســـورة الفلق)

مكية ، أو مدنية ، خمس آيات

نزلت هذه السورة والتى بعدها لما سحر لبيد اليهودى النبى صلى الله عليه وسلم

يهوديا كان يخدم النبى صــلى الله عليه وسلم فلم يزل به حتى أخذ مشاطة رأس النبى صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه وأعطاهاله فسحره بها وكان من جملة السحر صورة من شمع على صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قد جعلوا فى تلك الصورة إبرا مغروزة إحدى عشرة ووتر فيه إحدى عشرة عقدة وكان النبى صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع إبرة وجد لها ألما فى بدنه ثم يجد بعدها راحة ، وكانت مدة سحره صلى الله عليه وسلم أربعين يوما ، وقيل ستة أشهر ، وقيل عاما . قال ابن حجر وهو المعتمد . إن قلت كيف يؤثر السحر فيه صــلى الله عليه وسلم مع أنه معصوم بنص الآية : والله يعصمك من الناس ؟ . أجيب بأن المعصوم منه ماأدى لخبل فى عقلــه أولضياع شرعه أولموته ، وأما ماعدا ذلك فهو من الأعراض البشرية الجائزة فى حقه كأن جرحه وكسرر باعيته لايقدح فى عصمته ، وأنكر بعض المبتدعة حديث السحر زاعمين أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وماأدى لذلك فهو باطل وزعموا أيضا أن تجويز السحر على الأنبياء يؤدى لعدم الثقة بما أتوا به من الشرائع إذ يحتمل أن يخيل إليه أن يرى جبريل يكلمه وليس هوثم وهذا كله مردود لقيام الدليل على ثبوت السحر باجماع الصحابة وعصمته صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء وصدقهم فيما يبلغونه عن الله ، وأما ما كان متعلقا بأمور الدنيا فهم كسائر البشر تعتريهم الأعراض كالصحة والسقم والنوم واليقظة والتألم بالسحر ونحوذلك ، وأماماورد فى قصة السحر من أنه كان يخيل إليه أنه يأتى أهله ولم يأت فمعناه أنه يظهر له من نشاطه وسابق عادته الاقتدار على الوطء فاذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود وتسميه العامة المربوط لما ورد : أنه حبس عن عائشة ســنة ، وعن ابن عباس أنه مرض وحبس عن النساء والطعام والشراب ففى ذلك دليل على أن السحر إنما تسلط على ظاهر جسده لاعلى عقله . ثم اعلم أن مذهب أهــل السنة أن السحر حق وله حقيقة ويكون بالقول والفعل ، ومن جملة أنواعه السيمياء وهى حيل صناعية يتوصــل إليها بالاكتساب غير أنها لدقتها لايتوصل إليها إلا آحاد الناس ومادته الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها وأكثرها تخييلات فيعظم عند من لايعرف ذلك ، والحق أنه من الأسباب العادية التى توجد الأشياء عنــدها لابها فيؤثر فى القلوب

كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر وفى الأبدان بالألم والسقم ، وأما قلب الجماد حيوانا وعكسه فباطل لاخصوصية ؛ إذ لو قدر الساحر على هذا لقدر أن يرد نفسه إلى الشباب بعد الهرم وأن يمنع نفسه من الموت ، وهو حرام إن لم يكن بما يعظم به غير الله أو يعتقد تأثيره بنفسه وإلا فهو كفر (قوله فى وتر) بفتحتين : أى وتر القوس (قوله فأحضر بين يديه) روى « أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما ذات يوم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال الذى عند رأسه مابال الرجل ؟ فقال الذى عند رجليه طب : أى سحر . قال ومن سحره ؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودى . قال وبم طبه ؟ قال بمشط ومشاطة . قال وأين هو ؟ قال فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر ذروان . فانتبه النبى صلى الله عليه وسلم ثم أمر عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة وإذا تمثال من شمع على صورته صلى الله عليه وسلم مغروز فيه إحدى عشرة إبرة » وكانت هذه المذكورات كلها موضوعة فى الجف وهو بضم الجيم وتشديد الفاء وعاء طلع النخل ، والراعوفة حجر أسفل البئر يقوم عليه المائح (قوله كأنما نشط من عقال) أى كأنما حل وأطلق منه (قوله الصبح) هذا أحد أقوال فى معنى الفلق وآثره إشارة إلى التفاؤل الحسن فان مقصود العائذ من الاستعاذة أن يتغير حاله بالخروج من الخوف إلى الأمن ومن الوحشة إلى السرور والصبح أدل على هذا لما فيه من زوال الظلمة باشراق أنواره وتغير وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته ، وقيل الفلق سجن فى جهنم . وقيل بيت فى جهنم إذا فتح صاح أهل جهنم من حره ، وقيل هو اسم من أسماء جهنم ، وقيل واد فى جهنم ، وقيل شجرة فى النار ، وقيل الرحم لانفلاقه عن الولد ، وقيل كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والحب والنوى وكل نبات ، وقيل غير ذلك

فى وتر به إحدى عشر عقدة فأعلمه الله بذلك وبمحله فأحضر بين يديه صلى الله عليه وسلم وأمر بالتعوذ بالسورتين فكان كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة ووجد خفة حتى انحلت العقد كلها وقام كأنما نشط من عقال .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) الصبح (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) أى الليل إذا أظلم ، أو القمر إذا غاب (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ) السواحر تنفث (فِي الْعُقَدِ) التى تعقدها فى الخيط تنفخ فيها بشىء تقوله من غير ريق . وقال الزمخشرى : معه ،

(قوله من شر ما خلق) هذا عام وما بعده خاص والجار والمجرور متعلق بأعوذ وما موصولة أو مصدرية (قوله وغير ذلك) أى كالإحراق بالنار والإغراق فى البحار (قوله ومن شر غاسق) نكر غاسق وحاسد لإفادة التبعيض لأن الضرر قد يتخلف فيهما وعرف النفاثات لأنهن معهودات فقيل بنات لبيد وقيل أخواته (قوله أى الليل إذا أظلم) سمى الليل غاسقا لانصباب ظلامه واستعيذ من الليل لشدة الآفات فيه وإذا منصوبة بشر : أى أعوذ بالله من الشر فى وقت كذا (قوله أو القمر) سمى غاسقا لذهاب ضوئه بالكسوف أو المحاق فى آخر الشهر واسوداده ، وقوله إذا غاب : أى استتر بالكسوف أو أخذ فى المحاق أو النقص وذلك آخر الشهر وفيه تتوفر أسباب السحر المصححة له ويسميه المنجمون إذ ذاك نحسا وهو أنسب بسبب النزول ، وهذان قولان من جملة أقوال كثيرة ، وقيل الثريا وذلك لأنها إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين وإذا طلعت ارتفع ذلك . وقيل هو الشمس إذا غربت ، وقيل هو الحية إذا لدغت ، وقيل كل هاجم يضر كائنا ما كان (قوله السواحر) صفة لموصوف محذوف : أى النساء السواحر وخص النساء بالذكر لأن سحرهن أشد من سحر الرجل لما ورد : أنه بعد إغراق فرعون وقومه وتوجه موسى وقومه لقتال الجبارين ملك نساء القبط مصر وكان فيها سبعمائة ساحرة كلما قصدهن عسكر صورن صورته وفعلن بالصورة ما شئن من قلع الأعين وقطع الأعضاء فيتفق نظيره للعسكر القاصد لهن فتخافهن العساكر (قوله بشىء) أى مع شىء : أى قول تقوله ، وقوله من غير ريق متعلق بتنفخ . واختلف فى النفث عند الرقية والمسح باليد فمنعه قوم لما فيه من التشبه بالسحر وأجازه آخرون وهو الصحيح لما ورد عن عائشة كان النبى صلى الله عليه وسلم ينفث فى الرقية ، وورد عنها أيضا أنها رقت ونفثت ، وقال على كرم الله وجهه « اشتكيت فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أقول اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحنى وإن كان متأخرا فاشفنى وعافنى وإن كان بلاء فصبرنى فقال صلى الله عليه وسلم كيف قلت ؟ فقلت له فمسحنى بيده ثم قال : اللهم اشفه فما عاد ذلك الوجع بعد » اهـ (قوله وقال الزمخشرى معه) أى الريق ففى النفث قولان .

(قوله ومن شر حاسد إذا حسد) الحسد تمنى زوال نعمة المحسود عنه وإن لم يصر للحاسد مثلها، والغبطة تمنى مثلها ، فالحسد مذموم دون الغبطة وعليها حمل حديث « لا حسد إلا فى اثنتين » والحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء وأول ذنب عصى به فى الأرض فحسد إبليس آدم، وقابيل هابيل . والحاسد ممقوت مبغوض ومطرود وملعون . قال بعض الحكماء : بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه : أولها أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره . ثانيها أنه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول لم قسمت لى هذه القسمة . ثالثها أنه يعاند فعل الله تعالى . رابعها أنه يريد خذلان أولياء الله . خامسها أنه أعان عدو الله إبليس ، وقال بعضهم : الحاسد لاينال فى المجالس إلا ندامة ولاينال عند الملائكة إلا لعنة و بغضا ولاينال فى الخلوة إلا جزعا وغما ولا ينال فى الآخرة إلا حزنا واحتراقا ولاينال من الله إلا بعدا ومقتا ، وفى الحديث « فى الإنسان ثلاثة الطيرة والظن والحسد فيخرجه من الطيرة أن لايرجع ويخرجه من الظن أن لايحقق ويخرجه من الحسد أن لايبغى » (قوله أظهر حسده) أى حمله الحسد على إظهاره لأنه إذا لم يظهر الحسد لايتأذى به إلا الحاسد وحده لاغتمامه بنعمة غيره ، وفى هذا المعنى قال بعض العارفين :

ألا قل لمن بات لى حاسدا ... أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى فعله ... لأنك لم ترض لى ما وهب
فكان جزاؤك أن خصنى ... وسد عليك طريق الطلب

وقال بعضهم :

اصبر على حسد الحسو ... د فان صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

[فائدة] كرر لفظ شر مع كل جملة لئلا يتوهم أنه شر واحد مضاف للجميع .

كبنات لبيد المذكور (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) أظهره حسده وعمل بمقتضاه كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر الثلاثة الشامل لها ماخلق بعده لشدة شرها.

(ســـورة الناس)

مكية أو مدنية ، ست آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) خالقهم ومالكهم خصوا بالذكر تشريفا لهم ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس فى صدورهم (مَلِكِ النَّاسِ . إِلَٰهِ النَّاسِ) بدلان أو صفتان أو عطفا بيان ، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادة للبيان ،

[سورة الناس مكية] (قوله أو مدنية) أى وهو الصحيح لما تقدم من أن سبب النزول واقعة السحر وهى بالمدينة سنة سبع (قوله ست آيات) أى والسورة التى قبلها خمس فتكون الجملة إحدى عشرة (من آية عدة العقد والابر الحاصلين فى السحر (قوله قل أعوذ) أى أتحصن والأمر للنبى صلى الله عليه وسلم ويتناول غيره من أمته لأن أوامر القرآن ونواهيه لا تخص فردا دون فرد (قوله الناس) أصله إما إناس حذفت الهمزة أونوس مأخوذ إما من ناس إذا تحرك خص بالبشر لأنه المتحرك الحركة المعتد بها الناشئة عن روية وتدبر تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا أومن الانس ضد الوحشة لأنه يؤنس به أومن النسيان لكونه شأنه وطبعه (قوله خالقهم) أى موجدهم من العدم (قوله خصوا بالذكر) أى و إن كان رب جميع الخلائق (قوله تشريفا لهم) أى من حيث إنه تعالى أخدم لهم ملائكة قدسه وجعل لهم مافى الأرض جميعه وأمدهم بالعقل والعلم وكلفهم بخدمته فان قاموا بتلك الوظيفة كان لهم العز دنيا وأخرى و إن لم يقوموا بها ردوا لأسفل السافلين فلم يساووا كلبا ولاخنزيرا و إذا علمت بذلك أنه رب الناس فهو رب غيرهم بالأولى (قوله ومناسبته للاستعاذة الخ) أى فكأنه قال أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم المالك لهم (قوله ملك الناس) باسقاط الألف هنا باتفاق القراء بخلاف الفاتحة ففيها قراءتان سبعيتان ثبوت الألف وحذفها. ومعنى الملك المتصرف فيهم بأنواع التصرفات من إعزاز و إذلال و إغناء و إفقار وغير ذلك (قوله إله الناس) هذا الترتيب بديع وذلك أن الانسان أولا يعرف أن له ربا لما يشاهده من أنواع التربية ثم إذا تأمل عرف أن هذا الرب متصرف فى خلقه غنى عن غيره فهو الملك ، ثم إذا زاد تأمله عرف أنه يستحق أن يعبد لأنه لايعبد إلا الغنى عن كل ماسواه المفتقر إليه كل ماعداه (قوله زيادة للبيان) حاصله أنه ورد إشكال وهو لم كرر لفظ الناس ثانيا وثالثا ولم يكتف بضميرهم

مع أن أتحاد اللفظين فى اللفظ والمعنى معيب كالإيطاء فى الشعر كما أجاب المفسر بقوله زيادة البيان وهو جواب خفى ، وأحسن منه أن يقال إن التكرار لإظهار شرف الناس وتعظيمهم والاعتناء بشأنهم كما أنه حسن التكرار للتلذذ وإظهار فضل المكرر فى قول بعضهم :

محمد ساد الناس كهلا ويافعا   وساد على الأملاك أيضا محمد
محمد كل الحسن من بعض حسنه   وما حسن كل الحسن إلا محمد
محمد ما أحلى شمائله وما   ألذ حديثا راح فيه محمد

وهذا على تسليم أن المراد بالناس فى الجميع شئ واحد، وأما إن أريد بالناس الأول الصغار وأضيفوا للرب لاحتياجهم إلى التربية أكثر من غيرهم ، وبالثانى الشباب وأضيفوا للملك لأن شأنهم الطغيان والطيش فهم محتاجون لملك يسوسهم ويكسر هيجان شبوبيتهم ، وبالثالث الشيوخ وأضيفوا للإله لأن شأنهم كثرة العبادة لقرب ارتحالهم وقدومهم على ربهم وفناء شهواتهم فهم أقرب من غيرهم التعلق بالإله فلا اتحاد فى المعنى (قوله من شرّ الوسواس) متعلق بأعوذ . إن قلت ما الحكمة فى وصف الله تعالى فى هذه السورة نفسه بثلاثة أوصاف وجعل المستعاذ منه شيئا واحدا وفى السورة قبلها بعكس ذلك لأنه وصف نفسه بوصف واحد وجعل المستعاذ منه أربعة أشياء . أجيب بأنه فى السورة المتقدمة المستعاذ منه أمور تضرّ فى ظاهر البدن وهنا وإن كان أمرا واحدا إلا أنه يضرّ الروح وما كان يضرّ الروح يهتم بالاستعاذة منه . إن قلت كان مقتضى الظاهر تقديم ما به الاهتمام وهو الاستعاذة من شر الوسواس إذ سلامة الروح مقدّمة على البدن . أجيب بأن تقديم سلامة البدن وسيلة للمقصود بالذات وهو سلامة الروح (قوله سمى بالحدث) أى المصدر ، وقوله لكثرة ملابسته له : أى ملازمته للوسوسة فهو على حدّ زيد عدل وماذكره المفسر ليس بمتعين فان الوسواس بالفتح كما يستعمل اسم مصدر بمعنى الحدث

(مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ) أى الشيطان ، سمى بالحدث لكثرة ملابسته له (الْخَنَّاسِ) لأنه يخنس ، ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله (الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ) قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) بيان للشيطان الموسوس أنه جنى وإنسى ،

يطلق على نفس الشيطان الموسوس ويطلق أيضا على ما يخطر بالقلب من الشرّ. واعلم أن خواطر القلب أربعة رحمانى وملكى ونفسى وشيطانى فالرحمانى ما يلزم طاعة بعينها والملكى ما يلزم طاعة لا بعينها والنفسى ما يلزم معصية بعينها والشيطانى ما يلزم معصية لا بعينها فتمسك بهذا الميزان (قوله لأنه يخنس) من باب دخل : أى يتوارى ويختفى بعد ظهوره المرة بعد المرة (قوله كلما ذكر الله) أى فالذكر له كالقامع الذى يقمع المفسد فهو شديد النفور منه ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلا، وعن بعض السلف أن المؤمن يفنى شيطانه كما فنى الرجل بعيره فى السفر. قال قتادة : الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب ، وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ، ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويحدّثه فاذا ذكر الله خنس وتأخر وإذا غفل رجع ، وهل المراد الحقيقة، أو خرطوم الكلب والخنزير كناية عن قبحه وخبثه ونجاسته ورأس الحية كناية عن شدة الأذية ووضعه على الفؤاد كناية عن شدة التمكن؟ كل محتمل (قوله إذا غفلوا عن ذكر الله) أى بقلوبهم ولو كانوا ذاكرين بألسنتهم وذلك لأن الوسوسة حالة فى القلب فلا يطردها إلا الذكر الحال فى القلب فمن كان من أهل الذكر فلا تسلط للشيطان عليه . قال تعالى - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - ولا يترك الانسان الذكر اللسانى إذا وجد الغفلة والوسواس فى قلبه بل يكثر الذكر ويديمه فلعله يستيقظ قلبه ويتنور . قال العارفون : الذكر اللسانى كقدح الزناد فاذا تكرّر أصاب . قال بعضهم فى ذلك :

اطلب ولا تضجرن من مطلب   فآفة الطالب أن يضجرا
أما ترى الحبل لتكراره   فى الصخرة الصماء قد أثرا

(قوله من الجنة) اسم جنس جمعى يفرق بينه وبين واحده بالياء فيقال جن وجنى كزنج وزنجى وغالبا يفرق بالتاء كتمر وتمرة وزيدت التاء فى الجنة لتأنيث الجماعة، سموا بذلك لاجتنانهم : أى استتارهم عن العيون، وهم أجسام نارية هوائية يتشكلون بالصور الشريفة والخسيسة وتحكم عليهم الصورة وتقدم ما فيهم (قوله بيان للشيطان الموسوس) أى المذكور بقوله : من شر الوسواس فمن بيانية مشوبة بتبعيض : أى بعض الجنة وبعض الناس .

(قوله كقوله تعالى الخ) أى يشهد له حديث «تعوذوا بالله من شياطين الجن والانس» (قوله والناس عطف على الوسواس) أى ولفظ شر مسلط عليه كأنه قال من شر الوسواس الذى يوسوس وهو الجنة ومن شر الناس وعليه فالناس لايصعو منهم وسوسة (قوله وعلى كل) أى من الاحتمالين وقوله يشمل أى الشر المستعاذ منه شر لبيد الخ (قوله المذكورين) أى فى السورة السابقة وفيه تغليب للمذكر وهو لبيد على المؤنث وهو بناته (قوله واعترض الأول) أى وهو أنه بيان للشيطان الموسوس (قوله لايوسوس فى صدورهم الناس) كذا فى بعض النسخ والمناسب كما فى بعضها لايوسوسون فى صدور الناس (قوله بمعنى يليق بهم) أى كالنميمة ويخنسون إذا زجروا (قوله المؤدى) أى الموصل إلى ثبوتها فى القلب (قوله والله أعلم) أشار بذلك إلى تمام القرآن. وفى ختم القرآن بهذه السورة إشارة حسنة كأنه قيل ما أنزلناه كاف ما فرطنا فى الكتاب من شئ فلا تطلب بعده شيئا بل اقتصر على العمل به واستعذ بالله من الشيطان والحاسد لأن العبد إذا تمت نعمة الله عليه كثرت حساده إنسا وجنا، قيل عدد حروف هذه السورة غير المكرر ثلاث وعشرون حرفا وكذا عدد الفاتحة بعدد السنين التى أنزل فيها القرآن وهو سر بديع وأول القرآن باء البسملة وآخره سين والناس كأنه قال بس أى تم وكمل. ثم اعلم أن الجلال المحلى رضى الله عنه بعد أن ختم هذا النصف الأخير وابتداؤه من سورة الكهف شرع فى تفسير النصف الأول وأوله سورة الفاتحة فقال فى شروعه فيه سورة الفاتحة الخ ولم يفتتحه بخطبة على عادة المؤلفين مشتملة على حمد وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك قصدا للاختصار وروما للاقتصار على

محط الفائدة. ثم إنه لما فرغ من تفسير سورة الفاتحة توفى إلى رحمة الله تعالى فقيض الله تعالى تلميذه الجلال السيوطى لتتميم تفسيره فابتدأ بأول سورة البقرة وختم بالاسراء كما ذكر فى خطبته فصار تفسير الفاتحة فى نسخ الجلال مضموما لتفسير آخر القرآن لا أوله ليكون تفسير المحلى مضموما بعضه لبعض رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم.

كقوله تعالى: شياطين الإنس والجن، أو من الجنة بيان له والناس عطف على الوسواس، وعلى كل يشمل شر لبيد و بناته المذكورين، واعترض الأول بأن الناس لا يوسوس فى صدورهم الناس إنما يوسوس فى صدورهم الجن. وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضاً بمعنى يليق بهم فى الظاهر ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدى إلى ذلك، والله تعالى أعلم.

(سـورة الفاتحة)

مكية، سبع آيات بالبسملة

[سورة الفاتحة مكية] وهو قول الأكثر وقيل مدنية وجمع إن بعضهم بين القولين فقال نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ولذلك سميت مثانى. وقيل نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة والأول هو الصحيح لقوله تعالى ـ ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ـ والحجر مكية باجماع وأيضا فرض الصلاة كان بمكة ولم يثبت أنه وقع فى الاسلام صلاة بغيرها يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم «لاصلاة إلا بفاتحة الكتاب» بل هى من أوائل القرآن نزولا وسميت فاتحة لأنها مفتاح الكتاب العزيز، وهذا اسم من جملة عشرين اسما. ثانيها فاتحة الكتاب. ثالثها أم القرآن لأنه مفتتح بها فكأنها أصله وأساسه. رابعها سورة الكنز لأنها نزلت من كنز تحت العرش. خامسها الكافية. سادسها الوافية لأنها وافيه كافية فى صحة الصلاة عن غيرها عند القدرة عليها. سابعها الشافية. ثامنها الشفاء لما ورد هى شفاء من كل داء. تاسعها السبع المثانى لأنها سبع آيات على الصحيح سواء قلنا أن البسملة منها أولا. عاشرها النور. الحادى عشر الرقية. الثانى عشر سورة الحمد والشكر. الثالث عشر الدعاء. الرابع عشر تعليم المسألة لاشتمالها على ذلك. الخامس عشر سورة المناجاة. السادس عشر سورة التفويض. السابع عشر سورة السؤال. الثامن عشر سورة أم الكتاب. التاسع عشر فاتحة القرآن. العشرون الصلاة لخبر «قسمت الصلاة بينى و بين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى و لعبدى ماسأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الرب أثنى على عبدى يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى يقول العبد إياك نعبد و إياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الآية بينى و بين عبدى

ولعبدي ماسأل يقول العبد - اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين - يقول الله فهؤلاء لعبدي ولعبدي ماسأل» وورد في فضلها أحاديث كثيرة منها ماهو مسلسل بالحلف بالله العظيم. عن ابن العربي قال: إذا قرأت الفاتحة فصل بسم الله الرحمن الرحيم بالحمد لله في نفس واحد من غير قطع فإني أقول بالله العظيم لقد حدثني أبو الحسن علي أبو الفتح الطيب بمدينة الموصل سنة إحدى وستمائة وقال بالله العظيم لقد سمعت من أبي بكر من لفظه ولفظه وهو أبو الفضل ابن محمد الكاتب الهروي وقال بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر الشاشي الشافعي من لفظه وقال بالله العظيم لقد حدثني عبد الله المعروف بأبي نصر السرخسي وقال بالله العظيم لقد حدثنا محمد بن الفضل وقال بالله العظيم لقد حدثنا محمد بن يحيى الوراق الفقيه وقال بالله العظيم لقد حدثني محمد بن الحسن العلوي الزاهد وقال بالله العظيم لقد حدثني موسى بن عيسى وقال بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الرابعي وقال بالله العظيم لقد حدثني أنس بن مالك وقال بالله العظيم لقد حدثني محمد المصطفى وقال «بالله العظيم لقد حدثني جبريل وقال بالله العظيم لقد حدثني إسرافيل وقال قال تعالى يا إسرافيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم مرة بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا أني غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عنه السيئات ولا أحرق لسانه في النار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار والفزع الأكبر ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين» اهـ من المناوي على الجامع الصغير (قوله إن كانت منها الخ) هذا التعبير يوهم في بادئ الرأي أنها إن لم تكن منها فليست سبعا مع أنه يخالف مابعده فالمناسب أن يقول سبع آيات فإن كانت البسملة منها فالسابعة صراط الذين إلى آخرها وإن لم تكن منها فالسابعة غير المغضوب عليهم إلى آخرها وبعضهم جعل البسملة منها وجعل غير المغضوب عليهم الخ ثامنة وبعضهم جعلها ست آيات والبسملة ليست منها وهذان القولان مرجوحان. واعلم أنه اختلف

في البسملة فقيل ليست آية من الفاتحة بل ولا من كل سورة سوى سورة النمل وإنما يندب الابتداء بها كالاستعاذة وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها والأوزاعي ومالك

إن كانت منها ، والسابعة صراط الذين إلى آخرها

وإن لم تكن منها فالسابعة غير المغضوب إلى آخرها ، ويقدر في أولها .

قولوا ؛ ليكون ماقبل إياك نعبد مناسباً له بكونها من مقول العباد .

مستدلين بما روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أنه كان يفتتح أحدهم بالفاتحة في صلاته إماما من غير أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم وعمل أهل المدينة حجة ، وقيل آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها وابن المبارك والشافعي مستدلين بما روى أنه صلى الله عليه وسلم «قال إذا قرأتم الحمد لله فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها» . والحاصل أن البسملة من كلام الله قطعا فمن أنكرها كفر وكونها آية من كل سورة أولا خلاف بين الأئمة (قوله فالسابعة غير المغضوب الخ) إن قلت إن لفظ غير صفة لما قبلها والصفة مع الموصوف كالشيء الواحد فكيف تكون آية مستقلة. أجيب بأن الرحمن الرحيم مالك يوم الدين صفتان لله مع أنه مجمع على أنهما آيتان فكذلك يقال هنا. ونوقش بأن لفظ غير أشد افتقارا إلى ماقبله من غيره لأنه لايتم معناه إلا بما قبله فكان معه كالشيء الواحد وأما الرحمن الرحيم ونحوه إذا أعرب نعتا فليس بهذه المثابة بدليل القراءة الشاذة برفعهما أو نصبهما فإنهما يخرجان عن الارتباط. أجيب بأن الآية لايشترط فيها عدم ارتباطها بما قبلها وقد تخلص المفسر من هذا الإشكال بإعرابه بدلا كما يأتي (قوله ويقدر في أولها) أي الفاتحة قبل البسملة على القول بأنها منها أو بعدها وقبل الحمدلة على القول بأنها ليست منها (قوله بكونها) الباء بمعنى في : أي في كون الفاتحة كلها من مقول العباد وفي نسخة بكونه وهي أوضح والضمير عائد على ماقبل إياك ، وحصله أن إياك نعبد لما كان من مقول العباد احتيج إلى تقدير قولوا فيما قبله ليكون ماقبله من مقول العباد أيضا فتكون الفاتحة كلها من مقول العباد ولو ترك هذا التقدير لاحتمل أن قوله الحمد لله رب العالمين إلى آخر الآيات الأربع ثناء على الله فيكون بعضها الأول من مقول الله وبعضها الثاني من مقول العبد ثناء من الله على نفسه

فيكون من مقوله هو وذلك صحيح في حد ذاته

لكن التناسب أجمع (قوله بسم الله الرحمن الرحيم) لم يتكلم الجلال المحلى ولاتلميذه عليها ولعلهما اتكلا على شهرته. ونتكلم على شيء منها فنقول: ابتدأ كتابه تعالى بالبسملة تعليما لعباده الاقتداء بذلك والإتيان بها في كل أمر ذي بال إشعارا بأنها أم الفاتحة كما أن الفاتحة أم القرآن كما أن القرآن أم الكتب السماوية، والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، والرحمن المنعم بجلائل النعم كما وكيفا دنيا وأخرى، والرحيم المنعم بدقائقها كذلك.

[فائدة] روى الشعبي والأعمش «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى نزل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها كتب بسم الله فلما نزلت قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن، فلما نزلت إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم كتبها» وعن عبد الله بن مسعود قال: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ليجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد، وقد فسرها بعض العارفين على مقتضى الحروف فقال إن كل حرف منها مفتاح كل اسم من أسمائه تعالى مبدوء بذلك الحرف فالباء مفتاح اسمه تعالى بصير وباقي وبر ونحو ذلك والسين مفتاح اسمه تعالى سميع سلام والميم مفتاح اسمه ملك ونحوه والألف مفتاح اسمه الله ونحوه واللام مفتاح اسمه لطيف ونحوه والهاء مفتاح اسمه هادى ونحوه والراء مفتاح اسمه رزاق ونحوه والحاء مفتاح اسمه حليم ونحوه والنون مفتاح اسمه نافع ونحوه فكأن المفتتح بها مفتتح بجميع أسمائه تعالى (قوله جملة) أي مركبة من مبتدإ أوخبر (قوله خبرية): أي لفظا وهي إنشائية معنى بدليل قوله تقصد بها الثناء: أي قصد بها إنشاء الثناء (قوله من أنه تعالى الخ) بيان للمضمون وفي ذلك إشارة إلى

أن أل في الحمد جنسية وهو الأولى من جعلها استغراقية أو عهدية أما الأول

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ) جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها من أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق أو مستحق لأن يحمدوه، والله علم على المعبود بحق (رَبِّ الْعَالَمِينَ) أي مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه عالم، يقال عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك وغلب في جمعه بالياء والنون أولو العلم على غيرهم، وهو من العلامة لأنه علامة على موجده (الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) أي ذي الرحمة

فلأنه ليس في طاقة العبيد حصر أفراد الحمد وأما الثاني فلقصوره كذا قال النحويون واختار الصوفية أنها للعهد قائلين إن الله تعالى لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه ووضعه لهم يحمدونه به وهذا المعنى هو المناسب للحمد الواقع في القرآن فتدبر (قوله أو مستحق الخ) وهى أشار بذلك إلى أن اللام في لله للملك أو للاستحقاق (قوله والله علم على المعبود بحق) أي علم شخص عربي مرتجل جامد وهو الصحيح ومعنى كونه علم شخص أنه علم على ذات معينة مستجمعة لصفات الكمال وقال الزمخشري إنه اسم جنس صار علما بالغلبة مشتق من أله كعبد وزنا ومعنى أو من أله بمعنى سكن أو من وله بمعنى تحير ودهش أوطرب أومن لاه بمعنى احتجب أو ارتفع أو استتار ومجموع الأقاويل هو المعبود للخواص والعوام المفزوع إليه في الأمور العظام المرتفع عن الأوهام المحتجب عن الأفهام الظاهر بصفاته الفخام الذي سكنت إلى عبادته الأجسام وولهت به نفوس الأنام وطربت إليه قلوب الكرام (قوله رب العالمين) الرب يطلق على السيد والمالك والمعبود والثابت والمصلح اقتصر المفسر على المالك لكونه المناسب للمقام وجمع العالمين جمع قلة مع كثرتها جدا في الواقع تنبيها على أنهم وإن كثروا فهم قليلون في جانب عظمته تعالى. إن قلت الجمع يقتضي اتفاق الأفراد في الحقيقة وهي هنا مختلفة. أجيب بأنها متفقة من حيث أن كلا منها علامة على موجدها (قوله يقال عالم الانس الخ) الاضافة بيانية أي عالم هو الانس (قوله وغلب في جمعه الخ) وقيل لاتغليب بل هو اسم وضع لذوى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم بطريق التبع (قوله أولو العلم) أي لشرفهم (قوله وهو) أي العالم وهو ما سوى الله تعالى علامة على موجده لأنه حادث وكل حادث يحتاج إلى محدث (قوله أي ذي الرحمة) أشار بذلك إلى أن الرحمن الرحيم بنيا للمبالغة من رحم، والرحمة في الأصل رقة في القلب تقتضي التفضل والاحسان وهي بهذا المعنى مستحيلة في حقه تعالى فتحمل على غايتها لأن ما استحال على الله باعتبار مبدئه وورد يطلق ويراد منه لازمه وغايته.

(قوله وهي إرادة الخير الخ) أشار بذلك إلى أنهما صفتا ذات ويصحّ أن يكونا صفتي فعل: أي التفضل المحسن، وفي الاتيان بالرحمن الرحيم عقب الصافه بربّ العالمين ترغيب بعد ترهيب فيكون أعون للعبد على الطاعة وأمنع من المعصية (قوله ملك يوم الدين) من الملك بضمّ الميم وهو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي بالأمر والنهي (قوله أي الجزاء) أي بالثواب للمؤمنين والعقاب للكافرين (قوله لاملك ظاهرا فيه لأحد) أي وأما في الدنيا ففيها الملك ظاهرا لكثير من الناس، فتحصل أن الوصف بالملكية ثابت أزلا وظهوره يكون يوم القيامة لاقرار جميع الخلق به (قوله لمن الملك اليوم) الجار والمجرور خبر مقدم والملك مبتدأ مؤخر واليوم ظرف للمبتدإ وقوله لله جواب منه تعالى عن السؤال (قوله ومن قرأ مالك الخ) اعلم أن في لفظ ملك قراءتين سبعيتين الأولى بحذف الألف والوصف بها ظاهر والثانية باثباتها وفيها إشكال وهو أن مالك اسم فاعل وإضافته لفظية لا تفيده التعريف فكيف توصف المعرفة بالنكرة. وأجاب المفسر بأن محلّ كون إضافة اسم الفاعل لفظية إن لم يكن بمعنى الزمان المستمر وإلا كانت إضافته حقيقية. والحاصل أن اسم الفاعل إن قصد به الحال أو الاستقبال فاضافته لفظية وإن قصد به المضي أو الدوام كما هو شأن أوصاف الله تعالى فاضافته حقيقية والتعويل على القرائن. واختلف في أي القراءتين أبلغ، فقيل ملك أعم وأبلغ من مالك إذ كل ملك مالك ولا عكس ولأن أمر الملك نافذ على المالك في ملكه حتى لا يتصرف المالك إلا عن تدبير الملك، وقيل مالك أبلغ لما فيه من زيادة البناء فتدل على كثرة الثواب (قوله إياك نعبد) إياك مفعول مقدم لنعبد قدم لافادة الحصر والاختصاص وإياك نستعين معطوف على إياك نعبد أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك لأنك الحقيق بتلك الصفات العظام، والمعنى يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة فهذا ترق من البرهان إلى العيان والغيبة إلى الحضور فهو تعليم من الله تعالى لعباده كيفية الترقي فان العبد إذا ذكر الحقيق بالحمد وهو ربّ الأرباب عن قلب حاضر يجد ذلك العبد من نفسه محركا للاقبال عليه وكلما أجرى على قلبه ولسانه صفة من تلك الصفات العظام قوى ذلك المحرّك إلى أن يئول ذلك الأمر لخاتمة تلك الصفات، فحينئذ يوجب ذلك المحرك لتناهيه في القوّة إقبال ذلك العبد على ربه وخالقه المتصف بتلك الصفات، فانتقل من الغيبة لخطابه والتلذذ بمناجاته فأول الكلام مبني على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه العظام والنظر في آلائه والاستدلال بصنعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ثم بعد ذلك أتى بمنتهاه وهو الخطاب والحضور المشعر بكونه في حضرة الشهود، وإلى هذا المعنى أشار بعض العارفين بقوله:

تلك آثارنا تدلّ علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

وهو مقام الاحسان المشار له بقوله صلى الله عليه وسلم «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه»، واعلم أن إياك واجب الانفصال. واختلف فيه هل هو من قبيل الاسم الظاهر وبه قال الزجاج أو هو ضمير وعليه الجمهور. واختلف القائلون بأنه ضمير على أربعة أقوال: أحدها أنه كله ضمير. الثاني إن إيا وحده ضمير وما بعده اسم مضاف إليه يفسر ما يراد به من تكلم وغيبة وخطاب. الثالث أن إيا وحده ضمير وما بعده حروف تفسر ما يراد منه وهو المشهور. الرابع أن إيا عماد وما بعده الضمير والضمير المستكن في نعبد ونستعين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أوله ولسائر الموحدين أدرج عبادته في عباداتهم وخلط حاجته بحاجاتهم لعل عبادته تقبل ببركة عباداتهم وحاجته يجاب إليها ببركة حاجاتهم ومن هنا شرعت الجماعة في الصلوات قال تعالى ـ وتعاونوا على البر والتقوى ـ وقال صلى الله عليه وسلم «يد الله مع الجماعة» (قوله وإياك نستعين) كرر الضمير للدلالة على تخصيصه تعالى بكل من العبادة والاستعانة والتلذذ بالمناجاة والخطاب وقدم العبادة على الاستعانة لأنها وصلة لطلب الحاجة فاذا أفرد العبد ربه بالعبادة أعانه وحذف المعمول من كل ليؤذن بالعموم فيتناول كل معبوديه وكل مستعان عليه وأصل مستعين نستعون استثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى الساكن قبلها فسكنت الواو بعد النقل وانكسر ما قبلها فقلبت والقراءة السبعية بفتح النون وقرئ شذوذا نستعين بكسر حرف المضارعة وهي لغة مطردة في حروف المضارعة بشرط أن لا يكون ما بعد حرفه

وهي إرادة الخير لأهله (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) أي الجزاء وهو يوم القيامة وخصّ بالذكر لأنه لا ملك ظاهراً فيه لأحد إلا له تعالى بدليل: لمن الملك اليوم لله، ومن قرأ مالك فمعناه مالك الأمر كله في يوم القيامة أي هو موصوف بذلك دائماً كغافر الذنب فصح وقوعه صفة للمعرفة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ):

المضارعة مضموما فإن ضم كتقوم امتنع كسر حرف المضارعة لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم و بشرط أن يكون المضارع من ماض مكسور العين نحو علم أو فى أوله همزة وصل نحو استعان أو تاء مطاوعة نحو تعلم (قوله من توحيد الخ) بيان للعبادة وهو إشارة إلى العبادات الأصلية الاعتقادية وقوله وغيره إشارة إلى العبادات العملية من صلاة وصوم وزكاة ونحو ذلك (قوله و بطلب المعونة) بالباء عطف على بالعباد ولا يجوز أن يكون بالنون عطفا على نخصك لخروجه عن إفادة التخصيص (قوله وغيرها) أى من مهمات الدنيا والآخرة (قوله اهدنا) أى زدنا هداية وأدمنا عليها والهداية تطلق على الدلالة والتبيين (إن لم يحصل وصول نحو : وأما ثمود فهديناهم : أى بينا لهم وتطلق عليهما مع الوصول للخير وهو المراد هنا . ومادة الهداية تتعدى لمفعولين الأول بنفسها والثانى إما كذلك كما هنا وإما باللام أو إلى قال تعالى - يهدى للتى هى أقوم ، و إنك لتهدى إلى صراط مستقيم - (قوله الصراط) هو فى الأصل الطريق الحسى ، والمراد به هنا دين الاسلام ففيه استعارة تصريحية أصلية حيث شبه دين الاسلام بالطريق الحسى بجامع أن كلا موصل للمقصود واستعير اسم المشبه به للمشبه وأصل صراط بالصاد سراط بالسين و بها قرأ قنبل حيث ورد أبدلت صادا لأجل حرف الاستعلاء وقد تشم الصاد زايا و به قرأ خلف وكلها سبعى لكن لم ترسم فى المصحف إلا بالصاد والصراط يذكر و يؤنث ، فالتذكير لغة تميم والتأنيث لغة الحجاز وجمعه صرط ككتاب وكتب (قوله المستقيم) اسم فاعل من استقام : أى استوى من غير اعوجاج وأصله مستقوم أعل كاعلال نستعين (قوله ويبدل منه) أى بدل كل من كل آتى به زيادة فى مدح الصراط (قوله الذين أنعمت عليهم) الإنعام إيصال الاحسان إلى الغير بشرط أن يكون ذلك الغير من العقلاء فلا يقال أنعم فلان على فرسه ولا حماره (قوله بالهداية) أشار بذلك إلى أن المراد بالمنعم عليهم المؤمنون وهو أحد أقوال للمفسرين ، وقيل هم المذكورون فى قوله تعالى - فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين - وقيل هم الأنبياء خاصة ، وقيل المراد بهم أصحاب موسى وعيسى

أى نخصك بالعبادة من توحيد وغيره و بطلب المعونة على العبادة وغيرها (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) أى أرشدنا إليه ، ويبدل منه (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) بالهداية ، ويبدل من الذين بصلته (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) ،

قبل التحريف والنسخ وحذف متعلق أنعمت ليؤذن بالعموم فيشمل كل نعمة ونعم الله تعالى لاتحصى باعتبار أفرادها قال تعالى - و إن تعدوا نعمة الله لاتحصوها - وأما باعتبار جملتها وهى فتحصى لأنها قسمان دنيوية وأخروية . والأول إما وهبى أو كسبى ، والوهبى إما روحانى كنفخ الروح والتزيين بالعقل والفهم والفكر والنطق أو جسمانى كتخلق البدن والقوى الحالة فيه والصحة وكمال الأعضاء والكسبى كتزكية النفس وتخليتها عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق السنية والفضائل . والثانى وهو الأخروى أنه يغفر ما فرط منه و يتزله أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين ودهر الداهرين (قوله عليهم) لفظ عليهم الأول فى محل نصب على المفعولية والثانى فى محل رفع نائب المغضوب وفيه عشر لغات ست مرويات عن القراء الثلاثة الأول منها سبعيات وهى كسر الهاء وضمها مع إسكان الميم فيهما وكسر الهاء وضم الميم بواو بعد الضمة وكسر الهاء والميم بياء بعد الكسرة للاشباع وضم الهاء والميم بواو بعد الضمة و بدونها وأربع لم يقرأ بها وهى ضم الهاء مع كسر الميم و إدخال ياء بعدها وضم الهاء وكسر الميم من غير ياء وكسر الهاء مع ضم الميم وكسر الهاء والميم من غير ياء (قوله و يبدل من الذين بصلته) أى بدل كل من كل ولايضر إبدال النكرة من المعرفة ، وقيل نعت للذين . واستشكل بأنه يلزم نعت المعرفة بالنكرة وهو لايصح لأن غير متوغلة فى الابهام لاتتعرف بالاضافة كمثل وشبه وشبيه . وأجيب بجوابين : الأول أن غير إنما تكون نكرة إذا لم تقع بين ضدين فأما إذا وقعت بين ضدين فتتعرف حينئذ بالاضافة تقول عليك بالحركة غير السكون والآية من هذا القبيل . والثانى أن الموصول أشبه النكرات فى الابهام الذى فيه فعومل معاملة النكرات ، وغير من الألفاظ الملازمة للاضافة لفظا أو تقديرا فادخال أل عليها خطأ وقد يستثنى بها حملا على إلا كما يوصف بالا حملا عليها (قوله غير المغضوب) بكسر الراء بدل كما قال المفسر أو نعت وتقدم مافيه وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا بالنصب على الحال أو الاستثناء ، والغضب ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه » ، فاذا وصف به الله تعالى فالمراد به الانتقام أو إرادة الانتقام فهو صفة فعل

أو صفة ثالثة و بنى الغضب للمجهول ولم يقل غير الذين غضبت عليهم تعليما لعباده الأدب حيث أسند الخير لنفسه وأبهم فى الشر نظير قوله تعالى : فأردت أن أعيبها . فأراد ربك أن يبلغا أشدهما . و إذا مرضت فهو يشفين (قوله وهم اليهود) أى لقوله تعالى فيهم : من لعنه الله وغضب عليه الآية والحديث « إنّ المغضوب عليهم هم اليهود و إنّ الضالين النصارى » (قوله وغير الضالين) أشار بذلك إلى أن لا بمعنى غير فهى صفة ظهر إعرابها فيما بعدها و يؤيدها قراءة عمر بن الخطاب وأبىّ بن كعب وغير الضالين بدل لا وأتى بلا ثانيا لتأكيد معنى النفى المفهوم من غير ولئلا يتوهم عطف الضالين على غير فيكون من وصف الذين أنعمت عليهم ، والضلال يطلق على الخفاء والغيبة ومنه قولهم : ضلّ الماء فى اللبن والهلاك ومنه قوله تعالى : أئذا ضللنا فى الأرض ، والنسيان ومنه قوله تعالى : أن تضلّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، والعدول عن الطريق المستقيم وهو المراد هنا وفى الضالين مدّان مد لازم على الألف بعد الضاد وقبل اللام المشددة وعارض على الياء قبل النون للوقف (قوله وهم النصارى) أى لقوله تعالى . وأضلوا كثيرا . وضلوا عن سواء السبيل (قوله إفادة أن المهتدين) أى المذكورين بقوله : الذين أنعمت عليهم فمصدوق الذين أنعمت عليهم هو مصدوق غير المغضوب عليهم وغير الضالين فمصدوق العبارات الثلاث هم المؤمنون لكن استشكل بأن تفسير الذين أنعمت عليهم بالفرق الأربعة المذكورة فى سورة النساء لا يشمل بقية المؤمنين وتفسير المغضوب عليهم والضالين باليهود والنصارى لا يشمل بقية طوائف الكفار فمقتضى ذلك أن بقية المؤمنين ليسوا ممن أنعم الله عليهم وسائر طوائف الكفار خارجون من وصف الغضب والضلال فالمبدل منه يخرجهم والبدل يدخلهم فى المبدل منه والمخلص من هذا الاشكال أن يفسر المنعم عليهم بجميع المؤمنين كما درج عليه المفسر فى قوله أنعمت عليهم بالهداية

وهم اليهود (وَلَا) وغير (الضَّالِّينَ) وهم النصارى ، ونكتة البدل إفادة أن المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ويراد من المغضوب عليهم والضالين عموم الكفار اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. إن قلت مافائدة الاتيان بغير المغضوب عليهم الخ بعد قوله الذين أنعمت عليهم ؟ . أجيب بأن الايمان إنما يكمل بالرجاء والخوف فقوله : الذين أنعمت عليهم يوجب الرجاء الكامل وقوله : غير المغضوب عليهم الخ يوجب الخوف الكامل فيتقوى الايمان بالرجاء والخوف .

فائدة — لفظ آمين ليس من الفاتحة بل ولا من القرآن قطعا بل يسنّ الاتيان بها لقارىء الفاتحة مفصولة منها بسكتة ليتميز ماهو قرآن عما ليس بقرآن ولكل داع وهى اسم فعل على الصحيح بمعنى استجب مبنى على الفتح ويجوز فيه مدّ الهمزة وقصرها . وقيل هى اسم من أسماء الله تعالى والتقدير يا آمين ، وردّ بوجهين : الأول أنه لو كان كذلك لكان ينبغى أن يبنى على الضم لأنه منادى مفرد معرفة . الثانى أن أسماء الله تعالى توقيفية وهو من خصوصيات هذه الأمة لم يعط لأحد قبلهم إلا ما كان من موسى وهارون لما ورد فى الحديث « إنّ الله أعطى أمتى ثلاثا لم تعط أحدا قبلهم : السلام وهو تحية أهل الجنة وصفوف الملائكة وآمين إلا ما كان من موسى وهرون » ومعناه أن موسى دعا على فرعون وأمن هرون فقال الله تعالى عند ماذكر دعاء موسى : قد أجيبت دعوتكما ولم يذكر مقالة هرون فسماه داعيا . وقال علىّ رضى الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم بها دعاء عباده ، وفى الخبر « إن آمين كالطابع الذى يطبع به على الكتاب » وفى حديث آخر « آمين درجة فى الجنة » قال أبو بكر : إنه حرف يكتب به لقائله درجة فى الجنة . وقال وهب بن منبه : آمين أربعة أحرف يخلق الله من كل حرف ملكا يقول اللهم اغفر لكل من قال آمين » (قوله والله أعلم بالصواب الخ) هذه العبارة من وضع تلامذة المحلى لما عرفت أنه قد شرع فى تفسير النصف الأول فكمل الفاتحة وارتحل إلى رضوان الله تعالى ، فيبعد أن يأتى بعبارة تشعر بالانتهاء والصواب ضد الخطأ والمرجع الرجوع والمآب مرادف وقوله وحسبنا الله أى كافينا وقوله نعم الوكيل أى المفوض إليه الأمر .

خاتمة نسأل الله حسنها

فى آداب تتعلق بالقرآن

منها أن لايمسه إلا طاهرا قال تعالى : لايمسه إلا المطهرون ، ومنها أن التالى يتطيب له و يستاك لقول يزيد بن أبى مالك : إن أفواهكم من طرق القرآن فطهروها ونظفوها مااستطعتم ، ومنها أن يستوى له قاعدا ولا يكون متكئا ، ومنها أن يلبس ثياب التجمل كما يلبسها للدخول على الملوك لأنه مناج ربه ، ومنها أن يستقبل القبلة لأنها أشرف المجالس ، ومنها أنه إذا تثاءب يمسك عن القراءة حتى يذهب تثاؤبه لأنه من الشيطان ، ومنها أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتداء القراءة و إن لم يكن فى أول سورة و يبسمل إن كان فى أول سورة و إلا فيخير ، ومنها أنه إذا أخذ فى القراءة لم يقطعها لمكالمة أحد من غير ضرورة ، ومنها أن يقرأه على تؤدة وترتيل وتدبر حتى يعقل مايخاطبه به ربه فيرغب فى الوعد و يخاف عند الوعيد ، ومنها أنه إذا انتهت قراءته يقول صدق الله العظيم و بلغ رسوله الكريم وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومنها أن يقرأ القرآن على الترتيب ولاينكس ، ومنها أن يضع المصحف على مكان طاهر مرتفع أوفى حجره ، ومنها أن لايمحو القرآن من اللوح بالبصاق ولكن يغسله بالماء و يشرب الغسالة بقصد الاستشفاء أو يدفنها فى مكان طاهر بعيد عن ممر الأقدام ، ومنها أن لايتخذ الصحيفة⁽¹⁾ إذا بليت بل يمحوها بالماء و يفعل بها ماتقدم ، ومنها أن يعطى عينيه حقهما من النظر فى المصحف ففى الحديث قال صلى الله عليه وسلم « أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا يارسول الله وماحظها من العبادة ؟ قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن نظرا » ، ومنها أن لايتأول القرآن بشىء من أمور الدنيا يعرض له كقول الرجل إذا جاءه أحد : جئت على قدر ياموسى وكقوله لضيوفه مثلا : كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ، ومنها أن لايقرأ القرآن بألحان الغناء كلحون أهل الفسق ، ومنها أن يجوّف خطه إذا كتبه ، ومنها أن لايقرأ فى الأسواق أو فى مواطن اللغط ومجمع السفهاء والتعرّض بتلاوته لسؤال الخلق ومنها أن لايصغر المصحف فانه ورد النهى عن تصغير المسجد والمصحف ، ومنها أن لا يكتب على الأرض ولاعلى حائط كما يفعل فى المساجد ففى الحديث « مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب فى أرض فقال لشاب من هذيل ماهذا ؟ قال من كتاب الله كتبه يهودى فقال لعن الله من فعل هذا لاتضعوا كتاب الله إلاموضعه » ، ورأى عمر بن عبد العزيز ولده يكتب القرآن على حائط فضربه ، ومنها أن يفتتحه كلما ختمه حتى لايكون كهيئة المهجور فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ختم القرآن يقرأ من أوله قدر خمس آيات . وقال صلى الله عليه وسلم لرجل سأله عن أفضل العمل فقال عليك بالحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره ثم يضرب فى أوله كلما حلّ ارتحل ، ومنها إذا ختم القرآن أن يجمع أهله و يدعو بخيرالدارين كما كان السلف الصالح يفعلونه لإجابة الدعاء عند ختمه كما هومذكور فى الأحاديث الصحيحة ، ومنها إذا كتبه وشربه ينوى به الشفاء من كل داء و بلوغ الآمال من كل خير فان الله يؤتيه على قدر نيته ، ومنها إذا كتبه حرزا فليجعله فى غمد يحفظه من كل أذى كجلد محيط به ونحوه اهـ ملخصا من القرطبى .

وهذا آخر ماقدر الله تعالى من هذا التعليق الشريف ، ولم يكن فى ظنى أن يجىء على هذا المنوال المنيف لقصور باعى وفتور همتى وضعف ذهنى ، ولكن فضل الله تعالى حصل بواسطة نور الظلام حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأشياخنا الكرام ، فجاء ذلك التعليق متضمنا مافى أصله وفائقا ، صغير الحجم سهل الألفاظ رائقا ، كافيا للمقتصر عليه شافيا للناظر فيه بعين الرضا وافيا بالمطالب كلها معقولا ومنقولا شريعة وطريقة وحقيقة ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد المخلوقات ، وعلى آله وأصحابه السادات ، وعلى أشياخنا ولا سيما أبو البركات .

تمّ بحمد الله تعالى وعونه يوم الثلاثاء المبارك لأربع بقين من شهر ربيع الثانى سنة ثمان وعشرين بعد المائتين والألف من هجرته عليه الصلاة والسلام .

---

(1) قوله : ومنها أن لايتخذ الصحيفة الخ عبارة العلامة الجمل : أن لايتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب فان ذلك جفاء ولكن يمحوها بالماء اهـ .

فهرس

الجزء الرابع

من حاشية الشيخ الصاوى على تفسير الجلالين